الإهداء

إلى رجالٍ مُؤمنينَ، وشَبَابٍ صَادِقينَ، أَرَاهُم يَنظُرونَ إلى قوى الكُفرِ الصَّليبيّةِ الصُّهيونيّةِ الزَّاحِفَةِ، وقَد تَدَاعت عَلينا بقيادةِ أمريكا تَدَاعِي الأكلةِ إلى قَصعَتِها، تُزهِقُ الأرواحَ، وتَنتَهِكُ المُحرَّماتِ، وتَحتلُّ المُقدَّسَاتِ وتَدُوسُ البلادَ وتَنهَبُ أَقوَّاتَ العِبَادِ.

فَيَملأُ الحزنُ قلوبَهم، ويخنقُ القَهرُ حناجِرَهم، ويحبِسُ كبرياءُ الرّجُولةِ دُموعَ الألمِ في عُيونِهم، وتُدوّي في خواطِرِهم آياتُ الله تُنَادِيهم قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [النساء: ٧٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة] فيَملأُ الأسَفُ والحسرةُ نُفوسَهم، ويَتَسَاءَلُونَ! وماذا عَسَى أَحَدُنَا أن يفعلَ أمامَ هذا الطُّوفَانِ الزّاحِفِ منَ الصّليبيّينَ واليَهُوْدِ وحُلَفَائِهم مِنَ المُرتَدّينَ والمُنَافِقينَ بَينَ أَظهُرِنا؟!

فيَأتيهِمُ الرَّدُّ الحَاسِمُ مِنْ كِتَابِ اللهِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١]

فَيُرَفرِفُ الأملُ في أَرْوَاحِهِم، ويُشرقُ العَزمُ في نُفُوسِهِم، وتَنعَقِدُ النِّيَّةُ في قُلُوبِهم، ويَجأَرُونَ إلى ربّهم: لبّيكَ اللّهُمَّ لَبّيك، لَبّيكَ لَاشَرِيكَ لكَ لبَّيك، بِعنا يَاربُّ بِعنا، لانَقِيلُ ولانَسْتَقِيلُ.

إلى هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ المُتَحفِّزينَ للدِّفَاعِ عَن دِينِ اللهِ والمُستَضعَفينَ مِنَ المُؤمِنينَ في كُلِّ مَكَانٍ.

أُهدِي هَذا الكتابَ..

ليكونَ دَلِيلاً لَهُم وَمَعْلَمَاً عَلى طريقِ الجِهَادِ في سَبِيلِ اللهِ، وزاداً يُعينُهُم عَلى البَلاغِ بِعَونِ اللهِ، وسِفْراً يَربِطُهم فِكراً ومَنهَجاً بأسلافِهِم مِنْ قافِلَةِ الغُرَباءِ الظَّاهِرينَ عَلى الحَقّ الفَرَّارينَ بِدينِهِم، ولِيُعَرّفَهُم بتَاريخِ مَنْ سَبَقَهُم

في دربِ النّورِ، مِمَّنْ قَضَى نَحبَهُ ومِمَّنْ يَنتَظر، مِنَ الّذينَ هَاجَرُوا وجَاهَدُوا وآوَوا ونَصَرُوا، مِنْ رُوَّادِ التّيَّارِ الجِهاديّ والصَّحوَة الإِسْلَاميّةِ المُبَارَكَةِ في هَذَا الزَّمَانِ.

وليقدِّمَ لَهُم مَنهَجَ جِهَادٍ، وفكرةَ حَركةٍ، وطريقةَ عملٍ، بَرنَامَجَ عَمَلٍ مُتَكَامِلٍ يُسَاعِدُهم عَلى التَّخَلُّصِ مِنْ أَوزَارِ القُعُودِ، وكُرُبَاتِ الهَمّ والحَزَنِ، وأَثقالِ العَجزِ والكَسَلِ، وحَسَرَاتِ قَهرِ الرِّجَالِ.

فَإِلى هَؤُلَاءِ المُجَاهِدِينَ القَادِمِينَ، الّذينَ ألمحُ أَطيافَهُم في الأُفُقِ، يَحملونَ راياتِ لَاإِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، تَخْفِقُ بِالعِزّ والنَّصرِ وتَدحَرُ قُوَى الكُفرِ والطّغيان، وتُحَكِّم شَريعةَ اللهِ في الأَرضِ.

إِليهِم وَإِلى سَلَفِهِم مِنْ مُجَاهِدِي هَذَا الزّمَانِ، مِنَ الشُّهَدَاءِ والأَسْرَى والمُشَرَّدِين الّذينَ رَسَمُوا لجيلِ الجِهَاد والمُقاوَمَةِ القَادِمِ، بِدِمَائِهِم وآهَاتِهِم وعَنَاءِ نِسَائِهِم وأَطفَالِهِم مَعالِمَ الطّرِيقِ.

إلى هَؤُلَاءِ وَأولَئكَ **أُهدِي هَذَا الكِتَاب**...

رَاجياً مِنَ اللهِ الحَليمِ الكَرِيمِ، العَليّ العَظيمِ، الغَفُورِ الرَّحِيمِ، الحَنَّانِ المَنَّانِ، أن لايَحرِمَنِي صُحبتَهُم في الرَّفيقِ الأَعلى مَعَ النّبيّينَ والصِدّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، أَمَلي بِاللهِ كَبيرٌ، وبِبُشرى حَبيبِهِ المُصطَفَى ﷺ: أنّ الدّالَّ عَلى الخيرِ كَفَاعِلِه، وأنَّ العَالِم والمُتَعلّم شَريكَانِ، وأنَّ المَرءَ يُحشَر مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

هَذَا الكِتَابُ

بِفضلِ مَا يَسَّرَ اللهُ بِعونِهِ، وَوَفَّقَ إِليهِ بِفضلِه، يَحتَوِي هَذَا الكِتَابُ عَلَى مَوَادٍّ كَثيرةٍ، مِنهَا مَاهُوَ سَردٌ لِمَسَارِ التّارِيخِ، ومِنهَا مَاهُوَ تَحليلَاتٌ سِيَاسِيّة، وفِكرِيّة لِذَلِك التَّارِيخِ ومَسَارِه، ومِنهَا مَاهُوَ سَبَحَاتٌ فِكرِيَّةٌ وفَلسَفِيَّةٌ..

وفِيهِ فُصُولٌ نَقديّةٌ لِمَسَارِ الصَّحوَةِ وتَجَارُبِ الجِهَادِ عَبرَ العُقُودِ المُنصَرِمَةِ..

وفي الكِتَابِ فُصولٌ تربَويَّةٌ، وأحكامٌ فقهيَّةٌ، ودُرُوسٌ شَرعيّةٌ، وتَوجِيهاتٌ مَنهجيَّةٌ وأُصُوليَّةٌ..

وفيه موادٌّ تربَويَّةٌ، ودروسٌ في الأخلاقِ والرَّقائقِ، ونُصوصٌ شَرعيّةٌ في مَسائِلِ الجِهَادِ والتَّحرِيضِ عَليهِ..

وفِيهِ خُلاصَةُ دُروسِ تَجَارب جهاديَّةٍ كثيرةٍ، عَسكَريّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ وحَرَكِيَّةٍ وأَمنِيَّةٍ..إلخ.

فالهَدَفُ منْ هَذَا الكِتَاب هُوَ إِرسَاءُ أُصولِ دَعوَةِ عملٍ وجِهَادٍ، أَسمَيتُهَا:

دَعوةُ المقاومَةِ الإسلاميَّةِ العَالميَّةِ

فَهُوَ كِتَابٌ كُتِبَ لِدَلالةِ البَاحثِينَ عَن العَملِ مِنْ أَجلِ أَداءِ الفَرِيضَةِ، والقِيَامِ بِالوَاجِبِ فِي جِهَادِ أَعدائِنَا مِنَ الكُفَّارِ الغُزَاةِ وحُلَفائِهِم وَأولِيائِهِم مِنَ المُرتَدّين والمُنَافِقِينَ.

وبإمكانِ مَن أَقنَعهُ هذا الكتابُ بِدعوتِنَا أنْ يَنضَمَّ إِليهَا، مِنْ دُونِ حَاجَةٍ لأَنْ يُلاقِينَا ونُلَاقِيهِ، وفِي ثَنَايَا الكِتَابِ مَا يَلزَمُهُ لِكَي يَكونَ عُضواً كَامِلَ العُضويَّةِ والفَاعِلِيَّةِ كَمَا سَيَرى، فَنَحنُ فِي عَالمِ اليَوْمَ وما يسَّرَهُ اللهُ مِن شَبَكَاتِ الاتّصَالِ، وطُرقِ إِيصالِ الخِطَابِ، لَمْ نَعُد بِحَاجَةٍ حَتمِيَّةٍ لِلتَّواصُلِ واللّقَاء المُبَاشَر، وصَارَ بِالإمكَانِ التَّواصُلُ والتَّخَاطُبُ وتَوفِيرُ موادّ التّربِيَةِ والإعدادِ مِنْ دُونِ كَبيرِ عناءٍ، هذا إِذا توفَّرَ العَزمُ والإِرادَةُ.

فليسَ القصدُ منْ هذا الكتاب المتعَةُ والثّقافَةُ العَامّةُ، كَمَا هُوَ هَدَفُ أَكثَرَ قرّاءِ الكُتُبِ والصُّحُفِ، والمُتَابعينَ للفَضائِيَّاتِ والانترنت مِنَ المُسلِمِينَ فِي هَذا الزّمانِ ولِلأَسفِ.

وبهذا الفَهمِ والرُّوحِ واستِشعَارِ المَسؤُولِيّةِ، مَسؤُوليّة تلقّي دَعوةٍ جادّةٍ للجِهَادِ في سَبِيلِ اللهِ أَرجُو أَن يَتَنَاولَ القرّاءُ هذا الكتابَ ويَقرؤُوهُ بكلّ رُوح الجدّ والمَسؤوليّةِ أمامَ اللهِ، ثُمّ أمامَ الأُمّةِ، ثُمّ أمامَ أجيالِ عشراتِ آلافِ الشُّهداءِ الّذينَ قَضوا خِلالَ هذه العقودِ الأَخيرةِ، كَي يَحيا هذا الدّينُ، وكَي تستمرَّ رايةُ الجِهَادِ تخفقُ بكلمةِ التّوحيدِ، شَهادة أن لَاإله لَّا اللهُ إلا الله، محمّدٌ رَسُولُ اللهِ ولِتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُليَا، وكَلمةُ الّذينَ كَفرُوا، كلّ الّذينَ كَفرُوا، وفي كلّ زمانٍ ومَكانٍ هِيَ السُّفلَى.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة]

ولا غَالبَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ وللهِ الحَمدُ.

المُؤلِّف

تنويه بشأن الطبعة الأولى لهذا المختصر

- بدأ العمل على الطبعة الأولى من المختصر بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢٧ – ٢٠١٧/١١/٢م.
- تم إتباع طريقة التسلسل التاريخي لكل مرحلة من المراحل التاريخية، وذلك بإعادة ترتيب ونقل بعض الفقرات، لتناسب هذا التسلسل.
- تمَّ إضافة ثلاث فقرات فقط لتوضيح فكرة ما، والمساعدة في ربط التسلسل التاريخي لمرحلة من المراحل، وهي:
  - فقرة في الفصل الأول من المختصر، من كتاب [الثورة الفرنسية عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية] د.عدنان حسن با حارث.
  - فقرة في الفصل الأول، (آلية تولي السلطة) من كتاب «معركة الأحرار» م.أحمد سمير.
  - فقرة في الفصل الرابع، (العلمانية) من كتاب «معركة الأحرار» م.أحمد سمير.
- تمَّ حذف فقرة مسك الختام من الفصل التاسع من المقاومة الإسلامية العالمية.
- رُوعِيَ في طريقة الاختصار وصول الفكرة لكافة الشرائح والمستويات في الساحة الجهادية، مع عدم المساس بالفكرة الإجمالية لكل فصل حتى لا يفقد الكثير من فحواه وأهدافه.
- تم تقسيم والكتاب وترتيبه وفهرسته وفق مخطط الفصول والنظريات، بحيث يستطيع من أراد أن يدرس فصلا أو نظرية بشكل مستقل تمكن من ذلك.
- تم تحقيق الأحاديث النبوية بشكل مختصر مع ضبطها بالتشَّكيل.

مُقَدِّمَة

فلقد أَعلنت الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية المعاصرة بقيادة أمريكا، عَلى العالم العربيّ والإسْلَاميّ أهدافها بكل جلاء، وهي أهداف تشمل كافّة مقوّمات الوجود الحضاريّ والدّيني والسّياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ للمسلمين، ولقد أعلنت إدارة بوش جلاء أن أهدافهم تشمل خلال العشر سنين القادمة:

١. تغيير الخارطة السّياسيّة في الشّرق الأوسط والعالم العربيّ الإسْلَاميّ أي تغيير الأنظمة وإعادة تركيبها أو تبديلها أو صياغتها من جديد.

٢. تغيير الخارطة الجغرافيّة لبعض البلدان بما يخلق مزيداً من التّشرذم والنّزاعات المحليَّة الدّينيّة والعِرقيّة والسّياسيّة.

٣. تغيير مقوّمات الهويّة الثَّقافيَّة والتكوين الاجتماعيّ بإزاحة الأسس الدّينيّة والفكريّة والأخلاقيّة لشعوب المنطقة وإعادة صياغتها بحسب أسس الفكر الغربيّ ولا سيَّما الأمريكيّ والصّهيونيّ.

٤. السّيطرة عَلى مصادر الثّروة في المنطقة ولا سيَّما النّفط والغاز والثّروات المعدنيّة وسواها من المصادر الزراعيّة والحيوانيّة لضخّها في شريان المحتلِّ الغازي القادم من وراء البحار، وفي شريان الكيان الصّهيونيّ المزروع في قلب المنطقة، وتحويل المنطقة إلى سوق لتصريف المنتجات الاستعماريّة عبر ما يُسمّى باتّفاقيّاتِ الشَّراكة والتّجارة الحُرّة في الشَّرق الأَوسط.

ولقد كشفت وسائل الإعلام المختلفة عن أن أمريكا وحليفتها بَرِيطَانيَا ومن ورائِها إسرائيل، يعاونها كافّة دول النّاتو وأوروبّا الدّائرين في فَلكها طوعاً أو كرهاً، كشفت عن أنّها استباحت كلّ الوسائل العسكريّة والاستخباراتيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وغيرها لتحقيق هذه الأغراض.

فالعالم يشهد أعتا وأشرس هجمةٍ استعماريّة بربريَّة عرفها في تاريخه عَلى أيدي الحضارة الغربيّة الّتي آلت قيادتُها لشرذمةٍ من المُتَطرّفين الصّليبيّين المُتَصَهيِنين في الإِدارة الأَمريكيّة.

ويمكن القول أن هذه **(الحملات الصّليبيّة الثّالثة)** إن جاز التَّعبير هيَ استمرار بشكل شرس ومنظَّم للحملتين السّابقتين اللتين قامتا قبلاً، الأولى خلال القرنين الحادي عشر والثّاني عشر الميلاديّ، والثّانية الّتي قامت منذُ القرن السَّابع عشر إلى منتصف القرن العِشرين.

إنّنا أمام عدوان عسكريّ مسلّحٍ بأحدث الآلات العسكريّة والتكنولوجيّة العلميّة، ومجهّز بأفتك المخطّطات الاستخباراتيّة والأمنيّة والأجهزة البوليسيّة، تشتمل عَلى مناهج لتبديل مفاهيم الدّين الإِسْلَاميّ وتفكيك المكوّنات القوميّة للعرب والمُسلِمين، وبَرَامج إعادة صياغة المجتمعات، والمكوّنات الفكريّة والثَّقافيَّة، والمناهج الدراسيّة والتّعليميّة وبَرَامج وسائل الإعلام، وتعيد صياغة كلّ شيء حتَّى خطب الجمعة عَلى منابر مساجد المُسلِمين..

باختصارٍ: لقد اتّسع الخرق عَلى الرَّاقِعِ، ونحن مطالبون بوقفة تفكّر في أساليب مُوَاجَهة هذه الحملة بعيداً عن تأثيرات العَوَاطِف السّطحيّة الفارغة، أو ردود الأفعال المُتَشَنّجَة.

فالهجمة الأمريكيّة اليَوْم تعتمد بكل بساطة مهما تكن هذه الحقيقة مفجعة، على تعاون كامل من قبل الأنظمة في بلاد العرب والمسلمين، هذه الأنظمة التي التقت أسباب بقائها وحماية مصالحها وعروش فراعنتها مع مخططات المستعمر الأمريكي وقد جندت بالتالي هذه الأنظمة كافة أجهزتها الأمنية والإعلامية والسلطوية لسحق أي بذور مقاومة لهذا الغزو.

و المصيبة أن شرائح لا يستهان بها من مكونات المجتمعات العربية والإسلامية قد تم مسخها فكريا وثقافيا وسياسيا، لتكون في خندق المحتلين.

وهكذا تصطف الخيارات والبدائل العميلة أمام أمريكا في عقر دارنا، من قبل أبناء جلدتنا الذين يتسمون بأسمائنا، ويلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا.

ومن بعض أبعاد الكارثة.. أن كثيرا من الطيبين من علماء الإسلام ودعاته وقيادات أحزابه وتجمعاته.. قد سحقتهم الهجمة الإعلامية.. فراحوا يروجون للانبطاح وعدم إمكانية المقاومة، وينساقون في طرق رسمها العدو ذاته، من طلب العيش السلمي، والتبادل الحضاري، والحوار الهادئ، والتفاهم الفكري مع المستعمر الذي يدكنا صباح مساء بقنابله وصواريخه الذكية، ويفتك بنا جنوده وعبيدهم من أبنائنا الأغبياء..

كل ذلك بدعوى الوسيطة تارة، والاعتدال أخرى، والحكمة مرة، وعدم المجازفة والانتحار بلا جدوى مرة أخرى..

ولم يبق في الميدان إلا بعض القلوب الطاهرة، والسواعد المجاهدة، والعزائم المؤمنة، تقاوم المستعمر هنا وهناك، شراذم مستضعفة يسقط شهداؤها بلا مردود ولا جدوى في أكثر الأحيان، اللهم إلا فوزا شخصيا ونصرا ذاتيا يحمل صاحبه من بين هذا النتن والعفن الطاغي على الأرض، وظلمات الظلم والقهر فيها، إلى جنات الخلد ورضوان الله رب العالمين بإذن الله..

ولا شك أننا مهددون إن بقي الحال هكذا..

لا أقول مهددون بالزوال والاندثار، لأن الله تعالى، وكذلك رسوله ﷺ بشر هذه الأمة بالبقاء والظفر والنصر.

ولكننا مهددون لا سمح الله بمزيد من القهر والعناء والعذاب، ولباس الجوع والخوف والقتل والذل والعار..

ولا بد أن تقدم الفئة المجاهدة والنخبة المثقفة المخلصة الشريفة في هذه الأمة، على التفكير في سبيل إنهاض المقاومة، وتوسيع رقعتها، كي تنهض الأمة وتنخرط في مقاتلة أعداء الله، وتحافظ على مكونات وجودها ودينها وحضارتها..

من أجل الجيل الثّالث من الجهاديّين:

« جيل المقاومة الإسلامية العالمية »

يمكنني أن أقول أن جيلان جهاديان قد مضيا حتى الآن في هذه الصحوة، حيث سنعرض لتاريخهما بشيء من التفصيل في الفصل السادس إن شاء الله، جيل المؤسسين والدفعة الأولى، والذي أشعل مشعل الفكر الجهادي وقدم أولى تجاربه مطلع الستينات إلى أواخر السبعينات من القرن المنصرم، حيث لم تأت الثمانيات إلا وقد قضى معظمهم على هذا الدرب المنير، ثم الجيل الثاني الذي قام بمتابعة المسيرة منذ مطلع الثمانينيات، وإلى أواخر القرن العشرين، حيث انتعش الجهاد في مصر والشام ثم شمال إفريقيا وغيرها، ثم فتحت بوابة الجهاد على مصراعيها لعشاق الفريضة الغائبة في أفغانستان، حيث تكون على مدى الثمانينيات إلى مطلع التسعينيات الجيل الجهادي الثاني، وكانت مدرسة الأفغان العرب تجربة متميزة انطلق الجهاد مع روادها إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي، وساهمت ساحات البوسنة والشيشان، ثم مرحلة أفغانستان الثانية والإمارة الإسلامية بعطاء زاخر شهد أواخره لحاق طلائع الجيل الجهادي الثالث..

ثم جاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، ودخل الجيل الثاني في أتون المحنة، لينصرم القرن العشرون، وتفتتح الألفية الثالثة بمذبحة مروعة وأخدود عظيم، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النذر اليسير..

وأعتقد جازما، أن على الجيل الثالث أن يهضم خلاصة تجربة جذوره ليطور نظريات عمله ويتابع حمل راية الجهاد في ظروف بالغة الصعوبة، ومعركة بالغة الاختلال في موازين القوى..

وأن يهضمها حتى يكون الجيل الجهادي القادم حلقة طبيعية في هذه السلسلة التي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإسلام المنشود، في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الراشدة على منهاج النبوة إن شاء الله..

لقد أصبحت المعرفة أهم أسلحة هذا العصر، ولا يمكن أن يقود الجهلة هذا الصراع مهما كان من إخلاصهم المفترض..

وكما قلت في كتابي وباكورة مؤلفاتي: **(الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا - آلام وآمال -)** الذي كتبته عام ١٩٨٧م، أعيد القول هنا:

إن على كل جيل جهادي أن يولد نظريته العملية، من خلال التجربة الذاتية، وأن يطورها في ضوء حصاد التجارب السابقة.

إن النظرية الجهادية العملية لا تولد في رؤوس المؤلفين والمفكرين فوق المكاتب الأنيقة، ولا من خلال حياة الدعة المريحة، ولا تنزل على أصحابها من قمة الهرم التنظيمي لحركتهم، بل تولد في خنادق القتال

وساحات الإعداد، ومسار المحنة وأتونها. نظرية تكلف أصحابها العناء، وتجعلهم يدفعون ثمن كل خطأ وتجربة من دمائهم ومعاناتهم، حتى يتلمس اللاحقون ما يناسب كل مرحلة قادمة من الخطوات الصائبة.

إن التجارب الفاشلة باهظة الثمن، ولكن الفشل في كثير من الأحيان أكثر إثراء للمسار من النصر، إذ يجمع التجربة إلى المجرب، فإذا ما قيض له الثبات والعزم على المسير، فإنه يشكل له أرضية الانتصار الحاسم القادم بإذن الله.

واقعُ المسلمينَ اليوم

أولاً: ذهاب الدين :

١- غياب الحكم بشرع الله عن كافة بلاد المسلمين:فكما روي عن رسول الله ﷺ قوله: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[١].

٢- احتلال المقدسات..

٣- فساد عقيدة التوحيد لدى معظم المسلمين وانتشار البدع واندثار السنة.

٤- انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمنكرات.

ثانيا: ذهاب الدنيا :

قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ»[٢] فكأن غالبهم يصير إلى هذا الحال ما لم تتداركهم رحمة الله وعفوه.

وتتجلى مظاهر ذهاب دنيا المسلمين وأسبابها في أمور كثيرة لعل أهمها ما يلي:

١- سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم الأساسية.

٢- سوء توزيع الثروة في بلادنا الإسلامية.

٣- الظلم، والقهر والذل.

٤- الخوف، والجوع والأمراض

٥- القتل الجماعي.

٦- التهجير الجماعي.

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة ﷺ يرفعُه، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: (٥٠٧٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٣١٥٤) والحاكم في المستدرك (٧٩١١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني وأخطأ ابن الجوزي فجعله موضوعاً.

٧- انتهاك الأعراض.

٨- القلق والضياع النفسي.

وهو النتيجة الطبيعية لكل ما سبق، فإن أمة تعيش بعيدة عن دين ربها، غريبة عن معتقداتها، محكومة بشرائع أعدائها، قد هجرت دينها ولم تنسجم في دين أعدائها، فبقيت مغربة لا هي تعيش الإسلام، ولا هي تذوب في دين غيره، لا شك أن أمة كهذه سيعيش أفرادها التيه والضياع والقلق، فلا هي في دنيا مريحة، ولا هي تتسلح بدين يسعفها بالصبر والتوكل والقدرة على مقارعة الخطوب.

ثالثا: تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين:

لقد حل بالأمة ما أخبر بحصوله ﷺ، فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، **فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»**[(١)].

فالعالم الإسلامي اليوم يعيش حالة من التسلط الكامل للأعداء على جميع مقدراتهم وسبل حياتهم بشكل فظيع ما مر في تاريخهم مثله، ويتجلى ذلك في مظاهر عدة من أهمها:

١- تحويل بلاد المسلمين إلى ميدان لنهب الثروات وسوق لتصريف منتجات الأعداء.

٢- تسخير اليد العاملة الإسلامية لخدمة صناعات الأعداء.

٣- سلب الإرادة لصالح العدو:

فإن المواطن العادي مسلوب الإرادة، مقهور من قبل السلطة، وحتى رجال الفكر والثقافة، فإنهم مسلوبي الإرادة لصالح أجهزة القمع السلطوية المتشعبة، ولا تنتهي هذه المصيبة هنا، فإن حكوماتنا ذاتها مسلوبة الإرادة لصالح إرادة العدو المستعمر، ولاسيما أمريكا وحلفاءها الأوروبيين في ظل النظام العالمي الجديد.

فلا عقود تجارية ولا نظام تسليح، ولا نظام تحول للسلطة، ولا انتخابات ديمقراطية أو انقلابات عسكرية إلا بإشراف السيد الخفي الظاهر (أمريكا وحلفائها).

٤- الاحتلال العسكري المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإسلامي.

٥- التبعية الثقافية والفكرية للعدو: لتغريب مجتمعاتنا وإعادة صياغتها وهيكلتها تبعا لهوى المستعمر.

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني: صحيح - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

الفَصْلُ الأَوَّلُ

سِلْسِلَةٌ تَارِيخِيَّةٌ مُخْتَصَرَةٌ

أهمية معرفة التاريخ

من الضروري جدا من أجل فهم أحداث الحاضر، واستقراء المستقبل، وفهم جدلية صراع الحق والباطل، سواء على الصعيد الداخلي (بين المسلمين)، أو على الصعيد الخارجي، (مع أعدائهم وخاصة الروم)، الإلمام ولو بشكل عام، بالمحطات التاريخية التي مررنا بها نحن المسلمين، وكذلك تاريخ أعدائنا بشكل عام، والمحطات المشتركة بيننا وبينهم، كما أن لهذا فائدة كبرى في فهم سنن النصر والهزيمة، وأسباب القوة والضعف، مما يساعد المسلم عامة والمجاهد خاصة، وقياداتهم الواعية – كما يفترض - على وجه الخصوص، على التحرك في صراعاتنا القائمة والقادمة على بصيرة.

كما أن معرفتنا بتاريخنا المجيد، تزودنا بدافع قوي، على المضي قدما على آثار خطى أجداد طاولوا الثريا رفعة وعزا، عندما فهموا أننا قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا الغز في سواه أذلنا الله، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه.

ولذلك نعرض في الصفحات المقبلة نبذة مختصرة من محطات تاريخنا، وأعدائنا الأزليين..الروم (بني الأصفر)، قاتلهم الله.

جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع من قابيل إلى جورج بوش(١)

❖ بدايات الصراع ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾:

قتل الشرير قابيل أخاه الصالح هابيل، أول جريمة على سطح الأرض، وبذلك أقدم على سن سنة القتل في بني البشر، وهكذا سارت مسيرة الشر مع قسم من أولاد آدم عبر مسار البشرية.

انتشر أبناء آدم، وعبدوا الله على دين التوحيد كما علمهم أبوهم عليه السلام، ثم اجتالتهم الشياطين يمينا وشمالا عن الصراط السوي ودب فيهم الشرك والظلم والطغيان..

فأرسل الله الرسل، مبشرين ومنذرين وكانت خلاصة دعوتهم وأساس عقيدتهم واحدة:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النحل]

وكذلك كانت ردود الكفرة والملحدين على رسلهم متشابهة واحدة، وتكررت شعارات الشر ووعيده، لنخرجنكم، لنرجمنكم، لنقتلنكم، لنسجننكم..

❖ نمو التجمعات البشرية وقيام الممالك عبر التاريخ ونشوء مثلث السلطة:

في بؤر التجمع البشري الأولي بدأت تتكون نويات العشائر، ومع تناميها بدأت تتكون القبائل من تجمع العشائر

وبشكل فطري وطبيعي قامت الحاجة لنشوء السلطة، (شيخ القبيلة وكبير رجال الدين أو الكهان فيها وكبار رؤوس العشائر أو الأسر وأهل المال أو القوة والبأس..).

ثمَّ بدأ الصراع على موارد الغذاء والرزق من المياه والمراعي ومواطن الصيد، وسيطرت القوية منها على الضعيفة، وبدأت القبائل المتضخمة تأخذ شكل الممالك الصغيرة، وسرعان ما برزت الحاجة لمستلزمات المُلْك من الأعوان والسلاح والحصون.

ثم تضخمت بعض الممالك لتبتلع من حولها وتقوم على نظام إقطاعي يسود فيه كبار القادة والمُلاك ونشأت أنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية بحسب حال كل مملكة، وبالطبع كان لكل مملكة دينها ومعتقداتها وبالتالي نشأت طبقة رجال الدين والكهان الذين يديرون الحياة الدينية لكل مملكة..

---

(١) فكرة الربط بين قابيل وجورج بوش، ووحدة شعارهما (لأقتلنك)، سمعتها في درس للشيخ (أبو الوليد المصري) – مصطفىٰ حامد –، ومن الأمانة أن أذكر له هٰذا هنا، وقد استعرت الفكرة لعنوان هٰذا الفَصل، والرجل من عباقرة الكتاب والمفكرين ومن الدرر الّتي ضاع قدرها وقيمتها في بحر الأمواج المتلاطمة لمسار الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، وهو صحفي محترف وكاتب ومؤرخ، ومفكر استراتيجي علىٰ مستوىٰ عال، ولا أدري ما مصيره بعد الأحداث، وأسأل الله أن يكون في عافية، ويبلغه مني السَّلام، وأن يدعو لي بظهر الغيب .[المؤلف]

وقد حكم الملوك والزعماء شعوبهم ورعاياهم بالترغيب والترهيب، فالعطايا والمناصب والمكاسب لمن يطيع السلطان، والبطش والقتل والنكال لمن يخالفه، ومع الوقت أدرك الملوك والطغاة ما للسيف والذهب. أو العصا والجزرة من أثر ناجع في سياسة الناس..

إلا أن دهاة الساسة والملوك الطواغيت، لفت نظرهم طاعة الناس لرجال لا يملكون سيفا ولا ذهبا، ولا حراسا ولا أعوانا، إنهم رجال الدين والكهان الذين يقبعون في معابدهم، حيث يأتيهم الناس طواعية ليدفعوا لهم الصدقات ويقربوا بين أيديهم القرابين بلا إجبار، ويقضون لهم المهام والخدمات، حيث لا يحصل الملوك على ذلك من الناس إلا بالسيف والسوط..

فالناس يطيعون الكهان بسبب دواعي الفطرة الكاملة التي فطرها الله في قلوب الناس من السعي لعبادة خالقهم وإرضائه..

حيث لا تستريح فطرة ولا تستقر نفس إلا بالركون إلى معبودها بالحق أو بالضلالة..

ولذلك ترى الإنسان مهما سما في مراتب العلم والمعرفة والذكاء، يخلع عقله وتفكيره مع حذائه على باب المعبد، ويستعد لطاعة رجل الدين القابع في داخله، ليدله على رضا معبوده ويعلمه كيف يعبده ويطيعه، وهو على استعداد لبذل كل غال ونفيس في سبيل هذه الراحة.

لقد أدرك الساسة ودهاة الطواغيت هذه الظاهرة فقرّب رجالُ المُلْك رجالَ الدين، وأغدقوا عليهم الذهب والعطايا، وهكذا انضم رجال الدين إلى الملأ من كبار القواد والأمراء والأعوان وشكلوا الحاشية، وقام التزاوج النكد بين الملوك والكهان ورجال الدين، هذا التزاوج الذي دمر مستقبل البشرية في معظم تاريخها، وعبّد الناس للطاغوت بدل أن يعبدوا ربهم.

وبهذا اكتمل مثلث السلطة الذي قام على (**الحاكم والكاهن والأعوان**)، وشكل كبار الكهان وكبار الأعوان وجنودهم الظلمة ما اصطلح عليه القرآن بلفظة ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أو ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ أو ﴿الَّذينَ أُتْرِفُوا﴾.

وتوسعت الممالك، لتصل إلى حجم الإمبراطوريات في بعض الأحيان..

ونتيجة الظلم، والتنوع العرقي والديني في مكونات الإمبراطوريات، أو الممالك الكبرى، ونتيجة الصراع فيما بينها، تفككت في كثير من الأحيان إلى مكونات أخرى من الممالك الصغيرة، وعادت إلى مستوى المملكة أو الإمارة أو حتى القبيلة لتعاود دورة التاريخ سيرها معها بأشكال مختلفة فتتسع وتمتد ثم تتفكك وتتحلل، وهكذا دواليك..

وقد أثبت ابن خلدون أنَّ الممالك والحضارات تولد وتتطور، وتشب وتهرم وتموت بأطوار شبيهة جدا بالأطوار التي يمر بها الإنسان..

فكما أن الإنسان يولد ضعيفا مرميا على الأرض لا يستطيع حراكا ولا سعيا ويحتاج غيره في كل حاجاته، ثم يتطور فيحبو على أربع، ثم ينمو فيشب على قدميه ويسير متعثرا، حتى يستقيم له المسير، ثم يصير غلاما يرتع ويلعب، ثم شابا جلدا صلب العود، فرجلا تاما المدارك والقوى، فإذا ما بلغ الأربعين بلغ أشده وذروة قواه البدنية والعقلية، ثم يبدأ به الهبوط والتراجع في كافة القوى، فيكتهل ثم يصبح شيخا، ثم شيخا فانيا.

وهكذا يشيب الشعر، ويرق العظم، وينحني الظهر، وهي رسل ملك الموت تؤذن بالرحيل، ثم يسير على ثلاث؛ رجليه وعكازه، وقد يحبو على أربع ليقضي حاجته كما بدأ، ثم ينطرح في فراشه أرضا لا حراك به حتى يدركه الموت، فيعود من حيث أتى، ونسأل الله حسن الختام.

وقد رأى ابن خلدون وأثبتت حوادث الأيام ما رأى، أن الدول كذلك تمر بهذه الأطوار، فهي تنشأ وتشب وتستوي قواها ثم تذبل وتضعف، وتنهار قواها، ثم تموت ليتقاسم إرثها وحضارتها وأراضي شعوبها دول أخرى، وهكذا وكما تتفاوت أعمار الإنسان، تتفاوت أعمار الدول، وكما يموت البعض بسبب أمراض داخلية أو عدوى أمراض خارجية، فكذلك الدول في الغالب، وكما يختطف موت الفجأة أو القتل بعض البشر، فربما هلكت دول بمفاجأة قوى أكبر منها، أو بالعوارض الطبيعية، وقد تعمر بعض الدول أشهرا أو سنوات، وقد مر في التاريخ دولا وحضارات قد عمرت آلاف السنين أو مئاتها، وصدق الله العظيم: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران].

وغالبا ما يكون المؤسسون الأوائل لأي دولة أو مملكة زاهدون في المتاع، منصرفون إلى الحرب والجد والبناء، ثم يتلوهم جيل يولد في القوة والنعيم فيكتسب صفات من قبله لقربه منها ويحافظ على الملك ويطوره، ولكن بشيء من الترف والمتعة في الملك، ثم يتلوه جيل أقل صلابة وأكثر ترفا وبعدا عن الكد والتعب، وهكذا حتى تقوم أجيال قد انحلت لديها العصبية، وأرخت قواها ومفاصلها أثار الترف والنعيم، فيدب الضعف للدولة، فتطمع بها دول أو عصبيات أخرى فتعدوا عليها وتستلب ملكها لتبدأ الدورة مع الجدد من جديد، وقد تكون أسباب السقوط داخلية أو خارجية وقد تجتمع كل العوامل.

وهذا ثابت لدينا في البشائر النبوية وحتى في نبوءات كتب أهل الكتاب القديمة، وقد أوضح كتاب وفلاسفة غربيون معاصرون ذلك بصورة أصرح، بل كتب بعض الكتاب الأوروبيين والأمريكان مؤخرا كتبا تنبؤوا فيها بسقوط أمريكا والحضارة الغربية في خلال عشرين سنة، وقد مضى على بعض تلك الكتابات نحو عشر سنين، فسقوطهم لا شك قادم، ونهوضنا لا شك قائم، وهو غيب في علم الله، نسأل الله أن يشهدنا إياه، أو أن يجعلنا ممن عمل له عملا ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وتشير الدراسات إلى أن حضارات قديمة موغلة في القدم قد قامت في كل أنحاء الأرض، إلَّا أنه لم يعرف تاريخ الإنسان بشئ من تفاصيله إلَّا عندما بدأت الكتابة ويرجع ذلك إلى آلاف السنين ق.م

ومن أشهر الحضارات القديمة المعروفة، تلك التي قامت في بلاد الصين والهند وفارس، وحضارات العراق القديمة من الآشورية والكلدانية والبابلية وغيرها، وحضارات بلاد الشام كالفنيقية والسومرية والكنعانية، وحضارات جزيرة العرب، كعاد وثمود، وحضارات اليمن كسبأ وحمير وقوم تبع، وكذلك حضارات مصر الفرعونية ووادي النيل، وحضارات شمال إفريقيا وقرطاجة، وكذلك الحضارة اليونانية، ثم الحضارة الرومانية، وكذلك حضارات الهنود الحمر وقدماءهم في الأمريكتين ولاسيما الجنوبية فيها حيث قامت حضارات متطورة وراقية.

ومع تطور الحضارات وقيام التواصل بينها عبر علاقات السلم والحرب، بدأ ما يمكن تسميته بـ **النظام الدولي**، حيث تمكنت حضارات وممالك عظمى من بسط سيطرتها على ما جاورها.

ومن أشهر ذلك ما قام في العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبا بين **حضارة فارس** القديمة **وحضارة اليونان** وصراعها على خط التماس في الشرق الأوسط، وهي مناطق بلاد الشام والعراق وتركيا (أو ما يعرف بهضبة الأناضول أو آسيا الصغرى)، وقد شهدت تلك المرحلة انتصار فارس وتفكك حضارات اليونان وضعفها وتمزقها، ثم نهوضها مرة أخرى وتوحدها على يد القائد التاريخي **الإسكندر المقدوني**، الذي جمع اليونان ثم غزا بهم المشرق ودحر الفرس ووصل إلى تخوم الصين، كما دخل مصر الفرعونية ومعظم بلاد المشرق.

ثم نهضت فارس ثانية وأقامت إمبراطورية امتد ملكها من بلاد الرافدين في العراق إلى بلاد فارس (إيران) والسند (باكستان) وأفغانستان وأجزاء من وسط آسيا.

وفي ذلك الحين نهضت الإمبراطورية الرومانية في شبه الجزيرة الإيطالية وهناك تمَّ بناء النواة القديمة لمدينة روما، **خلال القرن السادس قبل الميلاد.**

بدأ التمدد برا وبحرا على طول سواحل البحر المتوسط، لينشئوا مع الوقت إمبراطورية استعمارية عتيدة ضمت كامل أوروبا وبلاد اليونان وغرب بلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، ووصل سلطانهم إلى القرن الإفريقي وبلاد الحبشة، بهذا التمدد أصبح الرومان على تماس وصراع مع الإمبراطورية القوية الأخرى في الشرق وهي (فارس)، حيث كانت الأناضول (تركيا) وحدود الشام على العراق مسرح صراع طويل ومرير بين الإمبراطوريتين استمر إلى قيام الحضارة الإسلامية.

ورث الرومان عن اليونان حضارتهم ودينهم الوثني إلى أن جاء المسيح عليه السلام بدين النصرانية، وتولى أحبار اليهود تحريض الحاكم الروماني في فلسطين عليه وعلى أتباعه، وسعوا في قتله وغدروا به، فرفعه الله، وتولى أحبار اليهود تحريف الدين الجديد، في عصر الإمبراطور **(دقليديانوس)** الذي بطش بالنصارى بطشا شديدا حتى، سمي عصره في التاريخ المسيحي بعصر الشهداء، وهو الإمبراطور الذي خرج في عهده أصحاب الكهف أواخر القرن الثالث الميلادي والله أعلم.

وخلف الإمبراطور **(قسطنطين)** سلفه (دقليديانوس)، وكانت زوجته نصرانية، فاعترف بالديانة النصرانية ديانة رسمية ثانية إلى جانب الوثنية، وهدأت مطاردة النصارى، ثم ما لبث قسطنطين أن تنصر وزالت الوثنية لتصبح النصرانية دين الرومان منذ مطلع القرن الرابع الميلادي وإلى اليوم.

لما تبنى قسطنطين النصرانية، وجدها مشتتة على مذاهب كثيرة، نتيجة انتشار الحواريين وسرية أتباعهم وخلط الأحبار، فطلب إليهم أن يجمعوا الأناجيل الكثيرة (زهاء أربعمائة إنجيل مختلفة الروايات)

ويختصروها في كتاب واحد تعتمده الإمبراطورية، وهكذا خرج المجمع الكنسي الأول بأربعة أناجيل معتمدة هي أناجيل (لوقا، ويوحنا، ومتى، مرقص).

(بطرس) أحد كبار أحبار اليهود المعادين لدين المسيح وأتباعه زعم أنه تنصر وأن لديه تكليف ببناء الكنيسة الكبرى على صخرة روما التي طورت لتكون الفاتيكان وتصبح مقر باباوات النصراى إلى اليوم وإليه يعود تشويه وتحريف كثير من عقائد النصارى (وخاصة في المذهب الكاثوليكي) وهكذا أصبحت مذاهب النصرانية خليطا من تعاليم المسيح والأصول اليهودية وما بقي من أثار الوثنية الرومانية الإغريقية الأصل، حيث سادة عقيدة التثليث، والأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس).

وتبنى النصارى عقيدة صلب المسيح، وأقاموا دينهم على هذه الفرية الكبرى، ثم سيطر المذهب الكاثوليكي الذي تولى أصحابه برئاسة بابا روما ودعم إمبراطورها مطاردة باقي المذاهب النصرانية التي لم تؤمن بألوهية المسيح وغير ذلك من الأباطيل، وبطشت بهم بأقسى أساليب البطش وأنهت وجودهم.

الأمر المهم الثاني الذي فعله قسطنطين بعد إدخال النصرانية وتوحيد الأناجيل، **أنه بنى مدينة القسطنطينية** على مضيق البوسفور وهي مدينة إسلام بول (اسطنبول) اليوم، واتخذها قسطنطين عاصمة ثانية للامبراطورية بعد روما وكان ذلك بداية انقسام الروم إلى شرقيين عاصمتهم القسطنطينية وتضم شرق أوروبا وشرق وجنوب المتوسط وروم غربيين تشملان معظم أوروبا الغربية وعاصمتهم روما، وكان انقساما سياسيا وحتى مذهبيا.

أواخر القرن الرابع الميلادي حصلت هجرات بشرية واسعة من وسط آسيا باتجاه غربها، فتدافعت القبائل وأجلى بعضها بعضا عن أراضيها، مما دفع بكثير منها إلى العبور إلى شمال شرق أوروبا، وعرف ذلك بغزوات البرابرة وكان من أبرز تلك القبائل، قبائل الجرمان والألمان والتشيك والسلاف والغال والقوط والآلان والهون والوندال، ولم تعرف تلك الشعوب الوثنية الرعوية من أوجه الحضارة إلا القتال والتدمير.

أتعبت تلك الغزوات وأعمال السلب والنهب التي مارسها البرابرة على شمال شرق الإمبراطورية الرومانية الأباطرة واستنزفت كثيرا من قوتهم فيما كانوا منهمكين في صراعهم التاريخي مع الفرس في المشرق، واضطر إمبراطور الروم إلى أن يعرض على تلك القبائل أن تستوطن شمال شرق أوروبا، ويكون لها حقوق السكن والزراعة والصيد شمال نهر الدانوب، لعله يستريح من هجماتهم، فاستقروا فترة ثم ما لبثوا أن اتخذوا من هذه المنطقة منطلقا للهجوم على غرب أوروبا.

وأسفر الهجوم عن سقوط روما أواسط القرن الخامس الميلادي، وبالتالي اندفعت قبائل البرابرة لتستوطن غرب أوروبا ولتستقر كل منها في ناحية من نواحيها مكونة الأساس القديم للدول الأوروبية القومية

الحالية، فسكن **الغال** فرنسا وسموا بالفرنجة، وسكن **الجرمان والألمان** حوض الراين (ألمانيا)، وسكن **الآلان** (إيطاليا)، وسكن **القوط** (أسبانيا)، وسكن **الوندال** جنوبها وإليهم نسبت أرضهم باسم (وندالوس) يعني أرض الوندال، والتي صارت مع الوقت (الأندلس).

ومع الوقت اختلطت هذه الشعوب بالرومان وشعوب تلك البلاد الأصلية، وتزاوجت معها ثم تنصرت، وقام لتلك الدول ممالك وحضارات مستقلة، وتبع الجميع روما وبابا الفاتيكان كمركز للإشعاع الديني لكل أوروبا، فيما بقي شرق أوروبا موحدا حيث يقوم قيصر الروم بحكمها ويسيطر على قسم من الأناضول وبلاد الشام ومصر والحبشة وأجزاء من شمال أفريقيا حيث صار للروم الشرقيين الذين سموا (البيزنطيين) مذهبهم المستقل وكنيستهم الـ(أرثوذوكسية)، وتحولت بعض الممالك في أوروبا إلى الحجم الإمبراطوري وقامت ممالك على النظام الإقطاعي حيث تحالف الملك والنبلاء والكنيسة خلال تلك العصور الوسطى.

وهكذا آل النظام الدولي القديم إلى وجود **حضارتين متنافستين، تتحاربان أيضا على خطوط التماس في الشرق الأوسط، في الشام والعراق!.**

وكان لذلك النظام الدولي كثيرا من صفاته في الوقت الحاضر، من نفوذ الدولتين العظيمتين على جيرانهم، وتدخلهم في شؤونهم الداخلية، وقيام نظام الحروب بالوكالة بين أتباع الإمبراطورية الفارسية من أعراب العراق وبلاد الرافدين وهم ملوك المناذرة الذين كانوا على دين أسيادهم الفرس مجوسا يعبدون النار مثلهم، وبين أتباع الإمبراطورية الرومانية البيزنطية التي آلت عاصمتها إلى القسطنطينية وهم عرب الشام الغساسنة وكانوا على دين أسيادهم الرومان نصارى مثلهم.

و في ذلك الوقت كان **عرب جزيرة العرب** يعيشون في عزلة سياسية تامة عن الجوار، في نظام بدائي متفكك مستقل عما حوله يقوم على تجمعات قبلية وعشائرية متحاربة فيما بينها متفرقة سياسيا لا يجمعها ملك ولا نظام، فقد كانت متفرقة دينيا تعبد كل قبيلة آلهتها وأوثانها، وكان للعرب في الجزيرة نظام اقتصادي بدائي يقوم في معظمه على الرعي، وشئ من الزراعة حول واحات مياه الصحراء، وعلى التجارة وخطها القديم الذي يعبر مكة والمدينة والعقبة من اليمن إلى الشام ويربط بين تجارة المشرق القادمة من الصين والهند بحرا إلى اليمن، وتجارة الغرب القادمة من بلاد الرومان من الأناضول وشمال الشام.

هذه هي الأحوال السياسية وما يمكن أن نسميه اصطلاحا بـ(النظام الدولي) في قلب العالم القديم.

وقد تبادل الروم والفرس النصر والهزيمة مرات عدة في حروب طاحنة.

وفي عام (٦١٠ م) وهو عام البعثة النبوية يشن هرقل حربا على الفرس يسترد بها ما كانوا قد استولوا عليه من بلاد الروم، ثم يهاجمهم في بلادهم ويكسر جيوشهم في وقعة (نينوى) عام (٦٢٧ م) ويحمل كثيرا من أموالهم ويفرض عليهم جزية سنوية.

وقد كانت هذه الوقعة آخر الحروب بين الفرس والروم، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝﴾ [الروم]

و بعد هذه الوقعة جاء دور المسلمين وبزغ شمس الإسلام، وبعث سيد ولد آدم، وخير الأولين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ، وبزغت شمس الحضارة الإسلامية حيث قامت نواة دولة الإسلام وتوحدت جزيرة العرب خلال باقي حياته وبعثته ﷺ التي امتدت ٢٣ سنة.

لتدخل دولة الإسلام بذلك معترك النظام الدولي الذي صار يتشكل من ثلاثة أقطاب هم: الروم والفرس ودولة الإسلام، منذ القرن السابع الميلادي.

❖ خلاصة تاريخ الدول والممالك الاسلامية منذ الدولة النبوية إلى اليوم:

الدولة النبوية (١-١١هـ)

أطراف الصراع في هذه المرحلة:

المسلمون × مشركي جزيرة العرب.

المسلمون × الروم (بني الأصفر) (غزوة مؤتة، غزوة تبوك، بعث أسامة ﷺ)

توفي رسول الله ﷺ والأمة على قلب رجل واحد، لم يحصل فيها نزاع أو شقاق أو تفرق.

الدولة الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين

أطراف الصراع:

أبو بكر الصديق ﷺ (١١-١٣ هـ): مدة ولايته: سنتان وثلاثة أشهر - عاش ٦٣عام، بويع ﷺ من أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة بيعة خاصة، ثم بايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة.

أطراف الصراع في عهده:

المسلمون × الفرس (بداية فتوح العراق)

المسلمون × الروم (اليرموك.. فتح الأردن وجنوب فلسطين)

بقي صحابة رسول الله ﷺ متحدين متآلفين في خلافة الصديق رغم أحداث الردة فقد واجهها الجميع ولم تسبب شرخا في جسد الأمة، وبقي الأمر على ذلك في خلافة الفاروق رضي الله عنه.

عمربن الخطاب رضي الله عنه **(١٣-٢٣ هـ)**: مدة ولايته: ١٠سنوات وستة أشهر - عاش ٦٣عام، استشار أبي بكر كبار الصحابة في استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرضوا بذلك، ثم أمر عثمان رضي الله عنه بكتابة كتاب يقرأ على المسلمين يخبرهم فيه أنه استخلف عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأقروا بذلك جميعا ورضوا به وبايعوه.

قتل على يد أبي لؤلؤة المجوسي وبوفاته كسر باب الفتن، فقد كان رضي الله عنه السد الذي حال دون دخول الفتن على المسلمين.

لقد كان عدل عمر رضي الله عنه أشهر من أن يشار إليه.

أطراف الصارع في عهده:

المسلمون × الفرس (القادسية – نهاوند.. فتح العراق وأكثر بلاد فارس)

المسلمون × الروم (فتح الشام ومصر)

عثمان بن عفان رضي الله عنه: **(٢٣- ٣٦ هـ) مدة ولايته:** ١٢ سنة - عاش ٨٢ عام.

جعل عمرُ الأمرَ شورى في ستة من المبشرين بالجنة (عثمان بن عفان – وعلي بن أبي طالب –وعبد الرحمن ابن عوف – وطلحة بن عبيد الله – والزبير بن العوام – وسعد بن أبي وقاص)، ثم جعل أهل الشورى إلى عبد الرحمن بن عوف، على أن يختار عثمان أو علي، وأسفرت الشورى على اختيار عثمان رضي الله عنه، وازدحم الناس يبايعون عثمان، ولم يتخلف عن بيعته أحد.

أطراف الصراع في عهده:

المسلمون × الفرس (سقوط آخر الأكاسرة ودخول بلاد فارس في الإسلام)

المسلمون × الروم

في عهده أقبلت الدنيا على المسلمين كما بشرهم رسول الله ﷺ.

في النصف الأول من ولايته لم ينقم عليه أحد، وإنه لأحب لقريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم أما عثمان فقد لان لهم، ثمُّ حدثت الفتنة في النصف الثاني من ولايته رضي الله عنه وأدت إلى حصاره وقتله في بيته، لتفتح على الأمة فتنة لم تنتهي بعد آثارها إلى يومنا هذا.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **(٣٦- ٤٠ هـ)** مدة ولايته: ٤ سنوات وتسعة أشهر - عاش ٦٠عام.

بعد مقتل عثمان عرض عليه الصحابة تولي الخلافة فأبى، وأصروا عليه وألحوا، قال: (فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء يبايعني بايعني، فخرج إلى المسجد وبايعه الناس)، بعد مبايعة المهاجرين والأنصار.

أطراف الصراع في عهده:

الفتنة الكبرى (موقعة الجمل وصفين).

المسلمون × الروم (هدنة).

ثمَّ حصلت واقعة التحكيم المشهورة بين علي ومعاوية، وفشلت وأسفرت عن ميلاد فرقة الخوارج.

قُتِل علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم.

بُويع الحسن بالخلافة (٤٠-٤١ هـ) بعد اغتيال أبيه على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على خليفة واحد، وعاد الحسن بعد ذلك إلى المدينة، ثم توفي رضي الله عنه في المدينة سنة ٥٠هـ، بعد أن تحققت فيه نبوءة جده ﷺ عندما قال: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[(١)].

كانت صيغة البيعة في عهد الخلفاء الراشدين تقوم على الشورى، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، الشورى (أهل الحل والعقد من كبار الصحابة وأولى الأحلام والنهى في المدينة) بيعة خاصة، ثم البيعة المسلمين العامة بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، انتقلت الخلافة إلى بني أمية، وابتدأ عصر الملك العضوض في تاريخ الإسلام والمسلمين.

الدّولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية (٤١-١٣٢هـ)

عاصمة الدولة الإسلامية - دمشق - وقد مرّ العهد الأموي بفترتين:

١- الفترة السفيانية: (معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه - يزيد بن معاوية - معاوية بن يزيد) .

٢- الفترة المر وانية: ومنهم (مروان بن الحكم - عبد الملك بن مروان - الوليد بن عبد الملك - عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٩، ٣٧٤٦، ٧١٠٩).

وقد ترتب على انتقال الخلافة إلى بني أمية:

في المجال السياسي:

- تحول الخلافة إلى ملك عاض أو عضوض (موروث) من الخليفة السابق إلى ابنه أو إلى اثنين أو أكثر من أولاده بالترتيب.
- تبدلت صيغة البيعة وأصبحت تؤخذ من الرعية بحضور الخليفة في عاصمة الدولة وبحضور كبار عماله في الولايات، وإذا ما رفض أحد البيعة، فكانت تؤخذ بالرغبة والرهبة.
- أصبح نظام الخلافة أشبه بالنظام الملكي، ومن ثم زادت الصفة الزمنية في الخلافة على الصفة الدينية وابتدأ ما أخبر به النبي ﷺ من أن السلطان والقرآن سيفترقان.
- العصر الأموي هو عصر الفتوحات الإسلامية حيث وصلت الدولة الإسلامية في عهد الأمويين إلى أوج مساحتها من حدود الصين والهند شرقا إلى الأندلس ومراكش والمحيط الأطلسي غربا ومن بلاد القفقاس والبحر الأسود وبحر قزوين شمالا إلى المحيط الهادي وبحر العرب وبلاد النوبة جنوبا.

وكان الصراع مع الروم الشرقيين (البيزنطيين) والغربيين (ممالك غرب أوربا)، هو المحور الأساسي لحروب الدولة الإسلامية وتميز بأنه طور هجومي.

وخلال هذه الفترة دخل المسلمون في صراع مع الترك الوثنيين في وسط آسيا، وواصل القائد الفاتح (قتيبة بن مسلم) حتى فتح أفغانستان وبلاد ما وراء النهر وتركستان الغربية والشرقية ووصل إلى تخوم الصين فيما كان نظراؤه يتقدمون في فتح بلاد السند وشمال الهند، لتصل الدولة الإسلامية خلال الخلافة الأموية لأقصى اتساعها عبر الفتوح.

- **أسباب سقوط الدولة الأموية:**

أولا: صراعات القصور على السلطة وجعل ولاية العهد لأكثر من واحد وما ولد هذا الأمر من صراع على الملك، أضعف الحكومة المركزية، وأطمع فيها الثائرين عليها.

ثانيا: أثر العصبية القبلية في الصراع على الملك.

ثالثاً: بذخ الخلفاء والأمراء وإسرافهم.

رابعاً: جور العمال وظلمهم: وكان منهم الحجاج ابن يوسف الثقفي، وقد منحهم الخلفاء السلطة المطلقة لقمع هذه الثورات والفتن وفرض الطاعة بالقوة.

خامساً: الإخلال بمبدأ المساواة بين العرب والموالي الذي قام بينهم وبين المسلمين ولاء متبادل فعرفوا باسم (الموالي) وقد أدى التمييز بين العرب والموالي إلى التحاق الموالي بأحزاب المعارضة من علوية وخوارج،

ودعم ثوراتهم على الحكم الأموي، كما أدى إلى ظهور فكرة الشعوبية، وهي إحياء الموالي وخاصة الفرس، لقوميتهم وتقاليدهم والتفاخر بها والحط من شأن العرب.

تلك هي الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة بني أمية، يضاف إليها الدعوة السرية لبني العباس وانضم لهم الموالي وتوحدت صفوفهم في مقاومة الحكم الأموي.

- **ظاهرة علماء السلطان في العصر الأموي:**

إنَّ فساد الدين، وفساد الخلق أساسه فساد فئتين من الناس هم العلماء والحكام كما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله:

وهَل أَفسَدَ الدّين إلّا الملوك وأحبارُ سُوء ورُهبَانُها

وفساد الحكام سببه فساد العلماء، وفساد العلماء سببه الإخلاد إلى الأرض وحب المال والجاه.

فلقد أدى تحول نظام الحكم الإسلامي من الخلافة إلى الملك على يد بني أمية، أن تظهر توابع النظام الملكي وأركانه، من مثل ما حدث عبر التاريخ من فساد القصور، وقيام نظام السلطة على أسسها الثلاثة (الحاكم – الكاهن – الأعوان)، وهكذا ظهرت طائفة علماء السلطان لأول مرة في تاريخ المسلمين لتزين مجالس الأمراء وأبواب السلاطين، وحصل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أن أهل الإسلام سيتبعون سنن من كان قبلهم حذو القذة بالقذة، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»؟ (أي فمن إلّا هم؟!).

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ):

عاصمة الدولة – العراق -

يمكن تقسيم مرحلة الخلافة العباسية إلى ثلاثة أطوار:

الطور الأول: طور القوة والعصر الذهبي: مر عليه (١٠ خلفاء) منهم (أبو العباس السفاح أبو جعفر المنصور، هارون الرشيد بن محمد المهدي وأولاده الأمين والمأمون ومحمد المعتصم بالله)..

الطور الثاني: طور الضعف والتفتت وتسلط القادة الأعاجم من الفرس والترك: مر عليه / ١٨ خليفة /.

الطور الثالث: طور الانهيار والغزو الخارجي من الصليبين والتتار: مر عليه / ١٠ خليفة /.

إذا كان العصر الأموي عصر الفتوحات الإسلامية، فإنَّ العصر العباسي كان عصر الحضارة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة، فقد تأثر الفكر الإسلامي بثقافات البلدان الأخرى، وتلقاها فانعكست عليه خيرا وشرا، فقد تجلى الأثر الإيجابي في ازدهار العلوم التطبيقية، كالطب والرياضيات، والهندسة، والفلك،

والكيمياء، وكان لهذه الثقافات أثر سلبي بالغ الضرر بسبب ما دخل من علوم الفلسفة والمنطق على أبحاث الشريعة، مما أوجد ما عرف بـ (علم الكلام) الذي دخل في علم العقائد والتوحيد، وأوجد مذاهب عقدية منحرفة وضالة كالجهمية، والقدرية والمعتزلة وغيرها، فقد فجر أصحاب هذا المذهب مسألة **فتنة خلق القرآن** التي طحنت العلماء والرعية أيام المأمون والمعتصم والواثق.

توقفت الفتوحات في العهد العباسي، وتحولت الدولة من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع، واعتبار الحدود التي وصل إليها الأمويون في فتوحاتهم، حدودا نهائية والوقوف عندها والاكتفاء بالدفاع عنها، مع الروم غربا أو الترك شرقا.

وكان ذلك نتيجة عجز الدولة عن ضبط الحكم في الولايات، ممَّا اضطرها إلى السكوت والاعتراف بحالة راهنة قضت بانتزاع بعض الأقاليم من سيادة الدولة، فلقد استقلت بعض الدول استقلالا تاما، بينما أخذ بعضها يتجه نحو استقلال جزئي تصبح البلاد فيه تابعة للخلافة اسما (فقط) بحيث تستمد مكانتها الروحية وقدرها العظيم في نفوس المسلمين، فيكفي أن يذكر اسم الخليفة على المنابر، ويصك اسمه على العملة، وهناك دويلات ظلت على صلة متغيرة بالدولة، تقوى تارة وتضعف حينا آخر تبعا لتغير الأحوال، كما أخذت بعض الدول بمنافسة الدولة العباسية على تولي الخلافة نفسها.

في الأندلس:

(بني أمية مع دول الطوائف)

ففي المشرق:

الدولة الصفارية — سجستان (إيران)

الدولة السامية — بلاد ما وراء النهر

دولة بني بويه (البويهية) — بلاد فارس

الدولة الغزنوية — أفغانستان والهند

دولة السلاجقة — بلاد الري في المشرق وامتدت إلى الشام والأناضول

الدولة الغورية — أفغانستان والهند

الدولة الخوارزمية — ما وراء النهر / خوارزم

في مصر والشام والعراق والأناضول

الدولة الطولونية — مصر وامتدت الى الشام

الدولة الفاطمية — مصر وامتدت الى الشام

الدولة الإخشيدية - مصر وامتدت الى الشام

دولة الأتابكة - الموصل وامتدت الى الشام

دولة المماليك - مصر

الخلافة العباسية - مصر

الدولة الأيوبية – مصر وامتدت إلى الشام

الدولة الحمدانية – الموصل وامتدت الى الشام

في بلاد المغرب:

الدولة المدارية – المغرب الأقصى

الدولة الرستمية – الجزائر

دولة الأدارسة – المغرب الأقصى

دولة الأغالبة - تونس

دولة المرابطين – المغرب الأقصى

دولة الموحدين – المغرب الأقصى / فاس

دولة بني مرين – المغرب الأقصى / فاس

دولة بني زيان بن عبد الواد -- بتلمسان

في الجزيرة العربية:

دولة بني نجاح - اليمن

الدولة الأباضية – عُمان

الدولة الصليحية – صنعاء / اليمن

دولة القرامطة – في الخليج العربي

في آمد وماردين

الدولة الأرتقية

من أسباب انهيار الخلافة الإسلامية:

١. تحول نظام الخلافة إلى النظام الملكي الوراثي: وقد ترتب على وراثة الخلافة مفسدتان أساسيتان الصراع من أجل الملك - ظاهرة الاستبداد والظلم.

٢. الزواج من الإماء وتدخلهن في شؤون الحكم وولاية العهد: وقد كان لكثير من هؤلاء الجواري الأمهات دورا في سياسة الدولة أدى إلى صراع من أجل الخلافة وانشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة.

٣. تجنيد الموالي من الفرس والترك، وارتقاء فريق منهم إلى رتبة القادة.

٤. حياة الترف والبذخ والانصراف إلى اللهو والمجون.

٥. ظاهرة الاستبداد والظلم.

٦. ارتقاء ملوك صغار سدة الملك: فقد ابتليت الأمة بما أخبر عنه رسول الله ﷺ من: «**إمارة الصبيان**»[١].

وقد كان لهذه الأسباب وغيرها أثر في حياة المجتمع الإسلامي **ففي الحياة السياسية** تفرقت الكلمة وطمع الأعداء، **وفي الحياة الاقتصادية** فقد أدى نشوب الثورات إلى تراجع العمل والإنتاج بسبب فقدان عامل الأمن.

و قد آلت **الحياة الاجتماعية** إلى ظهور طبقة عليا مترفة (ملوك وأمراء متغلبين..) وطبقة سفلى يشيع فيها الفقر والبؤس والحرمان ويحملها ذل الحاجة إلى سلوك ما لا يحله الدين.

وبين الطبقتين العليا والسفلى كانت طبقة الخاصة، وهي الطبقة الوسطى، وفيها بعض العلماء، من فقهاء ومحدثين ومفسرين وفيها الصلحاء من أهل الزهد والتقوى ولم يكن لهؤلاء، كما كان لأسلافهم، مقام يدنيهم من الملوك والأمراء، ولا مسمع لقول عاذل ونصيح، وليس لهم سلطة تمكنهم من الردع بالقوة لما يجري من الفواحش

ضعف الوازع الإيماني وأثره في انهيار الدولة الإسلامية:

لقد كان إيمان المسلمين الأوائل ناصعا لا تفسده الأهواء، قوي الإحساس بالعدل وبكل مكارم الأخلاق، فقادهم إلى الفتح العظيم، ودخل الناس في دينهم أفواجا لما رأوا من صدق دعوتهم، وكانوا مثلا يُحتذى.

ولما تراخت رقابة الإيمان على أعمالهم حل الظلم محل العدل، فأخفت صوت الحق، وقضى سيف الظلم على صولته، وأضحت القوة هي الحاكم الذي لا يرد والحكم الذي لا ينقض، وبرز الباطل يختال في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والأثرياء، متشحا بكل مظاهر العبث والمجون، فألهاهم عن مصالح الأمة، فشاع الفساد في الحكم والقضاء والإدارة، وقفز إلى مناصب الدولة المنافقون ومنهم من اتخذ الدين سلما للوصول إليها،

(١) انظر الأدب المفرد بتصحيح الألباني (٦٦)، وابن حبان (٤٥٦٦).

وعاش عامة الشعب في فقر وخوف، وقهر ومذلة، فضمر ساعده وفقد قدرته على القتال، وخمدت همته، فأضحى في حالة رق فقد فيها قدرته على الإبداع، فأوقفه الزمن عن المسير، وأخذ ينظر إلى الشعوب تتقدمه وهو معقود اللسان ومغلول اليدين، فلا يستطيع حراكا، إلى هذه الحالة آل أمر المسلمين، في جميع الدول التي تشتت فيها دولتهم، لتساوي العلة فيها.

وقد كان رسول الله ﷺ كان يعلم ما سيؤولون إليه حين قال لهم: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، **فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ:** «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، **فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ:** «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[١].

تفشي ظاهرة علماء السلطان خلال المرحلة العباسية:

فقد كان إلى جانب كل سلطان من أمثال المأمون والمعتصم أمثال أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه ممن يقول للمعتصم محرضا له على قتل أحمد بن حنبل: (اقتله يا إمام ودمه في عنقي).

وأما الإمام الجليل ابن تيمية فقد قضى عمره في صراع مع من فسد من علماء السلاطين، وأئمة البدع، وكان معاصرا للدولة المملوكية، فيما كانت هجمات التتار تعصف ببلاد الشام، حتى بلغ به أن يقول مما يرى من نفاق علماء السلاطين وممالأتهم للأمراء على جورهم وفساد أحوالهم، فقال:

[وَمَتَى تَرَكَ الْعَالِمُ مَا عَلِمَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتَّبَعَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَانَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!!][٢].

وقد طفحت كتب التاريخ بما سجله علماء الحق، وأئمة الهدى الذين اعتزلوا قطار الظلم والضلال مما عانوه وشاهدوه من فساد طبقة علماء السلاطين، وممالأتهم للأمراء.

وكان هذا من أسباب فساد الأحوال التي مهدت، لتتابع العقاب السنني القدري، باجتياح غارات الأعداء لعقر ديار المسلمين.

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني: صحيح - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(٢) الفتاوى: (ج٣٥ ص٣٧٢-٣٧٣).

وهكذا هجم الروم والصليبيون على بلاد المسلمين من الغرب، واجتاحهم المغول من الشرق، وسقطت بلاد الإسلام والمسلمين تحت سنابك خيل العدو، ليسجل لنا التاريخ أهوالا يشيب لذكرها الولدان، وتقشعر لها الأبدان، بما كسبت أيدي الناس حكامًا ومحكومين ولله الأمر من قبل ومن بعد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق]

وقبيل أن ندخل إلى دراسة الحملات الصليبية الثلاثة ومعادلات القوى فيها، من المفيد أن نلفت النظر إلى:

مفهوم المرجعية والقيادة لدى المسلمين عبر التاريخ الإسلامي:

المرجعيات عند المسلمين

فبحسب المفهوم المتفق عليه فإن (أولي الأمر) كمصطلح سياسي شرعي لدى المسلمين، هم العلماء والأمراء، وبحكم النصوص الشرعية وما دأب عليه الحال فقد شكل رؤوس الناس وقياداتهم ولاسيما زعماء القبائل والعشائر الكبرى وأصحاب الرأي وذوي الأحلام والنهى منهم، القطب الثالث في المرجعية لدى المسلمين إلى جانب الأمراء والعلماء، وهكذا يمكن تحديد المرجعية لدى المسلمين عبر تاريخهم، بثلاثة مرجعيات، هي بحسب أهميتها كما يلي:

المرجعية السياسية: وتتكون من الخليفة الشرعي حال وجوده أو من السلاطين والملوك والأمراء من أصحاب الحكم والسلطان حال تعدد الممالك التي غلبت على معظم التاريخ الإسلامي.

المرجعية الدينية: وتتكون من علماء الدين الإسلامي حيث آلت هذه المرجعية إلى علماء وأئمة المذاهب الأربعة وكبار علمائهم وفقهائهم المتبوعين عبر التاريخ الإسلامي، ثم ظهرت القيادة الروحية للطرق الصوفية ومشايخها ذوي الأتباع والنفوذ، وكثيرا ما كان أئمة المذاهب أنفسهم أئمة للطرق الصوفية المتبوعة في أغلب رقعة العالم الإسلامي.

المرجعية الاجتماعية: وتكونت في الغالب من رؤساء القبائل والعشائر التي تكون البنية الأساسية للمجتمعات العربية والإسلامية.

وهكذا كان عبر التاريخ الإسلامي في حالات الوحدة السياسية تحت خليفة واحد أو خلال فرقتها تحت سلطان ملوك وأمراء متعددين.

فإن الناس رجعوا في قيادتهم وإتباعهم دائما ولاسيما عند الملمات الكبرى إلى هذه المرجعيات.

الغزو الخارجي للعالم الإسلامي:

الحملات الصليبية الأولى: (١٠٩٤ - ١٢٩١م):

كان المجتمع الغربي في القرون الوسطى مجتمعا اقطاعيًا، وكان الطبقة الأرستقراطية العسكرية تتحكم في مجموعات كبيرة من البشر، ممكن لا يملكون الأراضي.

وكان ١ % من السكان النبلاء وألقابهم (كونت – بارون – دوق) يملكون جميع الأراضي الزراعية، و٩٩% من سكان أوربا يلقبون بالأقنان (مفردها قن) أي عبد الأرض.

وكان هناك طبقة مميزة هي طبقة الفرسان، والفارس له مكانة مرموقة فهو الذي يحارب وهو الذي يدافع.

وكل منطقة كان يحكمها أمير وكانت تقوم بين هذه الكيانات الصغيرة الإقطاعية حروب دائمة ضد بعضها البعض لأن الحرب كانت هي الوسيلة الاقتصادية الوحيدة المتاحة أمام هؤلاء الناس (هذا أدى إلى نوع من المجتمع الحرب حقيقة يومية فيه).

وحاولت البابوية وهي على رأس الكنيسة أن تجد حلاً، إلا أنّها فشلت، فرأت أن الطاقة الحربية لدى المقاتلين والفرسان يجب أن تصدرها خارج أوربا في مشروع هي تقوده.

في هذه الفترة دخلت الكنيسة فيما يسمى بالصراع العلماني وهو صراع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، لأنها تشبه السلطة السياسية بالجسد والسلطة الدينية بالروح، وترى أن الروح أعلى من الجسد فمن الذي سيقود أوربا كلمة البابا أم كلمة الحاكم.

(فقراء مُعدمون وفرسان متناحرون وبابوية ترقد على صدور الجميع، أوربا على حافة الانفجار)

العالم الإسلامي في تلك المرحلة كان في قمة التشرذم (دولة هنا ودولة هناك متصارعة فيما بينها)، وكانت الدولة العباسية في بغداد، وكانت تعاندها وتنافسها الدولة الفاطمية في مصر باعتبار (هؤلاء سنة وهؤلاء شيعة)

لما جاء الصليبيون فهم ليسوا أقوى وليسوا أكثر عددا وليسوا أكثر تفوقاً في فنون القتال وليسوا أكثر شجاعة وليسوا أكثر تحضراً لكنهم انتصروا بفعل هذا التشرذم السياسي والسكاني..

ابتدأ الأوروبيون يقومون برحلات إلى الشرق لأسباب كثيرة، منها رحلات الحجيج إلى الأراضي المقدسة ومن أجل التجارة، وهذا أدى إلى نوع من التعرف على المسلمين وبدأت تتولد فكرة الأرض التي ذكرها الكتاب المقدس والتي حملت قصة السيد المسيح ولا بد من أن نأخذها من هؤلاء المسلمين.

ابتدأت تتكون نوع من الدعاية النزقة في تصوير المسلمين في صورة بشعة تبرر العدوان عليهم فالمسيحيون الغربيون في ذلك الوقت لم يكونوا يرون الإسلام ديناً بل كانوا يرونه بدعة أو تحريفاً عن المسيحية.

عقد أُربان الثاني وهو من أخطر باباوات العصور الوسطى مجمع في كليرمونت في فرنسا سنة ١٠٩٥م، استمر ١٠ أيام، وألقى فيه خطابًا طالب فيه المسيحيين في أوربا بالقيام بحرب دينية (صليبية) تهدف إلى مساعدة إخوانهم المسيحيين في الشرق، وتخليص الأماكن المسيحية من قبضة المسلمين، وطرد السلاجقة الأتراك من آسيا الصغرى.

فقد اكتسح الصليبيون قوات سلاجقة الروم، ثم تقدموا باتجاه مدينة الرها فاستولوا عليها وتوجهوا إلى أنطاكيا.

أرسل أميرها السلجوقي ياغي سيان نداءات استغاثة إلى أمراء السلاجقة العباسيين في الشام والعراق ينذرهم المصير المنتظر ويدعوهم للوحدة ونبذ الخلاف..

استجاب (كار بوغى) أتابك الموصل، وأقوى أمراء العراق وزحف على رأس جيش جرار من جند بغداد ودمشق وحمص والموصل وحماة وحاصر أنطاكية...

ثم جاء فتح الصليبين الأكبر بالاستيلاء على بيت المقدس (١٠٩٩م) وارتكب فيه الصليبيين مجزرة تقشعر لها الأبدان، كان الدخول مرعب وكان من الصعب على الصليبيين التميز بين سكان المدينة من مسلمين ويهود ومسيحيين فجميع السكان كانوا ذوي ملامح عربية قتل ١٠٠ ألف شخص ولو أن الجماجم جمعت لبنت أسوار تعلو أسوار بيت المقدس والخيول كانت تخوض في برك من الدماء وقالوا أننا وفينا بالنذر للصليب عندما وصلت دماء المسلمين إلى ركبنا وحرقوا الجثث وفتشوا في رمادها عن الذهب وبقيت عملية التطهير ثلاث سنوات.

ثمَّ توجهوا لحصار حلب ١١١١م وكان حاكمها متخاذل حيث أنه عمل علاقة ودّ بينه وبين الصليبيين لدرجة أنه أمر بوضع الصليب على مسجد حلب.

الوضع الآن يستلزم من المسلمين الإفاقة ولكن لن تكون من القيادات وإنما من الشعوب، فالمراجع التاريخية تروي قصصا مؤسفة من حالة التفكك وفساد الأمراء وحكام المدن والحصون..

وأثبتت الوثائق التاريخية أنَّ تلك الفترة كانت تشهد ازدهارا علميًا برز فيه الكثير من العلماء الكبار والأئمة والخطباء مثل (أبو الفضل ابن الخشاب) وحملت المساجد مسؤولية المرجعية الدينية ومسؤولية سياسة الناس إلى جانب المرجعية الاجتماعية بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء.

رغم ما روي أن حال أكثر الأمة آنذاك كان انصرافا إلى الدنيا وزخرفها، إلا أنهاكانت ما تزال متماسكة سليمة البنيان، وكان الناس يرجعون إلى رؤوسهم من العلماء ورؤوس القبائل.

وسرعان ما أفاقت الأمة من الصدمة وكان بالموصل قائد جسور متعطش للجهاد وهو شرف الدين مودود، فك حصار الصليبيين عن حلب وسار لنجدة عاصمة الشام التي كانت تتعرض لهجوم من مملكة بيت المقدس، وانتصر المسلمين في معركة الصنبرة قرب طبرية كان شرف الدين مودود صادق في عصرٍ كثر فيه الكذابون الذين أرادو الإبقاء على مصالحهم وكراسي الحكم، قتله رجل باطني وهو صائم بإمرة من والي الشام وحتى أنهم قتلوا العلماء أيضاً فقاموا بقتل ابن الخشان.

تبين هنا أن البيت الإسلامي يحتاج ترتيب من الداخل وأن الأعداء ليسوا من الصليبيين فقط!

فظهر من الموصل عماد الدين زنكي حدد لنفسه هدف وانطلق إلى حلب، ثم إلى الرها شمالاً فكانت هذه البداية الحقيقية في إحياء الجهاد في الشرق الإسلامي، وبدأت الصحوة الإسلامية من جديد، وبدأت تتكون نواة الدولة الزنكية.

التي كانت عاصمتها في البداية الموصل ثم انتقلت إلى حلب في عهد ابنه الملك (نور الدين محمود زنكي) رحمه الله، الذي تولى بعد أن اغتال الحشاشون الباطنية من نصيرية الشام أباه، فتولى الإمارة وامتد سلطانه ليشمل شمال العراق وسوريا والأردن ولتقوم الدولة الزنكية وليحمل نور الدين على عاتقه مهمة بناء القاعدة الأساسية للجهاد ضد الصليبيين في المشرق.

وأدرك نور الدين أهمية السباق إلى مصر فأرسل جيشه إليها بقيادة القائد الكردي (أسد الدين شيركوه) ليدعم جيش الخليفة الفاطمي ضد الحملة الصليبية المرتقبة على مصر، واصطحب أسد الدين معه ابن أخيه القائد الناشئ (صلاح الدين الأيوبي).

توفي أسد الدين شيركوه، فاختار الخليفة الفاطمي صلاح الدين لمنصب يرأس الوزراء ظنا منه أنه يستطيع السيطرة عليه لصغر سنه ولكونه غريبا عن مصر، وليستقوي بجيشه على أمراء الفاطميين، وحصلت الحملة الصليبية على مصر واستبسل صلاح الدين وجيش الشام ومصر، وأمدهم نور الدين بالمدد فتمكنوا من صد الحملة الصليبية، وبعيد النصر بقليل توفي آخر الخلفاء الفاطميين حيث أعلن صلاح الدين نهاية الخلافة الفاطمية، وخطب الجمعة باسم الخليفة العباسي وأعاد المذهب السني الشافعي إلى مصر، وتوطد ملكه فيها، وتوحدت مصر والشام في الجهاد ضد الصليبيين.

توفي نور الدين فخلفه ولده اسماعيل ولي عهد له، وكان طفلا في الحادية عشر من عمره، فاجتمع أهل الحل والعقد من علماء وقادة مصر والشام على بيعة صلاح الدين الأيوبي سلطانا على بر مصر والشام، وبذلك قامت الدولة الأيوبية.

وعمد صلاح الدين إلى رصّ صفوف الأمة في المواجهة المقبلة، فقد عقد هدنة مؤقتة مع الصليبيين حتى يفرغ من القضاء على فتن صغار الأمراء من الفاطميين في مصر والمتناحرين على الإقطاعيات والحصون في الشام، ثم نقض الصليبيون الهدنة واشتعل القتال وتتالت انتصارات صلاح الدين وتتوجت بمعركة حطين ثم بفتح بيت المقدس.

توفي صلاح الدين، وتولى أبناؤه الذين سرعان ما اختلفوا فيما بينهم ليؤول الملك إلى أخيه الملك العادل الذي تولى ملك مصر والشام وحصلت في عهده آخر الحملات الصليبية التي كانت على مصر، والتي قادها ملك فرنسا (لويس التاسع) الذي أسره الملك العادل وأودعه السجن في المنصورة، ثم أطلق سراحه، وهناك كتب بعد تفكر وتأمل في تاريخ قرنين من الحملات الصليبية العسكرية كتب ملاحظاته في فشل الغزو العسكري للشرق الإسلامي، وضرورة العمل على الغزو الفكري حيث شكلت ملاحظاته الأرضية الأولى للحملات الصليبية المعاصرة التي قامت على التبشير والتغريب ثم الإستعمار بعد ذلك بخمسة قرون.

ثم توفي الملك العادل وآل الأمر إلى الملك الصالح اسماعيل الذي صار سلطانا على الشام، وإلى عمه الملك نجم الدين أيوب الذي صار ملكا على مصر، وتواطأ اسماعيل مع الصليبيين، فوقف له بالمرصاد سلطان العلماء في زمانه (العز بن عبد السلام) عالم دمشق، فسجنه ثم أطلق سراحه فارتحل إلى مصر ليتابع سيرة الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سلطان مصر الذي آواه وأكرمه.

واستكثر الأيوبيون في مصر من العبيد والمماليك فحشدوا منهم المئات والآلاف، واتخذوا منهم الجند والقواد، وصارت قوة كل أمير من أمراء مصر والشام من الأيوبيين بعدد عبيده ومماليكه الذين كان كثير منهم من وسط آسيا وبلاد التركستان، وأغرى قادة المماليك ما هم عليه من القوة وما عليه حال ملوكهم وأمرائهم الأيوبيين من التفسخ والضعف فانقلبوا عليهم واستلموا الحكم في مصر والشام تبعا لذلك، بعد وفاة نجم الدين أيوب أثناء معركة المنصورة (١٢٥٠م)، حيث تزوجت زوجته (شجرة الدر) بكبير قواده من المماليك ثم تنازلت له عن الملك، لتقوم بذلك الدولة المملوكية، وكان لسلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله القصة التاريخية المشهورة، حيث لم يفت بصحة ولايتهم لأنهم عبيد غير أحرار، واضطروا للنزول على فتواه بضرورة بيعهم ورد ثمنهم لبيت مال المسلمين حتى صاروا أحرارا وصحت ولايتهم!!

وحملت دولة المماليك راية الجهاد ضد التتار الذين كانوا قد اجتاحوا المشرق وأسقطوا بغداد واستباحوا مدن الشام، وقرعوا أبواب مصر، فنهض لهم سلطانها المملوكي المجاهد (قطز) الذي لم يفت له سلطان العلماء بالأخذ من أموال العامة لشراء السلاح، إلا بعد أن وضع ماله وأخذ مال أمراء المماليك لذلك الغرض، فأفتاه وحرض المسلمين على الجهاد في مصر والشام وكانت موقعة عين جالوت أول هزيمة استراتيجية للتتار، أدت إلى بداية تراجعهم.

وخلف الملك الظاهر بيبرس قطز على السلطان وحمل بيبرس مسؤولية جهاد الصليبيين في الشام زهاء ٢٧ سنة، إلى أن أجلاهم عن آخر حصونهم، حيث تم الجلاء الكامل في عهد السلطان خليل بن قلاوون وانتهت بذلك الحملات الصليبية الأولى (١٢٩١).

حال المرجعيات التي تولت إدارة امواجهة في الطرف الإسلامي:

١- **المرجعية السياسية**: كانت غائبة ابتداء، ثم تكونت عبر الزنكيين ثم الأيوبيين ثم المماليك.

٢- **المرجعية الدينية**: تولت المواجهة إلى أن قامت المرجعية السياسية، ثم وقفت ردءا لها إلى نهاية المواجهة.

٣- **المرجعية الاجتماعية**: وقفت إلى جانب المرجعيتان، واكتمل النصاب، فواجهت الأمة الإسلامية أمة الصليبيين.

معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الأولى:

أمة الإسلام × أمة الصليب ← انتصرت أمة الإسلام

تعليقات وملاحظات سريعة على مسار التاريخ الإسلامي منذ بني أمية وإلى قيام الدولة العثمانية:

إن المتتبع لمسار تاريخ الدول والممالك الإسلامية، يخرج بنتيجة واضحة، وهي أن مثل هذا المسار، ومثل هذا المسلك، من الحكام أولا، ومن علمائهم ثانيا، ومن الرعية ثالثا، ما كان له بموجب السنن الشرعية والقدرية، وكذلك العقلية والمنطقية وبحكم سنن السياسة، وصراع البقاء بين القوى، إلا أن يسفر ذلك الحال عن النتيجة التي أسفر عنها..

ولكن، يخشى على من يقرأ التاريخ ولاسيما الملخصات الموجزة له، وخاصة تلك المعاصرة التي كتبت بأيدي العلمانيين المعاصرين، وتلاميذ المستشرقين فقد نهجت هذه الكتب نهجا يعتمد التزوير والدس من أجل النيل من تاريخنا المجيد ولإضعاف صلتنا بتراثنا، ولتشويه تاريخ جهاد أجدادنا العظام من مختلف مكونات النسيج العرقي لأمم الإسلام عربا وغير عرب، وللإلقاء بذور الفتنة بين تلك المكونات.

فيخشى على القارئ أن يخرج بصورة شوهاء عن تاريخنا الإسلامي المجيد، فيظن أن كل ملوك وأمراء المسلمين كانوا ظلمة طاغين لا خير فيهم، فساقا عابثين، لاهين بالقيان والجواري، منصرفين إلى المجون، وإلى اللهو ما أحل الله منه وما حرم..!

وأن كل أو جل علماء المسلمين كانوا مقصرين في أداء أمانتهم، قاعدين عن الأمر والنهي والجهاد، مصطفين على أبواب الأمراء ينتظرون المنح والعطايا..!

ويظن أن معظم الرعايا كانوا منغمسين في التيه والانحلال، فسقة على دين ملوكهم، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يدافعون في سبيل الله..

هذا ناهيك عن إبراز تاريخ الزنادقة والمارقين من الملوك والثوار والفلاسفة والعلماء الضالين ومشاهير شعراء المجون والخمر والانحلال وإشهارهم كالقرامطة والزنج ورجالهم، ومن الأعلام أمثال: الفارابي وابن سينا وأبو العلاء المعري وبشار وأبو نواس (قبل توبته)، والأصفهاني الزنديق واضع كتاب الأغاني المليء بالأكاذيب والدس على سير الخلفاء وما حوى من قصص المجون الموضوعة، وغير ذلك كثير.

وأما اليوم وفي ظلال حرب الأفكار التي تشنها علينا الحملات الصليبية الأمريكية بقيادة (بوش، ورامسفيلد، وكونديليسا رايس..) وتنفيذ (منظمة اليونسكو والأمم المتحدة) فقد ذهبت الطامة في إعادة تزوير المزور من تاريخ المسلمين إلى مجالات تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم كليا وسلخهم من تاريخهم كليا، ولذلك يجب الانتباه إلى مصادر التاريخ، والتمحيص في هوية كاتبها ومن وراءهم.

ولكن وحتى تكون الصورة متكاملة وصحيحة وشاملة يجب أن نذكر أيضًا الوجوه المشرقة للحضارة والتاريخ الإسلامي الذي تركت خيراته بصماتها على جبين البشرية.

وبذلك نفهم منطق السنن التي تفسر لنا أسباب القوة والانتصارات الكثيرة، وأسباب الضعف وتسلط الأعداء والهزائم المنكرة التي مرت وما تزال علينا، ومنها ما قاله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد]

وكما قال عز من قائل: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٦٥﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه]

وكثير من الشواهد وما تزخر به من القواعد والسنن في فهم مسار التاريخ وقيام الممالك وزوالها، فعلينا أن نحترم هذه السنن ونعمل بأحسنها، ونتحرك على بصيرة من هدي ربنا.

وأهم الملاحظات التي يجب أن نذكر بها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن ندرس تاريخنا المجيد النقاط التالية:

أولا: أن شريعة الله تبارك وتعالى، كانت هي المرجع المحترم من كل طبقات الحاكمين والمحكومين، في كل تلك الممالك والمجتمعات، فإذا ما حاد عنها حاكم أو محكوم، فمن باب الفسوق والعصيان والزلل والتقصير، ولم يدخل التبديل والتغيير على شرع الله، زهدا بشريعة الله أو تفضيلا لغيرها عليها، أو للشعور بإمكانية المفاضلة بينها وبين غيرها، إلا متأخرا، في الربع الأخير من الدولة العثمانية كما سنرى في استعراض تاريخها، أو ما حصل من بعض الممالك المستقلة التي قامت أصلا على المروق عن دين الله كما كان من الدولة العبيدية الفاطمية التي قامت في المغرب ومصر ثم الشام، وتأسست أساسا على الزندقة والسحر والفلسفة والشعوذة والمذاهب الباطلة، وقد حكم علماؤنا من أئمة عصرها بكفرها ومروقها من الدين، وكذلك ما حصل من بعض ملوك التتار الذين ادعوا الإسلام، وتحاكموا لشريعة رئيسهم جنكيزخان التي تركها لهم مدونة في ما عرف بـ (الياسا) أو (الياسق)، فهي ليست شاهدا على ما نحن بصدده من الممالك التي اعتورها الإنحراف، ولكنها لم تخرج عن أصل الإحتكام لشرع الله، فلم يجاوز الإنحراف الظلم والفسق، إلى المروق والكفر، وإن كانت تلك الممالك والدول- بحكامها ومحكوميها - قد نالت عقابها القدري المحتوم بحكم السنن، بقدر ظلمها وفسوقها وعصيانها.

ثانيا: أن الغالبية العظمى لأولئك الملوك والأمراء المنحرفين، وحتى أشدهم فسادا، وفسوقا وصراعا على الملك، كانوا مجاهدين لأعداء الإسلام من الكفار دفعا وطلبا، وقد رأينا هذا من الطغاة الفاسدين من بني أمية، وكذلك من بني العباس، وصولا إلى ملوك الممالك المستقلة، والسلاجقة الأتراك رغم ظلمهم وبطشهم وعدوانهم على الخلفاء وعلى الرعية، وقفوا سدا منيعا في وجه الروم، وكان لهم المشاهد العظيمة، حتى بيبرس المملوكي الذي قتل أمير المسلمين إثر النصر الأكبر في (عين جالوت) من أجل الملك والإمارة، وكان بعد ذلك ظلوما غشوما جبارا، إلا أنه لم ينزل عن صهوة جواده سبعًا وعشرين عامًا، جاهد فيها الروم والتتار وجاهد الصليبيين حتى أجلاهم من أكثر البلاد، ثم تولى المماليك ممن خلفه المهمة حتى أنجزوها.

ثالثا: أن معظم علماء المسلمين المرموقين المشاهير، كانوا إما من أهل العزائم، فاحتسبوا على الملوك والأمراء، وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، وقد سجل التاريخ قصصا رائعة تكتب بماء الذهب، وقائمة هؤلاء من السلف الصالح طويلة تزخر بالمآثر، وإما لم يكونوا من أهل العزائم، فاعتزلوا القصور ومن فيها، واعتزلوا مسائل الحكام وتفرغوا للعلم والزهد، ولم يتمرغوا في أوحال النفاق للسلاطين، ولم يشذ عن ذلك من العلماء إلا أوشاب من المتساقطين في أوحال الدنيا، أو أوباش من المنسوبين لعالم العلم والعلماء، كما كان العلماء قدوة في الجهاد، ولاسيما في الأزمات والنوازل الكبرى، فكانوا يخرجون للغزو دفعا وطلبا مع أئمة المسلمين برهم وفاجرهم ضد أعداء المسلمين من الكفار، وذلك قبل أن يظلنا زمان الدشوش، وتتدلى الكروش، وتسعى العمائم واللحى خلف القروش.

رابعا: أن غالبية فساق الأمراء وطغاتهم وحتى الجبارين منهم، ممن عرفوا بالبأس والقسوة، كانوا إذا وُعظوا من قبل العلماء وأهل الحسبة، والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، اتعظوا وخشعوا، وربما تأثروا وبكوا، ورجعوا عن مظلمة أو زلة، حتى وإن عادوا إلى قبيح أعمالهم، فقد كان للدين على أنفسهم سلطانا،

وللعلماء الصادقين - حتى ممن وقفوا لهم بالمرصاد – احتراما وهيبة، وقد جمعوا إلى هذه المزية الخيرة، رغم طغيانهم وفسوقهم، وصراعهم على الملك، ومظالمهم، جمعوا لذلك حب الخير، والصدقات والإحسان، ومختلف وجوه البر والخير، ليكفروا عن غيهم، ولأصالة في معدنهم، فبنوا المساجد، والتكايا، وأوقفوا الأوقاف في مختلف وجوه الخير، إضافة إلى جهادهم، وحكمهم أساسا بشريعة الله.

خامسا: أن غالبية الرعايا من المسلمين كانوا على أصل الصلاح واحترام الدين، وكانوا تبعا للعلماء الصالحين، مآزرين لهم في مواقفهم، مما شجع العلماء على النهوض في كثير من الأحيان، وكانوا يخرجون للجهاد والنفير وثغور الرباط، وقد اختلط الخير والشر في تلك العصور كثيرا، ولكن لم تكن تصل الأمور إلى ما فشا في الأزمنة المتأخرة من وجوه مجاهرة العوام بألوان الكفر والفسوق والعصيان، ونسال الله السلامة.

سادسا: أن الخير لم يكن ينقطع عبر تاريخنا ذاك، وأن راية الإسلام والصلاح والعزة، لم تزل تتنقل بين الأيادي المختلفة، والمكونات المتعددة لنسيج الأمة من عرب وعجم وترك وفرس وبربر ومغول وأفارقة وغير ذلك..إلخ، وأنه كلما ضعف الإسلام في مكان، كان ينهض في آخر.

سابعا: أن معجزة الرسول الخالدة في إخباره ﷺ، أن طائفة مجاهدة في سبيل الله لم تزل ولن تزال قائمة: فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ، أنه قال: «**لَن يَبرَحَ هذا الدّينُ قائمًا يُقاتِل عليه عِصَابةٌ منَ المُسلِمِينَ حتَّى تقومَ السَّاعةُ**»[1]، وعن معاوية يرفعه أيضا: «**مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خيراً يُفقِّهه في الدّين ولا تزالُ عِصَابةٌ من المُسلِمِين يُقاتلون عَلى الحَقّ ظاهرينَ عَلى مَنْ نَاوأَهُم إلى يومِ القيامَة**»[2].

و في رواية عنه أيضا: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ**»[3].

وهكذا بقيت وما زالت الطائفة المنصورة، طائفة الجهاد والدفع هذه قائمة تجاهد على مر العصور، وحتى إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة.

وبالخلاصة:

فقد أدت (**موروثات الصلاح الكامنة في الأمة**) في الحكام والعلماء والمحكومين على مر تلك العصور، إلى استمرار الخير ينازع وجوه الشر والفساد في الأمة، مما مد في عمر حضارتها لأكثر من ثلاثة عشر قرنا، ولقد تحطمت على صخور دول الإسلام الصامدة كل الهجمات العاتية التي تكسرت موجاتها عليها، وبقي الإسلام شامخا، وبقي المسلمون أعزاء، وكانت كل دولة ومملكة وأمة تلاقي مصيرها بموجب السنن القدرية بقدر مالديها من صلاح وفساد.

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٢)، وأحمد (٢٠٨٥٩).

(٢) رواه البخاري (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٣) رواه ابن ماجة (٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحَّ من طريق آخر وذكره البخاري برقم (٣٦٤١).

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية

المراحل – المناحي الإيجابية – المناحي السلبية

(١٣٠٠ – ١٩٢٤م)

آل عثمان هم (أحفاد السلاجقة).

يمكن تقسيم مرحلة الدولة العثمانية إلى ثلاثة أطوار:

١- **طور القوة:** ويمتد من تأسيسها في عهد عثمان (١٣٠٠م) إلى نهاية عهد السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (١٧٧٤م)، مر على هذا الطور (٢٦) سلطان واشتهر منهم السلطان محمد الفاتح (فاتح القسطنطينية) عاصمة الروم البيزنطيين، ممّا أحدث نقلة تاريخية عالمية، حيث عُدت تلك الواقعة عند المؤرخين الغربيين نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة.

وقد كان أوج الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول وابنه سليمان القانوني (١٥١٢-١٥٦٦م).

٢-**طور الضعف والتراجع:** وابتدأ منذ عهد السلطان عبد الحميد خان الأول (١٧٧٤م) حيث دفعت السلطنة الجزية للمرة الأولى في حياتها، لروسيا (١٧٧٧م)، وأقرت بجملة من الامتيازات لنصارى الدولة العثمانية وصلاحيات تدخل الأجانب في شؤونها إلى نهاية عهد عبد المجيد خان (١٨٦١م)، مر على هذا الطور (٥ سلاطين)

٣- **طور الإنهياروﻣﺆامرات اليهود والماسون وسقوط الدولة العثمانية:** ويبدأ منذ عهد السلطان عبد العزيز خان (١٨٦١م)، إلى نهاية السلطان محمد السادس سنة (١٩٢٤م)، واشتهر منهم السلطان عبد الحميد الثاني الذي تولى الدولة من (١٨٨٦-١٩٠٩م)، مر على هذا الطور (٥ سلاطين)

المناحي الإيجابية في دولة الخلافة العثمانية:

إبتداءا هناك مفهوم خاطئ يجب تصحيحه، وهو أننا درسنا في بلادنا في المدارس الابتدائية وما تلا ذلك من مراحل الدراسة هذه الحقبة من الزمن تحت عنوان (الاحتلال العثماني)!!

حيث أن معظم المراجع التاريخية المعاصرة التي أرخت للعثمانيين، قد ظلمت هذه الدولة المجيدة، وزورت تاريخها وتاريخ المسلمين في أيامها، وذلك لأن معظم كتاب السياسة والتاريخ المعاصرين من المنسوبين للمسلمين هم من العلمانيين، والقوميين، وقد تولى أتاتورك وأتباعه إلى اليوم الحجر على وثائق كثيرة هامة من أرشيف الدولة العثمانية، وخاصة عن المرحلة الأخيرة من تاريخها والتي تولى فيها الماسون إسقاط الدولة.

ومن هنا نقول أنه يجب أن تقرأ تاريخ تلك الدولة بعين الاتهام، ومنهج التمحيص، لتميز حقيقة ما كان فيها من سلبيات – عما هو افتراءات وتزوير من وضع المستشرقين وعملائهم من المرتدين العلمانيين.

فإذا ما جئنا إلى إيجابيات دولة الخلافة العثمانية.

فيأتي في طليعتها الحفاظ على مسمى الخلافة الإسلامية، وحمل مشعل حماية المسلمين ضد هجمات أعدائهم، وتوحيد معظم ممالكهم الرئيسية في دولة واحدة قوية، بعد أن كانت الخلافة قد تحولت لمسمى رمزي.

وأما الفضيلة الثانية لها، فهي إنهاء دولة الروم البيزنطيين، فمدت دولة الإسلام إلى بلاد البلقان بكاملها، ووصلت إلى وسط النمسا، وشمال إيطاليا، وملكت جزر المتوسط بكاملها، وأخذت الجزية والضرائب من معظم عظماء ملوك أوربا في حينها.

أما ثالث فضائلهم فلقد اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة المسلمين، واعتبر الخليفة العثماني واجب حمايتهم مسؤولية في عنقه.

لقد وصلت الدولة العثمانية إلى أوج من الحضارة والسيطرة والقوة إلى مستوى لم تصل له دولة إسلامية في تاريخها، فقد سمي البحر الأبيض المتوسط: (بحيرة عثمانية)، والبحر الأسود كان مسبح قصر السلطان على شواطئ إسلام بول!).

أمَّا البحر الأحمر فقد اعتبره الأتراك العثمانيون حملة مشعل الإسلام (بحر الحرم)، وجعلوه محرما على السفن الصليبية حتى التجارية المدنية، كي لا يمر صليب من أمام مدينة جدة، فيدنس الماء الذي يلمس شواطئها وهي في الحرم!! الله أكبر، جدة هذه.. التي أطلقت البوارج الأمريكية تحت رعاية آل سعود اليوم صواريخ كروز منها على أفغانستان وبغداد من، (بحر الحرم) أي البحر الأحمر، من شواطئها التي عمرها آل سعود بالملاهي ومرافق الفسوق، وسبحان مقلب الأحوال.

ولقد كانت الهوية الإسلامية لراية العثمانيين ظاهرة، رغم ما اعتراهم من البدع والإنحرافات، وكانوا معظمين لشعائر الله.

وفي الوقت الذي كانت أوربا الشرقية مسرح معظم مواجهاتهم مع أوربا كما رأينا، ازدهرت الحياة الاقتصادية والتجارية والصناعية تبعا لقوتهم وما فرضوه من الأمن والاستقرار، وصارت استانبول عاصمة الدنيا تليها في ذلك عواصم مصر والشام والحجاز، وموانئ جزيرة العرب وشمال إفريقيا، وتحركت قوافل التجارة على الطرق التجارية القديمة (طريق التوابل، وطريق الحرير)، ونقلت البضائع من وإلى تلك العواصم، لتنقلها سفن المسلمين إلى شواطئ المتوسط، وحتى إلى موانئ أوربا.

المناحي السلبية في دولة الخلافة العثمانية:

إن أول سلبية تذكر لسلاطين بني عثمان الأتراك هي أن تسلل التشريع الوضعي إلى نظام الحكم بدعوى التقنين والتنظيم، وقد بدأ زمن سليمان القانوني، بل منذ أيام الفاتح بشيء قليل إن صح ما روي في ذلك وتطور بعد ذلك مع تسلل الضعف والإعجاب والافتتان بأوربا لكثرة احتكاكهم بها، مما فتح باب التغريب وضياع الهوية.

ويشترك سلاطين بني عثمان مع من سبقهم من خلفاء وملوك وأمراء الدول والممالك الإسلامية السابقة بمعظم السلبيات التي طبعت قصور الحكم منذ تحول نظام الحكم من الخلافة إلى الملك عضوض ثم الملك جبري، ومن ذلك:

الصراع على الملك بين الأبناء والإخوة، وكثرة القتل والخلع بين الإخوة، إلا أن سلاطين العثمانيين زادوا على ذلك رذيلة لم يسبقهم إليها أحد من المتصارعين على الملك في تاريخ المسلمين؛ ألا وهي بدعة قتل إخوة السلطان عند توليه، واجتثاثهم جميعا حتى الرضع!! وذلك بدعوى تلافي فتنة منافسة الخليفة على الملك مما يفسد الدولة ويضعفها أمام أعدائها! وقد وجد السلاطين بحسب ما ذكر بعض المؤرخين من بعض شياطين الإنس من يفتيهم أن لهذا حجة في قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل)! فهم يرتكبون قتل الإخوة خوف فتنة الخلاف والفرقة!!

تدخل الأمهات الأجنبيات في صراعات القصر، وزاد الطين بلة أن العديدات منهن كن من بنات ملوك الكفار، اللواتي عملن لصالح بلادهن.

البذخ والترف والقصور..

الأثرة وظلم الرعايا وكثرة المكوس والضرائب، وقد زاد هذا في أواخر الدولة بتحولها إلى النظام الإقطاعي، وتفشي الطبقية في المجتمع.

ولقد كان للمرحلة العثمانية سلبيات خاصة بها فوق ما اشتركوا به مع غيرهم، من السلبيات آنفة الذكر، ومن ذلك:

اتجاههم الحضاري كان أحاديا وتجلى بالمنحى العسكري، ولم يولوا المناحي الأخرى، أهمية، فطبع العالم الإسلامي بالجهل والتخلف، فيما كانت أوربا تشهد التحول الكبير في ثوراتها الفكرية والسياسية والاجتماعية والصناعية، ممَّا أوجد هوة حضارية بين الشرق والغرب ساهمت في انتقال راية الحضارة البشرية من شرقنا إلى غربهم.

التخلف الديني، والتقوقع والتعصب المذهبي (إذ حكم الأتراك وتعصبوا لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله) في حين أنهم حكموا رقعة إسلامية تتعدد مذاهبها الأصيلة في المسلمين، كما شهدت مرحلتهم، تشجيعا للتصوف، فقد كان سلاطين العثمانيين، وشيوخ السلاطين من الصوفية، وقد ساعدت أجواء التخلف والفقر والظلم التي طبعت تلك الفترة الناس على الاندفاع وراء الطرق الصوفية فرارا من واقعهم المرير، وزادت الصوفية الأمة جهلا على تخلف ولاسيما في ثلثها الأخير.

العنصرية التركية، وإهمال العنصر العربي، والعناصر العرقية المشرقية الأخرى كان ملحوظا وقد أوجد هذا هوة بين العثمانيين والمكون الأساسي للأمة الإسلامية وهم العرب، وقد زادت حدة هذه الظاهرة في الطور الأخير من الخلافة العثمانية عندما وجدت الفكرة القومية – طريقها إلى المفتونين من الترك والعرب على حد سواء وكان هذا أكبر المعاول التي هدمت صرح الخلافة.

الحملات الصليبية الثانية – المرحلة الثانية – مرحلة الاستعمار القديم (١٧٨٩م).

(حصلت في طور الضعف والتراجع الذي مرت به الخلافة العثمانية) ويمكن التأريخ لها مع قدوم حملة نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م، مع أن انطلاقهم نحو أطراف العالم الإسلامي وتمكنهم من إنشاء رؤوس جسور وقواعد بحرية على شواطئ بلاد المسلمين واحتلال الجزر البعيدة في أطراف العالم الإسلامي يرجع إلى أواسط القرن السادس عشر.

ثم بدأ التسابق الفرنسي - البريطاني بشكل سافر على قلب العالم الإسلامي جنوب المتوسط في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا والجزيرة العربية فاحتل نابليون مصر مطلع القرن التاسع عشر وزحف إلى جنوب فلسطين كما احتلت فرنسا تونس والجزائر وأجزاء من شمال مراكش ما بين ١٨٣٠- ١٨٤٤م، كما دخلت أسبانيا الصحراء المغربية ومنطقة الريف سنة ١٨٦٠م.

وبلغت الحملات الصليبية الثانية نقطة الذروة بعيد الحرب العالمية الأولى وخسارة الدولة العثمانية للحرب إلى جانب ألمانيا بعد سيطرت الماسون على إدارتها، والحجر على آخر خلفائها السلطان عبد الحميد، فأبرمت معاهدة أو مؤامرة سيكس بيكو سنة ١٩١٧ وفي نفس السنة صدر وعد بلفور عن وزارة المستعمرات البريطانية بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود بعد أن تسيطر عليها بريطانيا بحسب الاتفاقية التي جعلت فلسطين في حصتها.

وهكذا سقط المشرق العربي كله تحت احتلال جيوش الحملات الصليبية الثانية تحت مسمى الاستعمار الحديث، فدخل الجنرال الفرنسي (غورو) دمشق سنة ١٩٢٠ واحتلت فرنسا سوريا وكان لبنان ضمنها، ودخل الجنرال الإنجليزي (اللنبي) القدس سنة ١٩٢١، واحتل الجيش البريطاني فلسطين وشرقي الأردن والعراق بعد

أن غدرت بريطانيا بالشريف حسين ونكثت بوعودها التي كان قد أبرمها معه وزيرها (مكماهون) من أجل كسب معاونته وجر العرب للانقلاب على الأتراك العثمانيين، حيث خدع الشريف حسين وظن أن بريطانيا سوف تعاونه على إقامة خلافة عربية على أنقاض العثمانية تشمل جزيرة العرب والعراق والشام فقاد ما عرف باسم الثورة العربية الكبرى حيث قاتل العرب في الحجاز والشام إخوانهم الأتراك من جنود الخلافة بدعم وتعاون من الإنجليز، وكانت بريطانيا قد احتلت مصر والسودان قبل ذلك فيما آلت ليبيا إلى إيطاليا (١٩٠٤م).

هذا عن العالم العربي، أما في العالم الإسلامي فقد تقاسمته أوربا الاستعمارية كذلك، فصارت الهند وبلاد السند (باكستان) وإيران تحت الاحتلال البريطاني، ووُضعت تركيا باسم الاستقلال والجمهورية تحت حكم يهود الدونمة بإشراف اليهودي (مصطفى كمال أتاتورك) الذي أقام الجمهورية التركية وأعلن إسقاط الخلافة، وتخلت بذلك تركيا عن إرثها في الدول العربية والإسلامية للعالم الصليبي، فيما تقاسمت فرنسا وبريطانيا الدول الإسلامية في وسط إفريقيا..

أما روسيا فقد انطلق قياصرتها منذ أواسط القرن السادس عشر في حركة استعمارية التهمت الممالك الإسلامية واحدة تلو الأخرى فاحتلت روسيا بلاد القرم والبشكير وتتارستان وبلاد القفقاس؛ الشيشان وداغستان وجورجيا وأذربيجان وانطلقت شرقا لتبتلع تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان وكانت قد استولت على سيبيريا بالكامل وحطت جيوش القياصرة رحالها على ضفاف نهر جيحون على حدود أفغانستان سنة ١٩٠٤ بعد أن كانت قد أسقطت عواصم الإسلام الكبرى؛ مثل مرو وبخارى وترمذ وسمرقند وطشقند، ثم ورثت روسيا الشيوعية بعد الثورة البلشفية ١٩١٧ تلك المستعمرات بعد أن قضت على الأسرة القيصرية وكان لليهود الروس دور رئيسي في الثورة الشيوعية فكرا وتنفيذا.

أما بلاد نجد والحجاز فقد استولت عليها بريطانيا بطريقة ذكية تتناسب مع قدسية الحرم، فقد تبنت بريطانيا أميرا شابا من أسرة آل سعود التي كانت قد لجأت إلى الكويت بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، حيث تعرفت وزارة المستعمرات على عبد الرحمن آل سعود عن طريق عميلهم الأكبر في الكويت (مبارك الصباح) الذي يدعوه قادة التنصير في جزيرة العرب بـ (مبارك العظيم) جراء ما قدم لهم من خدمات وتسهيلات للتنصير في جزيرة العرب[1]، وهكذا عرضت بريطانيا على عبد الرحمن آل سعود معاونتها لاستعادة ملك أجداده في نجد، فقدم لهم بسبب كبر سنه ولده عبد العزيز سنة ١٨٩٨، فمولت بريطانيا حملته الأولى على نجد سنة ١٩٠١، ثم ونتيجة ما لاقاه من الصعوبات تبنى عبد العزيز فكرة إحياء الدعوة الوهابية وعاود

(١) أنظر محاضرة (صانعوا الخيام) للشيخ سلمان - رزقه الله - العودة.

الكرة في السنة التالية، وتمكن بمساعدة بريطانيا التي أمدته بالمال والخبراء والضباط الإنجليز وبسبب زعمه حمل راية الدعوة الوهابية حصل عبد العزيز على مساعدة جماعات (الإخوان) حملة الدعوة الوهابية الذين ساعدوه فتمكن لتصبح كامل بلاد نجد والحجاز ومعظم جزيرة العرب تحت سلطة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، لتقوم (الدولة السعودية الثالثة)، وأبرم التاج البريطاني مع عبد العزيز اتفاقية تبعية يلتزم فيها بان لا يخرج عن مشورتهم وأوامرهم وأن لا يبرم معاهدة ولا اتفاقا إلا بإذنهم مقابل كفالة التاج البريطاني لعرشه مدة حياته ولأبنائه وراثيا من بعده، ثم أمدت بريطانيا عبد العزيز ليحارب الإخوان وساعدته بالطائرات فقضى على بقيتهم في معركة (السبيلة) الشهيرة، ليخلوا له الجو ويدخل من تبقى من حملة الدعوة الوهابية تحت عباءة سلطانه وملكه.

وبعد أن سيطرت بريطانيا على فلسطين تعاونت بشكل كثيف مع الوكالة اليهودية للهجرة التي أقامتها الحركة الصهيونية، وضخت في فلسطين مئات آلاف اليهود الذين شحنتهم السفن من مختلف الدول الأوربية ولم يكن عدد اليهود الأصليين في فلسطين يجاوز الـ ١٥٠٠٠ نسمة عندما احتلتها بريطانيا.

لقد سقط العالم العربي والإسلامي برمته تحت الإحتلال الغربي الذي لم يخف هويته الصليبية، فقد صاح الجنرال اللنبي وهو يركز علم بريطانيا ذي الصليبين على قمة جبل الزيتون في بيت المقدس قائلا: (**الآن انتهت الحروب الصليبية**)، وكذلك ذهب الجنرال غورو الفرنسي إلى ضريح صلاح الدين وضرب قبره بالسيف وكسر قطعة منه وقال له: (**ها قد عدنا يا صلاح الدين**)، وصرح موسوليني حاكم إيطاليا الاستعمارية بأنه يحمل أمجاد الرومان إلى جنوب المتوسط، وهكذا كان سلوك باقي الدول الأوربية.

باختصار.. لقد توغل الاستعمار الحديث في بلادنا بعد أن امتلك معلومات في كافة المناحي وقرأنا وفهمنا كما يقرأ خطوط كفه، لقد تحركوا بعلمية وعملية،إنهم الروم وخصالهم، هؤلاء الذين لا يعرف أكثرنا عنهم إلا ظاهر قشرتهم الحضارية حاليا من الانحلال والفجور والمجون، ولكن القاعدة الحضارية لهذه الأمم الرومية أعقد من ذلك بكثير، ولا بد من أن نعرفهم كما عرفونا ونقاومهم على بصيرة كما غزونا على بصيرة ومعرفة، لقد تسللوا إلى الجملة العصبية للجسد الإسلامي الذي كان يرتمي مريضا يحتضر مع الخلافة العثمانية، فلما نضجت الطبخة الاستعمارية الكبرى، أعان الاستعمار على غزواته ما حققته أوربا من النهضة العلمية والثورة الصناعية.

أهم أسباب نهضة أوربا واسترجاعها لواء الحضارة الغربية وانطلاقتها الاستعمارية منذ مطلع القرن السادس عشر- باختصار-

- الحملات الصليبية على المشرق ونقل خلاصة التراث الحضاري الإسلامي وما حفظته من حضارات المشرق في فارس والهند ووسط آسيا والإفادة من كل ذلك، ونشاط حركة الترجمة العلمية ودراسة أسباب الهزيمة في الحروب الصليبية، (منذ القرن الثالث عشر).
- سقوط القسطنطينية وهجرة العلماء والمكتبات وإرث الحضارة الرومانية إلى أوربا، (خلال القرن الخامس عشر).
- سقوط الأندلس ونهب مكتباتها الزاهرة.
- الكشوف الجغرافية وتطور الأساطيل الأوربية وعودة فوائد ذلك من أرباح التجارة ولاسيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحويل طريق التجارة عن بلاد المسلمين، وما جنوه من كنوز البلاد المفتوحة لاسيما العالم الجديد (القارة الأمريكية منذ القرن السادس عشر).
- اكتشاف البخار وتطوير السفن والقاطرات واكتشاف البارود والمتفجرات وتطوير الأسلحة (منذ القرن السابع عشر).
- الثورة الفرنسية نهايات القرن الثامن عشرعلى الملكية وحلفها المقدس مع الكنيسة وانطلاق الأفكار السياسية والنهضة القومية، وانطلاق العالم التجريبي والحرية الفكرية بعد الثورة الفرنسية.
- الثورة الصناعية في القرنين الـ (١٨) والـ (١٩) وثورة المخترعات العلمية وتطوير الآلة الصناعية المدنية والعسكرية.

وهكذا دهمنا الاستعمار وقد توفر له كل شيء وتساقطت بلاد المسلمين بأسهل مما تسقط العاصفة أوراقا صفرا لشجرة مريضة قد نخر السوس ساقها وتآكلت جذورها ودب العطب في كل مناحي حضارتها دينيا وفكريا وسياسيا وعلى كل صعيد..

واستمرت هذه الحملات في احتلالها المباشر العلني طيلة ما سمي بمرحلة الاستعمار القديم. وشعر المسلمون بالخطر الداهم.

مقاومة الشعوب الإسلامية والحركات الجهادية والتحررية للمستعمر:

فقد عمت الثورات العالم الإسلامي بأكمله ممثلا بالشعوب الإسلامية والحركات الجهادية والتحررية ضد المستعمر، مثل ثورة الإمام شامل في القفقاس على الروس والتي استمرت زهاء أربعين سنة وكذلك ثورات الأوزبك وغيرهم في وسط آسيا والتي أخمدها الروس بكل قسوة، فتحول المسلمون في جهادهم إلى الحفاظ على دينهم وقومياتهم سرا، وما زالت الثورات تندلع ضد الروس طوال تاريخهم، وكذلك قامت ثورات ضد الإنجليز قادها (علماء الديوبند) وأئمة المذهب الحنفي والطرق الصوفية في شبه القارة الهندية وبلاد السند وأفغانستان التي انتهت بجلائهم، وكذلك واجه الإنجليز ثورات العراق والثورة المهدية في السودان والانتفاضات التي قادها علماء الأزهر في مصر، وكذلك ثورة علماء اليمن على الإنجليز، كما واجهت فرنسا ثورة ضارية في الجزائر وكذلك اعمال مقاومة كثيرة في المغرب وسوريا وبعض البلاد الإفريقية كما قام عبد الكريم الخطابي بجهاد الإسبان وتحالف جيوش أوربا في الريف المغربي وهزم في معركة أنوال الشهيرة جيوش خمس دول أوربية مجتمعة أسر فيها آلاف الجنود وأكثر من مئة جنرال، وكذلك قاد عمر المختار والسنوسيين الجهاد ضد إيطاليا في ليبيا لأكثر من أربعين سنة، وكذلك كان الأمر في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

وكردة فعل على سقوط الخلافة، ولدت صحوة إسلامية مختلفة المشارب والأهداف تسعى كلها في النهاية إلى إعادة الخلافة واستعادة الحكم الإسلامي والنهضة الإسلامية، يمكن التأريخ لها / ١٩٢٨م / ومنها:

الصحوة الإسلامية المعاصرة:

١. مدرسة الإخوان المسلمين ١٩٢٨ - ١٩٣٠ المؤسس حسن البنا.

(الشعار: الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا) هكذا بدأ الإخوان.

منهج الإخوان: مزيج من

المؤثرات الصوفية الآتية من المرجعية الدينية للأمة خلال المرحلة العثمانية.

المؤثرات السلفية التي هبت مع رياح التجديد والإصلاح في الجزيرة العربية (الدعوة الوهابية).

والمشاعر القومية التي ظهرت أواخر الدولة العثمانية كرد فعل على تعصب الأتراك للقومية التركية نتج عنه تعصب العرب للقومية العربية، هذا التعصب الذي خطط له اليهود والماسون.

والشعور الوطني لأن المرحلة كانت مرحلة مواجهة استعمار.

والنزعة الجهادية فقد شارك الإخوان في حرب ١٩٤٨م..

البنية الحركية التنظيمية

وتوجهات سياسية واضحة فقد مارس الإخوان النشاط السياسي بحسب ظروف كل بلد وخاضوا الانتخابات

وتعتبر حركة الإخوان المسلمين **الجماعة الأم** لمعظم الحركات السياسية وحتى الكثير من الحركات الجهادية في العالم العربي والإسلامي **ولهذه الحركة أسماء أخرى خرجت من نفس العباءة** مثل حركة النهضة – حركة حماس في الجزائر التي أسسها محفوظ النحناح والتي تحولت إلى حركة مجتمع السلم – حركة النهضة الجزائرية – حركة الإصلاح والتجديد في المغرب – حركة الطلائع الإسلامية التي أسسها الشيخ عصام العطار في ألمانيا وانتشرت بين المهاجرين والطلاب في أوربا....إلخ.

ولحركة الإخوان حركات قريبة منها فكرياً، مثل حزب السلامة في تركيا الذي تحول اسمه إلى حزب الرفاه ثم حزب الفضيلة، ومثل الجماعة الإسلامية في باكستان، ومثل ذلك بعض الجماعات في جنوب شرق آسيا الإسلامي.

٢. **حزب التحرير الإسلامي**: أسسه الشيخ الفلسطيني محمد النبهان في الأردن وفلسطين، يميل للتربية والتوجيه السياسي، الجهاد وقيام الدولة متوقف حتى تتوفر النصرة والشوكة وعند توفر ذلك يهاجرون إلى مكان حصول الشوكة.

٣. **المدارس الإصلاحية التربوية**: تبنت نشر الوعي الديني والتأسيس العلمي لإعادة بناء البنية التحتية في المجتمعات وصولاً إلى تأهيل الناس للجهاد، كحركة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر التي حفظت هوية الجزائر الإسلامية وكونت الجيل الذي حمل لواء الثورة الكبرى التي انطلقت ١٩٥٤ واستمرت إلى أن تحقق الاستقلال ١٩٦٣

٤. **جماعات الدعوة والتبليغ**: المؤسس الشيخ الكندهلي ولدت هذه الحركات في شبه القارة الهندية فكرتها تقوم على إصلاح الفرد وتأسيس قاعدة من الأساسيات الشرعية المسلم على مستوى العبادات والسلوك والتفرغ لذلك بعيداً عن معتركات السياسة حتى تتمكن الحركة من الانتشار دون أن تعرقل السلطات ذلك

٥. **الطرق الصوفية**: إصلاح علاقة الفرد بربه رأوا أن الحل أن نحضر الناس نهذبهم روحياً وأخلاقيا فإذا سمت أرواحهم وأخلاقهم يتحركون تحرك صحيح.

٦. **الحركات السلفية ومدارس أهل الحديث**: (السلفية العلمية) قالوا يوجد بدع وشركيات وضلال وأنها قد ألغت أصل الاعتقاد فعلينا التفرغ لإصلاح العقائد وتجريد التوحيد وتصحيحه كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع وذلك عن طريق نشر العلم الشرعي ولاسيما في الحديث وعلومه والعقائد وفروعها وباقي أنواع العلوم الشرعية ونشأت منها مدرسة الشيخ الألباني تحت شعار التصفية والتربية

٧. **القطبية**: هي من المدارس التي مالت إلى الفكر والبحث والتربية، وجدوا أن الحل بوجود القاعدة الصلبة (مجموعة من الشاب الفاضل يتربى على منهج صحيح ويتجنب الصراع مع الحكومات ويتفرغ لتصحيح العقائد والفهم والعلم، هذه المجموعة من الشباب عندما تكبر تصبح قاعدة صلبة وتصبح بندقية تستعصي على الكسر وذات يوم يأتيها فرج الله وتقوم دولتها وعندها يدخل الناس في دين الله أفواجا).

هذه المدارس رغم ما فيها من خلافات وتناقضات تقوم على فكرة خلاصتها أن تغيير الأوضاع والنهضة في الأمة يرجع إلى إصلاح الفرد فإذا صلح الفرد صلح المجتمع وصلح الحاكم (فكما تكونوا يولى عليكم)... أما مشاكل الأمة المحلية والخارجية فليس لهم علاقة بها.

هذه التوجهات لهذه المدارس لم تستطع أن تقدم تصوراً منطقياً وآلية عمل لحل المشاكل القائمة حيث لم تضع مدة ولا مراحل للحل

السمات العامة للصحوة في مرحلة الاستعمار:

كانت السمات العامة للصحوة مختلطة من حيث التكوين المنهجي ولاسيما في تيارها العام مثل حركة الإخوان المسلمين، وفي هذه المرحلة مارست أكثر رموز وجماعات الصحوة الجهاد بشكل أو بآخر ضد المستعمرين عبر الجهاد المسلح، أو عبر المقاومة المدنية (تأليف، تظاهر، نشر، اعتصام، وغير ذلك) أو عبر العمل السياسي.

حالة المرجعيات الإسلامية خلال الحملات الصليبية الثانية (المرحلة الأولى):

على صعيد المرجعيات السياسية:

سقطت بسقوط الخلافة العثمانية وبالإمكان القول أن المسلمين كانوا بلا مرجعية سياسية عمليا.

على صعيد المرجعية الدينية:

فقد كانت المرجعية ما تزال حية، وبرزت في هذه المرحلة الطرق الصوفية كمرجعية دينية في أكثر بلاد المسلمين، حيث كانت الصوفية قد ازدهرت خلال المرحلة العثمانية وما سبقها، وهكذا قام العلماء وأئمة الصوفية بدعوة العامة للجهاد والمقاومة وقادوا تلك الانتفاضات الجهادية بأنفسهم.

على صعيد المرجعية الاجتماعية:

كان النظام القبلي العشائري مازال متماسكا في معظم العالم العربي والإسلامي وكان متداخلا جدا مع المرجعية الدينية مما وفر القاعدة الشعبية لوقود الثورة.

معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الثانية خلال مرحلة الاستعمار العسكري:

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام

وهكذا ورغم غياب المرجعية السياسية، تمكنت المرجعيتان الدينية والاجتماعية من لم شمل الأمة، وإطلاق المقاومة عبر حروب العصابات الجهادية، **وأنواع المقاومة المدنية والعصيان وأعمال التظاهر والكفاح السياسي**، التي **شملت أمة الإسلام في كل قطر** مما أدى في نهاية المطاف إلى إجبار المستعمرين على الرحيل وإعطاء تلك البلاد استقلالها.

والدارس لمسار الحملات الصليبية الثانية يجد بعض النقاط الهامة في الإختلاف وتطوير الصليبيين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثانية، ومن أهم ذلك:

جدول يوضح بعض النقاط الهامة في الاختلاف وتطوير الصليبيين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثانية:

الحملات الصليبية الأولى	الحملات الصليبية الثانية
كانت ذات بعد ديني أساسا ممتزج ببعد اقتصادي ثانوي	في حين كانت الحملات الثانية ذات بعد ديني صليبي واقتصادي استعماري وسياسي من أجل الصراع على النفوذ وكذلك ذات بعد حضاري يقصد إلى نشر ثقافة المستعمر ونظمه العلمانية في البلاد المستعمَرة.
تركزت على سواحل المشرق والشام فقط، في بيت المقدس وأكنافه وسواحل سوريا ولبنان.	في حين استهدفت الحملات الصليبية الثانية كامل بلاد العالم العربي والإسلامي، وتركزت في الشرق الاوسط وفي دعم إسرائيل في بيت المقدس.
أن الحملات الصليبية الأولى استهدفت الأرض باحتلالها.	في حين استهدفت الحملات الثانية احتلال الأرض والإنسان المسلم الذي قصدته بالمسخ والتغيير في كافة أبعاد مكوناته الحضارية
الحملات الأولى تمت في حالة جهالة تامة من قبل المستعمرين الصليبيين بالأرض الإسلامية وسكانها وكامل مكوناتهم الحضارية والدينية والثقافية	**في حين تمت الحملات الثانية بناء على معرفة تفصيلية ودراسات متعمقة مكنتهم من الدخول على بصيرة توغلوا فيها وفق خرائط واضحة المعالم للأرض والشعوب وتركيبتها النفسية والعرقية والدينية وكامل مواصفاتها.**

الحرب العالمية الثانية ما بين (١٩٣٩ - ١٩٤٥):

المعسكر الاول (بريطانية، أمريكا، فرنسا، روسيا).

المعسكر الثاني (ألمانيا، ايطاليا، اليابان)

٨٢ مليون نفس بشرية.

أسفرت الحرب عن تدمير بنية أوربا التحتية وعن ميلاد قوتين عظيمتين استعماريتين جديدتين على وجه الأرض هما (روسيا / أمريكا).

حيث تسابقت دول أوربا لتنتمي إلى حلف إحدى هاتين الدولتين **فدخلت دول شرق أوربا** مع الإتحاد السوفيتي مكونة حلف وارسو بزعامة موسكو، **ولتدخل معظم دول أوربا الغربية** في حلف أمريكا مكونة حلف الناتو بزعامة واشنطن ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النظام الدولي يقوم فيها الصراع بين هذين القطبين حيث لم يعد للمسلمين وجود على المسرح الدولي كقوة تمثل طرفا، لأنهم صاروا في قصعة الغنائم، تتناهبهم تلك الدول وتديرهم في فلكها.

وأُنشأت عصبة الأمم المتحدة من الدول الكبرى لوضع أساس لنظام دولي عالمي جديد في حينها، ثم تعدلت لتقوم هيئة الأمم المتحدة، ونهضت الصين كقوة اقتصادية ونووية وبشرية وفرضت نفسها في مصاف الدول العظمى، لتكوّن مع أمريكا والإتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، المؤسسة الأهم المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة.

وبدأت **الحرب الباردة** بين القطبين في مجالات التجسس وسباق التسلح وصراع النفوذ في إلحاق أكبر قدر ممكن من دول العالم في فلك هذا الحلف أو ذاك.

وأدى الصراع بين روسيا وأمريكا إلى قيام **نظام الحرب بالوكالة** (دعم حركات التحرر في البلدان التي لم تستقل عن الدول المستعمرة خلال الثورات التي قامت عليها في مرحلة ما بين الحربين).

كما لعبت الدولتان على **حبل الصراع العربي الإسرائيلي** بالدعم السافر من قبل أمريكا لإسرائيل وتمثيل السوفييت دور دعم الجانب العربي

السيطرة اليهودية على الروم المعاصرين (الإتحاد السوفييتي البائد – أوربا– أمريكا):

(١) - تسلط اليهود على الإتحاد السوفييتي البائد وروسيا الحالية:

- الثورة البلشفية واليهود:

الثورة البلشفية يهودية التفكير والتخطيط والتمويل والتنفيذ. ففيلسوفها ومفكرها هو ماركس، وكذلك لينين وهو يهودي كذلك، حول كلمات ماركس إلى واقع ثورة، وأمد الحركة الشيوعية بمؤلفاته.

جاء في قرار بني بيرث (أبناء العهد اليهودي) سنة (١٩٣٩) ما يلي: (لقد نشرنا روح الثورية التحريرية الكاذبة بين شعوب الغير، لإقناعهم بالتخطي عن أديانهم بل بالشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهارا عن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة، وأغويناهم بالتفاخر بكونهم أحفاد القرود – نظرية داروين –، ثم قدمنا لهم عقائد يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقية: الشيوعية والفوضوية التي تخدم مصالحنا وأهدافنا.

(٢) - مؤتمر يالطة سنة (١٩٤٥م) وتسلط اليهود على الدول العظمى:

إثر الحرب الثانية اجتمع الأقطاب الثلاثة (روزفلت، ستالين، تشرشل) وقرروا: محو النازية وتقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال بين الحلفاء، وتصفية الإمبراطورية اليابانية، وتشكيل حكومات ديمقراطية في أوروبا الشرقية

أما الأقطاب الثلاثة فهم يهود إما نسبا وإما ميولا وعاطفة.

(٣) -تسلط اليهود على أوربا:

تسيطر الوبيات اليهودية والصهيونية على عالم السياسة والصحافة والإعلام والبنوك والمؤسسات الإقتصادية في أوربا عموما.

تسلط اليهود على أمريكا المعاصرة، وظاهرة المسيحيين المتهودين (الكنيسة الإنجيلية) و(المحافظون الجدد):

اكتشفت أمريكا سنة ١٤٩٢ ميلادية، ولما بدأت أخبار خيرات العالم الجديد تصل إلى مسامع الناس في أوربا صارت مهوى أفئدة المغامرين، والمنشقين والمطاردين في أوربا، كما أصبحت منفى للمجرمين والمنفيين.

وأدرك اليهود الذين كانوا يعانون في أوربا من الظلم والاحتقار من النصارى، أهمية هذا العالم الجديد بل اعتقد بعضهم أنها أرض الميعاد التي بشروا بها في كتبهم القديمة.

ولما ظهرت مناجم الذهب والثروات الطائلة تحركت حاسة الشم والنهم لدى اليهود وبدؤوا بهجرة كثيفة نحو العالم الجديد، وسرعان ما شكلوا جالية كبيرة وعملوا في مجالهم التاريخي، المال والربا.

ولما استقلت أمريكا وبدأت تتكون الولايات المتحدة الأمريكية كان بعضهم قد حاز نفوذا في مجالات البنوك ورؤوس الأموال، والأعمال المصرفية، حتى تخوف وتنبأ أحد أوائل الرؤساء الأمريكان وهو (؟؟)، من نفوذ هذه الشرذمة وحذر منهم، وقال في وثيقة ما تزال محفوظة في مكتبة الكونغرس محذرا قومه منهم، بأنه يتوقع إلاّ يكبح جماح هذه الفئة ويحال بينها وبين طموحاتها وجشعها فإنه يتوقع أن يأتي على أمته الأمريكية زمان يتحكم فيهم هؤلاء ويملكون أقواتهم.

وفعلا آل الأمر إلى ماحذر منه، فقد لعب اليهود دورا ماليا بارزا في تمويل الدول في الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية، ودخلوا في تمويل نهضة التصنيع في أوربا وأمريكا، ولم ينصرم القرن التاسع عشر إلا واليهود يحتكرون تجارة المال والأعمال المصرفية في أوربا وأمريكا، وصار لهم لوبي يتحكم بحملات الانتخابات الأمريكية، والأوربية، وسيطروا على قطاع الإعلام والصحافة في أمريكا كما أوربا، وسيطروا على صناعة السينما وعالم هوليود، ودسوا حسناواتهم ليكونوا عشيقات أو زوجات لكبار الشخصيات السياسية والاقتصادية! وقامت لهم الجمعيات والمنظمات، وبلغ تعداد الجالية اليهودية في أمريكا أكثر من ثمانية مليون نسمة يقطن أكثرهم قلب الولايات المتحدة الاقتصادي (مدينة نيويورك) التي تعتبر من عواصم اليهود في

العالم، ثم دخل اليهود وأبناء اليهوديات مجال السياسة بأنفسهم وصار منهم النواب في الكونغرس ومجلس الشيوخ والوزراء وحتى الرؤساء!

ونظرا لاعتناق الغالبية من نصارى أمريكا المذهب البروتستانتي، الذي يرتكز على تفسيرات العهد القديم (التوراة) والكتب والأدبيات اليهودية، ولدت مدارس مذهبية جديدة تعتبر حب اليهود والعمل على إعادة مجدهم لإسرائيل من أقرب القربات الدينية.

وتطورت هذه المذاهب والجمعيات وصار لها وسائلها الإعلامية الكثيرة من مئات محطات الراديو والقنوات التلفزيونية والجرائد والمجلات، والكتاب ومراكز الدراسات والدعوة...إلخ،

ثم ظهرت الكنيسة (الإنجيلية) وكان من أبرز معتقداتها وجوب دعم إسرائيل كواجب ديني، والاعتقاد بأن معركة عالمية ستقوم في سهل (هرمجدون) شمال فلسطين بين اليهود المدعومين من ملوك النصارى، وبين المسلمين، وأنها ستكون معارك يفنى فيها ملايين البشر، وهي مقدمة لعودة المسيح ونزوله من السماء لإنقاذ المؤمنين به، واعتقد هؤلاء أن نهايات القرن العشرين أو أوائل القرن الحادي هي موعد لهذا الحدث، وكان الكثيرون من الساسة الأمريكان من اعتقد بهذه الطلاسم منهم الرئيس ريغان نفسه! وقد كتبت كتب عدة حول هذا الموضوع وترجم بعضها للعربية، (وللشيخ سفر الحوالي دراسات وكتب قيمة في هذا الموضوع لمن أراد استزادة).

ولذلك تلقت إسرائيل دعما لا متناهيا من أمريكا وما زالت، ثم ظهرت في أمريكا مدرسة دينية سياسية ألعن في معتقداتها، أطلقوا على أنفسهم (المحافظون الجدد) وكان منهم إدارة الرئيس بوش الأب، وإدارة الرئيس جورج بوش الابن نفسه.

ويقيم هؤلاء مذهبهم كذلك على الأساطير التوراتية ووجوب إعادة بناء الهيكل ومملكة إسرائيل وأن الله يبارك أمريكا لقيامها بهذه المهمة، بالإضافة للأحلام الإمبراطورية في توسع أمريكا، وسيطرتهم على الشرق الأوسط متحالفين مع اليهود، وعلى سيادة حضارة العرق الأبيض، وضرورة إفناء الأعراق الأخرى، وتبنوا نظريات (**صراع الحضارات**) وأن الأرض لا تتسع لحضارتين، وأن على **حضارة العرق الأبيض**: **النصرانية الدين، الديمقراطية السياسة، الرأسمالية الاقتصاد، الإباحية الأخلاق والثقافة**، أن تسحق الحضارات الأخرى وتخضعها وتفرض عليها دينها وثقافتها ونظامها، بل إن المحافظين الجدد هؤلاء والذين يمكن تسميتهم بالصليبيين المتهودين، أعلنوا اتخاذهم من الإسلام والمسلمين عدوهم الأول، وأعلنوا الصدام مع حضارتهم كقدر محتوم، بل قال أحد كبرائهم: (نحن ورثة حضارة الروم، وأعداؤها في التاريخ أعداؤنا في الحاضر)، وصرح جورج بوش بأن حربه الحالية في الشرق الأوسط حرب صليبية، ثم اعتذر وقال أنها زلة لسان، ثم زلّها الخبيث عدة مرات متتالية! وقام أحد كبراء جنرالاته من القساوسة العاملين في التوجيه بالنيل من الإسلام ومن رسول الإسلام ﷺ بأسلوب يتماشى مع حقارة ذلك الجنرال الملعون، والشواهد تحتاج كتابا مفردا، وهي مشتهرة..

وهكذا سيطر اليهود على الإدارة الحالية سيطرة تامة، وصار اليهود وأبناء وأزواج اليهوديات وتلاميذهم أغلبية في مجلس الشيوخ، والكونغرس، والحكومة، والمؤسسات... وصارت حربنا مع إسرائيل هي عمليا حرب مع أمريكا، أهلكهم الله.

مرحلة الاستقلال الوهمي للدول العربية والإسلامية (مرحلة الاستعمار الحديث) المرحلة الثانية من الحملات الصليبية الثانية:

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الاستقلال التدريجي الوهمي للدول العربية والإسلامية ولكن بعد أن تمكن الاستعمار من وضع أسس المرحلة التالية من **الحملة الصليبية الثانية** بأسلوب ماكر خبيث وهو ما عرف باسم الاستعمار الحديث لتتابع الحملات فتكها بكافة بلاد العالم الإسلامي بشكل أذكى وأدهى، فبدأ إعلان استقلال الدول العربية والإسلامية منذ مطلع الأربعينات وكان آخرها دولة الإمارات العربية المتحدة، التي أعلن (استقلالها!!) سنة ١٩٧١م، أما الممالك الإسلامية التي احتلها الروس فلم ينفك عن الإحتلال المباشر إلا بعضها عند تفكك الاتحاد السوفييتي.

هذه المرحلة، استكمالا لما قرروه المستعمر من الغزو الفكري للمسلمين من أجل إحكام السيطرة عليهم.

حيث أنشأ المستعمر على عينه نخبا سياسية في بلادنا وأهلها لتحل محله ولا يتحمل خسائر المواجهة مع المقاومة، لأن هذه النخبة الوطنية تبدو أمام شعوبها راعية الاستقلال.

كما وضع المستعمر لكل بلد شكل من السلطة تناسبه إما أسرا حاكمة تتوارث الملك ولاسيما في مناطق الثروات الطبيعية، خاصة مناطق النفط كما في بلاد جزيرة العرب والأردن والمغرب بكفالته وإشرافه، وإما أحزابا سياسية تتداول السلطة عبر حياة نيابية مسرحية كما في الهند وباكستان وبعض الدول العربية، في حين اختار طريقة الانقلابات والدكتاتوريات العسكرية ولاسيما في مناطق الحركة والنشاط والوعي والثقافة كما في بلاد مصر وسوريا والعراق.

كما دخلت كثير من الأنظمة المصطنعة حروبا إقليمية فيما بينها، ولم يحل الدين الواحد، ولا حتى روابط القومية بين الحكام وبين قيام تلك الحروب، فحرب بين إيران والعراق، وبين العراق والكويت، وبين اليمن والسعودية، وبين السعودية ومصر، وحروب بين ليبيا وتشاد وبين الجزائر والمغرب، وبين سوريا والأردن وبين سوريا وقوى متعددة في لبنان، ونزاعات حدودية بين إمارات الخليج، بين السعودية وقطر، وبين قطر والبحرين، وقتال ضار بين النظام الأردني والفلسطينيين، وبين النظام السوري والفلسطينيين، وبين القوى اللبنانية المختلفة والفلسطينيين، وتهديدات كادت تشعل الحرب بين سوريا وتركيا، وبين سوريا والعراق، وبين السودان واريتريا، وبينها وبين تشاد، إلى آخر تلك الصراعات والحروب التي أهلكت مئات آلاف الأرواح وأفقرت البلاد والعباد ولم يكن منها صراع واحد يمكن اعتباره على حق وباطل، أو أن فيه رائحة من دواعي

القتال الشرعي، وإنما قتال على نزوات الملوك والحكام، لتكون العزة لفلان أو لعلان، من الجرابيع الحاكمة في بلاد المسلمين.

وفي ظل هذه الأوضاع طمع الأعداء فينا، فاحتل اليهود ثلثي فلسطين سنة ١٩٤٨، بخيانة قيادات الجيوش العربية السبعة، ثم احتل سنة ١٩٦٧ ما تبقى من فلسطين والقدس الشرقية والمسجد الأقصى المبارك، بالإضافة إلى أراض من سوريا ومصر ولبنان والأردن تزيد مساحتها على ٥ أضعاف مساحة فلسطين، كل ذلك بسبب خيانة الأنظمة في كل من سوريا البعث والنصيرية، ومصر عبد الناصر والقومية العربية، ونظام الماسوني العريق الملك حسين في الأردن، وفي سنة ١٩٧٣ حول النظام النصيري في سوريا، ونظام الخائن أنور السادات النصر العربي اليتيم الوحيد ضد اليهود إلى هزيمة عسكرية ثم سياسية، في حرب رمضان الشهيرة بعد عبور القوات المصرية التاريخي لقناة السويس تحت صيحات الله أكبر، والزحف الرائع للقوات السورية التي وصلت بحيرة طبريا وأنزلت قواتها في مرتفعات الجولان..

ومنذ الاتفاقات الخيانية للرئيس السادات سنة ١٩٨٠ ثم اتفاقيات فصل القوات بين سوريا الأسد النصيري وإسرائيل، ثم ما تلا ذلك من الخيانات التي تولى كبرها ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ثم ما سمي بالسلطة الوطنية الفلسطينية، خسر العرب كل شيء بما فيها أرضهم ومقدساتهم بل وكرامتهم، أمام إسرائيل المدعومة من أمريكا وأوربا، وأما في العالم الإسلامي فقد قضمت قوى الكفر المختلفة كثيرا من بقاعه واحتلتها، فاحتلت الهند كشمير، واحتفظت روسيا القفقاس والجمهوريات وسط آسيا، وفقد المسلمون استقلالهم وأكثر بلادهم في دول أوربا الشرقية، وكذلك في العديد من الدول الأفريقية وجنوب شرق آسيا..

كما ربط المستعمر هذه الأنظمة التي صممها ورسم حدود بلادها بأساليب عديدة من أهمها إقامة القواعد العسكرية بحيث يستطيع نشرها وإعادة السيطرة متى شاء ومن أجل استخدامها في صراعاته الدولية، كما ربط تلك الأنظمة والبلاد (المستقلة!) بالمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والأمنية بطريقة تضمن له تبعيتها أكثر من فترة الاستعمار العسكري.

وصار لكل حكومة منذ ذاك الوقت وزراء أوقافها ومراجع إفتاء تنافق لها، ومما نذكره في سوريا أن (أحمد كفتارو) وزير الأوقاف وطيلة حكم النصيرية في سوريا منذ ١٩٧٠م (أي طيلة عهد حافظ أسد وابنه بشار)، كان سنة ١٩٥٤ يقود الحملة الانتخابية (لخالد بكداش) مؤسس الحزب الشيوعي السوري واللبناني، الذي أدخل الإلحاد والشيوعية إلى بلاد الشام، فقد قاد حملته الانتخابية في المساجد! في مواجهة الحملة الانتخابية للإخوان المسلمين ومرشحها الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، فقد كان يخطب اثر صلاة الجمعة في المسجد الأموي ليثني على خالد بكداش الذي يصلي سنة الجمعة البعدية ثمان ركعات! فيما ينتظر الناس

والشيخ فراغه من النوافل حتى يبدؤوا الحملة الانتخابية، فتأمل!! وهكذا كان لحزب البعث علماء سلطة في سوريا حتى وقف الشيخ الدكتور العلامة (سعيد رمضان البوطي) في محاضرة في استانبول في تركيا يقول لما سألوه عن مذبحة حماة التي راح ضحيتها زهاء ٥٠ ألف مسلم من الشعب المسلم السني على أيدي الجيش النصيري وقائده حافظ أسد، قال البوطي: لقد تترس بهم المجرمون (يقصد المجاهدين لما انتفضت المدينة مع المجاهدين) فحل لولي الأمر أن يقتلهم)! ومشاهد البوطي كثيرة يطول ذكرها هنا حتى كان آخرها أنه أم صلاة الجنازة عند موت حافظ أسد وخنقته الدموع وهو يدعو رافعا صوته لينقل التلفزيون الرسمي دعاءه (الجهري!) في صلاة الجنازة فقال: (اللهم إنا – أي هو ومن يصلي خلفه من الإستخبارات وكبار النصيرية والبعثيين – أنه - أي حافظ اسد- قد لقيك يشهد أن لا إله إلا أنت وان محمدا عبدك ورسولك اللهم اجمعنا (أي الحفل الكريم وإمامهم البوطي) معه في الفردوس الأعلى!!!!!!!! وللبوطي هذا صولات وجولات في دعم الحكومات اللبنانية (النصرانية) والأردنية (الماسونية) وبعض حكام دول الخليج، وكان له مقام رفيع عند الملك الحسن الثاني في المغرب، وكتاب البوطي العجيب (الجهاد كيف نمارسه وكيف نفهمه) الذي توصل فيه إلى أن المجاهدين للحكام في هذا الزمان ليسوا شهداء حق ولا بغاة حتى!! وإنما مفسدون في الأرض حكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض! وكان من آخر مآثره وقوفه بشراسة مع حكومة الجزائر ضد الانتفاضة الجهادية الرائدة في الجزائر قبل أن تستولي الاستخبارات على قيادتها وتصبغها بالتكفير! ولم يعجبه ولا حتى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فحمل عليها واعتبرها خارجة على الحكومة الشرعية!!.

وفي مصر كان لعبد الناصر بعض شيوخ الأزهر الذين أفتوه بقتل سيد قطب وإخوانه وبعدم جواز توبتهم بعد أن قدر عليهم، وكان للسادات من بعده في مصر فقهاء للتطبيع والسلام مع اليهود مثل الشيخ الشعراوي الذي كتب القصائد في مدح فاروق ثم كتب الشعر في الثناء على انقلاب عبد الناصر ضد الملك فاروق! ثم ألَّه السادات وكان هو الذي رد على من عارض السادات بعد زيارته الخيانية للقدس بقوله بأن الرئيس هو بمنزلة من لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون!! فأنزله منزلة الرب سبحانه وتعالى عما يجحد الجاحدون! ثم نافق الشعراوي لمبارك وهو الذي قرأ البيان الذي وقع عليه ستة من العلماء منهم شيخ الأزهر ومفتي الدولة ووزير الأوقاف والشيخ محمد الغزالي والشيخ القرضاوي وجاء فيه أن ما يجري من أعمال عنف ضد الحكومة ليس جهادا وإنما إرهابا محرما وقالوا بالحرف: (ذلك بأننا لا نعلم بأن حكام مصر قد ردوا لله حكما)! وكان ذلك في عهد حسني مبارك الذي ورث العرش الفرعوني فورث معه من ضل من سحرة مصر وكهانها، فلم يرو أنه رد لله حكما في (مصر)! البلد المسلم الذي تدفع فيه العاهرات ضريبة الدخل بموجب

القانون لوزارة المالية باعتبارهن من مرافق السياحة!!وأما سلسلة الطنطاويات من فتاوى شيخ الأزهر الأخير (سيد طنطاوي) فأشهر من أتذكر وأكثر من أن تحضر، وكان آخرها دعمه لفرنسا في منع المسلمات من لبس الحجاب..!

كما كان لآل سعود في السعودية هيئة كبار العلماء والدعوة والإرشاد، والقضاء الأعلى وغيرها من المؤسسات الدينية الرسمية التي كان لها مآثرها منذ أسسها الملك فيصل، وقل مثل ذلك عن علماء المغرب الأقصى الذين يركعون ويسجدون للملك ويتعذرون بدعوى سجود الملائكة لآدم وأنه سجود شكر وليس سجود عبادة وكيف لا يسجدون كما سجد الملائكة لآدم والملائكة خير منهم والملك من أولاد آدم - على الأرجح!

ولا ننسى شهادة أبو شقرة العالم (السلفي) في الأردن، الذي قال أنه نظر في حال الأمة فوجد أن مجدد القرن الخامس عشر الهجري هو جلالة الملك الحسين المعظم حفظه الله، ولا ندري كيف حل الإشكال مع علماء السعودية الذين عقدوا مؤتمرا في الذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز الرياض مع أعوان الإنكليز ووجدوا أن المجدد هو الملك عبد العزيز آل سعود! وهكذا قل مثل ذلك عن كافة الدول العربية والإسلامية وموقف علماء السلطان مع ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وعن تسويغهم لحكمهم بغير ما أنزل الله وما يسومون الناس به من العذاب والمكوس وصولا إلى موالاتهم لليهود والنصارى..

آلية تولي السلطة[1]:

السلطة في المجتمعات البشرية نوعان: (سلطة ثابتة – وسلطة متغيرة)، ويمكن التعبير عن السلطة الثابتة بمراكز القوة على الأرض، وهي ما تثمل النظام في الشكل الحديث للدولة، وسميناها ثابتة لأنها لا تتغير بمجرد تغيير رأس النظام، فقد يموت رأس النظام وينخلع أو يتنحى وتظل هذه السلطة قائمة ومتحكمة في الأوضاع، فرأس النظام سلطة متغيرة ولا يكتسب سلطته إلا من خلال اعتراف مراكز القوة به.

فالجيش والقضاء والشركات الرأسمالية والإعلام يمثلون سلطة ثابتة في هذه المجتمعات مهما تغيرت الوجوه السياسية.

والسلطة الثابتة تفرزها الأحداث والمواقف المتتالية، فهي تتكون عبر الوقت لتصبح مراكز قوة في المجتمع، ولا تأتي بالاختيار والانتخاب السريع، بل عملية (الاختيار) لا يمكن أن تتم أصلا بدون وجود سلطة ثابتة تنظم هذا الاختيار، كما حصل في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، فقد تمت كل العمليات الانتخابية تحت مظلة السلطة الثابتة (العسكر)، وبمعاونة (القضاء) أحد أذرع هذه السلطة الثابتة في مصر.

---

(١) انظر كتاب «معركة الأحرار» لأحمد سمير ص٦٥.

إن السلطة الثابتة في بلادنا هم ضمانة الحفاظ على مصالح أمريكا وقواعد النظام العالمي، وهم من تسمح أمريكا ببقائهم، وتقويهم وتمدهم بالسلاح والمعلومات وسائر الدعم السياسي، والاقتصادي، ولا يمكن للسلطة المتغيرة ما دامت قد قبلت المجيء تحت سيطرتهم أن تخرج عن هذا الإطار التي ترسمه وتحميه تلك السلطة الثابتة.

والآن نجد أنفسنا أمام سؤال مهم: في حالة وجود السلطة الثابتة في يد مراكز قوة فاسدة مفسدة مجرمة ليست منا وولاؤها لأعدائنا كما هو الحال الآن، فما العمل إذن؟

في هذه الحالة لا يوجد إلا حل واحد فقط وهو نزع تلك السلطة من أيديهم نزعا، وتجريدهم منها تماما، وأما المجيء تحت سيادتهم وإشرافهم وشرعيتهم، فهذا اعتراف بهم، ولا ينزع عنهم صفة أهل الجل والعقد، بل سيظلون هم الحكام، وهو ما يعني أنك ستظل تدور في حلقة مفرغة يتلاعب بك فيها (أهل الحل والعقد) الفاسدون

ولهذا نقول في واقعنا (الثورة قبل السلطة)، والثورات الناجحة هي تلك الثورات التي تفرز سلطة ثابتة جديدة تمثل قيم الثورة ومنهجها وأفكارها.

وإن عملية انتزاع السلطة من مراكز القوة القديمة تتطلب حتما قوة، ولا يمكن تحقيقها بمجرد الهتاف والاعتصام السلمي.

وبذلك تفهم أن المعركة كلها تكمن في انتزاع السلطة الثابتة وتكوين سلطة جديدة في المجتمع، وهي عملية طويلة تحتاج إلى صبر ومصابرة، وتحتاج إلى فكر ورؤية ونشر وعي، كما تحتاج على قوة وحسم وحزم ومواجهة، فهي عملية بناء مجتمعي، وعملية تغيير فكري للمجتمع، وهذه إحدى وظائف الثورة الأساسية.

فإذا تمت عملية التغيير المجتمعي تلك، وتشكلت كذلك السلطة الثابتة المستقيمة، سواء كانت في صورة أشخاص أو هيئات تمَّ تأسيسها، فقد نجحت ثورتك، وقد ضمن حينها استقامة السلطة المتغيرة.

درب طويل ليس بالسهل أي نعم، لكن لا درب غيره!

حال المرجعيات الإسلامية خلال مرحلة الاستقلال الوهمي (الاستعمار الحديث):

عمل المستعمر نتيجة دراسة متعمقة لشعوبنا ومكوناتها الدينية والاجتماعية والحضارية عموما على تحطيم المرجعيات الثلاثة:

فأما المرجعية السياسية:

سلمها المستعمر إلى من نصبهم من الطواغيت وهكذا دمرت المرجعية السياسية للمسلمين وغابت نهائيا.

وأما المرجعية الدينية:

في الحقيقة كانت المرجعيات الدينية ومنذ المرحلة العثمانية تسير نحو التخلف والبدع والخنوع. والبعد عن المنهج العلمي الشرعي والاجتهاد. مما سهل على المستعمر والحكومات عزلها وتفكيكها مع الوقت. بل

استطاع المستعمر أيام الاستعمار أن يستميل كثيرا منها إلى صفه ويكون طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السلطان وتجاوزها في الأثر والضرر على الأمة.

أما على صعيد المرجعية الاجتماعية:

تم تفكيكها مع قيام الدول الحديثة والمدن الكبرى وهجرة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر، مما أدى لتحلل القبائل وضعفت الروابط العشائرية وعجزت عن لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السياسية، وقد تفاوت هذا التحلل من بلد لآخر، ففي حين ما تزال القبلية مسيطرة قوية في بعض البلدان مثل أفغانستان واليمن وبعض أطراف جزيرة العرب وإفريقيا.

لكن بشكل عام غاب أثر هذه المرجعية تماما وزال في معظم باقي الدول نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة.

وهكذا قامت أنظمة الردة في العالم العربي والإسلامي لتتولى حكم شعوبها بالحديد والنار وتقوم بكافة مهام الاستعمار لصالحه من أجل الحفاظ على عروشها.

فمن الذي واجه مصائب هذه المرحلة الماكرة من الحملات الصليبية الثانية بإدارة نوابها من الحكام المرتدين؟ لاسيما بعد تحطم الهياكل الأساسية لمرجعيات الأمة وانهيار مقومات الصمود والمقاومة فيها؟!

لقد قامت بعض الأحزاب المعارضة لأنظمة الحكم هذه، بمناوأة الإستعمار في أهدافه السياسية والاقتصادية، ولكن معظم تلك الأحزاب قامت أيضا على نفس الأفكار الوافدة من الغرب، وتبنى معظمها في العالم العربي والإسلامي الإيديولوجيات القومية اليسارية أو الليبرالية الديمقراطية، ولأن هذه المعارضات هي أيضا صنائع إستعمارية من الناحية الفكرية، أمكن للمستعمر أن يستعملها ويوظفها أو يقضي عليها، أو يعطيها فرصة استلام السلطة للانقلاب على الحكم القائم واستبداله بحكم جديد من تلك الأحزاب العلمانية والمعارضات السياسية، كما حصل في سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر والباكستان والجزائر والعراق واليمن وليبيا، وفي كثير من البلاد الإفريقية أو في جنوب شرق آسيا، وفسح الاستعمار المجال لشيء من التبادل الديمقراطي للسلطة في بعض البلاد، فحلت أحزاب المعارضات محل أحزاب الحكومات بالتداول، ولكن الحال العام ومقومات الارتباط بالاستعمار لم تختلف في شيء يذكر، في حين حافظ الإستعمار الحديث على قبضته بالاستغلال الاقتصادي وامتصاص الثروات وعلى سيطرته على مركز الإشعاع الصليبي والفكري الغربي عبر حكومات بالية حفظ لها شكلها الخارجي وحكم كل شيء من خلالها، ولم يسمح لأي شكل من أشكال التداول الحقيقي للديمقراطية التي طبقت في بلاده.

لقد شهد العالم العربي والإسلامي خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات تنامي المد القومي واليساري إلى أقصى حالاته، حيث وصل للسلطة في العديد من البلدان، فأدخل البلاد حيث وصل

في حالة من التبعية للاتحاد السوفييتي مع شيء من الموازنة مع المصالح والارتباطات مع الغرب كما حصل في مصر والجزائر وسوريا واليمن الجنوبي والصومال وغيرها، وشهدت مرحلة الحرب الباردة والصراع بين القطبين حالة انعكست على بلادنا بالاضطراب السياسي نتيجة تبعية الأحزاب القومية والوطنية واليسارية وكذلك الليبرالية بحسب تبعيتها للشرق أو للغرب، بحسب صراع تلك البيادق على السلطة والنفوذ والعمالة للجهات الخارجية التي تمدها بالدعم المادي أو المعنوي والسياسي من أجل الوصول لسلطة.

وهكذا عانت الشعوب الإسلامية من كافة تلك الخيارات التي سمح لها الشرق أو الغرب الصليبي بالتنافس، في حين حكمت جميعها بأمر من أسيادها على التوجهات الإسلامية بالإقصاء ومنعتها من أن تشكل مرجعية دينية تنهض بالأمة إلى مستوى مواجهة الانهيار الذي غدا شاملا في كل مناحي الحياة..

وخلال هذه الفترة تمددت إسرائيل لتلتهم باقي فلسطين والشطر المتبقي من القدس بل ولتحتل أجزاء من الدول العربية المجاورة تزيد مساحتها على ستة أضعاف مساحة فلسطين عبر حروب مسرحية كان أهمها نكسة (٥ يونيو حزيران ١٩٦٧)، حيث أصبحت إسرائيل بعدها واقعا مريرا يستنزف مقدرات الأمة ويمرغ كبرياءها ويرهق واقعها السياسي ويوفر لفراعنتها مادة المزايدات على شعوبها.

ولأن الله تعالى قد قضى بحفظ دينه وكتابه وبقاء طائفة ظاهرة على الحق في هذه الأمة تقاتل على هذا الدين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها وهم على ذلك، نشأ في هذه الأمة ومنذ الأيام الأولى لسقوط الخلافة، بذور الصحوة الإسلامية والنهضة المباركة في هذه الأمة على شكل مدارس متنوعة المناهج والمشارب، ولكنها تسعى لهدف واحد هو إعادة الأمة إلى دينها وشريعتها وحكم ربها.

فقد انتشرت ظاهرة الصحوة الإسلامية بأشكال شتى، فكان أبرزها ما قام على شكل أحزاب سياسية دخلت المعترك السياسي سعيا إلى السلطة من أجل تطبيق الشريعة، وقام بعضها على شكل مدارس فكرية عقدية أو شكل جمعيات أو جماعات إصلاحية تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع كي يتأهل لحكم الشريعة، في حين قامت في أماكن أخرى على شكل أئمة وخطباء شعبيين وعلماء عامة ودعاة إصلاح، ووصلت في بعض الأحيان لتأخذ شكل المواجهات المسلحة مع الحكومات المرتدة، وكان لهذه الظاهرة إنتاجها الأدبي وكتابها ومفكروها ورموزها، وانعكس الصراع الحضاري على كثير من شرائح المجتمع بالرغبة بالتدين وانتشرت مظاهر الحجاب واللحى وانتشر الكتاب الإسلامي وبعض العادات والأعراف الدينية التي بدأت تغزو كافة المجتمعات العربية والإسلامية.

وأحس الغرب الصليبي والشرق الملحد الداعم لأنظمة الحكم المختلفة بالخطر، ودق ناقوسه وأوعز للحكومات بدء حملات المواجهة والتصفية لهذه البذرة الحية الناشئة، لقطع جذورها قبل أن يسمق جذعها وتورق أغصانها وتوتي أكلها، وهكذا تحول الصدام في الأمة من كونه مع الإستعمار مباشرة ليصبح صداما بين أفراد وجماعات الصحوة وبين الحكومات المرتدة صنيعة الاستعمار واتخذ هذا الصدام أشكالا عديدة

من القمع والسجون وحل الأحزاب وإغلاق الصحف والجمعيات، ووصل في بعض الأحيان إلى مواجهات مسلحة عنيفة.

وخلال الفترة الممتدة من بدايات الاستقلال وإلى قيام النظام العالمي الجديد وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بزعامة أمريكا، كانت بلاد العالم الإسلامي جميعها تقريبا ميدانا مختلف السخونة والغليان لهذا الصراع الذي صارت معادلته بعد دخول طرف جديد فيها على الشكل التالي:

معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الثانية (المرحلة الثانية) مرحلة الاستعمار الحديث:

أمة الصليب + أمة اليهود + طائفة (حكام) الردة × الصحوة الإسلامية ← هزمت الصحوة الإسلامية وخرجت الأمة من المعركة

والملاحظ على هذه المعادلة أمور في غاية الأهمية وهي:

أولا: اختفاء دور الصليبيين واليهود في المواجهة المعلنة ليصبح إدارة ودعما من وراء الستار وتصدرت طائفة الردة بقيادة الحكام من أوليائهم مهمة المواجهة.

ثانيا: خروج الأمة وشعوبها من المواجهة لعدم ظهور العدو الحقيقي وأخذ الصراع شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين.

ثالثا: وقوع مهمة المواجهة مع هذه القوى الجبارة على عاتق الصحوة الإسلامية التي لم تكن تشكل إلى قوى جزئية تعد بالعشرات أو المئات أو الآلاف على أحسن الأحوال بحسب كل بلد مما أدى إلى سحقها أو إخراجها عن مسارها وإفشالها في تحقيق أهدافها.

رابعا: برز الدور الهام في هذه المرحلة من الصراع للمؤسسة الدينية الرسمية وكتيبة علماء السلطان لتؤكد وتساعد على خروج الأمة من المعركة وانحصارها في الفئات القليلة للظاهرين على الحق، حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشرعية والشهادة بالإسلام والإيمان على الحكام المرتدين وأضفت عليهم لقب (أولياء أمور شرعيين) وبالتالي أكدت القناعة لدى العامة بأن الخروج عليهم حرام وأن مواجهتهم فتنة وأن علاقتهم بالغرب وما يبرمون من المعاهدات الاستعمارية هي ضمن صلاحياتهم بصفتهم أئمة شرعيون، وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه.

وهكذا تصاعدت وتيرة الصدام بين تلك الحكومات والصحوة الإسلامية بمختلف مدارسها ولاسيما المدرسة الجهادية المسلحة منذ أواسط الستينات، ولكن الذي حصل في نهاية هذا الصراع أنه لم يأتي عام ١٩٩٠ إلا وقد دحر نواب الاستعمار وطلائع الصليبيين من حكامنا المرتدين قوى الصحوة بمساعدة أسيادهم المستعمرين وبدعم استراتيجي من أجهزتهم الدينية المنافقة وآلاتهم الإعلامية الرهيبة، حيث استطاعوا دحر مختلف مدارس الصحوة الإسلامية وإيصالها إلى الفشل عمليا ومنعها من تحقيق أهدافها وحشرها في عنق زجاجة الأزمة، في حين وقفت شرائح الأمة من هذه المعركة المصيرية موقف المتفرج بكل بلادة تتجرع القهر وتتقلب في ألوان الاضطهاد وتعيش نكد العيش.

الصحوة الإسلامية المعاصرة، خلال مرحلة الاستقلال الوهمي (مرحلة التبلور والتمايز لمدارس الصحوة الإسلامية)

لقد أدخل واقع الحكومات الجديد وقيامها على مفاهيم تناقض الدين الصحوة الإسلامية في إشكاليات ومسائل فقهية أوجب عليها أن تحدد موقفاً سياسياً وشرعياً وعملياً منها.

فالحكام مسلمون ظاهراً ويحكمون بغير ما أنزل الله واقعاً وهم وأعوانهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، ويوالون الكفار ضد المسلمين وهناك أجزاء ما تزال محتلة وخاصة فلسطين وموقف الحكومات الخياني منها

هنا تمايزت الصحوة وتبلورت وانقسمت إلى أربعة مدارس بناء على موقفها من هذه المسائل والإشكاليات وهي: (صحوة غير سياسية – صحوة سياسية – صحوة جهادية – صحوة شاذة).

١. **صحوة غير سياسية:**
   - الصوفية.
   - جماعة الدعوة والتبليغ.
   - السلفية العلمية.
   - القطبية (محمد قطب).
   - المدارس الإصلاحية التربوية.

٢. **صحوة سياسية:**

حمل راية هذه الصحوة الإخوان المسلمين قالوا: أن مشاكل الأمة الداخلية والخارجية هي مشاكل سياسية ولابد من ممارسة السياسة لحل هذه المشاكل من خلال القنوات المشروعة والقانونية التي

تتيحها السلطات عن طريق تشكيل الأحزاب الإسلامية والجمعيات السياسية وعن طريق النشاط الفكري والأدبي والسياسي ودخول معترك الانتخابات والديمقراطية والتسلل إلى أجهزة السلطات والمعارضات بحسب الإمكان وبحسب أوضاع كل بلد لقد قامت تجارب كثير في مجال الديمقراطية ولكن تم في كل الحالات تقليم أظافرها وإبعادها عن مركز النفوذ والقرار

٣. **صحوة جهادية:**

أصحاب هذه الصحوة رأوا أن الحل بالسلاح، هذا النوع من الأزمات لا يحل إلا بالسلاح، لأن غياب حكم، يعني صراع مع مرتدين، يعني وجود صليبيين، يعني وجود الناتو ووجود جيوش وأساطيل، يعني وجود اليهود، وجيش الدفاع الإسرائيلي، والمُساد، يعني وجود العديد من المصائب. هذه الأزمات لا تحل لا بالتصفية ولا بالتربية.

٤. **صحوة شاذة منحرفة:**

نتيجة صدامات مختلف مدارس الصحوة السابقة مع طواغيت العرب والعجم من حكام بلاد المسلمين ولد في تلك الظروف المأسوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عرف بتيار **التكفير**، أو **التكفير والهجرة** كما أسمته وسائل الإعلام، وقد ولد ابتداء في مصر ولكن وجدت له بذور في كل بيئة شابهت معطياتها الفترة التي ولد بها هناك.

فقد جاهر معظم الحكام بمختلف ألوان الكفر والردة من الحكم والتشريع بغير ما أنزل الله إلى ولاء الكافرين إلى غير ذلك من تبعات ذلك، واتخذ هؤلاء الحكام لهم شرطة وأعوانا وأجهزة استخبارات وأمن وبطش.. وأقامت الحكومات السجون وقاعات التعذيب بلا حسيب ولا رقيب، كما أقام كل حاكم إلى جانبه عكازا من الكهان والسحرة يشهد عليه بمراتب الإسلام والإيمان والإحسان وعلى نظامه بالشرعية، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشرعي من الحقوق، فيما جنحت كثير من رموز الصحوة السياسية وغير السياسية إلى المداهنة والتلعثم في قول الحق، بل وتجرأت على دخول هياكل السلطة وأجهزتها واتسمت الصحوة بالعجز عن مواجهة ذلك الواقع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأمة في حياة استهلاكية لاهية عابثة... وبطبيعة الحال، كان في شباب الصحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة على دين الله بقدر ما توفر له من نصيب من الجهل في علوم الدين وقواعده وضوابطه، ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته.

فنظر واحدهم إلى حاكم كافر، وسجان ينتهك الأعراض ويسفك الدماء ويسب الله ورسوله ودينه بلا حياء ولا وجل فرأى الشباب المعذب أن لا شك في أن هؤلاء كفرة، ولا شك أنه استنتاج صحيح، ثم نظر الشباب إلى علماء منافقين يعلمون كل هذا ويشهدون عليه بالشرعية ويسوغونه، فقالوا لا شك في كفر هؤلاء الذين

كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلا، ثم نظروا إلى قيادات صحوة عاجزة مداهنة منكفئة، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه، وحكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة الصحوة على هذا الضلال بالفسوق والظلم، ولكنهم لم يتجرؤوا، أو لم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر، فحكموا على هذه الأنظمة وأجهزتها بالإسلام وبمجرد الظلم والفسق، فهنا حصلت الصدمة الفكرية في رؤوس بعض الشباب فأعملوا القاعدة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) على كل المستويات، جاهلين أن هذه القاعدة هي في كفر المُجمع على كفره بلا تأويل واستنتاج كاليهود والنصارى والمجوس، فأسقطوها على من لم يكفر أولئك الحكام وتتابعت السلسلة المنكودة، فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر.

ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السجون، ولد فكر التكفير، وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا على حدود التكفير فكفروا بعضهم بعضا، وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التكفير وتوسعهم فيه.

وعلى هامش هذه الأفكار نظر هؤلاء إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر الناس من الرذائل والفساد، فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات، ثم كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها على تربية أنفسهم وأولادهم على الدين والفضيلة فولدت فكرة الهجرة، وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل والحيف الذي وقع عليهم من السلطات وعلمائها، ثم من الصحوة وقيادتها، ثم من الناس والمجتمع، فتفاقمت الظاهرة، واختلفت زوايا الانحراف فيها، واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المسلمين) وكفروا من ورائهم، وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو بعض الخوف من إطلاق حكم التكفير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض، واختلفت الآراء في تفسير نصوص العلماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حينا، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف والتبيُّن)، وشهدت فترة السبعينيات والثمانينيات توفر أسباب النمو لهذه التيارات الشاذة التي آذت الإسلام والمسلمين والصحوة، وآذت نفسها، ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبية التيار الجهادي والصحوة الإسلامية كلها، حيث نسبت الحكومة إلى كل من يريدون تدميره تهمة الانتماء إلى هذا التيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المسلمين صالحهم وفاسدهم.

وهذه خلاصة قصة التكفير في أوساط الصحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي.

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التكفير.

وكدأب الشـيطان دائما، طلب بعض أقطاب هذا التيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التيار أمراؤه وفقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة، وغلب على أتباعه العنف في كل الأحوال، واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء، ثم دماء بعضهم، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجهاد والصحوة ومستقبل الإسلام حيث أرادت.

الصحوة الجهادية (التيار الجهادي) (التنظيمات الجهادية) الجهاديين.

أحكام الشريعة تقرر أن الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم في مثل هذا الواقع اليوم:

يعتقد أصحاب هذا التيار أن هناك هناك أحكام شرعية هامة تتعلق بواقع المسلمين اليوم يجب على علماء الإسلام وقيادات الصحوة والجهاد بيانها للناس.

منها أنَّ(١):

أولاً: بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء، وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع.

ثانياً: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين.

ثالثاً: الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع.

رابعاً: أحكام الشريعة الإسلامية تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.

خامساً: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، حتى ولو كان مسلما.

سادسا: أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.

سابعا: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم.

---

(١) انظر فصل «نظرية المنهج والعقيدة القتالية» فقد تم تفصيل هذه الأحكام.

أدلة العقل والمنطق على أن الجهاد المسلح هو الحل:

كما أن العقل والمنطق والفهم السليم يدل على أن (الجهاد المسلح هو الحل) من أجل وضع حد لأزمات هذا الواقع، ولا نورد الأدلة العقلية والمنطقية على ذلك إلا من باب التأكيد، وإفحام من لا تكفيه الأحكام الشرعية للقناعة – والعياذ بالله – وإلا فالمقرر من أساسيات العقيدة أن لا رأي مع رأي الشرع، ولا اختيار مع اختيار الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]

نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجهاد المسلح اليوم هو الحل الوحيد حقيقة !
إذا لم يكن الحل لمشاكلنا هذه وقد دهمنا العدو، بالمقاومة المسلحة، فبم يكون؟!

- هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا؟!
- أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشرعية؟!
- أم تراه بالسهر على أزرار الكمبيوتر في معارك الإنترنت ومناقشاتها الحامية - الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائيات؟!
- أم تراها بالتصفية والتربية وتزكية النفوس؟! وها هو العدو يصفي مقومات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد على مر الساعات والدقائق!
- أم تراها بالصياح في المظاهرات، وما تجود به الحكومات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشوارع؟!
- أم تراها بالاختراع العظيم الذي توصلت إليه الصحوة، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟ بالاعتراض على الإحتلال وعلى إزهاق الأنفس وعلى نهب الثروات وعلى نهك الأعراض، تحت قبة البرلمان؟!
- أم بـ(الحملة العالمية لمكافحة العدوان)، ببيان أجوف يرسل بالفاكس للفضائيات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المسلمين!!

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين، فدهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب، وبعضهم أثخن الأم بالجراح، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه...

والرجال من أفراد الأسـرة موزعون في بعض الغرف قد شـغل كلا منهم أمره، وقد هب أخوهم الأصـغر يناديهم ليهبوا للدفاع عن الدم المسفوك والعرض المنهوك والمال المنهوب والبيت الذي تنهدم أركانه ولامجيب.

فأحدهم منهمك في قيام الليل يؤدي ورده، ومن شدة خشوعه لم يسمع ما يجري!

والثاني منكب على كتب العلم يفتش عن تحقيق سند لم يتأكد من صحته منذ أيام!! والثالث منهمك في نقاش دعوى مع أحد الجيران يدعوه للصلاح!!!

والرابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر الإنترنت أمام شاشة الكمبيوتر!!!!

والخامس يطبع بعض الدعايات الانتخابية لدعم ترشـيح بعض العلماء والدعاة لانتخابات البرلمان المقبلة.

والشـاب الصـغير يصـيح، وأخته تلطم الخد وتسـتغيث، وبعض الأطفال يرمون اللصـوص المسـلحين بالحجارة وقد شغل إخوانهم بالدعوة وأنواع العمل الإسلامي!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين، فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أخرى..!

فبعضهم يسهر أمام التلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي على قناة فضائية.

وآخر يرتمي ثملا من السكر في إحدى زوايا البيت..!

وثالث منغمس في حديث عاطفي على الموبيل، يرسل رسائل غرامية عبر قناة روتانا!

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم، فبعضـهم في السـهرات والسـمر، وآخرون يقومون الليل على الفواتير والحسـابات التجارية لمبيعات ذلك اليوم، وبعضـهم يحتسـي الشـاي على ناصـية المقهى حتى سـاعة متأخرة من الليل..!

ويهب الشـاب اليافع ليدفع اللصـوص المسـلحين بسـكينه، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء، فهذا مبلغ الجهد أمام اللصـوص المدججين بالسـلاح، فالدفع والموت والشـهادة أرحم من العيش في مثل هذا البيت الذي تشـهد جدرانه على هذا الخزي والعار والصـغار، هذا نموذج أحوال أمتنا اليوم.

فهل يظن الطيبون جزاهم الله خيرا على جهودهم في دعوة الفسـاق إلى الهدى، أنهم قد سـقطت عنهم الفريضـة المتعينة بالدفع؟! أم يظنون أن دعوتهم تلك سـتدفع عدوا غاشـما، أو تقيم شـرعا مغيبا، أو تغير حكومة خائنة كافرة فاجرة؟

أم هل يظنون بأن الحملات الصـليبية إن ضـربت بلادنا، وسـاقت عبيدها من الحكام إلى مزيد من محاربة الدين وإضلال أهله، أنهم سيبقى أمامهم مجال للتبليغ والدعوة وعمارة المساجد؟!.

أم هل يظن الدعاة إلى تصحيح عقائد المسـلمين، أنه سـتبقى لنا عقائد مع غزو الصـليبين لديارنا، ومع استعلاء عملائهم من العلمانيين والمرتدين؟!

وأي عقائد ستبقى لنا بعد أن صارت أمريكا إلها يعبد طوعا وكرها في بلادنا من قبل كثير من المسلمين؟! أي عقائد سـتبقى لأطفالنا وشـبابنا بعد أن صـارت المنظمات الدولية تفرض على بلادنا مناهج التدريس في

كافة المراحل، بل وتتدخل حتى في نصوص خطب الجمعة في مساجدنا؟! أي عقائد بعد أن صاروا يضعون لنا سياسات التعامل مع نسائنا من خلال إلزام حكوماتنا بمعاهدات (حقوق المرأة) بحسب ثقافاتهم الإلحادية الإباحية؟!

أي عقائد ستبقى مع برامج (إعادة صياغة المجتمعات) الخليجية والعربية والإسلامية كما أعلنها الأمريكان؟!.

أم هل يظن الصالحون المواظبون على تزكية أنفسهم، أن الدشوش والفضائيات ستترك من ذريتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السلوك والصلاح في ظل هذه الأحوال الفاجرة؟!

أم هل يعتقد (الديمقراطيون الإسلاميون)، أن في مزيد من التجارب جدوى بعدما حصل في الجزائر وتركيا وتونس؟! وبعدما حصل من إنجازات الإسلاميين في برلمانات مصر والأردن وباكستان ودول الخليج والمغرب وغيرها؟!.

وهل يظنون أن وجودهم كأقليات إسلامية مسحوقة بين الأحزاب العلمانية المعارضة والحاكمة في البرلمان، سيغير مجرى التاريخ الذي تكتبه حراب الصليبيين اليوم؟!

أم يعتقدون بعدما انتشرت مكاتب (CIA) و(FBI) وتدفق مئات آلاف الجنود والجيوش الصليبية في البلاد، وراحت أمريكا تعين من تشاء من الحكام وتعزل من تشاء، أن بإمكانهم تحقيق الأغلبية وإقامة حكم الإسلام، بعدما رأوه من العاصفة التي اجتثت حكومة طالبان وحكومة العراق، وراحت تعلن أنها ستعيد رسم الخريطة السياسية بل والجغرافية في الشرق الأوسط؟!

وصدق الله العظيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج] سبحان الله! حقيقة صار حالنا كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء … إذا احتاج النهار إلى دليل

نحن نعتقد أن تلك الحلول – جزى الله أصحابها خيرا كلا بنيته – لن تحل مشاكلنا اليوم، ونعتقد أن المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة الشاملة هي الحل، وأن بإمكانها – بإذن الله – دحر العدو.

وهناك حقائق واضحة تدعم ما نذهب إليه:

أولاً: إن شعوب الأمة العربية، والإسلامية، قد غسلت أيديها وانقطع رجاؤها من كافة المذاهب والتيارات والفلسفات والأفكار الوافدة والمحلية التي لا تنطلق من الإسلام كحل ممكن لمواجهة هذا الصائل، وحتى الفساق من المسلمين ومن أسرفوا على أنفسهم، ناهيك عن الملتزمين والمتدينين، الجميع يصرحون بجلاء بأنهم مع الجهاد، وأنهم يعتقدون بأنه لن يقوم لهذا العدو الغازي إلا رايات الجهاد تحت شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وحتى التنظيمات العلمانية والشخصيات الوطنية والتيارات القومية في فلسطين كما في كل مكان، بدأت تتأسلم حقيقة، أو زعما، وصارت تتأقلم في إعلامها وشعاراتها مع الإسلام، إما بعودة صادقة إلى جذورها، وإما مجاراة للشارع الإسلامي الذي بدأ يشهد عودة نحو الدين كرد طبيعي على الهجمة الصليبية على أمة الإسلام واستهدافها في عقيدتها ومكوناتها.

وهكذا كان حال أمتنا أيام النوازل عبر تاريخنا كله، بل هذه طبيعة الإنســان أمام الكوارث الكبرى، أن يعود إلى ربه ومعتقده راجيا النصر والنجاة.

بل إن الأمل في الإسلام، والجهاد تحت شعارات الإسلام كحل لمواجهة طغيان أمريكا، قد صار أملا لدى كل أعداء أمريكا من الشعوب المستضعفة، حتى الجماعات اليسارية وجماعات السلام في العالم الصليبي ذاته، والمتابع لكتابات بعض الكتاب الغربيين يجد أن بعضهم قد بدأ يصرح في سياق ما يكتب عن طغيان أمريكا، بأنه لم يعد هناك أمل لمواجهة أمريكا إلا بالمسلحين المسلمين، بل وصل الأمر بإحدى المظاهرات المضادة للعولمة والحرب التي خرج فيها مئات الآلاف في إيطاليا أن ترفع ضمن شعاراتها صورة لـــ (ابن لادن) وقد ألبسوه قبعة (جيفارا) ورسموه بطريقة تشبهه..! وكتبوا تحت صورته شعارات مضادة لأمريكا! وعبروا بذلك عن أن رمز الجهاد الإسلامي المسلح اليوم هو الحل في مواجهة أمريكا!.

فالكل يعلم ويؤمن اليوم أن الحل يجب أن يخرج من جعبة الإسلاميين بالجهاد لمواجهة طغيان النظام العالمي الجديد.

ثانيا: إن جماهير الصحوة الإسلامية وكوادرها والنشطاء فيها، يشكلون اليوم كتلة هائلة على الصعيد العددي في بلاد المسلمين قاطبة وفي كل منها على حدة، ففي كل مؤتمر للتبليغ يجتمع في مساجدهم أحيانا ما يربو على عشرات الآلاف في المدينة الواحدة، بل يبلغ حشدهم السنوي من مختلف دول العالم في باكستان ما يزيد على ما يجتمع في مكة للحج، أكثر من مليوني مسلم.

وأما السلفيون وأتباع مدرســة أهل الحديث وجماعاتهم وتلاميذ مدرستهم، فالمتابع لمواقعم على الإنترنت وصحفهم ونشــاطاتهم في البلاد العربية والإســلامية يجد أنهم اليوم - تبارك الله – يعدون بمئات الآلاف إن لم يكن بالملايين، ناهيك عن من يرتاد مساجدهم من العامة.

وأما الإخوان المسلمون وفروعهم والجماعات الإسلامية المنبثقة عنهم والحاملة لفكرهم تحت مختلف المسميات فما تزال الشريحة الأساسية عددا وحضورا في الصحوة في أكثر بلاد العالم العربي والإسلامي، فهم يُعدون بالملايين أيضا، فضلا عن عشرات الملايين من أنصارهم والمصوتون لهم في الإنتخابات.

هذا ناهيك عن الجماعات الصــوفية وأتباعها ومشــايخها ومريديها، فضــلا عن مئات الجماعات والأحزاب والكتل الإسلامية المختلفة التي تدخل بمجموعها تحت مسمى (الصحوة الإسلامية) والتي تشكل بلا مبالغة على كتلة بشرية ضخمة في العالم الإسلامي، فإذا ما أضفنا إليهم المتعاطفون معهم ومع عموميات شــعار الإســلام لوجدنا أننا أمام جموع غفيرة هائلة قد نما في قلبها اليوم التطلع إلى مواجهة أمريكا واليهود وحلفائهم الصــليبيين تحت شــعار الجهاد والإســلام، ولكنها ما تزال كتلة غثائية لا قيمة لها لأنها تفتقر إلى ثلاثة أشياء:

- منهج الاعتقاد والعقيدة القتالية الجهادية.
- برامج العمل الجاد المباشر.
- القدوة الميدانية من قيادات تلك الصحوة ورموزها الجهادية في كل بلد إسلامي.

وكل متبصـــر يدرك اليوم، أن مشـــكلة هذه الأمة، هي في أن أكثر علمائها قد نكصـــوا على أعقابهم بين خائن وعاجز، وأن عموم قيادات الصحوة فيها قد اختاروا الاستراحة وقد انعقدت غبار الحرب يبحثون عن حلول وسـط مع الجاهلية على قارعة منتصـف الطريق.. إنه الوهن: «حبُّ الدّنيا وكَرَاهيَة المَوتِ» ، وصـدق الصادق الأمين.

ثالثا: لقد أثبتت تجارب الشـعوب الإسـلامية وغير الإسـلامية منذ مرحلة الاسـتعمار وإلى اليوم، قدرة الشعوب التي أخذت بمنهج المقاومة الشعبية على إرهاق المستعمرين وإجبارهم على الرحيل.

هذا في وقت كان الزخم الحضـــاري لـذلـك الاســـتعمار الأوروبي والأمريكي والروســـي هـائلا، وفي أوج عنفوانه، وكان بمقدوره الاسـتمرار وتحمل ضـربات المقاومة، ومع ذلك أسـفرت كل تلك المقاومات عن دحر المستعمرين وهزيمتهم في كل مكان.

وفي عالمنا العربي والإسلامي من ذلك الملف تجارب رائدة، في المغرب، والجزائر واليمن، والعراق، ومصر، والشام، وأفغانستان والقفقاس والهند وإندونيسيا وغيرها..

وفي تجاربنا المعاصـــرة كذلك، نجد في ملفنا انتصـــارات الجهاد المجيدة في البوســـنة والشـــيشـــان وأفغانســـتان، ما يثبت القدرة على الانتصـــار ودحر العدو، وأما اليوم ونحن نخوض الحرب ضـــد أمريكا، فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصـــدع والإنهيار والســـقوط فيها من جراء عملية واحدة فقط في أحداث الحادي عشـــر من ســـبتمبر، وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في العراق وأفغانســـتان أخيرا، ومن قبلها في الصـــومال وفي حرب عاصـــفة الصـــحراء، أن الأمريكان عاجزون عن الحضـــور والمواجهة على الأرض، إلا باستخدام عملائهم المرتدين من أبناء جلدتنا، وأن أمجادهم محصورة في نشـر الخراب والموت والدمار فوق رؤوس المدنيين من الجو فقط، فكيف لو واجهت أمريكا مقاومة إســـلامية عـالمية شـــاملة في كافة بلاد المسلمين، بل وفي كافة بلاد الدنيا، وفي عقر دارها؟ ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار؟.

وأما عن حلفائها الأوروبيين في الناتو فهم أضعـف منها وأهزل عسـكريا واقتصـاديا واجتماعيا، والحلف بينهم متصدع أصلا.

فالحضـارة الغربية عامة والأمريكية خاصـة، حضـارة هشـة عجوز، تعصـف بها الأمراض السـياسـية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، إلى حد يعجب معه المرء كيف استطاعت أن تحيط بنا وتسعى لإعادة اســـتعمارنا، وما ذلك إلا لأن أمتنا قد بلغت بســـبب بعدها عن شـــريعة الله، حدا من الوهن جعلها قصـــعة لأولئك الطامعين رغم هزالهم!.

فالمقاومة المسـلحة مفروضـة شـرعا وواقعا، وهي ممكنة ومضـمونة النتائج بإذن الله، بأدلة الشـريعة وشـواهد الواقع والتاريخ، ولكنها تحتاج أن تشـارك بها جماهير المسـلمين عامة، وأن تقودها صـحوة إسـلامية يقودها علماء وقادة قدوة رواد، مقاومة تنهض بها أمة بكاملها، وليس عشرات الفدائيين المخلصين.

[نحتاج مقاومة تكون نهج ومعركة أمة، وليست طريق وتضحيات نخبة فقط].

وأما انتظار الحلول لأزمات هذا الواقع، من خلال الطرق المطروحة اليوم في سوق الصحوة، عبر مدارسها كلها، من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية مرروا بتجارب الأحزاب السياسية الإسلامية وبطروحات الإصلاح والتربية، فيكفي في استعراض نتيجة تجاربها، وحصاد عطائها عبر أكثر من سبعين سنة حتى الآن أن نستنتج أنها طرق وحلول قد بلغت حد الإفلاس، ولم تقدم حلا لما نحن فيه، بل لم تصل إلى نتائجها وأهدافها الذاتية.

فلا مدارس التربية والتصفية والإصلاح والسلوك، لا الصوفية منها ولا السلفية ولا التبليغية، تمكنت من إصلاح أفراد المجتمعات، والفساد اليوم عارم، والفسوق منتشر، والعقائد مهزوزة، والأحوال أسوأ اليوم من حالها يوم انطلقت تلك المدارس بكثير.

ولم تستطع الأحزاب الإسلامية السياسية التي قصدت الوصول إلى السلطة من أجل إقامة حكم الشريعة أن تصل إلا إلى السجون والمعتقلات، ثم إلى نقض المناهج التي أرساها المؤسسون الأوائل رحمهم الله، ثم وصلت إلى الارتماء على أعتاب السلطات الغاشمة في أدوار سياسية هامشية مخجلة، هذا ناهيك عن المتاهة التي أضاعت فيها أسس عقيدة التوحيد بدعوى المصلحة والتدرج.

والحل واضح عقلا ومنطقا كما هو ثابت دينا وشرعا:

يجب أن يقام شرع الله على أنقاض الجاهلية والردة الحاكمة، وعلى فلول جحافل المستعمرين الغزاة،

وعندما يقوم حكم الله، يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه.

ولم يقم في تاريخ البشرية حكم، ولم تؤسس دولة، ولا نهضت حضارة قديمة ولا حديثة، إلا على أسنة الحراب، وتحت ظلال السيوف، وفي تجارب المؤمنين والكافرين على حد سواء عبر التاريخ أكبر برهان، ومن فاتته هذه الحقيقة فليقرأ التاريخ، فإن لم يبصرها ويفهمها فليراجع عقله، وهذه دولة إسرائيل وحضارة أوروبا الغربية المعاصرة وأمجاد أمريكا اليوم آخر الأدلة على قيام الدول ونشوء الحضارات.

والخلاصة:

إن حكم الشريعة ومقتضى أحكام دين الله في واقع المسلمين اليوم وأزماته الشرعية والدنيوية، تفيد أن الجهاد هو الحل، وأن سبيله الوحيد في قيام المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة، وفي المواجهة الشاملة مع أعدائنا المحتلين وحلفائهم المرتدين والمنافقين.

ليس من حل إلا في دروب الشهادة، في أن يطلب شباب هذه الأمة الموت كي توهب لهم ولأمتهم الحياة، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة]

وعندها فقط ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم].

وعندها ترى ﴿النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر].

وعندها تقام الصلاة ويحكم العدل ويؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتصح العقائد ويتهذب السلوك، لأن أولياء الله قد مكنوا في الأرض وأقاموا شرعه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج].

تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مجالات جهادها:

١. التيار الجهادي: أو(الجماعات أو التنظيمات الجهادية): أو(الجهاديين):

وهي الجماعات الأفراد الذين تبنوا فكرة جهاد الحكومات الطاغوتية المرتدة القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي، من أجل إسقاطها وإقامة حكم شريعة الله على أنقاضها، أو دفعا لظلمها الواقع على المسلمين، بناء على فكر جهادي سياسي شرعي محدد.

وقد يشارك أفراد هذه المنظمات والجماعات بشكل جماعي أو فردي، في أنواع أخرى من الجهاد كدفع الصائل وجهاد الأعداء الخارجيين كما في أفغانستان والبوسنة والشيشان وسواها، ولكن أساس نشأتها وأهدافها جعلها بشكل عام منظمات؛ (سرية الحركة) (قطرية الأهداف) (هرمية البناء التنظيمي)، يرتبط أفرادها بقيادة وأمير عبر بيعة على الجهاد والعمل لتحقيق تلك الأهداف.

٢. الجماعات أو التنظيمات المجاهدة:

وهي المنظمات والجماعات التي تخصصت في جهاد الأعداء الصائلين على بلاد المسلمين وخاصة اليهود(كما في فلسطين)، أو الصليبيين المحتلين كالأمريكان (كما في جزيرة العرب والعراق وغيرها حاليا) أو الغربيين عموما، أو الملحدين كما الروس أو الصين، أو الوثنيين كما في الشيشان والبوسنة والهند وكشمير وجنوب شرق آسيا... أو أي نوع من الأعداء الخارجيين.

وكثيرا ما تأخذ هذه المنظمات شكل حركات تحرير وطنية، ولكن على أساس إسلامي وجهادي تهدف إلى تحرير تلك البلاد، ثم إخضاعها للحكم الإسلامي، أو دفاعا عن الدين والأرض والعرض والنفس والمال، كعبادة وفريضة شرعية.

٣. الجماعات والأفراد المجاهدين من أجل تغير المنكر بالسلاح أو لدفع المظالم:

وغالب هذه الظاهرة يقوم على الجهاد الفردي والمبادرات الشخصية، وغالبا ما لا يكون لها جماعات محددة أو أمير، وإنما أفراد أو شراذم صغيرة تقوم بأعمال جهادية مسلحة بنية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداء لفريضة عبا دية وبناء على تصورات ودوافع دينية، لإزالة منكر هنا أوهناك، كتدمير

مواقع الخمر أو الزنا أو المجون والفساد، أو اغتيالا لرأس من رؤوس الكفر أو الظلم أو العدوان على المسلمين، أو على دينهم وشعائرهم ومقدساتهم، أو لإزالة أي مظهر من المظاهر التي يعتبرونها منكرة دينيا يجب إزالتها باليد بعد أن استحال ذلك باللسان والقلب.

تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مناهجها في التفكير والسياسة الشرعية:

وتنقسم بصورة رئيسية إلى نوعين رئيسيين:

منهجية: وهي التي لها منهج فكري سياسي شرعي محدد ومفصل، وموقف شرعي من عموم المسائل السياسية الشرعية أو العقدية والفكرية عموما.

غير منهجية: وهي الجماعات التي اجتمع أفرادها على أداء فريضة الجهاد لهدف من الأهداف المشروعة شرعا، كدفع الصائل أو إزالة المنكر أو دفع المظالم أو قتال حكومة أو سوى ذلك، وعلى حمل السلاح من دون أن يكون لها منهج سياسي شرعي مفصل يحدد الموقف من المسائل السياسية وغيرها.

نشأة التيار الجهادي المعاصر ومراحل تطوره فكريا وحركيا (١٩٦٠-٢٠٠١م):

يعتبر ميلاد جماعات وتنظيمات التيار الجهادي نتاجا طبيعيا للتطورات السياسية لمرحلة ما بعد الاستقلال (الشكلي) عن الاحتلال في بلاد العالم العربي والإسلامي، كما يعتبر تطورا مرحليا طبيعيا وإفرازا تلقائيا للصحوة الإسلامية المعاصرة، التي كانت قد انطلقت منذ سقوط الخلافة تقريبا أي مطلع الثلاثينيات، أي قبل ميلاد التيار الجهادي بنحو ثلاثة عقود على الأقل، بحسب حداثة أو قدم ميلاد الصحوة الإسلامية وأحوال كل بلد وظروف احتلاله وأوضاعه السياسية عموما.

وأدت النقلة النوعية في أسلوب الاستعمار، من الاستعمار القديم أو(العسكري المباشر) لبلاد المسلمين إلى أسلوب الاستعمار الحديث (الاقتصادي والسياسي والثقافي)، وتنصيبه لحكومات الردة من أجيال العلمانية أومن التجمعات الخائنة العميلة نائبة عنه في تحقيق أهدافه.

أدى ذلك إلى خروج الأمة من ميدان الصدام لخفاء دور المستعمر الخارجي وتولي الحكومات (الوطنية) المحلية للحكم، وبحكم طبائع الأشياء كان لا بد لتلك الحكومات من أن تصطدم مع مختلف مكونات الصحوة الإسلامية التي قامت أساسا من أجل العودة بالمسلمين بشكل أو بآخر- بحسب كل مدرسة واتجاهاتها ومناهجها- إلى الحياة بناء على تعاليم دينهم والحكم بشريعتهم.

فقد قامت حكومات الاستقلال كلها بلا استثناء في بلاد العالم العربي والإسلامي، على أسس علمانية تفصل الدين عن الدولة، وحكمت جميعها بغير ما أنزل الله، وتولى المارقون من أبنائها مهمة التشريع من دون الله، كما تولوا مهمة العمالة والولاء لأعداء الأمة وخدمة أهدافهم جهارا، هذا بالإضافة إلى ما تحلت به كل تلك الحكومات بلا استثناء من مواصفات الظلم والقهر والاستبداد ومختلف أشكال الفساد الإداري والسلوكي وغير ذلك.

وزرع الاستعمار الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي في فلسطين، وقامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ رسميا على معظم أرض فلسطين، ثم أتمت إسرائيل احتلالها بالإضافة إلى أجزاء من مصر وسوريا والأردن ولبنان سنة ١٩٦٧.

وشكلت قضية فلسطين عبئا ضخما في وجدان العالم العربي والإسلامي، ورسخ الاستعمار الغربي احتلاله الاقتصادي للعالم العربي والإسلامي واستنزف خيراته، ودعم وحفظ الحكومات الديكتاتورية التي أنشأها فيه.

وهكذا وجدت قواعد الصحوة الإسلامية وقياداتها نفسها أمام هذا الواقع المؤلم الغريب الذي عقب مرحلة الاستعمار، وتعددت المذاهب والآراء داخل أوساط الصحوة ذاتها لمعالجة هذا الواقع مما أدى لتمايز مدارسها واتجاهاتها.

ففي حين رأى بعضهم بأن الحل يكمن في التربية والإصلاح واعتزال السياسة، رأى آخرون الحل والإصلاح في اقتحام ميادينها من البوابة المشروعة (قانونا)، من خلال ما تتيحه تلك الحكومات، رأى الفريق الثالث أن الخرق قد اتسع على الراقع، وأنه لا بد من حمل السلاح لعلاج هذه الأوضاع، لاسيما بعدما أثبتت تلك الحكومات وأجهزتها القمعية، أنها جاهزة لتقليم أظافر الصحوة دائما عبر تصفية قياداتها باغتيال زعمائها أو زجهم في السجون لعشرات السنين، ومطاردة أتباعهم وتضييق كل سبل الدعوة إلى الله حتى السلمية منها، وهنا بدأت تتبلور الأفكار الأولى لميلاد التيار الجهادي المعاصر نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن المنصرم.

كانت حركة الإخوان المسلمين (بصورة رئيسية) المحضن الطبيعي الذي يمكن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر، رغم أن فكرها وممارساتها قد حمل كثيرا من الاختلاط الفكري والمنهجي، من مؤثرات صوفية

وسلفية ووطنية وديمقراطية وسوى ذلك، كما شكلت ممارساتها الجهادية المبدئية دليلا آخر على صلاحية أن تكون محضنا لميلاد التيار والفكر الجهادي في رحمها.

فقد شارك قيادات وشباب الإخوان المسلمون في مصر وسوريا في حرب فلسطين سنة ١٩٤٧-١٩٤٨، وشكل حسن البنا جهازه السري الخاص، وهو الجهاز العسكري للجماعة لأهداف جهادية، وقد قام أعضاء هذا الجهاز، وشارك الجهاز في دعم حركة عبد الناصر والضباط الأحرار بالإطاحة بالملك فاروق، ولكن هذا الهالك كان قد رتب مع أعداء هذه الأمة برنامجه الذي تضمن تصفية الحركة الإسلامية في مصر وطليعتها حركة الإخوان المسلمين.

فقام بسجن قيادتهم والآلاف من قواعدهم سنة ١٩٥٤ ووسع حملته عليهم وأعدم بعضهم سنة ١٩٦٥ وكان من بينهم خيرة مفكريها وعناصرها القيادية، هذا في مصر، أما في سوريا وهي المحضن الهام الآخر لحركة الإخوان المسلمين، فقد عصفت الانقلابات العسكرية المتوالية التي رعتها المخابرات الأمريكية بحكومات الاستقلال الوطنية الديمقراطية، إلى أن تمَّ تجهيز الأجواء لحزب البعث العربي الاشتراكي ليقوم بانقلابه سنة ١٩٦٣، وكان على أولى أولوياته تصفية الصحوة الإسلامية من الإخوان وغيرهم، ومحاربة الإسلام بكل مكوناته، وشكلت مصر وسوريا المحضن المبكر لميلاد وتبلور فكر الجهاد ونظريات عمله، وتكررت هذه الصورة في مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي، وعملت تلك التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية وحملات التغريب والعلمنة التي قامت بها الحكومات المختلفة على طرح مسائل هامة على فكر الصحوة الإسلامية ومنهجها.

ففي باكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات **الأستاذ العبقري الفذ أبو الأعلى المودودي** رحمه الله مادة أساسية لتبلور فكر الجهاد، فقد انتقد رحمه الله الحالة البليدة التي تعيشها الأوساط الدينية التقليدية في باكستان، وطرح عبر كتبه ومقالاته وجريدة حركته التي أسسها باسم(الجماعة الإسلامية في باكستان) كثيرا من أهم المسائل السياسية الشرعية، وعرض واقع المسلمين المعاصر من خلالها، وكتب عن مقتضيات شهادة التوحيد، وعن أسس الولاء والبراء، وعرف الجهاد وأغراضه وأهدافه، وكتب حول ميلاد الدولة الإسلامية ومميزاتها وعن دستورها ومواصفاتها والطريق لإقامتها، وأشتمل أحد أهم كتبه وهو (المصطلحات الأربعة) على كثير من أساسيات الفكر الجهادي المعاصر.

ولكن رائد الفكر الجهادي في العصر الحديث بلا منازع والذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التفكير ونظريات الحركة في (التيار الجهادي المعاصر) كان بلا شك **الأستاذ الشهيد المعلم (سيد قطب)** رحمه الله، الذي ابتدأ حياته أديبا شاعرا وباحثا ناقدا لامِعًا، وعاش نضوج الفكر خلال الحقبة الصاخبة الحرجة من تاريخ مصر المعاصر خلال الأربعينات والخمسينات والستينات، وهي زوال الملكية وثورة الضباط الأحرار، واحتلال فلسطين والعدوان على مصر، واحتك عن قرب بالإخوان المسلمين وتأثر بحركتهم، وكان لرحلته الدراسية إلى أمريكا أثر بالغ في اكتشافه لطبيعة الحملة الصليبية المعاصرة على العالم العربي والإسلامي، بالإضافة لما حباه الله من بصيرة نافذة، وقلم أخاذ وروح شفافة، وقد شكلت أجواء السجن الذي زجه فيه عبد الناصر مع أكثر قيادات الإخوان المسلمين منذ مطلع الخمسينيات وإلى أواسط الستينيات، المحيط العام الذي خط فيه كتاباته الرائعة التي تعد بحق الأساس الفكري والمنهجي للتيار الجهادي المعاصر في العالم العربي والإسلامي، فقد ضم كتابه الفريد(في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكريم في ضوء ما نقله المفسرون من الآثار، خلاصة النظريات الحركية للفكر الجهادي المعاصر، وخلاصة ما أراد سيد طرحه من مفاهيم، وكان كتابه (معالم في الطريق) هو الأهم على صغر حجمه، وحوى خلاصة ذلك الفكر وطروحاته الجهادية الانقلابية الثورية، وكونت مكتبته الواسعة من الكتب الاخرى من مثل كتاب(خصائص التصور الإسلامي) و(هذا الدين) و(جاهلية القرن العشرين) وغيره، منهجا متكاملا لفكر جهادي حركي معاصر يناسب تلك المرحلة.

كان فكر سيد رحمه الله نقلة نوعية في المسار الفكري للصحوة الإسلامية عموما وللإخوان المسلمين خصوصا، وكان على الحركة (الأم) كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الطروحات.

ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضا مناوئا، فقد كانت نظرياته في الحاكمية والولاء والبراء، والمفاصلة مع الجاهلية والتمايز في الهوية والمنهج، مفرقا هاما كان على الإخوان أن يقرروا السير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتى عن ثوابت أساسية كان عليها المنهج عندهم.

واختار الإخوان الطريق الثاني تجنبا للصدام مع السلطة وبدت آثار السجن والقمع والسياط جلية في ملامحهم الفكرية الجديدة، فقد كتب المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله كتابه الشهير (دعاة لا قضاة) ردا على كتاب (معالم في الطريق) وما حمله (في ظلال القرآن)، من أفكار المواجهة والصدام مع الجاهلية التي يجسدها النظام السياسي القائم، وما يفرض على المجتمعات من تحول، وهنا افترقت حركة الإخوان

المسلمين والصحوة السياسية المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين، فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد.

وشكل كتاب (دعاة لا قضاة) كما يدل عنوانه المعبر، منهج الإخوان الجديد وبداية مسار التراجع الذي ابتدءوه من حينها، وكانت خلاصة نظريته أن رواد الصحوة الإسلامية عبارة عن دعاة إلى الإسلام والإصلاح، وليسوا قضاة على الحكام والناس وما هم فيه من أحوال، حتى يحكموا بانتمائهم للإسلام أو خروجهم عنه، وشكل هذا الكتاب أحد أهم مرتكزات الإرجاء السياسي المعاصر في الحركة الإسلامية الناهضة، حيث شملت شهادته بالإسلام السلطات المرتدة الكافرة وأركانها في مصر وغيرها.

وكان هذين الكتابين وهذين الفكرين بداية لتشكيل المدرستين الرئيسيتين في الصحوة الإسلامية، وهما المدرسة السياسية، والمدرسة الجهادية، وأدى هذا الجو الفكري - كما بينا آنفا-إلى ولادة المدرسة الشاذة للتكفير في سجون مصر أيضا على هامش تلك الصراعات الفكرية.

ولست هنا بصدد استعراض المسار الفكري للصحوة السياسية، وأعود للسير مع التيار الجهادي وبداية ميلاد مناهجه وتنظيماته.

فرغم أهمية كتابات سيد وأولويتها في توليد الهوية الفكرية للتيار الجهادي، إلا أن كتابات هامة أخرى قد برزت في تلك المرحلة في مصر أيضا، يأتي في طليعتها كتابات الأستاذ القانوني الشهيد عبد القادر عوده ﵀، الذي أعدمه عبد الناصر، وكذلك كتابات الشيخ المحدث أحمد شاكر ﵀ وغيرهم، وقد حاول سيد قطب ﵀ وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول تشكيل أول تنظيم جهادي سري يحمل تلك الأفكار، من لفيف من الشباب المجاهد الذين كان معظمهم أعضاء في الإخوان المسلمين، إلا أن تجربته الغضة تلك سرعان ما أجهضت وأعدم بتهمتها ﵀، ليتحقق له قول رائع ورؤيا صالحة بالغة الدلالة كان قد رآها في سجنه، فقد روى بعض معاصريه في السجن أنه رأى في منامه قبيل إعدامه، دُرج طاولته التي يكتب عليها والذي يحوي الأوراق التي خط عليها أفكاره ينفتح وتأتي العصافير فتحمل الأوراق وتطير بها في كل اتجاه فأولها، انتشار فكره في أنحاء الدنيا، وأما القول الذي تحقق لكتاباته أيضا فهو:

قال الشهيد المعلم سيد قطب رحمه الله:

(إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي، كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات).

وهكذا انتشر فكر سيد في كل الدنيا، ولقد رأيت كتابه معالم في الطريق في أفغانستان مترجما للغة البشتو والفارسية، بل لقد بلغني أن أحد المجاهدين القدماء أيام جهاد الروس دخل إحدى **المدارس** في (نورستان) وهي مناطق جبلية نائية جدا بالغة الوعورة وسط جبال الهندوكوش على الحدود الشمالية لكشمير والصين قريبا تقع على ارتفاع أكثر من ٥٠٠٠ متر عن سطح البحر، في منطقة لم يدخلها من مقومات الحضارة شيء، لا ماء ولا كهرباء ولا سواها، وقال أنه دخل إحدى المدارس فوجد فيها كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب مترجما للغة النورستانية!!.

فسبحان الله!! لقد حملتها عصافير الحق المهاجرة، وحطت بها هناك منذ عشرات السنين بعد إعدامه رحمه الله، ولعله لا يوجد اليوم لغة حية من لغات المسلمين، إلا وقد ترجم إليها كثير من كتب سيد رحمه الله، فضلا عن اللغات العالمية، هذا العملاق الذي أدرك الصليبيون اليوم وزعيمتهم أمريكا في حملتها لمكافحة الإرهاب أثر فكره، فجعلوا مكافحته والنيل منه وتشويهه أحد أهم مرتكزات حملتهم الفكرية الإعلامية الحالية وهجومهم على مناهج التربية والتعليم عامة في بلادنا وعلى مناهج التعليم الديني خاصة.

وأما في سوريا، المحضن المهم الثاني لمنشأ الصحوة الإسلامية و(التيار الجهادي المعاصر) فقد ظهر في نفس الفترة(١٩٦٠-١٩٦٥) **الشيخ الشهيد مروان حديد** رحمه الله، وكان قد ذهب للدراسة في مصر وحمل فكر الإخوان المسلمين، وعاد منتسبا إليه، وكانت الدعوة قوية في سوريا أواخر الخمسينيات، واقتنع الشيخ مروان حديد رحمه الله بأن بلاءا كحزب البعث الذي بدأت تغلب على قيادته العناصر النصيرية وتعد للاستيلاء على الحكم، لا يمكن مواجهته إلا بالجهاد، فحمل أفكارا شبيهه بأفكار سيد وتأثر به، ولم يكن الشيخ مروان كاتبا وإنما خطيبا بارعا وشاعرا حركيا مجاهدا، فأسس (تنظيم الطليعة المقاتلة لحزب الله) كما أسماه أولا،

والذي تحول فيما بعد لاسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين)، وقام بمحاولة جهادية قمعتها دبابات السلطة البعثية سنة ١٩٦٥، ثم عاود الكرة سنة ١٩٧٠ ثم ما لبث أن اعتقل ثم أعدم سنة ١٩٧٥ رحمه الله.

وحمل تلامذته من بعده مهمة إشعال أطول ثورة جهادية معاصرة ضد حكومة في العام العربي (١٩٧٥-١٩٨٢).

وأعتقد أن من هناك، من مصر والشام كانت البداية، أما في معظم باقي بلاد العالم العربي، فقد كانت الظروف السياسية المحلية متشابهة والحالة الاستعمارية كذلك أيضا وانتشر هذا الفكر من مصر وسوريا إلى السودان والعراق ولبنان والأردن بحكم الجوار.

وبحكم الاستقلال المبكر لسوريا ومصر، وبحكم تقدم نظام التعليم فيهما عن باقي بلاد العالم العربي كله تقريبا، استقدمت كافة دول الجزيرة العربية المدرسين من مصر وسوريا لمراحل التعليم الأولى (الابتدائية، والمتوسطة والثانوية) بل وللجامعية أيضا، ولاسيما في كليات الشريعة والآداب والقانون والعلوم الإنسانية وسواها، وكذالك استقدمت أكثر دول شمال إفريقيا، ولاسيما الجزائر خلال ثورة (التعريب) التي قام بها الرئيس الجزائري (هواري بومدين) بعد الاستقلال لمواجهة سياسة الفرنسة التي فرضتها فرنسا على مدى ١٣٠ سنة من الإستعمار، استقدمت تلك الدول المدرسين أيضا من مصر وسوريا.

وهكذا هبت رياح الصحوة الإسلامية ومدارسها على بلاد العالم العربي والإسلامي، وتبادلت مدارسه وتنظيماته وجماعاته الأثر والتأثير.

ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي، ومحضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي.

وكان هذا الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر(القطبي)- نسبة إلى سيد رحمه الله- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المسلمين في السبعينات من مختلف البلاد، أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية، من بلاد نجد والحجاز، التي دعيت زورا (السعودية)!.

فقد قامت الدولة السعودية الثالثة- كما سبق الإشارة لذلك- بتخطيط ودعم من الإنكليز، وتوج الملك عبد العزيز آل سعود سلطانا على بلاد نجد والحجاز وما ألحق بها، وتكونت المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٥، وكانت البضاعة الرائجة التي استولى عليها عبد العزيز، لتكون مادة دعايته وخداعه للناس هي، زعمه إحياء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، التي كان قد قضي عليها تقريبا، بإسقاط الدولة السعودية الثانية خلال صراعها مع الخلافة العثمانية، التي استعانت بحاكم مصر آنذاك محمد علي باشا لهذه المهمة.

وورث أولاد عبد العزيز بعده عملية التجارة بالدعوة الوهابية، وكان لله بهم وبأعداء الإسلام مكر لطيف، فقد تابع الأبناء بعد أبيهم التجارة بالدعوة الوهابية، وأقاموا المؤسسات الكثيرة وبذلوا جهودا كبيرة وأموالا طائلة لهذا الغرض، وقد عمل في هذا المجال كثير من المخلصين للدعوة والدين.

وهكذا تتلمذ جيل من رجال الصحوة الإسلامية خلال العقود الثلاثة في الستينات والسبعينات والثمانينات، على كبار العلماء الذين ورثوا الدعوة الوهابية وحملوها.

وبوجود الأجواء المناسبة والأموال الطائلة بسبب طفرة النفط في تلك الفترة، ازدهرت الدعوة الوهابية بدعم من الحكومات السعودية المتعاقبة.

فأحييت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكبار أئمة الدعوة النجدية، وأخرجت كتبهم القيمة، كما أحيي تراث الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكذلك كتب غيرهم من دعاة العقيدة السلفية ومدرسة أهل الحديث، وتولت الحكومة السعودية طباعة وتوزيع ملايين النسخ منها عبر السنين.

وتولت المؤسسات الدينية الحكومية والأهلية والجامعات السعودية طباعتها ونشرها وتدريسها وبثها في كل بلاد العالم الإسلامي، وقام على هذا العمل علماء مخلصون كثيرون وعلماء أفاضل من أهل الجزيرة وممن تتلمذ على أيديهم.

كان مدار الدعاة الوهابية والعقيدة السلفية كما هو معلوم على إحياء فقه الدليل ومنهاج أهل الحديث وعقائد أهل السنة والجماعة، والتركيز على محاربة البدع والانحرافات التي اندست عبر كثير من الطرق الصوفية المنحرفة وما خلفته من الركود والاستسلام والتخلف الفكري، كما ركزت هذه الدعوة على مسألة الولاء والبراء، ومناصرة أهل الإيمان ومعادات الكفار من اليهود والنصارى والمشركين وأوليائهم من المنافقين، كما تركز هذه الدعوة كما هو معروف على تجريد التوحيد وإفراد الله وتوحيده بربوبيته ألوهيته،

وتنزيهه بأسمائه وصفاته، والتشديد على تكفير من نازع الله في ربوبيته أو ألوهيته بتشريع أو شرك أو حكم مناف لحكمه.. إلخ.

وكان من سياسة السعودية، لأغراض الحكام الدعائية التي التقت مع أغراض الدعاة المخلصين استقدام مئات ألاف الطلاب الأجانب من مختلف بلاد العالم الإسلامي كوافدين للدراسة، وفتح باب المنح الدراسية لهم في الجامعات السعودية المتخصصة في التعليم الدين، مثل جامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وغيرها، وفي تلك الأوساط تخرج مئات ألاف الطلاب من الشباب المسلم حاملا تلك الأفكار عائدا إلى بلاده منذ مطلع الستينات وإلى الآن حيث تحول الحكومة السعودية تغير هذه النهج تجاوبا مع برنامج أمريكا في تغيير البنية الفكرية والثقافية للمسلمين في إطار حرب الأفكار خلال حربها الشاملة على ما تسميه الإرهاب والتطرف والأصولية في العالم العربي والإسلامي.

وكما ذكرت فقد كان قد ذهب إلى السعودية من مصر وسوريا خلال تلك الفترة آلاف المدرسين، وكان كثير منهم من دعاة الإخوان المسلمين، ومن رواد الصحوة الإسلامية عموما.

كما صارت السعودية في عهد الملك فيصل خاصة مهجرا طبيعيا للمطاردين والمنفيين من قيادات الإخوان من مصر في عهد عبد الناصر، حيث كان فيصل في حرب معه، كما فر إليها كثير من دعاة ومشايخ الإخوان من سوريا بسبب اضطهاد البعثيين منذ أواسط الستينيات، وعمل أكثر هؤلاء مدرسين في الجامعات الإسلامية في السعودية.

وحصل هناك تمازج هام جدا خلال العقود الثلاثة الهامة من عمر الصحوة (١٩٦٠- ١٩٩٠)، بين الفكر الحركي لمدرسة الإخوان المسلمين وخاصة القطبية منها، وبين الفكر العقدي والتراث الفقهي للدعوة السلفية، والمدرسة الوهابية، ثم انطلق هذه التمازج عائدا إلى مصر والشام ثانية ثم إلى باقي العالم العربي والإسلامي، وقد ولد هذا التمازج مدرستين هامتين جدا في الصحوة الإسلامية منذ أواسط السبعينيات، وهما:

- **المدرسة السرورية:**

(نسبة إلى اسم أحد أوائل دعاتها)، ويقوم منهجها على مزيج من الحركية الإخوانية والفكر السلفي الوهابي، وهي مدرسة تنظيرية فكرية سياسية دعوية، لم يكن لها عمليا تحرك يمكن أن يسجل له تجربة عملية، ولسنا هنا بصدد الحديث عنها.

- مدرسة (السلفية الجهادية):

والتي يتكون منهجها من مزيج من الفكر الحركي الجهادي القطبي، مع تبني العقيدة السلفية ومنهج الدعوة الوهابية، وهي الهوية الفكرية المنهجية الرئيسية التي طبعت التيار الجهادي خلال (الثمانينات والتسعينات) وهو التيار الذي نحن بصدده.

فباختصار أشير إلى أمر بالغ الأهمية في فهم الهوية الفكرة للتيار الجهادي المعاصر.

فقد شكل المنهج الإخواني ذي الطابع السياسي التربوي، والحركية القطبية ذات الطابع المفاصل المتمايز بناء على مبادئ الحاكمية، البعد السياسي الشرعي والحركي في منهج التفكير في التيار الجهادي المعاصر.

كما شكل المنهج السلفي وكثير من مؤثرات الدعوة الوهابية وإنتاجها الفقهي، الأرضية الفقهية والعقدية التي أجابت على أكثر المسائل السياسية الشرعية العالقة التي طرحها وأثارها المنهج الجهادي الحركي، ودعوته للمواجهة مع الأنظمة الجاهلية الحاكمة في العالم الإسلامي، من قبيل إقامة البرهان الشرعي على كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء المسلمين، ثم تسلسل الأحكام الشرعية تبعا لذلك، من أحكام الخروج عليهم وإسقاط شرعيتهم وقتال أعوانهم، إلى غير ذلك من عشرات المسائل الشرعية المتفرعة عن ذلك.

ولما نهجت أكثر مدارس الصحوة الإسلامية المنهج الديمقراطي، وطرحت تصورات شتى للإجابة على مسألة المشكلة والحل في واقع المسلمين المعاصر، ودخلت مدارس الصحوة الإسلامية المختلفة في مساجلات فكرية وفقهية كثيرة، شكل فقه الإمام ابن تيمية والمنهج السلفي وتراث المدرسة الوهابية المستند الأساسي للتيار الجهادي في خوض تلك المعتركات.

وهكذا يمكن أن نوجز القول ونلخص البنية الفكرية للتيار الجهادي المعاصر بالمعادلة التالية:

أساسيات من فكر الإخوان المسلمين + المنهج الحركي للشهيد سيد قطب + الفقه السياسي الشرعي للإمام ابن تيمية والمدرسة السلفية + التراث الفقهي العقدي للدعوة الوهابية

⇩

المنهج السياسي الشرعي الحركي للتيار الجهادي

ولقد كان الميدان الأساسي لنضوج هذه المكونات الفكرية المنهجية خلال السبعينيات والثمانينيات في مصر والشام والجزيرة العربية وخاصة في بلاد الحرمين، ومن هناك انتشر إلى باقي البلاد كما سأبين لاحقا، مع الإشارة إلى أنه كان لكل ساحة من تلك الساحات من بلاد العرب والمسلمين وطبيعة مكونات الصحوة فيها ومرحلة نضوجها أثر في طبيعة الفكر الجهادي الذي ولد فيها وطبيعة التجربة تبعا لذلك.

فقد كان التأثير مباشرا وسريعا في الأردن ولبنان واليمن، وكان بطيئا في بلاد مثل العراق نتيجة النظام الأمني الصارم فيها، كما كان التأثير محدودا في دول الخليج العربي والسعودية بسبب طبيعة المجتمعات النفطية فيها، وبسبب قلة السكان وركود الحياة الفكرية والثقافية فيها آنذاك، أما ليبيا وبلاد المغرب العربي فقد تأخر ذلك تبعا لتأخر ميلاد الصحوة الإسلامية فيها إلى مطلع السبعينيات، بحكم ظروف استقلالها وطبيعة أنظمتها وعمق التأثير الغربي للاستعمار الفرنسي فيها، على أنه سجلت محاولات جهادية مبكرة في المغرب (١٩٦٣)، وفي الجزائر (١٩٧٣)، من غير أن يكون للمد الفكري للتيار الجهادي المشرقي المولد والذي نحن بصدده أثر أو علاقة بذلك، وكذلك كان التأثير محدودا في القرن الإفريقي والصومال نتيجة ظروفها، حيث انتقلت معظم مؤثرات الصحوة إليها متأخرة عن طريق الطلاب الذين خرجوا للدراسة في الغرب أو في بعض الدول العربية المجاورة مثل السعودية ومصر والسودان وتأثروا بأفكار الصحوة وعادوا بها إلى بلادهم لتمتزج مع معطيات الصحوة المحلية وظروفها.

كذلك كان الحال تقريبا في بلاد أطراف العالم الإسلامي مثل اندونيسيا والفلبين ودول شرق آسيا ووسط أفريقيا، وكذلك دول الجمهوريات السوفيتية في وسط آسيا والقفقاس.

أما أكثر دول العالم الإسلامي تأثرا وتأثيرا في الصحوة الإسلامية وعموم مدارسها في العالم العربي فكانت الباكستان وتركيا بحكم القرب والتداخل في أكثر من مجال.

أما التيار الجهادي من حيث ميلاد الفكر وانتقال أصحابه إلى ميدان التطبيق والمواجهة مع الحكومات فقد ارتبط قيامه في الأماكن المختلفة بعوامل عدة مثل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، في كل بلد، بالإضافة إلى مستوى ونوع الصحوة الإسلامية ووصول المؤثرات الفكرية للتيار الجهادي لذلك المكان.

* **ومع ازدهار أخبار الجهاد الأفغاني**، بدأ العديد منهم يتوجه إلى بيشاور فقد كانت الحركية الجهادية في مصر، وشطراها الرئيسيان (الجماعة الإسلامية) و(جماعة الجهاد)، قد دخلت في صراع إثر مقتل السادات

(١٩٨١) مع حكومة خلفه حسني مبارك، وأضطر العديد من أبرز قياداتها والكثير من عناصرها للخروج من مصر تحت ضغط الحملات الأمنية لدول الجوار، كما كانت الثورة الجهادية التي نشبت في سوريا ما بين (١٩٧٥-١٩٨٢)، قد دمرت عمليا، ويمم عدد محدود جدا منهم وجهه أيضا شطر أفغانستان، واستقروا في بيشاور وكنت وبعض خاصة أصدقائي من هؤلاء ولله الفضل والمنة، كما كان لبعض الكوادر الجهادية من الفلسطينيين، من تلاميذ وأصدقاء الشيخ عبد الله عزام قد لحقوا به أيضا، وبدأ آحاد من الكوادر الجهادية والعسكرية من هنا وهناك يتوجهون إلى تلك الساحة الجذابة التي سلطت عليها كل الأضواء والدعاية، وفي (١٩٨٦) اثر محولة جهادية انتهت بقمعها من قبل الحكومات الليبية، خرج أيضا بعض كوادر الجهاديين إلى هناك، وكانت الحرب الأهلية في لبنان قد وضعت أوزارها، وتلقت الحركات الإسلامية السنية ضربات أمنية في شمال لبنان على يد الإستخبارات السورية، فهاجر بعضهم أيضا إلى تلك الساحة، كما حضر بعض الإخوة من الإسلاميين من أكراد العراق، وكانت هذه باكورة تجمع كوادر من التيار الجهادي العربي ليكون النواة الأولى للجهاديين داخل وسط التجمع العربي المجاهد في أفغانستان، والذي كان يتضخم بتسارع كبير.

المحطة الرئيسية الكبرى في تاريخ التيار الجهادي:

(الجهاد الأفغاني ضد الروس) وتجمع المجاهدين (الأفغان العرب) (١٩٨٤-١٩٩٢):

ويمكن القول أن حصيلة الجولات بين أمريكا والسوفييت الروس قد أبرزت تفوق الروس بالنقاط في معظم جولات الحرب الباردة

إلى أن ارتكب الروس في نشوة الظفر والتقدم غلطتهم التاريخية القاتلة فأقدموا على احتلال أفغانستان عام ١٩٧٩ إثر سلسلة انقلابات شيوعية مدعومة من قبلهم منذ عام ١٩٦٥.

وبهذا الاقدام يقترب الروس من المياه الدافئة في الخليج العربي إذا لم يبق بينهم وبينه من فاصل إلا مثلث بلوشستان الباكستاني الإيراني حيث منابع النفط التي من يسيطر عليها يتحكم باقتصادات العالم الرئيسة

أمريكا قبلت الأمر الواقع وسلمت ولم تبد حراكا يذكر رغم صفارات الإنذار باقتراب الخصم اللدود إلى منابع النفط

ولم يتوقع أحد المفاجأة التي حصلت وقلبت وجه العالم بل ذهبت به إلى مرحلة تاريخية جديدة عصفت بكل ثوابته القديمة، فلم يدر في خلد أحد من صناع السياسة وعباقرة العسكرية وأفذاذ المفكرين أنه يمكن لشعب يشغل المرتبة الرابعة في قائمة أفقر شعوب العالم، أن يصمد لأقوى قوة عسكرية في الأرض، ولكن شاء الله أن تتحقق المعجزة، فقد صمد الأفغان لعملاء الروس من حكامهم منذ عام ١٩٦٥ إلى ١٩٧٩ وتم

الإطاحة بالانقلابات الواحد تلو لآخر، ثم صمدوا للغزو المباشر والمواجهة العسكرية الشرسة مع الآلة العسكرية الساحقة للجيش الأحمر ثلاث سنوات (١٩٧٩.١٩٨٢) حتى اقتنعت الإدارة الأمريكية وحلفاءها في الناتو بأن هناك فرصة تاريخية لتحطيم الجيش الأحمر السوفييتي على قمم وسفوح الهندوكوش بصورة أسوأ كثيرا مما فُعل بالجيش الأمريكي في فيتنام، فقرر الكونغرس سنة ١٩٨٢ تبني الجهاد الأفغاني وركوب موجته.

أشرفت أمريكا على صناعة حلف عالمي لمواجهة الروس وحلف وارسو في أفغانستان فجرت وراءها حلف الناتو ودوله كاملة، دول أوروبا الغربية وكذلك حلفاءها الاقتصاديين الكبار مثل كندا وأستراليا واليابان، لتكوين حلف سياسي إعلامي اقتصادي داعم لها في هذه الحرب، ووضعت سياسة مالية تقضي بحصة من المساعدات المالية المقررة بملايين الدولارات على كل دولة من تلك الدول، وساهم الجميع بذلك، وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي، واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية لتقتطع المكاسب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق.

ولكن الجانب الأهم من الحلف الذي كونته أمريكا لدعم الجهاد الأفغاني كان من دول العالم العربي والإسلامي، والتي كان في طليعتها وأهمها دورا (السعودية) و(باكستان) و(مصر) ودول (مجلس التعاون الخليجي)، فقد ساهمت السعودية ودول الخليج بالقسط الأكبر من الدعم المالي لتلك الحرب سواء بشكل رسمي حكومي أو من خلال التشجيع والسماح لسيل التبرعات الأهلية للجهاد في أفغانستان أن تصل إلى المجاهدين الأفغان كما لعبت السعودية بمرجعيتها الدينية بحكم سيطرتها على الحرمين، وبمؤسساتها الدينية العلمية دورا إعلاميا بارزا، وأشرف على برنامجها وأداره رئيس استخباراتها آنذاك الأمير تركي بن عبد العزيز، فاشتعلت خطب الجمعة والمحاضرات والمؤتمرات، والمهرجانات والمنشورات والمؤلفات والصحف، وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط الصحوة، تروج للجهاد الأفغاني وتنادي (يا خيل الله اركبي)، وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي مؤسستها الدينية المأجورة، بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان- وهي حقيقة - وفي أن تترك المجال للدعاة الصالحين من أئمة الدعوة والإصلاح في السعودية أن يجهروا بهذه الحقيقة الشرعية، وأن تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يؤدي فريضة الجهاد بماله لنصرة أخوة العقيدة والدين، وأن تشجع من أراد من الشباب الذهاب إلى هناك، حتى بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من السعودية إلى باكستان بنسبة (٧٥%) لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية، ولاشك أنه كان لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات.

كما لعبت باكستان الدور الرئيسي ميدانيا، فقد امتدت حدودها مع أفغانستان لأكثر من (٢٢٠٠) كيلومتر، وحوت عشرات المعابر الرئيسية لوصول الإمدادات ومختلف أشكال الدعم للجهاد الأفغاني ولعبت استخباراتها العسكرية (ISI) دورا رئيسيا في ترتيب الأحزاب الجهادية والإشراف على تشكيل وتوزيع المساعدات المالية والسلاح بينها، وبتقديم الخدمات (اللوجستية) ومختلف أنواع الدعم الميداني، الذي كان يصل أحيانا لحد مشاركة الجيش الباكستاني عمليا في القتال والإسناد بالأسلحة الثقيلة في المعارك الحدودية، وقد رأيت ذلك ميدانيا، كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان، وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، ولاشك أنه كان لباكستان مصالحها الإقليمية والوطنية في هذا، بل كان هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحروب من الضباط في الجيش والاستخبارات والشرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم، وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات؛ لدعم الجهاد الأفغاني أولا، ثم لتمزيق مكتسباته ثانيا، ثم لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثا، ثم لمواجهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعا، ثم لقتل المجاهدين العرب وتسليمهم لأعدائهم خامسا، ثم تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادسا، ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعا، والحبل على الجرار، وهكذا نفذت الحكومات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائما، ولعنة الله على الظالمين والمنافقين.

أما مصر فقد كان من أبرز مشاركتها، الإتفاق مع الأمريكان على سداد جزء من ديونها لهم على شكل صفقات سلاح أرسلتها إلى أفغانستان عن طريق باكستان، وذلك أن أنور السادات كان قد أتخذ قرارا باعتماد التسليح الأمريكي للجيش المصري وبدأ بتصفية الوجود الروسي في مصر فيما عرف بسياسة الانفتاح، فكان مفيدا له أن يتخفف من مخزون سلاح وذخائر لم يعد لازما له آنذاك أواخر السبعينات.

ولقد لعبت تلك الدول بالإضافة لأكثر دول العالم العربي والإسلامي، بل والغربي، دورا إعلاميا بالغ الأهمية في دعم الجهاد الأفغاني، والترويج له وحض كل من شاء وحتى بعض من لا يشاء على المساهمة.

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للهند، ودول وسط آسيا، وإيران، والصين من دول الجوار، التي لعبت لعبتها أيضا، وصولا إلى حركات الصحوة الإسلامية والجهادية وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر.

كما سمحت أمريكا بدخول الصحوة الإسلامية بكافة أطيافها وحركاتها على خط تأييد الجهاد الأفغاني، فقد جاشت العواطف في صفوف الصحوة قيادات وقواعد بشكل تلقائي، وبفعل التعاطف الدين مع أخوة الدين والعقيدة الذين يتعرضون لحرب إبادة واحتلال غاشم، من قوة تمثل قمة الكفر والإلحاد من منظور الإسلام والمسلمين، وهكذا انتقل الضوء الأخضر من أمريكا لأذيالها من حكام وحكومات العالم العربي والإسلامي، لتشعله بدورها أمام الحركات الإسلامية، لتشارك في هذا الحلف العريض غير المباشر الذي التقت فيه الأغراض والمصالح، وكان للدول العربية والإسلامية مصالح في هذا الضوء الأخضر استجابة للسيد الأمريكي، وهي تلميع سمعتها بمساعدة المسلمين، وفتح باب الهجرة للصحوة وكوادرها، ولاسيما السياسية والجهادية فيها لتنفس عن رغباتها ومشاعرها الأصولية بعيدا، هناك على بعد آلاف الكيلومترات، ولعلها تلقى بغيتها في الشهادة في سبيل الله، ويستريح الحكام من ضوضائها في بلادهم.

ولكن التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان يبدأ عمليا، منذ (١٩٨٤) عندما تفرغ الشيخ عبد الله عزام كليا للجهاد الأفغاني ميدانيا، بعد أن عمل مدة مدرسا في كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية في أسلام أباد وكان-فيما بلغني – عن بعض شهود تلك المرحلة، قد رحل عن الأردن نتيجة مضايقات السلطات في عمان.

باختصار لقد صارت قضية الجهاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها، فاجتمع الجميع على الإتحاد السوفيتي، وكان لكل نيته وأهدافه.

وهكذا وجدت آنذاك مختلف شرائح وجماعات وتنظيمات الصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة فرصة للتأييد والاستفادة من تلك السوق الرائجة، التي كان لكل فيها هدفه وبغيته من تلك المشاركة.

أما عن مصالح الحركات الإسلامية غير الجهادية، فكانت شتى، تتراوح بين النية الحسنة في خدمة أخوة العقيدة والدين، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتنظيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.

فماذا كان هدف الجهاديين من الحضور إلى أفغانستان؟!

لقد كان هدفهم منحصرا بعد نية الجهاد وأداء الفريضة، والبحث عن الشهادة في سبيل الله، من قبل غالب قياداتهم وأفرادهم، كان هدفهم أمرين استراتجيين أثنين، أذكرهما بحسب أهميتهما وبحسب ما لمست شخصيا بسبب تماسي المباشر، بل عضويتي في التيار الجهادي، ومن ثم هذا الجمع الذي أطلقوا عليه الاسم (الدراماتيكي) الجميل الذي أحبه وأنتمي إليه وهو: (الأفغان العرب):

١. أما الهدف الأول لمعظم الكيانات والتنظيمات والكوادر الجهادية، فكان الإعداد والتدريب، وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامة، واستقطاب أموال التبرعات، وتدريب أفراد التنظيم، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الذي سيطر على تفكير معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية العربية، وسواها من الأعجمية، وهو: **(إسقاط حكومات الردة القائمة في بلادها كلا بحسبه وإقامة حكومات إسلامية تحكم بشرع الله)**.

٢. العمل على تحرير أفغانستان، وإقامة حكومات إسلامية شرعية فيها، تكون منطلقا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذا آمنا، وقاعدة خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله وفي كل قضايا المسلمين، بدءا من فلسطين وانتهاء في كل قضية للإسلام فيها نصيب وهوية.

ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هذين الهدفين بنسبة تقل أو تكثر، بحسب اختلافهم في توجهاتهم.

حتى بالنسبة لي شخصيا، فقد كان هدفي الذي حملني إلى أفغانستان، والذي فشلت في تحقيقه فيها خلال شوطها الأول (١٩٨٧-١٩٩٢)، فقد كان إعادة بناء تنظيم جهادي يعمل على متابعة المشروع الجهادي الذي قام في سوريا (١٩٧٥-١٩٨٢)، وانهار لأسباب ذكرتها مفصلة مع تاريخه، في كتابي الموسع (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا- آلام وآمال) والذي نشرت الطبعة الأولى منه في بيشاور (١٩٩٠)، بالإضافة لقناعتي بالهدف الثاني ومساهمتي فيه وأسأل الله القبول، ثم أثرت فيَّ أفغانستان، وغيرها من التجارب بعد ذلك إلى الإتجاه الأممي الجهادي العالمي فيما بعد، وإلا فإني قدمت أفغانستان أولا مثل غيري لذلك السبب الخاص ببلادي ومصيبتها الذاتية.

أثر الجهاد الأفغاني (١٩٨٤-١٩٩٢) على التيار الجهادي المعاصر منهجيا وحركيا:

كان الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري، بارزا ونوعيا في الساحة العربية وكذلك كان حضور الجماعة الإسلامية بمصر، وبصرف النظر عن الفوارق المعروفة في منهج الجماعتين، إلا أنهما لعبتا - ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهادية- دورا مؤثرا، كما كان لحضور بعض طلاب العلم وبعض الدعاة السلفيين، وبعض (السروريين) من السعودية وغيرها دورا في ترويج فكر الحاكمية والولاء والبراء وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية، وحتى الأعجمية التي أمت الجهاد الأفغاني، كما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا في الساحة- ومنها كتابي عن تاريخ تجربتنا ودروسها – ولله الحمد، دورا فكريا ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي، التي بدأت تترك بصماتها على الجمع العربي، ولما كان حضور مدارس الصحوة الإسلامية الأخرى قويا أيضا في الساحة، عبر سيطرتها على المؤسسات الطبية والتعليمية

وعملها في المجالات الإغاثية الأخرى، ولاسيما من السلفيين التقليديين، والإخوان المسلمين والمنظمات الشبيهة بهم، وكذلك التبليغ وغيرهم، بالإضافة للحضور الكبير للمؤسسات الإسلامية السعودية الحكومية وشبه الحكومية، وما حملته معها من بصمات المؤسسة الدينية الرسمية، وقد أحضر كل هؤلاء كتبهم ومنشوراتهم، ومجلاتهم ومحاضراتهم، وتراثهم الفكري والدعوي، ونظرا لأن نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات كانت فترة تألق وتفاعل بيت مدارس الصحوة الإسلامية، فقد صارت بيشاور ومضافاتها ومعسكرات التدريب في باكستان وأفغانستان وتجمعاتها مراكز للتواصل والحوار والتماس الفكري والصدام في كثير من الأحيان بين مختلف تلك الطروحات، وهكذا وجد التيار الجهادي، ومن يمثله في ساحة الجهاد العربي في بيشاور ومعسكرات أفغانستان أنفسهم يصطدمون مع جهتين رئيسيتين:

١- جهة الإخوان المسلمين والفكر الديمقراطي السياسي الذي كان أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتى في بعض المعسكرات التي يستطيعون الحركة فيها.

٢- جهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحاكمية، وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعيين، ويدعوا إلى احترام العلماء الرسميين ولاسيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثم (المدخلية).

وشيئا فشيئا، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع، ولنصاعة الحق وشيوع منهج إتباع الدليل، بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي، وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي، وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد ما عرف بظاهرة (الأفغان العرب).

وكان لجماعة الجهاد مؤلفات أخرى تحمل نفس أسس ذلك الفكر، وطبعت تلك الكتب ووزعت في بيشاور، وكان الصدام الفكري بين، الفكر الإسلامي الديمقراطي الذي تبناه الإخوان وأشباههم، وبين الفكر السلفي – قبل أن تنتقل إليه العدوى الديمقراطية – على أشده أيضا في ساحة الصحوة عامة، وانتقل كذلك إلى أهم ساحاتها آنذاك، في ذلك التجمع.

وأصدرت جماعة الجهاد المصرية عددا من الأبحاث الهامة، وتوجت ذلك بالكتاب القيم؛ (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره، وربما كان هذا الكتاب من أهم كتب (الأفغان العرب)، وقد سد ثغرة تربوية كبيرة في المعسكرات العربية في حينها، وبقي واحدا من أهم كتب التيار الجهادي،

وفي سياق نشاط الجهاديين في التأليف والنشر، طبعت في بيشاور سنة ١٩٩٠ كتابي (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا-آلام وآمال)، الذي فرغت من تأليفه سنة ١٩٨٧، والذي نقل لأوسط الأفغان العرب خلاصة تاريخ ودروس أطول وأهم التجارب الجهادية المعاصرة ضد حكومات الردة.

وافتتح الشيخ أبو حذيفة المصري، أحد كوادر جماعة الجهاد - فرج الله كربته- مركز النور للإعلام مي بيشاور، حيث تولى عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديين تنظيم سلسلة من الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة.

وبدأت بعض التجمعات الجهادية الناشئة تدخل على خط العطاء، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية، واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة، ثم استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج.

وبدا جليا مع هذا المخاض الفكري، والتصادم والإحتكاك بين مختلف التيارات الفكرية المكونة لطيف الصحوة الإسلامية، أن الفكر الجهادي الحركي ممزوجا بالمؤثرات السلفية الجديدة التي أسلفت الحديث عنها آنفا، قد بدأت تطغى على الساحة وتكتسح قواعد آلاف الشباب العربي من الذين قدموا لساحة الجهاد الأفغاني رغم أن غالبيتهم لم ينضموا في عضوية عشرات التنظيمات الجهادية القديمة والجديدة، والتي صار لها في باكستان والمناطق الحدودية من أفغانستان مضافاتها ومعسكراتها، وتكونت لها هياكل وإدارات، وكوادر وأمراء حيث كان الكثيرون منهمكون على هامش الجهاد الأفغاني، في مرحلة إعداد ونشاط دؤوب لحمل مشعل الجهاد والثورة للبلاد التي قدموا منها، وكان هذا من كرم الله الذي لم يحسب حسابه أولئك الذين خططوا لفتح أبواب التسهيلات لهذه الجموع من أجل خدمة أهدافهم الكبرى.

*** ولم تخل تلك المخاضات الفكرية من ميلاد بعض الظواهر الشاذة، من بعض النتوءات التكفيرية والغالية، والتي نتجت عن التفاعلات الثورية للفكر الجهادي وأجواء الحماس إلى جانب، تواجد المدارس السياسية وطروحاتها الديمقراطية المفرطة في التميع خلال تلك الساحة، في أجواء فرضت فيها ظروف النظام العالمي الجديد على ساحة العالم العربي والإسلامي مسائل كبرى مثل التواجد الأمريكي العلني بعد السري في الخليج، ووباء التطبيع مع اليهود ومعاهدات السلام، والغزو الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي لملامح النظام العالمي الجديد، وما أوجدته هذه الطامات الكبرى من مواقع للدفاع عنها في**

أوسط علماء السلاطين، وبعض قيادات الصحوة ذاتها، وما سبب ذلك من ردود أفعال في أوساط البعض القليل من الشباب الذين لم يكن ينقصهم الحماس ولا الجهل، ولكن بقي ذلك في أطر محدودة.

ولكن المهم أنه قد نضجت في ذلك الجو، تجربة القدماء من الجهاديين، كما تشكلت نويات من التنظيمات الجهادية الجديدة، من بلاد لم يكن قد تبلور فيها مثل تلك التنظيمات، مثل ليبيا والجزائر وتونس والمغرب والأردن العراق ولبنان، وكذلك من بعض البلاد الإسلامية مثل الفلبين وإندونيسيا وتركيا وغيرها.

وباختصار:

يمكن القول أن جيلا جهاديا متميزا فكريا ومنهجيا وحركيا قد ولد هناك، في أجواء الجهاد العربي في أفغانستان، أطلق عليهم الاسم المعبر الجميل: (الأفغان العرب)، ميزهم فوق ما تميزوا به من وضوح المنهج وصحة المعتقد، أنهم استمدوا همتهم للجهاد من إيمانهم بمعية الله، وقناعتهم بقدرتهم على إسقاط القوى العظمى..

فما عادوا يهابونها ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا، وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التاريخي الكبير..

وحقيقة يصح أن يقول من كتب الله لهم شرف ذلك الحضور ما قاله الشاعر العربي عن يوم ذي قار، يوم العز العربي بعد طول المذلة أمام القوى العظمى في ذلك الزمان:

لو أن كل معد كان شاركنا ... في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرفُ

فلنا أن نقول:

لو أن كل موحدٌ كان شاركنا ... في يوم أفغانَ ما أخطاهم الشرفُ

فقد أسقطنا مع إخواننا الأفغان الإتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الشرقي...

وأعتقد أن يسقط أتباعنا ومن امتد العمر به منا، مع من يشاء الله من عباده أمريكا زعيمة المعسكر الصليبي الغربي الجديد...

إن شاء الله تعالى.. وهو فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد قامت محاولات جهادية للعديد من جماعات التيار الجهادي ضد بعض أنظمة الحكم القائمة في العالم العربي والإسلامي، بمستوى وحجوم مختلفة منذ مطلع الستينات وإلى مطلع التسعينات، يمكن ذكر أهمها بحسب تسلسلها الزمني وبحسب ما يحضرني كما يلي:

أهم المحاولات والتجارب المسلحة للتيار الجهادي (من مطلع الستينات إلى مطلع التسعينات):

(١)- حركة الشبيبة المغربية في المغرب الأقصى (مراكش)، بقيادة الشيخ عبد الكريم مطيع، ضد حكومة الملك الهالك الحسن الثاني سنة (١٩٦٣).

(٢)- محاولة الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله وتنظيم الجهاد ضد حكم عبد الناصر في مصر سنة (١٩٦٥).

(٣)- حركة الشيخ الشهيد مروان حديد رحمه الله ضد حكم البعث في سوريا سنة (١٩٦٥).

(٤)- حركات الجهاد ضد الأنظمة الشيوعية في أفغانستان قبل الإحتلال السوفيتي (١٩٦٥-١٩٧٥).

(٥)- تجربة تنظيم الطليعة (EkiNGiLAR) في تركيا خلال الحرب الأهلية ١٩٧٢.

(٦)- حركة الدولة الإسلامية بقيادة الشيخ الشهيد مصطفى بويعلي رحمه الله في الجزائر(١٩٧٣-١٩٧٦).

(٧)- الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا بقيادة الطليعة المقاتلة من تلاميذ الشيخ مروان حديد (١٩٧٥-١٩٨٢)

(٨)- حركة تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر (١٩٨١)م

(٩)- المحاولة الجهادية ضد حكم القذافي في ليبيا(١٩٨٦).

(١٠)- بعض المحاولات الجهادية المحدودة والمحاولة الانقلابية للجهاز العسكري لحركة الإتجاه الإسلامي في تونس (١٩٨٦).

كما قامت في نفس الفترة العديد من الحركات والمواجهات الجهادية ضد مختلف أشكال الاحتلال والعدوان الخارجي على بلدان المسلمين، مما صنفته تحت مسمى الحركات والتنظيمات المجاهدة تمييزا له- من حيث التصنيف الدراسي- عن التيار الجهادي الذي نحن بصدده، والذي يكون معها ما أسميته الظاهرة الجهادية المعاصرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن أهم تلك التجارب والحركات مايلي:

- **بعض تجارب المواجهات والحركات المجاهدة للاحتلال والعدوان الخارجي:**

(١)- حركات الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال الهندي في(كشمير) و(ولاية آسام الهندية).

(٢)- حركات الجهاد ضد الهندوس في بورما والأركان.

(٣)- حركات التحرير المجاهدة في الفلبين،مثل(جبهة تحرير مورو) و(جماعة أبو سياف).

(٤)- الجماعات التي جاهدت في إرتريا ضد الاحتلال الإثيوبي.

(٥)- الجماعات المجاهدة الاحتلال الإثيوبي في القرن الإفريقي (الأوغادين والعفر...).

(٦)- الحزب الإسلامي في تركستان الشرقية الذي يجاهد الاحتلال الصيني لتركستان.

(٧)- (جماعة التوحيد) التي تشكلت من مجاهدي أهل السنة، خلال الحرب الأهلية في لبنان في مواجهة التحالف المسيحي والقوى(الطائفية النصيرية) المدعومة من النظام السوري(١٩٧٥-١٩٨٢).
(٨)- الجهاد ضد الاحتلال السوفيتي في أفغانستان (١٩٧٩- ١٩٩٢).
(٩)- حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ(١٩٨٧).
(١٠)- حركة الجهاد الإسلامي، لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ ١٩٨٩.
(١١)- مواجهات الجماعات الإسلامية الكردية لنظام صدام حسين في العراق، ثم لعدوان الأحزاب الكردية العلمانية في كردستان العراق، منذ (١٩٩٠)

دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

لقد سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسطر عليها اليهود والصليبيون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في أفغانستان، وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير، فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءا من أفلام (رامبو) وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المجاهدين!) معهم، وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية!! وجرح مرارا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة!! واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحكم والدعايات السخيفة من شفته المتدلية نصف المشلولة، وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين، ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا! وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة، إلى (هوليود) ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة..!!

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفا بعقول من صدّقه، على دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة، عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم!! وقد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفلام الوثائقية إلى الكتب إلى الصحف، إلى مذكرات ضباط الإستخبارات..إلى غير ذلك..

علما أن الأعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكية، قد دخلت أفغانستان بعد عشر سنوات من دخول الروس، وقبيل انسحابهم بقليل، ولم يستخدم في المعارك الحاسمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسقط به إلا

عدد محدود من الطائرات، ولم يره إلا النادر من مئات آلاف المجاهدين، وقد سرقت الإستخبارات الباكستانية حصتها منه، كعادتها في سرقة حصتها من كل المساعدات المالية والعينية التي جاءت للمجاهدين الأفغان من السيارات ومواد الإغاثة المختلفة والعتاد والسلاح والذخائر، التي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم.

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ(ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني الذي شارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المجاهدين خلاله أكثر من مليون مجاهد مسلح، وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونيين من الشهداء، وخمسة ملايين مهاجر، من شعب كان تعداد سكانه لا يجاوز ١٦ مليون نسمة، وما أدري ما دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من /٣٠/ ألف جندي روسي على الأرض، وأكثر من /١٥٠/ ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين، أي من (١٩٧٣-١٩٩٢)، ورغم سخافة هذا الكذبة (الاستنغرية) وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجهاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة، وهذا هو سحر الإعلام الأمريكي، وميدان انتصار هؤلاء الجبناء المخادعين، الذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف!!

كانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان، وقد استغلوها بصورة صحيحة وحصلوا على ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير (نصر بلا حرب)، فحققوه بكل جدارة يحسدون عليها...

وتدحرجت الكرة بسرعة إذ أُجبر الروس على إعلان تفكك الإتحاد السوفييتي، (١٩٩١م) وحل حلف وارسو..

وهكذا تغيرت معطيات النظام الدولي ليقوم على أنقاضه مرحلة جديدة يمكن التاريخ لبدايتها بـ ١٩٩٠ موعدا لانطلاق ما سمي بـ(النظام العالمي الجديد).

واجتمع (غورباتشوف) الذي أِشرف على حل الإتحاد السوفييتي بـ (مرغريت تاتشر) رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك بالرئيس الأمريكي (ريغان)، **ليعلنوا أن الإسلام وحضارته وشعوبه هم العدو المقبل للحضارة الغربية.**

- **وقبل أن ننتقل لدراسة الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي بقيادة أمريكا، سنتحدث عن مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة (١٧٩٨- ١٩٩٠م).**

مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة (١٧٩٨- ١٩٩٠م).

سنوردُ في هذا الفقرة أسباب وطبيعة الانقلاب الشامل الذي حصل في أحوال العرب والمسلمين خلال هذه الفترة

وأن ما يقوم به الأمريكان مطلع القرن الحادي والعشرين، حول الشرق الأوسط الكبير؛ ما هي إلا عبارة عن تطبيق مكرر- ولكن بحماقة- لبرنامج الاستعمار الأوربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من قبل.

فقد شهدت تلك الفترة تغيرا بدأ بطيئا ثم أخذ يشتد تدرجيا حتى إذا بدأ النصف الأول من القرن العشرين بلغ التغيير قمته، وأصبح سبيل التقليد للغرب عارما، حتى أصبح الناظر لأول وهلة يحسب أن هذا السيل الجارف لا يمكن الوقوف في وجهه، وأن محاولة التصدي له هو ضرب من العبث الضائع أو الانتحار الواضح، وكانت معركة التغيير على ثلاثة أطوار:

❖ **أطوار معركة التغيير:**

الطور الأول: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القتال.

الطور الثاني: المعركة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر والثقافة والدين.

الطور الثالث: المعركة بين أبناء الشرق أنفسهم في ميادين الفكر والدين والسياسة (طور الاستقلال).

- أما الطور الأول: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القتال.

أقامت الحملات الصليبية الأولى في المشرق العربي زهاء مائتي سنة، مكنتهم من الاحتكاك عن قرب بالحضارة الإسلامية، ليس عسكريا فحسب، فقد كان هناك كثير من فترات الهدنة، كما قامت كثير من العلاقات التجارية بين الإمارات الصليبية والإسلامية من حولها، وتمكن كثير من الرحالة ورجال الدين الأوربيين أن يزوروا بلاد المسلمين ويطلعوا على البون الشاسع في التفكير والتطور والنظام السياسي والاقتصادي والحياة الاجتماعية والثقافية، كما تمكنوا من نقل كثير من المخطوطات والكتب حتى عد المؤرخون الأوربيون الحملات الصليبية من أسباب عصر النهضة في أوروبا ونهاية العصور الوسطى.

لقد كان للغرب صولات وجولات إبان الحروب الصليبية الأولى، ثم انتهت بهزيمته نهائيا وخروجه مهزوما مدحورا.

- أما الطور الثاني: المعركة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر والثقافة والدين.

في الحملات الأخيرة على مصر آخر أيام الأيوبيين وأول أيام المماليك، وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا وأودع سجن القلعة، وهناك كان لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفية غزو المسلمين وكتب توجيهاته الهامة تلك والتي كان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة).

وهكذا أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهم إلى البقاء. وبدؤوا يعيدون التفكير في طريقة غزوا المسلمين والتعامل معهم، فكيف استفاد الصليبين من مدة ٤٩٨ عام للإعداد والتخطيط للعودة على خبرة ومعرفة؟

منذ عادت بقايا الحملات الصليبية مدحورة إلى أوربا انكب العلماء والمفكرون الأوربيون على دراسة خلاصة حضارتنا العربية والإسلامية ونشطت حركة الترجمة وقامت مراكز وجامعات الإستشراق وهو التخصص في الدراسة الشرقية، ومع انهيار الحكم الإسلامي للأندلس ١٤٩٢ م، حصل مثل ذلك وخلال القرون السادس عشر والسابع والثامن عشر نشطت حركة الرحالة والكشافة والمستشرقين، ثم نشأت حركات التبشير برعاية البابا ودعم وتسابق ملوك أوربا على دعم المهام المقدسة للبحارة والمكتشفين، وعلى مدى هذه القرون الطويلة توغل هؤلاء في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي وقدموا الدراسات والأبحاث ونقلوا الكتب والمخطوطات التي تجمعت في جامعات ومراكز دراسات استشراقية عملاقة تخصصت في دراستنا.

وقد كتب بعض المؤرخين والبحاثة العرب والمسلمين عددا من الكتب حول الإستشراق وعلاقته بالاستعمار وحركات التبشير وعلاقتها بالاستعمار، مما يندهش له المرء من ترابط هذه المواضيع الثلاثة..

أما الطور الثالث:

(طور الإستقلال الوطني) كما يحلو لهم أن يسموه، ومجيء الأنظمة المحلية، والعسكرية بالذات، فقد كان هذا الطور أشد الأطوار تأثيرا، وفرضت الحضارة الغربية بالقوة العسكرية التي تسمى بالوطنية والتقدمية والشعبية، وهذه الأنظمة التي جاءت بضجة الزفاف الوطني، والتي قدمت إلى الأمة بأهازيج شعبية حماسية، وتحت هذا الضجيج والصخب قام أبناء الوطن – المستغربين – الحاكمين بنصب المشانق وسحق المبادىء واجتثاث القيم، وإبادة العلماء والمخلصين.

ولقد لقي الصادقون من أبناء جلدتهم الحاكمين – من العذاب والاضطهاد – أضعاف أضعاف ما رأوه أيام الإنجليز والفرنسيين، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

ما لقيه الباتان على يد أمان الله خان في أفغانستان.

ما لقيه الأكراد على يد مصطفى كما أتاتورك في تركيا.

ما عاناه الإخوان المسلمون على يد عبد الناصر وزبانيته في مصر.

وما يواجهه الصادقون على أيدي الأنظمة العسكرية المنبثة في أرجاء العالم العربي والإسلامي فهي نسق واحد ونموذج واحد في محاربة الحق وأهله ينسجون على منوال سابقيهم ويسيرون على نهجهم.

وإن صورة القسوة والوحشية التي عامل بها الغرب أبناء المسلمين لتبدو هزيلة صغيرة بجانب الصورة التي عاملهم بها الحكام المحليون (الإنجليز السمر).

❖ أوربا وحرب الكلمة بدل حرب السيف:

وقبل الحديث عن هذا الطور، وجدت أنه من الضروري التوقف عند أهم حدث حصل خلال هذه الفترة في أوربا، وهو قيام الثورة الفرنسية، وذلك لِمَّا كان لها من أثر على العالم كله. حيث أن الحال الذي وصلنا إليه اليوم هو من نتائجها.

الثورة الفرنسية (١٧٨٩- ١٧٩٩م)[1].

توارث المجتمع الفرنسي نظام الطبقات الذي عمَّ أوربا في ظل الملكيات المستبدة منذ القرون الوسطى، فالناس منقسمون إلى ثلاثة طبقات:

طبقة النبلاء الأشراف (الأرستقراطية) وهذه الطبقة متنفذة متحكمة، تستمتع بكل الامتيازات، وتستغل جهود الضعفاء والفلاحين.

طبقة رجال الدين: يمثلها القساوسة، والرهبان، والقائمون على الكنيسة من أهل الدين، حيث يستمدون سلطتهم ونفوذهم باسم الله منذ القرون الوسطى، ويمتلكون مساحات شاسعة من أراضي فرنسا.

طبقة العامة، وهم الشغالة، يتألفون من تجار وصناع وفلاحين وعموم العمال (البروليتاريا)، مضافا إليهم البرجوازيون، من مثقفي ومهرة هذه الطبقة الكادحة، والمعنية بالضرائب، فعلى كاهلها تنصب مظالم الملوك والطبقتين المتنفذين من النبلاء ورجال الدين.

ممهدات الثورة:

عمت أوربا في القرن الثامن عشر موجة فكرية وثقافية، تولاها جمع من الفلاسفة والمفكرين التنويريين، من أمثال: جان جاك روسو، وفولتير، ومونتيسكيو، حيث سرت آراؤهم ونظراتهم الجريئة تخط طريقها إلى الأذهان والقلوب، وتعد شعوب أوربا لمرحلة جديدة، ليس للملوك، والرهبان، والنبلاء مكان فيها، وإنما هو: البرلمان، والقانون والانتخابات، بحيث يتبوَّأ الفرد – أيا كان – مكانة لا تختلف عن غيره.

فلقد اجتمع للطبقة الكادحة من الشعب الفرنسي العديد من الظروف: الاجتماعية، والسياسية، والثقافية (الوعي الثقافي بالتاريخ، والحقوق، والمعرفة) بالإضافة للظروف الدينية، والاقتصادية، التي كونت بدورها موجة غضب شعبي عام، تولدت عنها ثورة طبقية عارمة، قادها المتعلمون البرجوازيون عام ١٧٨٩م.

مبادئ الثورة:

(١) د.عدنان حسن باحارث، الثورة الفرنسية عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية، مكتبة إحياء التراث الإسلامي للنشر والطباعة،ط١، ٢٠١٢م.

إنَّ من أعظم انجازات الثورة إعلانها للمبادئ المتضمنة لحقوق الإنسان ليس الإنسان الفرنسي فقط، بل ولا حتى الأوربي، وإنما هو الإنسان في هذا العالم بصورة مطلقة، وهذه الوثيقة هي حصيلة ما تصل إليه العقل البشري، في ذلك الوقت، وهي غالب ما تضمنته دساتير العالم المتحضر في هذا العصر.

ملخص بنود الوثيقة:

١. **الأمة**: حق السيادة الوحيد للأمة فقط - كل سلطة مرجعها الأمة – صناديق الاقتراع وحدها مصدر الحقيقة القانونية، وهي المعيار الذي يعبر عن إرادة الشعب.

٢. **القانون**: تعبير عن إرادة الأمة – استقلال السلطات الثلاث: (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية) بعضها عن بعض – القانون هو الذي يحدد الممنوعات والمحظورات والقيود بناء على إرادة الأمة – لا عقوبة على جريمة إلا بعد صدور قانون بها.

٣. **الحرية**: حق مطلق لجميع المواطنين، لا تتقيد بحدود، إلا ما فيه مخالفة للقانون، أو ضرر على الآخرين- نطاق الحرية يشمل الحق في اختيار: المعتقدات الدينية، والآراء الشخصية، والأفكار والتصورات، والتعبير عنها بأريحية عبر الوسائل المختلفة – تحريم إيذاء أحد بسبب تعبيره عن أرائه الشخصية، أو معتقداته الدينية، ما لم يخالف بذلك القانون.

٤. **الدين**: لا سلطان للدين ومضامينه الغيبية في مجتمع الثورة، بل السيادة للعقل ونتائجه العلمية – الفرد سيد مطلق، وهو إله نفسه، يتصرف كيف يشاء ضمن حد القانون – الآراء التي يعبر عنها الناس كلها صحيحة، ومتساوية في قيمتها – إلغاء الحق الإلهي بسقوط الملكية، وتحويل حق السلطة من الملك الذي كان يحكم بأمر الله إلى الشعب الذي يستمد سلطته من ذاته ممثلا في نوابه الذين يعبرون عنه.

٥. **المواطنة**: الناس أحرار طوال حياتهم، ومتساوون في الحقوق – من حق كل فرد الاستمتاع بحق الملكية الفردية، فلا تنزع منه إلا بناء على القانون، مع تعويض مُرضٍ.

٦. **الامتيازات**: إلغاء جميع الامتيازات الخاصة أمام القانون، بما فيها امتيازات العسكريين، ورجال الدين والحكومة، وما كان يستمتع به النبلاء من امتيازات خاصة - إلغاء الألقاب، والشعارات، والشرف الموروث، بإعلان تساوي رتب جميع الناس في المجتمع – من حق المجتمع طلب محاسبة المواطنين الحكوميين عن أداء أعمالهم – رجال الدين موظفون للدولة، لا يستمدون سلطتهم من

الله، ولا من البابا، يعملون في خدمة الشعب – ضمان حق الأفراد في الانتخاب والترشيح في ضوء ما نص عليه القانون – تساوي الجنسين في مقدار الميراث.

٧. **الضـرائب**: إلغاء نظام الإقطاع ومظالمه وإتاواته المالية – الضـرائب يتحملها الجميع كل حسب قدرته، وحجم ملكيته – الجميع يشارك في نفقات الدولة حسب الإمكان.

٨. **الحكومة**: قيام الحكومة حق للشعب، بهدف حمايته، ورعاية حقوقه الطبيعية، وضمان حفظ الحريات- من حق الشعب مقاومة الاضطهاد، وإسقاط الحكومة إذا أخلت بواجباتها.

هذه مجمل المضامين الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي تضمنتها بنود حقوق الإنسان، التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية، حيث تظهر فيها بقوة مسألة الحرية، والمساواة، وسيادة الأمة، واحترام القانون، وطبيعة دور الحكومة، إضافة إلى التقليص من دور المؤسسات الدينية، وأثارها في الحياة العامة.

أثر الثورة الفرنسية على العالم:

لقد ملأت الثورة الفرنسية الدنيا ضجيجا في أواخر القرن الثامن عشر، في دول وشعوب أوربا، حتى بلغت أثارها المشرق الإسلامي في الدولة العثمانية، خاصة عندما شاهدت الشعوب تمتع المواطن الفرنسي بعد الثورة بهذه الحقوق وتحرره من القيود بغير ضغوط، كل ذلك كان له أبلغ الأثر في تنبيه الملوك الأوروبيين إلى عروشهن المهددة، ولفت الشعوب الأوروبية إلى حقوقهم المسلوبة.

واستطاعت الثورة – رغم ظروفها السياسية والاقتصادية والعسكرية الصعبة – أن تتحمس وتنادي بفكرة تصدير الثورة إلى خارج البلاد لتحرير الإنسان، وإقامة العدل" الحرب للقصور والسلام للأكواخ "

ولقد بلغت الثورة بأثرها إلى الدولة العثمانية، فقد أثارت بنود حقوق الإنسان بعض المفكرين العثمانيين، فناقشوا بعض مبادئها، كما تأثرت الحركة القومية التي قامت ضد الدولة العثمانية تأثرت بالثورة الفرنسية.

كما استقطبت الثورة العديد من اللاجئين السياسيين والفارين من الاضطهاد السياسي من دول الجوار، ومكنتهم من التكتل والعمل في جمعيات وأندية خاصة بهم.

بعثت الثورة في أوربا الفكرة القومية، مما أثار عواطف وحماس الشعوب الأوربية الأخرى إلى قومياتهم الخاصة، فأخذوا ينبشون سجلاتهم التاريخية عن أمجادهم الوطنية، ومآثرهم الشعبية، وأدوارهم السياسية، وانجازاتهم الحضارية، لتكون حوافز لنهضة جديدة تشبه انجاز الفرنسيين.

كانت الثورة نقطة تحول من النظام الإقطاعي الضيق إلى النظام الراسمالي المنفتح.

علاقة اليهود بالثورة الفرنسية:

كان هناك عناصر أخرى في المسرح الداخلي للأحداث الفرنسية مستترة داخل منظومة الثورة، تديرها وتوجهها لمقاصد أبعد، حيث تشير الوثائق التاريخية، أن المحافل الماسونية كان لها الدور الاكبر في إدارة عجلة الثورة، وتوجيه دفتها، وقطف ثمارها.

فقد صرحوا بذلك في البروتوكولات، وأعلن مجلس النواب الفرنسي عام ١٩٠٤م هذه الحقيقة على الملأ، ولم تكن الثورة الفرنسية بأول أو آخر مفاسد اليهود، إذ إن الحروب والثورات، والقلائل منهجية يهودية، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة].

فقد سبق لليهود التورط في الثورة البريطانية ما بين (١٦٤٠- ١٦٤٩م) ثم إغراء البريطانيين بالحرب ضد استقلال المستعمرات الأمريكية، ولم يتركوا الأمريكيين ليستمتعوا باستقلالهم حتى أسهموا في إشعال الحرب بين الشمال والجنوب الأمريكي.

لقد قصدت الماسونية من خلال الثورة الفرنسية إلى تحقيق هدفين اثنين:

الأول: هو إراقة الدماء، فأعمال القتل والتنكيل جزء أصيل في الثقافة اليهودية.

الثاني: هو تحطيم الكنيسة وكل ما يرتبط بها، ويتقوى ويستند إليها، فإنَّ إفساد الأديان، ومن ثم إلغاءها، ونشر الفكر الإلحادي، كلها مرادات مقصودة، وأهداف مطلوبة للماسونيين، يعملون جادين على تحقيقها، من خلال فوضى الثورات، التي تعمل عل تهديم النظم الحضارية القائمة على الإيمان بالله، واستبدالها بغيرها من النظم العلمانية، ولقد أفسحت لهم الثورة الفرنسة الميدان لتحقيق هذه الأهداف، وقد كان بإمكان الثورة الوقوف عند حد تقيد صلاحيات الملك، وضبط تصرفات رجال الدين، فقد تحقق لهم ذلك، إلا أن اليد الخفية أرادت ما هو أبعد من ذلك، وهو إلغاء الدين المسيحي وما ارتبط به.

ورغم شتات اليهود في الأمصار، فقد كانوا عناصر للحركة والتجديد، وقد جاء في **البروتوكولات** (من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت، وهذ التشتت الذي يبدو ضعفا فينا أمام العالم: إنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية).

وقد تتوج مكر اليهود الصهاينة بالثورة الفرنسية حين اتخذوها مطية للوصول إلى الأرض المقدسة في فلسطين (أورشليم) فقد صنعوا من نابليون رأس حربة للحرب والقتال حتى بلغ مصر ثم فلسطين، تمهيدا لزرع الكيان اليهودي البغيض على أرض فلسطين، في مقابل الدعم اليهودي لفك أزمات فرنسا الاقتصادية، وقد كانت حكومة الإدارة الفرنسية أول من طرحت فكرة توطين اليهود في فلسطين.

وهكذا بدأ الغزو الفكري لبلادنا مع قدوم حملة نابليون على مصر، فقد كانت هذه الحملة نقطة بارزة في تحول المعركة وأساليبها، فلقد غزا نابليون مصر (١٧٩٨م) مدججا بأحدث الأسلحة الفرنسية، ودخلت

الخيل الأزهر وداست سنابكها الحصير الذي خرج عشرات الألوف من علماء الأمة، فانتفض الأزهر وهب دفاعا عن كرامة هذا الدين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانه ولم يستطع الاستقرار رغم العملاء الذين وقفوا بجانبه وأخيرا انقض (سليمان الحلبي) على (كليبر) نائب نابليون الذي خلفه في مصر وقتله.

وكان خروج الفرنسيين من مصر من أبرز المعالم في أوروبا الحديثة، إذ أدت إلى تصميم أوروبا على خوض معركة اللسان بدل معركة السنان، واتجهت إلى نزع هذا الدين من أعماق هذه الأمة ليغرسوا بدله القومية والعصبية وغيرها من الشعارات المقتبسة من مبادئ الثورة الفرنسية لمحاولة ملأ الفراغ.

فقد اتبع الغرب أساليب عديدة، واستعمل وسائل كثيرة لإماتة المسلمين موتا بطيئا، وكان هدفه في هذا الطور غسل أدمغة المسلمين من إسلامهم وإخراجهم بهدوء من دين الله إلى دين الطاغوت، دون إثارة ضجة ولا صخب.

وتولت الأجهزة الغربية تربية طبقة بديلة لهم في جميع المجالات، وسلمت مقاليد الأمور لهم، وأبعدت الصادقين عن أجهزة التوجيه والبناء وأصبحت دوائر التعليم والإعلام – الصحافة والراديو ومن ثم التلفزيون – بأيدي الطبقة المنسلخة عن الشرق (المسلم) المعلنة لولائها للغرب (الصليبي الملحد).

ويمكن أن تتخلص مهمة هذه الفترة بكلمة جب – المستشرق الإنجليزي –:

(هذا – التعليم – هو السبيل الوحيد لفرنجة البلاد الإسلامية وتغريبها، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل).

وكذلك تمثلها كلمة (لورد ميكالي) رئيس اللجنة التعليمية في الهند –

(يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم إنجليزية الذوق والرأي واللغة والتفكير).

❖ خطوط التغيير في العالم الإسلامي:

لقد سار التغيير في العالم الإسلامي في خطوط ثلاثة متوازنة:

١- الخط الأول: خط الإفساد الأخلاقي.

٢- الخط الثاني: خط محاربة مصادر التشريع الإسلامي وتمييع النصوص.

٣- الخط الثالث: خط التمزيق الأمة الإسلامية.

(ولنضرب مثالا عن ذلك بما بدأ في عقر دار الإسلام، من الإفساد في مصر والشام).

محمد علي باشا (وريث نابليون) (١٨٠٤- ١٨٤٩م).

جاء محمد علي باشا ليعمل ما عجز عن عمله نابليون، وأراد أن يحول مصر قطعة من فرنسا.

محمد علي الملقب بالعزيز، أو عزيز مصر، مؤسس الأسرة العلوية وحاكم مصر ما بين عامي (١٨٠٥-١٨٤٨م)، ويشيع وصفه بأنه مؤسس مصر الحديثة.

خاض حروبا داخلية ضد المماليك والانكليز إلى أن خضعت له مصر بالكلية، ثم خاض حربا بالوكالة عن الدولة العليا في جزيرة العرب ضد الوهابيين، وضد الثوار اليونانيين الثائرين على الحكم العثماني.

بعد ذلك تحول لمهاجمة الدولة العثمانية، حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكاد يسقط الدولة العثمانية، لولا تعارض ذلك مع الدول الغربية، التي أوقفت محمد علي وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها.

أما الخط الأول: الإفساد الخلقي:

فيتخلص في كلمة زويمر – رئيس المبشرين – في مؤتمر القدس سنة (١٩٣٤م):

(... نريد أن نخرج جيلا لا صلة له بالله، ولا صلة له بالأخلاق التي تقوم عليها الأمم).

فكان التركيز على المرأة وإخراجها، وعمل الاتحادات النسائية والمسرح والغناء والتمثيل ومعاهد الفنون الجميلة، والمعاهد الرياضية للبنات، ونشر العري والمسا بح ودور الأزياء، والصورة العارية، ودكاكين التجميل، حتى أصبحت المرأة كما قال (موروبيرجر) في كتابه – العالم العربي اليوم: **(إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدا عن الدين).**

وقد بدأت ثورة المرأة على الإسلام بوضوح في مصر إبتداءا من منيرة ثابت:(أول صحفية مصرية) والتي يسمونها (الفتاة الثائرة) وكانت تستطيع أن تتدخل في توجيه دفة الحكم.

الأميرة نازلي فاضل ابنة مصطفى فاضل، سافرت إلى تركيا ثم إلى أوروبا وهناك تربت وأتقنت عدة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثم عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربية.

ثم جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة سنة (١٩١٩) بمظاهرة نسائية، وأحرقن الحجاب في الشوارع العامة، وقد أُخذت هدى إلى أوربا ولدى عودتها من رحلتها، وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت: انتهى عصر الظلام إلى الأبد، وشكلت (جمعية السيدات المصريات).

وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامة وسمت نفسها على الطريقة الإنجليزية باسم زوجها وأطلقت على نفسها لقب (أم المصريين)، وكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحكم.

وصدرت الصحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشرق) ومجلات (الهلال) و(المقتطف) و(المصور)، ونادى (لطفي السيد) بالتعليم المختلط وفرضه على الجامعة المصرية.

ثم جيء **بقاسم أمين** الذي رد مرة على أحد الفرنسيين (دار كور)، وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإسلام، فقام أمين ورد عليه وبين أن الإسلام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ وظيفتها الأساسية واحتشامها بلباسها، وبسبب هذه المقالة أوغر سعد زغلول ومحمد عبده صدر الأميرة نازلي على قاسم أمين لأن كلامه ينال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى العري والتهتك، ثم اقترحوا حلا لرضا الأميرة عليه بأن يكتب كتابا عن المرأة فخرج سنة (١٩٠٠م) بكتاب (تحرير المرأة) الذي اشترك في كتابته قاسم أمين والشيخ محمد عبده، وقبل سنوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد محمد عبده أن جده هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة: تحريرها من القيم والمبادئ والحياء والخلق.

وفي تركيا سنة (١٩٢٩) صدر قرار حرَّم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب، ونظام الحريم، وقانون الطلاق وخرجت المرأة في مدن تركيا باللباس العاري.

وفي سنة (١٩٦٥) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس، وهكذا في باقي البلاد.

أما الخط الثاني: (التشكيك في مصادر التشريع الإسلامي وتمييع نصوصها)

فقد تمثل في الهجوم على:

القرآن نفسه:

(فقد أعلن كرومر منذ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية والأزهر) [1].

وقد رفع دوجلاس دنلوب شعار سيده كرومر:

(متى توارى القرآن ومكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة)[1].

وأخطر ما عمله دنلوب، أنه رسم المناهج التي أصبحت مثلا يحتذى للدول العربية وقسم التعليم إلى قسمين: ديني وجعله خاصا بالأزهر ومعاهده، ومدني حارب فيه كل كلمة دينية، ومنع من توظيف خريجي الأزهر – أهل العلم الحقيقي

---

(١) لاحظ قوله وتفاصيل ما سيأتي من برامج الأوربيين في ما أسموه (**حرب الكلمة**) منذ القرن التاسع عشر، وقارن برنامج (**كرومر**) الحاكم البريطاني لمصر منذ (١٨٨٢) ، مع برنامج (**بريمر**) الحاكم الأمريكي للعراق منذ (٢٠٠٣)، واستراتيجية (رامسفيلد) و(رايس) **لـ (حرب الأفكار)** و(**تطوير المجتمعات**) العربية والإسلامية دينيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا! لتكتشف أن ما يجري الآن هو مجرد فصل لاحق لفصل سابق .. ولم يختلف إلا الغباء في التطبيق الأمريكي الذي يقوم على **الحمق والجهل والبطش وهمجية الكاوبوي** الذي حرم **ثقافة الأوربيين ومكرهم**!

(١) الآن تطالب أمريكا بحذف ما تسميه آيات وسور الجهاد والتحريض على الكراهية من مناهج التعليم، وتروج لمصحف مختصر تريد نشره أسموه (فرقان الحق)!!يحرض على التسامح بين الذئاب والنعاج! وتدخل الحكومات الآثمة في دورات تأهيلية لتجنب التطرف!

وكان أول من جاهر من ذراري المسلمين بإنكار ربانية القرآن هو(طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) الذي اتبع فيه مصدر التشكيك الذي ورثه عن ديكارت.

السنة المشرفة: لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

اللغة العربية: باعتبارها لغة القرآن.

التاريخ الإسلامي: والتركيز على الشبهات فيه وتضخيم مساحة الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم، والتركيز على أن الدولة العباسية هي دولة الإماء والخمور والغلمان خاصة في عهد الرشيد {كما روج لذلك} – كتاب الأغاني للأصفهاني – ثم تشويه تاريخ الدولة العثمانية الإسلامية واعتباره نوعا من الاستعمار.

استبدال الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية:

فلقد ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهائيا) وقطع الصلة بالإسلام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين، سلامه موسى، لطفي السيد وإسماعيل مظهر، وعبد العزيز فهمي.

يقول طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) **(علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب).**

مدرسة الخلط والترقيع (بين الإسلام والثقافة الغربية) ويتزعمها (الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده)، هؤلاء العلماء مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحدة الإسلامية، وكانوا مع الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخلافة.

فلقد آثر الغرب أن لا يستعمل القوة إلا في حالات الضرورة القصوى لأنه أدرك أن بإمكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققه جنده وأساطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الإنكليز- بالذات – أن من أفضل الطرق لضرب جذورهم في أرض المسلمين هو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتمييع الحواجز وإزالة الفواصل وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهدم الفوارق بين المسلمين والكافرين [1].

ومن هذه المدارس – مدرسة محمد عبده في مصر، فكان صديقا حميما لكرومر المعتمد البريطاني الذي كان يدير مصر منذ الاحتلال، والذي صرح **بأنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر، فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت)**، وكان ماسونيا، ومن رواد صالون الأميرة نازلي فاضل.

---

(١) الآن تقوم أمريكا بنفس البرنامج ، عن طريق افتتاح فالمراكز الثقافية ، والمؤسسات العلمية والبحثية العالية، وعن طريق أخذ الطلبة المتفوقين دراسيا، وأبناء الأغنياء والشخصيات السياسية والاجتماعية في بعثات دراسية إلى أمريكا لغسل عقولهم وإعادتهم بعقول وثقافة وتبعية روحية لأمريكا، وتصرح أمريكا في دعايتها لبرامج تلك البعثات، أن هؤلاء الخريجين سيتسلمون مهمة إدارة بلادهم في كل المجالات، وسيكونون زعماء بلادهم في المستقبل!

هؤلاء كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانية إلى الإسلام، وحطموا الحاجز النفسي بين الكافرين والمسلمين، وأصبحت نفوس المسلمين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القومية، يقول البرت حوراني:

(ومن الحق أن الذي يقرأ لمحمد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كان يريد أن يقيم سدا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر).

يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب) في كتابه: (أين يتجه الإسلام):

(ومن ناحية أخرى نجد أن الشيخ محمد عبده قد صنع جسرا فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي الجاف عن التعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الذي غزا الشرق والغرب).

ولا أشك أن تفسير محمد عبده للقرآن والذي نقله تلميذه محمد رضا يدل على الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم على صدور المسلمين واستحياء من المستشرقين، حيث أول الملائكة بالقوى الطبيعية، وفسر سجودهم لآدم بتسخير قوى الأرض له، وأول الجن بالميكروبات، والطير الأبابيل بمخلوقات من جنس البعوض والذباب، والحجارة مت سجيل بالجراثيم..!

فأين كان محمد عبده من قوله تعالى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ [هود].

وأصدق كلمة في محمد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية:

(فلعل الشيخ محمد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن – زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد)، ويقول شيخ الإسلام مصطفى صبري – كذلك:

(أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده على الدين، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات، ولم يقرب اللادينين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني، كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر.

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كبيرة منها:

التطوير: ومعناه تمييع النصوص الإسلامية، وإدخال الإلحاد والعلمانية الغربية بالثوب المقنع البراق، وبناء قنطرة فوق الهوة التي صنعها الإسلام بين الشرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتواصل وبالتالي تؤدي إلى تمزيق العالم الإسلامي كما يقول جب: **(لعل الآراء الجديدة وحاجات الحياة ستنجح أخيرا في تشتيت المجتمع الإسلامي وتمزيق وحدته).**

الإتصال بالثقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير

رفع شعار الحرية: وقد قامت الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي بتوفير الحرية الفكرية إذا استعملها الناس ضد الدين.

الدعوة إلى دين عالمي: ومعنى الدين العالمي إنهاء الإسلام نهائيا وذوبانه في بوتقة اليهودية العالمية.

التقارب بين الأديان:

الدعوة إلى أنواع للإسلام: كالإسلام الكلاسيكي، والإسلام الهندي والإسلام الباكستاني والإسلام التركي.

الإصلاح الديني: ومعنى الإصلاح الديني تغيير نصوص الإسلام نصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإسلام.

العلمانية: وذلك ليصبح الإسلام كالمسيحية تماما لا صلة له بالحياة كما جاء.

وقد كان الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثلاثة للأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنبا إلى جنب.

الخط الثالث: خط التمزيق للأمة المسلمة: القومية: العربية والكردية والهندية.

❖ الدعوة القومية والأسباب الحقيقية التي كانت وراءها:

السبب الرئيسي:

- هو محاولة الغرب استبعاد الإسلام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحروب الصليبية، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا.

- طمح محمد علي إلى عمل إمبراطورية قومية عربية، تنفصل عن الحكم العثماني وقد زين له هذا الأمر الفرنسيون بالذات، للتخلص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتى يرث الغرب ممتلكاتها.

فقد كان محمد علي معجبا بالفرنسيين، ثم استقدم إلى مصر د.(كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره، فأشار عليه بفكرة القومي(وقد عنى كلوت بأن يطبع الطلاب في الدارس العليا التي كان يديرها على الشعوب الصحيح بالقومية العربية) وبدأ محمد علي يرسل البعثات إلى فرنسا، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القومية، ومن بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس (١٨٢٦- ١٨٣١) فحمل فكرة الثورة الفرنسية القومية، **وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٣)**: الذي نادى بمبايعة خليفة عربي في كتابه (أم القرى)، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاستبداد)، دعا إلى المساواة بين الأديان لتحقيق التمسك القومي:

(دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط، دعونا تجتمع على كلمة سواء، ألا وهي فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء)، (هذه الأمم أوروبا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الإداري).

ومنهم لطفي السيد: الذي عمق الوطنية الإقليمية وتزعم الدعوة إلى التاريخ الفرعوني.

وسعد زغلول الذي سلمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الإقليمي الفرعوني على الصعيدين السياسي والاجتماعي.

وكذلك لا بد من الإشارة إلى إصبع من أصابع التخريب وهو عبد العزيز فهمي وطه حسين الذي فصل من الجامعة بسبب كفره الصريح في كتابه(الشعر الجاهلي) فاستقال لطفي السيد من الوزارة (وكان وزيرا للمعارف) احتجاجا على فصل طه حسين من الجامعة المصرية.

هذه المجموعة هي التي فرغت الشعب المصري من الإسلام لتحل محلة أفكارجديدة من الفرعونية والعلمانية والوطنية اللادينية.

إبراهيم باشا:

هو أكبر أبناء محمد علي باشا، أرسله والده إلى الجزيرة العربية، (١٨١٦- ١٨١٩م) فدخل الدرعية٬ وقضى على الدعوة الوهابية، ثمَّ أرسله والده إلى الشام ومكث فيها ٧ سنوات، (١٨٣٣- ١٨٤٠) وكان لهذ السنوات أثر عميق في تغير مجرى الأحداث في الشام ولمدة قرن ونيف. حيث:

- ألغى الأحكام الإسلامية المطبقة على النصارى في الشام، ونادى بمساواتهم بالمسلمين.
- شجع الجمعيات التبشيرية ومدارسها، وكان نتائج ذلك:

قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكية) وكان من بين رجالاتها[1]: أيلي سميث والدكتور (كورنيليوس فاندك) ومن لبنان ناصيف اليازجي: (١٨٠٠-١٨٧١) نصراني، عمل مع البعثة الأمريكية وابنه إبراهيم اليازجي أول من أسس(جمعية بيروت السرية) ذات الطابع القومي، كان نصرانيا ماسو نيا، عاش ما بين (١٨٤٧-١٩٠٦)، وهو صاحب القصيدة التي تنادي بالثورة على الأتراك:

تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ ... لقد طما السيل حتى غاصت الركبُ
أقداركم في عيون الترك نازلة ... حقكم بين أيدي الترك منتهب
لنطلبن بحد السيف مأربنا ... فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

- بطرس البستاني: (١٨١٩-١٨٨٣)، وهو لبناني كان يعمل مترجما في القنصلية الأمريكية في بيروت، أصدر قاموس (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) و(دائرة المعارف للبستاني)، وأصدر مجلة (نفير

---

(١) لاحظ قدم المحاولات الأمريكية للتسلل للمنطقة، حيث لم يتمكنوا لقوة بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الإستعمار آنذاك، حتى جاءتهم الفرصة وجاء مقت أن يحصدوا ما زرع أجدادهم المبشرون البروتستانت من النصارى المتهودين .

سورية) يدعو إلى الوحدة القومية، أسس (المدرسة الوطنية) وأصدر مجلة (الجنان) شعارها (حب الوطن من الإيمان).

ويعتبر اليازجي والبستاني من الرواد الأوائل لفكرة القومية العربية.

ومن ثمار البعثة الأمريكية، أنها قامت بإنشاء أكبر معهد لحضانة الفكر القومي وهو:

الجامعة الأمريكية في بيروت (١٨٦٦م):

كان لها أثر في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكرة القومية، ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القومي (قسطنطين زريق) الذي تخرج على يديه (جورج حبش).

ومن الأعمال التي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجمعيات التي تنادي بالفكر القومي وأهمها:

جمعية الآداب والفنون – الجمعية الشرقية - الجمعية العلمية السورية - **وغيرها من الجمعيات..أغلب أعضاؤها من النصارى.**

من هذا ندرك:-

أن بداية العمل القومي المنظم كان في بلاد الشام عن طريق النصارى، من تلاميذ البستاني واليازجي، بالإضافة لدعاة القومية العربية (من نصارى الشام في القاهرة) الذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها! كان يعمل هناك في المركز الآخر في باريس بعض النصارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري، وهو نصراني سوري ألف جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس، وكان هدفها الذي أعلنته تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية، ونشر كتاب (يقظة الأمة العربية) وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجلة (الاستقلال العربي).

و يكاد كثير من كتاب القومية العربية يعتبرون مؤتمر باريس **سنة (١٩١٣)** أساسا للقومية الحديثة

وهنالك عوامل هامة كان لها أثر كبير في تأجيج نار القومية العربية في الرابع الأول من القرن العشرين، ومن أهم هذه العوامل:

١. استلام جمعية الإتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد في (٢٧) نيسان سنة (١٩٠٩) وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية، ومن المعلوم أن قادة الإتحاد والترقي كلهم على الإطلاق من الماسون، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق، فالأيادي الماسونية - اليهودية – هي التي تبنت فكرة القومية العربية، وهي نفس الأيادي التي كانت تحرك في الوقت ذاته (القومية الطورانية) التي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليهود الإيطاليين، وقد أدت عملية التتريك الجبري على يد يهود الدونمة إلى ردود فعل عنيفة لدى العرب بإنشاء الجمعيات السرية والعلنية، التي تنادي بالقومية العربية، وتنادي بفصل الدول العربية عن الأتراك.

٢. تولية جمال باشا واليا على بلاد الشام، وقد اضطر جمال باشا أن يهادن العرب ويحسن إليهم في بداية الحرب الكبرى، لئلا ينضم العرب إلى معسكر الحلفاء ضد تركيا، وبعد إحساس جمال بنية الشريف حسين بدخول الحرب ضد تركيا إلى جانب بريطانيا أمر بإعدام (١١) شخصية عربية في لبنان، وفي (٦) أيار سنة (١٩١٦) شنق (٢١) شخصية عربية أخرى، ولقد أحدثت هذه الإعدامات هزة عنيفة في العالم العربي، وقد كان الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته على الأرض وداسها وقال: (طاب الموت يا عرب).

٣. دخول الشريف حسين الحرب العالمية إلى جانب بريطانيا ضد تركيا **وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الاثنين (٥) حزيران سنة (١٩١٦)**، ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب ﷺ بالمدينة أعلن الحرب بعد أن وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها، وتعتبر وقفة العرب بجانب الحلفاء ضد تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع على أساس القومية يقول لورنس: (رجل المخابرات البريطاني وملك الصحراء العربية كما يسمونه):(وأخذت أفكر طيلة الطريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟)، ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التفكير القومي، ولكن بعد الحرب الأولى إن كانت التجربة القومية مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الإستعمار بثقله على كاهل العالم العربي، وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القومية ومفكروها، خاصة بعد ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحربين الأولى والثانية أدت إلى ازدياد التفكير القومي أهمها: الإستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه: العلمانية (اللادينية) إلى أجهزة الدولة، ورفع الطبقة الممزقة اجتماعيا، المتفلتة أخلاقيا، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم، الجديد وأصبحت هذه الطبقة هي المستعمر الجديد وإن كانت من أبناء المنطقة.

المناداة بالأفكار القومية كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الإتجاه الديني، وأخذ العبرة من التاريخ الأسود المرير لرجال الدين في العصور الوسطى في أوربا.

أصبح نغم التحرر من الإستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة على الإسلام والتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام الذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!!

بروز التفكير القومي على شــكل تنظيمـات يقودهـا المســيحيون، وبروز حزب البعـث، والقوميين العرب والقوميون السوريون على السطح، وكانت الجامعة الأمريكية محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار)] أهـ[١]

هكذا كانت الحال في مصر والشام – أواخر القرن التاسع العشر وأوائل القرن العشرين.

❖ مؤتمر بال في سويسرا /١٨٩٧/:

يكاد كثير من مفســري التاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتبر أخطر حادث في العصــر الحديث، وهو نقطة التحول بالنسبة للعالم الإسلامي، إذ دأبت بعده اليهودية العالمية على تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك التي تصطاد بها المسلمين للوصول إلى أرض الميعاد.

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي صمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهود

وفي ســنة (١٨٩٧) اســتطاع أن يجمع المنظمات الصــهيونية في مؤتمر صــهيوني عالمي في بال، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدولة اليهودية قامت وحدد لذلك زمنا لا يتعدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صــهيون) التي تعتبر أخطر الوثائق في العصــر الحديث، ومعظم التدمير الذي حل بالبشرية في القرن العشرين كانت بسببها.

من نصوص من البرتوكولات:

- **البرتوكولات الثاني** (لا تحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، نحن الذين رتبنا نجاح دارون – من قبل – وإن فرويد منا، وإن ماركس ونيتشة منا، وسنبقى ننشر آراءهم لما لها من أثر هدام على الفكر الأممي)، (الفكر الأممي) يعني فكر الأمم غير اليهودية، وقد أشار القرآن إلى طبيعة اليهود هذه فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [آل عمران] ليس من حرج ولا إثم علينا – اليهود – إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليهودية.
- **البرتوكول الثالث:** (سننشر بين الشعوب أدبا قذرا مريضا يهدم الأسرة، وسنستمر بالترويج لهذا الأدب، يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا. إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر).

---

(١) (الذخائر العام: ج١/ ٨٨٢-٨٨٩).

- **البرتوكول الرابع**: (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما حسابية وضرورات مادية).

وخلاصة البرتوكولات تتخلص في كلمة (أوسكار ليفي) التي قالها بتبجح وصلف: **(نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه).**

وكانت طريقة اكتشاف البرتوكولات أن روسيا علمت أن اليهود يخططون ضدها فأرسلت لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليهود من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثم أحضرتها روسيا، وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس سقوط القيصرية في روسيا، وسقوط الدولة العثمانية.

- وقد كان **البرتوكول الرابع عشر** يقول: (يجب علينا أن نحطم كل عقائد الأديان)

❖ السلطان عبد الحميد خان الثاني (١٨٨٦ – ١٩٠٩م):

كتب الشيخ عبد الله عزام في كتابه الهام جدا (خط التحول التاريخي): إنَّ معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني /الذي حكم ٢٣ سنة.

وهذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد وتكالبوا على إقصائه، وكان خلعه في نيسان سنة (١٩٠٩م)، وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وسقطت فلسطين حقيقة في يد اليهود.

يقول الشيخ عبد الله عزام ﵀ في كتابه خط التحول التاريخي:

[إن أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية هو عملية التحول الداخلي أي الهزيمة الروحية والنفسية والعقلية أمام أعدائها، فركعت على أقدام الطغاة، وأصابها الوهن الذي عرفه رسول الله ﷺ بأنه: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، فالهزيمة تبدأ داخلية ثم تنعكس على ساح المعركة، والخلل يبدأ في أعماق النفس ثم نرى آثاره اندحارا في ميادين الحياة، سلوكا وأخلاقا ومعاملة، فكيف تمت عملية التحويل؟!

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران].

وهكذا توالت النكبات على تركيا، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون –المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، الديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

❖ مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة:

برزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية مع اليونان، وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال، وهناك بعض المحللين التاريخيين والسياسيين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث التي كانت تعسكر قواتها على مقربة من أرض المعركة كان لخطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل دور الذي ينتظره وهو محاربة الإسلام وإسقاط الخلافة.

١٩٢٢م معاهدة لوان (بين بريطانية ومصطفى كمال أتاتورك)

اشترط عليه كرزون – وزير خارجية بريطانيا – آنذاك – شروطا أربعة وهي:

١- إسقاط الخلافة في تركيا.

٢- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.

٣- محاربة الشعائر الإسلامية.

٤- اتخاذ قانون غربي للحياة في تركيا بدل الشريعة الإسلامية.

قبلَ مصطفى كمال أتاتورك بهذه الشروط وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا، قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا **فقال: اطمئنوا** (لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

١٩٢٤م ألغيت الخلافة وغاب المسلمين عن مسرح القوي الدولية وتقدم أتاتورك بمرسوم يقضي بإلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة

❖ المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإسلامي سنة ١٩٣٢:

خلال الثلث الأول من القرن العشرين، نجح اليهود وحلفاؤهم الغربيين في مجالات شتى في العالم الإسلامي.

فقد أسقطوا الخلافة العثمانية، وزجوا بتركيا في الحرب العالمية الأولى، فحطموها وتقاسموا ممتلكاتها، وقد وقف الزعماء العرب بسذاجتهم إلى جانب الحلفاء والإنجليز خاصة ضد إخوانهم المسلمين الأتراك العثمانيين، ظنا منهم أنهم سف يساعدوهم على قيام مملكة عربية مستقلة! يقول لورنس (رجل الإستخبارات البريطاني) الذي رتب الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين لمساعدة بريطانيا التي أغدقت الوعود الكاذبة للشريف حسين والي مكة والحجاز آنذاك، يقول: **(كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، وكان لهم ثقة بالعدو، إنني أكثر ما أكون فخرا أن الدم الإنكليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضناها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنكليزي واحد)**.

لقد قال ويزمن بعد ذلك: **(لقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود)!**

ثم بدأ الغرب عن طريق التعليم ينفث الم في أوصال هذه الأمة، فأفسد الناشئة، وأفسد النساء وحطم المكونات الأسرية، وأدخل أندية الماسون والروتاري في نخبة المجتمعات. ونشر الفسوق عبر المسرح والسينما ووسائل الإعلام.

يقول **المستشرق الإنكليزي جب** في كتابه وجهة العالم الإسلامي:

[عن **(التعليم)** (١):

إن هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المسلمين وتغريبها، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أراضيها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل!].

ويبدي جب تخوفه من ناحيتين:

١- المعاهد الدينية.

(١) انتبه لاهتمام الإستعمار الأوربي بالتعليم ، **ولتصريحهم بلا خفاء عن أهدافهم من وراء ذلك**، وتذكر الإلحاح والإجبار الذي تمارسه أمريكا اليوم لإعادة مسخ ما مسخ من مناهج التعليم، وعقد الحكومات العربية والإسلامية بضغط من أمريكا عشرات المؤتمرات تحت الشعار الخادع: **(تطوير مناهج التعليم)** .

٢- **الحركات الإسلامية**: التي يرى أنها تتطور بسرعة مذهلة مدهشة، وتنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها.

و يقول: [**إن الحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين]!**

❖ زعيم المبشرين (زويمر) يصف المسلمين الذين يريدهم الغرب سنة ١٩٣٣ (١):

يقول زويمر مخاطبا المبشرين في مؤتمر القدس سنة ١٩٣٣:

[**.. إن مهمتكم هي إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السابقة خير قيام.

**** لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية، تلك التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية.**

**** أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل تمهيد.**

**** إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الإستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات، فإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك.**

---

(١) **إقرأ ..وتمعن ..وستفهم**: أنه لم يتبدل أي شيء في برنامج الإستعمار بين الروم الصليبيين الأوربيين ، والروم المتصهينين الجدد الأمريكيين . اللهم إلا ما أشرنا إليه من **خصائص الكاوبوي الأمريكي** ، وثلاثيته: **الحمق والجهل والبطش**، لأنه يستعجل النتيجة، ولأنهم قزم بلا تاريخ ولا حضارة .

ويقول زويمر: [إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ١٨٨٢م على برامج التعليم في المدارس الابتدائية، أخرجت منها القرآن، ثم تاريخ الإسلام، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة، ولا هي مسيحية، ولا هي يهودية، ناشئة مضطربة، مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا، فلا للدين، ولا للكرامة، ولا للوطن حرمة]! أهـ.

لقد وصف**(زويمر)** الجيل خلال القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين وصفا دقيقا، ولكنه خاب فأله فيما بعد، ولم يصدق ظن **(جب)**، الذي رأى أن الشرق المسلم سيصبح علمانيا عن قريب.

لقد كان الله عز وجل لهم بالمرصاد، (فقد نهضت الصحوة الإسلامية بمدارسها المختلفة، ثم أفرزت الصحوة الجهادية، وعادت الأمة تلتمس الخلاص في طريق القرآن).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال]. أهـ [١]

النظام العالمي الجديد ١٩٩٠م وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا:

هو مصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطابه إلى الأمة الأمريكية بمناسبة ارسال القوات الأمريكية إلى الخليج بعد أسبوع من نشوب الأزمة ١٩٩٠م وفي معرض حديثه عن هذا القرار تحدث عن فكرة عصر جديد وحقبة جديدة وزمن للسلام لكل الشعوب.

أسباب الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي منذ ١٩٩٠م:

أولا: أسباب متعلقة بالروم الجدد (أمريكا – أوربا – روسيا):

١. التدهور الاقتصادي وتراجع الواردات المالية في العالم الصناعي

٢. سحر القوة الذي سيطر على الإدارة الأمريكية وجنون الحلم الإمبراطوري

---

(١) (الذخائر العظام - ج١/٩٠٨- ٩٣٩) .

٣. سعي الدول الأوربية وروسيا لمعاونة أمريكا خوفا وطمعا بالإضافة للدافع العقدي الصليبي المتجذر لدى جميعهم: فالخوف من أن تمتلك أمريكا وحدها فعليا منابع الطاقة ومصادر القوة وأن تتحكم بها، وطمعا في ما يمكن أن تجره لها المشاركة من مكاسب ترقع بها اقتصادها المنهار.

ثانيا: نضوج المشروع الصهيوني واقتراب اليهود من موعد هدم المسجد الأقصى واعلان مملكة إسرائيل الكبرى بحسب الأحلام التلمودية.

ثالثا: أسباب متعلقة بظروف العالم الإسلامي:

فقد أدى نشاطا الصحوة الإسلامية التي سارت في محاور ثلاثة دعوية/ سياسية / جهادية مسلحة، إلى أن تكون شبحا مرعبا يهدد مصالح الصليبيين والمشروع الصهيوني في المنطقة، فقد انتشرت الأحزاب التي تبني المشروع الإسلامي واستطاعت أن تكون كتلا نيابية كبيرة في عدد من برلمانات الدول العربية والإسلامية، بل بعضهم أن يشكل الحكومات كما في تركيا أو كاد كما في الجزائر، كما أدى النشاط الدعوي لمختلف مدارس الصحوة إلى أسلمة قطاعات كبيرة من المجتمع ولو عاطفيا، ولكن الأخطر من ذلك أن قمع السلطات لمختلف مجالات الصحوة السلمية والذي كان ترتيبا لحصار الصحوة أدى إلى امتداد الصحوة الجهادية وازدياد منجزاتها وخبراتها ولاسيما بعد نضوج كوادرها وتضخمها من خلال تجربة الأفغان العرب الأولى في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢)، فقد شكلت الظاهرة الإسلامية تهديدا حقيقيا للأنظمة العربية والإسلامية وأصبح الصليبيون غير مطمئنين إلى حسن أداء تلك الأنظمة التي أقاموها في المنطقة ولا إلى مصيرها ورغم نجاح هذه الأنظمة في قمع كافة مدارس الصحوة وإيصالها إلى الفشل في تحقيق أهدافها وإدخالها في ضحضاح الأزمة عمليا، إلا أن الغرب بما درس من تكويننا الحضاري يعلم مدى خطورة الجذوة الكامنة تحت الرماد الساكن حاليا، ورأى أن وجوده العسكري الفعلي هو خير ضامن لمصالحه، وأن عليه أن يقوم بتنفيذ سيكس بيكو جديدة تقسم المقسم وتجزئ المجزأ من هذه الكيانات وتضمن بحسب ما يتخيل مصالحه بنفسه وبحراسة حراب جنوده.

وهكذا تضافرت الأسباب الثلاثة لأن تزحف تلك الحملات الصليبية الثالثة وتجتاح الشرق الأوسط من جديد.

محطات الحملات الصليبية الثالثة (١٩٩٠-٢٠٠٣):

- **المحطة الأولى: حرب العراق الأولى (عاصفة الصحراء – حرب تحرير الكويت):**

افتتحت أمريكا حملاتها الصليبية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (١٩٩٠) مباشرة بتنفيذ برنامجها الذي أعدت له من أواسط السبعينات وشكلت من أجله آنذاك قوات التدخل السريع للسيطرة على منابع النفط وتحدثت العديد من الدراسات والكتب في حينها عن سيناريوهات افتعال تهديد لدول الخليج إما من العراق أو إيران لتبرير التدخل الأمريكي.

فقد تم استدراج صدام حسين عن طريق السفيرة الأمريكية في بغداد وإغرائه باحتلال الكويت، وسحقت القوات الأمريكية الجيش العراقي وخلفت أكثر من ٣٠٠ ألف قتيل بين المدنين والعسكريين ودمرت البنية التحتية للعراق التي بنيت عبر نصف قرن من الاستقلال ثم ضربت الحصار القاتل على العراق لمدة ثلاثة عشر عاما قتلت خلالها أكثر من مليون ونصف المليون طفل من أطفال العراق عدا ما قتلت من ذويهم نتيجة النقص الحاد في الغذاء والدواء.

وبعيد الحرب العراقية الأولى مباشرة وكإجراء احتياطي ضد المقاومة المفترضة التي ستنشأ كرد فعل على هذه الحملات الصليبية، والتي من المفترض أن تقوم بها أوساط الحركات الجهادية وشباب الصحوة الإسلامية، أطلقت أمريكا حملتها لمطاردة الجهاديين ورموز الصحوة الجهادية تحت دعوى مكافحة الإرهاب، وتصاعدت وتيرة المؤتمرات الأمنية العالمية والإقليمية خلال ولاية كلينتون الذي خلف بوش الأب لتتابع أمريكا هجماتها على العالم الإسلامي فتتابع حصار العراق وتتولى إجبار الدول العربية والإسلامية على مشاريع التطبيع مع اليهود وتتولى بنفسها مكافحة (الإرهاب الإسلامي) كما وصفوه.

ولقد برز الدور الأخبث لطائفة علماء السلطان مع قدوم الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا منذ ١٩٩٠ على الشرق الأوسط، فلما زحفت إلينا جحافل الأمريكان والأوربيين وحلفائهم المرتدين وعساكرهم، تولى علماء السلطان وفقهاء الضلالة والفاسدين في الصحوة كسح الألغام أمام تلك العساكر وتحطيم أي إمكانية مقاومة قد تنشأ ونزع غطاء الشرعية عنها سلفا، وقد تولى تنظيم ذلك النظام الحاكم في السعودية وجهازه الديني الذي بادر إلى إطلاق فتاوى جواز الاستعانة بالكفار للضرورة من قبل أولياء الأمور الشرعيين وإضفاء الشرعية على ما حصل، وبذلك قطعوا الطريق على من يفكر بالجهاد، وشكل مؤتمر مكة ١٩٩٠ الذي دعي له ٤١٣ شخصية من كبار علماء المسلمين وقيادات الصحوة والرموز الدينية من كافة دول العالم

الإسلامي الثمانية والخمسين، وحضر منهم ٣٩٨ شخصية، فأصدروا بيانا ختاميا شرع للوجود الأمريكي والتعاون معه ضد العراق بصفتها استعانة شرعية.

- **المحطة الثانية: إشعال الحرب الأهلية بين الفصائل الأفغانية بعيد خروج الروس (١٩٩٢-١٩٩٦م)**

فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرئيسية في أيديهم، توجه المخطط الأمريكي الغربي نحو أفغانستان في منحيين اثنين تجاه تلك الساحة، الأول أفغاني والثاني عربي.

ففي الإتجاه الأفغاني كان برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان، الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلن دولة إسلامية وتحكم بالشريعة وتنهض بإعمار أفغانستان، وكان البرنامج المقرر افتعال مرحلة من الحرب الأهلية تستهلك المخزون الإستراتيجي من السلاح ومئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهادية في أفغانستان، وهذا ما نفذوه خلال (١٩٩٢- ١٩٩٦).

فقد كان جهدهم منصب على تفكيك الجمع الجهادي العربي وتشتيته ومطاردة عناصره وكوادره، في بلادهم وفي أنحاء الأرض، والعمل على تشويه سمعة المجاهدين الذين حولت وسائل الإعلام اسمهم إلى المتمردين ضد النظام الشيوعي

وهكذا انتقل التيار الجهادي إلى مرحلة جديدة استمرت من (١٩٩٢- ١٩٩٦)، يمكن أن نسميها بـ(مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة).

التيار الجهادي ومرحلة الملاذات والشتات:

فتفرق الجمع العربي والذين بلغ أو جاوز عددهم الأربعين ألفاً من مختلف الجنسيات على الشكل التالي:

أ- **القسم الأعظم كان من بلدان لا مشاكل حادة بينها وبين الإسلاميين فيها**، فهم تحت الرقابة والإرهاب وطائلة الإتهام في أي لحظة والاعتقال التعسفي وأدخل جلهم إن لم يكن كلهم السجن، وعذبوا بكافة الأساليب التي دربت عليها المخابرات، فما بالك بمن عاد للدول الديكتاتورية المعروفة بطغيانها، فإلى الله المشتكي.

ب- **قسم استوطن في باكستان** وتوزعوا في مدنها وبعضهم تزوج فيها والقسم الآخر تابع حياته الاقتصادية بعمل ما واتخذها مستقراً، فقد تعرضوا لحملات أمنية شرسة وكثيراً ما غيروا بيوتهم وفروا منها وهم هناك تحت طائلة الفقر والكفاف في بلاد تصدر العمال والعاطلين عن العمل لكافة أنحاء الأرض وقد نقص

عددهم، وقصارى هم معظمهم أن يفوز بما فاز الآخرون بالذهاب للجوء السياسي أو النزول حيث نزل الناس من البلاد.

ت- **قسم ذهب إلى السودان** وكان منهم الشيخ أسامة بن لادن وفلوسه وشبابه، كما استقبلت السودان جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية المصرية بشكل علني، واتخذتهم ورقة للضغط على حكومة مصر التي تؤوي وتؤيد المعارضة السودانية، ثم خرج الشيخ أسامة لما لم يعد بينه وبين أن يُخرج عنوة إلا قليلاً، ويمم وجهه شطر أفغانستان بمن معه من الأسر والأتباع مخلفاً ما قدم للإسلام والمسلمين في السودان من مساعدات اقتصادية ومشاريع، أمانة لدى من لم يؤتمنوا على دين الله ورسوله حتى يؤتمنوا على أموال المسلمين، وأما جماعة الجهاد المصرية فقد أخرج آخر عناصرها عنوة وتحت التهديد ولم يسمح بالبقاء للنساء والعجزة والأطفال، ورحلوا قسراً قبل وصول فريق تفتيش من حكومة القاهرة، وأما الجماعة الإسلامية فلم تكن أحسن حالاً هناك، وحتى جنسيات أخرى، لقد أخرج كل من فيها إرضاءً لليهود والنصارى والأمريكان والمرتدين وتحقق للسودان وعد الله الأزلي ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]

ث- **قسم ذهب لليمن** نظراً للظروف المريحة والمتفلتة في اليمن ونفوذ الإسلاميين والقبائل فيها، هؤلاء تعرضوا لعدة حملات أمنية واعتقال ومشادات وخرج معظمهم لا يلوي على شيء ولم يبق إلا النذر اليسير في جوار بعض أهل النخوة من القبائل وقد خرج الغالبية منهم.

ج- **قسم يمم وجهه شطر أوربا للجوء السياسي** فتوجهوا لعدة دول أوربية كان أهملها بريطانيا بحكم قوانين اللجوء، وما تتيحه من المساعدات المادية والظروف الاجتماعية، ومثلها كندا وبعض دول وسط أوربا فهؤلاء أنا أعرف بأحوالهم من كل الآخرين لأني كنت معهم والحقيقة أني لم أفهم نهي رسول الله ﷺ عن السكنى بديار الكافرين التي آوينا إليها قسراً والحمد لله الذي نجانا منها ونسأله ألا نعود ولا أحد من ذريتنا إليها لم أفهم ذلك إلا عندما عشت ورأيت هذه المعاناة، حيث لم يحصل على اللجوء السياسي إلا نذر يسير من الإخوة والباقون مجمدون عن السفر والحركة بانتظار البت في طلباتهم، والمحظوظ منهم كمن في بريطانيا أو الدول الإسكندنافية، يحصل على مساعدات اجتماعية تضعه فوق خط الفقر والكفاف بقليل، وأما من قذف إلى بلاد ذات ظروف سيئة ومعظم الدول تسير الآن بقوانين اللجوء نحو الظروف السيئة- فكثير منهم وضعوا حتى مع عوائلهم إن كان معهم أسر، وضعوا في معسكرات التجميع لطلاب اللجوء السياسي مع الزنوج والفلبين والفيتنام وأهل أمريكا اللاتينية وغيرهم من اللاجئين حيث المطابخ

والحمامات مشتركة بين النساء والرجال، وصرفت لهم مساعدات لا تكفي الوصول لخط الفقر وهم في أحوال دون مستوى حقوق الآدميين هذا من حيث الظروف، أما من تيسرت أحواله فقد دخل دوامة الحياة الأوربية وهي مطحنة محرقة، فالكفر هناك عقر داره، ومشاكل تربية الأولاد والمدارس، وكسب العيش وإحاطة الحرام بالمسلم من كل جانب تحتاج لوصف طويل، والمخلص الطيب من إخواننا يعيش في عذاب ضمير كل ساعة، فالدين ينقص من العزيمة للرخصة ومن الرخصة للتساهل، ولقد فتن البعض، وخف ورق دين الجميع بلا استثناء، كل بحسبه، والمسلمون من الحركات الإسلامية هناك مناوئين للجهاديين ويسيؤون معاملتهم وربما منعوهم مساجدهم، وباقي الجالية من المسلمين القدماء في تلك الديار أحوالهم أو أكثرهم تسير للكفر، إن لم يكن كفرهم فكفر ذراريهم إلا من رحم الله وهم النادر القليل، وكل من وصل هناك من أصحاب الضمائر وتيسرت أحواله يسأل الله ليل نهار أن يخرج من تلك البلاد، وأما عن الاحوال الأمنية فالإخوة مراقبون في كل البلاد بشدة وقد تعرضوا للاستجواب والتحقيق بحسب أهميتهم ونشاطهم مرات ومرات، وهم مهددون كل لحظة بأن يدخلوا تحت طائلة قوانين الإرهاب التي تشتد يوماً بعد يوم، حسب حالة الصراع مع النظام الدولي ويعتقل البعض بين حين وآخر، ويهددون بالترحيل والتسليم لبلادهم للإعدام، ولم تكف مخابرات تلك الدول هذه عن محاولة اصطياد بعضهم لتجنيدهم كعملاء وجواسيس لها كما فعلت مع عديد من أتباع الجماعات الإسلامية الأخرى المقيمين في بلادها منذ زمن طويل عبر الضغوط النفسية والإرهاب والترغيب، وأما تلك الهوامش الضيقة التي كانت قائمة بسبب تضارب سياسات تلك الدول فهي في طريقها للانتهاء، أو انتهت بحكم توحيد السياسات الدولية والأمنية في مكافحة الإرهاب، وهو ما يقصد به الحركات الجهادية الإسلامية، وفي الآونة الأخيرة عمدت الدول كلها وأشدها ديمقراطية مثل بريطانيا والدول الإسكندنافية، إلى تعديل قوانينها وإعادة التصويت عليها في برلمانهم لتضييق دائرة اللجوء السياسي ولتعريض لائحة تهم الإرهاب التي تشمل الآن التخطيط أو المساعدة او الدعوة أو حتى التأييد الأدبي لما يسمونه إرهاباً، وهم أصحاب الحق طبعاً بوصف ما هو إرهاب وما هو غير ذلك!وقد اعتقل وهدد كثير من الإخوة في مختلف دول أوربا بوضعهم تحت طائلة هذا القانون.

ح- **البوسنة والشيشان:** فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان، اشتعال الجهاد في البوسنة ما بين (١٩٩٣-١٩٩٥)، فيما كان المسلمون يتعرضون لمذابح الصرب والكروات، مما أوجد ساحة جهادية جديدة أمها آلاف الشباب المجاهد من البلاد العربية وبعض الإسلامية، وقد كان في طليعتهم بعض الجهاديين، الذين خرجوا من ساحة أفغانستان لكي يلتحقوا بساحة البوسنة، وكذلك توجه بعض

الأفغان العرب وعلى رأسهم القائد الشهيد خطاب وبعض رفاقه من الأفغان العرب إلى الشيشان ليؤسسوا بؤرة جهادية حملت مشعل الجهاد وأضافت لصفحات الجهاديين في الربع الأخير من القرن العشرين صفحات مشرقة إلى تلك الصفحات المجيدة التي شهدتها مناطق مختلفة قبل ذلك، وفي زحمة زخم الهجمة الأمريكية الصليبية على العالم الإسلامي ومزاعم مكافحة الإرهاب والأصولية الإسلامية، استغل الروس الظروف العالمية في مواجهة المسلمين وشنوا حربهم الدموية على الشيشان حيث ارتكبت أبشع المجازر وتعرض المسلمون الشيشان لحرب إبادة ما زالوا يقدمون قرابينها بالآلاف إلى اليوم، كما شن الصرب والكروات بدعم من الفاتيكان ودعم وسكوت الدول الأوربية حرب إبادة على المسلمين في البوسنة ثم كوسوفو، حيث ارتكبت أبشع المجازر التي راح ضحيتها مئات الألوف من المسلمين تحت سمع وبصر الأمم المتحدة بل في داخل محمياتها كما حصل في مذبحة (سيربينتسا) حيث انسحبت قوات الحماية الفرنسية الموكلة بحراسة محمية للأمم المتحدة لتفسح المجال لمليشيات الصرب أن تقتل أكثر من ٨٠٠٠ مدني بوسني مسلم أكثرهم من النساء والأطفال والعجائز في أكبر سلسلة مذابح إبادة جماعية في أوربا منذ الحرب العالمية الثانية.

خ- القسم الأخير لم يتحملوا الإقامة في باكستان أو لهم ظروف أمنية فيها ولم يتيسر لهم لأسباب مادية في الغالب من المال والوثائق أن يتحركوا فيما تحرك أسلافهم فلم يكن لهم من مكان إلا أن يتوجهوا إلى **أفغانستان** ليستقروا فيها ويتنقلوا بينها وبين باكستان للضرورة، وقسم ضئيل بقي في أفغانستان أصلاً للحفاظ على أمانة استمرار بعض المعسكرات والتدريب الذي ضاق مجاله ولكن لم ينقطع في ظل حرب الأحزاب لأن مناطق المعسكرات بعيدة عن مناطق الصراع حول كابل بالإضافة لبعض الشباب الذين قرروا المضي في الجهاد إلى نهايته في أفغانستان والصمود فيها على الهدف الأول الذي جاؤوا من أجله وهو إقامة دولة إسلامية في أفغانستان، ويروي هؤلاء معاناة أمنية ومعيشية غاية في الصعوبة خلال مسيرة صمودهم على الخط في أفغانستان كانوا أحسن الناس حالاً في حفظ دينهم وكرامتهم وأمنهم، وانفرجت الأحوال عليهم مع مجيء الطالبان.

كان هذا السيناريو عموماً ما بين ٩٢ وسقوط كابل إلى أواسط ٩٦ أي قبل ظهور الطالبان على كابل بقليل.

ولقد قامت خلال هذه المرحلة محاولات عديدة من أجل تكوين تنظيمات سرية دخلت في مراحل من الإعداد للمواجهة مع حكومات بلادها على أمل إسقاطها وإقامة حكومات شرعية إسلامية، ولكن كافة تلك المحاولات اصطدمت بواقع غاية في الصعوبة وعدم التناسب مع ما تصبوا إليه من أهداف، ودخلت مع أجهزة

الأمن في بلادها في عمليات مواجهة، أدت في نهاية المطاف إلى تدميرها وتشتيت عناصرها، وإلى تصعيد المواجهة الأمنية بين الحركات الجهادية والإسلامية في تلك البلاد وبين حكوماتها الضالة، المارقة

وكان من أهم تلك المحاولات التي تلت الجهاد الأفغاني محاولة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، وكذلك ما حصل في ليبيا من محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا (١٩٩٤)، وهما أوسع المحاولات في تلك المرحلة، بالإضافة لبعض المحاولات المحدودة كما حصل في اليمن ولبنان وسواها.

ظهور حركة طالبان ودخول كابل (١١٩٦)م:

ولدت حركة طالبان في قندهار كنتيجة طبيعية وعفوية لحالة الفساد العارم والبلاء المستطير الذي حل في أفغانستان نتيجة تصارع الأحزاب الجهادية السالفة على السلطة، وسيطروا على نحو خمس أفغانستان بلا قتال وإنما رغبة من الأهالي بالشريعة والأمان.

- رأت باكستان في الطالبان قوة جديدة وبيدقاً يمكن أن يعدل ميزان القوى الذي رجح لصالح الهند وإيران وروسيا فدعمت حركة طالبان وفتحت المجال أمام الحركات الدينية وشيوخ المدارس الباكستانية التي درس فيها كثير من الطلاب الأفغان وسهلت حركتهم إلى أفغانستان لينضموا إلى الطالبان وفتحت الحدود لوصول اللوازم إلى طالبان من الأغذية والمحروقات وغير ذلك، ثم وقفت علناً الموقف المؤيد للطالبان.

- تدحرجت كرة الطالبان إلى الولايات الأخرى وهاجموا كابل التي سقطت بسرعة كبيرة تحت ليل ٢٦ سبتمبر١٩٩٦م.

الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان في أفغانستان (١٩٩٦-٢٠٠١)م:

- سرعان ما وجدت الفئات المطاردة المشردة من كوادر وأعضاء التيار الجهادي في أفغانستان ملاذا آمنا، وربما إجباريا مع استعار حملات المطاردة أو ما سمي بـ (الحرب الدولية لمكافحة الإرهاب) بقيادة أمريكا التي انطلقت منذ أوائل التسعينات واشتدت ما بعد (١٩٩٥).

  فبدأ هؤلاء يتسللون فرادى ومجموعات إلى أفغانستان، ليبتدئ العرب شوطهم الثاني في أفغانستان مع النصف الثاني سنة (١٩٩٦).

- ومع إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية وسيطرة الطالبان على نحو(٩٤%) من الأرضي الأفغانية، بدأت دار الإسلام الوليدة والوحيدة في الأرض، ونشطت حركة القدوم رغم الحصار السياسي والاقتصادي والحملة الإعلامية والدولية التي أحاطت بالإمارة الإسلامية الوليدة من كل جانب.

- وخلال هذه الأجواء، تواجدت التنظيمات الجهادية العربية الرئيسية، وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها في الإعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة في إحياء الجهاد في بلادها ضد طواغيت تلك البلاد، من أجل إقامة حكومات إسلامية على أنقاضها بحسب تصوراتهم.

- ويمكن القول أن كافة من تواجد خلال هذه الفترة يمكن اعتبارهم من الجهاديينففي حين كان الجمع الأول ينمو وسط مباركة ودعم وإجازة عالمية .كما أشرت آنفا - كان هذا الجمع وأرضه ومن يحكمها ومن يهاجر إليها، محل حرب ومطاردة عالمية.

- أخذت التنظيمات والبؤر والتجمعات الجهادية العربية تكون نفسها في أفغانستان، **ولم يأت عام (٢٠٠٠) إلا وقد بلغ عدد الجماعات أو المعسكرات أو التجمعات والمشاريع الجهادية (أربعة عشر) تجمعا أو تنظيما أو معسكرا، معترفا به رسميا من قبل طالبان وتربطهم بوزارات الدفاع والداخلية والاستخبارات برامج ضبط وتنسيق وتعاون، سواء في تنسيق دعمهم وجهادهم إلى جانب طالبان، أو في برامجهم الذاتية.**

- وهذه التجمعات التي كانت مستقلة عن بعضها تماما هي:

المجموعات غير العربية:

١- **المجاهدون الأوزبك.**

٢- **المجاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين.**

٣- **المجاهدون الأتراك:** وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك.

المجموعات العربية:

٤- **تنظيم (القاعدة)** بزعامة الشيخ أسامة بن لادن - حفظه الله تعالى -، وبرنامجهم معروف، وقد بايع الشيخ أسامة أمير المؤمنين بيعة إمامة.

٥- **الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا.**

٦- **الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب (مراكش).**

٧- **جماعة الجهاد المصرية**، وكان أميرهم الشيخ الدكتور أيمن الظواهري (حفظه الله تعالى).

٨- **الجماعة الإسلامية المصرية.**

٩- **تجمع المجاهدين الجزائريين.**

١٠-**تجمع المجاهدين من تونس.**

١١-**تجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين**، وكان برنامجهم الإعداد والتدريب، للجهاد في الأردن وفلسطين، وكان أميرهم الأخ (أبو مصعب الزرقاوي).

١٢-**معسكر خلدن (معسكر تدريبي عام)**، وهو من أقدم المعسكرات العربية، ويعود تأسيسه لأيام مكتب الخدمات والشيخ عبد الله عزام، وكانت أهداف المعسكر تدريبية محضة لدعم الجهاد في كل مكان، وكان له إنتاج طيب.

١٣-**معسكر الشيخ أبو خباب المصري (معسكر تدريبي عام)**، وكان معسكرا تدريبيا متخصصا في التدريب على تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها.

١٤-**مجموعة معسكر الغرباء (وهي مجموعتنا) وكانت مرتبطة بالطالبان وكان لها أيضا (معسكر تدريبي عام، ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات...)**، وقد أسَّستُها سنة ٢٠٠٠، من أجل تأسيس **مدرسة تدريبية تقوم على الإعداد الفكري والمنهجي السياسي الشرعي والتربوي العسكري الشامل، وهو ما رأيت أن ساحة الأفغان العرب قد افتقرت إليه في شوطيها على حد سواء**، وكان الهدف الآخر من تأسيسها إطلاق دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، بالإضافة إلى الارتباط العضوي بالإمارة الإسلامية والمساهمة في بنائها والدفاع عنها، والعمل في أفغانستان من خلال الترتيب مع أمير المؤمنين مباشرة.

وقد شرحت أهداف المجموعة باختصار للملا محمد عمر وبايعته في ١٥ محرم ٢٠٠١، وارتبطت مجموعتنا من حينها بأمير المؤمنين وعملت من خلال وزارة دفاع الإمارة الإسلامية.

- **شكلت هذه الفترة مرحلة متقدمة من نمو التيار الجهادي وتطوره في بعد جديد..**

فقد أدت الحملات الإعلامية التي شنها الشيخ أسامة بن لادن ضد أمريكا وعدوانها على المسلمين وندا آته لتخليص الحرمين من الاحتلال الأمريكي والغربي، ثم إدخاله بعدا جديدا إلى دعوته، وهو تبني القضية الفلسطينية، وربط العدوان الأمريكي على المسلمين في العالم، بالعدوان الإسرائيلي

الصهيوني على المسلمين في فلسطين، أدت هذه الحملات المركزة والمنظمة، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية على هذه الحملة، ودخول تلك المواجهات إلى الفضائيات الأمريكية والعالمية والعربية ولاسيما قناة (الجزيرة) القطرية، التي لعبت دورا محوريا في إيصال هذه الصراع الإعلامي إلى مئات الملايين من المشاهدين المسلمين في العالم، أدت إلى أن يأخذ التيار الجهادي بعدا جديدا نحو عالمية المرحلة، رغم أن معظم التنظيمات العربية أو كلها لم تغير شيئا من أهدافها ولا برامجها (القطرية- السرية- الهرمية)، ولا تحولت باتجاه دعوة الشيخ أسامة حتى اللحظات الأخيرة من العام (٢٠٠١) حيث أقحمتها أمريكا قسرا في هذا الاتجاه..

- وافق هذه المرحلة أحداث عالمية بالغة الأهمية والأثر على العالم الإسلامي، وكان في طليعة ذلك اشتعال الإنتفاضة الفلسطينية وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة التي انطلقت منذ سنوات، إلى مرحلة العمل المسلح والعمليات الاستشهادية منذ سنة (٢٠٠٠)، وتفاقمت الأوضاع في المنطقة العربية كلها نتيجة هذا التصعيد بالإضافة إلى ازدياد آثار الحصار الأمريكي القاتل المدمر على العراق، منذ (١٩٩١)، وآثار ذلك أيضا، بالإضافة لإشعال حملات المطاردات الأمنية والحرب العالمية على الإرهاب بقيادة أمريكا، حيث سارت في ركابها كافة دول العالم، ولاسيما حكومات الدول العربية والإسلامية..

وسرعان ما صار الجمع العربي في أفغانستان وكذلك رمزه الشيخ أسامة بن لادن، النجم الحاضر بلا انقطاع في وسائل الإعلام العربية والعالمية، ومصدر الهام وتنوير للصحوة الإسلامية وامتدادا أفقي كبيرا للتيار الجهادي وأنصاره في العالم.

الأفكار التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة منذ ١٩٩٦-٢٠٠١م:

مع انتصاف العقد الأخير من القرن العشرين، كان التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته قد بلغ عمليا قعر الأزمة، وأيقن معظم قياداته وقدمائه أن المسارات الجهادية قد وصلت إلى طريق مسدود، وأن الأزمات المتنوعة قد وصلت قمتها، وأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً.

فقد تتابع فشل المحاولات الجهادية، وانطفأت معظم شعلاتها الواحدة تلو الأخرى، وتفككت معظم التنظيمات، وساح من بقى على قيد الحياة من قياداتها وكوادرها في مختلف الملاذات والمخابئ العلنية والسرية، مخلفين في بلادهم كميات كبيرة من الأسرى من العناصر المجاهدة، أو الأنصار والموالين الذي ساعدوهم في حركاتهم بالإضافة إلى كم كبير من أسرا الشهداء، من النساء والأطفال في أحوال إنسانية بالغة المأسوية، كما تزايدت الأزمات التي أشرنا إليها سابقاً في كافة المجالات الفكرية والسياسية والمالية والتنظيمية، إلى آخر قائمة الأزمات الخانقة.

وكانت خاتمة الصدمات والأزمات في الكارثة المروعة التي آلت إليها تجربة الجهاد في الجزائر بعد أن تمكنت أجهزة الاستخبارات من تفعيل بذور التطرف والجهل في صفوف بعض المجاهدين الجزائريين، وذلك بزرع عملاء الاستخبارات، ليدفعوا بالقضية إلى متاهات التكفير والإجرام والمجازر الدموية، وشكلت أخبارها المفزعة المحزنة صدمة هائلة للجهاديين وأنصارهم وكل المؤمنين بفكرة العمل المسلح.

وهكذا.. بدأ كبار الجهاديين ومن تبقى من تنظيماتهم يبحثون عن الحلول والمخارج، وقد شهدت مثل هذه المراجعات والمناقشات في الملاذ الآمن للجهاديين في أفغانستان، بعدما هاجر معظم من تبقى من الجماعات والرموز الهامة في التيار الجهادي إلى الإمارة الإسلامية التي أنشأها طالبان.

ويمكن تقسيم المطروحات والأفكار ومحاولات الخروج من قعر الأزمة لدى الجهاديين إلى ثلاثة مدارس تجلت كل واحدة منها في محاولات عملية، ووجهة حركة جديدة، وكانت على ثلاثة أقسام محركة سميتها كما يلي:

١- مدرسة الاستسلام وإلقاء السلاح.

٢- مدرسة الثبات على المبدأ والاستمرار في الأسلوب.

٣- مدرسة الاتجاه الأمني نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها.

ولنتناول كل واحدة من تلك المدارس بشيء من التفصيل:

١ - مدرسة الاستسلام للخروج من الأزمة:

وخلاصة فكرة أصحاب هذه المدرسة: أن أزماتنا كجهاديين جاءت نتيجة لحمل السلاح، ولا تزول إلا بزوال ذلك السبب، فالحل هو في إلقاء السلاح والبحث عن طرق عمل أخرى..

والحقيقة أن بوادر هذه المدرسة التي صرح أصحابها بفحوى دعوتهم صراحة مع منتصف التسعينات تعود إلى أواسط الثمانينات منذ بدأت الحركات الجهادية تتراجع وتواجه الأزمات والهزائم، وكانت غالباً ما تطرح في كل قطر إثر كل هزيمة عملية لمحاولة من محاولات الجهاديين، فقد كان أول من طرحها قيادة الإخوان المسلمين في سوريا إثر (فاجعة حماة) سنة ١٩٨٢، وأسموها في وقتها؛ دعوة (الصلح مع النظام)، وقد وسط الإخوان السوريون العديد من الوسطاء لمتابعة طرق أبواب (حافظ أسد) التي بقيت موصدة أمام تلك الدعوات عملياً، وتابع ابنه بشار من بعده إغلاق الباب.

وكان من تبقى من حطام تنظيم الطليعة المقاتلة في سوريا قد خطى خطوات فعلية نحو الاستسلام تحت مسمى الصلح، ونزل العديد من عناصرها تحت عروض الدولة باسم (قانون العفو) ولم يكن لتلك العملية أي تفاصيل سياسية، فقد كانت عمليات استسلام وتوبة فردية تقريباً، نزل فيها بعض العناصر من الطليعة، ثم من الإخوان بشكل فردي، ووقعوا بيانات (توبة) كتب في أعلاها: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾ [القصص]

ولكن الإخوان المسلمين في سوريا أرادوا الاستسلام بصيغة (نصف مشرفة)، فعرضوا عروضاً (للصلح) بشكل سياسي، بين جماعتهم كحزب معارضة سياسية والدولة والنظام، ولكن حكومة حافظ أسد، ووفق

مشورة شيطانية من بعض علماء السلطان فيها، وعلى رأسهم الشيخ (سعيد رمضان البوطي) وغيره، اشترطوا على الإخوان جملة من الشروط التعجيزية من ضمنها الاعتراف العلني بخطئهم في حمل السلاح! وجرائمهم في مواجهة الدولة! وكتابة أبحاث سياسية شرعية يدللون فيها بالآيات والأحاديث على خطأ مسلكهم!! ثم النزول تحت قانون العفو بشكل فردي وليس بشكل يحفظ نصف الكرامة! ولم يكن الوضع ضاغطاً عليهم في ملاذاتهم في العراق والأردن والسعودية والخليج والخارج كي يقبلوا، واستمرت عروضهم بالصلح وشروطهم بالتقلص إلى أن خرج المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا (علي صدر الدين البيانوني) على وسائل الإعلام وشاشات الفضائيات يعرض الصلح ويعرض طلباته التي تقلصت إلى مطلب واحد وهو (حق المواطنة فقط في ظل الديمقراطية والتعددية السياسية)!! والعودة إلى الوطن بلا شروط ولا برامج، ومع ذلك ما زال النظام يرفض ويقول أنه بصدد عرض عفو عام يطال الأبرياء، مع ضرورة إجراء محاكمات لمن يثبت تورطهم بجرائم في حق الدولة والشعب والوطن، وأما أكثر الأفراد من المطاردين ومعظمهم ممن لم يقم بأي عمل وفعل في الثورة التي استشهد أو أسر معظم من شارك فيها فقد عاد أكثرهم بوساطة الاستسلام للسفارات السورية في أنحاء العالم، تحت قانون العفو وكتب كل واحد منهم تقريراً بتفاصيل حياته منذ خرج من سوريا والجهاد إلى أن عاد، وجاءت الأخبار باعتقال بعضهم مرة أخرى، وباستجواب آخرين، ومنعهم من السفر وإلزامهم بمراجعة دوائر الأمن لتقديم ما يطلب إليهم من معلومات عنهم وعن أقربائهم وجيرانهم، وتحويل الضعفاء منهم إلى مخبرين لأجهزة الأمن!!

وقد حصل شيء قريب من هذا تحت ما يسمى (مشروع التوبة) للملاحقين في تونس أواسط التسعينات، رغم أن معظمهم من المعارضات السياسية الإسلامية، وقد وضعت حكومة زين العابدين شروطاً مهينة قبلها البعض وتمرد عليها آخرون، ورفضها الشيخ راشد الغنوشي وكتب في ذلك كتابات جيدة تؤكد على استراتيجية الثبات في مواجهة النظام التونسي وأشباهه من الحكومات الطاغوتية ولو سياسيا على الأقل!..

وفي الجزائر عرض النظام أواسط ١٩٩٦ بعد أن فكك المجموعات المسلحة واخترقها وحرف مسارها إلى التكفير والإجرام والمجازر، وورط بعض فصائلها فيها، وقام هو بنفسه بعض المجازر وألصقها بهم، فقام بعرض العفو العام عبر ما سمي مبادرة (الوئام الوطني)، حيث تبرع العديد من فقهاء السلاطين في السعودية وغيرها لدعم المبادرة والإفتاء للمسلمين بالاستسلام والنزول من الجبال، حيث نزلت فصائل كثيرة وألقت السلاح لمبادرات فردية.

ولكن أكبر وأخطر تلك الممارسات والطروحات الاستسلامية من ضمن التيار الجهادي كانت عبر ما عرف (بالمبادرة) التي قامت بها الجماعة الإسلامية في مصر، وما عرف بمبادرة إلقاء السلاح ونبذ العنف من طرف واحد، دون طلب مقابل من الدولة إلا دعوتها للإفراج عن الإسلاميين وإنهاء الأزمة واستمرت المبادرة بين مد وجزر من سنة ١٩٩٦ وإلى أواسط ٢٠٠٣ حيث بدت بوادر تجاوب الحكومة المصرية معها، وقد سبق أثناء استعراض تجربة الجماعة الإسلامية في مصر الإشارة لتلك المبادرة التي كان أخطر ما فيها قيام الرموز الكبار من القيادات التاريخية للجماعة بالتأصيل للاستسلام وكتابة العديد من الكتب والأبحاث يدينون فيها منهج

الجهاد المسلح واصفينه بالعنف، ومعلنين سلسلة من الانتهاكات الفقهية والفكرية للفكر الجهادي والسياسي الشرعي لأصول التيار الجهادي يطول شرحها والتعليق عليها، ويعبر عما فيها من تردي أنها وصلت لاعتبار اغتيال أنور السادات خطأً تاريخياً ووصفه بأنه كان شهيد الفتنة، فصار الطاغوت المرتد شهيدا!! وصار جهاد أسياده اليهود فتنة، وسأحاول إن شاء الله العثور على سلسلة تلك الكتب والأبحاث لدراستها والرد عليها وتفنيد ما فيها إن أعان الله ثم سنح الوقت وكان في العمر بقية، فسد هذه الذرائع من أهم مواطن الدفاع عن التيار الجهادي بصرف النظر عن احترامنا لتاريخ الذي أقدموا عليها وعذرهم في ضروراتهم، ولكنه رد فكري على فكر مطروح بصرف النظر عن قدر أصحابه، حيث أنهم عرضوا ما عرضوا وهم أسرى، خرجوا من السجون من الأسر الأصغر للأسر الأكبر، ولا عبرة لآراء فاقد الإرادة، وأعانهم الله في محنتهم، وتقبل منهم ما أحسنوا وتجاوزوا عما قصروا به أو أكرهوا عليه.

ثم تتابعت طروحات هذه المدرسة واستعلن أصحابها بعد سبتمبر ٢٠٠١ والهجمة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا، متخذين من مبادرة الجماعة الإسلامية وكتاباتها نموذجاً يحتذى في نقض الغزل والإرتداد على الأعقاب عن ثوابت الفكر الجهادي والأسس العقدية للسياسة الشرعية، تحت ضغط الآلة الإعلامية الرهيبة لأمريكا وأذنابها.

وقد حصل مثل هذه التراجعات عندما قبضت الحكومة السعودية على مجموعة من فقهاء الجهاديين وعلمائهم في السعودية، وأكرهتهم أو أقنعتهم بالتراجع وبدعوة المجاهدين لها وللقوات الأمريكية على أرض الحرمين بإلقاء السلاح، حيث جندت وسائل الإعلام السعودي عشرات العلماء وكبار الدعاة للترويج لهذه الطروحات وهذه المدرسة.

وهكذا تظهر هذه الطروحات دائماً كما أسلفت إثر الهزائم والانتكاسات حيث يبحث أصحابها عن الحل في إزالة سبب الأزمة بحسب تصورهم، وهو (حمل السلاح)، ومن الطبيعي كما هو دأب الإنسان دائماً في ترقيع أفعاله وإيجاد المعاذير لعلله وتراجعاته، فإن أصحاب هذا المنهج لا يسمونه باسمه الصريح، وهو (الاستسلام) أو (الهزيمة) وإنما يبحثون له عن أسماء وصيغ ألطف ويطلقون سيل التبريرات والفقه الذي تتابع بعد ذلك لتبرير ذلك فيسمونه تارة (قانون العفو) وتارة (الصلح) وتارة (الوئام الوطني) وتارة (الهدنة) وتارة (المصالحة الوطنية) وتارة (مبادرة نبذ العنف)، وهكذا تعددت العناوين تحت دعاوى الحكمة والتعقل والواقعية، تعددت الأسماء والاستسلام واحد.

وكانت المصيبة هينة لو أن أصحاب تلك الأحوال أعاذنا الله مما استعاذ منه رسول الله ﷺ من الهم والحزن ومن العجز والفشل ومن الجبن والبخل ومن غلبة الدين وقهر الرجال، كانت المصيبة هينة لو امتلك القوم الصراحة والشجاعة وخرجوا للناس ليقولوا: (يا قومنا بذلنا وسعنا، وقدمنا طاقتنا، وخَذلنا من خَذلنا ولم نستطيع إلا ما بلغ جهدنا، وها نحن ندعو للهدنة أو للسلم أو حتى نعلن الاستسلام، فقد خسرنا الجولة وسيبعث الله لهذا الدين من يقوم بأمره وينصره ولعل فيما تستقبل الأجيال من فرص خير مما عرض لنا)، فيحلوا جماعتهم أو تنظيماتهم وينسحبوا من ساحة المواجهة.

ولكن المصيبة كانت أعظم عند ما أطلقت الأسماء الجذابة على حقيقة الاستسلام ووجدت لها التبريرات، وبلغت الطامة مداها عند ما بدأ كتابهم وفقهاؤهم ينظرون ويفتون من أجل الخذلان والاستسلام للأعداء، وينقضون غزلهم وغزل غيرهم مما رسخه المجاهدون في سبيل الله وأثبتوه بدمائهم عبر السنين عبر مسار العذاب والعناء على درب الشهادة والثبات، حيث تقطع هذه الجهود المهينة الطريق على شباب الأمة القادم كي لا يسير على خطانا كي لا يحاول الكرة تلو الكرة عساه يحقق ما لم نوفق إلى تحقيقه، وهذا بالضبط ما قصد إليه العدو الماكر وأجهزة استخباراته ومراكز دراساته النفسية والأمنية، يريدون أن يقتلوا بذور الثورة على الظلم والاضطهاد، ومحاربة الكفر والاحتلال، وأن يئدوا أفكاره في مهدها، إنها محاولتهم لإطفاء نور الله بأموالهم جاهلين أو متجاهلين بأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكم كنت أقف حائراً عندما أقرأ في آثار السيرة، أن أبا جهل بن هشام لعنه الله، لما أثخن في بدر، وعلا صدره الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ليحز رأسه، فسأله أبو جهل وهو في النزع الأخير: لمن الدائرة اليوم؟ فقال عبد الله بن مسعود له: لله ورسوله وقد أخزاك الله، فقال ذلك الجبار العنيد: بلغ محمداً أني ما ندمت على عداوته ولا ساعتي هذه!! ثم هلك..

وكنت أعجب، كيف يأبى ذلك الكافر وقد هزمت رأيته وأزهقت نفسه ورغم أنفه، وهو يرتحل إلى جهنم، يأبى إلا أن يثبت كبرياءً وثباتاً، وعزة نفس وإخلاص لما كان عليه رغم أنه الضلال..

و أتمنى لو أسعفتنا رجولتنا ونخوتنا وكرامتنا، واحترامنا لدماء شهداؤنا، وعذابات أسرانا ومشردينا، ودموع أراملنا وأيتامنا، بل لو تأججت في صدورنا الحمية لديننا ورايتنا، والحق الذين جاهدنا لأجله لنقول لأعدائنا إذ خسرنا بعض الجولات، وانهزمنا في بعض المحطات والمعارك في هذه الحرب الأزلية المفتوحة، أن نقول لأعدائنا:

بلغوا فراعنتكم وأسيادكم، من الطواغيت، وأسيادهم من اليهود والنصارى: أننا ما ندمنا على عداوتهم ولا في أشد ساعات الاندحار والتضحيات، وأننا واثقون من أن نصر الله قادم، وسيحمل راياته الظافرة من سيسير على دربنا، ويهتدي بخطانا كما اهتدينا بخطى القافلة السائرة من قبلنا، الموصولة بتتابع السائرين والمجاهدين منذ قادها سيد المرسلين ﷺ، ونحن على الحق إن شاء الله سواء كنا منتصرين أو مهزومين في هذه المواجهة العقيدية.

فكيف لا نجد مثل هذا الثبات والإباء الذين بذله كافر يستقبل النار!! كيف لا نجده ونحن سنستقبل الجنة إن شاء الله؟! ونحن نؤمن أن الله مولانا ولا مولى لهم.

آه لو فقه الخائرون بشارته ﷺ لخباب رضي الله عنه حين جاءه يسأله أن يدعو لهم بالنصر، وقد أنهكه ما نزل به وبإخوانه - رضي الله عنهم - من العذاب، فحدثه عن تضحيات من سلف وبشره، وقال له ولكنكم تستعجلون.

٢- مدرسة الثبات والاستمرار على درب الجهاد والمواجهة:

وقد تبنى هذه الطريقة معظم الجهاديين، من التنظيمات والجماعات الجهادية وكوادر ورموز التيار الجهادي وقياداته وقواعده رغم مسار الغباء والعذاب، وقد كان هذا موقف معظم تلك الكتل والرجال الذين فاؤوا إلى أفغانستان في عهد طالبان. حيث عادت الهمم الشامخة والنفوس التواقة للعمل والعطاء عبر مسار الأعداد والحركة الدؤوبة، وقد رأى هؤلاء في الثبات فريضة شرعية لا يسع المسلم التخلي عنها، ورأوا في الاستسلام عاراً وفراراً لا يجوز لهم السعي إليه.

ولكني لاحظت من أولئك الثابتين تقبل الله منهم أن ثباتهم كان ذا شقين:

١- ثبات إيجابي ٢- ثبات سلبي.

فأما الثبات الإيجابي: فهو الثبات على المبادئ والقيم والراية والأمانة، من أجل كل الدواعي الشرعية الداعية لذلك، ولأجل ما تفرض دواعي الكرامة والعزة والإباء والحمية للمقدسات.

وأما الثبات السلبي: فهو ما لاحظته من ثبات أولئك الأخوة على طرق عملهم السالفة، وأطر عملهم التنظيمية بكل مقوماتها وطرقها، فقد استمرت التنظيمات بالعمل وفق مفهوم (القطرية والسرية والهرمية)، وعملت من أجل نفس الهدف السابق، وهو الإطاحة بالأنظمة المرتدة لإقامة أئمة تحكم شرع الله في بلادها، وفق معظم الأساليب التقليدية في الإعداد المنهجي وغير ذلك من مجالات عمل التنظيمات..

وبدا وكأن كل التغييرات الهائلة التي أحدثها انطلاق النظام العالمي الجديد وأنظمة مكافحة الإرهاب وانهيار الهوامش الأمنية والملاذات بين الدول وكل ما أسلفنا من الدروس والعبر لم تترك كبير أثر على أساليب عمل معظم الجهاديين!! رغم أن كثيراً من تلك الأساليب والأفكار إما أنها لم تعد تناسب المرحلة أو أنها أثبتت عدم جدواها.

٣- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها:

وكان خلاصة هذه طرح المدرسة كما بينت بشي من التفصيل، أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحق الذي فيها، وأن الحل في جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطق العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها..

وقد مثل الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة أبرز من رأي التحرك في هذا الاتجاه من الجهاديين منذ ١٩٩٦، وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجهاد ضد أمريكا كما حصل في تجربتهم التي لخصتها في الفصل السابق، وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جداً مع حجم المتغيرات التي شهدها العالم باستيلاء أمريكا على قيادة النظام العالمي الجديد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد وقوة عظمى متجبرة..

نظرة في محاولات الجهاديين تجاوز أزمة التيار الجهادى خلال نهايات القرن العشرين:

من خلال تقييم الأفكار المطروحة ومقارنتها بخلاصة ما تكون عندي من أفكار، خلصت إلى النتيجة التالية في المدارس الثلاثة آنفة الذكر وهي على الشكل التالي:

أولا: أن طروحات مدرسة (الاستسلام) وإلقاء السلاح وتنكب طريق الجهاد، تمثل مدرسة ساقطة الأفكار شرعاً عقيمة النتيجة واقعاً، بما تدل عليه نصوص الشريعة، وما تفيدنا به تجارب الماضي في بلادنا وفي تجارب الأمم كلها.

فما لم نحصله بالجهاد والسيف لن نحصل عليه بالهزيمة والاستسلام، لا على مستوى الأهداف ولا حتى على مستوى النجاة الشخصية.

ثانيا: أن مدرسة الثبات على طريقة الجهاديين، وبحسب طريقتهم القديمة، لن تقود إلا إلى ما قادت إليه في الماضي من الفشل المتكرر، فقد فشلت آنفا رغم أن ظروف عملنا ومعطيات واقعنا قبل قيام النظام العالمي الجديد كانت أفضل وأكثر ملائمة، ومع ذلك لم تكن تلك الطرق ومناهج التفكير ووسائل العمل من تحقيق الأهداف، فما بالك وقد تغير الواقع المحيط ونشبت ظروف عالمية لا يمكن العمل من خلالها بتلك الطرق بحال، وقد أثبتت السنوات الخمس (١٩٩٦- ٢٠٠١) عقم تلك الطرق وعدم تمكن التنظيمات الجهادية القديمة أو المحاولات الجديدة من البعض من تحقيق أي نتيجة أو تقدم، ولم تسفر إلا عن مزيد من الإنشطارات والانقسامات والخسائر والضحايا من الشهداء والمأسورين، من خلال المحاولات المحدودة التي قاموا بها، بالإضافة لتفاقم آثار حملات تجفيف المنابع والتشويه الإعلامي والمطاردات الأمنية في عزل تلك الشراذم وما تبقى منها عن بلادها ومجتمعاتها، وتحول من تبقى منهم إلى مجموعات صغيرة تعيش على الذكريات وآمال الماضي، وأحلام بالمستقبل تزداد خيالية يوماً بعد يوم.

ثالثا: أن الدعوة التي طرحها الشيخ أسامة وعملت على أساسها القاعدة باتخاذ المعركة مع أمريكا تمثل بوابة إلى تصحيح مسار الجهاد وحشد الأمة والتحرك من خلال ذلك إلى ما يلي من أولويات في حلحلة إشكاليات واقع المسلمين، وهي أسلم الطرق وأقربها للواقعية، ومناسبة ما استجد من ظروف النظام العالمي الجديد.

وقد رأيت فيها أملاً وفرصة تجديد وانطلاقة قوية لتصحيح مسار الجهاد والتيار الجهادي، إن وفقت إلى إحداث توجه جدي نحو التأصيل المنهجي اللازم لذلك، والتطوير في الإدارة والأسلوب بما يتناسب مع المرحلة، وأملت أن يوفقوا إلى الطرق المناسبة الصائبة في الوسيلة إلى تحقيق ذلك كما وفقوا إلى التحديد الصائب للهدف والطريقة. فقد كان هذا التجديد الكبير والتحول في الهدف وطريقة العمل يحتاج إلى جهود كبيرة في تطوير منهج وأساسيات التفكير كما يحتاج إلى تطوير كبير في أساليب وضع تلك الأفكار على الأرض موضع التنفيذ، ولكن الأحداث كانت أعجل من أن يمكن تحقيق ذلك وهو أمر يحتاج لوقت أطول.

فهل حقق التجمع الجهادي العربي أهدافه هناك، وسط تضارب زحمة أولئك المجتمعين على هزيمة الدب الروسي العنيد؟؟

أعتقد أن قسطا كبيرا من تلك الأهداف قد تحقق، وليس هنا محل سرد التفاصيل، **وأكتفي هنا بالقوال بأن المكسب الأكبر للتيار الجهادي من تلك التجربة، هو عولمة التيار الجهادي فكريا وحركيا، وتبادل الفكر والخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا، لقد كان هذا أكبر المكاسب، بالإضافة لتحقيق أكبر نصر عسكري للمسلمين في تاريخهم الحديث، وإثبات قدرة الإسلام والمسلمين على هزيمة القوى العظمى، رغم تفاوت الإمكانيات، وزرع هذه القناعة في أمة أوشكت تقتنع بقدر الهزيمة.**

والمكاسب كثيرة، بالإضافة للمكاسب الشخصية التي حققها من تقبل الله منه بعد أن شرفه بالحضور والمشاركة ممن قضى نحبه وممن ينتظر..

وأما الخسارة الأساسية في نظري، فهي في أن الظروف من جهة، والجمع غير المتجانس من جهة أخرى، وكذلك عدم تحلي القيادات التي أدارت ذلك الجمع الجهادي بالقدرة على توليد تجمع أو تيار جهادي عالمي منظم، يفرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة وساحة الصحوة الإسلامية، وقد توفرت بحسب ما أظن ظروف دولية، وكم من الشباب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المجاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات، ما كان يمكِّن من ذلك، في فرصة نادرة الحدوث، ولكن قدر الله وما شاء فعل ولست هنا بصدد تناول أسباب ذلك.

ومن خلال ذلك الواقع اقتنعت بضرورة إطلاق نظريات عمل جديد ة لتسد جزءاً من الفراغ الكبير الذي يقتضيه ذلك التحول في المواجهة.

وبعد تفكير طويل واستفادة من مخزون تسلسل وتطور تلك الأفكار عندي عبر عشر سنوات كما بينت في المقدمة، طرحت في ساحة أفغانستان ما اعتبرته بداية مدرسة جديدة في محاولات إصلاح مسار التيار الجهادي والعمل على إخراجه من الأزمة وهو ما أسميته:

(دعوة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) التي تقوم نظرياتها على أسس ثلاثة:

أولاً – **الثبات**، ثانياً - **التصحيح**، ثالثاً - **التطوير**.

وعملت على مناقشة تلك الأفكار مع من استطعت مدارسته من قدماء التيار الجهادي وكوادره خلال فترة (١٩٩٨- ١٩٩٩) ثم اقتنت بضرورة إنشاء نواة تجمع جهادي جديد لبلورة أفكار هذه الدعوة ووضعها موضع التنفيذ، وقد ابتدأت مع مطلع عام (٢٠٠٠م).

ثم جاءت أحداث سبتمبر، وخلطت جميع الأوراق وبعثرت تداعياتها جميع الجهود وقلبت جميع الأوضاع ووضعت جميع الجهاديين بل الإسلاميين بل جميع المسلمين بل كل العالم، أمام مرحلة جديدة بمعطيات جديدة قسمت العالم كله إلى معسكرين حددهما رئيس أمريكا وهم يطلق ما أسماه (الحملات

الصليبية الجديدة) بكل صراحة. فقد قال باختصار: (**من ليس مع أمريكا في حربها فهو ضدها، ولا مكان للحياد**).

ثم قتل في تداعيات أحداث سبتمبر وأسر معظم من تبقى من كوادر جيل التيار الجهادي الماضي فتلاشت الكيانات وتفككت، وتبعثر من بقى من الأحياء وتناثروا.

ثم غزت أمريكا العراق، ووضعت مخططات لاحتلال الشرق الأوسط والسيطرة على العالم الإسلامي وأوجدت أوضاعاً جديدة جعلت المدرسة الجهادية الوحيدة الممكنة عملياً هو جهاد صائل أمريكا وحلفائها كخيار وحيد وإجباري وأقنعتني بأن ما كنت قد توصل إليه سنة ١٩٩١، من ضرورة إحداث تحول في التيار الجهادي نحو العولمة، وحصر الجهاد في مشروع مقاومة شاملة لأمريكا وأعوانها، وما تداعى لدي ولدى أمثالي ممن رأوا ذلك هو التصور الصحيح والذي فرضه الواقع الجديد كإمكانية وحيدة وإجبارية.

الصحوة الإسلامية خلال هذه المرحلة (١٩٩٠-٢٠٠١م) مرحلة الأزمات:

سياسة الغرب في مواجهة الصحوة بعد انطلاق النظام العالمي الجديد:

١. ضرب التيار المعتدل بالتيار الجهادي وذلك بتوسيع قاعدة التيار المعتدل من خلال توسيع باب المشاركة الديمقراطية للإسلاميين لتدخل مؤسسات السلطة.
٢. مساعدة تيار التكفير على البروز واستنساخ بذور تكفيرية برعاية الاستخبارات واتباع سياسة اعلامية لخلط التكفير بالجهاد من أجل عزل الجهاديين عن الأمة والإيقاع بينهما وهذا ما طبق في الجزائر ونجح.
٣. إطلاق حملة الإسلاميين على الطريقة الأمريكية وذلك من أجل تفكيك الجذور الأصولية للإسلام التي تولد بذور المقاومة.
٤. إطلاق حملة مكافحة الإرهاب ضد التيار الجهادي باستخدام المؤسسة الدينية الرسمية كجبهة أولية تدعمها قطاعات الإسلام المعتدل.

أثر هذه السياسات الغربية على الصحوة الإسلامية

الصحوة اللاسياسية:

تمَّ تسييس الكثير من رموزها وجماعاتها ودخولها ميدان العمل الحزبي والبرلماني فقد دخل الكثير من الشخصيات من الصوفية والتبليغ والسلفية وأصحاب المذهب الإصلاحي مجال الديمقراطية والعمل الانتخابي والهدف تمزيق الصحوة وجعل مدارسها الثلاثة تقف في حصار ومواجهة التيار الجهادي .

احياء عقيدة الإرجاء من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية بحيث أعيد التركيز على إسلام الحاكم بغير ما أنزل الله وإيمانه والفصل بين هويته كمسلم وطريقة حكمه وسياسته وممارساته العامة والخاصة والهدف فيما يبدو رفع الحرج الشرعي عن مشاركتهم في مؤسسات الحكومة .

الصحوة السياسية:

أفسح الحكام المجال لهم لدخول لعبة السياسة والديمقراطية والمشاركة فيها هنا نقول أن مناهج الإخوان المسلمين وفروعهم من الحركات الإسلامية قد شهدت انقلاباً على كثير من أساسيات المنهج الذي بني على أفكار مؤسسيه الأوائل وذلك بسبب التسكع على أبواب السلاطين وتسلم المناصب في مؤسساتهم العلمانية ودخلت هذه الصحوة في مرحلة تبرير الممارسات السياسية (كتب أبحاث مقالات) كلها تشجع على هذا الاتجاه

الصحوة الجهادية:

١- تجفيف المنابع المالية.
٢- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين بين الدول.
٣- إلغاء الملاذات والملاجئ الآمنة أمام المجاهدين .
٤- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي بإشراف أمريكي مباشر.
٥- التوسع في مكافحة الإرهاب.
٦- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين.
٧- استهداف القيادات والكوادر بالقتل والأسر.
٨- تطبيق مبدأ الحرب الاستباقية على خلايا الصحوة الإسلامية والجهادية وهو ما أسموه (إجهاض المحاولات الإرهابية قبل نشوئها).
٩- الزحف العسكري المباشر برايات صليبية يهودية صريحة على بلاد المسلمين.
١٠- عقد حلف دولي عسكري للمشاركة في هذا الزحف بقيادة أمريكا.

ولقد أدت هذه الظروف بعد انطلاق الحملات الصليبية وقيام النظام العالمي الجديد بقيادة أمريكا إلى ظهور ظاهرة الجهاد الفردي وبدأت هذه الممارسات تتكاثر وتشكل ظاهرة ومدرسة جهادية فردية رائعة ومجدية شكلت إرباكاً للعدو وبشرت بنمو بذور مقاومة لو قدر لها أن تنضج فستشكل أهم مرتكزات المواجهة القادمة.

الصحوة الشاذة (الغلاة):

لقد أدرك أعداء الإسلام أهمية هذا التيار الشاذ في محاربة الجهاد ووقف صحوته، وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

١. **أن الجهاديين يريدون تعبئة الأمة وتجنيدها لمحاربة الأعداء الخارجيين من الكفار مثل اليهود والصليبيين والوثنيين الهاجمين علينا، ولمواجهة الطواغيت من الحكام الذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم، في حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأمة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!**

٢. والأمر المهم الثاني الذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراساتهم المتفرغة لحرب الإسلام والمسلمين أن إلصاق تهمة التكفير بالجهاديين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكام وأعوانهم وعلماءهم، ويكفرون عوام الناس (هو زعم باطل) لأن الجهاديين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التكفير هكذا خبط عشواء، ولهم فقههم المنضبط المعتمد على عقائد أهل السنة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلامية أكبر دليل على ذلك، فإلصاق الحكومات هذه التهمة بالجهاديين هو من أهم السبل لفصلها عن جماهيرها، ولذلك عملت على هدم الجدار الواضح الفاصل بين هذين الاتجاهين المتناقضين في المنهج والأهداف وأعني (تيار الجهاد) و(ظاهرة التكفير).

٣. **الملاحظة الثالثة والهامة جدًا**، أن أجهزة الاستخبارات المعادية لهذه الأمة والعاملة ليل نهار على ابتكار أسباب مواجهة صحوتها الجهادية، لما رأت فائدة أفعال التكفير المشينة ولاسيما بعد جريمتهم الشنعاء في حق الجهاد والأمة في الجزائر التي كانت حقل تجارب للاستخبارات رأت أن من أنجح الوسائل لمواجهة الجهاد والجهاديين لفصلهم عن الأمة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم الناس فينعزلون عنهم فيسهل القضاء عليهم، وهذا ما طبقوه في الجزائر، ولما درست أجهزة الاستخبارات هذه الظاهرة (التكفيرية) اكتشفت المعادلة التي أشرت إليها في ميلاد التكفير الذي يولد طبيعيا في الأجواء التي أشرت إليها، فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماري أو النظام الطاغوتي ومن الأمثلة على ذلك ما جرى في السعودية منذ حرب عاصفة الصحراء الكويتية، وولادة بذور الجهاد والمقاومة، فقد عمدت الاستخبارات السعودية التي اتخذ وزير داخليتها **نايف بن عبد العزيز**، من وزير الداخلية المصري الأسبق سيئ السمعة (زكي بدر) المشهور بنظرياته الإستئصالية وبشاعة أساليبه، اتخذ منه ومن فريق عمل من الاستخبارات المصرية مستشارين

لتأسيس جهازه القمعي في السعودية منذ ١٩٩١، وكان من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التكفير وتهمة الجهاد المترقب في السعودية به.

فقد حدّث عدد من الناجين من سجن (الرويس) الشهير في جده من السعوديين وغير السعوديين من الجهاديين، أنه بعد حادثي انفجار الرياض والخبر سنة ١٩٩٤ وما تلا ذلك من نشاط بعض التنظيمات الجهادية في السعودية اعتقل آلاف الشباب للاستجواب ممن كان لهم سابقة جهادية أو كانوا مظنة ذلك، وقد تعرض الشباب لمختلف صنوف التعذيب البشعة التي استوردها الأمن السعودي من مصر وتونس وسوريا والبلاد العريقة في علوم التعذيب، ولكن الذي استفاد وه من تجربة الأمن الجزائري هو فائدة تيار التكفير في تدمير الجهاد! وكان ذلك من أهم التجارب: فعمدوا على استنساخه وتوليده من خلال إيجاد مكونات طرف المعادلة الأيمن:

قال أحد الذين شهدوا التجربة في سجن الرويس بجده في السعودية: [كان يأتينا بعد جولات التعذيب الجسديمن الضرب والكهرباء، مشرف على التعذيب النفسي رجل شيعي من (النخاولة) عرف نفسه باسم (أبو نايف)، في الستين من عمره أعرج، فيسمعنا من ألوان الكفر وشتم الدين والرب ومقدسات الإسلام والهزء بشعائره وشتم الجهاد والمجاهدين، ما يهون معه ما عانينا من جلسات التعذيب مقارنة ببشاعة ما نسمع، ثم يقول لنا بعد ذلك: أنتم تريدون حكم الشريعة؟! وما هذا الذي يحكم به ولي الأمر؟ أليس شريعة؟ ألا تعجبكم شريعة الـ (..!!..) [ويذكر فعل النكاح باللغة البذيئة الدارجة]، ويضحك ويضحك الجلادون، ويتابع: هذا الشيخ ابن عثيمين وابن باز يقولون أنها شريعة، وأنها دولة التوحيد... ويتابع على هذا المنوال، وكثيرا ما أُخذ الأخوة المعتقلون من الجهاديين فجمعوا عراة يسترون سوآتهم بأيديهم، ثم ينادون عليهم واحدا واحدا، فيربط المعتقل ويعلق ثم يأتي الجلاد فيعبث بأعضائه التناسلية بعصا في يده، ثم يأتيه بمجسم بلاستيكي لعضو ذكري تناسلي، ويبدأ يمرره على دبر المعتقل! ويهدده باغتصابه واللواط به إذا لم يستجب لما يطلب منه، ثم يطالبه بعد ذلك بالتوقيع على أوراق محضر يعترف فيه بأنه يكفُّر ولي الأمر، ويكفر العلماء، ويكفر المجتمع السعودي!! وروى عن بعض الأخوة أن البعض قد فعل به فعلة اللواط واغتُصب من قبل جلادين سعوديين!! موظفون يتلقون المرتبات من (دولة التوحيد)

وأضاف الشهود من سجناء (الرويس) بأن المعتقلين الأجانب من الدول العربية الأخرى قد عذبوا عذابا شديدا كي يوقعوا على اعترافات يقولون فيها أنهم نقلوا فكر التكفير إلى السعودية، وأنهم أدخلوا إلى المملكة أسلحة وذخائر، كل ذلك تحت وطأة التهديد وأساليب التعذيب، وقد ذكر لي بعضهم بأنه كان هناك وجبة تعذيب بالسياط تسمى (الموزة) لأن المعتقل يقشر جلده فيها!! ويربط للخلف يداه برجليه

فيتقوس ظهره ويصير شكله كالموزة ويضرب على بطنه، وهناك قفص حديدي يسمى (سندريلا) يعلق به المعتقل وتشد أطرافه الأربعة إلى القضبان ثم يدور بسرعة ويكهرب بين فترة وأخرى ويخرج المعتقل مغشيا عليه فيصب عليه الماء ويطالب بالاعترافات، وهكذا، فتأمل المعادلة من جديد.

حاكم كافر ظالم + جلاد مجرم يردد الكفر ثم يذكرهم بحكم العلماء على ولي الأمر بالتوحيد (وهنا تتحرك آلية التكفير في ذهن المعتقل المسكين) ثم يترك المعتقلون في زنزانات جماعية يدس فيها من ضباط الاستخبارات أو بعض من ابتلي بالتكفير ليهيج النقاش في هذه الأجواء فتستنسخ جينات التكفير، ثم توقع الاعترافات مقابل الإفراج، فسبحان القائل: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ [الشعراء].

هذه الشهادات سمعناها سنة ١٩٩٥م، ولم يكن قد بدأت في السعودية أي مواجهة حقيقية، أما الآن وقد بدأت بوادرها فلدى الاستخبارات السعودية أرشيفا ضخما من هذه الكنوز التكفيرية، ليستند إليها الجهلة من علماء السلطان ويفتوا بأن المجاهدين للأمريكان وأذنابهم من آل سعود هم من التكفيريين الخوارج!.

والمتابع لوسائل الإعلام وتغطيتها للأحداث التي يديرها الجهاديون اليوم، يرى التركيز على تهمة الإخوة بأنهم خوارج، وعلى فكر الخوارج الأولين، من خلال إخراج مسرحي يتهمهم بأنهم قد شقوا عصى المسلمين، وكفروا الحاكم والمحكوم، وخزنوا المتفجرات في مكة والمدينة، ووضعوا القنابل داخل المصاحف المفخخة! وقتلوا الأبرياء من المسلمين والمستأمنين.... إلى آخره، وقد نجحت المصيدة إلى حد كبير، فقد خرج عدد من العلماء الموثوقين في السعودية ليشاركوا في هذه المسرحية التي أعدها وأخرجها الأمير نايف ومستشاروه من استخبارات الدول العربية.

❁❁❁❁

أحداث (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م)، واشتعال الحرب الصليبية ضد المسلمين بقيادة أمريكا ورئيسها جوج بوش منذ مطلع (القرن ٢١):

انتهت ولاية (كلينتون)، وأسفرت الانتخابات الأمريكية عام ٢٠٠٠ عن فوز (جورج W بوش) إبن الرئيس الأمريكي (جورج بوش الأب) الذي انطلق النظام العالمي الجديد والحملات الصليبية في عهده، واستطاع حفنة من رجال أبيه ومن بعض المتطرفين المسيحيين المتصهينين، ممن يطلقون على أنفسهم اسم (**المحافظون الجدد**) الانضمام إليه لتشكيل الإدارة الأمريكية الجديدة، وتسابق القادة والسياسيون والمفكرون والمنظرون منهم إلى إعلان مبادئهم وتطلعاتهم وأفكارهم، ولم يستحوا منها، فاستعلن أحدهم بالقول:(إن الأمريكان هم ورثة الإمبراطورية الرومانية وأن أعداءها في التاريخ هم أعداءها في الحاضر والمستقبل)، ولم يخف بوش فيما بعد قوله (بأنه يقود حملة صليبية على المسلمين)، ولم يعد موضوع أولوية دعم إسرائيل واحتلال منابع النفط وزيادة رقعة مكاتب مكافحة الإرهاب في عواصم دول العالم ولاسيما العربية والإسلامية سرا، وانطلقت أمريكا في سياسة تحجيم أوربا ودول العالم الرئيسية واتخذت الإدارة من مشروع مكافحة الإرهاب عالميا برنامجا لتصفية الحركات الإسلامية وجر الحكومات العربية والإسلامية إليه طوعا وكرها.

وكانت حركة طلاب العلوم الشرعية في أفغانستان أو ما يسمى بـ (حركة طالبان) قد استطاعت إنهاء الحرب الأهلية وهزيمة الأحزاب المتصارعة في أفغانستان ووضعت حدا لانتشار الفساد في الأرض، وأقامت نظاما للحكم بالشريعة الإسلامية، وأعلنت قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، ودخلت كابول سنة ١٩٩٦ وأعلن الملا محمد عمر أميرا للمؤمنين فيها، واستطاعت إلى عام ٢٠٠٠ ترسيخ أقدامها وحكمها في أفغانستان والسيطرة على نحو ٩٤ % من مساحتها.

ولما كانت حملات مكافحة الإرهاب قد ضيّقت أقطار الأرض على كثير من شباب الحركات الجهادية، وكثير من الشباب المسلم خاصة من البلاد العربية ووسط آسيا، أصبحت الإمارة الإسلامية في أفغانستان ملاذا ومهجرا لكثير من كوادر وشباب تلك الحركات. فأصبح تدمير الإمارة الإسلامية وإخراج هذه النخبة المهاجرة المجاهدة الذين سموا (الأفغان العرب) منها، وابتدأت أمريكا ذلك بسلسلة من إجراءات الحصار السياسي والإقتصادي والتشويه الإعلامي والمواجهات الأمنية.

وفي صبيحة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تمكن ١٩ شابا من المجاهدين التابعين لتنظيم القاعدة الذي يتزعمه الشيخ المجاهد (أسامة بن لادن)، تمكنوا من اختطاف عدد من الطائرات والدخول بها في عمليات استشهادية في

واشنطن ونيويورك فدمروا أبراج مركز التجارة العالمية، وجانبا من مبنى الـ (بنتاغون) مقر وزارة الدفاع الأمريكية مما أسفر عن مقتل وجرح عدة آلاف من الأمريكيين..

- **نبذة عن سيرة الشيخ أسامة بن لادن:**

ينحدر الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله من أصل يمني جنوبي من حضرموت، فهو أحد أبناء محمد بن لادن الذي هاجر من اليمن إلى السعودية مع بداية حكم الملك عبد العزيز، واستوطنها مكونا أسرة قريبة من آل سعود، وتمتعت بنفوذ مالي وسياسي واسع فيها منذ ذلك الوقت وإلى اليوم..

وقد حضر إلى أفغانستان مثل عموم الشباب السعودي الذي جاء للجهاد آنذاك يحمل منهج وبصمات فكر الصحوة الإسلامية في السعودية، وهي مزيج فكر الإخوان المسلمين والسرورية ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين.

وفي نهاية (١٩٨٥) أو مطلع (١٩٨٦) حضر الشيخ أسامة بن لادن ليشارك ميدانيا بنفسه في الجهاد بعد أن كانت زياراته السابقة لتقديم الدعم المادي.

وبالتعاون مع بعض الكوادر من تنظيم الجهاد المصري من أوائل من قدم لأفغانستان، افتتح الشيخ أسامة مركزا عسكريا متقدما على أحد المعابر الهامة لإمداد المجاهدين في منطقة (جانغي) الجبلية الوعرة التي تنتشر فيها الغابات

- **نبذة مختصرة عن المحاولات الجهادية للشيخ أسامة بن لادن في اليمن:**

كان للشيخ أسامة بن لادن مشروعه الجهادي الخاص في اليمن الجنوبي ضد الحكومة الشيوعية، فكان مثله مثل عموم التنظيمات الجهادية ذات المشروع الخاص، ومن هنا اتخذ من المشاركة في الجهاد الأفغاني ميدانا للإعداد والتدريب لعناصر مشروعه، مثله مثل باقي الأفغان العرب، كما عمل كغيره للهدف العام، وهو العمل على إقامة دولة إسلامية في أفغانستان بعد تحريرها.

- خلال الجهاد الأفغاني ضد الروس حرص الشيخ أسامة على تكوين مجموعة منظمة حوله ركز فيها على العناصر الجهادية من جزيرة العرب ولاسيما من السعودية واليمن، وفي التسعينات كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيوعي في اليمن.
- كان المشروع الجهادي الخاص والرئيسي للشيخ أسامة، هو إحداث حركة جهادية في اليمن الجنوبي، وقد باشر ذلك في سنة (١٩٨٩-١٩٩٠) ورغم أن عددا من الجهاديين المقربين من الشيخ أسامة

أيامها- وكنت من بينهم- قد حرض الشيخ أسامة على الشروع في ذلك الجهاد مباشرة، إلا أنه تردد بانتظار **إقناع قيادات الصحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المسلمين ومشايخ اليمن وكبار دعاتها من السلفية، وبذل أموالا طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على المشروع، ولكن جميع أولئك خذلوه، واستطاع علي عبد الله صالح أن يستميلهم، ويسند إليهم المناصب ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات، وأما أكثر قيادات الشباب الجهاديين الذين جندهم الشيخ أسامة ودربهم في أفغانستان، فقد استمالهم علي عبد الله صالح بأن أعطاهم رتبا في الجيش اليمني وأدخل من أراد السلك العسكري، والوظائف المدنية، فركبوا السيارات وتولوا المناصب،** وبلغ ببعضهم أن يعمل في **سلك الإستخبارات والحرس الجمهوري كأقرب المقربين من علي عبد الله صالح!!** وتلخص هذه الأمثلة الثلاثة الإخوانية والسلفية والجهادية في اليمن، نموذجا للمشكلة الأساسية في اليمن، التي كان هذا حال أبرز علمائها وقادة صحوتها ومجاهديها، **الذين افتقروا إلى التربية المنهجية الجهادية خلال فترات إعدادهم التي اهتمت بالتكوين العسكري وافتقرت لأي فكر أو منهج يحصنهم من مثل تلك الإستدراجات.**

ولم تقم بعد ذلك للجهاديين من أتباع الشيخ أسامة أي محاولة تذكر للتحرك الجهادي في اليمن منذ(١٩٩٤)، إلا بعض العمليات المحدودة، حيث تحول فيما بعد لجهاد أمريكا.

- **هجرة الشيخ أسامة إلى السودان:**

كانت حكومة البشير وحليفه الترابي قد استولت على الحكم موصلة الحركة الإسلامية الرئيسية فيها للسلطة، والتي كان من سياستها خلال مرحلة (١٩٩١-١٩٩٥)، فتح الباب للتنظيمات الجهادية للانتقال إلى السودان، حيث انتقل كم مهم من الجهاديين إلى هناك وكان في طليعتهم قيادة تنظيمات الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر، والشيخ أسامة وقياديو تنظيم القاعدة، بالإضافة للكتلة الرئيسية من قيادة الجماعة المقاتلة بليبيا،و جهاديين من جنسيات أخرى.

ثمَّ بدأ الأمريكان بالضغط على السودان لطرد الشيخ أسامة، بعد ما باتت مصالحهم تتعرض لبعض الهجمات من بعض الشباب السعودي المجاهد الذي هضم الفكر الجهادي في أفغانستان وتحول إلى مجال التطبيق، **ولم يكن لأولئك الشباب أي علاقة عمل تذكر بالشيخ أسامة ولا القاعدة.**

وكان الشيخ أسامة قد انتقل إلى السودان، وانهمكت القاعدة في أعمالها الاستثمارية والاقتصادية فيما اعتقدوا أنها دولة إسلامية تجب نصرتها بزعامة الرئيس البشير و(الإمام) حسن الترابي!! بحسب اعتقاد بعض

أعضاء اللجنة الشرعية للقاعدة آنذاك!! كما شارك بعض عناصرها في الجهاد في الصومال إلى جانب الفصائل الإسلامية وشاركوا بفاعلية في إقناع الأمريكان بالانسحاب من أوحال رماله الصحراوية.

- **العودة إلى أفغانستان ومبايعة الشيخ أسامة للملا عمر:**

بعد سيطرة الطالبان على أفغانستان، ودخول كابل ١٩٩٦م، عادت الجموع الجهادية إلى أفغانستان، ومنهم الشيخ أسامة بن لادن، وقد بايع الشيخ أسامة أمير المؤمنين محمد ملا عمر بيعة إمامة.

- **تجربة الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة في مواجهة أمريكا منذ (١٩٩٦):**

لقد شكل الشيخ **أسامة القاعدة لأهداف** جهادية في أفغانستان وفي خارجها، وذلك لدعم قضايا الجهاد وتنظيماتها في أماكن عديدة.

هذه التجربة التي اِخْتُتِم بها ملف تجارب القرن العشرين وافتتح ملف الصراع في القرن الحادي والعشرين بشكل غير وجه التاريخ والعالم وغير أبعاد المعركة ومعطياتها وأساليبها.

تولى التدريب والتوجيه والتربية الفكرية في القاعدة عناصر من التيار الجهادي من مصر وسوريا وغيرها وأثروا في هويتها الفكرية.

لقد بنى الشيخ أسامة القاعدة على جهود كوادر من تنظيم الجهاد المصري أساسا، مع بعض الذين ساهموا في التدريب من كوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى، ولم يكن معظمهم أعضاء في القاعدة، وإنما على سبيل التعاون وتبادل المنافع. فقام هؤلاء الجهاديون - وكنت من بينهم لفترة - ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية.وغيرها من الأمور السياسية الشرعية، وفقه الواقع في تلك المعسكرات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين..!

فأثروا مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبابية، ثم انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة مع الوقت- وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة -.

وكان هو وعموم المجاهدين السعوديين يعتبرون أن الحكومة السعودية شرعية، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون، على فسقهم ومظالمهم، ويكنون احتراما شديدا للعلماء الرسمين في هيئة كبار العلماء، ويلتزمون بفتاويهم.

ولم يكن بيننا كجهاديين وبين أولئك الأخوة ومنهم الشيخ أسامة ذاته من حملة هذا الفكر قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرة الجهاد الأفغاني، ولكن التناقض المنهجي والاختلاف في الفكر الجهادي وفهم الواقع ومنطلقات السياسة الشرعية كان جليا بيننا كجهاديين وبينهم، والذي حصل مع الوقت، أن الشيخ أسامة- حفظه الله - تدرج في القناعة وهضم الفكر الجهادي، وتقبله ثم تبناه ثم صار أحد رموزه، وأظن أن مما ساعد على ذلك، إضافة للتأثير والاحتكاك بينه وبين الجهاديين، كان العامل الثاني وهو.

موقف السعودية ومؤسساتها الحاكمة وعلماء ها الرسميين من تداعيات حرب الكويت ووجود القوات الأمريكية في السعودية، فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت له حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية، وكان الشيخ أسامة قد توصل بتفكيره الشخصي وألمعيته وذكائه الحاد وتأثره بمنهج التيار الجهادي وإدراكه للواقع، أبعاد أهداف الوجود الأمريكي في المنطقة، وأن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة ومنها النظام القائم في السعودية يمر حتما بمواجهة أمريكا، ووفرت له فترة الإقامة في السودان (١٩٩٢-١٩٩٦) مدة كافية للتفكير، انتقل خلالها من المعارضة الإعلامية اللينة لحكومة آل سعود إلى الدعوة للإصلاح بشدة وجدية في توجيه الخطاب الحاد والقاسي للسلطة الحاكمة ومؤسستها الدينية الرسمية المنافقة.

لما عاد إلى أفغانستان في عهد طالبان ١٩٩٦، كان حوله مجموعة من الذين يحملون فكر المواجهة الأممية مع أمريكا، وحلفائها، وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة:

(١) العلماء يضفون الشرعية على آل سعود.

(٢) وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة.

وهناك إحدى طريقتين للموا جهة مع آل سعود وهذه الأوضاع.

١- إما مواجهة آل سعود وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم، لإسقاط شرعية آل سعود وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من (٧٠) سنة.

٢ - وإما طريق أسلم، وهو: **ضرب الوجود الأمريكي، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم، في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم، فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحا أمام الناس.**

وأختار الشيخ أسامة الخيار الثاني، وأعتقد أنه كان مصيبا إلى حد كبير، يقدر هذا من يفهم الأوضاع في السعودية ومكوناتها الدينية والاجتماعية والسياسية.

كما كان الشيخ أسامة قد اقتنع بعد درس سقوط الاتحاد السوفيتي، ورأى كيف سقطت كل الحكومات الديكتاتورية في دول حلف وارسو بسقوطه،مثل ما حصل في ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وسواها، واقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافة مكونات النظام العربي القائم، وسواها من القائمة في بلاد العالم الإسلامي.

فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد على جهاد أمريكا، وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحرب مع رأس الأفعى كما دعاها وليس مع ذيولها الكثيرة،

وأعتقد أن الفكرة التي اختارها، في جهاد الأمريكان كمفتاح لحل جميع المشاكل في الجزيرة العربية والمنطقة بأسرها، كانت صحيحة، **بصرف النظر عن رأيي في تفاصيل طريقته في عمله، وأداء تنظيمه من أجل تحقيق تلك الأهداف آنذاك.**

ثم بدأ الشيخ أسامة حفظه الله يتوغل في تلك القناعة، ويجمع المبررات لهذه المعركة ويختار لها التكتيكات اللازمة بحسب وجهات نظره.

- **هل تنظيم القاعدة من التيار الجهادي؟**

لقد كانت **القاعدة** جزءا رئيسيا من كتلة المجاهدين **الأفغان العرب** في أفغانستان، والذين كانوا بدورهم جزءا هاما من **التيار الجهادي** العام، الذي يتكون من مجموع التنظيمات والجماعات والتجمعات التي تنتشر في معظم بلدان المسلمين بل وفي كثير من بلدان المهجر، كما يضم كثيرا من الأفراد والكوادر الجهادية من العلماء والمفكرين والدعاة والكتاب الذين حملوا جميعا الفكر الجهادي الذي يتبنى منهجا محددا كما يتبنى العمل المسلح وسيلة لإقامة شريعة الله ودفع الظلم عن الإسلام والمسلمين كحل لا بديل عنه لحل ما تراكم من مشاكل هذه الأمة.

تفكرت كثيرا في مسألة تصنيف تجربة القاعدة ضمن تجارب التيار الجهادي، أو تصنيفها ضمن تجارب الظاهرة الجهادية ضد العدوان الخارجي، حتى كدت أميل إلى أنها صنف ثالث من أصناف الظاهرة الجهادية

لاختلافها من حيث التكوين والمنهج والأسلوب، وبعد طول التأمل، رأيت أن أدرجها ضمن تجارب التيار الجهادي لاعتبارات عديدة من أهمها:

- المنهج الذي آل إلى تبنيه وإعلانه الشيخ أسامة بن لادن ومعظم أتباعه في آخر المطاف، وهو منهج يمكن اعتباره مستندا إلى أصول ومبادئ منهج التيار الجهادي.

- والأمر الآخر هو أن أكثر كوادر القاعدة ومؤسسيها ومدربيها ورجالها الأساسيين هم من كوادر التيار الجهادي الذي التحقوا بالقاعدة عضويا، أو أنها استندت إليهم في تكون عناصرها.

- والأمر الثالث هو أن الشيخ أسامة جعل من مواجهة حكومة آل سعود أحد شطري اتجاهه وأهدافه بالإضافة لمواجهة أمريكا وهذا من توجهات تنظيمات التيار الجهادي في مواجهة الطغاة من حكام بلاد العالم العربي الإسلامي، حيث اعتبرهم مرتدين عن ملة الإسلام، مستندا في ذلك إلى أصول عقيدة الحاكمية وعقائد السلفية الجهادية.

- والأمر الرابع أن الشيخ أسامة قد استطاع جر التيار الجهادي بكامله إلى الساحة التي اختارها والفكرة التي يراها للمواجهة وهي التحول من مواجه الأنظمة والحكومات إلى مواجهة من يسندها ضمن النظام العالمي الجديد وهي أمريكا وكبار حلفائها.

- والأمر الأخير هو أن أمريكا قد فرضت علينا ولأهدافها الخاصة عن علم وعمد،فرضت على كافة التيار الجهادي وكثير من مكونات الظاهرة الجهادية الحاليين مسمى القاعدة وعممته عليهم راضين أم كارهين وجعلته اسما شاملا لكافة مكونات التيار الجهادي وجرتهم لحربها كذلك طوعا أو كرها.

- **علاقة الشيخ أبو مصعب السوري بالشيخ أسامة بن لادن:**

عمل الشيخ أبو مصعب مع الشيخ أسامة بصورة متقطعة في مجال التدريب العسكري في معسكرات القاعدة، خلال الفترة مابين مطلع (١٩٨٨) و(١٩٩١)، كما عمل محاضرا أيضا في المجالات المنهجية والسياسية الشرعية ودروس حرب العصابات فيها وفي غيرها من التنظيمات، والمعسكرات، واحتك الشيخ بمعظم الجهاز المؤسس والكادر العامل في إطار الجهاد العربي الأفغاني، ولم يكن للقاعدة في حينها أي توجهات أخرى خارج أفغانستان ميدانيا، ولم يكن للشيخ أسامة مشروعا مباشر إلا اليمن، بالإضافة للدعم المادي لقضايا وجماعات جهادية في أماكن كثيرة.

- **شبهة العمالة للأمريكان:**

لقد أخذ الشيخ أسامة بن لان حظا أكبر من هذه التهمة وذهب الإعلام مذاهب شتى في تهمته، فقد تناولته كتب وأبحاث كثيرة لكتاب صليبين عرب وأجانب بهذه الفرية وذهبوا بعيدا، إلى الحديث عن علاقة وثيقة لأسرة بن لادن، وعن تجارة بترولية بين الرئيس بوش الأب وأحد أخوة الشيخ أسامة، وعن عمل بن لادن مع المخابرات السعودية في بيشاور في ترتيب الجهاد العربي في أفغانستان، والحقيقة أن ساحة الجهاد العربي في أفغانستان أيام جهاد السوفييت كانت متداخلة جدا، وكان دور السعودية ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها الاستخباراتية والعسكرية كبيرا، وكان كثير من مسؤوليهم على علاقة عمل مباشرة مع إدارات العمل العربي، الذي كان الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة في رأس إدارته، وكانا والآخرون من القيادات يرون ذلك مفيدا لدعم الجهاد الأفغاني، الذي لا يخفي في ثناياه سرا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدعم له من الاستخبارات السعودية أو الباكستانية، وأما من كان لهم مشاريع جهادية خاصة فكانوا على النقيض في قناعتهم، فلم يكونوا على تماس بهؤلاء ولا نظروا إليهم بعين الارتياح وكنت من هذا الفريق، رغم قربي من الدائرة الأولى حول الشيخ أسامة في حينها وإلى (١٩٩١).

وتتحدث التهم والخيالات الإعلامية عن ربط المخابرات السعودية لابن لادن بالمخابرات الأمريكية، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلا موظفا رسميا في (CIA)! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السعودية واستقروا فيها بعد ما سمي (حرب تحرير الكويت) وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الديني والوطني! وذهب البعض أبعد من هذا، ليعتبروه مازال عاملا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أم لم يشعر، وأن الاستخبارات الأمريكية أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العرب والمسلمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق! واستشهدوا على ذلك بأنهم لم يعثروا عليه حتى الآن عمدا!! إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات واللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة.

و القصة باختصار أنه قد جمعه وجميع المسلمين آنذاك، قاسم مشترك مع الأمريكان في ضرب الروس لعدوانهم على أفغانستان، فلما انتهت المعركة، تنبه الجميع إلى أن العدو المقبل هو القوة الوحيدة التي انفردت بإدارة العالم، وإنشاء النظام العالمي الجديد، وغزت بلاد الحرمين، وراحت تجهز الحملات الصليبية على الشرق الأوسط.

فأكمل ابن لادن الواجب وأعلن الجهاد بدوره على القوة التي جاءت للعدوان بدورها، وكذلك فعل معظم من أراد الجهاد معه، أو مستقلين عنه كما كان حالي وحال أمثالي.

وحتى تكون الصورة واضحة؛ فمثلا لو ساعدنا الفرنسيون أو غيرهم من الأوربيين، أو الروس، أو الصين، ساعدونا اليوم في جهادنا لأمريكا، كما أظن أنهم ربما سيفعلون يوما ما.. لصار بيننا قاسم مشترك، ولو انتصرنا على أمريكا، وقاموا بدورهم يغزون بلادنا كما أظن أنهم سيفعلون لو فعلوا ما قبلها، سننقل الجهاد ضدهم، ولو وجدناهم انتقلوا للموادعة والتعاون على المفيد ولحسن الجوار، سيجدون أن في ديننا سعة لأن نفعل مثل ذلك معهم، كما أظن أنهم لا يفعلون إلا في إطار التكتيكات المرحلية.

وأما أن هناك أمريكان قد دربوا المجاهدين العرب من جماعة القاعدة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة، إذ لم يكن هذا ليكون مقبولا ولا على سبيل المزاح، فالوسط الجهادي العربي الذي تسيطر عليه أفكار الولاء والبراء والمدرسة السلفية الجهادية كان متوترا تجاه بعض الشخصيات الحكومية السعودية التي تأتي لتقديم الدعم وربما دخلت بعض المضافات أو المعسكرات العامة المفتوحة (مثل الملحق العسكري في السفارة السعودية- أبو مازن-) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانب أو أمريكان.

- **هجماته:**

تصاعدت الحرب الأمريكية والغربية بمشاركة من الدول الإسلامية على طالبان وأفغانستان، ولاسيما على الشيخ أسامة والقاعدة الذين قاموا بتنفيذ هجومين على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام، ثم الهجوم الاستشهادي الآخر على المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن في اليمن، خلال هذه الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٠) بالإضافة للتصعيد الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة من أفغانستان منذ حضر إليها عن طريق سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية التي كان يحرض المسلمين فيها على حرب أمريكا وجهادها.

و تصاعدت الضغوط الأمريكية والعالمية والتهديدات الجدية، والحصار الاقتصادي والإعلامي على أفغانستان، وبدأت أمريكا تنذر بالحرب على الإرهابيين فيها وخاصة خصمها العنيد، الشيخ أسامة، ثم وقعت الواقعة الحاسمة في الحادي عشر من سبتمبر/٢٠٠١.

فقد قامت مجموعة من أعضاء القاعدة بالهجوم الاستشهادي التاريخي الشهير على أبراج نيويورك والبنتاغون صبيحة الحادي عشر من سبتمبر من عام ٢٠٠١.

ورغم عدم إعلان القاعدة عن مسؤوليتها عن العمليات، إلا أن أصابع الاتهام والقرائن لدى الأمريكان كانت واضحة.

وقررت أمريكا غزو أفغانستان وإسقاط طالبان وتنصيب حكومة تابعة لها فيها، وإبادة من تستطيع إبادته من طالبان ومن التجمعات الجهادية والعربية المتواجدة تحت عباءة أمير المؤمنين.

- **بعض مترتبات الحدث وتوابعه:**

لقد كانت خسائر العدو في هجوم سبتمبر كبيرة بكل المقاييس، وأرجو أن تكون قد وضعت بداية السقوط الحقيقي إن شاء الله لهذه الدولة البربرية الهمجية المسماة (الولايات المتحدة الأمريكية)، التي جسدت قمة وحشية الحضارة الغربية المعاصرة، التي باشرتها دول أوروبا الاستعمارية وساهمت فيها روسيا ثم ورثت كل صفاتها الشيطانية أمريكا وأقامت على أساسها نظام الاستكبار اليهودي الصليبي المعاصر.

ولقد دمجت الآلة الأمريكية كل ذلك التيارومكوناته بل ومناصريه، بل وكل من أرادت أن تصفيه من كامل طيف الصحوة الإسلامية على اختلاف مدارسها تحت مسمى (القاعدة) وجعلتهم جميعا هدفا لحربها تحت شعار مكافحة الإرهاب.

ولقد تبع انهيار البرجين في نيويورك، وتهدم جدار البنتاغون على رؤوس جنرالات أمريكا، انهيارات كثيرة في الصف الإسلامي، ولحق بأطراف عديدة خسائر فادحة، وكان ممن لحقهم كثير من الخسائر كافة أطراف ومدارس الصحوة الإسلامية، وكان أكثرهم تضررا التيار الجهادي وتنظيماته وكياناته المختلفة كافة، على صعيد الأفراد والقيادات والجماعات في كل مكان، بل لقد طالت التوابع وردود الأفعال من قبل العدو كل مسلم في كل مكان، وقد كان هذا سببا في أن كثيرا من أوساط الصحوة الإسلامية، بل وحتى بعض الجهادية لم تنظر لهذا العمل المجيد بعين الارتياح.

وقد انتقده كثيرمن المسلمين المخلصين قناعة منهم بأنه:

- قد جلب البلاء على المسلمين ووضعهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد.
- وأنه برر الهجمة الأمريكية وأعطاها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإسلامي وإنزال أفدح الخسائر بالمسلمين.
- وانه ألغى عمليا معظم البرامج الذاتية لكثير من مشاريع الجهاد القطرية والإقليمية بالتبعية تلقائيا.
- بل إنه سبب إزالة الإمارة الإسلامية الوليدة في أفغانستان ملغيا القاعدة الوحيدة التي فاءت إليها معظم مشاريع الجهاد وجماعاته وقياداته... إلى أخره.

ولكثير من هذه الانتقادات دليل مما نلمسه ونعيشه، ومن هذا المنظور فربما أن لوجهات النظر هذه ما يبررها، ولكن من جهة أخرى وحتى نأخذ الصورة بكل معطياتها، فإن المتابع للسياسات الأمريكية فيما يتعلق بالعالم الإسلامي، بل بكافة العالم الثالث وخاصة منطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال ممارساتهم ومن خلال الكتابات المعلنة لكبار مفكريهم ومنظريهم وواضعي إستراتيجياتهم السياسية، عبر الكتب المنشورة، والتقارير والدراسات التي تعدها كبريات مراكز الدراسات عندهم وينظر لها كبار المفكرون من أمثال كتابات كيسنجر ونيكسون وهينينغتون، يجد أنها قد أعربت وصرحت بأهداف السياسة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين، وعن الرغبة الجامحة بالإنفراد بالسيطرة على العالم، وهو برنامج وضع للتنفيذ بصرف النظر عن أحداث سبتمبر كانت أو لم تكن.

لقد صرح نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) بأن على أمريكا أن تعمل على أن يكون القرن ٢١ قرنا أمريكيا ويجب أن تعمل على تفكيك الإتحاد السوفيتي، ومنع نهضة الصين وتفتيتها إلى قوميات متصارعة، وعرقلة قيام الوحدة الأوروبية، وكبح التقدم الصناعي لجنوب شرق آسيا والسيطرة عليها والتخطيط للسيطرة على المارد المسلم الذي يتململ استعدادا للنهوض على حد تعبيره، كما شكلت أمريكا قوات التدخل السريع (المارينز) من أجل احتلال منابع النفط منذ أيام كارتر مطلع السبعينات،هذا بالإضافة للسياسة المبنية على معتقدات المتطرفين الصليبين الذين بنوا تصوراتهم الإنجيلية التوراتية بحسب التفسيرات الصهيونية كأساس لمذهب المسيحية الأمريكية المتعصبة، التي تعتمد فكرة دعم إسرائيل واليهود بانتظار المعركة الطاحنة في (هرمجدون) في شمال فلسطين كمقدمة لنزول المسيح لتخليص النصارى، هذا بالإضافة لفلسفات شريرة وضعوها بناء على نظريات صراع الحضارات وسيطرة العرق الأبيض، وهذه المعلومات أصبحت مما تتحدث به وسائل الإعلام العالمية بصراحة، عن ظاهرة (المحافظين الجدد)، وهي الفئة النصرانية المتصهينة التي ينتمي إليها بوش وأعوانه.

والدلائل كثيرة جدا على أن أمريكا قد تحركت نحونا منذ أن انهيار الإتحاد السوفيتي وافتتحت ذلك بحرب الخليج، ثم بسلسلة المؤتمرات الأمنية ضد ما أسموه الأصولية الإسلامية وذلك عقب الإجتماع الهام الذي جمع (ريغان – تاتشر- غورباتشوف) والذي وضعوا فيه علنا الإسلام خصما حضاريا للحضارة الغربية بعد انتهاء الحرب الباردة وقرروا ضم مكونات حلف وارسو لتدخل في حلف الناتو الذي سيقود الحرب الصليبية على المسلمين.

وهناك كثير من الوثائق التي تثبت ذلك لا ننقلها هنا خشية الإطالة، وهذه المعلومات مشتهرة بين المثقفين العرب والمسلمين وفي وسائل الإعلام.

وكلها مؤداها أن أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية كانت ماضية باتجاهنا من قبل ما حدث في سبتمبر وأن أمريكا كانت غير عاجزة عن إيجاد أي ذريعة فيما لو لم توجد القاعدة ولم تحدث انفجارات ١١- سبتمبر، تماما كما اتخذت من العراق ذريعة لاحتلال الخليج في حرب الكويت، وكما اتخذوا اليوم ذرائع لإحتلال العراق والتمدد نحو الشام والجزيرة، فكل أدلة المنطق والواقع تثبت بأن أحداث سبتمبر ليست السبب في هذه الهجمة وإن كانت قد عجلت بمواجهة محتومة وجعلتها أكثر (دراماتيكية).

وحتى هجوم أمريكا على أفغانستان فمن المسلم به في جميع وسائل الإعلام العالمية وعلى لسان كثير من السياسيين أنه هجوم سببه المصالح الأمريكية في نفط وسط آسيا واحتياجها لنظام يحفظ نقله إلى الخليج من أفغانستان ويكمل إغلاق الحلقة الأمريكية حول الصين ويحاصر إيران من الشرق ويزيل أي إمكانية لحكم المسلمين بالشريعة في أفغانستان حتى لا تكون سابقة تحتذى، فلم يكن الشيخ أسامة ولا الأفغان العرب ولا مجاهدو وسط آسيا المقيمين في حماية طالبان سبب الهجوم على أفغانستان، بل كان السبب هو قيام طالبان بالحكم بالشريعة وتمرد نظامهم على شريعة أمريكا في السياسة الدولية، بالإضافة للإطماع الإمبراطورية الأمريكية في المنطقة، والله تعالى أعلم.

وبعيدا عن اختلاف وجهات النظر من الحدث وتداعياته، فقد فرض واقعا على المسلمين وأقطاب الصحوة الإسلامية والقيادات الجهادية أن يواجهوه الآن، وأن يعلموا أن أمريكا قد قررت وفرضت عدوانها على المسلمين وبهذا الزخم ورتبته مع اليهود وحلفائها الأوروبيين وروسيا منذ انهيار الإتحاد السوفيتي وإزاحة سور برلين بين حلف وارسو وحلف الناتو، ووزعت الأدوار، التي خصت قسطا كبيرا منها وأوكلته لحكومات الردة في العالم العربي والإسلامي، فهذه الحرب القائمة الآن، فرضها العدو ونفذها، من قبل سبتمبر/٢٠٠١ ولم توجدها أحداثها حرب فرضتها المصالح الاقتصادية والجغرافية السياسية، وهي نتيجة الجذور التاريخية والتصورات الدينية لمعتقدات اليهود والأمريكان عن الصراع مع المسلمين.

- **تداعيات أحداث سبتمبر٢٠٠١ على التيار الجهادي في أفغانستان:**

- ابتدأ الأمريكان الحرب بموجات من القصف الجوي المركز منذ مطلع شهر ١٠ وإلى أواسط ١١، وزحفت طلائع تحالف الشمال لتقوم بالحرب على الأرض نيابة عن الأمريكان من ثلاث محاور.

- من الشمال نحو كابل، ومن الحدود الباكستانية من الجنوب الشرقي نحو قندهار، ومن الشمال الشرقي نحو جلال أباد، وسقطت مزار شريف، ثم كابل بيد تحالف الشمال في شهر ديسمبر ٢٠٠١.

- واستولت الشراذم وقطاع الطرق والحرامية والقبائل التي عملت في البرنامج الأمريكي على المدن تباعا، وتهاوت مقاومة طالبان واستسلمت حامياتهم وقياداتهم بصورة مفاجئة للجميع.

- وخلال أقل من أسبوع بعد سقوط كابل، أعلن عن سقوط طالبان، وتسليم (كرزاي) مقاليد الأمور،ثم تابع عملاء أمريكا على الأرض تنفيذ المهام،التي لعبت ملايين الدولارات دورا هاما في أدائها على الوجه الأكمل قذارة وبشاعة.

- ثم أطلقت أمريكا بزعامة (بوش) ما أسمته (الحرب العالمية على الإرهاب) والتي لعبت فيها الباكستان الدور الرئيسي،حيث تولت تصفية واعتقال الذين توجهوا نحو الملاذ الوحيد على أراضيها، ثم تلتها مختلف الدول العربية والإسلامية بالمشاركة،بالإضافة لما قام به حلفاء أمريكا الكبار،مما أدى إلى تدمير ما تبقى من التيار الجهاد تدميرا كبيرا.

- وأما ما يهمنا من أمر الجمع العربي من الجهاديين والمهاجرين في أفغانستان، فخلاصة ما حصل؛ مجزرة تاريخية للتيار الجهادي هي الأسوأ في تاريخه كله، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وكانت خلاصة الخسائر والمصائب منذ انطلاق أحداث الكارثة وإلى ساعة تحرير هذه السطور في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٤ أي خلال ثلاث سنوات عجاف، ودون الدخول في التفاصيل كالتالي.

- استشهاد زهاء (٤٠٠) مجاهد عربي خلال معارك الدفاع عن أفغانستان، حيث استبسلوا في الدفاع عن مختلف خطوط القتال، أو سقطوا بفعل القصف المكثف أثناء عمليات انسحاب أرتال السيارات من المدن الرئيسية باتجاه الحدود الباكستانية.

- أسرت باكستان بفعل خيانة بعض رجال القبائل الحدودية الباكستانيين، نحو (١٥٠) مجاهد خرجوا من معارك (طوره بوره) بعيد الحرب مباشرة خلال الشهر الأول من عام (٢٠٠٢)، وجرى تسليمهم للأمريكان الذين نقلوهم إلى معسكر الاعتقال سيء السمعة في غوانتانامو، في جزيرة كوبا.

- استشهاد نحو (١٠٠) مجاهد تقريبا في اشتباكات متفرقة مع الجيش الباكستاني في مناطق الحدود أو على طرق السفر، أو داخل بعض المدن في باكستان خلال السنتين التاليتين من مطلع (٢٠٠٢) وإلى سبتمبر (٢٠٠٤).

- أسرت القوات الباكستانية خلال تلك الفترة ما يزيد على (٦٠٠) مجاهد عربي من الفارين بأنفسهم وأسرهم والمختفين على أراضيها، وقامت بتسليمهم إلى أمريكا مباشرة ليزج أيضا بهم في معتقل غوانتانامو، أو معتقلاتها الوحشية في أفغانستان.

- اعتقلت إيران على أراضيها أكثر من (٤٠٠) مجاهد عربي، سلمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسميا، وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران، بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية - قيد السجون والمساومات السياسية مع أمريكا.

فإذا ما اعتبرنا أن العدد الإجمالي للمجاهدين العرب الذين تواجدوا في أفغانستان وقت هذا الحدث زهاء (١٩٠٠) مجاهد بمن فيهم أرباب الأسر من المقيمين والمهاجرين، تكون الخسائر قد جاوزت ما بيت شهيد وأسير(١٦٠٠) مجاهد من أصل الـ(١٩٠٠) أي نحو(٧٥%) من القاعدة البشرية للأفغان العرب الذين تواجدوا في أفغانستان تلك الفترة، كما أدت حملات المطاردة والاعتقال التي شنتها أمريكا وأجهزة الأمن المتعاونة معها في أوربا وبلدان العالم العربي والإسلامي بل في كل العالم إلى اعتقال وأسر مئات الجهاديين من أعضاء الجماعات أو المتعاطفين مع التيار الجهادي أو من المظلومين القريبين منهم من الذين أسروا دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل في هذا الصراع.

- هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في صفوف الجهاديين من وسط آسيا وخاصة من المجاهدين الأوزبك ومن معهم من بلاد وسط آسيا، الذين استشهد معظم كادرهم العسكري وربما جاوز هذا الرقم زهاء ٥٠٠ شهيد عدى الأسرى،استشهد أكثرهم في أفغانستان، وبعضهم في معارك مع الجيش الباكستاني المدعوم بالقوات الأمريكية في منطقة وزيرستان.

كما وقعت خسائر فادحة في صفوف المجاهدين من تركستان الشرقية بنفس الطريقة،وكان آخر هذه الخسائر استشهاد أميرهم (حسن أبو محمد التركستاني) مع بعض إخوانه رحمهم الله تعالى، وأكرم نزلهم في المهاجرين الغرباء الفرارين بدينهم، وقد قتله الجيش الباكستاني - قتلهم الله - في شهر ١١/ ٢٠٠٣،أثناء عمليات المطاردة في إقليم سرحد.

حتى صرح (رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي أواسط عام (٢٠٠٣) أن حملتهم الأمنية والعسكرية على الإرهاب قد مكنتهم من قتل وأسر ما يزيد على (٣٠٠٠) إرهابي بحسب وصفه، وأعتقد أنه رقم قريب من الواقع، فقد وصلت الخسائر في أفغانستان وباكستان وإيران إلى أكثر من نصف هذه الرقم، فيما وصل عدد الأسرى من الجهاديين والمتعاطفين معهم في بريطانيا وحدها إلى نحو(٣٠٠) أسير، كما أشارت لذلك إحصائيات رسمية، ناهيك عن العشرات الذين أعلن عن اعتقالهم في باقي الدول الأوروبية، أما في الدول العربية فقد شنت اليمن حملة على الجهاديين والعائدين من أفغانستان وعلى المتعاطفين معهم، قتل فيها العشرات وأسر المئات، كما أعلنت السعودية عن توقيف أكثر من (٢٢٠) أخ نسبت لهم تهمة القاعدة رسميا، ناهيك عن أن عدد الأسرى والموقفين والذين حقق معهم في السعودية، هو رقم من فئة الآلاف، أسر منهم دون تهمة أو محاكة المئات وأودعوا السجون، وذلك أن السعودية واليمن كانتا من البلاد التي قدم إلى أفغانستان منها أكبر نسبة من الشباب العرب وكانتا من أكثر الدول مطاردة لهم أيضا، كما طالت الحملات المئات هنا وهناك في كل مكان، ليكون آخرها ما جرى في المغرب،منذ شهر١١/ ٢٠٠٣م، حيث اعتقل المئات أيضا، وصدرت عشرات أحكام الإعدام والسجن المؤبد والمدد الطويلة في حقهم وطال البلاء مئات الأبرياء من حملة الفكر الجهادي والمتعاطفين معهم ممن لا علاقة لهم بأي أعمال، وتوسعت دوائر التهمة والبلاء لتشمل معظم الجهاديين ومعظم المتعاطفين معهم في كافة أنحاء العالم،من القرن الإفريقي إلى الفلبين إلى إندونيسيا وجنوب شرق آسيا..إلى تركيا..إلى كل أقطار الدنيا.

لقد كانت المصيبة كارثية وعظيمة بكل معنى العظمة والكارثة لثلاثة أسباب:

١. أن هذا الرقم الذي طال ما بين (٣٠٠٠- ٤٠٠٠) عنصر من الجهاديين وأنصارهم ومؤيديهم بحسب المعلن والواقع أكبر من ذلك بكثير، يمثل في الحقيقة معظم الشريحة العاملة من الجهاديين في هذا الزمان، بل يضم كثيرا من الدائرة الأساسية للمتعاطفين معهم في العالم العربي والإسلامي وفي الجاليات الإسلامية في الغرب، فقد مثلت هذه الملحمة عملية استئصال للقاعدة البشرية الأساسية للتيار الجهادي في هذا العصر.

٢. أن الضربة القاصمة التي حلت بالمجاهدين العرب ومن وسط آسيا في أفغانستان وباكستان، قد أطاحت بالنخبة الأساسية من كوادر وقدماء التيار الجهادي، وبخلاصة قياداتهم ورموزهم ممن تبقى من العاملين من جيل الأفغان العرب الأوائل وهم زهاء (١٥٠) كادر مجاهد هو زبدة من تبقى من الرموز والعاملين في التيار الجهادي خلال ربع القرن الأخير من القرن العشرين، وقد سحق القتل

والأسر معظم هذه الزهرة، وربما لا أبالغ إن ذكرت للتاريخ معلومة يعرفها العدو، ولم يتفرغ أحد بعد من هول الصدمة لإحصائها، ولا أبالغ إن قلت أنه لم يعد بين هؤلاء من الأحياء، وغير المأسورين، ربما إلا رقم يسير جداً جداً، أسأل الله أن يحفظهم ويعينهم على إعادة البناء.

٣. أن الكارثة قد تعدت إلى أن يلتهم الأخدود حتى بعض من تربى على هؤلاء من طليعة كوادر الجيل الجهادي الثالث، من الشباب الذين قدموا إلى ساحة الجهاد الجديدة في أفغانستان خلال الشوط الثاني للأفغان العرب (١٩٩٦-٢٠٠١)، ولله الحمد فقد نجى كم لا بأس به من هؤلاء، وتفرقوا في أنحاء الأرض ولله الحمد.

وبعودة للتركيز في هذه الفقرة من هذا الفصل بعد هذا الاستطراد المأساوي، أقول:

أن التيار الجهادي الذي ابتدأ مساره مطلع الستينات، وازدهر أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات، وتألقت آماله في أفغانستان بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان، قد شهد أخدودا عظيما رسم نهاية حقبته السالفة بعد أحداث سبتمبر(٢٠٠١).

لتبدأ بعد ذلك وبعد احتلال العراق الذي جرى بعد ذلك بسنتين، مرحلة تاريخية جديدة من تاريخ التيار الجهادي بل الصحوة الإسلامية والعالم العربي والإسلامي بل العالم أجمع، **في مواجهة الحملات الصليبية اليهودية المعاصرة، بإذن الله..**

ومع أن عمليات سبتمر شكلت تصعيدا كبيرا بعد عدد من العمليات الأخرى الأصغر حجما ضد الأهداف الأمريكية التي قام بها تنظيم القاعدة أو غيره من التنظيمات بسبب موجة الاعتداءات الأمريكية على المسلمين ودعمهم لليهود في فلسطين ولكافة أعداء الإسلام، إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية والدولية استطاعت تصوير ما تلا ذلك الحدث من ردود أفعال أمريكا الوحشية الطاغية، وإطلاق حرب عالمية لمكافحة الإرهاب ومحاربة المسلمين على كل صعيد، استطاعت تصوير ذلك على أنه رد فعل مبرر بسبب هجمات الإرهاب الإسلامي على أمريكا وأمنها القومي.

وابتدأ بوش حربه العالمية على الإرهاب، وكان من ذلك:

شن حرب إعلامية عارمة من أجل شحن الأجواء وتهيئتها، بتصوير المسلمين عموما والصحوة الإسلامية والجهاديين خصوصا على أنهم الخطر المحدق بالبشرية، والتضخيم من حجم هذا العدو وإمكاناته حتى وصل إلى الزعم بأن الجهاديين يمتلكون أسلحة الدمار الشامل، وأحدث تكنولوجيات العصر، وعشرات آلاف

المقاتلين المدربين المنتشرين في عشرات البلدان، ودمجت أمريكا كل ذلك تحت مسمى (القاعدة) الذي صنع الأعلام الأمريكي من اسمها (بعبعا) مخيفا يجب محاربته، حيث أدخلت تحت هذا المسمى كل جهد إسلامي في مواجهتها، بل كل من أرادت سحقه في حملتها، وبهذا بررت أمريكا كل ما تلا ذلك من عدوان وإجراءات، على الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

خلاصة الأساسيات العقدية والفكرية للتيار الجهادي (١٩٦٠-٢٠٠١):

شكل التيار الجهادي مدرسة مستقلة قائمة بذاتها ضمن مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة، وقد حملت معظم تنظيماته ورجاله قواسم مشتركة من الفكر والعقيدة الجهادية والمنهج السياسي الشرعي، سأورد أهم ملامحها بشكل موجز بصرف النظر عن رأيي الشخصي في بعض التفاصيل والأفكار فهي فقرة للعرض وليست للنقاش، وبصرف النظر كذلك عن بعض الأفكار الثانوية التي حملها بعض الجهاديين ولم تكن سمة مشتركة للتيار وتنظيماته ورجاله الأساسيين، ومن أهم الملامح الفكرية عند الجهاديين:

- **حكم الأنظمة:**

إعتبر الجهاديون جميع الأنظمة القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي أنظمة ردة لكونها تشرع من دون الله وتحكم بغير ما أنزل الله، وتوالي الكافرين من أعداء الإسلام والمسلمين، واعتبروا جميع الحكام في العالم العربي والإسلامي بناءً على ذلك كفاراً مرتدين خارجين عن ملة الإسلام.

كما اعتبروا المؤسسات والسلطات الثلاث - إن وجدت - أو ما يقوم مقامها في الأنظمة الديكتاتورية، مؤسسات كافرة، وهذه السلطات هي: السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، واعتبروا كبار القائمين عليها كفاراً مرتدين.

وتقف حدود التكفير العيني عند الجهاديين عند هذا المستوى حيث يعتبرون ما سوى ذلك من الأعوان ونواب هؤلاء ومساعديهم وموظفيهم أعوانا لا يحكم عليهم بالكفر العيني لعملهم بتلك المؤسسات ويجعلونهم من أهل الأعذار.

وهم في ذلك يلتقون مع فكر الصحوة الإسلامية عامة خلال مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات قبل أن تنحو التنظيمات الإسلامية المنحى الديمقراطي وتضطر للحكم بالإسلام على تلك المؤسسات، ومن الجدير بالذكر أن هذه الحقائق التي جهر به الجهاديون وتحملوا في سبيل ذلك المآسي، كانت هي نفس

المعتقدات التي يحملها معظم رجال الصحوة الإسلامية من الإخوان والسلفيين والسروريين ودعاة الصحوة من علماء الجزيرة وغيرهم.

- **حكم الأعوان:**

اعتبر الجهاديون من قاتل دفاعاً عن تلك الأنظمة، وحارب الإسلاميين والجهاديين كأفراد الجيش والشرطة وقوى الأمن، طائفة ردة عامة تقاتل على أساس راية الردة العامة لإمامهم وقائدهم الذي يأتمرون بأمره ويدافعون عنه، بحيث لا يحكم الجهاديون بالكفر العيني لآحاد هؤلاء إلا حال صدر ناقض عن نواقض الإيمان.

- **مسألة التكفير**:

عقيدة أهل السنة والجماعة ويعتبرون كل من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله مسلماً ما لم يأت بناقض صريح من نواقض الإسلام، ويأخذون بشروط تكفير المتعين من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، من الجهل والإكراه والتأويل وانتفاء القصد، وبهذا يفترقون عن جماعات التكفير والشواذ من بعض من الحق بالجهاديين.

- **علماء السلطان:**

يعتبر الجهاديون كل من وقف من علماء المسلمين إلى جانب تلك الحكومات مدافعاً عنها مسبغاً عليا صفة الإسلام معتبراً من خرج عليهم من رجال وحركات الصحوة ولاسيما الجهاديين من الخوارج، يعتبرونه من المنافقين، وقد دخل الجهاديون معهم في مساجلات طويلة، والجهاديون قسمان في تحديد مستوى نفاق علماء السلطان فمنهم وهم الجمهور يذهب إلى إثبات الإسلام لهم واعتبار نفاقهم في حدود نفاق العمل، ويذهب البعض منهم إلى اعتبار بعض أولئك العلماء كفار مرتدين مثل حكامهم، لأنهم يعتبرون أولئك العلماء لا عذر لهم بالجهل ولا التأويل ولا بالإكراه لأنهم يسعون برضاهم إلى ذلك النفاق، الذي وصل إلى حد تأييد غزو بلاد المسلمين، وإجازة الصلح مع اليهود وبيع أقدس المقدسات المسلمين، وإلى حد الإفتاء ويقتل من خرج بالسلاح على أولئك الحكام ومن ولاءهم من الغزاة الصليبيين..

- **مسألة الديمقراطية:**

يعتبر الجهاديون الديمقراطية، فلسفة ونظاماً كفرياً يتناقض مع دين الإسلام جملة وتفصيلاً، ويذهب بعضهم إلى اعتبارها ديناً عصرياً مثله مثل كل أديان الكفر القديمة والحديثة، ويعتبر جمهور الجهاديين الديمقراطيين من الإسلاميين بدخولهم البرلمان والمشاركة في السلطة التشريعية أو الوزرات والحكومات وهي السلطات التنفيذية، يعتبرونهم متلبسين بعمل من أعمال الكفر، ولكنهم لا يحكمون عليهم بالكفر العيني، ويعتبرونهم معذورين بالتأويل أو حتى بالجهل أحياناً بطبيعة كفر تلك المؤسسات، بسبب حالة استضعاف الصحوة والمسلمين، ونيتهم في تحقيق ما يمكن من العدل والتعاون على البر والإحسان، ويذهب القليل من الجهاديين إلى تكفير هؤلاء البرلمانيين والوزراء من الإسلاميين بحكم واقع انتمائهم لتلك المؤسسات، ولا يعتبرون جهلهم وارداً وهم علماء أو دعاة ولا تأويلهم مستساغا بعد قيام الحجة وكثرة الحوار.

- **مسألة الشيعة والفرق من غير أهل السنة:**

يعتبر الجهاديون كافة تلك الفرق من ضمن الأمة الإسلامية أو ما يسمي بأهل القبلة، ويعتبرونها من الفرق التي جاء ذكرها في الحديث الشريف بافتراق الأمة على ٧٣ فرقة واحدة ناجية هم أهل السنة والجماعة والباقون في النار، فيعتبرونهم من فرق الضلال والزيغ والهوى والانحراف، وكما هو الموقف العام عند أهل السنة يصنفونهم ثلاثة أقسام:

الشيعة الغلاة: مثل الإسماعيلية والنصيرية وأشباهها ويعتبرونهم كفاراً.

الشيعة الزيدية: مثل أكثرية شيعة اليمن، ويعتبرونهم قريبين من أهل السنة على خلاف معهم، **الشيعة الجعفرية (الإمامية):** وهم من مثل غالب شيعة إيران، والأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان ومنطقة الشرق الأوسط..

وغالب الجهاديين على اعتبارهم ضلالاً من أهل البدع، في حين ذهبت أقلية من الجهاديين إلى عدم إعطاء هذه المسألة أهمية لأسباب سياسية، في حين ذهب بعض الجهاديين إلى التصريح بكفر الشيعة، إلا أن الجمهور من الجهاديين على اعتبارهم مسلمين من أهل القبلة ضلالاً مبتدعة..

وقد تداخلت المسائل السياسية بالعقدية في هذه المسألة لدى الصحوة الإسلامية السنية عموماً ومنها الجهادية وليس هنا محل بسط ذلك.

- **مسألة السلفية والمذهبية:**

غلب على الجهاديين منذ أواخر الثمانينات المذهب السلفي نتيجة ما أسلفت شرحه، وجمهورهم وسط في مسألة المذهبية يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وعلمائها، وهم وسط في التقليد فلا يتعصبون لمذهب، ولا يلتزمون به، ولا ينتقصون من أقدار الأئمة ولا من القيمة العلمية لتراث المذاهب، وقد أثر التيار السلفي المتطرف في ظهور بعض (غلاة جهلة الجهاديين) من المتأخرين ممن ذهبوا مذهب محاربة التقليد والمذاهب لحد الشطط ولكنهم في الجهاديين قلة.

- **مسألة الصوفية:**

تأثر جمهور الجهاديين بمنهج ابن تيمية والمدرسة السلفية في محاربة المدارس الصوفية المنحرفة، واعتبارها من مناهج البدع والضلال، وتشدد البعض في هذه المسألة، في حين اعتدلت الأقلية منهم في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين.

- **الموقف من مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية:**

جمهور القدماء من الجهاديين على احترام مدارس الصحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق، وجمهور المتأخرين من الجهاديين على حالة عداء وخصومة وتناحر معهم، نتيجة حالات القهر والخذلان كما سبق لإشارة لذلك.

- **مسألة العلمانية:**

كافة الجهاديين على تكفير المذاهب العلمانية واعتبارها من مذاهب الإلحاد كما هو حال معظم قيادات وعلماء وجماعات الصحوة الإسلامية، قبل الموجة الأمريكية الأخيرة وموضة الاعتدال المصطنع، ولكن جمهور الجهاديين على اعتبار أتباع الفكر العلماني من عامة المسلمين معذورين بجهلهم في حين يكفرون قيادات التيارات العلمانية في العالم العربي الإسلامي ويعتبرونهم من أئمة الكفر الطاعنين في دين الله..

- **مسألة القومية العربية:**

كافة الجهاديين على اعتبار دعوى القومية والتعصب لها، من دعاوى الجاهلية، والجهاديون أمميون، يدعون إلى وحدة المسلمين ونظامهم الشامل، وبالتالي يذهب الكثير منهم إلى رفض مناهج الأحزاب القومية، لاسيما

وأن كلها أو جلها يضم فكرة العلمانية إلى القومية، ويعتبر الجهاديون الدعوات القومية من أسباب تمزيق الأمة.

- **مسألة الوطنية:**

كما في مسألة القومية ينبذ الجهاديون فكرة القطرية والوطنية والعمل في إطار التعصب للوطن ولاسيما أنها مزجت بالقومية والعلمانية، ولذلك فهم يعادون دعاتها ويعتبرونها من مذاهب الكفر والضلال.

وفي النقطتين السابقين شيء من التناقض في واقع الجهاديين إذ أن غالب تنظيماتهم عملت على أساس قطري محلي وأتسمت في بعض الأحيان بالغلو في ذلك، رغم أن الفكر لديهم يقوم على أممية الإسلام ودعوة الجهاد.

- **القضية الفلسطينية:**

يؤمن كافة الجهاديين، بل وعموم الصحوة الإسلامية بأن فلسطين جزء من العالم الإسلامي من النهر إلى البحر ومن الشمال للجنوب، وأنها حق واجب في عنق أجيال الأمة، وأن الجهاد فرض لاسترجاعها، وبهذا فهم يرفضون كافة مبادئ الصلح والتطبيع والسلام مع اليهود، ويعتبرون أن جمهور الإسرائيليين باستثناء عدة آلاف من اليهود الأصليين وأحفادهم، غرباء غزاة يجب أن يرحلوا، ويعتبرون السلطة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات مثلها مثل باقي الحكومات المرتدة في العالم العربي والإسلامي، ولنفس الأسباب بالإضافة للخيانة.

- **مسألة الأقليات الدينية في العالم العربي والإسلامي:**

يعتبر الجهاديون أن هذه الأقليات وغالبها من النصارى يجب أن تعامل في حال قيام الدولة الإسلامية على أسس أحكام أهل الذمة وما جاء منها في كتب الفقه لدى أهل السنة، ولا يعتبرون منهج المواطنة أساساً للتعامل معهم ولا مع من في حكمهم.

- **مسالة المواجهة مع أمريكا والصراع مع الغرب:**

لم تكن جميع التنظيمات الجهادية، منذ نشأتها في الستينيات وإلى تاريخ بدء حملتها العسكرية على أفغانستان في نوفمبر ٢٠٠١ قد طرحت أو تبنت مسألة المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت كلها بلا استثناء تقريبا منصرفة لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها.

ورغم أن معظم أدبيات الجهاديين قد أولت مسألة المواجهة معها حيزا في كتاباتها، ولاسيما بعد حرب الخليج (عاصفة الصحراء وإطلاق النظام العالمي الجديد، وبدء الحملة الدولية الأمريكية على الإرهاب، وكذلك بسبب دعم أمريكا للأنظمة التي تقمع الإسلاميين والجهاديين، إلا أن ذلك لم يعدوا الأدبيات إلى حيز التوجه الحركي.

ولقد حاول الشيخ أسامة بن لادن كثيرا، خلال الشوط الثاني للأفغان العرب، إقناع الجهاديين بالتحول في العمل تجاه أمريكا (رأس الأفعى) كما كان يصفها، ولكن دون جدوى، فقد سيطر عليهم منهجيا فكرة الصراع مع المرتدين الذين يمثلون العدو الأقرب والأخطر والذي يقف حائلا دون أي جهاد مع الأعداء الخارجيين، كما سيطرت عليهم فكرة الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي كمفتاح لحل كل الأزمات.

ولكن أحداث سبتمبر وتداعياتها على الأرض ووصم الأمريكان للتيار الجهادي برمته ووضعه تحت مسمى القاعدة، ومطاردة الجهاديين من كل الأجناس في سياق ما أسمته الحرب على الإرهاب، وتدمير معظم البنية التحتية للتيار الجهادي، وما كان من احتلال العراق بعد ذلك، منذ٢٠٠١ وإلى اليوم، وتتالي تداعيات الإنتفاضة، وإعلان بوش للحملات الصليبية...إلخ، جعل التوجه العملي الأوحد للجهاديين هو مواجهة أمريكا وحلفاءها الغربيين.

وهكذا نجحت أمريكا في حمل الجهاديين على الإتجاه الصحيح خلال وقت وجيز لينحصر اتجاه جميع أجنحته وبقاياه وبراعمه الناشئة في هذا الإتجاه. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال]

المحطة الثالثة للحملات الصليبية الثالثة (حصار الإمارة الإسلامية في أفغانستان ثمَّ تدميرها سنة ٢٠٠١م):

لم يرق للأمريكان وأوربا الناتو التي خططت ونفذت الحرب الأهلية بين فصائل المجاهدين في أفغانستان (١٩٩٢-١٩٩٦) من أجل تنفيذ برنامج الأمم المتحدة الذي يقضي بأن يحكم الصليب الأحمر الغربي بعد المطرقة والمنجل الأحمر الشرقي أفغانستان وبعد حرق ما تكدس في أفغانستان من سلاح وخبرات جهادية في تلك الحرب الأهلية، لم يرق لهم أن يفاجئهم القدر بظهور طالبان وتمكنها من تحكيم الشريعة وإقامة إمارة أفغانستان الإسلامية، كما لم يرق لهم أن تسفر حملات مكافحة الإرهاب العالمية لكوادر التيار الجهادي والأفغان العرب عن عودتهم إلى أفغانستان وتشكيلهم إلى جانب طالبان بؤرة قضت مضاجع أمريكا والغرب ونوابهم من الحكام المرتدين.

فبدأت أمريكا وأوربا عمليات الحصار الاقتصادي والسياسي على الإمارة الإسلامية منذ نشأتها وتتابع ذلك في عهد كلينتون الذي اختتمه بقصف ٧٥ صاروخ كروز على بعض معسكرات المجاهدين العرب والطالبان واستمر الحصار في عهد بوش الابن الذي أطلق صيحته بأنه مكلف من قبل الرب برسالة إصلاح العالم وأنه متوجه لقيادة حملة صليبية ومكافحة الإرهاب الإسلامي حيث افتتح حملته تلك بعد أحداث سبتمبر بغزو أفغانستان وتدمير الإمارة الإسلامية إبادة ما استطاع إبادته من اللاجئين العرب والمسلمين إلى أفغانستان في ديسمبر ٢٠٠١.

المحطة الرابعة للحملات الصليبية الثالثة (حرب احتلال العراق (مارس ٢٠٠٣)، والزحف الأمريكي على الشرق الأوسط):

في شهر مارس ٢٠٠٣ فرغت أمريكا من إعداد الأجواء السياسية والإعلامية على مدى عام ونصف من التهويل من أجل تضخيم إمكانية العراق ونظام صدام حسين، بامتلاكهم لأسلحة الدمار الشامل، واخترعت وهما آخر هو علاقة (صدام حسين) بـ(القاعدة)، وصنعت خوفا من تسرب أسلحة الدمار الشامل (الموهومة) من العراق إلى القاعدة والإرهابيين، بناء على هذه العلاقة (الموهومة)، فزحفت جيوش أمريكا وحليفتها بريطانيا بنحو ٣٠٠,٠٠٠ جندي مدجج بأرقى ما وصلت إليه التكنولوجية العسكرية عبر التاريخ، وهاجمت العراق انطلاقا من أراضي عدد من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها الكويت وقطر والسعودية والأردن ومصر وباكستان وتركيا، وعلى مدى عشرين يوما دكت الطائرات والصواريخ الأهداف المدنية والعسكرية ثم أعلنت في أول شهر يوليو انتهاء عملياتها واحتلال العراق، وسارع مجلس الأمن الدولي بكامل أعضائه لإضفاء الشرعية على هذا الاحتلال بعد أن تخلت روسيا وفرنسا وألمانيا عن معارضتها المتعثرة للحرب ودخلت في الفلك الأمريكي.

يرئ بوش الأجواء الآن هو وكبار رجال إدارته وإعلامه للقفز نحو الخطوة التالية، سوريا وربما إيران ويلوح بتقسيم السعودية والاستيلاء على مصر، وليس هنا محل استعراض تاريخ يجب كتابته وتحليله بكل دقة وأمانة نحو أجيال المسلمين القادمة، إلا أن الأهداف المعلنة بلا حياء من قبل بوش وإدارته قد أعلنت بلا خفاء وهي:

- تغيير خارطة الشرق الأوسط السياسية بتبديل بعض الأنظمة وإعادة رسم ملامح وجودها.
- تغيير خارطة الشرق الأوسط جغرافيا بتقسيم دول وإنشاء أخرى وتوسيع البعض وقضم أطراف أخرى.

- إعادة رسم معالم الثقافة والمكونات الحضارية والدينية العرب والمسلمين وتبديل مكوناتها بما يضمن انسجامها مع أفكار المستعمر والقضاء على كل بذور النهضة والمقاومة.

- العمل على ربط منطقة الشرق الأوسط بالاقتصاد الأمريكي عبر اتفاقيات للشراكة الاقتصادية والتبادل التجاري تدخل إسرائيل في صلبه ويحول شعوب المنطقة إلى عبيد مستهلكة للإنتاج الأمريكي وإدارة الصهيونية.

- احتلال العراق لأجل غير مسمى والسيطرة بذلك على أكبر احتياط نفطي في العالم فضلا عما تسيطر عليه من نفط الخليج ووسط أسيا بما يضمن لأمريكا أن تمسك بشريان الاقتصاد العالمي وتتحكم بدول أوربا وروسيا وشرق آسيا والصين.

- فرض المشروع الصهيوني لدولة إسرائيل التي أصبحت تمتلك الجيش الوحيد وليس الأقوى فقط في المنطقة بعد أن فككت أمريكا جيش مصر ودمرت جيش العراق ووضعت لسوريا برنامج إلغاء جيشها وعدم تحديثه وإلغاء التجنيد الإلزامي فيه مما يخفض عدده إلى الحد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط.

ويكفي أن أقول أن كل التفاصيل تشير بوضوح إلى حملة احتلال صليبية تقودها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ويتعاون فيها كافة دول الناتو الأوروبية وروسيا وحلفاء أمريكا في المنطقة وعلى رأسها الهند وتركيا والباكستان وحكام البلاد الإسلامية، كل هذا وسط صمت وبلادة دولية مخيفة.

موقف علماء السلطان في العالم الإسلامي من الإحتلال الأمريكي للعراق:

عندما غزت أمريكا العراق في مارس ٢٠٠٣. فشلت عبر سنة من العمل الدبلوماسي قبلها في المؤسسات الدولية والأمم المتحدة في الحصول على شرعية واضحة لغزوها بالعراق، وقد أدى التهاب الشارع العالمي عامة والعربي خاصة بمشاعر الرفض والاستياء إلى خوف وذعر في أوساط الحكام العرب من تبعات احتلال العراق، وقد بدا ذلك جليا في وسائل الإعلام.

كما أدى تصريح الإدارة الأمريكية بنيتها استهداف الخارطة السياسية والجغرافية للشرق الأوسط إلى إرباك الحكام العرب بسبب الخوف على عروشهم، وعدم القدرة على مواجهة أمريكا، وقد أعطت الحكومات الضوء الأخضر لوسائل إعلامها ومنها منابر المساجد بإعلان مواقف الرفض للحرب في العراق، وقد كان هذا حال عموم العالم العربي والإسلامي باستثناء دولة الكويت التي أعلنت التأييد رسميا وعمليا لأمريكا وحربها على العراق، ومع ذلك فقد أرغمت أمريكا سبع دول عربية على فتح أراضيها ومياهها وأجوائها للعدوان وعلى

تقديم الخدمات اللوجستية وهكذا قدمت كل من الكويت وقطر والبحرين وعمان والسعودية ومصر والأردن خدماتها وكذلك باكستان وقدمت تركيا دعما جزئيا نتيجة الرفض والاستحياء والإجبار.

ويبدو أن تذمر الحكام العرب من الرعونة الأمريكية التي ضربت بعرض الحائط بكرامتهم ومصالحهم ولم تراعي قدرتهم على العمالة النسبية، قد انعكس هذا نوعا من غض البصر عن شيء من حركات التنفيس الشعبية كالمظاهرات والمؤتمرات التي انتهى غالبها بقتل الشرطة وقوات مكافحة الشغب لبعض المتظاهرين وتكسير عظام بعضهم، كما جعلت هذه الأجواء المؤسسة الدينية الرسمية والمساجد شبه الحكومية تعيش حالة من صحوة الضمير التي اختلط فيها الصدق والعاطفة لدى بعض العلماء مع رغبة الحكام بممارسة شيء من الضغط على أمريكا، ففوجئنا بشيخ الأزهر(سيد طنطاوي) الذي شغل جل وقته بمكافحة الإرهاب يفتي مع بداية الحرب بالجهاد في العراق ويبيح العمليات الاستشهادية ضد القوات الغازية ويمهد الأجواء للتظاهر في الجامع الأزهر، وتبعه بمفاجأتنا (مفتي الدولة النصيرية) في سوريا (أحمد كفتارو) يدعو شباب المسلمين للعمليات الاستشهادية وهكذا أخذ كثير من العلماء وقيادات الصحوة الرسمية وشبه الرسمية راحتهم على الفضائيات وبدأوا يدعون للجهاد.

بل إن دفعات الشباب المجاهد تحركت إلى العراق تحت سمع وبصر بعض الأنظمة العربية وعبرت إلى العراق من سوريا.

وسرعان ما سارت الحرب بالشكل المعروف لتعود الأمور إلى نصابها ومجراها من مكافحة العلماء للإرهاب في وسائل الإعلام إلى جانب حكوماتها وسيدتهم أمريكا.

ولكن العجيب الملفت للنظر أن صحوة الضمير المؤقتة هذه لم تصب المؤسسة الدينية السعودية بل على العكس، كانت جهود العلماء السعوديين منصبة على الحديث عن عدم مشروعية الجهاد في العراق ضد أمريكا أثناء معارك الغزو وبعدها، وعدم صحة رايته والعزف على أوتار التهور الذي أوصل الناس إلى غوانتانامو، بل وصل العزف إلى العلماء المستقلين من رواد الصحوة العظام، وعلى سبيل المثال ما فاجأنا به الشيخ سلمان العودة (بفقه المشروع الخاص) في مقابلة له مع إحدى الفضائيات العربية أثناء الحرب: فعندما سئل عن مشروعية الذهاب للجهاد في العراق وهل هو فريضة لأن العدو حل في العقر، تهرب من الإجابة وراح يحدثنا عن أمر عجيب مفاده: أنه لو نزل العدو لا يجب على كل الأمة أن تذهب للدفاع بل لابد لكل أحد أن ينشغل بمشروعه الخاص الذي قد يكون دعوة إلى الله، أو مشروع

تخرج جامعي، أو مجلة يصدرها، أو عملا يعمله، أو ربما مشروع زواج، أو حتى قراءة كتاب، ووصل الأمر به أن يقول حتى ولو كان المشروع الخاص: جلسة تأمل!!.

ولا أدري تأمل في ماذا؟! أهو تأمل في الأعراض تنتهك أم في النفوس تزهق؟! أم في الكفر يرتع حتى من حوله حيث يجلس ويصلي ويتأمل؟!.

هذا من أحد العلماء المستقلين، ناهيك عن سيل الفتاوى من أئمة الحرمين الرسميين وفقهاء مكافحة الإرهاب على شاشات الفضائيات من علماء السلطان في السعودية.

وهكذا كان، والشواهد كما قلت تمتد لتشكيل كتابا أسودا مستقلا كبيرا، عن دور المؤسسة الدينية الرسمية في بلاد العرب والمسلمين، في دعم الحملات الصليبية الثالثة ومحاربة من قاومها، ولله الأمر من قبل ومن بعد!

واليوم تقف المؤسسة الرسمية السعودية في طليعة المؤسسات التي تقف بالمرصاد للجهاد والمجاهدين ولاسيما في السعودية وتطور الأمر لافتتاح المراكز الإعلامية لجمع جهود المفكرين والعلماء في مكافحة الإرهاب ظنا من الحكومة السعودية وعملائها العلماء أن ذلك سيغير من المكر الذي خططته أمريكا للنظام السعودي وحكمت عليه بالتغيير وعلى خارطة الجزيرة بالتقسيم.

الصحوة الإسلامية في عالم ما بعد سبتمبر(٢٠٠١):

كان الغرب قد رفع شعارا عبر عنه الرئيس الفرنسي الراحل – إلى جهنم - (ميتران) بقوله: (سنضرب الإسلام المتشدد بالإسلام المعتدل)، وقد أدى هذا إلى افتتاح العهد الديمقراطي الزاهر لتصبح المدارس الإسلامية السياسية عمليا جزءا من (الملأ)- ملأ الفرعون -، إلى جانب (الحاكم والكاهن والأعوان)، فحققت الصحوة بعض المكاسب ولكن الثمن كان أن تقف في وجه المد الجهادي.

ولكن وعلى مدى العقد المنصرم حصل أمر منطقي لم يكن في حساب الغرب ولا عملائه المرتدين، الذين لم يستطيعوا نتيجة الأحقاد أن يستوعبوا زخم الروح الدافقة في الإسلام وطبيعته، وانظر إلى بعض آيات الله:

- فالإسلاميون (المعتدلون) كما يسمونهم ليس لديهم في النهاية بضاعة إلا الإسلام، فإذا ما اتيح لهم المجال (مساجد، مدارس، ندوات، محاضرات، مؤلفات، صحف، قاعات برلمان، تماس مع الجمهور) فليس لديهم من بضاعة إلا مشاريع الإسلام والحديث عن: (تحكيم الشريعة، الجهاد من أجل

فلسطين، قضايا العدل والظلم، مكافحة الفساد، الإصلاح الاجتماعي، الالتزام والأخلاق الإسلامية..إلخ) وحتى مع وجود أغراض شخصية، ومصالح حزبية، فإن هذه الرسائل سواءا أخلص أصحابها أم زاودوا بها من أجل التجارة بالشعارات، فإنها ساهمت إلى حد كبير في توسيع القاعدة الشعبية للإسلام والتصورات الدينية، وكان هذا كسبا أفقيا هائلا على طريق أسلمة المجتمعات التي تدرك بفطرتها بعد أن دبت فيها الروح الدينية الحاجة إلى مواجهة تلك الأوضاع والصدام معها عندما لا يمكن إصلاحها سلميا.

- كما أن الجهاديين أو (المتشددين) كما يسمونهم، يجدون في مثل هذه الاستراحات وأجواء الاسترخاء السياسي والأمني، مجالا للتمدد سريا وإعادة تنظيم الصفوف واكتساب قواعد أوسع داخل الهامش العام للصحوة، وقل مثل ذلك عن الإسلاميين الدعويين غير السياسيين.

فدبيب أسلمة المجتمعات العربية والإسلامية، وهو ما بسمية الغرب (العودة إلى الأصولية) يقض مضاجعهم، وإن كان الشطر الكبير والسواد الأعظم من المجتمعات يسير نحو الفسوق والعصيان والانسلاخ من الدين وفق برنامج العلمنة ومن يقوم عليها، إلا أنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، بكل آثاره ولا يريدون أن يكون للحق وجود ولا لمن يحمله حق في الحركة والحياة، وعلى مر عقد من الزمن اكتشف الغرب الصليبي وحكماء صهيون أزلامهم من حكامنا خطأ الإنفتاح الديمقراطي فرفعوا شعارا جديدا هو: نريد **(ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد المسلمين)!!**

ومع أن هذا كلام يناقض نفسه، لأن الديمقراطية تعني حكم الشعب بنفسه وتعني مبدأ سيادة الأمة، فالطبيعي والمنطقي احترام خيارها احتراما لأصل المبدأ، ولكن الغرب المنافق وأتباعه الأوقح نفاقا من الحكام والعلمانيين في بلادنا، كانوا مستعدين إلى لحس المبدأ ذاته فقالوا ما قالوا: (**ديمقراطية.. ولكن.. بلا إسلاميين!!**).

وسرعان ما تحول الشعار إلى التطبيق العملي فأغلقت معظم الدول الهامش الديمقراطي، واختارت دول أخرى تنفيسه من الداخل، عن طريق تفصيل قوانين انتخابية أو تعديلات دستورية تترك للإسلاميين القشور، بحيث لا يستمر منهم في اللعبة إلا الانتهازيون من الإسلاميين أو المستعدون لتفصيل الإسلام وإعادة خياطته على ذوق الحاكم المحكوم بسيده عدو الإسلام والمسلمين.

وهكذا قمعت الديمقراطية الإسلامية في الجزائر بكل قسوة (١٩٩١) بالإنقلاب العسكري وكان ثمن ذلك حربا أهلية أتت حتى الآن على نحو مئة وخمسين ألف نفس، كما حُمل الديمقراطيون الإسلاميون وزعيمهم أربكان عبر إنقلاب سياسي أبيض في تركيا من رآسة الحكومة وأغلبية البرلمان ليلقى بهم في السجون أو ليوضعوا تحت الحجر عن مزاولة العمل السياسي، وانقض مشرف في إنقلاب عسكري على ديمقراطية الباكستان ليفصل لهم بعدها نظاما **(ديمقراطيا دكتاتوريا عسكريا مدنيا استخباراتنا بإشراف أمريكي!)**، وفصل الأردن واليمن والمغرب وسواها قوانين انتخابية ألقت بالإسلاميين أقلية في دهاليز البرلمان، أو ليعطوا في أحسن الأحوال وزارات الماء والكهرباء، أو وزارة المطاحن والثروة السمكية، في بلاد لا تطل على البحار! وهكذا...

واكتشف الغرب أنه أمام معادلة قدرية محكمة تحركها الروح النابضة لهذا الدين الرباني، ومفاد تلك المعادلة:

أن أعداء الإسلام إن ضربوا الإسلاميين وواجهوا الصحوة بالانقلابات والسجون والبطش... أعطوا مبررات حمل السلاح وتمدد الجهاديون ونموا عموديا ونوعيا ! وهم إن فتحوا مجال الإعتدال السياسي كي يواجهوا الجهاديين بالمعتدلين، تمدد الإسلام أفقيا وقاعديا وانتشر!! فعادوا للبطش، فعاد الجهاد للنموا! فعادوا للانفتاح، فعاد الإسلام للتمدد والتوسع!! في حلقة متكررة من مكر الله بهم

وهكذا وجدوا أن الوعي والتطور وثورة الاتصالات وعالم الفضائيات والإنترنت قد فتحت عقول الشعوب، وأن عروش ولاة الإستعمار ونوابهم من حكامنا مهددة، وأن إسرائيل محاصرة بالأصولية، وأن منابع النفط وأكداس سلاح جيوش الحكومات معرضة لأن تسقط بيد ثورات شعبية يقودها متشددون، فقرر الغرب الغزو والاحتلال المباشر لمركز الصراع (الشرق الأوسط) الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب، وبسط سيطرة أكبر على ما بقي عبر دعم الولاة المرتدين لمزيد من البطش، كما زادت أمريكا من قدرات القواعد العسكرية، ليصل الوجود الأمريكي فقط، في منطقة العمليات الوسطى (وسط آسيا والعالم العربي والقرن الإفريقي) إلى نحو ١,٥ مليون جندي أمريكي يتبع قيادة مركزية واحدة، وتتوزع قواها من كابل وطشقند ومرو... في وسط آسيا من أقصى مشرق بلاد المسلمين، إلى بغداد وعمان وجزيرة العرب.. إلى مصر والصحراء الغربية والصومال في الشرق الأوسط.. إلى طنجة وسواحل الأطلسي في أقصى غرب بلاد الإسلام، وهو ما يسمونه اليوم (الشرق الأوسط الكبير) ويضعون الخطط لاحتلاله حضاريا في كل المناحي، وكان فاتحة ذلك كما رأينا

تدميرا لإمارة الإسلامية في أفغانستان، واحتلال العراق وإعلان الحرب على الصحوة بكامل أطيافها وصحح بوش مقولة ميتران عندما قسم الإسلاميين إلى معتدلين ومتشددين متشردين، ليصبح الشعار بالأسلوب الأمريكي:

(ليس هناك إسلام معتدل! كل الإسلاميون متشددون ويجب القضاء عليهم)، لتشمل الحرب الأمريكية الكل، بدءا من الجهاديين، ووصولا إلى المعتدلين مرورا بأصغر مؤسسة إنسانية خيرية تعمل في توزيع المصاحف أو رعاية الأيتام.

وكان هذا من فضل الله، إذ أسفرت هذه السياسة ليس فقط عن حشر الصحوة بكاملها وتأهيلها للمقاومة وحمل السلاح، وإنما عن فتح الباب لرجل الشارع العادي أن يحمل السلاح تحت شعار الإسلام.

وهذا ما حذر منه بعض دهاة الفراعنة أمريكا كما صاح رئيس مصر أمام البرلمان عند بداية غزو أمريكا للعراق بأن سياسة أمريكا ستخلق لنا بدل بن لادن واحد مئة بن لادن، ولكن بوش الأحمق المتعصب أسير مستشاريه من الصهاينة لم يستوعب مكر الله هذا به، فسار في سياسة الاستئصال ليتبعه حكام بلاد المسلمين، وكان من ذلك ما سمعته البارحة من ولي العهد السعودي عبد الله، في خطاب هستيري موجه للشعب مساء ٨-٣-٢٠٠٣ يقول:

(كل متستر على إرهابي فهو إرهابي مثله، وكل متعاطف مع إرهابي فهو إرهابي مثله، وعندما تواجه الدولة الإرهابيين فلا مكان للحياد ولا الموقف الوسط).

وهو فحوى شعار بوش الحالي: (من ليس معنا في حربنا على الإرهاب فهو ضدنا ولا مكان للحياد).

وفعلا تسير المعادلة مع فضل الله لتتحقق أهم الشروط السببية بالنصر بدخول كامل الأمة قسرا أو طوعا في المعركة، وأما أسباب النصر القدرية فذلك نصر الله ينزله متى شاء على من شاء حيث شاء، ونسأل الله أن نشهده ونكون من وقود تحقيقه في سبيل الله.

وأما أثر هذه السياسة الخرقاء على مدارس الصحوة الأربعة خلال السنوات القليلة بعد سبتمبر ٢٠٠١ فهي باختصار كما يلي:

أولا: الصحوة الإسلامية غير السياسية بعد سبتمبر ٢٠٠١:

في عمان عاصمة الأردن، صرخ أحد أمراء (جماعة التبليغ والدعوة) في المعتقل، في وجه المحقق مندهشا محتجا بقوله:

(نحن لم نمارس جهاد ولا سياسة ولا واجهناكم! نحن ندعوا إلى الله في مساجدنا ونصلح الناس وننقذهم من الفساد وعالم الخمارات والجرائم...)! فقال له المحقق الخبير ضابط الإستخبارات الذي وعى درسه: (هذه هي المشكلة: أنتم الأوتوبيس! تحملون الناس من الشارع إلى المسجد، فيأتي الإخوان فيحملونهم من المسجد إلى السياسة! فيأتي المتطرفون فيأخذون غايتهم من الشباب للجهاد والتطرف! نريد قطع كل هذا الطريق من أساسه نريد وقف الأوتوبيس!..)

وهذا يشرح كل حقيقة المواجهة اليوم، إنها قصة حوار حقيقي واقعي في غاية التعبير والدلالة...

وهكذا تواجه الحكومات اليوم الصحوة الدينية اللاسياسية وتقمعها، فتغلق المساجد وتضيق على المدارس وتحظر الخطب، بل تحيل السعودية الآن أكثر من ١٨٠٠ خطيب وداعية لدورات تأهيل نفسي! لإبعادهم عن التطرف وإفهامهم مقومات عالم الهيمنة الأمريكية ما بعد سبتمبر والعراق! وقد أعلنت مصر أنها فضلت من جهاز التدريس آلاف المعلمين المتهمين بالأصولية! في إطار حرب الأفكار والمناهج، وأعلنت الكويت أنه لاخيار لديها عن مواجهة المتشددين، وأعلنت معظم الدول الإسلامية عن تعديل برامج التدريس الديني والعام، وبلغ بوزيرة الثقافة في باكستان (زبيدة جلال) أن تطالب، وعلى شاشات التلفاز وأمام وسائل الإعلام بحذف سور: (آل عمران والأنفال والتوبة)، لأنها تدعو للإرهاب!!

ثانيا:الصحوة السياسية في عالم ما بعد سبتمبر(٢٠٠١):

فكما أسلفت، تغلق اليوم عليهم منافذ الممارسة السياسية الفاعلة، ويتعرضون للقمع، وإن كان من إضافة فهو ولادة دعاة وإسلاميين سياسيين منبطحين قابلين للانضغاط بلا حدود، وللتميع بلا ضوابط، لقد تجاوزا المنهاج، منهاجهم، بل تجاوزوا ما سبق من زوايا الإنحراف، سمعت منذ أيام أحد المرشحين من الإخوان المسلمين لانتخابات نقابة الصحافة في مصر، ردا على سؤال الصحيفة له بقولها: أنت إسلامي فكيف تمثل ٤٠٠ صحفي فيهم من كل الطيف، فقال: (أنا لي توجهي! ولكن لما أمثل الصحفيين فأنا أمثل الإسلامي والنصراني والشيوعي ومن له دين ومن لا دين له!) فتأمل إن كان هذا الكلام يترك قدره على التأمل!.

ويجلس ممثل الحركة الإسلامية في العراق في المجلس الحكم المحلي رآسة (بر يمر) ليمرر ويبرر الإحتلال! ويكافح الإخوان المسلمون والسروريون في السعودية الجهاد والجهاديين ويسلمون عناصره للمخابرات، ويدعونهم للإستسلام للدولة عبر بيوتهم! وقل مثل ذلك عن الإسلاميين في البرلمان في المغرب.

لقد أصبح من تبقى في لعبة السياسة من الإسلاميين الديمقراطيين جزءا أساسيا من كتائب النظام العالمي الجديد في مواجهة حملة رايات الجهاد والمقاومة في الأمة...

ولابد من الإشارة إلى أن هامش العطاء الايجابي لهم يضيق يوما بعد يوم حيث يحاول الإسلاميون السياسيون مكافحة الإستعمار تحت قبة البرلمان! والحد من طغيان الفراعنة عبر المسيرات! ومازال فيهم من يظن إمكانية ذلك!

ثالثا: الصحوة الجهادية بعد سبتمبر(٢٠٠١):

أما هذه فكان الله في العون، ورحم الله الشهداء، وأسكنهم فسيح جناته، وصبر الله الأسرى وأحسن خلاصهم من سجون غوانتانامو وفروعها الأسوأ حالا في سجون حكام المسلمين، وحفظ الله المشردين ويسر أمرهم، وثبت الله العازمين الثابتين على الطريق، وأعانهم على حمل الراية خفاقة رغم الجراح، وتسليمها شامخة لجيل قادم يخلص في حملها.

فالتيار الجهادي بكامل طيفه على صعيد الجماعات والقيادات والرموز والأفراد، بل وكل مؤيد ومناصر، يمرون في هذه الأيام بأشد محنة مرت على التيار الجهادي المعاصر منذ انطلاقه، وذلك بسبب الحملة الظالمة التي تشنها أمريكا تحت شعار (مكافحة الإرهاب).

اتخذت أمريكا من الجهاديين، جماعات وأفراد، وحتى من أنصارهم ومؤيديهم هدفا لحربها، بعد أن أدركت أنهم عمليا قلب الأمة الحي، وسلاحها المتبقي في الدفاع عن نفسها.

ولله الحمد، ما زلنا عازمين، (**و والله لا نعطيهم إلا السيف**) إن شاء الله (**ولو لم نجد إلا الذر لنقاتلهم به**) حتى يرضى الله تعالى (**وليأخذ الله من دمائنا ما شاء حتى يرضى**) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾، وإنا في طائفة قد باعت، ولقد وقع البيع، (**ولا نقيل ولا نستقيل**) إن شاء الله.

فما عذرنا وقد قضى من مضى، ولعلنا نلحق بالرفيق الأعلى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء] فليصيحوا ما شاءوا في مسيرة بوش: (**أعلو هبل**) فما زلنا نردد على أصداء صوت عمر ﷺ: (**الله أعلى وأجل**) وليعبدوا أمريكا وليقولوا: (**لنا في أمريكا العزى ولا**

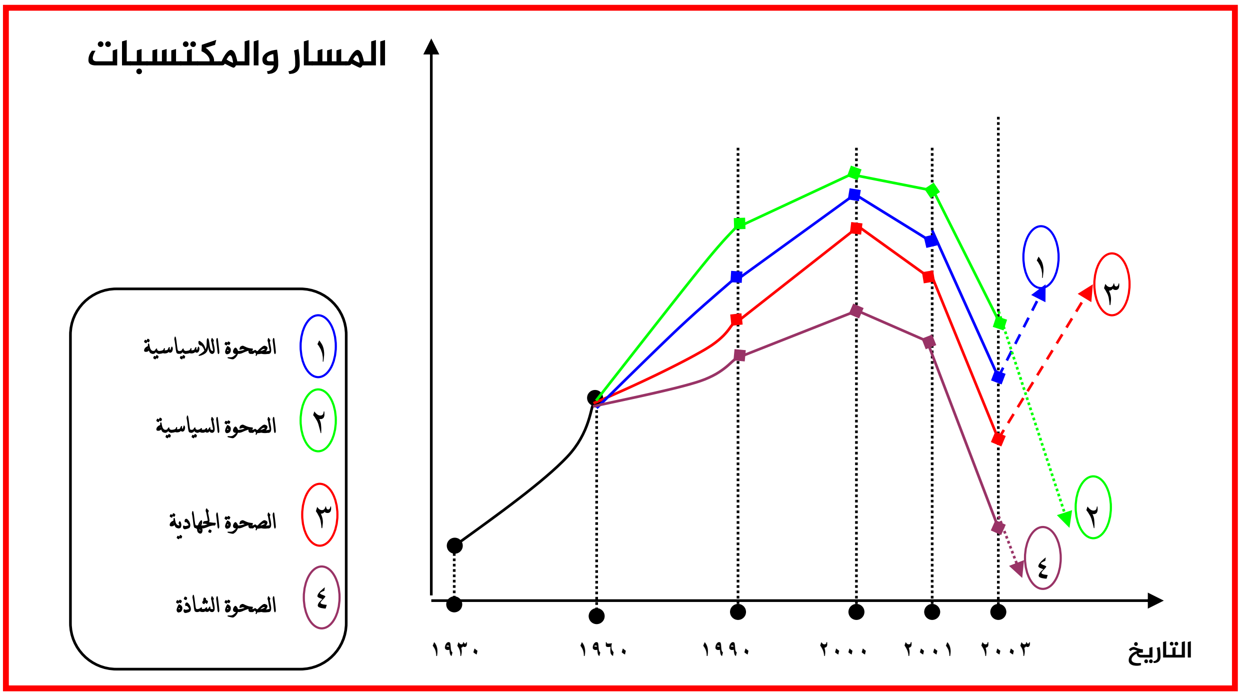
عزى لكم..) فإن نقول لهم كما رد عمر على أسلافهم: **(الله مولانا ومولاكم)، (قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ولا سواء)** [١].

رابعا:الصحوة الشاذة للتكفيريين بعد سبتمبر(٢٠٠١):

لقد زادت هذه الظاهرة انكماشا، ولولا ما يحاول الإعلام العربي والإسلامي في بعض المناطق كالسعودية إظهارها والحديث عن حياتها لما سمع بها أحد، والحمد لله.

الخلاصة في مسار الصحوة الإسلامية ومآلها خلال (١٩٣٠-٢٠٠٣):

يمكن التعبير بإيجاز شديد عن هذه الخلاصة بأن الصحوة الإسلامية بعموم مدارسها الأربعة قد وصلت إلى الإفلاس وفشلت في تحقيق أهدافها ودخلت قعر الأزمة وليس من أمل في استمرار الصالح منها إلا بأن تعيد النظر في مناهجها وأهدافها وأساليب عملها وفقا لثوابت الشريعة الإسلامية بانضباط المسلم الملتزم، ووفقا لمعطيات فقه الواقع الجديد في ظل الحملات الصليبية الأمريكية المعاصرة في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق، ويمكن التعبير عن مسار الصحوة خلال تلك العقود السبعة بالرسم البياني التالي:



ويبين هذا الرسم البياني بوضوح:

(١) انظر حديث أُحُد الذي رواه أحمد (٢٦٠٩، ٤٤١٤) وحسّنه الأرنؤوط.

١. أن الصحوة ولدت بمعظم اتجاهاتها المتقاربة بعيد الخلافة ١٩٣٠ تقريبا.

٢. سارت مدارس الصحوة ونمت متقاربة متداخلة في طبيعتها بشكل مختلط من حيث المنهج والأهداف والأساليب إلى نحو ١٩٦٠ تقريبا.

٣. تابعت كل مدرسة من مدارسها الأربعة العطاء والمسار إلى ١٩٩٠ بشكل متمايز.

٤. ما بين (١٩٩٠-٢٠٠٠)، تقارب مسار الصحوتين السياسية والغير سياسية باقتراب الثانية من الأولى.

٥. تراجع مسار الصحوة الجهادية منذ ١٩٩٠ لتصل إلى عام ٢٠٠٠ وقد أنهكت.

٦. مع اقتراب سنة ٢٠٠٠ بدأت جميع مدارس الصحوة تنهار في عطائها ومسارها.

٧. مع عام ٢٠٠١ وابتدأ عالم ما بعد سبتمبر، برزت مظاهر الانهيار والتفكك في جميع مدارس الصحوة، مع ما يشير إلى متابعة انهيار المدرستين السياسية والشاذة، ومع بوادر نهضة للصحوة الجهادية بسبب ظروف الاستعمار المباشر، بالإضافة إلى ما يتوقع من ازدهار الصحوة اللاسياسية نتيجة ظروف القهر والاستعمار والعجز العام، كما ويشير إلى وصول الجميع إلى قعر الأزمة.

- إن المتابع لأخبار الصحوة وأخبار قادتها وأحزابها وشبابها وصحفها، لا يكاد يرى إلا الجدليات، والقيل والقال في مجالسهم وندواتهم ومقابلاتهم على الفضائيات، واسمع عجبا من تفسيرات نصوص الدين في نبذ الإرهاب، مع شيء من نقد الأمريكان على استحياء، والتنويه والتعريض بحكام المسلمين، مع شيء من الطبطبة على أكتافهم ومراعاة مشاعرهم، وفتش عن قيادات الصحوة في مقاعد البرلمانات المشركة المشرعة من دون الله، وفي مناصب الوزارات في حكومات الكفر الحاكمة بغير ما أنزل الله، الخائنة لله ورسوله والمؤمنين، وتوقف أمام أعذار هؤلاء الدعاة (الإسلاميين الديمقراطيين!)، ودعاوى الإصلاح والتدرج والتريث والتعقل، لتتذكر قول المتنبي:

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

وتابع مقابلاتهم على شاشات التلفزيون، وفتش في ثناياها عن كلمة حق تتلجلج وقد أذابوها في برميل من الكلام الفارغ والتدليس والنفاق، حتى لا تحسب عليهم دعما للإرهاب، فأمريكا بالمرصاد، وأجهزة الرقابة والاستخبارات يحصون الأنفاس، ويكشفون عن الخواطر وراء الكلمات، وينبشون الأسرار من قعر الصدور، والتهمة جاهزة، أصولية، فتشدد، فتطرف، فتأييد للإرهاب، فانتماء للقاعدة!!

وهناك تقع الواقعة! فتجمد الحسابات في البنوك، والدماء في الشرايين، وتذاب الأجساد تحت سياط الجلادين، ويعاد تجميعها على كهرباء أجهزة التعذيب المستوردة..

وما لأحد بهذا الإعصار الأمريكي الهائج لمكافحة الإرهاب اليوم قبل ولا طاقة، ولا تكفي لحية الداعية المقصوصة إلى ما قبل حد النتف بقليل، ولا قبته البيضاء، ولا (الكرافتة) الأوروبية والبدلة الأنيقة على الطراز الغربي الحديث، ولا المشاركة في الديمقراطية والدعوة إليها، لإثبات الإعتدال!

فعملاء أمريكا واستخباراتهم بالمرصاد على كل حال، والدين عند قيادات الصحوة يسر، إلى حد ما قاله الشاعر:

(وهذا الدين لفرط يسره ... قد احتوى مسيلمة).

وإن إصلاح مسار الصحوة السياسية والغير سياسية فهو عمل أصحابها وكتابهم ومنظريهم، وإن كان لهم من نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم، فهي أن يبتعد الإسلاميون عن أبواب السلاطين ومؤسسات الردة الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية، لأن دخولها حرام لا تقره الشريعة، ومعصية لله لا تبرره المتمحكات السياسية – كما رأينا بالأدلة الشرعية - وإن كنا نلتمس لهم العذر لما يقع من بعضهم من أفعال وأقوال تناقض مقتضيات الإيمان والتوحيد على أنهم متأولين للمصالح المرسلة، واستصحابا لحالة الاستضعاف.

وحقيقة فإن المتابع لحال أكثرهم يجد فيه مصداق ما جاء في الأثر عن رسول الله ﷺ: «**وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا**»[1]، وفي تجربتهم وما مر من نتائج الحصاد المر، أكبر برهان على هذا الأثر.

وأما النصيحة الإضافية الخاصة بأصحاب الصحوة السياسية فهو أن يعملوا في مجالات المقاومة المدنية والعمل السياسي والإعلامي وفق ضابطي **مقاومة الاستعمار وعدم الدخول في هياكل السلطان ومثلث السلطة الخبيث المكون من (الحاكم والملأ والأعوان والكهان).**

لأنهم بهذا سيقفون من حيث شعروا أم لم يشعروا في مواجهة الأمة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

وأما النصيحة الخاصة بأصحاب الصحوة الغير سياسية فهي أن يركزوا على دورهم الهام جدا اليوم في ظل هجمة الاستعمار الثقافية والمنهجية، التركيز على حفظ دين الأمة بالدعوة والتعليم والاهتمام بالحفاظ على الدين وهم أدرى منا وأكثر خبرة بسبل ذلك.

وأما إصلاح الصحوة الشاذة وما أفرزته من التكفير، فإن كان من نصيحة لعلها تنفع أصحابها فهي أن يتوبوا إلى الله وينخرطوا في جهاد الكفار الأصليين وعملائهم المرتدين ويتركوا العدوان على المسلمين بمختلف طبقاتهم من العوام إلى العاملين للإسلام، وأسأل الله أن يصلحهم ويتولى أمر من أبى.

وأنبه إلى حقيقة هامة بقدر ما هي صريحة وربما قاسية، بأن عالم سبتمبر قد صرح أقطابه واستعلنوا بأن لا مكان للحياد في المواجهة.

فإما مع الحملات الصليبية من استعمار ونواب استعمار وعملاء استعمار وبالتالي مصير بعدل الله إلى النار إن شاء الله وبئس القرار.

وإما في مواجهتهم وبالتالي جهاد ومقاومة مسلحة أو مدنية باليد فإن لم يكن فباللسان فإن لم يكن فبالقلب وذلك اضعف الإيمان وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل وليطلب كل لنفسه من المعالي ما وسعه...

وكما قال تعالى:﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت]

وكما قال ﷺ: «فمن برئ فقد سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»(١)

ويوم القيامة يدرك مدرك، ويندم نادم، حيث لا ينفع الندم، أنهما طريقان ولا حياد، ففريق في الجنة وفريق في السعير، ولا سواء.

ونسأل الله منازل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أحوال الأمة الإسلامية وشعوبها بعد سبتمبر:

باختصار.. لا تشير وقائع المسلمين هذه الأيام إلا إلى مزيد من التيه والضياع والهزيمة والبوار..

---

(١) رواه مسلم: (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

ولولا الأمل بالله تعالى، وما وعد رسوله ﷺ وما بشر، وذلك حق ولا ريب، لانقطع الرجاء، وانطفأ الأمل، ولكنها نعمة الله وأمل الإيمان.

فما أدري والله ما الذي يلزم هذه الأمة بعد حتى تتحرك للجهاد؟!

فماذا أكثر من استغاثة القدس ونداء مسجدها الأقصى؟! وماذا أكثر من انتفاضة الأقصى وما قدمت؟! وماذا أكثر من أفغانستان وما أعطت؟! وماذا أكثر من أخبار الشيشان وما أبلت؟! والبوسنة وكوسوفو وما عانت؟ وما تضعه وسائل الإعلام في كل بيت من أخبار البلاء في المسلمين في كل مكان؟!

وماذا يهز كيان الأمة ويحرك وجدانها أكثر من دوي انفجارات سبتمبر؟! ومشهد صقور الإسلام وشهدائه يمزقون رمز استكبار أمريكا وجبروتها ويقتحمون نيران الانفجار بأجسادهم الطاهرة؟ وماذا أكثر من مشهد خمسة وعشرين صبية من نساء وأرامل الشيشان في عمر الورد، وقد حزمن المتفجرات على أجسادهن، يجاهدن في قلب موسكو؟

فيا لخزي العمائم، ويا لعار الشوارب واللحى، لقد حمل صبايا المسلمين الرشاش وخرجن لجهاد الروس في عقر دار الروس في موسكو!

وماذا يثير الوجدان أكثر من صور أطفال فلسطين تقل أعمار بعضهم عن السادسة من العمر، يواجهون الدبابات ويجرون خلف جنود اليهود؟ وماذا أكثر من مشاهد الإنزالات الأمريكية والبريطانية العسكرية الحاشدة في بلاد المسلمين والإعلانات عن تدمير العراق وبرامج احتلال البلاد والعباد؟! وماذا؟! وماذا؟

ماذا أكثر من مشاهد الموت والدمار والخزي والمصائب تضعها شاشات التلفزيون في كل بيت من بيوت المسلمين، فيشاهدونها ويتنقلون بينها وبين الأفلام الخليعة والرسوم المتحركة وعروض الأزياء ومباريات الرياضة، وحفلات الرقص والموسيقى ودورات مسابقات الـ(ستار أكاديمي)؟!..

لقد ماتت النفوس، وتعفنت الضمائر، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين]

فالشارع الإسلامي بليد، ساكن إلا من بعض المظاهرات هنا وبعض صياح الشجب هناك، ولم تبد بعد بوادر الحركة، والأمل في موعود الله كبير، ولعله يتحقق ما يتخوف منه الفراعنة وينذرون منه أمريكا اليوم من أن غزوها للعراق وحملاتها العسكرية والأمنية ستخصب تربة الإرهاب على حد زعمهم.

فنسأل الله أن يصدق فألهم ويخيب مسعاهم.

ومن باب الإحاطة بتوصيف واقع المسلمين، يجب أن نذكر أن بذور للمقاومة تنتعش هنا وهناك على شكل عمليات محدودة ومبادرات فردية شرقا وغربا.

قليلة هي المبادرات! ولكن الاستياء عارم والجو مشحون، والمناخ الثوري يسخن، ويبشر بوصوله لحرارة الجهاد، بفضل الله ثم بفضل جبروت الأمريكان وشراسة حقد اليهود، وجشع الحملات الصليبية وبفضل انكشاف عورات الفراعنة وسقوط آخر أوراق التوت عنها.

هذه المقاومة تبشر بميلاد شمس الأمل؛ شمس يكاد لم يبق من الدليل على بزوغها الأكيد إلا أنوار فجر البشائر الصادقة، وبصيص لمعان الأمل في عمليات جهاد المجاهدين هذه، فالوعد حق ولا شك:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور]، وصدق الله العظيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص]، فقد قارب حال الصابرين ما يبشر بالفرج ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ [يوسف].

فخلاصة واقع الأُمّة اليَوْم هو ما قدَّمنا وسط دوَّامة فساد الصّليبيّين في الأرض وعلوِّ اليَهُوْد الكبير فيها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف].

حال المرجعيات في العالم الإسلامي ووقوف التيار الجهادي وحيدا في مواجهة الحملات الصليبية الثالثة:

أما المرجعية السياسية للمسلمين:

فكما مر معنا فقد دمرها الإستعمار الصليبي منذ إسقاط الخلافة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة، بل إن الذي حصل أن حكام بلاد المسلمين صاروا جزءا من معادلة القوى إلى جانب الصليبيين وقد ازداد هذا فظاعة خلال الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الدينية:

فقد تولت الحكومات الخائنة العميلة تصفيتها في كافة بلدان العالم العربي وأكثر العالم الإسلامي كما مر معنا في الفقرات السابقة، وقد حاولت الصحوة الإسلامية أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية، خصوصا أن علماء مرموقين وقادة بارزين مؤهلين وقيادات عديدة من مختلف مدارسها لمعت وتأهلت ولكن ولأسباب عديدة سنتناولها في الفقرات التالية بالتفصيل لم تستطع الصحوة أن تقدم بديلا عن المرجعية الكلاسيكية

المتمثلة بأئمة المذاهب الأربعة والمراجع الفقهية وأئمة الطرق الصوفية، ولم تستطع بالخلاصة أن تكون مرجعية شعبية وتمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته...

وهكذا لم يكن هناك مرجعية دينية مؤهلة لمواجهة الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الاجتماعية:

فقد كنا قد تحدثنا عن تفككها منذ منتصف القرن العشرين نتيجة الاستعمار ونتيجة التطور الاجتماعي نحو التصنيع والهجرات نحو المدن الكبرى وتفكك الروابط القبلية، فتابع ذلك سيره بتسارع كبير، وتراجع دور البوادي والأرياف في السياسة لصالح المدن الكبرى والحياة المدنية التي لا تقيم وزنا لهذه الروابط، وباستثناء بعض البلدان الإسلامية كأفغانستان واليمن، وبعض البلدان الأخرى، كانت هذه المرجعية أضعف من أن تمارس دورا في المواجهة، وقد كان من سياسة الحكام جميعا قتل هذه المرجعية ونزع سلاح القبائل والعشائر وسياسات التفرقة بينها وأضعاف كل منها على حدة، وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعيات دائما تبعا للمرجعية الدينية أو للدينية والسياسية معا، ولذلك كانت هذه المرجعية غائبة عن ساحة المواجهة أيضا شأنها شأن سابقاتها في هذه المواجهة الأخيرة .

إذن من وقف للحملات الصليبية الثالثة منذ ١٩٩٠ وإلى ٢٠٠١م؟:

في الحقيقة وباختصار..

لقد قدمت الحملات الصليبية الثالثة بعد أن صفت من أمامها كل إمكانيات المقاومة، فقد قضت على المرجعيات كلها تقريبا، وقضت إلى حد بعيد على مقومات نشوء المقاومة والمواجهة في الشعوب العربية والإسلامية، ولئن قدمت الحملات الصليبية الثانية على بصيرة وخبرة من تجارب ودراسات وأبحاث لهذه الأمة على كافة الأصعدة عبر ٥٠٠ سنة بعدها، فإن هذه الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة أتت على خلفية كل ذلك بالإضافة إلى ما وفرته خدمات طبقة المرتدين من الحكام وعملائها من المستغربين عبر نصف قرن أو أكثر من الزمن.

لقد صارت المواجهة اليوم غير متوازنة البتة، والفارق اليوم بيننا وبين أعدائنا فارقٌ صارخ على كافة الأصعدة

خلاصة نبضات المقاومة للحملات الصليبية الثالثة وأعوانها المرتدين والمنافقين خلال (١٩٩٠- سبتمبر٢٠٠١)

- حركة الجهاد المسلح في الجزائر (١٩٩١- ١٩٩٥) والتي تم القضاء عليها من خلال عمل استخباراتي ناجح وبالغ التعقيد من التعاون بين المخابرات الجزائرية والفرنسية وبعض المخابرات العربية حيث أخرج الجهاد عن مساره ودمره بعد أن عزله عن جمهوره بسبب انحرافه.

- المواجهات الجهادية المسلحة التي قامت في ليبيا ضد نظام القذافي (١٩٩٣-١٩٩٥) والتي كان أبرزها محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا والتي تمكن النظام من تحديد نشاطها العسكري في داخل ليبيا وتحولت إلى العمل التنظيمي الدعوي السري والنشاط في المهجر.

- حركة نفاذ الشريعة شمال غرب باكستان سنة (١٩٩٦) والتي قضت عليها الحكومة الباكستانية أمام تخاذل الشارع الإسلامي وتخلف حركات الصحوة في باكستان عن نصرتها.

- حركة جيش عدن أبين في اليمن بقيادة الشهيد أبو الحسن المحضار رحمه الله والتي قضي عليها في مهدها (١٩٩٨).

- حركة الشباب الجهادي في جبال النبطية شمال لبنان بقيادة الشهيد أبو عاشة اللبناني والتي قضي عليها في مهدها (١٩٩٩).

- حركة طالبان التي انطلقت سنة ١٩٩٤ وأقامت الإمارة سنة ١٩٩٦ وسقطت أواخر ٢٠٠١ وكانت بمن لحق بها من التجمعات الجهادية العربية والباكستانية والوسط آسيوية أهم الظواهر الجهادية خلال العقد المنصرم.

- الإنتفاضة الفلسطينية المسلحة التي انطلقت سنة ٢٠٠٠ وما زالت إلى الآن وهي من أهم فصول المواجهة والمقاومة الجهادية للحملات الصليبية اليهودية الثالثة.

- عدد من المحاولات الجهادية المحدودة والمبادرات الفردية التي قام بها المجاهدون ضد مختلف أشكال تواجد الصليبيين في العالم العربي والإسلامي والتي حصلت في بلدان مختلفة خلال العقد المنصرم ومن ذلك بعض عمليات المقاومة المتواضعة في السعودية ضد الأمريكان والتي كان أهمها تفجيرات الرياض والخبر.

- عمليات المقاومة والدفاع عن النفس التي قام بها حطام التيار الجهادي في مواجهة حملة المطاردات بعد سبتمبر في مختلف دول العالم ولاسيما في مواجهة الكارثة التي نفذتها الحكومة الباكستانية خلال ملاحقة الناجين على أراضيها والتي أسفرت عن مقتل عشرات المجاهدين العرب وأسر ما يزيد على ٦٠٠ منهم سلمتهم إلى أمريكا ليستقروا في معتقل غوانتانامو التاريخي، وغيره من السجون الأمريكية في أماكن عدة.

- حركات الجهاد التي نشرت في وسط آسيا ضد الحكومات الشيوعية المدعومة من الاتحاد السوفييتي ولاسيما في طاجيكستان (١٩٩٣/٢٠٠١) ثم ما تلاها في أوزبكستان (١٩٩٧/٢٠٠١).

- وكذلك جهاد المسلمين في تركستان الشرقية(١٩٩٦/٢٠٠١) ضد الحكومة الصينية.

- هذا بالإضافة إلى حركات المقاومة والمواجهة التي تمت ضد القوى الصليبية في ساحات الجهاد المختلفة خلال هذه الفترة مثل الجهاد الذي حصل في البوسنة (١٩٩٤/١٩٩٦) وكذلك في الشيشان خلال نفس الفترة وما تلاها والذي ما زال مستمرا، وكذلك المواجهة البطولية التي قام بها المجاهدون في الصومال، وكذلك حركات الجهاد القديمة والمستمرة خلال هذه المرحلة في الفلبين وكشمير وارتيريا وبورما واندونيسيا وغيرها من الجبهات التي اشتعلت أو كانت مشتعلة واستمرت ضد الصليبيين وغيرهم من الكفار المستعمرين.

- بالإضافة لبعض العمليات التي قام بها تنظيم القاعدة ضد التواجد الأمريكي في المنطقة والتي كان أهمها عمليات تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي عاصمة كينيا ودار السلام عاصمة تنزانيا ونسف البارجة الأمريكية كول في عدن، ثم كان آخرها العمليات الاستشهادية في نيويورك وواشنطن (١١-سبتمبر٢٠٠١) والتي افتتحت فصلا جديد من المواجهة بين الصليبيين والمسلمين وغيرت وجه التاريخ ومعطيات الصراع.

معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل)

✚

أمة النصارى (على رأسها أمريكا وبريطانيا ودول الناتو وروسيا)

✚

طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي

✚

قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان
ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا

✖

التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد

⬇

هزمت قوى المقاومة
وحصر التيار الجهادي
وشلت الصحوة الإسلامية
وخرجت الأمة من المعركة.

الحملة	المرجعيات عند المسلمين			المعادلة	النتائج
	سياسية	دينية	اجتماعية		
الحملات الصليبية الأولى (١٠٥٠ – ١٢٩١)م على سواحل بلاد الشام ومصر وتمكن الصليبيين من خلالها من احتلال بيت المقدس وإقامة إمارة مركزية فيه وتمكنوا من إقامة العديد من الإمارات الصليبية	كانت غائبة ابتداءً، ثم تكونت عبر الزنكيين والأيوبيين والمماليك	كانت حية موجودة تولت المواجهة وسياسة الناس بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء	كانت ما تزال متماسكة سليمة البنيان، وكان الناس يرجعون إلى رؤوسهم من العلماء ورؤوس القبائل	أمة الصليب × أمة الاسلام ← انتصرت أمة الإسلام	انتصرنا عندما واجهت **الأمة** عدوها
الحملات الصليبية الثانية **المرحلة الأولى** : ويمكن التأريخ لها من قدوم حملة نابليون بونابرت ١٧٩٨ – الى حصول الاستقلال الوهمي	سقطت بسقوط الخلافة العثمانية المسلمين بلا مرجعية سياسية	ما تزال حية، وبرزت في هذه المرحلة الطرق الصوفية كمرجعية دينية في أكثر بلاد المسلمين قام العلماء وأئمة الصوفية بدعوة العامة للجهاد والمقاومة وقادوا الانتفاضات الجهادية بأنفسهم	كان النظام القبلي العشائري مازال متماسكا وكان متداخلا مع المرجعية الدينية، مما وفر القاعدة الشعبية لوقود الثورة	أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الاسلام ← انتصرت أمة الاسلام	انتصرنا عندما واجهت **الأمة** عدوها

الحملات الصليبية الثانية المرحلة الثانية : مرحلة الاستقلال الوهمي – مرحلة الاستعمار الحديث	تولى المستعمر المرجعية السياسية ثم سلمها للطواغيت	في الحقيقة كانت المرجعية الدينية ومنذ المرحلة العثمانية تسير نحو التخلف والبدع والخنوع والبعد عن المنهج العلمي الشرعي مما سهل على المستعمر والحكومات عزلها وتفكيكها مع الوقت وتشويه العلماء والدعاة والمخلصين وتشكيل طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السلطان وتجاوزها في الأثر والضرر على الأمة	تمَّ تفكيكها مع قيام الدول الحديثة والمدن الكبرى وهجرة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر مما أدى لتحلل القبائل وضعف الروابط العشائرية وعجزت عن لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السياسية	أمة الصليب + أمة اليهود + طوائف الحكومات المرتدة × الصحوة الاسلامية المعاصرة ↓ هزمت الصحوة الاسلامية وخرجت الامة من المعركة <u>الملاحظ من هذه المعادلة</u> : ١- خروج الامة وشعوبها من المواجهة لعدم ظهور العدو الحقيقي وأخذ الصراع بنظرهم شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين. ٢- وقوع مهمة المواجهة مع القوى الجبابرة على عاتق الصحوة الاسلامية مما أدى إلى إخراجها وإفشالها في تحقيق أهدافها ٣- بروز الدور الهام في هذه المرحلة من الصراع للمؤسسة الدينية الرسمية وكتيبة علماء السلطان حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشرعية والشهادة والاسلام والايمان على الحكام المرتدين وأضفت عليهم لقب أولياء أمور شرعيين وبالتالي أكدت القناعة لدى الأمة بأن الخروج عليهم حرام وأن مواجهتهم فتنة وأن علاقتهم مع الغرب وما يبرمون من المعاهدات الاستعمارية هي ضمن صلاحياتهم بصفتهم أئمة شرعيون وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه	انهزمنا عند ما واجهت شريحة محدودة العدو ووقفت الأمة تتفرج عليها

المرحلة الأمريكية ١٩٩٠ – ومازالت	المستعمر مع الطواغيت	تابعت الحكومات الخائنة العميلة تصفيتها وإفلاسها وقد حاولت الصحوة الاسلامية أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية ولكن لم تستطع أن تكوّن مرجعية شعبية تمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته	تمَّ تفكيكها وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعية دائما تبعا للمرجعيتين الدينية والسياسية، فغابت بغيابهم عن ساحة المواجهة	أمة اليهود (وعلى رأسها إسرائيل) + أمة النصارى (وعلى رأسها أمريكا وبريطانية ودول الناتو وروسيا)+ طوائف حكام الردة في العالم الاسلامي + قوى المنافقين (وعلى رأسهم المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح ⟵ شلت الصحوة الاسلامية وحصر التيار الجهادي وخرجت الامة من المعركة	انهزمنا وحصرنا عندما خرجت معظم شريحة الصحوة من المواجهة بل وانضم قسط منها إلى العدو ولم يبقى في المواجهة إلا حفنة قليلة من المجاهدين

وكأن المعدلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين :

أمة الاسلام × أمم الكفر ⟵ انتصرنا

نخبة من الأمة × أمة الكفر + منافقي الأمة ⟵ انهزمنا

<u>إن نظرة في الصورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صيغتها أيام الاسلام لتكون :</u>

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المؤمنين المجاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الاسلام وأهله المؤمنون المصابرون غرباء كما بدؤوا غرباء .. فطوبى للغرباء من الأولين والآخرين ونسأل الله أن يجعلنا منهم

وقفه تأملية مع معادلات الصراع بين المسلمين والحملات الصليبية الثلاثة:

وجدنا أن معادلات الصراع كانت مع تلك الحملات على الشكل التالي:

الحملات الصليبية الاولى (١٠٥٠/١٢٩١): وكانت معادلاتها:

أمة الصليب × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام (١)

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار القديم) (١٨٠٠/١٩٧٠):

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام (٢)

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار الحديث) (مرحلة الإستقلال):

أمة الصليب + أمة اليهود + طوائف الحكومات المرتدة × الصحوة الإسلامية ←

هزمت الصحوة الإسلامية وخرجت الأمة من المعركة (٣)

الحملات الصليبية الثالثة (المرحلة الأمريكية) (١٩٩٠-٢٠٠٣):

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ← هزمت قوى المقاومة، وحصر التيار الجهادي، وشلت الصحوة، وخرجت الأمة من المعركة (٤)

وإذا أردنا أن نضع بعض الملاحظات التوضيحية لمزيد من الفهم لهذه المعادلات التاريخية الرهيبة وما نستخلصه منها من دروس عظيمة كي ندرك أسباب الهزيمة ونتلمس مقومات النصر حيث حصل كي يتكرر معنا بإذن الله نجد من ذلك:

إن أول ما تطالعنا به هذه المعادلات من حقائق أن خلاصتها أننا انتصرنا في المعادلتين (١) و(٢) وانهزمنا في (٣) وانسحقنا في (٤) وواضح تماما أننا انتصرنا عندما واجهت الأمة عدوها عسكريا رغم الفارق الهائل

في العدد والعتاد، وفي واقعنا المعاصر الحالي أمثلة متكررة على هذا كما حصل في أفغانستان عندما واجهت الأمة عدوها بكامل طبقاتها وتكرر ذلك بشكل جزئي في الشيشان وفي البوسنة رغم أننا في زمن الهزيمة والتراجع.

وكذلك توضح المعادلات أننا انهزمنا عندما واجهت شريحة محدودة العدو ووقفت الامة تتفرج عليها وانسحقنا عندما خرجت معظم هذه الشريحة من المواجهة بل وانضم قسط من الأمة إلى العدوولم يبق في المواجهة إلا حفنة قليلة من الجهاديين، وكأن المعادلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين:

نخبة من الأمة × أمة الكفر + منافقي الأمة ← انهزمنا

أمة الإسلام × أمم الكفر ← انتصرنا

١. فأول الدروس المستفادة من هذه العبرة والمعادلات هو أن علينا أن نعيد الأمة إلى المواجهة بحيث (تعود المواجهة معركة أمة وليست صراعات نخبة) كما هو حاصل الآن، وأول ما يستلزم هذا أن تقنع النخبة الأمة بأن من وقف مع العدو ليس منها وإنما من العدو (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وأن مواجهته من صميم الجهاد وليست فتنة.

٢. أن الأمة قد تحركت لما توفرت لها المرجعية الشرعية القدوة التي تحركها في حين لم تستطع الصحوة ولا نخبتها الجهادية أن تشكل مرجعية تقنع الأمة بالتحرك معها وأن على أي نخبة ستتصدى للمقاومة أن تعمل على أن تشكل مرجعية تشمل قيادات الجهاد وعلمائه ومفكريه ورموزه وأن تلف الأمة من حولها.

٣. أن العدو قد انهزم أمامنا في ساحات المواجهة العسكرية ولكنه انتصر علينا عندما مهد لغزوه بغزو فكري حضاري وفكك البنى التحتية التي تولد بذور المقاومة في الأمة وأن علينا أن نبدأ بترميم هذه البنية بالإضافة لما يجب من إطلاق المقاومة كما اشرنا آنفا، (راجع / مستويات المقاومة المقدمة

٤. أن اليهود قد دخلوا الحملات الصليبية الثانية كعنصر مساعد في الإستعمار القديم، ولكنهم تحولوا إلى طليعة قائدة ومحركة للحملات الصليبية الثالثة، ويجب علينا أن نواجههم بهذه الصفة ونعطي تدمير طليعتهم إسرائيل وأداتهم أمريكا أولوية تناسب حجم دورهم وخطره في المرحلة القادمة.

٥. تبين المعادلتين (٣) (٤) أن المرتدين قد حسموا المعركة لصالح العدو الصليبي اليهودي عمليا، وذلك بخداع الأمة بانتمائهم المزيف للمسلمين وهويتهم الوطنية المزورة، فيجب على طلائع الجهاد والمقاومة

وإعلامهم الموجه وقياداتهم المفكرة والمنظرة لمستقبل العمل أن تعيد إبراز دور المحرك الأساسي للمرتدين وهم الصليبيون وتحريك المقاومة تجاههم لأن ذلك سيعيد إدخال الأمة في المعركة ويقنعها بقتال المرتدين تبعا للصليبيين على أنهم جزء من العدو الحقيقي والأساسي وأنهم ليسوا أكثر من مجرد ستار له.

٦. تبرز المعادلة الأخيرة دور أمريكا كقوة قائدة للحملات وككتلة رئيسية في الوزن العسكري مما يعطي مواجهتها أولوية كبرى كما يلفت النظر بفهم التناقضات الداخلية داخل الحلف الصليبي وما بين محاوره الثلاثة (أمريكا – بريطانيا / أوربا الغربية /روسيا) إلى ضرورة العمل على فك هذا الحلف والإنفراد بالمحور الصهيوني الأمريكي ما أمكن ذلك وسيأتي تفصيل على هذا في النظرية السياسية من الفصل الثامن إن شاء الله.

٧. من خلال المتابعة نجد أن الشعوب الأوربية كلها قد وقفت وراء جيوشها وملوكها داعمة مؤيدة في الحملات الصليبية الأولى وكذلك في الثانية. ولكن انتشار مفاهيم التواصل الحضاري وحركات السلام في كثير من شرائح المجتمع الأوروبي وازدياد المعرفة بالإسلام في أوربا جعل جماهير غفيرة مليونية العدد تقف موقف المعارضة والشجب لتلك الحملات حتى في بريطانيا، في حين وقفت الغالبية الساحقة من المجتمع الأمريكي المتصهين وراء رئيسها الصليبي المتهود بوش وعساكره وهذا أمر يجب التفكير فيه ونحن نصيغ نظريات المقاومة القادمة.

٨. إن نظرة في الصورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صيغتها أيام الاسلام الأولى لتكون:

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المؤمنين المجاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الإسلام وأهله المؤمنون المصابرون غرباء كما بدؤوا غرباء، فطوبى للغرباء من الأولين والآخرين ونسأل الله أن يجعلنا منهم.

القصة متكررة، وبسيطة، وخلاصتها:

احتلال الدول الأوربية وغيرها لبلاد المسلمين بالتدريج منذ القرن السابع عشر، وتصاعد ذلك بعد انهيار الدولة العثمانية، ثم قيام حركات مقاومة وجهاد لذلك الإحتلال، ثم نشوء أحزاب علمانية وقوميو ويسارية، استولت على جهود الجهاد، ورتب المستعمرون لهم استلام الحكم بعد الإستقلال، فحاربوا

الإسلام ونهبوا البلاد وأذلوا العباد لصالح أسيادهم، ثم ورث الروس والأمريكان النفوذ الإستعمار، واستمرت المأساة وازدادت ضراوة.

ثم لما انفردت أمريكا بالسيطرة على العالم منذ ١٩٩٠، سيطرت على أولئك الحكام وأخضعتهم، وبعد إحداث سبتمبر ٢٠٠١، ازدادت الكارثة، وتحولت لكابوس على المسلمين جراء تحالف أولئك الحكام المرتدين مع أمريكا ضد شعوبهم عامة والمسلمين الملتزمين خاصة، تحت دعوى مكافحة الإرهاب، حيث أعلنت أمريكا بقيادة جورج بوش الحملات الصليبية اليهودية الجديدة مفتتحة ذلك باحتلال أفغانستان ثم العراق، حيث تستعد للمراحل التالية فيما يجاورها.

وبعد ما مر من الاستعراض السريع لأهم محطات التاريخ الإسلامي، وأهم الممالك والدول التي قامت عبر ذلك التاريخ، وقبل أن نزدلف إلي الفصل التالي الذي سندرس فيه دراسة تحليلية محطات الصراع مع الروم، وملامح ذلك الصراع، ومعادلات القوى فيه، وذلك من أجل البحث عن مسببات النصر والهزيمة في مراحل ذلك الصراع، نرى من المفيد بل الضروري أن نعرض قبل ذلك لفكرة سريعة عن تاريخ هؤلاء الروم، والمحطات الرئيسية للدول والممالك التي حملت رايتهم عبر التاريخ، وإلى أيامنا هذه، وكذلك عن خلاصة مسار صراع المسلمين مع الروم منذ البعثة النبوية وإلى أيامنا هذه.

لأن أهم المعلومات اللازمة لنا بعد معرفتنا بأنفسنا وتاريخنا ومحطات نصرنا وهزائمنا وأسباب ذلك، أن نعرف ما يمكن من مثل ذلك عن عدونا، لنعرف نقاط ضعفه وقوته وندرس تاريخ صراعنا معه، ومعطيات وأسباب النصر عليه بإذن الله.

الفَصْلُ الثَّانِي

حصاد التيار الجهادي في أربعين عاما

(١٩٦٣-٢٠٠٣) م

حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً

(١٩٦٣-٢٠٠٣) م

مبدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله:

هذا المبدأ هو من منهج القرآن، وطروحات السنة، وأساسيات الدين، كما أنه مسلك ثابت للصالحين، وطريقة معتمدة لدى كل العقلاء من كل ملة ودين، ولاسيما بعد الأزمات وأخطاء.

قال تعالى يخاطب صحابة رسول الله ﷺ بأسلوب صريح:

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران]

ومما في السنة الشريفة:

«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[(١)]..

وقد قال عمر رضي الله عنه: **(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم)**.

وهذا المبدأ معتمداً، لدى مختلف المؤسسات في جميع الدول والحكومات، وغالباً ما يفعلون ذلك من أجل التطوير والتحسين بشكل دوري وطبيعي نتيجة تغير الظروف المحيطة ببرنامج عمل ما، بشكل ينذر بعدم صلاحية البرامج والخطط التي وضعت لظروف سابقة تغيرت معطياتها، أو في حال حلول كوارث ومفاجئات تقتضي ما يسمى في علم الإدارة بخلايا الأزمة أو إدارات الأزمة.

فتبدل البرامج، وتغير الإدارات، وتحدد أماكن الخلل والتقصير والمسؤولون عن ذلك، فيستقيلون أو يقالون، أو حتى يحاكمون في حال ترتب على تقصيرهم ما يضر بالآخرين.

الصحوة والجهاديون ومبدأ المراجعة والتقييم:

من أبعد الناس عن هذا المنهج، أكبر الكوارث والانتكاسات والأخطاء، وخصوصاً تلك التي أدت إلى فواجع على صعد كثيرة، كانت تبرر ويغلق ملفها بأربع كلمات بكل برود: **(قدر الله وما شاء فعل)**، وهكذا تستخدم هذه الجملة المقدسة الدالة على أحد أركان الإيمان، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمة حق يراد بها الباطل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

وإن كان قد أمكن تجاوز هذا المبدأ الشرعي والديني والمنطقي العقلي عبر مسار الصحوة وعبر مسار الصحوة الجهادية وهي مدة غير قليلة، فإن من غير المقبول أن نتجاوز ذلك، وقد قام النظام العالمي الجديد، وغيَّر موازين السياسة والواقع، وابتدأ في الدنيا واقع جديد، ولكن وللأسف فإن القليل جداً من أوساط الصحوة، والتيار الجهادي فعل مثل تلك المراجعات اللازمة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) وأحمد (١٧١٢٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

في الشوط الثاني في أفغانستان، كانت هناك بوادر لمثل تلك المراجعات لم يتم منها إلا المراحل الأولى، وهي الاعتراف بوجود أزمات وخلل والاعتراف بالحاجة للإصلاح والتغيرات، ولكن القدر كان أعجل من ذلك في سبتمبر ٢٠٠١م، وهي المرحلة التي دعيت (عالم ما بعد سبتمبر) حيث انطلق (القرن الأمريكي) كما أراد المتطرفون الأمريكان وأعوانهم من اليهود والصليبيين في أوروبا والعالم..

فالحاجة جداً ماسة اليوم، لأن يقوم المعنيون من شيوخ الصحوة الإسلامية وقياداتها، وخاصةً العاملين في جهازها العصبي من الكتاب والمفكرين والعلماء، بتلك المراجعات، وبدراسة الأوضاع المستجدة، وتحليل أسباب الأزمات والنوازل الخارجية والداخلية، ووضع الحلول الناجعة لها بحسب ما يفتح الله عليهم.

الدنيا قد تغيرت بعد سبتمبر وانطلاق الحملات الأمريكية، وأظن أن معظم الحلول والأساليب التي طرحت في الصحوة الإسلامية والجهادية لم يعد واقعياً ولا صالحاً، رغمَّ أنَّ قطاعات كبيرة من أنصار الجمود والتخلف ما تزال تعمل به وللأسف حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

معوقات حصول منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير:

هذه مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان على هذه الأرض، فمنذ أن بدأ العوج وفسدت الأحوال وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليصلحوا ما أفسد الناس.

فالمعضلة الأولى، والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس على البقاء على ما ألفت، والتمسك بالواقع وتراث الماضي ورفض التغير والتطوير، ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك..

وأما المعوق الثاني، فهو تقديس الرجال وتقليدهم في منهج الدين والدنيا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم، وتقديس الهياكل والمؤسسات، سواءً كانت قبيلة أو قوماً أو تنظيماً، على حساب الحق، وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصحوة الإسلامية، وحتى الجهادية وكم تشكى منها المصلحون في الدعوة، فقد احتج الأستاذ العلم الشهيد سيد قطب على هذه الظاهرة واحتج عليه بقول يكتب بماء الذهب فقال: (**إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج**).

وقد صاح الشيخ مروان حديد بقيادة الإخوان المسلمين في سوريا، فقال لهم: (**لقد جعلتم من مصلحة التنظيم وثناً يعبد من دون الله**).

وأما المعوق الثالث، فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغير والإصلاح والمراجعة، لأنَّه سيحملهم نتائج أعمالهم، ويغير أحوالاً، ستذهب على الأقل بمكاسبهم ومراكزهم.

تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة على واقع التيار الجهادي منذ ١٩٦٠ وإلى أحداث سبتمبر ٢٠٠١:

نحن نعتقد أننا نحمل خلاصة دعوة الحق، وقد قدمنا المئات من قياداتنا، والآلاف من كوادرنا، وقواعدنا فلماذا كانت النتيجة هكذا؟! وما هي حصتنا من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ؟!

وإلى أي مدى من المنطقي والصحيح ألا نحتمل مسؤولية هذه النتائج؟! وهل بإمكاننا إلقاءها صادقين محقين على عوامل خارجية؟! ونردد مستريحين: **قدر الله وما شاء فعل!!**

وإلى أي مدى نحن مسئولون لمخالفتنا السنن ولعدم أخذنا بالأسباب الممكنة؟!

ليس هذا من أجل تحديد المسئولين عن ذلك ومحاكمتهم ومحاسبتهم ومطالبتهم بالتنحي أو إنزال العقاب بهم أو مطالبتهم بالانتحار!! وإنما من أجل فعل إيجابي، يحفظ للسابقين منزلتهم وللعاملين عملهم، متخذين من هدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا بأن نكون من الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]

إننا نجد في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيص بكلمتين: **(لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين).**

لقد كانت نتيجة عمل التيار الجهادي وتنظيماته هي الفشل في تحقيق الأهداف، والعقم في الوسائل، وهذا يقودنا لسؤال كبير..

هل يجب علينا أن نعترف بالهزيمة؟ ونستسلم للواقع؟! وأجيب عن ذلك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما.

فإني أعتقد أنَّ الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقاق الحق، وأما الهزيمة فهي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحق، وبالتالي فإن الانتصار منزلتان، انتصار ظاهر وهو تحقيق الأهداف في إحقاق الحق، وانتصار باطن وجوهري، وهو الإصرار والاستمرار في السعي لتحقيق الحق، والدأب في السعي إلى ذلك، إلى أن يوافق من يختارهم الله من السائرين على الدرب قدر الله، ويجتمع لهم الإذن بحصول النصر الظاهر، بأن وفقهم إلى الإخلاص والصواب، خلوص السرائر له وحده سبحان، وصواب في المنهج، وتوفيق في اختيار وتطبيق الوسيلة.

فإذا ما اجتمع القدر بالنصر إلى صواب المنهج وتوفيق الوسيلة، تحقيق النصر الكامل التام الشامل وهو حصول النصر الظاهر في الدنيا والقبول للعمل في الآخرة:

وقد جاء في الأثر: (إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كان خاصاً لوجهه كان صوابا)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف].

وبهذا نجد الآن أن أهل الصحوة الإسلامية ومنهم الجهاديون قد انقسموا فريقين..

فريق منتصر أثخنته الجراح ولم تنحن هامته ولم تنكسر همته، يناطح القرن الحادي والعشرين ليجعله قرن الإسلام، وسيكون إن شاء الله كذلك.

وفريق منبطح انكسرت همته، فانبطح تدوسه سلاسل دبابات أمريكا وأحذية جنودها، ويصم أذنيه هدير طائراتها وصواريخها، عن سماع صوت الحق.

ففي الصحوة الإسلامية عامة، كما في التيار الجهادي، ظهر مستسلمون، وفي قطاع الأمة الكبير، أكثرهم مستسلمون.

ولذلك ولعلمي بمنهجية التيار الجهادي وبنيته ومساره، بعد إيماني بموعود الله أقول باختصار..

نعم لقد فشلنا معشر الجهاديين، ولكننا لم ننهزم، وإن كان في محصلة نتيجة مسارنا، إلى جانب قائمة الشهداء والأسرى والمشردين والمعذبين، بند أسود قد سجل فيه بعض المستسلمين المهزومين من الجهاديين أسماءهم، كما حصل من بعض قيادات الجماعة الإسلامية في مصر وبعض التائبين من الجهاد في السعودية! ومن إخوان سوريا وغيرهم..

ولكن هذا لا يغير من محصلة النتيجة التي يدل عليها دبيب الحياة في جسد الأمة التي خصها الله بوعد جليل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر] فذلك قدر الله كتبه من قَالَ تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]

وكل ذلك لسبب عظيم جليل مقدس، لخصه الشعار الجليل:

(الله أكبر..الله أكبر.... لا إله إلا الله). ولأن الله أكبر، ولأنه لا إله إلا الله.. فليعل هبل.. فالله أعلى وأجل.

أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (١٩٦٠-٢٠٠٠):

أعتقد أن فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه يعود لثلاثة أسباب؛ اثنان خارجيان عنه، وثالث متعلق به، وهذه الأسباب هي:

١- **شراسة هجمة الأعداء على الجهاديين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ:عددا وعدةً ووسيلة.**

٢- **الواقع المنكوس للأمة وحالة الخذلان التي أحاطت بالمحاولات الجهادية:**

وهذا الواقع المرير يتجلى في ثلاثة ظواهر قاتلة:

أ- **فساد الشريحة العظمى من علماء المسلمين.**

ب- **فساد معظم قيادات مدارس الصحوة الإسلامية، بدخولهم** الميادين التي رسمها لهم العدو نفسه، ليصبح أكبر دعاة الصحوة، دعاةً للدين الأمريكي باسم الديمقراطية والاعتدال، والسعي إلى تبديل المناهج لتنافي العنف والتطرف.

ولاسيما بعد انطلاق النظام العالمي الجديد، وعالم ما بعد سبتمبر، فقد صار معظم قيادات الصحوة الإسلامية من أهم مرتكزات ذلك العدوان في تحقيق الغزو الفكري، وفي نصرة أوليائه من الحكام المرتدين وأنظمتهم، وفي إنجاح خطة عزل الأمة عن تأييد المجاهدين لهؤلاء الأعداء.

ج- انغماس أكثرية الشعوب الإسلامية في الفساد وعدم نصرتهم للمجاهدين:

إن وصف واقع المسلمين المخزي يحتاج للمجلدات الكثيرة، وإن وصف طريق الإصلاح والنجاح يحتاج لبرامج جادة لإصلاح ما فسد من أحوال المسلمين في كل مجال.

فهناك حقيقة مؤلمة يجب الإشارة إليها؛ وهي أن انتصار المجاهدين على الأعداء، وانتصار الجهاديين في مشاريعهم وتحقيقهم أهدافهم بالحكم بما أنزل الله، هو في حقيقته انتصار للأمة والشعوب، ونعمة من الله عليها لما تستأهل ذلك أحوالها.

فهل أحوال هذه الشعوب المسماة (إسلامية) اليوم، تستأهل فرج الله بنصر طليعتهم المجاهدة لتعمهم هذه النعمة؟ اللهم كلا..!.

وهل أحوال علمائهم وقادة صحوتهم، تستأهل مثل فرج الله هذا ونصره لهذه الأمة؟ اللهم كلا..!

وهل واقع حكامهم المرتدين الظالمين الكافرين الفاسقين يستأهل الفرج والعون؟ اللهم كلا..!

وأعتقد أن هذا يفسر ما نحن فيه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت]

وهكذا انتصر معظم الجهاديين حيث قام جهادً نصراً خاصاً بهم، لقد استشهدوا ولاقوا ربهم شهداء ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠﴾ [آل عمران] **إن شاء الله تعالى.**

لقد أعطى الله المقبولين المخلصين منهم النصر الأعظم. وقربهم إليه. وخلصهم من هذا الواقع المنكود

فالنصر الظاهر المشهود، بهزيمة الأعداء الكافرين، وانهيار الطغاة المرتدين، واندحار الظلمة والفاسقين، وتحكيم شرع رب العالمين في الأمة؛ هو نعمة تتنزل من الله على هذه الشعوب لما تستأهلها وهذا ما تقتضيه السنن، وتدل عليه شواهد التاريخ.

لقد عم الخطب والعطب، ونحن نسير إلى أن يعم الظلم والفساد الأرض ومن عليها حتى يقيض الله لها الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن سارت وتسير اليوم لتمتلئ ظلماً وجورا، وهكذا وقف المجاهدون في سبيل

الله وحيدين في ساحة المواجهة وخسروا معاركهم وهزموا في مواجهاتهم، وهذا الوصف ليس عذراً الأحد كي يقول؛ إذن ما الفائدة في الجهاد إذا كانت أحوال الأمة تستأهل الهزيمة؟

فهذه الفكرة نزغة شيطان ونفس ضعيفة، وهذا يوضحه أمران:

أولهما: أن الجهاد فريضة متعينة اليوم، وهي عبادة شخصية، على كل فرد مسلم أن يؤديها، طائعة نفسه أم كارهة، مثلها مثل الصلاة والزكاة والصيام وكل عبادة، فهو مثاب على أدائها، مآخذ على تركها، آثم بالإعراض عنها، كافر بجحودها.

بل إن مواجهة صائل الكافرين والمرتدين وأعوانهم اليوم آكد في فرضيته من كل الفرائض بعد توحيد.

والأمر الثاني: أنَّ أداء المجاهدين لهذه الفريضة يحرك مكامن الصلاح في قطاع الصحوة وقواعدها، ثم في قادتها وعلمائها، ثمَّ يبدأ مسار الصلاح عبر طريق التضحيات الجسام، ومسار العذاب، والثمن الذي يجب أن تدفعه الأمة، فتبدأ خطاها الصحيحة إلى أن تستأهل نصر الله.

وما أظن إلا أن يشاء ربي، أن تنصر الأمة ويتنزل بها الفرج، وتعلوا راية دينها وتحكم شريعة ربها، لمجرد تضحيات الاستشهاديين والمقاومين هنا وهناك، من أولئك الذين يقدمون أنفسهم قرابين لهذا الدين حيث وفقهم الله.

إن هؤلاء ينتصرون نصراً شخصياً ذاتياً عاجلاً، ويمهدون الطريق لنصر الأمة، لما تتحرك الأمة! بفعل عمل متراكم سيأخذ زمناً طويلا، على مسار مرير تعطره دماء الشهداء، وترويه دموع الأيامى والثاكلات، وتحدوه آهات المعذبين المضحين في سبيل دينهم وأمتهم..

لا أقول دماء آلاف، ولا مئات آلاف، وإنما دماء ملايين الشهداء من هذه الأمة، حتى نستأهل الفرج والنصروالظفر، ونستأهل موعود الله.

إن جيلنا هذا ومن سيأتي بعدهم، سيدفعون فواتير هائلة من تبعات القعود والنكوص ومسار الفساد في كل منحى عبر مئات السنين التي مضت، وخاصة في هذا القرن الأخير، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من حال أسود لا يرضي الله ولا يرضي رسوله ﷺ ولا المؤمنين.

ومهما ظن الظانون من المصلحين المزعومين، والعلماء الواهمين القاعدين؛ مهما ظنوا وزعموا، أن حملاتهم العالمية الكلامية لدحر العدوان ستحل المشكل، وأنه بغير الجهاد والتضحيات يمكن للأمة أن تنهض، فهم واهمون، لأنهم تركوا مقتضى شواهد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ودروس التاريخ، وراحوا يبحثون عن الحلول في متاهات الفكر والفلسفات الضالة!!

بل العجب أنهم يبحثون عن نصرة دين الله في ميادين سخطه والشرك به!! في أجهزة حكم السلاطين! وإدارات المحتلين الغزاة الكافرين! وبحمل أفكارهم ودعوتهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والله غالب على أمره ولكن المنافقين لا يعلمون.

وهكذا تضافرت الأسباب الخارجية الثلاثة؛ قوة بأس الأعداء وهجمتهم، وفساد أحوال أكثر العلماء والدعاة ونخبتهم، ثمَّ انتكاس أحوال غالبية الشعوب المسلمة، لتكون سبباً رئيسياً في عدم حصول النصر والفرج وعدم انتصار مشروع الجهاديين، وعدم تحقيق أهدافهم.

لقد خذل ذلك الرهط المبارك، وأحيط به، وخسر المعارك والحروب السالفة، وفي موعود الله أمل فيما نستقبل من أيام إن شاء الله.

ولكن هل لنا بصفتنا جهاديين أن نلقى أسباب الخسارة والهزائم والفشل المتكرر فقط على تلك الأسباب الخارجية آنفة الذكر؟! كلا!! هناك أسباب داخلية خاصة بالتيار الجهادي ذاته، بسبب القصور والحال الذي اعتراه، ساهمت بشكل رئيسي في النتائج التي حصلت.

وقبل أن نخوض في وجوه الخلل وأسباب الفشل الداخلية في التيار الجهادي يجدر بنا أن نذكر إيجابيات ذلك التيار وإنجازاته عبر تلك السنين العامرة بالإنجازات والتضحيات.

الحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاماً مضت:

على مدى أربعين سنة من تراكم الجهود والبذل والعطاء، لمختلف الجماعات والتنظيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، أنجز الجهاد يون إنجازات عظيمة، وحققوا انتصارات كثيرة تسجل في سجلهم المشرف، وإن كانوا قد فشلوا في الوصول إلى الأهداف النهائية التي وضعوها لأنفسهم كما أسلفنا، ويمكن تصنيف هذه الإنجازات في المناحي التالية:

١ - الإنجازات الفكرية والمنهجية:

فقد استطاع التيار الجهادي عبر علمائه وقادته ومفكريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلامية المختلفة، أن يقدموا التيار الجهادي كمدرسة رئيسية ومتميزة في الصحوة الإسلامية المعاصرة، وتمكنوا من تحديد ملامح منهجها، عبر الكتب والمؤلفات والمحاضرات، وأن يخطوا بمداد أولئك العلماء والمفكرين والقادة معالم الطريق للسائرين خلفهم على ذلك الدرب المنير، وقد أضفت دماء آلاف الشهداء ممن قدموا أرواحهم في سبيل الله في مختلف الميادين على تلك الأفكار وذلك المنهج حياة، وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى مرضاة الله على طريقتهم.

٢ - الإنجازات الدعوية والجمهور:

وبفضل الله أولاً، ثم بفضل تلك التجارب، وما قدم الشهداء والصابرون في سبيل الله على ذلك الدرب، وما لعبه التراث الفكري والجهود الإعلامية والدعوية للجهاديين على مختلف الأصعدة، وعلى مدى تلك العقود الأربعة الماضية، صار للجهاديين جمهور متميز في الأمة عامة وفي الصحوة خاصة، وصارت عطاءاتهم مثلاً ونبراساً لكل المسارعين الآيبين إلى ربهم من جموع هذه الأمة.

٣ - الإنجازات العسكرية:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديين، فقد استطاع المجاهدون في سبيل الله في هذا الزمان سواءً من الجهاديين من التيار الجهادي، أومن مختلف مكونات الظاهرة الجهادية من المجاهدين لأعداء الله الخارجين والمحليين، وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفردية، استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشردين في سبيل الله منهم، أن يقدموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكري.

فقد قدمت بعض التجارب نموذجاً للثورات المستمرة الطويلة المدى، كتلك التي حصلت في سوريا والجزائر وطاجيكستان، وقدموا نماذج لمواجهات نوعية واستطاعوا أن يطيحوا بالعديد من رؤوس الكفر ومرتكزات الأعداء..

فقد تمكن المجاهدون من إعدام الكثير من أعداء الله من الطواغيت، كان فيهم الرؤساء والوزراء وكبار أعوان الطواغيت وصغارهم، واستطاع جند الله المجاهدون أن يردوا صاع العدوان بما يكافئوه في بلدان عديدة..

كما استطاعوا الجهاديون أن يلعبوا دوراً هاماً في مواجهة الهجمة الصليبية المعاصرة على المسلمين في عدد من القضايا، كان من أهمها الدور الذي لعبوه في الجهاد في كل ساحات المواجهات المفتوحة مع الأعداء الخارجين، من الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى إريتريا إلى الصومال، إلى العراق حاليا، وكان من أبرزها وأهمها ما قدمه الجهاديون من مشاركتهم الظافرة في الجهاد في الشيشان ضد الملاحدة الروس، حيث ما تزال المعركة مستمرة، وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضد الصليبيين الصرب والكروات المدعومين من مختلف القوى الصليبية العالمية حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الذي استهدف المسلمين هناك.

ولكن نجاحهم الأكبر كان في المشاركة في الجهاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل، ثم أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدولة العظمى الكبرى (الإتحاد السوفيتي) ويفككوا أوصالها ويطووا علمها، ويجعلوها أثراً بعد عين، حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإسلام من جديد، بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان، وتنصيب أمير للمؤمنين، رغم كل محاولات المنع والإجهاض، حيث قدمت الإمارة وأميرها على مدى ٦ سنين نموذجاً للحكم بالشريعة رغم أنف النظام العالمي الجديد، ونموذجاً للحصن الذي يمتنع به المؤمنون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربهم، ثم ما كان من النموذج الفذ الذي أفتتح به المجاهدون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم، بنقل المواجهة إلى عقر قلبها النابض.

ثم كان صمود المجاهدين الأبطال من الأفغان العرب في معارك أفغانستان وساحات المواجهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم فيما أسموه بالحرب العالمية على الإرهاب.

وهاهم المجاهدون ثم ما تبع ذلك اليوم يتابعون في ساحات المواجهة مع الصليبين وأعوانهم في أكثر من مجال، وهاهي ساحة الجهاد في العراق مستعرة وبوارق الأمل في أكثر من مكان قادمة، وإن غداً لناظرة قريب..

وسيستمر العطاء والإنجازات العسكرية الجهادية حتى يتحقق موعود الله لهذه الأمة بالظفر والتمكين ورفع رايات هذا الدين إن شاء الله تعالى.

وقد حفل ذلك المسار الطويل من المواجهات عبر ما يزيد على أربعين سنة، بآلاف المعارك والمواجهات، التي أثبت فيها أولئك الأبطال لأعداء الله من الداخل والخارج أنه ورغم مرحلة الانحطاط التي يعيشها عموم المسلمين، إلا أن معجزة رسول الله ﷺ وإخباره بأنه ما تزال عصابة من أمته ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، هي معجزة مستمرة، وما تزال متحققة، ولها رجالها حتى في أسود مراحل تاريخ هذه الأمة، ولو عرف الجهاديون كما ينبغي قدر تراثهم وقيمة تاريخهم وتجاربهم، وشمر القادرون فيهم عن ساعد الجد لكتابة ذلك التراث المجيد، لخلفوا لهذه الأمة تراثاً مجيداً زاخراً بتاريخ التجارب، وعبر الدروس، وقصص الأبطال الميامين، ونماذج الشهداء الربانيين والمجاهدين الصابرين، ولكن وللأسف لقد طوت الأيام تلك الصحف، واندثرت عبر الأيام كثير من القصص الرائعة والنماذج الفريدة، فرحم الله أصحابها وأجزل لهم المثوبة، وكما قال عمر رضي الله عنه عندما سأل عن شهداء الفتوح فقصوا عليه قصص من عرفوا، ثم قالوا وآخرين لم يعرفهم أحد، فقال رضي الله عنه ما ضرهم أن لم يعرفهم الناس إذ عرفهم الله تعالى.

٤- الإنجازات السياسية:

رغم أن الهدف النهائي الذي رفعه الجهاديون وهو إسقاط أنظمة الجاهلية وإقامة النظام الإسلامي على أنقاضها لم يتحقق في كافة الساحات التي عملوا بها كافةً، ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات، حقق الجهاديون إنجازات سياسية كثيرة. من أهمها:

- تهديد مشاريع أنظمة الحكم الجاهلية، وكشف بطلانها ونزع الشرعية عنها.

- فضح مشاريع التطبيع مع اليهود والغرب الذي سعت فيه الأنظمة التي همت بذلك، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإسلام على الطريقة الصليبية.

- كذلك استطاع الجهاديون مواجهة انحرافات الصحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً.

- واستطاعوا بفضل الله، الإثبات للغزاة المحتلين أن الأمة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة.

و من الإنجازات السياسية التي تتضافر نتائجها مع الوقت حتى توافق قدر الله تعالى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإسلام الزائلة والدفاع عنها وتوسيع رقعتها حتى تقوم الخلافة الراشدة الموعودة التي بشر بها رسول الله ﷺ وهي لا شك ولا ريب قائمة وآتية وعبر الجهاد ولا شك وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية.

فإن الجد لا يولد من العبث، والحق لا يولد من الضلال، والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرذيلة، وصدق رسول الله ﷺ: «بعثت بالسَّيف حتى يعبد الله وحد، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[١].

الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً:

قد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف للأسرار والعورات مما قد يفيد العدو، وأقول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو وللأسف أكثر مما هي معروفه لأبناء الصف ذاته، فليس فيها كشف سر، لاسيما وأن أكثرها دروس قد مضت ومضى أصحابها، ولم يترك علماء السلاطين وأجهزة إعلام الطواغيت والأجهزة العالمية نقيصة حقيقية أو مختلقة، إلا ونسبتها إلينا لتشويه سمعتنا.

ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها، ونذكر الأساليب البالية المستهلكة من أجل تبديلها، كما نذكر تلك المفاهيم الخاطئة ومعظمها طارئ على التيار الجهادي كي يتم تصحيحها، وهي معرفةً واجبة حتى على قواعد التيار الجهادي فضلاً عن كوادرهم والكبار منهم، وهذا لا يكون همساً ولا سراً.

إن عمليه النقد الهادف يجب أن تمارس في جو من الحرية والصدق والمصداقية والمصارحة، بين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة، لأنهم رجال، رجال في قمة الرجولة، امتلكوا القرار بالمواجهة في زمن نكصت فيه الهمم، فلا يجوز أن يزج بهم ويضحى بهم، وفق أساليب بالية جربت وثبت فشلها، أو مفاهيم خاطئة أدت إلى الفشل بل إلى الكوارث أحياناً..

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية، بعد التوكل على الله وطلب العافية والشفاء منه.

أولها: الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن، وكشف العيوب والعلل والنقائص، بلا وجل ولا استحياء منها، حتى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدواء ولو كان مرا، بهمة وصدق وعزيمة على بلوغ العافية.

وبدون هذه الموضوعية لا يتم - والله أعلم - شفاء، لأنها السنن التي لا تحابي أحداً.

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخلياً وعلى مستوى كل تجمع ومدرسة.

لقد انتقدنا نحن- معشر الجهاديين - مدارس العمل غير الإسلامي الأخرى، ورفضناها، ووقفنا منها موقف الرفض والعداء، ثم انتقدنا كافةً مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية، من دعوية وإصلاحية، وإخوانية، وسلفية، وغيرها، بدافع التناصح ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصحوة، لنثبت أن الجهاد هو الحل، أو من باب دفع الغارة المغرضة.

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر، وأورده الألباني في صحيح الجامع-(٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام المرآة، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا، قبل أن يحاسبنا الله تعالى على التقصير في المراجعة والعبرة من أنفسنا وغيرنا، وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأمة، ولاسيما من يأتي بعدنا لأننا لم نبصرهم بأخطاء مرحلة مرت، ولم نعطهم دروس تجارب دفعنا زكي الدماء ثمناً لها..

ويجب أن نزن أعمالنا بميزان الإخلاص والصواب، فأما الإخلاص - اللهم عونك - فكل بحسب ضميره ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ [القيامة]

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة، ثم منطق عقل ودروس تجارب، لعل الله وعسى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويتقبل منا، ثم يقربنا من النصر على أعدائه.

أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مساروتجارب التيار الجهادي بحسب تصوري والله تعالى أعلم:

الأخطاء والخلل في مسار التيار الجهادي كانت على ثلاثة أنواع:

(١) - أخطاء في المنهج والتفكير.

(٢) - أخطاء في البنية والهياكل.

(٣)- أخطاء في أسلوب المسيروطريقة العمل.

أولا - أخطاء في المنهج والتفكير:

ولعل هذا أحد أهم المجالات التي قل فيها مجال الخلل بشكل عام، وذلك بفضل الله تعالى على المجاهدين وبركة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت].

وقد سبق أن عرضت لأهم الأساسيات الفكرية المنهجية لدى التيار الجهادي وجماعاته المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتنظيمات والتجارب الجهادية قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكري المنهجي، بحسب ما أعتقد والله أعلم، ومن أهم تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجية التي كانت من المعوقات الداخلية للعمل ما يلي:

١ - تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديين:

فكما سبق وعرضت فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام.

أ - المرحلة الفكرية الحركية.

ب - مرحلة الفكر الجهادي السلفي.

وقد ذكرت كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمة في الفكر الجهادي، وذكرت إيجابيات ذلك التكامل، ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التجارب، مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي، وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافر عوامل الجهل

والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي، ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري، لا، وإنما أقول أن تلك الأطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري)، يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم، مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و(الفكر التكفيري) رقيقاً، ومكن الخصوم من أجهزة الاستخبارات أو علماء السلطان أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديين بالتكفير، وهو كما بينت من أنجح الوسائل التي استخدمت لضرب الجهاديين، فكيف تم ذلك؟!

لقد تم ذلك عندما جرى الخلط (بين **العقيدة السلفية**) و**المنهج لسلفي** المعاصر وأساليبه هذا المنهج الذي اختاره غالبية التيار الجهادي منذ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأول للأفغان العرب، وبين (**منهج التيار السلفي المعاصر**) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين)، ولاسيما من علماء السعودية ومن تربي على مدرستهم، ثم ما تفرع عن هذه المدرسة التي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثاني والثالث من علماء الدعوة الوهابية.

والحقيقة أنَّ دراسة (المدرسة السلفية التقليدية) وعقائدها وفقهها، ثم مقارنتها مع (السلفية المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكرية والعقدية، يجد فوارق هامة.

فقد تتابع تأثير السلفية المعاصرة وفروعها في العالم العربي والإسلامي، ثم تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب، تصل في تنوعها وتراثها الفقهي وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان، ضمن ما عرف (بالتيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة، ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه، وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التيار السلفي المعاصر على الفكر الجهادي ومسار التيار الجهادي سلباً وإيجاباً.

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السابقة، وذلك أن التيار الجهادي الحركي مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حل إشكالاته الفقهية الحركية كما قلت في الفقه السلفي والعقيدة السلفية.

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية، فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التيار السلفي من غير الجهاديين الحركيين بالتيار الجهادي الحركي الذي نشا على الفكر الإخواني والقطبي، كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطها الأول، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات، وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى والتصدي لعظائم المسائل.

ولأن أحد أكبر بلاء آت الأمة في هذا العصر هي إعراض العلماء الراسخين عن الجهاد وعن مواقف الحق، وعن التصدي لنوازل الأمة السياسية الشرعية الكبرى من مسائل الحاكمية والولاء والبراء وتطبيقها على واقع هذه الحكومات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال، مما انعكس على التيار والظاهرة الجهادية بأنه كان تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التيار الجهادي ظاهرة قاتلة، ولدت أصلاً في التيار السلفي المعاصر الذي قام على عقيدة صحيحة وفقه أصيل، بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث

انتقلت إلى التيار الجهادي، وزاد الطينة بلة أن الجهاديين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله، فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم، إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السلفية المعاصرة، ففتحت الباب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهية في بعض الأحيان، أدت إلى بروز ذلك على شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة صيغت بشكل معمم، فأمكن أن يستخدمها جهال التيار الجهادي أو التكفيريين ويجعلوها متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط، وساعد هذا على هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري.

وإن إعادة إبراز هذا الحاجز من أهم أولويات عمليات الترميم في التيار الجهادي في المرحلة المقبلة إن شاء الله.

٢- غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السلفية):

هذه المشكلة فرع من سابقتها، وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهاديين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة..

فالأصل الذي قام عليه التيار الجهادي هو حشد الأمة للجهاد في سبيل الله، ودفع مختلف أنواع الصائلين عنها، ومع أن الواجب على المجاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا على منهج الطائفة المنصورة علماً وعملاً، وبالتالي أن تكون عقائدهم على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان، وهم سلفنا الصالح الذين يجب أن نقتدي بعقيدتهم ومنهجهم، وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم.

إلا أن هناك لفتة في غاية الأهمية، وقد أسقطها غالب الذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هذا الزمان من سلفيين جهاديين وغير جهاديين من الذين يحتكرون هذه الراية وهذا المسمى الشريف، هذه اللفتة هي أن واقع الأمة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصحابة وما تلا ذلك من خير القرون، بل ولا يشبه واقع معظم التاريخ الإسلامي، فضلا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديين والسلفيين.

لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخلافة وما شهده الواقع العربي والإسلامي من التغريب والأزمات الداخلية والخارجية.

والأصل أننا معنيون كجهاديين باستيعاب الأمة، وجمهور سواد الأمة، وتوجيههم لأداء فريضة الجهاد ضد مختلف أنواع الصائلين من الأعداء الخارجين وأذنابهم من الحكومات الطاغوتية، ومعلوم أن الملتزمين

بدينهم من هذه الأمة وغالبية علماءها وأوساط الصحوة والمتدينين فيها على مستوى الأمة ليسوا بأغلبيتهم على المنهج السلفي، رغم أنه منهجي ورغم اعتقادي أنه الأصح عقديا.

فمعظم الملتزمين وعلماء الأمة (بسعتها كأمة إسلامية)، وغالبيتهم الساحقة هم من أتباع الفقه المذهبي وليسوا من أتباع الفقه السلفي، كما أن كثيراً منهم هم على غير المنهج السلفي في الاعتقاد وغالبهم من الأشاعرة هذا في أوساط العلماء وطلبة العلم، وأما في أوساط العوام المتدينين فهم مقلدون لتلك للأوساط، وهذا حال أهل السنة منذ أكثر من ألف سنة، ومن المعلوم أن التيار السلفي المعاصر غير الجهادي، قد دخل في مساجلات وإشكالات عقدية وفقهية كثيرة مع هذه الأوساط، وصلت إلى حد الجدليات البيزنطية عبر العقود بل والقرون..

ولا شك أن مشكلة نزول الصائلين بنا وفرضية دفعهم تقتضي منا السير مع عقيدة أهل السنة والجماعة في الجهاد مع أمراء المسلمين وعامتهم برهم وفاجرهم، عالمهم وجاهلهم، وأن مصلحة تأليف القلوب وجميع الصفوف على الجهاد مقدمة بلا شك ولا جدال على المصلحة من إثارة أكثر تلك الجدليات الفقهية والعقدية، خاصة الآن ونحن في هد الحال، وهذا من صميم منهج السلف الذي يدعيه هؤلاء، وشواهد ذلك كثيرة جدا.

إلا أن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم، جروا الوسط الجهادي للدخول في حالة من الشجار مع تلك لأوساط الإسلامية والمتدينة، واشترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم؛ تعجيزية، وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجهاد، وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التيار الجهادي شعبيته، وجعله نخبوياً، وأدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الولاء والبراء على كثير من المسلمين، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التيار الجهادي في صف واحد، أو على الأقل في حلف واحد ضد أنواع الصائلين لدفعهم، أو على الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك، وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كان يمكن أن تدفع بالأمة قدماً بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجهاد، وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الذي اتسم بكثير من الجمود مع النصوص وتطبيقها في غير واقعها.

وأذكر أني دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديين من بعض القيادات والقواعد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السلفية الجهادية، وعلى منهج السلف الصالح، وبين كوننا محتاجين أن نترفق بالمسلمين ونجاهد معهم، وندعوهم للجهاد معنا على ما هم عليه من المذاهب الفقهية والعقدية التي هي فيها النهاية ضمن دائرة أهل السنة والجماعة، ولكن وللأسف، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أننا في واد وإخوتنا هؤلاء في واد آخر، بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً وأفكار عجباً، ولاقيت عنتا.

ومن يقرأ كتابات الشيخ عبد الله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزمات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتى مع عوام الناس.

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق، أن أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين جدا! قال لي يوما في سياق الحوار: (**إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية، وأن تكون قيادته سلفية التركيب، وأحكامه سلفية المنهج، وأن يكون كل شيء بالدليل، ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!**)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدين والعقيدة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم على الجذب من هؤلاء والركل والنطح من الآخرين!!

ولكن هذه الظاهرة لم تكن ضمن دوائر ضيقة وللأسف، حتى أن بعض الجهاديين رفض العمل معنا ذات يوم في مشروع جهادي لأنني كنت مسؤولا عنه قائلاً، كيف نجاهد مع رجل لا يرفع يديه في الركوع، ويصلي على البدعة! ولا أدري من قال لهم أن من لا يرفع لدليل عنده هو مبتدع! ناهيك عن أن كل ما في الأمر أني كنت آخذ بفتوى من قال من العلماء بمجاملة أهل المحلة في مذهبهم تأليفاً للقلوب كما قال الإمام ابن عبد البر وغيره، وكنت لا أرفع في الركوع والرفع منه يدي عند ما نصلي مع الأفغان، ومعلوم أنهم من الأحناف وأكثرهم متعصب وجاهل، ونحن وإياهم في وئام كبير وجهاد دفع متعين، وكان كبار قادة المجاهدين العرب من أمثال الشهيد عبد الله عزام رحمه الله، والشيخ أسامة حفظه الله يطلبون ذلك ويحثون المجاهدين عليه وقد لاقوا في هذا المجال الكثير من العنت، وهذه أمثلة لإيضاح الفقرة وإلا فالأمثلة كثيرة.

فكم كان يتعرض من الأئمة الإعلام، من تلبس بشيء من التأويل أو سوى ذلك من أئمة أهل السنة الكبار كابن حجر والنووي وسواه في تلك الأوساط، وكم انتهكت حرمة المذاهب الأربعة وبعض أئمتها ولاسيما الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله وغيره بدعوى الانتصار للمنهج السلفي والعقيدة السلفية، ورغم أني في ذات اعتقادي على منهج السلف من دون تعصب وتضييق وكنت معروفا بهذا، إلا أن كثيراً من إخواننا هؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً حتى بذلك.

ومعلوم أن هذه المشاكل من مشاكل التيار السلفي وليست من مشاكل التيار الجهادي ولكنها تعدت إليه، حتى أن أحد كبار المجاهدين من الأفغان العرب وكان سلفيا جدا، وهو سروري سابق، نهرني لأني قلت بعد ذكر الإمام النووي رحمه الله، وقال لا تقل رحمه الله، فقلت وماذا أقول؟ فقال: قل غفر الله له، فإنه لم يكن على السنة!

وذات مرة، عاتبني إثر بعض محاضراتي بعض هؤلاء المجاهدين وبعضهم قادة في جماعاتهم، لأني ذكرت في السياق الإمام حسن البنا، وكذلك الشيخ سعيد حوى، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة بقولي رحمه الله، وهم يعرفون انتقاداتي لمنهج الإخوان، وقالوا لماذا تترحم على أهل البدع؟! فقلت إن مذهب أهل السنة الترحم على من مات وظاهرة من المسلمين، فرد على أحد الإخوة الكبار حفظه الله قائلا: كان الإمام سفيان لا يرى الترحم على من مات على البدعة!! فقلت له رحمه الله وكان غيره من أئمة السلف يرى ذلك، ويجب أن ينظر للبدعة ونوعها

ومستواها وقرائن إحسان المخطئ ومقام ذكر الرحمة، ولكن لم يكن هناك أي فائدة من الحوار الذي لو طال فستسجل عندهم مع المبتدعة، بل مع المحامين عن البدع! ولله الأمر.

لقد كان من أبسط الأمور على أحدهم أن ينهي الحوار بقوله: لقد أبلغتك مقتضى دعوة التوحيد! وأنا أدين الله بكذا وكذا وأنكر كذا وكذا.

وكم انقطعت من علاقات، وقامت من خصومات بين هؤلاء وبين كثير من المجاهدين فضلا عن المسلمين بسبب هذا النهج، وكان هذا من أكبر العلل التي طرأت على المنهج الجهادي بسبب التأثر بسلبيات التيار السلفي..

وأكرر قولي الآنف الذكر، بأن الفوائد العظيمة التي جناها التيار الجهادي فكريا من المنهج السلفي أكثر من أن تحصى، ولكن لم يخل ذلك من آثار جانبية سلبية كان هذا بعضها، ولم أتخيل حقيقة كيف يمكن لهؤلاء الذين لم يستطيعوا التفاهم حتى مع الجهاديين، والإسلاميين، كيف يمكن أن يقودوا مقاومة يجب أن تكون شعبية، بكل ما ستحتويه كلمة شعبية من التعدد واختلاف والمشارب.

٣- أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء والبراء والحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي:

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة، نجد أن مكتبة التيار الجهادي، وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات، وحتى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصة بالجماعات والتنظيمات المختلفة والبيانات الدورية أو سواها، نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كماً، وأحادية الطرح نوعاً. فالكتب معدودة، والنشرات محدودة، ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء، وضخامة التضحيات وكثرة التجارب، وما كان يمكن أن يكتب فيها، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً، وقصص مشاهد، وسير رجال وشهداء، ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات، وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا على مسائل الحاكمية وأصول قواعد الولاء والبراء والعقائد، فالإبداع فيه قليل، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد على النقول والإعادة لفقه الإمام ابن تيميه وبعض أئمة المدرسة السلفية وتراث المدرسة علماء الدعوة الوهابية رحمهم الله تعالى..

ومع أن النوازل كثيرة، والمجالات السياسية الشرعية والسياسية الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة، وكذلك في مجالات الفقه وأحكام الجهاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السياسة والإدارة والتربية، والثقافة العامة التي تلزم المجاهد، ومناقشة مسائل الأمة الحاضرة والمستقبلة، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربي والإسلامي، ولكن التيار الجهادي عموماً تميز بقلة كتابه، وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين على الكتابة بالعمل الميداني، وقد حالت المطاردات الأمنية، وظروف عدم الاستقرار، بينهم وبين العطاء في هذا المجال، ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديين إما على الكتب العسكرية ومناهج التدريب والعمل وإما على ما أشرت إليه من مسائل الحاكمية وقضايا الولاء والبراء.

٤- ضعف المادة التربوية في مناهج التيار الجهادي:

يعتبر مجال التربية لقواعد التيار الجهادي من أكبر المجالات التي اعتراها النقص وانخفاض المستوى، خصوصاً بعد التسعينات، ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنية شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع، ومستهم البأساء والضراء والنقص في الأموال والأنفس، وتقاذفتهم المهاجر والملاذات في أقطار الأرض الأربعة..

وعلى عكس الجيل الأول والثاني من الجهاديين الذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا باس به من التربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام ١٩٦٥-١٩٨٥ تقريباً لم يسعف الظروف الجهاديين بعد ذلك من تطبيق برامج تربوية شاملة إلا في نطاق محدود، والملاحظ أيضاً أن اعتماد التيار الجهاد في التربية لم يكن على مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية، وإنما على كتب التراث، أو على بعض كتب مدارس الصحوة الأخرى، والتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهادي لكثير من المسائل.

وبعد ١٩٨٥ غلب على الأوساط الجهادية من المعسكرات والتجمعات وأماكن النشاط مناهج تربوية ذات بعدين كما أسلفت، إما عسكري في حدود المواد العسكرية والدورات التدريبية القتالية، وإما بعض المواد في مسائل الحاكمية والولاء والبراء والعقيدة والمنهج السلفي.

وقد لاحظت خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان، أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه، وقد زهد بها كثير من الجهاديين في هذه المرحلة ١٩٩٦-٢٠٠١ رغم توفر الإمكانية والمعسكرات والملاذ الآمن، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة، إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكرية واقبلوا عليها، ولم يعطوا الجوانب التربوية الأخرى الأهمية التي تستأهلها، ولذلك انعكس هذا على تلك المرحلة بكثير من المشاكل والأزمات الداخلية التي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السلوك والأخلاق العامة.

وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات، وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات، وانعكست الضغوط النفسية، وآثار المطاردات الأمنية، ومشاكل الواقع العام للعرب والمسلمين عموماً، والمشاكل الداخلية في أوساط الصحوة الإسلامية، ومنابذة قياداتها للجهاديين، وانغماس أ كثرهم في ركاب علماء السلاطين وأجهزة الطواغيت.

أدى كل ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديين مع غياب منهج التربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة، وغياب النماذج التي طالما تحدثت عنها كتب الرقائق وقصص السلف والخلف من الصالحين في مجالات العبادة والنسك وحسن الخلق، ولين الجانب مع المسلمين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة، وتميز العديد من الجهاديين بسلوك أقرب إلى الحالة العصابية منه إلى السلوك المفترض بالمجاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً.

وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التربية مادةً وتطبيقاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديين قد اختصر الإسلام وعقائده وشعائره في فريضة الجهاد، وظنها كل الدين، واختصر الجهاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته التي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإسلام، اختصره بالقتال، واختصر القتال بما يقضيه من صبر ومصابرة وإعداد وأخلاقيات، بشهود المعارك ذاتها، وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصبر والمصابرة، وتحمل الرباط الطويل، فقد اختصروا مفهوم القتال على إطلاق النار.

وكنت وكثير من قدماء الأخوة، نلاحظ الأجواء في الأوساط الجهادية قد بدأت في أواخر القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين تشير إلى قرب امتحان وبلاء سينزل ليعيد تلك النفوس الطيبة المخلصة إلى صفائها وحاجتها إلى ربها وإلى أخلاقيات دينها ومكوناته التربوية، وهذا ما جاء مع أحداث سبتمبر وتداعياتها من بعد.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]

٥- غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها، وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا، والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين، وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي، بل وفي العالم أجمع، وشهدت عموم مجالات النشاط البشري في كل تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً.

وتعتبر المجتمعات في العالم العربي والإسلامي وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحضارية، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصحوة الإسلامية عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام، وعدم إدراك العصر التي هي فيه، وفي الوقت الذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإسلامية من مدرسة الصحوة السياسية وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السياسية، تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع، فإن باقي مدارس الصحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسلفية، وكذلك المدرسة الجهادية، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع، فأما المدارس اللاسياسية فلانعزالها عن عيش الواقع، وأما التيار الجهادي، فلأن غالبيته من قطاع الشباب الذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظروف الأمنية الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحضارية وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات.

وعلى اعتبار أن المعركة اليوم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكري والأمني حيث يمكن للجهاديين والإسلاميين عموماً أن يبلوا بلاءً حسناً، وإنما في مجالات السياسة والإعلام والاقتصاد، وحتى في عالم المواجهة العسكرية والأمنية أصح للمستوى المعرفي والعلمي في المواجهة دور كبير، ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس على مناهجهم وأدبياتهم

وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله، ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النصوص العامة، وما يضطر إليه الواقع، وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح الناس، من معنا ومن علينا، واضطراب في تحديد أولويات المعركة.

ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عموماً، وضيق مجالات الشورى والإستفاده من الكوادر، وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي، وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية والمصيرية، ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد على مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشرع وفهم الواقع، وعلى افتراض وجود الفهم الشرعي الصحيح في كثير من الحالات، فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للعرج من وصفها باستقامة المسار.

٦- عدم تبني مفهوم جهاد الصائل الخارجي والدخول في دوامة مواجهة الأنظمة:

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة، ثم حمل على تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] وحمله على الأنظمة المرتدية الحاكمة، مما أدى للدخول في صراعات حدد العدو طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأمة دون طائل ولا نتيجة مرجوة.

فقد انطلق التيار الجهادي أصلاً بسبب أزمة المواجهة مع الجاهلية الجاثمة على صدور المسلمين والمتمثلة بأنظمة الحكم المرتدة، وتطور الأمر كما بنيا من الفكر الجهادي المجرد إلى التطبيق العملي.

وقامت التنظيمات الجهادية واشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم تلك، وقد أيد هذا الإتجاه حكم شرعي وواقع قائم، فأما الواقع القائم فهو أن البأس والنكال الواقع على المسلمين عامة والإسلاميين خاصة والجهاديين على وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنية، وهو يقتضي ويوجب المواجهة عقلاً ومنطقاً، وكذلك فإن الحكم الشرعي والأمر بالجهاد هو من مقتضى نصوص كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ ومن خلال هذا الفقه وهذا الواقع عملت منظمات الجهاد، قرابة ثلاثين سنة ١٩٦٠-١٩٩٠.

ولكن ومع قيام العولمة في كل شيء مع انطلاق النظام العالمي الجديد، وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين قوى الكفر العالمية والمحلية المرتدة الحاكمة والدولية، وقوى النفاق المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المواجهة، وتطور أساليب مطاردة الجهاديين من المحلية إلى الإقليمية إلى العالمية، كان على الجهاديين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدولية اليهودية الصليبية العالمية وحلفاؤها، بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها، ولكن جمود المناهج والفهم، في معظم التيار الجهادي، لم يسمح بتلك النقلة التي توجب إعطاء فقه مواجهة

الصائل حقه المتوجب، وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الذين يلونكم من الكفار، وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديين، وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءً في فهم تفسير النص، أو في فهم السنة الحركية التي تبينه، من مقتضى حروب الرسول ﷺ، وتوجهه لحرب الروم وحوله من الكفار من هو أقرب منهم، وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي، وانعكس هذا الجمود المنهجي على ممانعة أكثر الجهاديين في الاتجاه نحو الجهاد الأممي وعولمة المواجهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديين أواخر القرن العشرين.

٧- عدم القدرة على تحديد المضمون الشرعي والحركي لعدد من المفاهيم الأساسية:

طرح المشروع الجهادي المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسية التي أعتمد عليها في البناء التنظيمي والسلوك الحركي للجماعات الجهادية، ولكن هذه أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها، ومن ذلك:

** **الجماعة المجاهدة:** ما هي؟ وما هو تعريفها؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المجاهدة وغير المجاهدة؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات وشرعية وجودها؟

** **الإمارة والشورى والقرارات:** ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة؟ والشورى وطبيعتها وإلزاميتها؟ وهل هي إمارة خاصة أم عامة؟.

** **البيعة والسمع والطاعة:** ما هي طبيعة هذه البيعة؟ وما فحوى عقدها؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل؟ وبناءً على ماذا؟

وما ذا يترتب على نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم؟ إلى آخر تلك المسائل، التي لم يتم تحديدها في التيار الجهادي بدقة واختلفت من تنظيم لآخر، وفي حين اعتبر أكثير الجهاديين في مناهجهم أن جماعتهم هي جماعة من جماعات المسلمين، وأنها إمارة جهاد، وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات، إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المسلمين في قطرها، وصرح بعض أكابر التيار الجهادي بأن جماعتهم هي الجماعة الشرعية الوحيدة في البلد الفلاني، وبالتالي قاوموا بشتى السبل ميلاد جماعات أخرى، أو استمرار وجود سابقات عليها، بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة المجاهدة توحيد صف الجهاد بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أخرى! ووجد بعض الشواذ الذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتيار الجهادي من بعض طلاب العلم ممن تصدروا للفتوى في التيار الجهادي نتيجة غيبة العلماء عنه، كما اتخذت بعض الجماعات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديد لتلك الحدود والصلاحيات، فقد ولدت إشكالات واقعية في التنظيمات، وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنية وضعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصل التيار الجهادي حفظه الله، عن مشروعية ترك الفرد لجماعة ما إذا لم يناسبه المسار أو رأى عقمه بعد أن دخل فيها، فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان!! وبالتالي سحب على أمير الجماعة حقوق الإمام الأعظم! فلما سألته ماذا لو رأى عقماً بواحاً، أو فوضى بواحة، أو إفلاساً بواحاً، وتيقن أن ما توخاه من الالتحاق بالجماعة الفلانية لن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا! ولا يحل له أن يتحول الجماعة أخرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة.

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة، فلم لا يحق له فصل نفسه والانسحاب؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشكلة الأسرار التي عنده؟ إلى آخر ذلك من المسائل.

لقد كان هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلك والإفتاء فيه؟ وفي العمل على أسس لم تتحدد.

وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المسلمين العامة بشكلها الطبيعي، فأمير المؤمنين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المسلمين حتى ولو لم يبايعه ما لم يخرج عليه، ولا يستطيع العنصر في الأمة أن ينسحب منها، ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامة لأمير المؤمنين من الحقوق والواجبات ما يترتب على العنصر في جماعة ما جهادية أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل السياسي للأمة إشكاليات كثيرة، ولما قامت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل بطش الأنظمة، انفتحت إشكالات أخرى لا حل لها، وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأمة بسب غياب دار الإسلام والإمامة والشريعة وتوابع ذلك، وكانت هذه الإشكاليات بعض مظاهر خلل المناهج التي طرحت وعجزها، ليس في التيار الجهادي وحسب، وإنما على مستوى تنظيمات الصحوة كلها.

ثانيا - أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي:

النوع الثاني من الأخطاء والعلل التي ظهرت في أساليب عمل التيار الجهادي هي الخلل والقصور في البني التنظيمية وطبيعة الهياكل، وما أفرز من إشكاليات وعلى رأس ذلك، الإشكالية الكبرى التي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العالمية على مكافحة الإرهاب، وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهادي مع وجود تلك المشكلة البنيوية وهي مشكلة أن كل التنظيمات والجماعات الجهادية بنت بناءها على أساس أنها تنظيمات **(سرية – هرمية – قطرية)**.

١: المشاكل التي تأتت عن السرية:

كان اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً لمواجهة قوى طاغية باغية ظالمة لم يرقب فراعنتها وأعوانهم في مؤمن إلا ولا ذمة، ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ السرية في العمل الإسلامي، فهو مبدأ شرعي له أدلته وسابقاته التاريخية بدءاً من السيرة النبوية ومروراً بتجارب كثيرة عبر التاريخ الإسلامي، كما في لست معترضا عليه حركياً، لأنه كان أسلوباً إجبارياً مارسناه خلال حقبة اضطرارية كما لا يخفى، ولكني هنا بصدد

ذكر الإشكاليات الكبرى التي تأتت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقال مستويات المواجهة الأمنية إلى مستوى توحشت فيه الأنظمة المرتدة ومن ورائها من قوى الكفر العالمية، بطريقة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضرباً من الإصرار على الفشل العبثي في نهاية المطاف، فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعات المجاهدة في السرية، فقد ولد هذا لها إشكاليات في التربية والإعداد، وفي التجنيد التمدد، وفي ضعف الدعاية العامة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء.

فمعلوم من تاريخ دعوة الإسلام منذ ظهورها وعبر تاريخ المسلمين، أن منهج التربية قام أساساً على علاقة المربي بالأتباع، والتي تقوم على التماس المباشر، وهو الوسيلة الأساسية لنقل العلوم والمعارف، وشرح المنهج وتقديم القدوة والسمت والسلوك، ونقل مختلف مجالات التأثير، وهكذا كان الرسول ﷺ للصحابة، والصحابة للتابعين، وهؤلاء لتابعيهم من العلماء وورثة الأنبياء، ثم لهؤلاء بتلاميذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهذا، فكيف تتم التربية؟! وإذا استحالت التربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربي على المنهج ولا على برامج الإعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التربية على لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشرعية والفكرية والمنهجية والسياسية والإعداد العسكري والأمني..الخ، وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنية إلى أن ينقطع أحياناً، وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجهاد على مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية، فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات الإسلامية العلنية أو شبه العلنية، فكان أداءها الجهادي عالياً يتناسب مع مستويات التربية التي تلقاها أولئك الكوادر، ولكن مع انقراض الطبقة الأولى والتالية تم التالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجهاد يستهلك كوادره بالاستشهاد والاعتقال والهجرة من الساحة، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة، وغالباً ما كانت من عوام الناس ومن جيل الشباب الذي غالباً لم يسبق له أن تربي في حركة إسلامية، خاصة وأن الحركات الإسلامية من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضد اللحاق بالعمل الجهاد! لأن قياداتها لم تدخله!!

وقد تكررت هذه المأساة في كل التجارب الجهادية، إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التنظيمات إلى الاعتماد على الكوادر الجديدة غير المؤهلة تربوياً، وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتالية ميدانياً، وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثم هويتها، لعدم استمرار مشروع التربية، ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطريقة بكاملها، ولكن للأسف لم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة!

كما تفرض الأجواء الأمنية والسرية الإجبارية أجواءً لا تسمح باتساع التجنيد، فمعظم الجماعات الجهادية بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المعركة، فكونت هياكلها وجندت معظم أفرادها، ثم ابتدأ الصدام غالباً قبل اكتمال الإعداد له، نتيجة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإعداد لأولى، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجة تفاقم الأزمات، حيث يجد التنظيم الجهادي نفسه مجبراً إما على دخول المعركة

والاستمرار في الإعداد والبناء من خلالها، وإما على أن تصفيه الحملات الأمنية دون مقابل، فيدخلون المعركة، ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء، ويحتاج التنظيم للتجنيد، ويحتاج التجنيد للدعاية والحشد والجمهور، كما يحتاج حتى يكون محكما لرصد العناصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها، ولكن السرية والمشاكل الأمنية لا تسمح بهذا فيضعف التجنيد وتقل الأعداد، ويتحول التنظيم بعد تقطيع أوصاله إلى خلايا عصابات متفككة تستهلكها المعركة شيئاً فشيئاً، إذا لم ينجح التنظيم في تطور حرب عصابات ينقلها من مرحلة إلى أخرى حتى يتسع التجنيد، ولكن الذي حصل في كل التجارب السابقة بلا استثناء، أن إعداد الكوادر الجهادية والأعضاء كان قليلاً، ولم يتمدد نتيجة أسباب كثيرة، أهمها الإشكال الأمني وأسلوب السرية، وعلى سبيل المثال لم يتجاوز عدد المجاهدين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن ١٥٠٠ مجاهد عامل، هذا غير الأنصار، في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء ١٢ مليون نسوة، وفي مصر لم يزد تنظيم الجهاد عن ٢٠٠٠ عنصر، والجماعة الإسلامية ربما عن ضعف ذلك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد، هذا من أمة كانت تعد أكثر من ٦٠ مليون نسمة، وفي ليبيا، لم يزد عدد المجاهدين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاته محدود لم يبلغ الـ ٤ مليون نسمة، وفي بعض البلدان كتونس، لم يجاوز العدد خانة العشرات وهكذا..

وإما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور، وانعكاس ذلك على ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الذي يقوم أساسا على الإتصال بالجماهير بالوسائل العلنية.

٢: المشاكل التي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنية:

بنيت جميع التنظيمات الإسلامية السياسية والجهادية وما شابها بأسلوب هرمي، فغالباً ما تبدأ الدعوة بأفراد قلائل، يحددون أسس منهجهم وأهدافهم، وبرنامج عملهم، ويبايعون واحداً منهم أميراً عليهم، فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه، وهكذا يبدأ رأس الهرم، تستمر عمليات التجنيد والحشد، ويكون كل واحد من هؤلاء مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة، ويتتابع النظام، وهكذا يتشكل من المجموع ما يعرف بالهرم التنظيمي.

إن هذا الأسلوب في البناء الحركي يتمتع بصفة القوة من حيث الإحكام والسيطرة، لأن الأوامر تصدر والبرامج تقرر، وتنزل من الأعلى للأسفل، ثم تتابع بعض الطريقة، وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضعف الأمني، وبعدم صموده للمواجهات الأمنية الاستخباراتية خصوصاً بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحكومات الطاغوتية، ثم قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهادية استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنفسي، وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير لاستخراج المعلومات! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها، أو بالإضافة عليها

لإرضاء الذئاب الضارية من الجلاديين المتحفزين لانتزاع ذرات المعلومات من قعر ذاكرة المعتقل، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك.

وهكذا كانت في كل التجارب، عدة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعان ما تعمم على أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال، وتعاد الكرة ثم تعاد، لتشتمل الحملة الأمنية الجسد الأعظم من التنظيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التنظيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ، الذي يحتوي سائلاً سيؤدي ثقبه من أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر، ولقد حاولت التنظيمات الجهادية التي خاضت مواجهات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية، حيث يستقل العناصر العاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عبر وسائل الاتصالات معالم الهرم الرئيس مرة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد، وأدى هذا لاسيما حيث لم توفر معظم البلدان طبيعة جغرافية وعرة تمكن من تحصن القيادات التنظيمية فيها لإدارة أعمالهم، وحتى مع توفرها اضطروا للاتصال بالخلايا العاملة التي عملت أيضاً بنفس الأسلوب، ثم اضطرت التنظيمات الجهادية مثلها مثل كل العصابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة، حيث وفرت لها بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها، ولكن التعاون الأمني كما سبق وبينا، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدولي، ضيق ثم الغى تلك الملاذات، ولم تحل المشكلة الهرمية مع عمليات البطش والتعذيب والخطف والتسليم، وأدت إلى تآكل التنظيمات للأسباب المجتمعة مما وفر في النهاية كل عوامل الاضمحلال والتفكك..

٣: مشكلة القطرية:

معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية والجماعات المكونة للتيار الجهادي التي عملت خلال الصنف الثاني من القرن الماضي قطرية في ميدان عملها وأهداف حركتها، وذلك نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والواقعية التي كانت سائدة قبل تفشي العولمة في كل مناحي النشاط البشري ومنها الجماعات الجهادية ذاتها.

وقد كانت قليلة تلك البلدان التي تتوفر على مساحة واسعة تساعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السكان واتساع الحدود والمنافذ بحيث تتوفر لها العوامل المختلفة لإيجاد معطيات حرب عصابات جهادية يمكن أن تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح، فقد فتت مخططات التجزئة التي قام بها الإستعمار الغربي خلال الحملات الصليبية الثانية العالم الإسلامي والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصادية.

ولكن التنظيمات الجهادية رسمت عملها في حدود مواجهة الطاغوت الخاص بها ضمن السياح الذي نصبه سيكس وبيكو مطلع القرن العشرين، وهكذا وجدت معظم التنظيمات الجهادية نفسها أمام معطيات

لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عصابات متكاملة في غالب البلدان، فماذا يعمل تنظيم جهادي على مستوى البحرين أو قطر أو تونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا، ضمن المعطيات القطرية؟! وحتى تلك الدول الكبيرة كمصر والسعودية، لم توفر لها المعطيات القطرية العوامل الكافية لنجاح مواجهات سرية منظمات هرمية في حدود القطر، وكانت النتيجة النهائية نتيجة تضافر الأسباب متناسبة مع هذه المعطيات، وصفيت كل تلك المحاولات بلا استثناء عبر ٤٠ سنه ومن خلال عشرات التجارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسية من مشاكل البنية والهياكل، كان هناك إشكالات بنيوية أخرى من أهمها.

٤ - مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا، اضطرت القيادات الرئيسية للتنظيمات، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهجرة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنية، واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عن مواقع قضيتهم، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتصالات الخارجية، المراسلين، الهاتف، الفاكس! وأوجدت هذه الطريقة مقاتل للتنظيمات، ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها.

كما أوجد هذا تلقائياً قيادات ميدانية عاملة عسكرية، وتحولت القيادات الخارجية إلى قيادات سياسية وإعلامية وسرعان ما خلق هذا الواقع مشاكل لا تعد ولا تحصى، ولقد شهدت بنفسي عدداً من التجارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهادية وكانت (الثورة الجهادية في سوريا) التي عايشتها من الداخل نموذجاً على هذه المشكلة، فقد استقرت القيادة السياسية للإخوان المسلمين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا، وراحت تضع الخطط والبرامج لواقع سياسي وعسكري وأمني داخل سوريا، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير، وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ، ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف، ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظين: البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج، والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

كما شهدت عدداً من القضايا الجهادية من خلال احتكاكي بأصحابها وقياداتها في عدد من الدول العربية، وقد وجدت لديهم نفس المشكلة، لقد كان على تلك القيادات أن تتحول إلى رموز شعبية تحرك الجماهير وقيادات سياسية إعلامية، تاركة المجال للعمل العسكري والقرارات الميدانية للقيادات الميدانية، ولكنها تشبثت بتفاصيل القرارات، ولم تثق بقيادات ميدانية شابة، وكان لديها الحق في بعض الحالات، ولكن هذا لم يلغ مشاكل لم تجد حلاً، وكانت بسبب طبائع الأشياء لتنظيمات تعمل بتلك الأساليب في تلك الظروف

٥- مشكلة التمويل:

كانت التنظيمات الجهادية محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات، وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية، فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية، وولد هذا إشكاليات كبيرة، ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد

الاحتياجات التي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكرية والأمنية، واحتياجات أسر الشهداء والمطاردين والأسرى...إلخ.

فقد اعتمدت التنظيمات الجهادية إما على دعم جماعات وتنظيمات سياسية دخلت المواجهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحرب نتيجة غبائها وطغيانها (كما حصل في سوريا)، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشباب ويستشهد المجاهدون، وستحتاج لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة التي لم تنهار في نهاية المطاف!

وإما اعتمدت التنظيمات الجهادية على دعم بعض الجماعات الإسلامية من أقطار أخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجهاد في غير بلادهم غالباً كما كان حال معظم المحسنين للجماعات الجهادية من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التعاون الخليجي ولاسيما السعودية والكويت!

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحكومات والأنظمة ذات الأغراض الخاصة في ذلك الدعم.

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهادية للعمل تحت شعار لله يا محسنين، ولكن المحصلة أن برامج تجفيف المنابع، وعدم انتظام تلك المنابع حتى قبل قيام هذه البرامج، سار بالتنظيمات التي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا، وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للفشل.

٦- مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات التي رافقت العمل في معظم التنظيمات الجهادية، وأدت في كثير من الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التنظيمات وتفشي الظاهرة التي أسميتها (التنظيمات الأميبية) التي تنقسم وتنقسم وما تلبث أن تنقسم..

فقد اعتمدت أكثر التنظيمات الجهادية مبدأ الشورى غير الملزمة، حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع على آراء قياداته ومعاونيه، واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما، وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كل طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط، وقد تلاقت بعض التنظيمات الجهادية هذه الإشكاليات بجعل الشورى على نوعين؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجية العامة والهامة، وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات، ولكن كل هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنية وتشرد قيادات التنظيمات الجهادية إما في مخابئ داخل بلادها، وإما في مختلف الملاذات في دول مجاورة علناً أو سراً، حيث آل الجميع للاختفاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى، وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة، متوكلين على الله في ظروف بالغة المأسوية، وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات الضرورات الأمر الواقع، وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجباري على كافة الأصعدة.

٧- مشكلة ضعف لأمن الداخلي في التيار الجهادي:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شكل عصابات تعمل بأسلوب أمني، هو مبدأ ونموذج عمل وافد على المجتمعات العربية والإسلامية التي عملت بسبب مكوناتها التاريخية والاجتماعية بطرق تقوم كلها على أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الذي اضطررنا إليه اضطراراً نتيجة القمع، فالمجمعات العربية والإسلامية مجمعات مفتوحة، تعتمد التربية فيها على التماس مع الجمهور، ويعتمد الحشد فيها على الخطابة والجهر بالدعوة والتأثير في الناس، وتتناقل الأخبار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة، وجب إشاعة الأخبار موروث اجتماعي قديم، والمواجهات العلنية والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تاريخي وحضاري، وهدر الوقت، وحرية الحركة، وحضارة البداوة والعفوية، ما تزال تطبع مجمعاتنا رغم التحولات الصناعية والمدنية.

فأسلوب التخفي والعصابات والسرية، وطريقة عمل المافيات، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة والأوامر الصارمة الموجزة، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات، وعقوبة المخطئ، بل وتصفية المفسد في نظام عمل العصابات، كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجمعاتنا، ولم تستطع التنظيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جداً ضمن تنظيمها، وطبعت الصفات الاجتماعية العامة والعلل الموروثة عمل تلك التنظيمات وأدت إلى كوارث نتيجة عدم الانسجام مع هذا الأسلوب.

وكان على رأس تلك الإشكالات انعدام الحسن الأمني، وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب، وقد لاحظت أن معظم المجاهدين الأبطال الذين عرفت الكثيرين منهم، ورأيت أداءهم الرائع في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان، كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكل إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنية بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة، وعدم دقة الحركة، وعدم احترام أمن الاتصالات المختلفة، من الحركة والهواتف والفاكسات، والإنترنيت من بعد، وسوى ذلك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها ودمرت كثير من الخلايا على مر مختلف التجارب، حتى كدت أجزم بأن هذا الأسلوب لا يناسب قومنا، وأن علينا أن نجد لهم أسلوباً يفجر طاقاتهم بحسب إمكاناتهم وطباعهم ولا يحتاج أساليب لم أر كثيرين استطاعوا أن يعملوا بها ويأخذوا بأسبابها.

ثالثا - أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء على التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تعالى أعلم فمن ذلك:

١- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخلية وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحياناً.

٢- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصحوة الإسلامية أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوناتها السياسية أو الاجتماعية دون ضرورة لذلك، معارك جانبية من قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسياسية وعدم التحكم في وحدة اتجاه المعركة تجاه العدو الأساسي المتمثل في الحكومات الطاغوتية والصائل الخارجي المتحالف معها.

٣- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحكومات الأمنية تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل، والعدل والظالم، هو من مخزون الأمة، ولم تعجز الحكومات عن الزج بأبناء الشعب من قوات الأمن والجيش ومعظمهم إما من الجهلة أو المكرهين، في هذه المعركة اللامتناهية، فيما بقيت قوى ومصالح الصائل الخارجي سليمة لا يهم فيها أن تستهلك تلك المعارك أبنائنا السنين الطوال، فضار اللعب في ملاعب حددها العدو الأكبر وبطرق رسمها هو وحقق فيها أهدافه، واستنزف الجهاديون قواهم فيها دون جدوى.

٤- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمواجهة، يمكن حشد الناس عليها ضد الحكومات التي يواجهها الجهاديون، واقتصر الموضوع على تفاصيل الحاكمية وشعاراتها، وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح، وتصدي علماء السلطان له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم، حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم، وأننا مجموعة خوارج، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون، ولم يتمكن الجهاديون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صراع شعبية سهلة الفهم تثير تأييد العامة، فقد كان هناك مواضيع هامة جداً من الممكن تعبئة الشعوب بها حول الجهاديين، من قبيل مشاكل الجوع والظلم، وهدر الكرامات واحتلال المقدسات، والنهب الاستعماري، والاحتلال السياسي والاقتصادي، إلى آخر ذلك من الشعارات التي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصحوة السياسية استغلالها وتحولوا لتيارات شعبية، وكلها مسائل شرعية في أساسها ويمكن طرحها بأسلوب إسلامي وجهادي، ولكن الجهاديين وخاصة بعد تداخل المعطيات الفكرية للتيار المسمى (سلفي!) في منهجهم اختاروا الطرح الأحادي لمشاكل الحاكمية والولاء والبراء، وهي مواضيع كما أسلفت تحتاج لفهم النخبة ويصعب على العوام هضمها.

٥- أسلوب خطاب أكثر الجهاديين لم يكن شعبياً، فقد كانت وسائل الاتصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً، فقد اعتمد الجهاديون على المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات محدودة جداً، ولم يكن لكثير من الجماعات الجهادية رسالة إعلامية أصلاً، بل إن كثيراً من شعوب بعض الدول لم تكن تعرف عن الجهاديين فيها شيئاً ولا لما ذا يقاتلون ويستشهدون وما هي أهدافهم.

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع الفكر السلفي غير الجهادي، بالاستعلاء والقسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية، وما يثير الرحمة والشفقة والتعاطف، واعتمدوا نبذ الناس م ومفارقتهم في كل شيء مما عزل الجهاديين وساعد الحملات الإعلامية على رسم صورة كاريكاتورية منفرة للشخصية الجهادية أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً.

رابعا - أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أخرى في أسلوب عمل التيار الجهادي:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة على غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

١- افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فسيدون ثغرة التربية والفتوى والكتابة والتوجيه، ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة، مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالإسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاها أو علم، فما من مسلم إلا وعنده علم.

٢- انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات، حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

٣- انخفاض مستويات التربية العبا دية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجهاد من الشباب، وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التجمعات الجهادية، وكان يمكن أن يلاحظ الفارق الهائل من عاش جيل الجهاد الأول وكتب الله أن يرى تلك النوعيات من متأخري الجهاديين.

٤- تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي، ومعظم مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب، تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين.!

٥- اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على برامج التدريب العسكري شبه المحض، حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج، رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية، فقد اعتمد الغالبية (التربية الإنكشارية) وثقافة المدافع على الطريقة العثمانية، وساهمت تلك الطريقة ومن أشرف عليها بزراعة الجهل وتخريج عينات لا تنتمي إلى التيار الجهادي الذي عرفناه قبل عقدين من الزمن، إلا بالعاطفة والحماس والإخلاص الذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج فضائله هذه،

٦- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة، من المطاردات والقهر والكبت والظلم، وعلل الصحوة الإسلامية وبلاء علماء السلطان، وطغيان الحكومات، وغزوات الأعداء الخارجين، وما يجري في الأمة من نكبات، مع إعراض أكثرها عن دينهم، أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل، وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، أن الفجوة بين هذه النماذج

ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها، ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة.

٧- تفشى روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع، وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كل تجمع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيات والتأهيل عن النخبة المحدودة بالدائرة الأولى في بعض التجمعات الجهادية،

٨- تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف، وتدني القدرة على إصلاح الخلل داخل التجمعات الجهادية إلا في دائرة محدودة جداً، وانعدام تحقق الشورى في الأوساط العامة، وانحصارها بالنخبة في معظم التجمعات، على عكس ما كانت عليه في السنة النبوية ومنهج السلف الصالح.

٩- تفشي ظاهرة (المجاهد على كيفه) في المتأخرين من الجهاديين، وهذا من آثار منهج (هم رجال ونحن رجال)، خاصة في أفغانستان في شوطها، لا مذهب، لا جماعة، لا أمير، لا منهج، لا ضوابط، حر مطلقاً، لا منتمي، متمرد لا يمكن ضبطه، ولا مرجع لديه.

١٠- تفشى ظاهرة جهاديين لم يجاهدوا!! ومع ذلك تصدروا كرموز وموجهين ومفتين للجهاديين..! وظهور ذلك في أوساط اتباع وأنصار للتيار الجهادي متعصبين جداً لمنهجه ورموزه بالكلام، ولكن لا يجاهدون بالفعل، وخاصة في أوساط الصحوة في بلاد الغرب، وأوساط أخرى.

١١- تفشي ظاهرة من أرادوا الإعداد ولم يريدوا الخروج! على عكس من لو أرادوا الخروج لأعدوا له، ولكن هؤلاء أعدوا ولم يخرجوا! آلاف المتدربين بلا فائدة، لا يمكن معرفة مصيرهم بعد أن تلقوا ارفع التدريب، وسبب ذلك أنهم تدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يزرع فيهم أي عقيدة قتالية.

١٢- العمل لحساب الآخرين في قضايا تقاطع المصالح الدولية والإقليمية وعدم قدرة القيادات المرحلية على صناعة مشروع ذاتي، كما حصل في تجربة أفغانستان الأولى، وتجربة البوسنة.

١٣- نسيان الأسرى: وهذه من كوارث التيار الجهادي، فقد تراكم الأسرى بالآلاف في سجون الطواغيت، وفيهم العلماء والدعاة وكبار الإسلاميين وقادة المجاهدين وخيرة كوادرهم، ثم تراكم مئات الأسرى في سجون أمريكا والدول الغربية كذلك، ولم يبد التيار الجهادي أي حراك في اتجاه القيام بعمليات تهدف إلى سراحهم!! وكأنهم نسيا منسيا.

١٤- فقدان القدرة على (الردع) ردع مختلف صنوف الأعداء حتى آل أمرنا لأن نكون مرهوبين رغم أنهم يسموننا إرهابيين!

وهكذا..

طويت مرحلة تاريخية هامة من مراحل أهم مدارس الصحوة الإسلامية وأكثرها أثرا في واقع المسلمين، وهي مدرسة التيار الجهادي، التي استغرقت تجاربها وعطاءاتها زهاء أربعة عقود من الزمن، وقد حاولت في هذين الفصلين السادس والسابع، أن أسجل خلاصة مسارها وخصائصها، ودروس تجاربها، وعرضت

لخلاصة حصادها الإيجابي وإنجازاتها العظيمة، وكذلك عرضت للأسباب الداخلية والخارجية التي أدت لفشل تلك المحاولات في الوصول لأهدافها في النهاية بقدر الله.

وباختتام هذا الفصل ينتهي الجزء الأول من هذا الكتاب الذي تعرض لجذور ما نعيشه من أحاث، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأمة من تجارب الصراع مع الروم، بلاء هذه الأمة ومحنتها الأزلية.

وخلاصة مسار صحوتها الإسلامية والجهادية وما حفلت به من تجارب وعبر، تجب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحادي والعشرين، ونلج عالم ما بعد سبتمبر، عالم الحملات الصليبية الصهيونية الكبرى على عالمنا الإسلامي الكبير..

هذا القرن الذي يريدونه أمريكيا صهيونيا، حيث تداعت علينا الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق..

هذا القرن الذي علينا أن نفتتحه بإطلاق المقاومة الإسلامية العالمية لهذا الصائل على الدين والمقدسات والأنفس والأعراض والأموال، وكل مقومات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه المقاومة التي لا تنطلق على هدى وبصيرة، بغير معرفة جذور هذا الصراع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته..

هذه المقاومة التي يجب أن تنطلق على أسس من الهدى والبصيرة والأسس المتكاملة، التي تبني على ما مضى من عبر ودروس، وتنطلق وفق ما يناسب المرحلة من منهج وأساليب، في ضوء ثوابت هذا الدين والعقيدة الجهادية القتالية لهذه الأمة، وأسس منهج حركي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف، وهو ما سأحاول أن أضع على طريقه بعض المعالم في الجزء الثاني من هذا الكتاب والله الموفق وهو الهدي إلى سواء السبيل.

الفصل الثالث

مراحل تبلور ونضوج أفكار هذا الكتاب

تعريف بمراحل تبلور ونضوج أفكار هذا الكتاب

لقد تأجلت كتابة هذا البحث رغم عزمي على ذلك مرات عديدة، ولعل في قدر الله بذلك التأخير خيراً، ولعل من هذا الخير، أن الهجمة العاتية التي تقودها أمريكا وحلفاءها ما يعين القارئ المسلم على فهم أكبر، وقناعة أوضح بالأفكار وبرامج العمل، ودعوة الجهاد والمقاومة التي ندعوه إليها في هذا الكتاب.

ولعل من آفاق الخير في تأخير إخراج هذا البحث أيضا، أن تنضج تلك الأفكار بعد أن أدت شواهد حملات أمريكا وحلفائها على المسلمين قاطبة، وعلى الصحوة الإسلامية خاصة، وعلى المدافعين عن هذه الأمة من أبنائها المجاهدين على وجه الخصوص، إلى ازدياد القناعة لدينا بضرورة شراسة المقاومة، التي تفرضها وحشية الهجمة البربرية العاتية،

ولعل من الخير أيضا في ذلك التأخير، أن يتم إخراج هذا الكتاب من خلال أتون المحنة التي نعيش ذروتها هذه الأيام، ونحن نعيش مرحلة المطاردات والمخابئ، وقمة المواجهة مع أمريكا وحلفائها.

أما عن مراحل تبلور أفكار هذا الكتاب، فمن المفيد في فهمه ذكر تسلسلها.

فقد تم ذلك على مراحل متدرجة على مدى أربعة عشر عاما، ما بين أواخر عام ١٩٩٠م إلى أواخر عام ٢٠٠٤م.

وأما صياغته الأخيرة فقد بدأتها مطلع سنة ٢٠٠٢م، وانتهت أواخر سنة ٢٠٠٤م.

وقد كانت خلاصة تلك المراحل الفكرية على الشكل التالي:

- **المرحلة الأولى:** بيشاور (١٩٩٠م - ١٩٩١م)
- **المرحلة الثانية:** مدريد (١٩٩١م)
- **المرحلة الثالثة:** لندن (١٩٩٦م)
- **المرحلة الرابعة:** أفغانستان (١٩٩٧م - ٢٠٠١)
- **المرحلة الخامسة:** باكستان (٢٠٠٢م – ٢٠٠٣م) تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١م
- **المرحلة السادسة:** احتلال أمريكا للعراق والحملة الصليبية الصهيونية على الشرق الأوسط (٢٠٠٣م – ٢٠٠٤م)

المرحلة الأولى:

بيشاور (١٩٩٠م - ١٩٩١م)

- كان جمع المجاهدين العرب الذي حضرته ما بين (١٩٨٧-١٩٩٢م) في أفغانستان والمناطق الحدودية الباكستانية، ولاسيما عاصمتها بيشاور، قد بلغ ذروته عام ١٩٩٠م، وحوى بكل تأكيد كامل طيف الصحوة الإسلامية، ولاسيما العربية بمدارسها المختلفة، وشهد ذلك الجمع ما يمكن وصفه بالزلزال الفكري والنفسي على مستوى المجاهدين العرب خاصة، وذلك بنزول قوات التحالف الدولي بزعامة أمريكا في جزيرة العرب تحت ستار ما سمي بتحرير الكويت، والذي بدا بكل وضوح أنه مجرد ستار هش لحملات صليبية عاتية جديدة، تقودها أمريكا وأوروبا الغربية واليهود، على عقر دار الإسلام في الشام والعراق وجزيرة العرب، لقد عصف ذلك الزلزال بكامل الأمة العربية والإسلامية، وبصحوتها الدينية السياسية التي كانت تعيش ذروتها منذ انطلقت قبل أكثر من نصف قرن، فقد دخل النصارى هذه المرة بلاد الحرمين، وأحاطوا بجزيرة العرب - عقر دار الإسلام - برا وبحرا وجوا، وأنزلوا فيها زهاء مليون جندي، كان أكثر من نصفهم من الأمريكان، ونحو عشرين بالمئة منهم من الإنجليز، وكان نحو عشرة في المئة من دول الناتو – أوربا الغربية - وتشكل الباقون من نحو ٣١ دولة، وكان لبعض الحكومات العربية والإسلامية مثل السعودية ودول الخليج والباكستان وتركيا وسوريا ومصر والمغرب، وغيرها نصيبا لا بأس به من المشاركة أيضا، وليس هنا محل الاستطراد الذي أطنب فيه العلماء والكتاب والصحفيون، مما لم يدع مجالا للشك، بأن الأمة الإسلامية ومقدساتها وثرواتها ولاسيما النفطية، هي المستهدفة في موجة احتلال صليبي يهودي عسكري مباشر، احتلال يهدف في النهاية إلى القضاء على الوجود الحضاري للمسلمين بشكل كامل.

- تبع ذلك الزلزال وخلال أشهر قلائل، وفي مطلع عام ١٩٩١م موجة زلزلة أخرى باستعلان مشاريع السلام مع اليهود، لبيع ما تبقى من فلسطين وبيت المقدس تحت مسميات باطلة أخرى، من مشاريع الصلح والتطبيع والسلام بين العرب واليهود، تلك الموجة التي انطلقت من مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وشاركت فيه إسرائيل مع دول الطوق العربية (مصر – سوريا - الأردن - لبنان) بالإضافة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبحضور دول عربية أخرى على رأسها السعودية، حيث دعمت معظم الدول العربية والإسلامية تقريبا ذلك المسار الاستسلامي الخياني.

- كان من أهم أثار ما تمخض عنه ذلك الزلزال السياسي من أثار مدمرة، أن شعوب الأمة العربية والإسلامية، وخاصة الصحوة الإسلامية، صحت على الزلزال وقد كشف بشكل فاضح عن حقائق غاية في الخطورة، يمكن إيجازها بما يلي:

أن الأمة الإسلامية تتعرض لهجمة احتلال عسكري مباشر من أجل السيطرة على مقدساتها: (مكة – المدينة – القدس)، ومن أجل فرض احتلال اليهود لفلسطين، ومن أجل استلاب النفط – بيت مال المسلمين – ومن أجل فرض احتلال غربي ثقافي واجتماعي، بعد أن رسخ الاحتلال السياسي عبر الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية، وتوج بالاحتلال العسكري الذي انطلق مع حرب عاصفة الصحراء (تحرير الكويت)، هجمة تقصد الأمة من أقصاها إلى أقصاها، لإخضاعها للشعار العريض الذي أطلق تحت مسمى (النظام العالمي الجديد)، والذي يعني باختصار: **إخضاع الأمة للإرادة اليهودية الصليبية بزعامة أمريكا**.

أن كافة حكومات الدول العربية والإسلامية، **ودونما استثناء**، قد شاركت أو أيدت تلك الحملة، وقام الحكام المرتدون الذين رسخوا أنظمة الكفر في بلادهم، بتقديم كافة أشكال الدعم والعون والخدمات اللوجستية لقوى الاحتلال برا وبحرا وجوا، ودعموها عبر أجهزة إعلامهم، بل لقد قام كثير منهم بالمشاركة العسكرية فعليا أو رمزيا لإثبات حضورهم وانتمائهم لهذه الحملة على الإسلام والمسلمين، لتثبت تلك الحكومات أنها جزء أساسي من هذا النظام العالمي الجديد في محاربة شعوبها ودينهم الحنيف، وفي خيانة قضاياها وبيع ثرواتها وتسليم مقدساتها.

تبين أن عموم الهيكل الديني في بلاد المسلمين، ممثل بالعلماء المستقلين من جهة، أو بقيادات الصحوة الإسلامية وأحزابها وجماعاتها من جهة أخرى، **عبارة عن هيكل مفلس منهار**، لا يصلح بحال لمواجهة هذه الهجمة،بل الأنكى من هذا أنه قد تبين أن معظم من يسمون علماء أهل السنة وأعلامهم المتبوعين وفقهاءهم المرموقين قد انضموا للحملة الإعلامية لهذه الحملات الصليبية، فأسبغوا عليها الشرعية وجوزوها، بل اعتبر كبار المنافقين منهم أن قدوم الأمريكان إلى جزيرة العرب من أكبر نعم الله على هذه الأمة وأنه يستأهل سجود الشكر!! كما عبر عن ذلك (الشيخ أبو بكر الجزائري) عضو هيئة كبار (العملاء) في السعودية!. فمسخوا حقيقة الصورة، ليحولوها من صورة احتلال صليبي يهودي للمسلمين، إلى صورة نصرة مشروعة من دول صديقة إسلامية وغير إسلامية، لدولة التوحيد(السعودية)، وحكومة الكويت (الشرعية)، التي أطاح بها عدو كافر غاشم، باغ على الدماء والأموال والأعراض (العراق)، وبهذا صدر البيان الختامي لما سمي مؤتمر مكة (١٩٩١م) والذي دعت إليه الحكومة السعودية نحو ٤٠٠ عالما، هم كبار علماء العالم الإسلامي، وزعماء ما يسمى بالصحوة الإسلامية!! وممن كان فيهم ووقع على هذا البيان الختامي: هيئة كبار العلماء بالسعودية، وشيوخ الأزهر من مصر، وما يعادلهم من العلماء ووزراء الأوقاف والشؤون الدينية والجمعيات الدينية الرسمية وغير الرسمية لكافة دول العالم العربي والإسلامي، وكذلك معظم رؤوس ورموز الحركات الإسلامية، من الإخوان المسلمين، والجماعات السلفية والصوفية

والتبليغية والإصـــلاحية، وقد صــدر بذلك بيان وقع عليه ما يقرب من ٤٠٠ عالم وقائد ورمز إســلامي! كما أصدرت معظم تلك الجماعات بيانات خاصة بها دارت في فلك هذا الفقه الاستعماري الأمريكي الأخرق!! ولم يشذّ عن هذا البلاء إلا نوادر من رموز الصّحوة ممّن عصمهم الله، وكان من تبعات ذلك؛ أن تصدر الفتاوى من كثير من هَؤُلَاءِ العُلَماء بحرمة **الاعتداء**! عَلى هذه القوَّات الغازية لنا، واعتبارهم **مستأمنين** شرعاً، واعتبار كلّ من يجاهدهم، **معتدين** عَلى ذمّة المُسلِمِين، مفسدينَ في الأرض، عقابهُم في الدُّنيَا: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، بل زعموا أنّ المعتدي عَلى هَؤُلَاءِ **المعصومين** شَرعاً (القوات الأمريكية والصليبية) لا يروح رائحة الجنة.!!! وبهذا صدر بيان بالإجماع عن هيئة كبار العلماء في السعودية إثر انفجاري (الرّيَاض) و(الخُبَر)[1] الّذَين استهدفا جنوداً أمريكان بعد حين.

تبيّن وللأسف، أنّ الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديَّة المُسلّحة الّتي رفضت ذلك الواقع ودعت إلى جِهَادِ الأمريكان وحلفائهم، كانت بحكم واقعها الحَرَكيّ وضعفها وتشرّدها عن بلادها، أعجز من أن تقدِّم حلًّا لهذه الطّامّة الماحقة الّتي نزلت في بلاد المُسلِمِين، واقتصرت مواجهاتها للأمريكان عَلى بيانات محدودة الانتشار في بلاد المهجر، بعيداً عن الأُمّة، فقد كانَ موقف قياداتها ورمُوزها واضِحاً، ويُمثّل الحقّ، ولكنّه كانَ موقفاً عاجزاً مقهوراً بعيداً كلّ البعد عن دائرةِ الفعلِ والتّأثيرِ، أو الأهليَّة لقيادة المُوَاجَهة.

تبيّن أخيراً ونتيجةً لهذه الأحوال، أنّ الأُمّة الإِسْلَامِيَّة وشعوبها قاطبة ونتيجةً لفساد مقوّمي الصّلاح في الأُمّة (العُلَماءُ، والأُمَرَاءُ) مُغَيّبَةً عن الحدث، تماماً كما رُوي في الأَثَرِ: «صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَدَ النّاس، **العُلَماءُ والأمراءُ**»[2]، وأن الأمة وقد كفر معظم ملوكها ورؤسائها وأمرائها، ونافق أكثر علمائها، مدعوة لدخول تيه عظيم أكبر من الذي هي فيه، ولأن حكامها المرتدين صاروا في حلف العدو، ولأن أغلب علمائها وقادة حركاتها الإسلامية قد توزعوا، إما في متاهات النفاق أو في جحور العجز، وأن العدو يقف في موقع ما وصفه الشاعر بقوله:

لا يُلام الذّئبُ في عُدوانه ... إنْ يكُ الرّاعي عدوّ الغنمِ

فقد تبين أن شعوب المسلمين مغيبون تماما عن واقع ما يدور بهم، وما يخطط لأمتهم، وأن عامتهم غارقون إلى آذانهم في سعيهم لدنياهم، وتمرغهم في مراغة ملذاتها، وأن العدو عازم على استكمال سلب ما تبقى لديهم من دينهم وفتات دنياهم، وعمومهم في غفلتهم معرضون، وأن الواعين منهم لما يدور، يعضون

(١) تفجير الرياض: حصل في ١٣نوفمبر ١٩٩٥م بسيارة مفخخة داخل تجمع سكني للأمريكان الصليبين، وتفجير الخبر: حصل في ٢٥يونيو ١٩٩٦م بسيارة مشحونة بالغاز والمتفجرات داخل تجمع للأمريكان في الخبر.

(٢) أثر مرويٌّ معناه عن ابن المبارك وغيره من السلف، ورواه أبو نعيم في [الحلية] عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير بهذا اللفظ، ورمّز له السُّيُوطي بالضَّعف، ونقل المناوي في شرحه [الجامع الصغير] عن الحافظ العراقيّ أنّه ضعيف، وذكر الألباني أنَّه موضوع؛ لأن في إسناده محمد بن زياد اليشكري، وهو كذاب، قاله أحمد وابن معين، ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

أصابع الغيظ والقهر والحزن على ما يحل بالأمة، ويشكون إلى الله أنهم من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

وسط تلك الزلازل، وتتابع الأخبار والتحليلات على ما جرى ويجري، وما يتوقع له من نتائج في غضون السنين القادمة، بدأت تتولد عندي بدايات هذه الأفكار.

لقد كانت تلك الظروف دافعة لي على التفكير فيما يجري وأبعاده وطرق مواجهته، وكان واضحا من استعراض طيف الصحوة والحركات الإسلامية والجهادية والفكرية وسواها التي تعرّفت على من لم أكن أعرفها منها في مرحلة الجهاد الأفغاني، أن جلها أو كلها قد اتخذ برامج ومناهج وأهدافا بعيدة كل البعد عن مواجهة الأزمة القادمة.

فبرامج الإخوان وأشكالهم تحوم حول فكرة البرلمانات وكسب المقاعد الانتخابية، وإيجاد قاسم مشترك مع الحكومات، والبحث عن مواقع لا تتصادم مع الغزاة الجدد للمنطقة، مخططات للإصلاح الجزئي المرحلي، تدور كلها في فلك القطرية بحسب انتماءات تلك الأحزاب وبلادها، وقد تداخلت فيها مصالحهم الشخصية والحزبية مع مصالح الدعوة والإسلام تداخلا يصعب على غير الله تبارك وتعالى تمييزه!!.

والتيارات والجماعات والرموز السلفية ومشايخها وحركاتها ومجلاتها تصب اهتماماتها على قطاع العقائد والجدليات العقدية والفقهية، وتبدو وكأن مشاكلها التي تعود لمعارك الحنابلة مع (الجبائي) و(المعتزلة)، أقرب لاهتماماتها من بحث قضية الغزو القادم، ومسائل كفر الحاكم، وقد وجدت لنفسها بدورها مجالا للنشاطات المختلفة لا تثير حفيظة الحكومات، ووجدت لنفسها موطئا بعيدا عن الصدام ولو مرحليا، وقد اقتنع قطاع كبير منها بفكرة البرلمانات والمرحلية الدعوية بعد أن كان بعضهم قد كفّر الإخوان على ذلك.

أما أصحاب الانتماء لمدارس أبعد عن السياسة كالتبليغ والصوفية والمدارس التربوية والإصلاحية فأبعد بدورها بحسب بنيتها الفكرية وطبيعة اهتماماتها عن هذه المعتركات، فقد وجدت لنفسها طرقا للمسالمة مع حكوماتها ومن وراءهم.

وأما الجماعات الجهادية وهي أقرب شرائح الصحوة وقطاعاتها للتصادم مع الغزو القادم بحكم ما تربت عليه من الفكر والمنهج والتجربة والممارسات الجهادية المسلحة في بلادها ثم في أفغانستان، فقد كانت معنية أكثر من غيرها بالتصدي للتفكير والتحرك تجاه ما يجري، ولكن سرعان ما بدا واضحا أنها تعيش في تلك الحقبة ازدهارا محليا في أفغانستان جعل هموم أكثرها منحصرا في إنشاء المعسكرات وتوفير مصادر التمويل والاتجاه للحشد والتجنيد لبناء نفسها على أساس تنظيمات (سرية – وقطرية –وهرمية) هدفها التقليدي ما زال هو ذاته: (الإطاحة بحكومات بلادها.. لإقامة حكومات إسلامية على أنقاضها) وفق نفس الأسس التي طُرحت وانتشرت منذ السبعينيات وخلال الثمانينيات وإلى مطلع التسعينيات، وهي المحاولات التي قامت في دول عربية عديدة.

شعرت حينها أن الناس وتوجهاتها في واد، وأن سير الأحداث وما نستقبل منها، يسير في واد آخر..

في تلك الأيام بدرت في ذهني بدايات الأفكار التي سأفصلها في هذا البحث بعد أن تبلورت وصارت إلى شكلها النهائي.

وأذكر أني قد ناقشت في تلك الأيام بعض هذه الأفكار مع رهط ممن حولي من المجاهدين العرب في أفغانستان، ممن كان لهم تجربة في عالم الفكر والبحث والكتابة والتنظير، وبدا لي أن أفكاري تلك مبكرة، وبالغة البعد عن واقع الجهاديين، فضلا عن باقي شرائح الصحوة غير الجهادية، ولقد اتضح لي – في حينها - جملة من القناعات المبدئية، كونت أساس الفكرة، ومن ذلك:

١. **أن حرب عاصفة الصحراء هي بداية التحولات الناشئة عن قيام النظام العالمي الجديد.. وأن هذه الغزوة أبرزت العدو الحقيقي الذي كان مختفيا وراء حكوماتنا، وهم الصليبية الدولية وطليعتها دول الناتو ومن ورائها إسرائيل، وجعلتهم العدو الظاهر والحقيقي والأخطر الذي يجب التصدي له، وأن الدوران في فلك الإعداد والانخراط في معارك ومواجهات جهادية قطرية محدودة مع أنظمتنا الحاكمة لن يكتب لها النجاح والله أعلم رغم مشروعيته، لأنه يصب نهاية في مصلحة الأعداء الحقيقيين لأنه يبدد الطاقات في متاهات لا جدوى منها، بحكم ما ثبت وما مر من تجارب، وأن القاتل والمقتول في ثوراتنا الجهادية تلك كان فريسة للعدو الحقيقي، الذي وزع الأدوار.**

٢. **أن الحرب العالمية الأممية القائمة، ونظام عولمة كل شيء، بما فيه المواجهة القادمة بين المسلمين وأعدائهم الذين ظهروا من الخفاء للعلن، تحتاج لنظام مواجهة عالمي من جهتنا، عالمي في التفكير وأساليب المواجهة غير ذلك القائم آنذاك.**

٣. أن بدايات نظام مكافحة الإرهاب الذي طرحته أمريكا وأوروبا عبر سلسلة المؤتمرات الأمنية التي تلت مؤتمر مدريد في مطلع ١٩٩١م، تبدي أن المواجهات الأمنية مع الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية تنتقل إلى المجال الأمني والدولي، بعد أن شهدت تطورا من القطرية إلى الإقليمية، وأن هذا سيؤدي إلى إجهاض كافة أساليب عمل الجهاديين من الحركات والتمويل والاتصالات والنشاط وأساليب التنظيم، لأنها تعتمد على الحركة في الأفق العالمي بعد مطاردتها في بلادها.

٤. **أن المؤسسة الدينية الرسمية وقطاعا كبيرا من علمائهم ومؤسساتهم الدينية، تتجهز تلقائيا لتكون جزءا من النظام العالمي الجديد..! وبمعنى أوضح؛ جزءا من العدو بعد أن اختارت الركوب رسميا في مركب أنظمتها الكافرة التي توظفت ضمن الحملة الصليبية اليهودية الجديدة،**

حيث ستقوم هذه الأجهزة الدينية بمهمة الإجهاض الفكري والشرعي لأي مشروع مقاومة جهادية.

٥. **أن مدارس الصحوة الإسلامية السياسية الأخرى، ولاسيما الأحزاب السياسية، ببحثها عن المشاركات البرلمانية والحكومية، من خلال مواقع في منتصف الطريق مع الجاهلية العاتية المثلة بأنظمة الردة، سيؤول بها الحال لأن تكون أيضا جزءا من النظام الدولي**، وجزءا من العدو من حيث قصدت أو لم تقصد، تحت ستار التدرج، والشعارات التي لا تقنع العجماوات بجدواها ومبرراتها، لا الشرعية ولا السياسية، خصوصا بعد الصفعات التي تلقتها (الديمقراطية الإسلامية) في الجزائر وتركيا وتونس والكويت والأردن ومصر وغيرها، وأنها ستقف إلى جانب حكوماتها التي أصبحت هذه الأحزاب (الإسلامية!) جزءا من مؤسساتها الدستورية (الشرعية!)، ضد المجاهدين.

٦. اعتقدت أن التنظيمات الجهادية المتبقية أو حطامها، كتلك القادمة من مصر وبلاد الشام وسواها سواء القائمة أو التي تشرع ببناء نفسها كمعظم التجمعات والنوبات الجهادية القادمة من شمال أفريقيا، تبني نفسها على أسس متخلفة جدا عن مستجدات المعركة، وسيلتهمها لهيب الترتيبات الأمنية الجديدة لمكافحة الإرهاب والله أعلم.

و إزاء كل هذا، رأيت **أن المطلوب غير ممكن في تلك المرحلة (١٩٩٠)، في ذلك المكان (بيشاور ومعسكرات أفغانستان) وللأسف، مع أنه بؤرة تجمع الجهاد والجهاديين.**

وأذكر أني تبادلت الحوار مرة مع أحد أبرز المشاركين في مجال التأريخ والتنظير للفكر الجهادي، في ليلة مقمرة على سطح بيت الشيخ جلال الدين حقاني في بيشاور، ولاحظت بداية تولد قناعات مشابهة لديه، وقررنا الدعوة لجلسات تقييم لمسار وواقع الفكر والحركات الجهادية، من أجل استخلاص بعض الدروس، وتقييم تجربتنا في أفغانستان، وتقدير ما يستقبلها في المرحلة التالية، وفعلا عقدنا جلستين على المستوى الممكن من النخبوية، وبدا أن الكل متفق على أن عاصفة أمنية تلوح بالأفق ستهب رياحها أول ما تهب على باكستان وأفغانستان لتصفية هذا الجمع الذي يبدو أن دوره قد انتهى، لاسيما بعد أن اغتيل الشيخ عبد الله عزام، وبدت نذر الحملة الإعلامية تحول اسم المجاهدين إلى (متمردين) ثم إلى (منشقين) ثم إلى (إرهابيين)... تحت مسمى دراماتيكي جديد هو **(الأفغان العرب)**.

وأذكر أني قلت ذات يوم لأقرب أصدقائي في حينها، أني أتلمس ميلاد أفكار لتطوير نظريات عمل للجهاد أعتقد صحتها، وتوقعات مخيفة أنا متيقن من خطورتها واحتمال حصولها، ويبدو لي أنها أفكار

مبكرة لا يمكن طرحها الآن، وستفهم – لو طرحت - على أنها ش من البلبلة والإرباك الفكري للساحة العربية في أفغانستان.

وكنت أود لو امتلكت الشجاعة مطلع ١٩٩١م لجمع بعض رموز وقيادات الحركات والتنظيمات الجهادية لأقول لهم قناعاتي تلك باختصار:

أما الصحوة الإسلامية فقد أفلست، وستكون قريبا بمعظم أحزابها وقياداتها في خندق العدو، إما قناعة بعد أن انحرفت، وإما عمليا وإجبارا كي تجد لنفسها مكانا في النظام العالمي الجديد،لأن الخيار الآخر هو الجهاد والمواجهة وهم قاعدون عنه، وأما نحن - معشر الجهاديين - فأمامنا سنتين أو ثلاثة لنصل إلى طريق مسدود حركيا، وإلى التفكك الأمني عمليا، ولا سبيل لتفادي هذا المستقبل - بحسب فهمي آنذاك - إلا بالتركيز على تغيير أساليب التفكير والعمل العسكري والإعلامي والبنى التنظيمية، تغييرا جذريا شاملا، وما أظنكم بفاعلين.

لم يكن ذلك بالطبع معقولا ولا ممكنا، ولم تكن قد تكاملت عندي أبعاد نظريات التغيير المطلوبة كما أعتقد، وأرجو - أن ذلك قد حصل الآن، وبهذا سيكون مثل ذلك الكلام مجرد تبشير بالاندحار دون تقديم حلول واقعية.

والحقيقة أن ملامح الكارثة كانت واضحة لبعض من رآها، بحكم ما فتح الله ويسر عليهم من البصيرة والتجربة والفكرة، لقد كانوا أفراد قلائل، وكان معظمهم من غير المنهمكين في أطر تنظيمية تحكم طبيعة تفكيرهم، ولم تكن تلك الخواطر والإشراقات الفكرية كافية في وضوحها لتقنع الآخرين بالتفكير الجدي وبضرورة إحداث ثورة داخلية في أساليب التنظيم والعمل، لقد كان أمر الله قدرا مقدورا.

لقد ثبت مع الوقت، أن التنظيمات الجهادية والحركات والمحاولات المسلحة التي تقوم على أسس (القطرية، السرية، الهرمية التنظيمية) تسير على طريق الاندثار والفشل، لأنها لم تستوعب التحول العالمي الذي حصل بانطلاق قطار النظام العالمي الجديد، ولم تفهم أبعاده السياسية والأمنية وانعكاس ذلك عليها، ولم تكن حرارة الاندفاع وآفاق الإخلاص والتفاني لدى قياداتها وعناصرها وهم زبدة شباب الأمة في ذلك الوقت كافية لتفادي المصير الذي بدت مؤشراته لمن رآها.

ولم أستطع في حينها أن أقدم كبير شيء، اللهم إلا بعض المحاضرات في بعض المعسكرات وفي (مركز النور للإعلام) الذي أشرف عليه (الشيخ أبو حذيفة) أحد طلاب العلم من تنظيم الجهاد المصري، من أجل إعطاء دفعة فكرية في الساحة الجهادية العربية في بيشاور والتي تشكل الخط الخلفي للتواجد الجهادي العربي في أفغانستان، والذي زاد آنذاك على ٤٠ ألف مجاهد، وكان من أهم المحاضرات مما له علاقة بأفكار بحثنا هذا، محاضرة ألقيتها خلال صيف ١٩٩١م بعنوان **(المعادلة السياسية للنظام العالمي الجديد)** وكان خلاصتها: أن الصراع المقبل ستكون معادلته على الشكل التالي:

النظام العالمي الجديد × التيار الجهادي المسلح

أي: [الصـليبية وزعيمتها أمريكا + الصـهيونية اليهودية وزعيمتها إسـرائيل + الحكام المرتدون في بلاد المسلمين + الطوائف المنحرفة المعادية لأهل السـنة + الهيكل الديني الرسـمي لأهل السـنة + الحركات الإسلامية الديمقراطية من الصحوة]

×

(في مواجهة) [التنظيمات الجهادية المسلحة. وهي طليعة الأمة في المواجهة].

لقد أثارت هذه الأفكار جدلا كبيرا في حينها، ولكن وللأسـف أثبت العقد المنصرم (١٩٩٠-٢٠٠٠م) صحتها بكل جلاء.

أتبعت ذلك بسلسلة من الدروس والحوارات، ركزت فيها على ضرورة الثورة على الهيكل المنافق لعلماء أهل السنة عندنا، والذي كان يحظى وللأسف بتقديس عجيب حتى من القطاع الأكبر من المنتمين للتيار الجهادي ممن يحملون السلاح!، ولم يغير في ذلك حتى ولا وقوف أولئك العلماء العلني إلى جانب حملة (شـوارزكوف)، قائد عاصفة الصحراء، واعتبارهم أن المجاهدين له ولجنوده المارينز مفسدون في الأرض !!،

كما ألقيت عدة محاضرات في مقومات التنظيم وفي تقييم ماضي الصحوة واستشراف مستقبلها، ومشروعية نقد العلماء، وضوابط ذلك، وغير ذلك من الأفكار الجديدة،

كان واضحا أن شقة التغيير المطلوب في التفكيروالعمل واسعة جدا، وأن نتائج العدوان الجديد على الأمة وقسطا من البلاء القادم كان لازما للأكثرية حتى يساعدهم على فهم واستيعاب ما يجري.

ولقد بدأ تحقق أول ما أنذرنا به عندما هبت رياح عاصفة الصحراء على شكل إعصار أمني على الأفغان العرب في باكستان، فأخرجت معظمهم إلى بلادهم، وشردت من لا يستطيع العودة إلى بلاده في أقطار الدنيا، وخفضت ذلك الجمع من عشرات الآلاف إلى بضعة مئات من المطاردين المختفين في باكستان، ثم تتالت دفعات البلاء حتى بلغت ذروتها اليوم على تردد أصداء دوي انفجارات الحادي عشر من سبتمبر بعد عشر سنين من بدء ميلاد الأفكار التي سنعرضها في هذا الكتاب ونسأل الله الهدى والرشاد.

المرحلة الثانية:

مدريد (١٩٩١م)

هبَّت العاصفة ونثرت آلاف الّذين قدموا للجِهَاد في أفغانستان في كال أقطار الأرض، وعادت الشريحة الأكبر لبلادها لتواجه المطاردات الأمنيَّة والتحقيقات والسّجون، وتقاسمت بعض الملاذات المؤقتة أولئك المطاردين أصلاً في بلادهم بتهمة الانتماء لجماعات جهاديَّة مسلحة، فصاروا مُطاردين عَلى هويَّة جديدة تحت المُصطلح الجَدِيد الّذي أطلَقَه عليهم الغرب باسم (**الأفغانُ العَرَب**)، وقُبَيل ذلك بفترةٍ وجيزةٍ كنت قد عدت أدراجي إلى مدريد في إسبانيا، حيث كنت أقيم منذُ سنين، وهناك كتبت بحثاً يعتبر الأساس لجزءٍ كبيرٍ من أفكار هذا الكتاب، وكان بعنوان:

(**بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميَّة العَالَمِيّة**)، كانَ بحثاً موجزاً يقع في نحو ٤٠ صفحة، وكنت أعتقد أن السَّاحَة المناسبة لبثِّ تلك الأفكار آنذاك ما تزال بيشاور، حيث يوجد الجمع الّذي يوشك عَلى الانفراط، وكان غرضي أن يحملها معه أكبر كَمٍّ مُمكِنٍ من المُجَاهدين العَرَب، الّذين بدا لي أنّ مصيرهم الانتشار، وهم بحكم تجربتهم الجهاديَّة وإعدادهم العسكريّ أجدرُ وأقدرُ من غيرهم عَلى العمل وفق تلك الأفكار بحسب تقديري – الخاطئ - آنذاك، **لأنّي اكتشفت فيما بعد عدم أهليّتهم لذلك، لأنّهم تلقَّوا تدريباً عسكريّاً عالياً، ولم يتلقوا التَّوجيه العقائديّ المنهجيّ الفكريّ والسّياسيّ الَّلازم.**

كانت خُلاصة الأفكار الّتي حملها ذلك البيان (البحث) ما يلي:

عرض لواقع المُسلِمِين وما وصلوا إليه ولاسيَّما إبَّان حرب الخليج (عاصفة الصَّحرَاء) وتفنيد لمزاعم من زعم بمشروعيَّة نزول الصّليبيّين في عقر دار المُسلِمِين، ودعوة لجِهَاد هذه الحملة، **وتفنيد لزعم من زعم أن صَدَّام حُسِين هو معقد الأمل في مُوَاجَهة الصّليبيّن.**

إثبات أن القوى والتَّنظِيمات الجهاديَّة بل وقوى الصّحوة الإِسْلَاميَّة لا تكفي لمُوَاجَهة هذه الحملة اليَهُوْديَّة الصّليبيَّة العَالَمِيّة، وأنَّه لا بُدَّ من إعادة مهمَّة الجِهَاد للأمة كاملة، وإحيائها وزجها في **مقاومة إسلاميَّة عالميَّة، تكون في مقابلة هجمة صليبيَّة يهوديَّة عالميَّة.**

إثبات أن دعوة الأُمّة قاطبة لا بُدَّ وأن يستند إلى عموميات الإِسْلَام والدّعوة العاطفيَّة للجِهَاد، وليس عَلى أساس التفاصيل العقديَّة والفكريَّة، والفقهيات الجهاديَّة المعقدة – وإن كانت صواباً في عمومها ولا شَّكَّ – وذلك باختيار **مفتاح صِرَاع، ودعوة جِهَادٍ**، تجمع عليها كافّة التوجّهات الإِسْلَاميَّة للصحوة، ويستوي في فهمها كافّة شرائح وطبقات المُسلِمِين خاصتهم وعامتهم، واخترت لذلك، الدّعوة لتحرير المقدّسات شعارا لدعوة المُقاوَمة، لإنقاذ الحرمين والأقصى من اليَهُوْد والصّليبيّن، وطرح شعار جِهَاد عدو خارجي بدلا من جِهَاد الحكَّام الّذي لم تهضمه الشّعوب – بفضل خدمات علماء أهل السّنّة الأشاوس – واختيار جِهَاد اليَهُوْد ورأسهم إسرائيل والصّليبيّن ورأسهم أمريكا ودول النّاتو الأوروبيَّة كعدو خارجي غاز أساسا لهذه الدّعوة.

إبراز أهميَّة البعد الاقتصاديّ لهذا الجِهَاد، وأن بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم وعلى رأسها النّفط قد نُهب، وستنهب هذه الحملة ما تبقى منه، وأن عَلى المسلم أن يجاهد دون قوته وقوت عياله المسلوب، وإعطاء هذا النوع من الجِهَاد الاقتصاديّ بعده الشَّرعيّ، **الّذي غاب عن طرح الجهاديّين الفكريّ وما يزال غائباً، لأنَّ بعض فُقَهَاء الجِهَاد من الشَّبَاب النَّاشئين يعتبر ذلك خدشاً في العقيد السَّمحة!**

وبالمختصر اختيار مفتاح شعبيّ لدعوة الجِهَاد مكوّن من ثلاث أبعاد: أولاً: البعد الدّيني (المقدّسات) – ثانياً: البُعد السّياسيّ (الإحتلال الخارجيّ) – ثالثاً: البعد الاقتصاديّ (الثّروات، النّفط).

دعوة الشَّبَاب وعموم المُسلِمِين لممارسة المُقاوَمة الفرديَّة، بحيث لا تعتمد المُقاوَمة عَلى هياكل ومنظومات شبكيَّة وهرميَّة يُؤَدِّي اعتقال بعض أفرادها لدمارها واعتقال جميع أفرادها، وذلك باختيار أسلوب عمل (نظام عمل)، وليس تنظيماً بالمفهوم المعروف، بحيث ينتسب كلّ مشارك في أعمال المُقاوَمة الّتي يشارك فيها عموم المُسلِمِين، لمسمًى واحد هو (المُقاوَمة الإِسْلَاميَّة العَالَمِيّة)، حيث يتكامل بالجدوى عمل الكل، ولا يُؤَدِّي اعتقال الآحاد لاعتقال الكلّ لأَنّهم لا رابطةَ بينهم، وكان هذا لبّ الفكرة الحَركيّ العسكريّ.

تحديد الأهداف المعادية الّتي يجب استهدافها بالضّرب، وهي باختصارٍ: كاملٍ أشكال التَّواجد البشريّ للعدوّ في بلادنا أولاً، وفي بلاد العالم ثانياً، وفي عقر دارهم ثالثاً، **ولاسيَّما أشكال تواجد العدوّ السّياسيّ والعسكريّ والتَّبشيريّ والاقتصاديّ والثّقافيّ والسّياحيّ**..إلخ، في بلادنا، وخاصّة اليَهُوْد، ثمّ أمريكا، ثمّ بَرِيطَانيَا، ثمّ روسيا، ثمّ كامل دول حلف النّاتو، ثمّ أي دولة تقف معهم في الاعتداء عَلى الإِسْلَام والمُسلِمِين.

مختصر بالدَّليل الشَّرعيّ يثبت حلّ أموال ودماء كافّة أشكال رعايا ومصالح هذه الدّول والتَّقديم لذلك بفتوى جامعة للعلَّامة المُحدِّث أحمد شاكر رحمه الله.

ندب الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديّة وأفراد المُسلِمِين الّذين سبق لهم التّدريب العسكريّ والممارسة القتاليّة لبدء تدوير عجلة المُقاوَمة، ودعوة عموم النّاس لأساليب المُقاوَمة المدنيّة من الأعمال الشبه عسكريّة إلى أعمال الدِّعاية الدّينيّة والسّياسيّة إلى الخطب والكتابات والشّعارات... إلخ بحيث تشارك كافّة شرائح الأُمّة بهذا الجِهَاد وهذه المُقاوَمة المفتوحة عَلى شكل انتفاضة عامَّة.

دعوة المُجَاهدين المقاوميين إلى تشكيل سَرايا صغيرة تموّل نفسها من أسلاب العدوّ الماليّة، ودعوة الأغنياء من المُسلِمِين لتمويل ودعم من يريد الجِهَاد وكفالة أسر المتضرّرين منهم.

دعوة المُجَاهدين العاملين في المُقاوَمة إلى استهداف العدوّ الخارجيّ أساساً في بلادنا وبلادهم، بالإضافة إلى استهداف كبار المرتدّين من حُكَّام المُسلِمِين وكبار الطّبقة الأولى من أعوانهم، لكونهم أساس ركيزة الاحتلال، **وعدم تحويل المُوَاجَهة مع الحُكُومَات إلى ثورةٍ مفتوحةٍ، كما حصل في التَّجَارب السَّالفة**، وإنَّما التّصَدّي لقوى الجيش والأمن المحليَّة في حالات الدّفاع عن النّفس ضدّ القتل أو الأسر فقط، وتحريض هذه القوَّات بالحسنى للمُشَارَكة في المُقاوَمة بصفتهم جزءٌ من قوى الأُمّة.

التَّنديد بالعُلَماء المُنَافِقين، وبرموز الحركات الإِسْلَاميّة الّتي سارت في ركاب النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ودعوة المُسلِمِين للانصراف عنهم والالتفاف حول العُلَماء المُجَاهدين، ودعوة هذا الصِّنف النَّادر من العُلَماء لقيادة المُقاوَمة الشعبيَّة، في كلّ بلدان المُسلِمِين.

اختيار شعار يعبّر عن المُقاوَمة ودعوتها وهو عبارة عن شكل يبرز المقدّسات الثّلاثة (الكعبة – المَسجِد النَّبويّ – المَسجِد الأقصى) خلفَ قُضبان سجنٍ تدلّ عَلى الاحتلال، وقد كتب تحتها الآية الكريمة: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] (وكتب فوقها: بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).

وعُدت إلى بيشاور في مطلع عام ١٩٩١م لنشر هذا الكتاب سرًّا، وبثّه بين المُجَاهدين هناك، ولما كانت هذه الأفكار من الخطورة بما لا يخفى، لم يشرف عَلى عمليَّة النَّشر الّتي شملت جميع البيوت والمضافات والمؤسَّسات العربيَّة إلَّا أربعة إخوة رحمهم الله تَعَالَى، حيث وزَّعنا نحو ١٠٠٠ نسخة كانت قد طبعت أيضاً سرّاً، وتم ذلك بنجاحٍ مطلع شهر يونيو – ١٩٩١م فيما أذكر.

ثمّ ما لبثت بوادر العاصفة الأمنيّة أن اشتدَّت، وشرعت تلك الجموع بالرَّحيل عن بيشاور، ورحلتُ بدوري ثانيةً، حيث استقرَّ بي المقامُ في غرناطة آخر معاقل المُسلِمِين في الأندلس.

المرحلة الثالثة:

لندن (١٩٩٦م)

وكانت أواخر ١٩٩٦م، حيث كنت قد انخرطت في دعم وتأييد الجِهَاد الّذي نشب في الجَزَائِر، منذُ ١٩٩٤م، وذلك من خلال معرفةٍ قديمةٍ ببعضٍ روّاده الّذين كنت أعرفهم من أفغانستان، وكانوا وقد استقرّوا في لندن منشئين خليةً للخدمات الإعلاميَّة للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجَزَائِر، وبسبب ذلك انتقلت للإقامة في لندن، **ومرّت القضيّة الجهاديّة في الجَزَائِر بمنعطفات متعدّدة، أدّت في النّهاية إلى أن تؤول قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة بعد استشهادِ قياداتها المخلصة الواعية لبعض الجهلة والشَّاذين فكريَّاً ممن اعتنقوا أفكاراً تتراوح بين التّكفِير والإجرام والجهل ممزوجةً ببعض الأفكار ذات الأصول الجهاديّة، وذلك بترتيبٍ استخباراتيٍّ مُحكم، ممَّا أودى بها إلى البَوار والفشل والتَّحلل مع أوائل ١٩٩٦م.**

ولم يكن من بُدٍّ أمامنا آنذاك – ديناً وعقلاً - من البَرَاءة من الجماعة المُسلّحة وما آلت إلية الأمور بالجِهَاد في الجَزَائِر، وسأشير في الفَصل السَّادس إلى نبذة عن تلك التَّجربة إن شاء الله، وقد أعددت كتاباً بعنوان: (مختصر شهادتي على الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٨-١٩٩٦م)، وسأنشره قريباً إن شاء الله.

والأمر ذو العلاقة بين تجربتي مع الجِهَاد الجَزَائِري وأفكار هذا الكتاب الّذي بين أيدينا، هيَ الصدمة الّتي واجهناها في لندن بنجاح المخطط الدّوليّ والإقليميّ في إجهاض الجِهَاد في الجَزَائِر، بإخراجه عن مساره والسّيطرة عَلى قيادته وتفكيكه أمنيّاً، وعزله عن جماهير المُسلِمِين في الجَزَائِر وخارجها، بسبب ما ورطوهم به من مجازر ضدّ الشَّعب، المسلم أو ما ارتكبته الاستخبارات الجَزَائِرية باسمهم من مذابح أيضاً، رغم نجاحاته العسكريّة والجماهيريّة الباهرة، ورغم توفّر أفضل ظروف النَّجاح الّتي توفَّرت لحركةٍ جهاديّةٍ في العصر الحديث، لقد كانت تلك التَّجربة درساً قاسياً، أكّد عندي عدم جدوى المحاولات المحليَّة للجِهَاد في ظلّ النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، والمُوَاجَهة العَالَمِيّة لما سُمّي إرهاباً (أي الحركات الجهاديّة الإِسْلَاميّة).

ومنذ أواخر ١٩٩٦م وإلى أواخر ١٩٩٧م بذلت ساعات مطوَّلة للتَّأمُل والحوار، مع بعض الخواصّ من نخبة الجهاديّين المقيمين من كوادر الأفغان العَرَب والتَّنظِيمات الجهاديّة في لندن، لتقييم أسباب فشل المحاولات الجهاديّة المُسلّحة المتكرّرة في العصر الحديث:

[المغرب ١٩٦٣م- سوريا ١٩٦٥م – مصر ١٩٦٥م – تركيّا ١٩٧٠م – الجَزَائِر ١٩٧٦م – سوريا ثانية والتَّجربة الطَّويلة ١٩٧٥م – ١٩٨٢م – مصر ثانية ١٩٨١م – ليبيا ١٩٨٩م – الجَزَائِر ثانية ١٩٩٠م-١٩٩٦م– ليبيا ثانية ١٩٩٤م – ١٩٩٦م...] عدا التَّجَارب المحدودة لغيرها من البلدان مثل: تونس والأردن واليمن ولبنان وغيرها.

وقد شكّلنا لهذا الحوار والدّراسة شبة ندوة غير منتظمة عقدنا لها عدّة لقاءات، قارنّا فيها بين الفشل في كلّ تلك المحاولات التَّنظِيمية، وبين النَّجاحات العسكريّة في التَّجَارب الجهاديّة الجبهويَّة

للمسلمين في كلّ من البُوسنة – الشِّيشَان – أفغانستان، كما عرضنا لدراسة البَوادر الجَدِيدة لأعمال الجِهَاد الفَرديِّ الّتي بدأت تحصل منذُ حرب الخليج، والَّتي قام بها بعض شباب المُسلِمِين هنا وهناك.

وأستطيع القول أنّ تأمُّلي تلك الأيّام ومحاولات البحث والكتابة في بعض الخواطر في تلك الفترة، قد شكَّلت عندي بالإضافة لما كنت قد تَوَصَّلت إلية من أفكار (بيان المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) أساسِيَّات الأفكار التَّفصيليَّة لهذا الكتاب الّذي بين أيدينا الآن.

وقد حملت هذه الأفكار في صدري وهاجرت بها بعد قراري بالرَّحيل كليَّاً إلى أفغانستان، إثر استطلاعي لها مرَّتين بعد تمكن حركةِ طالبان من دُخول كابل وإعلان الإمارة الإِسْلَاميّة، وبعد ما بدا لي واضِحاً أنَّ بوادر هبوب عاصفةٍ أمنيّةٍ شديدةٍ عَلى الإِسْلَاميّين ولاسيَّما الجهاديّين في أوروبّا تقترب، **وآثرت ألا تنالني زوابعها في لندن الّتي فَقدت عذريَّتَها الدِّيمقراطيَّة الأصليّة عند ما عاشَرَت الكاوبوي الأمريكيّ.**

۞۞۞۞۞

المرحلة الرابعة:

أفغانستان (١٩٩٧م - ٢٠٠١)

بدأت هجرتي إلى أفغانستان في شهر أغسطس ١٩٩٧م، واستمرَّت إلى خُروجنا منها عنوةً أواخر ديسمبر ٢٠٠١م.

ولقد كانت هجرتي إلى أفغانستان لأسبابٍ عديدةٍ، السَّبب ذي الصِّلة منها بمادة هذا الكتاب هو المشاركة في المُوَاجَهة الّتي كانت ما تزال تزداد حدَّةً مع النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي تقوده أمريكا وإسرائيل، وتشارك فيه حُكُومَات الرِّدَّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، وقد شجَّعني عَلى ذلك أمور لمستُها خلال رحلتيّ استطلاع قمت بهما قبيل القرارِ بالهِجرَة نهَائِيّاً وذلك خلال العام الّذي سبق ذلك القرار، ومن أهمّ تلك الأمور:

انتقال الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ونُخبة إدارته إلى أفغانستان، وتبنِّيه أفكاراً للمُوَاجَهة مع أمريكا وقناعات أمنيَّة لتلك المُوَاجَهة، ودعوته للأمَّة الإِسْلَامِيّة لجِهَاد أمريكا تحت شعار (إخراج المشركين من جَزِيرَة العَرَب)، وتبنّيه - أخيراً - أفكاراً قريبةً جداً من تلك الّتي نضجت عندي عَلى مراحل منذُ حرب الخليج ١٩٩٠م وقد تبيَّن لي ذلك من خلال عدّة حوارات معه ومع بعض القريبين منه خلال زيارتي لهم سَنَة ١٩٩٦م ورأيت في تبنّيه لأفكارٍ من هذا القبيل فرصة حقيقية لنقل المُوَاجَهة بالاتِّجاه الصَّحِيح، بما للشَّيخ أُسَامَة من مكانةٍ وتاريخٍ، ولما حباه الله من الخصال والإمكانيَّات والمُواصفات الشَّخصيَّة كرمزٍ مُكِنٍّ لتلك المُوَاجَهة كما تصوُّرت حينها، ورغبتُ بأن أُساهِم وأن أكون حاضراً في هذه المُوَاجَهة الّتي ستنطلق من أفغانستان، كما توقّعت بعد لقائي بعددٍ من كبارِ طالبانَ أيضاً.

بدا لي واضِحاً أنَّ أفغانستان سوف تكون مرّةً ثانيةً محجّاً للمُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله، وذلك بسبب العواصف الأمنيّة عَلى الجهاديّين في مختلف دول العالم والّتي بدأت تزداد شراسةً منذُ ١٩٩٥م، وكذلك بسبب نجاح طالبان في تكوين نواة دولةٍ توفِّرملجأً آمناً لهم، وتصوُّرت أنّ مجتمعاً جهادياً مناسباً سوف يتكوَّن قريباً في أفغانستان، وقد جذبني لأن أكون حاضراً فيه كي أُساهم بالدّعوة إلى هذه الأفكار الّتي آمنت بها.

بَدا من رسوخ قدم الطّالِبَان وحكمهم، والمعاملة الحسنة الّتي لاقوا بها العَرَب المُهَاجِرين إليهم، أنَّ إمكانيَّة تنفيذ بَرَامج للإعداد والتّدريب والمشاركة العمليّة في القِتَال إلى جانب طالبان، ستكون ممكنة من أجل إعداد نواة جيل المُوَاجَهة العَالَمِيّة القادمة، إن يسَّر الله ذلك.

هذه الأسباب بالإضافة إلى أهداف خاصّة وقناعات شرعيّة ذاتيَّة بالهِجرَة إلى دار الإِسْلَام الوليدة وتقديم العون لها جعلتني أجدُّ السّير في هذه الهِجرَة الّتي أقدمتُ عليها بكامل القناعة والعزم.

وفعلاً وكما توقعّت ذلك، فقد تقاطرت الجماعات الجهاديّة ورموز الأفغان العَرَب وتنظيمات الجِهَاد وكثير من الأفراد إلى أفغانستان، وازدهر ذلك خلال الأعوام (١٩٩٨ – ٢٠٠١م) وبدا أنّ ما أسميته **(الشَّوط الثّاني للأفغان العَرَب)** قد بدأ في أفغانستان، ونشط بشكل أذهل الأَعدَاء وبعث الأمل من جديد في أوساط الجِهَاد وأنصاره في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بحيث أصبح هذا الجمع من جديد أملاً من آمال الأُمّة الإِسْلَاميّة، بل أكبر آمالها.

وأضفت الشّعارات الملتهبة والنَّشَاط الإعلاميّ الّذي أطلقه الشَّيْخ أُسَامَة بشخصيَّته التارِيخِيَّة في أفغانستان، طابعاً مميزاً، ولعبت حدة ردّة الفعل الأمريكيّة عليها وتسليط إعلامها الضوء عليها من أجل تبرير تطلعاتها في التَّواجد في المنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة، والتَّجاوب الجماهيريّ الواسع في أوساط الأُمّة الإِسْلَاميّة المقهورة، وكذلك حرارة المواجهات الجهاديّة في بعض البُؤر الأخرى إبَّان تصاعد الأحداث في أفغانستان، مثل ما حصل من اشتعال الإنتفاضة في فِلَسطِين، واشتداد حدَّة المعارك في الشِّيشَان في نفس الوقت بالإضافة إلى صفاقة الهجمة الأمريكيّة وعدائها المعلن ونواياها بتصفية الإمارة الإِسْلَاميّة وإسقاط حكومة طالبان، والحشد الدّولي الّذي حشدته في عمليَّة الحصار الاقتصاديّ والسّياسيّ والإعلاميّ ضدّ أفغانستان وضدّ الجمع الجهاديّ الأمميّ الّذي تشكَّل في كنفِها، أضفى كلّ ذلك عَلى الوسط جواً ملائماً عندي لنُضوج أفكارٍ من قبيل الّتي في هذا الكتاب، وبدا أن بعض الجهاديّين من القدماء قد توصَّلوا لقناعاتٍ قريبةٍ من ذلك.

وليس هنا محل استعراض تاريخ وأحداث تلك المَرحَلَة، وذلك الجمع الهامّ جدّاً عَلى مستوى تاريخ الجِهَاد في العصر الحديث، وأجدني راغباً جدّاً في الكتابة عن تلك المَرحَلَة الهامة العاصفة، ولعلّ الله ييسر لي ذلك من أجل تغطية أحداث ما مرَّ معنا عَلى صعيد الأفغان العَرَب منذُ نشأة طالبان وقدومنا إليهم ١٩٩٦م، وإلى ما بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، ودور ذلك التَّجمع في تلك المَرحَلَة وما بعدها إن يسَّر الله لي ذلك.

ولن أعرض هنا لتفاصيل كثيرة من ذلك وإن كانت هامَّة، إلا لما يتعلَّق منها بأفكار هذا البحث وتطوّرها وسط تلك التَّجربة، وما يهمّني من ذلك هنا هو ما يلي:

بدا لي واضِحاً من خلال عددٍ من اللِّقَاءَات والمُنَاقشات الّتي شرحتُ فيها مُعظم أفكار هذا الكتاب لعددٍ من قيادات التّيار الجهاديّ والمُشرفين عَلى جماعات جهاديّة كانت موجودة في السَّاحَة هناك، أو آخرين وَفَدُوا أفغانستان من أجل إنشاء جماعاتٍ جهاديّةٍ عَلى نموذج تلك القائمة بنفس الأسس والمفاهيم الفِكريّة والحَركيّة التَّقليديَّة للجهاديين، بَدَا أنَّ عمومهم مُمتلئٌ قناعة بالأهداف الّتي رسموها لأنفسهم، والتَّنظِيمات والأسس الّتي أقاموا عليها أعمالهم! وأنَّهم غير مستعدِّين لإحداث أي نقلة جوهريَّة للتَّفكير والعمل عَلى أسس جديدة، وأن الفكرة الّتي فارقتُهم عليها سنة ١٩٩٠م، ما تزال سائدةً عندهم!! وهي **(إنشاء تنظيماتٍ سريّةٍ قطريّةٍ، تريد إحداث ثوراتٍ شعبيَّةٍ، أو أعمالِ عِصَاباتٍ من أجل الإطاحة بحُكُومَات بلادها، وإقامة حُكُومَاتٍ إسلاميّةٍ عَلى أنقاضها!!)**، وكل ما تَبتَغِيه تلك التَّنظِيمات من أفغانستان – من جديد - هو أنّها محطّة إنشاء وتدريب وحشد، أو ملاذٍ آمن لكوادرها وعناصرها، فراراً من الهجمة الدّولية لمكافحة الإرهَاب،

مع قناعات تتفاوت عندهم من حيث القناعة بالإمارة الإسْلَاميّة ودار الإسْلَام النَّاشئة في أفغانستان، وشرعيّة أمير المُؤمِنِين حيث تتدرَّج القناعات من الإنعدام التَّامّ عند بعض من يَنسُبون أنفسهم إلى (السّلفيّة)! إلى القناعة التَّامَّة عند البعض، أما المَعْرَكة العامّة مع الهجمة الصّليبيّة اليَهُوْديَّة فلم يبدُ أنَّها تُشكِّل همَّاً عملياً لتلك التَّنظِيمات إلا عَلى صعيد التَّعاطف العام مع قضايا المُسلِمِين، **ولم يستطع الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة أن يُزَحزِحُوا تلك التَّنظِيمات، ولا معظم الشَّبَاب الّذي قدّم لهذه الأهداف عن قناعاتهم تلك من أجل تبني قناعاته بأن المَعْرَكة قد أصبحت مع أمريكا فحسب، إلى أن جاءت هجمة أمريكا عَلى الإمارة وتداعيات أحداث سِبتَمبر فأقنعت أمريكا الكلَّ بترك أهدافهم والتَّفرّغ لحربها**، من ناحية أُخرى رأيتُ تفهُّماً وقناعة بالأفكار الّتي سأفصّلها في هذا الكتاب من قبل بعض قُدماء الإخوة من المستقلّين عن التَّنظِيمات ذات الأهداف القُطريّة.

بدا لي أنَّ الجهة الوحيدة الّتي تقيم كثيراً من جوانب عملها الحَركيّة عَلى أسسٍ شبيهة بالأفكار الّتي اقتنعت بها، هيَ تنظيم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن (القَاعِدَة) فهم قد أدركوا – ولاسيَّما الشَّيْخ أُسَامَة، ونائِبه أبو حفص رحمه الله – أن زمن التَّنظِيمات القطريّة المحليَّة قد ولّى، وأنّه لا يصلح للمرحلة القادمة، وأن الواجب هو: **حشد الأُمّة عَلى مُوَاجَهة العدوّ الخارجيّ مُمَثَّلا بأمريكا والتَّركيز عَلى شعار إخراجهم من جَزِيرَة العَرَب ودمج هذا ببعد الصِّرَاع مع اليَهُوْد حول فِلَسطِين والأقصى، وببعد دفع عدوان أمريكا عَلى عموم المُسلِمِين، وهو ذات ما كنت قد تَوَصَّلت إليه سنة ١٩٩٠م، وسجَّلت فيه عدداً من المحاضرات والكتابات منذُ ذلك الوقت.**

ثمّ وبعد دراسة كلّ الإمكانيَّات المُتاحة لي للعمل والعَطاء، أسَّستُ مُعسكراً ومجموعة عملت بشكل مستقلٍ مثل كافّة التَّجَمُّعات والتَّنظِيمات العربيَّة الأربعة عشر الّتي اعترفت بها طالبان، وتعاملتُ مباشرةً مع أمير المُؤمِنِين، وبدأتُ من خلال مركز اتَّخذتُه في مُعَسْكَرٍ أنشأتُه في إحدى القُطعات العسكريّة التَّابعة لطالبان، ومن خلال عشرات اللِّقَاءَات الّتي عقدتها في بيتي أو في بعض الأمكنة الأخرى، في بث هذه الأفكار وتطويرها، وأظنُّ أنَّ الفكرة قد تبلورت عبر تلك النَّشَاطات حتَّى وصلت إلى الصُّورة الّتي سأعرضها في هذا الكتاب.

وكان من أهمّ تلك الدَّورات الّتي اشتملت عَلى تفاصيل هذه الأفكار من النَّاحيَة الإيديولوجيَّة والحَركيّة، تلك الّتي سجَّلتها ونشرتها في أوساط المُجَاهدين العَرَب وبعض المُجَاهدين من وسط آسيا، وهي حسب تسلسلها الزَّمني كما يلي:

أولاً: (واقع المُسلِمِين الأزمة والمخرج) وهي في ٧ أشرطة (٩٠ دقيقة).

ثانياً: (الجِهَاد هو الحلّ، لماذا؟ وكيف؟) وهي في ٢١ شريط (٩٠ دقيقة).

ثالثاً: (المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة) وهي في ١٠ أشرطة (٩٠ دقيقة).

رابعاً: (سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة: الدّعوة – الطَّريقة –المنهج) وقد سُجِّلت على ٦ أشرطة فيديو (٣ ساعات) أي نحو ١٦ ساعة.

وأهم هذه المحاضرات من حيث شرح الدّعوة والطَّريقة هيَ أشرطة الفيديو، وقد سجلت بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠م، وأمّا أوسعها من حيث المقدّمات الفكريّة والسّياسيّة الشَّرعيَّة، فهي مجموعة محاضرات (الجِهَاد هو الحل)، وقد سجلت في سِبتَمبر ١٩٩٩م في معسكرنا الّذي دعوته (مُعَسْكَر الغُرَبَاء) والّذي أقيم في قاعدة (قرغة) العسكريّة التَّابعة لطالبان قرب كابل.

كما تبعثرت كثير من أفكار هذه المادّة في نحو ٦٠ شريط كاسيت في مختلف المواضيع عبر دُروس ألقيتها خلال تلك الفترة، وكذلك في خمسة أبحاث تقع في نحو ٥٠٠ صفحة نشرتها آنذاك، وكذلك من خلال مجلة غير دوريَّة أصدرتها بعنوان (قضايا الظَّاهِرين عَلى الحقّ)، حيث كانَ هذا مجمل الإنتاج الفكريّ الّذي قدَّمته خلال الفترة (١٩٩٧ - ٢٠٠١م).

ورغم الجهود الّتي بذلناها – مجموعة مُعَسْكَر الغُرَبَاء - فقد حالت الظّروف العامّة المتعلقة بوضع المُجَاهدين العَرَب والطّالِبَان في أفغانستان، ثمّ ما تلا من تداعيات سِبتَمبر وسقوط الإمارة، دون أن أضع هذه الأفكار موضع التَّنفيذ، وهو ما حاولته فعلاً منذُ إنشاء المُعَسْكَر، إلا أَنّي أعتقد أنه قد كانَ في هذا الإنتاج المفصَّل عرضاً وافياً لتلك الأفكار الّتي اقتنعت بضرورتها لوضع منهج وأسلوب عملٍ جديدٍ، من أجل هذه المُوَاجَهة العَالَمِيّة الّتي نخوضُها، ولعلّ الله يُتيح لنا فرصةً فنَستَأنفُ المَسير، وهو ما أفعله الآن، وأوَّل ذلك نشر هذا الكتاب، أو يعيننا عَلى تسليم هذه الرّاية لمن يُقَيّضُهم لها من بعدنا من المُجَاهدين في سبيله عَلى طريق الظَّاهِرين عَلى الحَقّ في هذا الزّمان إن شاء الله، فيكون في مثل هذه الكتابات أداءٌ لجزءٍ مِنَ أمانة.

وفيما كنت أحاول وضع كتاب يجمع هذه الأفكار بصورتها النّهائيّة في كابل، جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م وما تلا من تداعياتها في أفغانستان وباكستان، لندخل في سياق الحدث، ولينتهي بنا المطاف حاليَّاً في مرحلة الشَّتَات والتَّشريد والاختفاء، حيث أضع اللَّمسات الأخيرة لهذا الكتاب الآن، في مخبأنا الجبليّ الجميل.

المرحلة الخامسة:

باكستان (٢٠٠٢م – ٢٠٠٣م) تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١م

زادتني تداعيات أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، وزخم رَدَّة الفعل الأمريكيّة والهجمة الغربيّة الصّليبيّة المبرمجة مع التَّوجُّه اليَهُوْدي العَالَمِيّ المتعاون مع قوى الرِّدَّة وأجهزة النِّفَاق في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ، زادتني بل ملأتني قناعة بما كنت قد تَوَصَّلتُ إليه من أفكار حول أسلوب المُوَاجَهة اللازم لهذه الحَرب العَالَمِيّة، الّتي بدأت بقيادة أمريكا للنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وحملتها الصّليبيّة مع التَّحالف الدّولي في مطلع ١٩٩١م عَلى جَزِيرَة العَرَب والعراق، والَّتي تدرَّجت حتَّى انفجرت واستعلنت بعد أحداث ١١ سِبتَمبر بكل صفاقة، لتشمل كافّة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل كافّة المعمورة كساحة حرب مع الإِسْلَام والمُسلِمين حيثما وُجدوا، ضمن برنامج اجتثاثٍ شاملٍ قائمٍ عَلى المفهومِ الصَّليبيّ اليَهُوْديِّ لِصِرَاعِ الحَضارات الّذي تبنَّته أمريكا والغرب الّذي يلهث وراءها.

وقد أصبحت شواهد ذلك في وسائل الإعلام مادَّة يوميَّة، حتَّى عَلى لسان الأمريكيّين أنفسهم، وكم تعجّبت من صراحةِ (جفري سترانيبرغ) وهو صحفيٌّ ومحلِّلٌ سياسيٌّ من الحزب الدِّيمقراطيّ في أمريكا، في مقابلة خطيرة الفحوى، أجراها مع الفضائيَّة السوريّة في (شهر يوليو ٢٠٠٢م) وكان من خُلاصة ماجاء فيها:

[أنَّ هناك كارثةٌ مقبلةٌ عَلى أمريكا والبَشريَّة بسبب السِّياسات الّتي يتبناها الحزب الجُمهُوريّ بزعامة بوش، والَّتي تتضمَّن مبدأ صِرَاع الحضارات الّذي بُني عَلى فلسفات (كيسنجر) و(هينينغتون) و(نيكسون) وغيرهم، وأنّهم يبنون أفكارهم عَلى مبدأ سيطرة العنصر الأبيض المسيحيّ عَلى الملوَّنين في الأرض، ويعتقدون أنَّه قد حان الوقت لقيام إمبراطُوريَّة عَالَمِيّة بزعامة أمريكا، وأنهم يخطِّطون في سبيل ذلك لوقف التَّقدم الصِّناعيّ للدُّول النَّامية، ولنشر الأوبئة والأمراض من أجل التَّطهير العرقيّ للقضاء عَلى ٨٠% من السّكّان غير البيض في الأرض!

وأنَّ القضية أكبر من مسألة إزاحة الحكومة العِرَاقيَّة، أو زعم إحلال الاستقرار في الشّرق الأوسط، وقال بأن الولايات المتَّحدة عَلى أعتاب انهيارٍ ماليٍّ واقتصاديٍّ عالميٍّ، بسبب نشاطها العسكريّ العدوانيّ في كثيرٍ من المناطق، وأنّ بوش يحاول أن يمنع إفلاس الشَّركات الأمريكيّة الكُبرى، فَسَنَّ من أجل ذلك تشريعاتٍ اقتصاديَّةٍ غير مدروسة العواقب، ووضع الضَّرائب والرُّسوم عَلى الاستيراد حتَّى من الدّول الحليفة لأمريكا، فأوجد مشاعر هستيريّة ضدّ أمريكا في الدّول الأخرى، وختم قوله بأنّ هناك كارثة مقبلة بسبب سياسات بوش ستحلُّ قريباً بأمريكا والعالم، خلال أُسبوع، أو خلالَ سنة أو أكثر أو أقلّ، المُهمُّ أنَّها قريبةٌ].

إن شواهد ما يحدث اليَوْم تدعم إلى حدٍّ كبير التَّوصيف الّذي عرضناه لطبيعة المُوَاجَهة بيننا وبين الرُّوم المعاصرين بقيادة أمريكا، بحيث لم تعد تحتاج الدّعوة إلى المُقاوَمة وفق هذه التصوُّرات، إلى أي عناء من أجل الإقناع، فقد قام العدوّ وحلفاؤه بتقديم كلّ الشواهد والدَّوافع اللازمة لإحداث القناعة بالمُقاوَمة، حيث

قدَّمها بكل شراسة وعدوانيَّة، بحيث تحمل أكثر الشَّرائح مسالمةً وقعوداً في الأُمّة الإسْلَاميّة عَلى التَّفكير في المُوَاجَهة، ممَّا يُسهّل والله أعلم مهمَّة الدَّاعين إلى الجِهَاد والمُقاوَمة العَالَمِيّة الشّاملة ضدّ هذا العدوّ.

أثبتَ الواقع الجَدِيد - الّذي سأفصّله في هذا البحث - بل فرض اتجاه المَعْرَكة الوحيد، وعدم جدوى بل عدم إمكانيّة الاتجاه بإحداث صراعات جهاديّة قطريّة محدودة، لقد تدولت المَعْرَكة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م وغزو أفغانستان ثمّ العراق ٢٠٠٣م واستعداد العدوّ لما بعدها، حيث فرض العدوّ نفسه عَلى كامل ساحاتها دفاعاً عن مصالِحه وحلفائه، هذا ناهيك عن تحطّم أو تفكُّك معظم إن لم يكُن كافّة البُنَى والتَّنظِيمات الجهاديّة المحليَّة بسبب هذه الحملة الطَّاغية، والإمكانيَّات غير المتكافئة نهَائِيّاً لأطراف المَعْرَكة، وأظنُّ أنَّ في هذا الواقع الجهاديّ الجَدِيد ما يُغني عن كثرةِ النِّقاشِ لإقناع من تبقَّى من الكوادر والكيانات الجهاديّة بضرورة تغيير طريقة التَّفكير والعمل وفق الاتِّجاه الجَدِيد للمعركة.

أحدث لديَّ التَّفكير في إرهاصات وتداعيات أحداث سِبتَمبر تطويراً محدوداً ومهمّاً عَلى بعض الأفكار سأثبتها خلال البحث في مناسباتها مُشِيراً إلى ذلك إن شاء الله.

أعتقدُ باختصارٍ أنَّ أحداث سِبتَمبر وما تلاها من أحداث عالميّة قد أدخلتنا ربما في تسلسلاتِ أحداثِ الملاحِمِ والفِتن الّتي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ والله أعلم، وهاهو العالم يسير نحو أن يمتلئ جوراً وظلماً بإشراف أمريكا وأسيادها اليَهُوْد وحلفائهم من الصّليبيّين والمرتدّين والمُنَافِقين، **وهاهم المُؤمِنُون المُجَاهدون غُربَاء مشرَّدون في الأرض لا يجدون ملجأً يأوُون إليه، يفرّون بدينهم من قرية إلى أُخرى، تماماً كما أخبر ﷺ، وقد تكون الأمور تسير نحو انحصار الثُّلة المؤمنة**، وفي كثيرٍ مما يجري شواهد قد أخبرت بها آثار السّنة بل وحتى بعض الآثار الواردة في بعض كتب أهل الكتاب، وها هو ميزان القوى يختلّ بشكل صارخ بيننا وبين أعدائنا، ابتلاءً للثلّة المؤمنة وفتنةً للزائغين عن هدي شريعة الله من المنتسبين لهذا الدّين، بحيث تمتلئ الأرض جوراً وظلماً وتتداعى الأحداث نحو ظهور المهديِّ عليه السلام ليقود مسيرة المُوَاجَهة وليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً، وقد تكون الخيارات أمام العصبة المؤمنة الآن محصورة بالصّبر والصُّمُود والتَّضحِيَة والثّبَات والتَّقدم بإيمان ورسوخِ قدمٍ نحوَ الأخدود، وأنّ علينا الثّبات حتَّى نكون أو ذرارينا المُصَابرة تحت رايةِ القِسط والعَدل بعد ذلك وفي وقت ليس ببعيدٍ إن شاء الله، **ولكن فريضة الجِهَاد الماضية إلى قيام السَّاعة، واستمراريَّة الطَّائِفَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ تُقاتل عَلى هذا الدّين منصورين لا يضرُّهُم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يقاتل آخرهم المَسِيح الدَّجَّال، هو أمرٌ ثابتٌ في ديننا، فإذا كانَ علينا أن نسعى أن نكون من هذه الطَّائِفَة ونتابع حمل الرّاية وتسليمها من جيلٍ إلى جيلٍ، ومن طائفةٍ إلى طائفةٍ، فإنِّي أعتقدُ أنّ الخيارات العمليّة قد أصبحت محصورةً بحكم الوضع القائم لدينا، بحيث أنَّه لم يعد أمامنا إلا المُقاوَمة بحسب طرق من قبيل هذه الّتي سأطرحها في هذا الكتاب، سعياً إلى قيام (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّة) شاملةٍ لهذا العُدوان، وأنّ الأمر أكبر من أن يقع عَلى عاتق النُّخبَة من هذه الأُمّة.**

لقد كانَ الهجوم المظفّر للشهداء الأبرار التِّسعة عشر عَلى عقر دار الكفر والطّغيان أمريكا، وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصاديَّة والعسكريّة، عملاً جبَّاراً وتاريخيّاً بكل المقاييس، فرحمهم الله وأجزلَ مثوبتهم ومثوبة كلّ من أعدَّ وساعد في إخراج وتنفيذ هذا العمل القدريِّ الفذِّ.

وبصرف النَّظر عن بعض الحيثيَّات المتعلِّقة بملابسات إطلاق الحدث، والظُّروف الّتي سبقته خاصّةً في أفغانستان، عَلى صعيدِ طالبان، وعلى صعيد التَّجمُّع الجهاديّ العربيّ في أفغانستان، وكذلك بصرف النَّظر عن تداعيات الحدث وطبيعة المُوَاجَهة الّتي حصلت منْ بعده وطريقة إدارتها، لاسيَّما في أفغانستان ومن ثمّ باكستان، وهي حيثيَّاتٌ جديرةٌ بالبحث والتّأريخِ واستخلاصِ العبرِ والدُّروسِ، وهي أمورٌ لا محلَّ لتفصيلها هنا لخروجها عن موضوع هذا الكتاب، وسيأتي بعض أطرافها في ثنايا هذا الكتاب إن شاء الله، بصرف النَّظر عن ذلك يمكن القول بأنَّ توجُّه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله قد وضع المَعْرَكة بهذا الشّكل في مسارها الصَّحِيح، وذلك بفرض المُوَاجَهة بيننا وبين عدوّنا الحقيقي الداعم من وراء السِّتار لكافة أعدائنا، في كلّ ساحات المُوَاجَهة الّتي نخوضها، بدءاً من صراعنا مع اليَهُوْد في فِلَسطِين، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكّامنا المرتدّين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها، فجزاه الله خيراً.

والأمر ذو العلاقة بين تداعيات سِبتَمبر وأفكار كتابنا هٰذا، هو أنّنا إذا سلمنا بهذه المقدّمة عن حربٍ واقعةٍ ومفروضةٍ من العدوِّ علينا، فسنسلِّم إذاً وفق مُقتضيات ديننا الحنيف بأنّ علينا المُوَاجَهة، وأنّ جِهَاد الدَّفع قد صار فرضُ عينٍ عَلى المُسلِمين، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝﴾ [البقرة]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، فإذا كنّا سنُواجه، فلابد من خسائر في هذه الحَرب العَالَمِيّة، ويجب أن يكون واضِحاً أمامَ من يُريد الجِهَاد، أنّ من أهمّ ذلك مسألةُ (اختيار أسلوب المُوَاجَهة)، فإمّا أن ندخل المَعْرَكة وفق تصوُّرات العدوّ باستنزافنا جزئيّاً هنا وهناك، وتحطيم طاقاتنا بالصِرَاع مع الحكَّام المرتدّين ومَنْ تَبِعَهُم من المُنَافِقين والمُكرَهين والجاهلين من جُيُوشهم ورجال أمنِهم، وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وعبر عشرات التَّجَارب الفاشلة الباهظة التَّكاليف، وإما أن نوجّه المَعْرَكة نحو العدوّ الأساسيّ والمحرك لكل أعدائنا المحلّيين، وأعني الثَّالوث الخبيث (إسرائيل – أمريكا – أوروبّا النّاتو)، ولا شَّكَّ الآن، أن المنطق والواقع يثبت أن التوجه لهَؤُلَاءِ أجدى، ويتضمّن تبعاً إقناع المُسلِمِين بحرب الحكّام المرتدّين وطابور النِّفَاق معهم المُوالين لهَؤُلَاءِ الكفرة الغُزَاة، لأَنَّهم سَيدخُلُون المَعْرَكة إلى جانب أمريكا واليَهُوْد بحكم واقعهم وحرصهم عَلى عُرُوشِهم، فالمَعْرَكةُ مَعَ اليَهُوْدِ وأمريكا وأوروبّا النّاتو مفروضة، ولا بُدَّ من تحمُّل نتائِجها كما قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا لَمْ يَكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ — فمنَ العارِ أن تموتَ جَبَاناً

فباختصارٍ:

إنّ حرب المُسلِمِين اليَوْم مع اليَهُوْد وأمريكا وأوروبّا النّاتو، وحلفائهم المرتدّين والمُنَافِقين في بلادنا، سيكون ثمنها فادحاً، في أمّة طال رُقادها، وطال قُعُودُها، وطال انغماسُ أكثرها في الدُّنيَا، وطال دبيبُ الوهن من حبِّ الدُّنيَا وكَرَاهِيةُ الموت في أوصال خاصّتها وعامّتها، وطال ركون أكثر علمائها عَلى موائد سلاطينها.

ولابدّ أنّ نبضة الحياة، وميلاد النّهضة سيتبعه مخاضٌ عسيرٌ، فلا يهولنَّ الثّمن أمَّةً وشباباً قَالَ الله تَعَالَى لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

ومع ذلك لا بُدَّ من القول تنبيها عَلى واقع يحتاج إلى وضع أسس تفصيليّة عقديّة وعسكريّة وإعلاميَّة وحركيّة لهذه المُوَاجَهة، كي تدخلها الأُمّة بأفضل الصُّور، لقد أحسن الشَّيْخ أُسَامَة اختيار طبيعة المَعْرَكة وتحديد العدوّ، فقد وُفّق - بحسب رأيي - لاختيار مفتاح الصِّرَاع والمُوَاجَهة، كما أحسن القائمون عَلى تنفيذ هجمات سِبتَمبر صناعة صاعقِ الانفجار، وابتدؤُوا المَعْرَكة بهجومٍ ظافرٍ كبَّد العدوّ خسائر فادحة، وجعل المُسلِمِين يبتدئون المبادرة المُذهلة، إلَّا أنّي أعتقد أنَّ الأُمّة الإِسْلَامِيّة بكامل طاقاتها ما تزال غائبة عن المَعْرَكة، رغم أنَّها هيَ المعنيَّة أساساً بهذا الجِهَاد ومادّته، وأنَّ ساحة المُوَاجَهة ما تزال معطَّلة، إذ أنَّ ساحتها الحقيقيَّة هيَ بلاد المُسلِمِين، حيث نزلت مختلف أشكال صائل اليَهُوْد والنّصَارى وأعوانهم من المرتدّين والمُنَافِقين، وأن عَلى المشرفين عَلى الصّحوة الجهاديّة لهذه الأمّة من الجهاديّين جميعاً أن يعملوا بقول الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء] ليقوم المُؤمِنون – كلّ المُؤمِنين - بمهمّة الدَّفع الأساسيّة.

لقد أُحسن اختيار اتّجاه المَعْرَكة، ولكن لا يزال أمامنا الكثير من الجهد في مجال الدّعوة والبيان وتحريض المُؤمِنين، لوضع المَعْرَكة إدارةً وتنفيذاً في ميدانها ومجالها الصَّحِيح، كي نستعيد زمام المبادرة الّذي استردَّتْهُ أمريكا بعد أحداث سِبتَمبر، وما زال في يدها إلى الآن.

ومهما يكن من أمر المواقف والآراء في الصفِّ الإِسْلَاميّ والجهاديّ من أحداث سِبتَمبر، فإن من المسلم به أنّها قد أوجدت واقعاً جديداً، يشكّل بفعل الهجمة الأمريكيّة حملة طاغية تحتاج منا إلى مُوَاجَهة، وصرف الاهتمام لذلك، وهو خيرٌ ولا شَكَّ من إضاعة الوقت، في التّلاوم وتجاذب الآراء حول الأحداث وملابساتها وفاعليها، فقد وصلت المَعْرَكة لأن تكون معركة مصير نكون معها أو لا نكون.

المرحلة السادسة:

احتلال أمريكا للعراق والحملة الصليبية الصهيونية على الشرق الأوسط

(٢٠٠٣م – ٢٠٠٤م)

ثمّ حصل ما هو معروف من زحف الأمريكان وحلفائهم الإنجليز عَلى العراق، حيث نفّذوا فيها خُطّة شبيهةً بالّتي فعلوها في أفغانستان، واستطاعوا في مدّة قياسيَّة تدمير الجيش العراقيّ وتفكيك وحداته، ودخول بغداد الّتي كانَ من قَدَرِها أن تسقط للمرة الثّانية تحت سنابك المغول، المغول الجُدد من الرُّوم المُعَاصِرين الّذين لم يكونوا أقل بربريّةً من أسلافهم الّذين قَدِموا معَ (هولاكو).

وموضوع هذه الحملة واحتلال العراق وإرهاصاته وتفاصيل يوميَّاته والغوص في تحليل أحداثه ودروسه موضوع كبير ليس محله هذا الكتاب، ولكنّي ألفت النَّظر إلى ماله علاقة بتبلور أفكار كتابنا هذا وما سأطرحه فيه من نظَريَّات عملٍ جهاديّةٍ من أجل قيام (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ) وأهمّ ذلك في نقاط موجزة:

أهمّ أسباب انتصار الأمريكان في (أفغانستان / العراق):

١. الاعتماد عَلى قوى عميلة محليَّة تعمل بإمرتها عَلى الأرض.

٢. الاعتماد عَلى عزل البلد الفريسة عن جِوَاره، وتحييد ذلك الجوار، أو الاعتماد عليه كنقطة انطلاق تقدّم الخدمات اللّوجستيّة لقوَّاتها.

٣. الاعتماد عَلى التّفوّق الجويّ والصّاروخيّ السّاحق في تدمير كلّ هدف معادٍ عَلى الأرض في ساحة الحدث.

٤. الاستعداد لارتكاب المجازر في المدنيّين من أجل تحقيق الأهداف العسكريّة والضّرب بكلّ أشكال الرَّأي العامِّ بعرض الحائط.

٥. تجاوز المجتمع الدّولي وكل رأي معارضٍ وإخضاعِهم لبرنامجها بالتّرغيب أو التّرهيب أو الإهمال، بعد أن أصبحت أمريكا فعلاً قطباً أوحداً في الدُّنيَا، تتحكّم في سياسات الدّول وتخضعها لمصلحتها.

٦. تحوُّل الشّعوب الإِسْلَاميّة إلى مجرّد مشاهدين للأحداث عجزة، بعد أن أخرجهم حكّامهم وعلماؤهم من دائرة الصِّرَاع والفعل.

تبع انتصارَ أمريكا في أفغانستان وقضائها عَلى القوّة العسكريّة لطالبان ولفصائل المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من القَاعِدَة وغيرها في أفغانستان، وكذلك انتصارَها في العراق، مطاردةٌ عسكريّة وأمنيّة لكلِّ بؤرةٍ يُتَوَقّعُ منها المُقاوَمة للوجود الأمريكيّ عاجلاً أم آجلاً، وكان من أهمّ ذلك تدمير مواقع جماعة أنصار الإِسْلَام

الكرديّة في منطقة (خور مال) شمال شرق العراق عَلى الحدود الإيرانيَّة، باستخدام نفس الطَّريقةِ الّتي دمّرت بها مواقع القَاعِدَة والمُجَاهدين العَرَب في (توره بوره) في أفغانستان، وذلك بالقصف الجويّ والصارُوخيّ العنيف والمُركّز، وزحفِ الميليشيات الكرديّة المحليَّة العميلة للقضاء عَلى من تبقّى من المُجَاهدين عَلى الأرض، ثُمّ أسر من يمكن أسرُه من النّاجين عبرَ الحُدود في الدّولة المُجاورة من خلال الاتّفاقات والمؤامرات الدّولية.

وكذلك تمَّ تدمير وتصفية مواقع تجمُّعات جهاديّة في (جبال حطاط) في اليمن بالاعتماد عَلى الجيش والأمن اليمنيّ عن طريق القصف الجويّ، ثمّ الزَّحف عَلى المواقع.

ثمّ تابعت أمريكا هذه الطَّريقة في كلّ بؤرة علنيّة يجتمع فيها مُجَاهدون مناوئون لأمريكا، وبالإضافة لهذا اعتمدت أمريكا نهج المطاردات الأمنيّة الّتي صفّت من خلالها تنظيماتٍ وخلايا سريّةٍ جهاديّةٍ أُخرى في أماكن كثيرةٍ، بالتّعاون مع أجهزة الأمن المحليَّة كما حصل في السّعُودِيّة والمغرب وإندونيسيا وبعض دول شرق آسيا.

وقد أكد لي تحليل هذه التَّجَارب الّتي عايشتها ميدانياً في أفغانستان بعيد سِبتَمبر ٢٠٠١م، وتقصَّيتُ ماجرى بعد ذلك عبر المُتابعة المركَّزة المستمرَّة؛ ما كنت قد تَوَصَّلت إليه من أفكار ونظريَّات المُقاوَمة عبر السَنَوات العشر الماضية والَّتي ضمَّنتُها هذا الكتاب وخُلاصة ذلك، والله أعلم:

أولاً: لا يمكن المُوَاجَهة مع أمريكا أو أيّ من حلفائها عسكريّاً بصورةٍ مكشوفةٍ طَالَمَا توفّر لديها هذه السّيطرة التَّامَّة عَلى الأجواء بهذه القدرات التّكنولوجِيَّة السَّاحقَة، خُصُوصَاً مع وجود قوىً عميلة تعمل بإدارتها عَلى الأرض، وتحاصر تلك البؤر الجهاديّة، وتشارك في الزَّحف عليها، وقد أثبتت (توره بوره - أفغانستان) ٢٠٠١م و(خورمال - العراق) ٢٠٠٣م و(جبال حطاط - اليمن) ٢٠٠٣م، ثمّ ما يجري في الفلوجة وأنا أصحّح هذه السُّطُور (نوفمبر ٢٠٠٤م)، ما كانَ قد ثبت ذلك في تجارب المُوَاجَهة المكشوفة للعِصَابات المُجَاهدة في (حماة / سوريا) ١٩٨٢م، و(طرابلس، وتلّ الزّعتر – بيروت - لبنان) ١٩٨٢م و(النَبطيّة - لبنان) ٢٠٠٠م، مع أنَّ المُجَاهدين واجهوا في تلك التَّجَارب جُيُوشاً بقدرات محليَّة، فما بالك بالطَّاقة العسكريّة الأمريكيّة؟ ومسألة عُقم المُوَاجَهة المكشوفة، من قبل العِصَابات للجُيُوش النّظاميّة المتفوّقة، أمر معروف قد بحثَتْه معظمُ كتُبِ حُرُوب العِصَابات الدِّراسيَّة.

ثانياً: لا يمكن للتّنظيمات السِّريَّة مُوَاجَهة النُّظمِ الأمنيّةِ المحليَّةِ للحُكُومَاتِ العميلةِ، بعد قيام التَّنسيق الأمنيّ عَلى مستوىً إقليميّ ودوليّ في ظلّ ما بات يُعرف بالحَرب العَالَمِيّة عَلى الإرهَاب، وبإدارة وإشراف أمريكا خاصّة من خلال إتباع الأساليب الكلاسيكيّة القديمة للتّنظيمات السِّريَّة القطريّة ذات البناء الشَّبكيّ الهرميّ.

ثالثاً: وحيث لا مناصَ ولا مَندُوحةَ عن المُقاوَمة؛ فإن الأسلوب الوحيد للمُوَاجَهة الّذي يطرح نفسه في ظلّ هذا الواقع، هو أسلوب حرب العِصَابات السِّريّة ذات الخلايا غير المترابطة، الخلايا المتعددة الكثيرة، وهذا ما تبدو ملامح نموذج عنه واضحةً في أعمال المُقاوَمة العِرَاقيَّة - متعددة الأطراف - للقوَّات الأمريكيّة، وما أثبتته الإنتفاضة المُسلّحة في فِلَسطِين وغير ذلك من حُرُوب العِصَابات المدنيّة

في العالم، وهذا ما حاولتُ الاستفادة من خلاصتِه وإضافَتِها في محلّها في سياق فصول هذا الكتاب الّذي يطرح نظَرِيَّاتٍ لتفعيل (دعوةِ المقاومةِ الإِسْلَاميّةِ العَالَمِيّة).

✡✡✡✡✡

وفي نهاية هذا التَّقديم أقول:

لقد دفع كثيرون من شباب الصّحوة والجِهَاد، ممّن نعلمهم ومَنْ لا نعلمهم الثَّمنَ باهظاً في كلّ مكان وطالهم القتلُ والأسرُ والتَّشريدُ عبرَ نحو نصفِ قرنٍ مِنَ الزَّمن قبل أحداث سِبتَمبر، وهم خُلاصة أمَّة الإِسْلَام في هذا العصر.

وأما بعد هجمات سِبتَمبر، فقد استشهد الأبطال التِّسعة عشر وافتتحوا المَعْرَكة باتّجاهها الجَدِيد، فرحمهم الله ورفع درجاتهم وجمعنا وإيَّاهم في عليّين.

ولقد دفع أميرُ المُؤمِنِين في أفغانستان الملّا محمّد عُمَر والمخلصون من مُجَاهدي الطّالِبَان الثَّمنَ فادِحاً، كي يحافظوا عَلى أمانتهم، ويقوموا بواجبهم في حفظ الإِسْلَام والمُسلِمين وعدم الرُّضُوخ لتهديدات العدوّ، وأخذوا بحظهم من القتل والسّجن والتَّشريد، ودفعت أفغانستان وشعبها كاملاً الثَّمنَ معهم، فتقبّل الله منهم وغفرَ لَنَا ولَهم.

ولقد قدّمت القَاعِدَة كثيراً من رجالها ثمناً لبدء الجولة الحاسمة، ودفع الشَّيْخ أُسَامَة وأعوانه الثَّمن باهظاً وأخذوا بحظِّهم من القتل والأَسر والتَّشريد، تقبّل الله منهم وغفر لنا ولهم، وجمعنا وإيّاهم في مُستقرِّ رحمته.

ولقد قُتل كثيرٌ من كوادر وشباب الجماعات الجهاديّة العربيَّة في أفغانستان في معركة الدّفاع عن الإمارة الإِسْلَاميّة وفي التّصَدّي للهجمة الأمريكيّة العمياء عَلى أفغانستان، ودفع ذلك الرّهطُ المبارك الثَّمنَ باهظاً، وأخذوا بحظِّهم أيضاً من الأسر والقتل والتَّشريد، وهم نُخبة التّيار الجهاديّ وطليعته، تقبَّل الله منهم وغفرَ لنا ولهم وجمعنا وإيَّاهم مع الّذين أنعم الله عليهم.

فلأيِّ هدفٍ؟ ولأيِّ مُقابل؟ ولِمَ كانَ هذا العناء كلّه؟

لقد كانَ الهدف هو إيقاظ الأُمّة المخدّرة النّائمة، المغيّبة عن ساحة المُوَاجَهة، لوضعها أمام هذه الفريضة وجهاً لوجهٍ.

وفي هذا البحث الّذي قدّمت له بهذا التَّقديم، نحاولُ أن نعطي دَفعةً، وأن نضع خطوةً عَلى طريق المُهِمَّة الكُبرى؛ وهي وضع أسسٍ تساهم في دفع الأُمّة كي تأخذ بدورها في هذه المَعْرَكة القادمة.

وإنّي مُقتنع بأنّ النّصر بيد الله، وأنّ من أوائل أسبابه الّتي يجب أن نوفّرها:

العمل عَلى تحويل هذه المُوَاجَهة لتكون معركة أمّة بعد أن أشعلتها النُّخبَة.

لقد قام التيار الجهادي عبر عقود أربعة بالامتثال لأمر الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ويجب على من وقعت عليهم مسؤولية الكلمة وأمانة العلم والقلم أن يؤدوا أمر الآية الثاني: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، كلّ ذلك ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٨٤]

نعم: نحن نمرّ الآن بأصعب الظّروف، ونعيش قمّة البَلاء، لقد قُتِل خيرةُ إخواننا، وأُسر نُخبة شَبابنا، وتشرّدت بقيّتنا تتخطّفها الذّئاب الخَائِنة المتربّصة من حُكُومَات الرِّدَّة وأعوانها ومخابراتها وعملائها المُنَافِقين هنا وهناك، ولكننا نعلم عِلمَ اليقين أنّ الله ناصر دينه وحزبه لا محالةَ، وأنَّ بُشرى انتصارنا وصولاً إلى فتحِ رُومَا حاصلٌ كما بشر رسوله ﷺ لا محالةَ.

ولعلّ المنكوسين من أبناء أمّتنا لا يصدِّقون هذه الحقائق الشَّرعيَّة، والبشائر النّبويّة، ولكنّ قيادات أعدائنا وكبار أحبارهم ورُهبانهم يعرفُونها كما يعرفُون أبناءهم، وهم يجمعون الجُموع الآن محاولةً منهم لتجنّبِ هذا المصيرِ، محاولةِ الطّفلِ الّذي يُحاولُ أن يحجبَ نورَ الشّمسِ بكفّهِ الصّغيرةِ.

إنه جهد الذين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾[التوبة]

إنّهم يعرفون أنّ نجم حضارتهم قد أَفَلَ، وأنّ شمسَ حضارتنا قد بَزَغَ فجرُها.

فرحمَ الله شُهداء المُجَاهدين في كلّ مكان فقد أعذروا.

ورحم الله أسرى المُسلِمِين وفرّج عنهم فقد أعذروا.

وأعان الله كلّ مشرّدٍ في سبيله مِمَّن أبلوا وأعذروا.

وتقبّل الله من كلّ الّذين ساعدوا وآووا ونصروا.

وليسمعها منا كلّ محبٍ مناصرٍ يبهجه نكاية أعداء الله، وليسمعها أيضاً كلّ منكوسٍ مرجفٍ لا يؤمن بموعودِ الله.

وليسمعها القاعدون الجبناء الّذين لا يريدون للرّجال من هذه الأُمّة أن يتصدّوا لأعداء الله حتَّى لا يتعكّر صفوَ سكونِ المَراغة الّتي يتلبّطُون فيها بينَ أوحال الدُّنيَا، وفي طليعتهم علماء النِّفَاق وفقهاء البنتاغون.

وليَسْمَعْهَا كلّ أعدائنا ومَنْ خلْفهم ومَنْ أمامهم ومَنْ مَعهم:

فليس بيننا وبين أعدائنا، كلّ أعدائنا مِن اليَهُوْد والنّصَارى وحلفائهم الكفّار، وأعوانهم من المرتدّين والمُنَافِقين في بلادنا إلا قولُ الله تَعَالَى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤]

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال]

فإلى كلّ مبلّغ عنّا أمريكا ومن في حِلفها:

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل]

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج]

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت]

فقد سبقَ القدرُ بقول الحَقّ:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١﴾ [المجادلة]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر]

الفَصْلُ الرَّابِعُ

نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

مقدمة الفصل

الحمد لله أهل الحمد والثناء. الحمد لله المحمود في الأرض والسماء. الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عنده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. الحمد لله الذي أمر رسول ﷺ أمراً يعم كل مؤمن من أمته ﷺ، فقال عز من قائل:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء]

والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه. نبينا وسيدنا وقائدنا وحبيبنا الضحوك القتال نبي المرحمة ونبي الملحمة. القائل صلوات الله وسلامه عليه: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1] صدق رسول الله ﷺ، وبعد:

فقبل أن ألج إلى هذا الجزء الهام الذي لم يكن الجزء الأول على طوله وبكل ما فيه، إلا مقدمات ومتكآت شرعية وتاريخية وسياسية وفكرية ومنهجية لما سيحتويه هذا الفصل إن شاء الله.
وقبل ذلك أحب أن أقدم لأبواب هذا الفصل بجملة من النقاط توطئ له وتساعد على مزيد من فهمه إن شاء الله.

أولاً: الثابت والمتحول في الفكر الجهادي ونظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

ذكر المباركفوري في كتابه القيم (الرحيق المختوم) الذي اختصر فيه سيرة رسول الله ﷺ خلاصة ذلك الخبر فقال:

[وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر رضي الله عنه كخبير عسكري وقال: (يا رسول الله! **أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟**) قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله! **فإن هذا ليس بمنزل**، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء القوم

(١) رواه أحمد (٥١١٤،٥١١٥،٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

– قريش – فننزله ونغور – أي نخرب – ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»].

وقد حوى هذا الأثر العظيم حكماً عظيمة يعلمنا بها رسول الله ﷺ فوائد عظيمة ومن ذلك..

١. أدب المسلم مع دين الله فما كان وحياً فلا نتقدم ولا نتأخر.

٢. ضرورة الاجتهاد فيما كان من مسائل (الرأي والحرب والمكيدة).

٣. أدب الجندي مع قائده في العرض.

٤. أدب القائد مع أعوانه عندما تعرض عليه الاجتهادات والإبداعات.

٥. وجوب عرض الآراء دون وجل مهما علت منزلة وعلم القائد، وأمامنا مثال عرض فيه الرأي على المعلم الأكبر رسول الله ﷺ.

٦.الوضوح والجزم في عرض الرأي بعد أن تأكد أنه من مجالات الاجتهاد: (ليس هذا بمنزل).

٧. أخذ القيادة بما تبين صوابه، وعدم التجاوز على حق ظهر، بصرف النظر عن صغر قيمة قائلة.

ونذكر منها إشارة تهمنا في هذه المقدمة إلى أنه وضع قاعدة ذهبية للثابت والمتحول التي يجب أن يقوم عليه الفكر الجهادي الحركي، وفقه العمل والحركة في الصحوة الإسلامية كلها، بل أعتقد بأنه على أساس هذه القاعدة مدار كافة وجوه نشاط وحركة المسلم في حياته كلها.

وهذه الإشارة تقسم القواعد والقوانين محط التفكير والعمل إلى قسمين:

- **ثابت** من أساسيات الدين والمعتقد وقواعد المنهج الراسخة، وهذه فرضية التعامل معها على أساس: «منزل أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه »،

- **متحول** بحسب الأحوال والوقائع، وهو ميدان تسابق العقول والأفهام والخبرات والتجارب، ومجال الإبداع فيها، وهو:ما كان من قضايا (الرأي والحرب والمكيدة)؟

الحكمة الثانية الهامة من فقه هذا الأثر العظيم هي تعليم القائد والمقود وكل من جاء بعد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، كيف يكون التعامل مع مسائل الثابت والمتحول من قضايا الاعتقاد والعمل والتطبيق

فعلى كل إنسان أن يعمل هذا العقل الذي أنعم الله به عليه وجعله مناط التكليف في كل أمر يستقبله، وأن يسأل ويتبين إن لم يكن يعلم، يسأل أهل الذكر عما يعترضه من مسائل هل هو من ثوابت الاعتقاد والأحكام الشرعية الثابتة؟ فيكون حاله معه التسليم والانقياد (فلا يتقدم ولا يتأخر)، أم أنه من مسائل الاجتهاد في الرأي والحرب والمكيدة وما شابها من وجوه النشاط الإنساني؟ فإن تبين له أنها من هذه، فليقدم رأيه وخبرته

واجتهاده بكل رجولة وأدب ومسؤولية، كما فعل ذلك الصحابي الجليل ﷺ، وعلى كل قائد ابتلاه الله بحسم القرار، أن يفسح المجال ويستمع، ويشجع المقود على تحمل مسؤولية التفكير والاقتراح والإبداع، كما فعل رسول الله ﷺ، وهو المستغني بالوحي دون من بعده عن كل ذلك، بل ويتعدى ذلك للنزول على رأي المجتهد الخبير، إن أصاب، وأن يقول إزاء ذلك ما قاله ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»[1]، بل وينقاد لذلك الرأي

وهما مدرستان في القيادة! مدرسة تقبل المقترحات في ميدان الرأي والحرب والمكيدة، وتشجيع المبدعين على الشورى؛ «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»

ومدرسة الفرعون التي أخبر عنها تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾ [غافر]، وكان كلّ مستنده في ذلك أنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف]، ما أوصله للزعم الفاجر عندما نفخه الشّيطان: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات].

وليس هنا مجال الاستفاضة بما تجيش به النفس ويستطرد القلم في كنوز تلك النصوص الإلهية العظيمة، والآثار النبوية الكريمة، وفيما مر من الإشارة كفاية لما نحن بصدده.

وما أقدمه فيما سيتلو من نظريات أضعها كخطوة، ضمن خطوات أولى يجب أن تحصل اليوم، قبل فوات الأوان في التيار الجهادي، وميدان الفكر العملي في الصحوة الإسلامية المجيدة، كي نفتح باب التصحيح والتطوير من خلال قرارنا الاستراتيجي العقدي بالثبات، الثبات على درب الجهاد..

ما أقدمه هو في معظمه أفكار من نوع قضايا (الرأي والحرب والمكيدة)، ولاسيما ما يختص منها بقطاع العمل التطبيقي للجهاد في عالم ما بعد سبتمبر كما أتصورها.

وهناك جانب منها هو من قطاع الثابت بمقتضى اعتقادنا بأساسيات ديننا الحنيف ومعتقداتنا الدينية وأحكامها الشرعية الثابتة، وهي ثوابت منهجية لدينا توارثناها في هذه الصحوة الإسلامية المباركة، وفي التيار الجهادي المجيد، عبر عقود متتالية، عن الثقاة الأثبات من قادتنا وعلمائنا ومشايخنا المجاهدين العاملين، ومعظم هذه الثوابت التي أنقلها، مبثوثة في هذا الكتاب في الأبواب التي عنت بالفكر والمنهج والعقيدة القتالية، والأساسيات الثابتة في السياسة الشرعية عند ما نتطرق للنظرية السياسية للمقاومة، بالإضافة للمناحي التربوية الدينية أيضاً.

---

(١) ضعف سنده ابن حجر في الإصابة والألباني في تخريجه لفقه السيرة للغزالي.

ويستطيع القارئ تميز ذلك بسهولة، وسأشير إليها في مكانها لتميز ما هو معتقد دين ثابت، أو حكم شرعي موقفنا معه أن لا نتقدم عنه ولا نتأخر وإنما؛ **سمعنا وأطعنا.**

كما أن هناك اختيارات فقهية أخذنا بها، وهذه خاضعة للقاعدة الذهبية التي لخصها الإمام الفقيه الجليل الإمام مالك ﵀ في الأثر العظيم عند ما قال: (**كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف ﷺ**) فهي نظريات مطروحة للحوار والنقاش والتجربة والتطبيق، من أجل إطلاق دعوة وطريقة عمل ومقاومة أرى ساحة العمل الإسلامي والصحوة المباركة بأمس الحاجة لمثلها.

وقد أسميتها (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**)، ووضعت لإطلاقها أسسا في مختلف مناحي ومقومات الحركة، عبر نظرياتها الثمانية التي تكون الفصل الثامن، والذي يشغل معظم مساحة الجزء الثاني من هذا الكتاب، وهو لبه والغاية منه.

أقدم هذه النظريات بعد أن وصلت بحسب ما اعتقد اليوم إلى مستوى كاف في نضجها، وأقنعتني تداعيات عالم ما بعد سبتمبر، ووقائع سير الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الغربية الجديدة، وأهدافها الشاملة لكل الصعد والمجالات الحضارية، أقنعتني وزادتني إيماناً بصواب معظم ما كنت قد ذهبت إليه في تطوير هذه النظريات عبر أربعة عشر عاماً، منذ ١٩٩٠ وإلى اليوم.

وأرجوا من الله الهدى للحق، وأن يلهمني الإخلاص، ويهديني للصواب، ويمن علي بالقبول، فما كان من توفيق للصواب فهو من الله تعالى، وما كان من زلل فهو من نفسي القاصرة، ومن الشيطان، والقصور طابع عمل ابن آدم، واستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

ثانيًا: نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، نظريات عملية:

في كتابي (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا) الذي كان باكورة إنتاجي سنة ١٩٨٧، ذكرت في الفصل الثالث من الجزء الأول بعض التعريف المهم لما اصطلحت عليه بـ (**النظرية العملية**)، وكنت أتمنى لو كان الكتاب بمتناولي، لأنقل منه تلك الفقرة هنا.

فقد كتبت فيه ما فحواه؛ أن هناك فرقا جوهريا بين (النظريات النظرية)، و(النظريات العملية)، فالنظريات النظرية؛ هي تصورات فكرية يضعها أصحابها من خلال بنات أفكارهم وسبحاتهم الفكرية والفلسفية، ليثبت الواقع بعد ذلك خطأها من صوابها، وكثيراً ما تتسم تلك النظريات ببعدها عن الواقع، وبقائها متصفة بصفات الأبراج العاجية حيث يجلس أصحابها، ولاسيما عند ما يتناولون في نظرياتهم، مجالات بعيدة عن مجالات تجاربهم العملية، وخبراتهم الواقعية.

أما النظريات العملية، فهي نظريات عمل تولد في مجال الحركة والتطبيق من قبل أصحابها، الذين يولدونها من خلال المسار العملي، ومن أجل تصحيحه والسير به نحو الأفضل وصولاً لتحقيق الأهداف، وفي مجال الجهاد والمعركة.

ويمكن تعريف النظريات العملية بأنها: نظريات تولد في ميدان المعركة والمواجهة، يصوغها المفكرون المجاهدون المتحركون في أرض الواقع، والعلماء العاملون في ميدان المعركة، وتسطرها الأقلام المجاهدة الميدانية، ولا تنزل عليهم من فوق، من قيادات قاعدة، ولا من علماء قد يبّست مفاصلهم المكيفات، في جلسات الترف الفكري على الطاولات الفارهة، بعد عشاء دسم قد حفل بالملذات.

لأن المخلص من أولئك الكتاب - إن وجد فهم مخلصون – يمكنهم أن يكتبوا في فقه الجهاد وأحكامه، ليعيدوا تلصيق النصوص القديمة، ويعيدوا كتابتها، ويمهروها بأسمائهم المسبوقة بألقاب الشيخ والأستاذ والدكتور والمفكر، ثم يسّوقوها في طبقات أنيقة، على ورق ثمين، ليقرأها جمهور لا يقل عنهم ترفاً، وقد يستفيد مما فيها من حكمة مؤمنون تحركوا بها وبغيرها من آفاق الحكمة في ميادين القتال.

إن نظريات الجهاد العملية، يولدها أصحابها في ميدان الجهاد والمواجهة وساحات المعركة، تأتي وتولد بعد هضم تجارب الماضي، واستعراض الأثمان الباهظة لسلسلة تجارب الفشل سعياً إلى التصحيح والتطوير، من خلال استراتيجية الثبات واختيارها كما أسلفت، فالعالمون في الناس قليل، والعاملون فيهم أقل، والعالمون العاملون منهم أندر من الحجار الكريمة في هذه السلاسل المترامية الأطراف من ركام الحجارة والتراب، والمخلصون في هؤلاء، ثلة من الأوليين وقليل من الآخرين، نسأل الله بجميل كرمه أن يجعلنا منهم.

إإن النظريات العملية مهمة من حملوا على عانقتهم أمانة السيف والقلم، ووفقهم الله لفهم حكمة التجارب والدروس.

وقلت في ذلك الكتاب قبل سبعة عشر عاماً إن لم تنحني الذاكرة ما فحواه:

إن الانتصارات في تجارب المواجهات قليلة، إذا ما قيست بالتجارب الفاشلة، ولكن دروس الفشل أكثرإغناء من دروس الانتصارات، وأفدح منها ثمناً، وهي بفوائدها تسيربالعامل نحو النصروالنجاح.

إن دروس الفشل مزدوجة الفائدة، لأنها تعلمنا العبرة من التجربة، وتوجد لنا المجرب، فإذا ما قدر للمجربين الثبات، فإنهم يتأهلون بموجب تلك الدروس الإنتصارت كبرى بإذن الله.

وفي هذا السياق أقول..

إن نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي أضمنها هذا الكتاب، هي وليدة أمرين اثنين بعد توفيق الله تعالى..

أولوهما: التجربة الميدانية المباشرة على مر نحو ربع قرن من مواكبه تجارب الصحوة الإسلامية تماساً وإطلاعا، ومن العمل الميداني وسط التيار الجهادي منخرطاً في العديد، منها، ومحتكاً مع الكثير من روادها وقادتها وعناصرها..

وثانيهما: توليدها من خلال دراسة فاحصة، ومراجعة متأنية لتجارب الصحوة الإسلامية الماضية عامة، والمحاولات الجهادية خاصة، مطلعاً على أدبياتها وتاريخها ومنشوراتها، وروايات أصحابها مباشرة، حيث لم تتوفر كتابة، ثم اعتماد مبدأ التصحيح والتطوير لتلك التجارب، بعد تبني خيار الثبات، كمرتكز شرعي ديني وعقدي، وأساس استراتيجي حركي..

وبهذا تأتي هذه النظريات في التيار الجهادي والصحوة الإسلامية بصفتها نظريات عملية.

لقد أخذت هذه النظريات - بعون الله - آلاف الساعات، من المطالعة والتأمل والتفكير والمقارنة، ومتابعة دقيقة ويومية لمختلف وسائل الإعلام للوقوف على مستجدات واقع المسلمين ومخططات أعدائهم، ومثل ذلك الجهد والوقت من الحوار والمدارسة والنقاش، مع مختلف المستويات في وسط التيار الجهادي، وغيرهم من رجال الصحوة، ولاسيما في قطاع المفكرين والدعاة والقادة المجاهدين أصحاب التجارب.

وقد يسر الله بعد تلك الساعات الكثيرة من الدراسة والمحاورة، ولادة كثير من الأفكار الإشراقات، التي ربما التقطت بعضها من أفواه بعض أفراد المجاهدين العاديين البسطاء من روايتهم وآرائهم عن تجاربهم، أو من قيادات مجربة عاملة، من غير المهتمين بالتأليف أو القادرين على الكتابة، فصغتها بأسلوبي ووضعتها في سياقها، وجمعتها كما يفعل الصائغ بحبات الجوهر الثمين.

وربما سبب لي حوار مع البعض، أن تنقدح في ذهني تداعيات فكرة طرحت لتتطور عندي وتتداعى تبعاتها الفكرية لتأخذ مكانها في السياق، ويعود كثير من الفضل فيما يبدو إبداعياً ومبتكرا في هذه النظريات، لعشرات من حاورتهم من الرجال والدعاة والمجاهدين العاملين، وبذلك أستطيع الادعاء بأنها نظريات عملية، وإثبات ذلك، ومن هنا اعتقد أن هذه النظريات تأخذ قيمتها، ولهذا أذكر هذه المراحل في توليدها، وأسال الله الإخلاص.

ثالثًا: آلية توليد النظريات من خلال منهج الثبات والتصحيح والتطوير:

لقد تكلمت على هذا المنهج في آخر الفصل السادس ومطلع السابع من الجزء الأول، ما فيه الكفاية عن استراتيجية وخيار الثبات، وعن أهمية التصحيح، واستناده لمبدأ عرض العلة بلا حرج ودراستها، وعن مبدأ

استعراض أساليب العمل وتناولها بعيداً عن التقديس لأنها آلة ووسيلة، وتطويرها أو إلغاؤها، أو استحداث ما يناسب الوقت مما لم يسبق تجربته كأسلوب.

وقد أدى بي ذلك إلى استعراض حصاد تجارب التيار الجهادي بكل انفتاح وحرية، وبفقه منهج نقد ذاتي يهدف إلى أهداف سامية، وهل هناك أسمى من الجد في البحث عن سبيل للجهاد نرجو أن يحقق النصر وينهض بهذه الأمة من ضحضاح الهزيمة؟.

وقد تناولت مناحي ذلك الحصاد في الفصل السابع، بعد أن مر مختصر تاريخ التجارب في الفصل السادس، وهو من أطول فصول الكتاب، ولكني هنا أشير إلى آلية توليد النظريات بعد إجراء عملية استعراض علل وأخطاء تلك التجارب والأساليب، التي لم يكن غالبها خطأً وإنما كانت أساليبا استهلكت وتجاوزها الزمن، بمعنى أنها لم تكن خطأً ولم تعد صواباً، ولقد كان من أهم الفقرات إفادة للبحث عن نظريات الصواب المفترض، فقرة البحث في الأسباب الداخلية الذاتية لفشل مشاريع الجهاديين، وأخطاء المنهج والبنية والمسار، وأخطاء طريقة الأداء التي عرضتها في الفصل السابع.

وبعد ذلك قمت بعملية البحث عن الصواب أو عن المناسب المقابل لما اعتقدت أنه خطأ، أو أنه لم يعد مناسباً.

و كما كان مجموع الأخطاء يساوي فشلاً في المحصلة، أو يشكل أهم أسباب الفشل، شكلت مجموعة فرضيات الصواب (**نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**)، بهذا الشكل الذي يوضحه هذا الجدول التمثيلي.

خطأ مفترض	صواب مفترض	النظرية الجديدة
أخطاء منهجية	تصورات منهجية صحيحة	نظرية الفكر والمنهج في دعوة المقاومة
أخطاء تربوية	تصورات منهجية صحيحة	نظرية التربية في دعوة المقاومة
أخطاء سياسية تطبيقه	تصورات سياسية صحيحة	نظرية السياسية في دعوة المقاومة
أخطاء في الأساليب العسكرية أوأساليب استهلكت	تصورات عسكرية مناسبة	النظرية العسكرية لدعوة المقاومة

وهكذا.. في باقي مجالات نظريات الدعوة، التي سعيت أن تكون شامة ومتكاملة، بدءاً من الأساسيات العقدية والفكرية والسياسية، ومروراً بالمنهج التربوي المناسب، وانتهاءً بالأساليب التطبيقية للعمل العسكري، وما يلزمه من الإعداد والتدريب والتنظيم والتمويل، من دون أن ننسى الأساليب المناسبة للدعوة والإعلام والتحريض.

رابعًا: اعتماد منهج حشد الأمة من أجل المقاومة دون المساس بثوابت المنهج:

لا يمكن إثبات صحة نظرية ما، إلا بإثبات خطأ ما يناقضها في مجالها، وهو ما أسميته في بعض محاضراتي القديمة بـ(**مبدأ الهدم والبناء**)، وهو مبدأ معتمد في الدعوات كلها.

فأساس دعوة الإسلام يقوم على ذلك:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا يمكن أن يبني الإيمان بالله، إلا على هدم الإيمان بالطاغوت والكفر به، وينسحب هذا المبدأ على ما هو أقل مستوى في التناقض، من مجالات الحق والباطل، إلى مجالات الخطأ والصواب، وهي افتراضات اجتهادية في مجالات العمل والحركة خاصة.

فلا يمكن إثبات أن الجهاد هو الحل للخروج من أزماتنا، إلا بإثبات أن البرلمان ليس الحل، وقل مثل ذلك عن الأساليب المتعددة المطروحة في سوق الصحوة الإسلامية.

وعند ما يتعلق الأمر باستعراض التجارب وتقييمها تشتد حساسية المسألة، فالتجارب دعوات، والدعوات أفكار ومناهج، ونقدها يثير حساسية أصحابها، وأكثر من هذا حساسية، أن الدعوات أشخاص ورموز، وأعمال عاملين، وانتقادها يثير حساسية أكبر، بل يثير الشعور بالعدوان، ويستفز للرد.

وهنا لا بد من العودة إلى أصول الخلاف وأدب الخلاف وفق قواعد الإسلام، فنظريات (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**) تقف مع مختلف شرائح مكونات خط الحرب المفترض حشده في هذه الأمة في مواجهة أعدائها أمام مستويين من التعارض: **مستوى إختلاف**، و**مستوى خلاف**.

ففي التعرض لما يمس ثوابتنا العقدية والمنهجية الفكرية فنحن ومن يرى غير ذلك بمن فيهم بعض مكونات وحركات الصحوة الإسلامية ومناهجها ومدارسها وإعلامها في مجال خلاف، خلاف تضاد، فالفارق مثلا بيننا وبين الإسلاميين (البرلمانيين والديمقراطيين) هو مجال خلاف تضاد وليس اختلاف تنوع مقبول.

وأظن أن هذا المثال الصارخ الإشكالية يوضح نظائره من المشاكل المنهجية.

وأما ما يمس أساليب العمل، وآليات المواجهة، ضمن التيار الجهادي ومدارس العمل الإسلامي، فنحن في مجالات اختلاف تنوع ممكن، وربما مفيد، فهو اختلاف في وسائل العلاج.

وهنا ربما تكون الحساسية أقل، أو هذا ما يجب على الأقل.

وقد حرصت رغم الطبيعة الثورية لمثل هذه الأفكار المطروحة في هذا الكتاب، أن ألطّف من كافة تبعات هذا الخلاف والاختلاف، لكوننا في حالة مواجهة صائل ليس أوجب بعد توحيد الله من دفعه، ويجب رص الصف وتأليف القلوب، رغم صعوبة المسألة، فالنفوس جبلت على تقديس الأفكار والأشخاص، وهي أكبر المعضلات التي قامت في طريق الأنبياء فمن بعدهم، من أتباعهم وورثة دعواتهم.

ولكني جهدت وسأجهد في أن لا تؤثر جدية الطرح، وعمق انقلابيته وأبعاده التجديدية، على ما أقصده من الحشد للمقاومة، فإني هنا بصدد إنشاء نظريات دعوة، وليس إرساء قواعد تنظيم أو تجمع حركي ينافس الآخرين في ميدان العمل، ويصارعهم على تجاذب مقومات العمل، البشرية والمادية، كما حصل ويحصل وللأسف في ميدان الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي..

بل لقد ذهبت في هذا الطرح لما هو أبعد من ذلك في رص الصفوف ومحاولة جمع الأمة، وذلك أن مجالات الخلاف والاختلاف، تصبح مجالات تناقض وعداء، عندما نخرج من دائرة الصحوة الإسلامية، إلى مختلف الشرائح والمكونات الفكرية والثقافية والسياسية للأمة الإسلامية، بمجموعها البشري، وتركيبها الثقافي والحضاري المعقد، من مثل التيارات ذات الأفكار المستوردة مثل التيارات القومية، والوطنية العلمانية، وغيرها التي تشتمل - للإنصاف - رغم تناقضنا مع أفكارها، وعدائنا لما تحتويه من الإنحراف والضلال، فإنها تشتمل على قطاع عريض من الشرفاء الذين يريدون بإخلاص الاشتراك في المقاومة لذات أعدائنا، ويقصدون - من حيث لم يوفقوا للصواب - إلى خلاص هذه الأمة، ويرجون انتصارها ورفعتها، وقد شاركونا كإسلاميين الكثير من ضرائب العناء مع الأنظمة الطاغية ومن وراءها من القوى الاستعمارية.

فحتى هذا القطاع، حرصت في نظريات المقاومة، دون أن أجاوز ما يسمح به المعتقد وثوابت الدين المقدسة، أن أتألف تلك القلوب ما أمكن، وأن أدخل من بوابات مجالات الإتفاق معها، معتمداً على ما لديهم من النخوة والشرف والحمية، والعاطفة الإسلامية عند من تتوفر عندهم، وصولاً إلى كسبهم إلى أن يكونوا على يمين خط حرب المقاومة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها من المرتدين والمنافقين، إن لم يكن حلفاً على نصرة الحق، فحياداً تجاهنا على الأقل.

وهذا من أهم واجبات من يتصدرون لعملية الحشد، حشد الأمة على المقاومة، وهذا ما سعيت إليه كواحد ممن يرجون الوقوف في هذا الصف.

وأرجوا أن تتسع الصدور جميعها، وهي تستعرض ما لم أستطع أن أتجاوزه من نقد بعض الأمور، أو ما لم يحالفني الأسلوب المناسب في تناولها، وخاصة من قبل إخوة العقيدة والسلاح من الجهاديين، أو

أخوة طريق الصحوة وخدمة الإسلام من الإسلاميين، أو من يجمعنا بهم الهدف النبيل والشرف والنخوة للسعي نحو تحقيقه.

خامسًا: خصائص وملامح في نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

(١) - **تعتمد الدعوة منهج التجديد في أساليب العمل الجهادي والفكر الحركي للصحوة الإسلامية.**

ومرد ذلك إلى التغيرات الجذرية لظروفنا المحيطة، منذ قيام النظام العالمي الجديد، وانطلاق الحملات الصليبية الصهيونية واعتمادها على تحالف أنظمة الردة وقوى النفاق في بلادنا معها، ولاسيما بعد ما عرف بعالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر، ثم تكشف برامج الحملات الصهيونية الصليبية الأمريكية على عالمنا الإسلامي، ومشاريعها الحضارية الشاملة لعالمنا الذي أسمته (الشرق الأوسط الكبير)، وهجمت عليه عسكرياً وسياسياً وثقافياً وعلى كل صعيد، فجذرية التجديد اقتضتها جذرية التحولات الناشئة عن الحملات وتركيبة الصف المعادي.

(٢) - **السمة الأساسية للدعوة - رغم شمولية المنهج- أنها دعوة مقاومة جهادية للعدو الخارجي أساساً.**

فقد قامت معظم مدارس الصحوة الإسلامية، ولاسيما السياسية منها، وخاصة الجهادية من أجل الإطاحة سياسياً أو جهادياً بأنظمة الحكم، القائمة على غير شرع الله، ومن أجل إقامة الحكم الإسلامي على أنقاضها، وكان هذا هو هدف الصحوة بكل مدارسها، وبسبب هذه الهدف تحددت خصائص المناهج، وأساليب الحركة، وكانت كما كانت.

ولكن الهدف الذي تقوم من أجله دعوة المقاومة مختلف الآن، وهو تحديدا دفع صائل العدو الخارجي، وإن كان نجاحنا في تحقيق هذا الهدف، سيؤدي تلقائياً لنفس الهدف الشامل للصحوة الإسلامية والجهادية، وهو إقامة دولة الإسلام وتحكيم شريعة الله، ولكن الهدف الاستراتيجي المرحلي الذي فرضه الواقع الآن، ليس إقامة تنظيم أو تنظيمات تطيح بحكومات محلية، سواءً عبر تنظيمات سرية، أو أحزاب سياسية (قانونية)، لأن الداهية الآن أكبر، والتصدي لها أعجل وآكد.

فهدف دعوة المقاومة هو:

مقاومة صائل الحملات الصهيونية الصليبية الغازية بقادة أمريكا وحلفائها اليهود والصليبين من قوى الكفر الخارجية، ومن قوى الردة والنفاق المحلية المتعاون معها، وبتغير الهدف الإستراتيجي القديم، وهو مواجهة الحكومات، تتغير معطيات المناهج المطلوبة والأساليب الحركية المناسبة.

ويجب أن لا يفهم أحد من هذا، أنه ليس من أهداف دعوة المقاومة (إقامة حكم شرع الله)، معاذ الله، وهل يكون مؤمناً من لا يكون هذا هدفه؟ ولكننا نعتبر هذا الهدف النهائي نتيجة لنجاح المقاومة في دحر هذه الحملات، وإسقاط القوة العظمى أمريكا.

لقد بينا فيما مر في الجزء الأول، بما فيه الكفاية، ما أدت إليه الأساليب القديمة، الجهادية منها، أو السياسية على طريق الصراع مع الحكومات القائمة، وترك القوى الخفية التي دعمتها، وما أدى إليه ذلك من الاحتراب الداخلي، والدوران في حلقات مفرغة، ومن حسن الحظ، ولكي تكون المعركة على بينة، جاءتنا تلك القوى اليوم صراحة بخيلها ورجلها ولله الحمد، وإن دحرها سيؤدي تلقائياً إلى سقوط حلفائها المرتدين والمنافقين، ومن يصر على الردة منهم بتحالفه مع الأعداء الغزاة، ولا ينعطف لينضم إلى جموع الأمة المقاومة.

وبحكم طبائع الأشياء، ستكون القوى السياسية والجهادية المنتصرة في المقاومة إن شاء الله هي المرشحة تلقائياً لملء ذلك الفراغ، وهل ستملؤه بعد كل ذلك المسار الجهادي من التضحيات إلا بتحكيم شرع الله وإقامة دولة الإسلام؟ وهل ستجرؤ قوى محلية ظلامية جديدة، على الوقوف في وجه ذلك الهدف حينئذ، مع غياب القوى الدولية العظمى - التي زرعت أحزاب الكفر وجموع العملاء في بلادنا - واستراحة البشرية من شرورها.

إن انتصار مشروع المقاومة وسقوط أمريكا، بإذن الله، سيبدل موازين القوى، ويجعل الأرض غير الأرض، ولن يحكمنا عندها إلا شرع الله، ولهذا الهدف يجب أن نعمل الآن.

فالهدف الاستراتيجي للمقاومة هو صد الحملات، وجمع الأمة على ذلك، تحت شعار الجهاد ومنهج الإسلام، في دعوة تربوية شاملة متكاملة، ستولد بإذن الله جيلا، بل أجيالا لا ترضى بغير الله ربا، وبغير الإسلام دينا، وبغير القرآن كتاباً ودستورا، وبغير نبينا محمد ﷺ نبياً ورسولاً وقائداً وإماماً..

(٣) - نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تحمل في كثير من جوانبها أبعاداً سياسية شرعية.

والسياسة الشرعية، كما هو ظاهر من تركيب هذا (المصطلح) هي وليدة:

(شريعة + سياسة)، والشريعة أحكام ثابتة، وخطوط عريضة تحد مجالات السياسة، لتسير وفق الهدى الرباني لسياسة واقع.

والواقع متحول يقوم على حركة بشر، وسلوك متحول يعتمد فن الممكن، وقلوب متقلبة ضمن أصابع الرحمن جل وعلا يقلبها كيف يشاء.

ولذلك يجب أن تتحرك دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ضمن هذه الآفاق، بضوابط السياسية الشرعية، بثبات ثابتها، وتحول متحولها، بانسيابية حركية تناسب التجدد والتقلب الهائل في الظرف

والمعطيات، فإن من خصائص النظريات العملية، القدرة على التجديد ومواكبة المتغيرات، من قبل العاملين ذاتهم، واتصال سلسلة السائرين على بصيرة من دينهم، بعد اختيار استراتيجية الثبات والاستمرار بعون الله.

(٤) - إن دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، دعوة لتنظيم جهد المجموع من خلال إبراز دور الفرد.

فهي مستوحاة من قوله تَعَالَى:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].

فدعوة المُقاوَمة هيَ دعوة قامت كي يستطيع الفرد كفرد، والمجموعة الصغيرة مهما قلت إمكانيَّاتها، أن تؤدى فريضة الجِهَاد العيني لدفع الصّائل، بما يناسب حالها وقناعتها وقدرتها عَلى التجمع والتَّنظِيم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فتطلق الفرد للعمل، إذا لم يجد من لا يضم جهده إليه، فإن وجد من يعينه، وينضم إليه، فبها ونعمت.

وهو ليس قتال عَلى أي مبدأ كانَ! وإنما ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وسبيل الله منضبط – باختصار- بشرع الله، وهو معتقد دين، وأحكام شريعة، ينتج سلوكاً ومنهجاً.

وهي إذ تكلف الفرد، كلّ فرد مهما قل شأنه وإمكانيَّاته، ما خلا أصحاب الأعذار الشَّرعيَّة - وليس أعذار القعدة والمُنَافِقين - تكلفه بالقتال، وتضيف تكليفاً آخر لكل بحسب قدرته عامة ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، فتخص أهل الذكر، وأهل العلم، ورجال الفكر، وأصحاب الرَّأي، تضيف إليهم فريضة أُخرى وهي القيام بالتّحريض عَلى المُقاوَمة ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، فعليه أن يحرض ويدعو للمقاومة، فضلا عن واجبه القتالي.

ومجال التّحريض هو للمؤمنين، وهم الّذين آمنوا، كلّ الداخلين تحت مسمّى لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله، وهم دائرة التّحريض العامّة.

كلّ ذلك من أجل هدف تحققه هو بيد الله تَعَالَى توقيتاً وكيفاً، ونحن مكلفون بالسعي إليه، فكل ذلك الجهد والمُقاوَمة والقتال؛ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يكف بأسهم وعدوانهم، ثمّ ليؤمن كلّ مُجَاهد تحقيقه عقدية من أساسِيَّات الإيمان، وهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ فهم سيهزمون ببأس الله وسيؤولون في الدُّنيَا والآخرة إلى نكاله.

والعاقبة للمتقين، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات]

وكما قَالَ عليه الصّلاة والسَّلام، وكفى بها شحنة معنوية دافعة: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**»(١)، فلَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ اللهِ واللهُ أكبَر ولله الحمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى النَّظريَّات الثمانية لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة نبدؤها، بأهمها ومرتكزها كما هو مستند كلّ دعوة وطريقة، نظريَّة المُوَاجَهة، (المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة).

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧) وصححه الأرنؤوط.

المنهج والعقيدة الجهادية

لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

العقيدة القتالية:

هي مجموعة الأفكار والمعتقدات التي يحملها المقاتل في عقله وقلبه ونفسه، ويتحرك بدافعها للقتال من أجلها، فتورثه الثبات على تكاليف هذا القتال، الذي يكلفه كل ما يملك وأعز ما يملك، نفسه وماله وولده وأهله وكل كيانه، كما تشتمل على الأخلاقيات والسلوكيات والقواعد والأحكام التي تلزمه أثناء مسيرته القتالية.

وهذه العقيدة القتالية هي التي حركت الجيوش، وأقامت الدول عبر التاريخ، وبسببها نهض الرجال، وثبت الأبطال في ميادين النزال.

و في العصور الحديثة حرصت الدول وقيادات الجيوش، والتنظيمات العقائدية، والثورات والحركات والأحزاب التي حملت المبادئ، كما حرص القادة والزعماء على تعبئة جنودهم بعقيدة قتالية تدفعهم إلى البذل والعطاء، وتقديم الجهد والصبر في ميادين القتال، لتقنعهم بالحق أو بالباطل بعدالة قضيتهم، وبسمو المبادئ التي يقاتلون من أجلها، سواءً كانت ديناً أو معتقداً، أو حباً للوطن وإخلاصاً للأمة.

ففي كل جيش من جيوش العالم اليوم دائرة هامة من دوائر قيادات الجيش والقوات المسلحة تسمى (دائرة التدريب والتوجيه المعنوي)، أو ما يوازي ذلك من المسميات، حيث يعمل بها المتخصصون من العلماء والأدباء والمفكرين والأطباء النفسانيين، ويقومون بإعداد البرامج والمناهج من المحاضرات والدروس، لزرع الأفكار والحفاظ على مستوى قناعة الجند بعقيدتهم القتالية واحتفاظهم بقيمهم، وروحهم المعنوية.

وتأخذ هذه المواد حيزاً يجاوز في كثير من الأحيان نصف ساعات التدريب العام وبرامج الإعداد، وقد يصل في بعض الحركات الثورية والتنظيمات العقائدية، إلى أكثر من ٨٠% من الوقت المخصص للعمل والإعداد لدى الأتباع والجنود.

الفارق بين المقاتل المحارب.. والمجاهد والجندي العقائدي:

أسهبت الدراسات التي عنت بالعقيدة القتالية وأهميتها في الجيوش الحديثة بإيضاح هذا الفارق، فالمقاتل أو المحارب لغير قضية، من غير معتقد، ولغير هدف مقدس سام عنده، مثل اللصوص وقطاع الطرق، والجنود المرتزقة، يشتركون مع أي جندي ومقاتل عقائدي يقاتل لهدف شريف وعقيدة مقدسة

عنده، بكل خصائص المقاتل إلا العقيدة، فهم يشتركون في كل وجوه الإعداد، وفي كل حركات القتال والأعمال العسكرية.

فالذي لا يقاتل لعقيدة ومبدأ، لا يصبر على الهزائم، ولا يصبر على استمرار وطول فترة المعاناة، وسرعان ما يكون عرضة لأن يبيع ذمته وضميره لعدوه، وربما يعمل لحساب عدوه إذا وفر له نفس غاياته الدنيوية، أو زاد على من وفرها له، فينقلب ويخون، أو على الأقل يستسلم وينسحب إلى حياته الخاصة مؤثراً السلامة مكتفياً بما حصله وجناه.

لكن المقاتل العقائدي يثبت، ولا يخون ولا ينقلب، ولا يكون عميلا لعدوه، ولا يستسلم إلا مكرها، ويحاول الفكاك من عدوه ومتابعة العطاء، ويصبر ويحتسب عناءه عند الله، ويكون له من راحة ضميره، أو تصوراته عن مآله وازعاً لذلك الصبر والصمود، ولو فتر وسكن لفترة مضطرا، تبقى نفسه تواقة وضميره يعذبه ويدفعه لمعاودة الجهاد من أجل أهدافه وقيمه العليا، وشتان شتان بين المحارب وبين المقاتل العقائدي.

مستويات المقاومة:

إنّ المشاركة في المُقاوَمة والتّدرّج في ميدان الجِهَاد في سبيل الله ومُوَاجَهةِ أعداء الله يمرّ لدى كلّ فرد في ثلاث مستويات:

◉ العاطفة الدّينيّة الإِسْلَاميّة:

وهذه يكوّنها المفهوم العامّ للدّين، والمَورُوثات الطّبيعيّة للنّخوة والشّرف، والإباء والحميّة لدى الفرد، كردّ فعلٍ طبيعيٍّ عَلى حال الاحتلال والظُّلم، وكسر الكبرياء وهتك أستار الكرامة الدّينيّة والحَضَاريَّة والوطنيّة من قبل المُستَعمر وأعوانه، وهذه العاطفة تحمل صاحبها عَلى المشاركة في مجال المُقاوَمة المدنيّة أو ردود الأفعال العاطفيّة تجاوباً مع جَيَشَانِ هذه العَوَاطِف في قَرارة الضّمير.

◉ إرادَة القِتَال:

وهذه أساس تَكوُّن القدرة عَلى فعل المُقاوَمة والجِهَاد، فالإرادَة هيَ عزم يتكوّن في العقل والقلب والنّفس للإقدام عَلى العمل، وهي أوّل مراحل العمل، وبدونها لا يقدم المرء عَلى أي عمل.

قَالَ تَعَالَى عن المُنَافِقين القاعدين عن الجِهَاد:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة]

فمراحل الإقدام عَلى الجِهَاد والقتال هيَ (إرادَة – إعداد – انبعاث)، وتتكون إرادَة القِتَال بعد نضوج العاطفة الدّينيّة والقناعة بالقتال، ويساعد عَلى تشكيلها إذا كانَ الضمير حياً والقلب سليماً ما يمارسه العدوّ من

أعمال العدوان والمظالم والقتل والدمار وما يلبسه للأمة من القهر والذل والخوف والجوع، فيحمل المرء السّلاح ويقاوم.

◉ **العَقِيْدَة الجهاديّة:**

وهذه لا تأتي إلا عبر التّربية والتلقي(١)، وهي أساس في أمور غاية في الأهمّيّة:

- فبالعَقِيْدَة الجهاديّة وفهم أركانها واعتقادها، يكون القِتَال جِهَاداً في سبيل الله، لأنها توضح العزم والقصد، وهو من قاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا فهو في سبيل الله، حيث أن القتيل في ذلك هو الشّهيد وإلا فلا.

وبالعَقِيْدَة الجهاديّة يعرف المرء أحكام هذه الفريضة وآدابها ومقتضياتها ويقدِم عَلى القِتَال عَلى بيّنة وبصيرة من ربّه ودينه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].

- وبالعَقِيْدَة الجهاديّة وأركانها يرسُخ في نفس المُجَاهد المنهج والفكر الجهاديّ، والوعي الكامل بناء عَلى معرفة أحكام الله الشَّرعيَّة، وبناءً عَلى فهمِ مُقتضيات هذه الأحكام من فقه الواقع الّذي يدور من حوله.

- وبدون العَقِيْدَة الجهاديّة، إمّا أن يحبطَ العمل ويسوءَ المصير أعاذنا الله من ذلك، أو تنقطعَ السّبلُ بالمقاتل عَلى محنِ الطّريق ومحكّاته من القتل والأسر والتّشريد، فهي الضّامن بعد الله تَعَالَىٰ، في تثبيت المُجَاهد عَلى نيته وعزيمته في وجه عواصف التضليل الإعلاميّ، والفتنة والزيغ الّذي يحاوله أعداء الإِسْلَام وآلاتهم المنافقة، وخاصة علماء السوء وفقهاء الضلالة، الّذين يحاولون تلبيس الأمر عَلى المُجَاهدين، لصرفهم عن سبيل الله، فلا بُدَّ للعاملين في مجال المُقاوَمة والجِهَاد والعمل العسكريّ المباشر ضدّ أعداء الله، أن يكون لهم علماؤهم ومفكّروهم، ومثقّفوهم وآلاتهم الفكريّة والمنهجيّة، وأدوات إعلامهم، لتوجيه العَوَاطِف الجيّاشة في نفوس المُؤمِنِين، وتحويلها عبر الإعلام والدعاية الجهاديّة إلىٰ إرادَة قتال، وصقلها وترسيخها كعَقِيْدَة جهاديّة تمكن الأجيال من استمرار المُقاوَمة وتوارثها.

ولابدّ من ذكر الحقيقة المُرّة؛ وهي أنّ عشرات الملايين من شباب المُسلِمِين المخلصين، ما زالوا إزاء هذه المدلهمّات المظلمة المتتابعة من النّوازل في هذه الأُمّة، تائهون متحيّرُون عجزة! يتردّدُون في مجال العاطفة الدّينيّة وحسب، يتجرّعون الحسرات والمرارات ويرتكبون بعض ردود الأفعال غير المجدية، ولم تتحوّل هذه العَوَاطِف إلىٰ إرادَة قتال، إلا عند النّزر اليسير من المئات هنا وهناك، وربّما العشرات أو الآحاد في بعض البلدان العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وبنظرة إلى الظَّاهِرة الجهاديّة وروّادها، منذُ انطلقت خلال العقود الأربعة الماضية كما سيأتي تفصيله في الفَصل السَّادس إن شاء الله، نجد أنّ أعدادهم لم تجاوز المئات حتَّى في دول مليونيّة كمصر وبلاد الشّام، ولم تجاوز العشرات في دول أُخرى! في حين لم تقم أي بادرة جهاديّة في أكثر بلاد المُسلِمِين، رغم ما يعتريها من

---

(١) سيأتي مزيد من التفاصيل في البَاب الأول من الجزء الثّاني من الكتاب إنْ شَاءَ اللّهُ [المؤلف].

حالات الاحتلال المباشر وغير المباشر من قبلِ مُختلف دول الاستعمار، وما يظهره حكامها من الكفر والرِّدَّة والخيانة، فضلاً عن المظالم والمفاسد الّتي أحالت حياة أكثر الشّعوب جحيماً.

بل إنّ الإحصائيّات المؤسفة تشير، إلىٰ أنّه ومنذ استعلن الأمريكان باحتلال جَزِيرَة العَرَب، ونزلوا فيها جهاراً سنة ١٩٩٠م وما زالوا إلىٰ يومنا هذا أي منذُ نحو ١٣ عاماً، حيث يسرح ويمرح في أنحائها مئات آلاف الجنود الأمريكان والإنجليز والأوروبّيّين ويتسكّع فيها مئات آلاف المدنيين منهم بأسرهم، ويشرفون علىٰ النهب والسّلب الاقتصاديّ والفساد والإفساد، ومع ذلك لم يجاوز عدد العمليَّات الجهاديّة رغم بساطتها، لم يجاوز إلا بعض العمليَّات لم يزد فيها مجموع خسارة الأمريكان علىٰ بضع عشرات، هذا رغم أن واردات الاستعمار الأمريكيّ منها (مجموع بلدان الجَزِيرَة) تُجاوِز يوميّاً المليار دولار من النّفط فقط، هذا المُستَعمر الّذي يموت في بلده من مواطنيه جرَّاء حوادث السّير أسبوعيّاً مئات الأشخاص، عدا الآلاف ممّن يقضون في باقي الجرائم وتناول الخمور والمخدّرات! وينشر الأمريكان في منطقتنا العربيَّة والإسْلَاميّة الّتي يسمّونها (منطقة العمليَّات الوسطى) زهاء مليون ونصف المليون جنديٍّ أمريكيّ عدا جنود حلفائه، فكيف يُغَادِر مثل هذا المحتل مثل هذه الدّولة؟! الّتي تحوي أقدس مقدّسات المُسلِمِين وتشكّل عقر دارهم؟! وهذه ظاهرةٌ نادرةٌ في تاريخ الاستعمار والمُستَعمِرين علىٰ مرّ البَشَرِيّة!!

أما الأشدّ أسفا من ذلك فهو أن تقوم دار الإِسْلَام في أفغانستان أيّام طالبان، وتفتح علىٰ مصراعيها لمدّة ستة سَنَوات، وتنشأ فيها المُعَسْكَرَات وخطوط القِتَال، وتفتح فرصة الجِهَاد تحت رايات الشّريعة، ولم يَزِد عدد من دخلها للهِجرَة والجِهَاد علىٰ ١٥٠٠ مُجَاهِدٍ، منهم نحو ٣٠٠ مُجَاهِدٍ بأسرِهم، أي نسبة واحدٍ في المليون منَ الأُمّة!! ولم يستفِدْ من فرصةِ الإعداد والتّدريب وحضور ميدان الجِهَاد إلا أعدادٌ محدودةٌ ممّن أنعَمَ الله عليهم! بل الأنكى من ذلك، أنّه لم يُهاجر إليها عالمٌ واحدٌ من علماء المُسلِمِين ولاسيّما مشاهيرهم، ولا من رموز الدّعوة الّذين ملأوا الدُّنيَا زعقاً فارغاً عن الهِجرَة والجِهَاد.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الّذين نفروا للجِهَاد لغَوْثِ إخوانهم الّذين وقعوا تحت بطش الاحتلال الصَّارخ في أفغانستان سابقاً أيّام الرُّوس، أوفي البوسنة أو الشّيشَان أو فِلَسطِين أو غيرها من بلاد المُسلِمِين الّتي تعرّضت للاحتلال المُعاصر، نجد أنّ النّسبة تبقىٰ في خانة الآحاد للمليون، رغم ما طبّل الإعلام وزمّر من أجل تضخيم ظاهرة الجِهَاد المُسلّح أو ما يسمّونه بـ (الإرهَاب) من أجل تبرير أهدافهم العدوانيّة [ودع عنك الأرقام الخيالية الّتي نشرتها استخبارات أمريكا عبر وسائل إعلامها من أرقام أدخلتها تحت مسمّىٰ القَاعِدَة من أجل تحقيق أهدافها، وأنا أؤكد ما ذكرته من أرقام وبصفتي أحد الّذين خبروا هذه المَرحَلَة ميدانيّاً والحَمْدُ للهِ].

فإذا ما قسنا هذا الحال مع حجم النَّفِير للجِهَاد الّذي قام به المُسلِمُون عبر تاريخهم القديم وحتىٰ الحديث أيّام الاستعمار، نجد أنّ حال الأُمّة هذه الأيّام يدعو للإحباط، لولا الأمل بالله، وما تشير إليه بوادر الأمل والانبعاث في بعض شرائح الأُمّة، والَّتي تحتاج إلىٰ جهود تثمّرها وتطلقها وتأصّل لها، وصولاً إلىٰ تحويلها إلىٰ (مقاومة إسلاميّة عالميّة) ناجعة تحمل عَقِيْدَةً جهاديّةً وإرادَة قتال فعليّة تغذّيها عاطفةٌ مُجْدِيَةٍ.

العقيدة الجهادية لدى المسلمين وأثرها ومكانتها:

ونحن المسلمون نسمي قتال أعدائنا، (جهاداً في سبيل الله)، وبالتالي يكون المصطلح المناسب المرادف (للعقيدة القتالية) عند غيرنا هو مصطلح (العقيدة الجهادية).

وتتميز عقيدتنا الجهادية عن غيرها من العقائد القتالية، أنها تحتوي فوق ما تحتويه كل تلك العقائد، من إثارة بواعث الحمية للوطن والأرض والعرض، ومكامن الرجولة والشرف والإباء، وآفاق الخلق الحميدة والمزايا الرفيعة، فقد ربطت المجاهد في سبيل الله بما وعدته من التمكين والعز في الدنيا له أو لمن يأتي من إخوانه وأهل ملته من بعده وعداً أكيداً لهم من الله، بالتمكين إن هم ثابروا على درب الجهاد والصبر، والمصابرة والمرابطة على أعداء الله، ووعدته بما هو أسمى وأعز من ذلك وأحبه لنفسه، وهو ما وعده الله به من الجزاء في الآخرة من الثواب والجنة ورضوان الله لقاء جهده وصبره وفتنة بارقة السيوف فوق رأسه.

وأما لو قتل في سبيل الله فقد وعدته بأجر الشهيد الصابر، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد زودت العقيدة الجهادية لدى المسلمين المجاهد، بتفاصيل مفصلة عن كل شيء

- فتعلمنا حقيقة أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وما يتفرع عن ذلك من عقائد هذا الدين وأحكامه ومقتضياته.

- وتأمرنا عقيدتنا بأن نقاتل أعداءنا حتى يكون الدين كله لله، وتعلمنا أن الإعراض عن ذلك يسبب لنا خزي الدنيا وتداعي الأعداء، وعذاب الآخرة وسخط الله.

- وتبين لنا عقيدتنا الجهادية، من هم أولياءنا المؤمنون وتأمرنا بموالاتهم، ومن هم أعداؤنا الكافرون وتأمرنا بالبراءة منهم وجهادهم بما استطعنا.

- وتعلمنا بأن من والى المؤمن فهو المؤمن، وأن من يوالي أعداءنا الكافرين فهو منهم، ومثلهم حكماً في الدنيا والآخرة، وتأمرنا بقتالهم، وتفصل لنا تفاصيل أحكام أصنافهم وأشكالهم من الموالين والجاهلين والمكرهين.

- وتبين لنا عقيدتنا الجهادية وجوب العمل على تحكيم شرع الله ونصب الإمام المسلم وإقامة دولة الإسلام.

- وتزودنا عقيدتنا القتالية بما يعين على ذلك من الخصال والأخلاق، من الإيمان والصبر، والكرم والشجاعة، والثبات والرحمة، والعبادة والنسك، وبذل النفس والمال والوالد والولد في سبيل الله.

- وتعلمنا كذلك آداب معاملة العدو ذاته، وأحكام ذلك في ميدان المعركة، وفي حالة العهد والهدنة والصلح، وتعلمنا أحكام الذمة والاستئمان كما أمر الله، وتفاصيل أحكام القتل والأسرى والغنائم.

- وتعلمنا العقيدة الجهادية طاعة أولياء أمور المسلمين، كما تعلمنا أن لا طاعة لمن عصى الله، وأن الطاعة في المعروف، وتعلمنا أن نناصحهم ونعينهم على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وأن نصبر على زللهم وخطئهم، وحتى ظلمهم، وأن نتجاوز عن كل ذلك ما لم يبلغ مبلغ أفسد الفساد وأفسق الفسق.

- وتعلمنا عقيدتنا الجهادية فرضية دفع الصائل عن الدين والعرض والنفس والمال والأرض، وإن كان مسلماً فما بالك لو كان كافراً غازياً.

- وتعلمنا أن المسلم أخوا المسلم ووليه وناصره ومعينه، وله عليه حق النصر والمعاونة، حتى ولو كان فاجراً فاسقاً مقصراً، وأن الكافر أخوا الكافر ووليه وأن من والاه ونصره على المسلمين وظاهره في العدوان فهو مثله ولو أدعى الإيمان والإسلام وصام وصلى.

وتعلمنا قول حبيبنا المصطفى: «وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).

وإنَّ غياب العقيدة الجهادية لدى المسلمين له أثر عظيم على مر الأزمان كما حصل مرات عديدة، كانت نتيجتها دائماً واحدة، أن تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الذئاب الضارية الجائعة إلى فريستها، فتقطع أوصالها، وتدوس مقدساتها، وتنتهك أعراضها، وتحتل أرضها وتنهب ثرواتها ومقدراتها، وتاريخنا الحديث حافل بشواهد غياب العقيدة الجهادية عن قلوب معظم هذه الأمة، فقد انطلقت الحملات الصليبية الرومية الجديدة، فأسقطت الخلافة سنة ١٩٢٤، ثم قطّعت معاهدات سيكس بيكو الأمة وأراضيها وشعوبها إرباً إرباً، وجعلتهم دولاً وإمارات، وممالك متنازعة متفرقة، واحتلت مقدساتهم ونهبت ثرواتهم، ولمن لا يعرف التاريخ، ويقصر علمه وفهمه عن دراسته، فهذا حاضرنا الماثل مع الحملات الصليبية اليهودية الجديدة، بقيادة أمريكا وحلفائها في الناتو من الدول الغربية، ومخططاتها للشرق الأوسط الكبير، لتحتله من أقصاه إلى أقصاه، ولتجند حكامه ليقتلوا نخبة شباب شعوبهم، وتستعمل عساكر المسلمين في ذبح الإسلام والمسلمين، ثم لتصنع برامج حرب الأفكار، فتفرض علينا تغير مناهج التفكير والتربية والتعليم في مدارسنا وحتى خطب الجمعة ودروس الدين في مساجدنا وتحدد لنا الآيات القرآنية التي يجب أن لا نطبعها ولا ندرسها ولا ننشرها.

(١) رواه مسلم: (١٨٤٨).

فهذا بعض آثار نتائج غياب العقيدة الجهادية، وكل ذلك مما نشاهد من كفر الحكام، وفساد أكثر العلماء، وضلال غالبية العامة، وتملك الجميع الوهن؛ «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ!»

بل أن الأمور تبشر بالأسوأ، وهو خروج أجيال تقدس عقائد المحتل الغازي الجديد، وتدعوا لأفكاره ونظم حكمه وحياته وثقافته وأتباعه في كل شيء، وها هي الأرض تسير وكأنها تتهيأ لاستقبال الدجال، جموع هائمة على وجوهها لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً..

لقد عرف العدو العلة وأخذ في زرعها ورعايتها، حرب الأفكار وتجفيف مولدات المقاومة والقضاء على عقائد الإسلام، وأهم ذلك جوانب العقيدة القتالية لديها، وهذا هو الداء وبعكسه الدواء، لا بد من التمسك بالدين، وإعادة زرع العقيدة الجهادية في شباب هذه الأمة.

العقيدة الجهادية في الصحوة الإسلامية المعاصرة:

بعد سقوط الخلافة ولدت بواكير الصحوة الإسلامية، وكانت دعوات إصلاح شامل، وكان جانب العقيدة الجهادية حاضراً في معظمها ولا أول على ذلك من الشعار الشهير في أم الحركات الإسلامية وقلبها؛ دعوة الإخوان المسلمين وما تولد عنها من حركات في العالم العربي والإسلامي، فقد قال الشعار في حينها.

(الله غايتنا.. الرسول قدوتنا.. القرآن دستورنا.. الجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا..)

ولا أجد في أدب أديب ولا بيان كاتب في هذه الأمة المعاصر أجمع لمقومات العقيدة الجهادية من هذا الشعار الذي يجمع حذافير الدين وأساسياته وفرعياته.

وقد سارت الصحوة على ذلك الستار صدرها الأول، ولكن ما الذي حصل بعد ذلك على أرض الواقع، لقد دب الفساد في تلك العقيدة الجهادية، وآلت كثير من الحركات، ليكون البرلمان غايتها، والغربُ قدوتها، والديمقراطية دستورها والانتخابات سبيلها، والوصول للمشاركة مع الطواغيت في حكوماتهم أسمى أمانيها، هذه هي الحقيقة الماثلة مهما تكن مؤلمة ومهما يشكل كشفها صفعة على وجوه أصحابها.

بل سار الحال إلى الأسوأ فإن أكثر علماء الإسلام وقادتهم ورموز صحوتهم يسيرون اليوم لتكييف عقائد الإسلام على مزاج الغزاة الجدد تحت دعاوى الاعتدال واحترام الآخر.

إن من أول أولوياتهم اليوم التجاوب مع حرب الأفكار في قطع جذور العقيدة القتالية، لقد صارت العقيدة الجهادية إرهاباً، وفكراً إرهابياً يجب حربه، ويجب أن تنساه الأجيال القادمة.

أقول بكل بساطة - ومهما تكن الحقيقة مؤلمة- لقد تماوتت العقيدة الجهادية القتالية في مدارس الصحوة الإسلامية شيئاً فشيئاً منذ مطلع الستينات

كما حارب رموزها وقادتها، أولئك الذين تمسكوا بتلك العقيدة من أبنائهم، وفصلوهم من تنظيماتهم، وضيقوا عليهم، فضلاً عن محاربة التيار الجهادي دعوياً وفكرياً وإعلامياً، بل وأمنياً في بعض الأحيان حيث تولى بعض الدعاة إبلاغ الأمن عن نوايا الجهاديين!!

ومنذ قيام النظام العالمي الجديد، ولاسيما بعد سبتمبر وإعلان الحملات الصليبية بعد احتلال العراق على الشرق الأوسط الكبير تشهد الصحوة الإسلامية غير الجهادية حالة فرز وانقسام حادة.

فالأقلية الصالحة من أهل الخير من علماء وقادة ورموز صحوة، استفزهم الهجوم وأحيا فيهم مكان الدفاع والغيرة، فمالوا للفكر المقاوم، وإن كان على استحياء، ولكنها صحوة داخل الصحوة تبشر بخير، ولكن أكثرية وللأسف تتحول للعمل كبيادق منافقة من حيث تدري أولا تدري، في خدمة برنامج رامسفيلد لحرب الأفكار.

ويكفي للدلالة على ذلك ولمعرفة الأسماء والهيئات والأشخاص التي تشن الغارة على الإسلام من داخل صفه، أن نقتفي أثر وسائل الإعلام المختلفة من إنترنيت وفضائيات وصحف ومجلات ومؤلفات، لتتابع سيل عمل كتيبة حرب الله ورسوله والطليعة المقاومة في هذه الأمة، تحت دعاوى الحوار والاعتدال والوسطية ونبذ الإرهاب، لقد وصل الهجوم والسموم لكل مناحي ومبادئ هذا الدين، تحليلاً للحرام، وتحريماً للحلال وحربا الله ورسوله وهكذا تبنى مساجد الضرار بتخطيط رامسفيلد وكونديليسا.

إن مساجد الضرار تبني محاربها من جديد، وترفع مآذنها من جديد، أرصادا لمن حارب الله ورسوله، لتحارب أصحاب مسجد قباء، الذين أسسوا بنيانهم على تقوى من الله ورضوان من أول يوم..

إن رحى المعركة الداخلية تدور اليوم. وستكون ضارية مع طلائع رامسفيلد المعممة من أصحاب اللحى المنمقة والبطون المكورة التي ملأها سحت الدولارات رغباً، وروعتها سياط الحكام ووعيدهم رهباً..

فأفرزت لنا أمثال شيطان العلماء (عبد المحسن العبيكان)، وإمام الحرم المنفوخ، الحبر السمين (عبد الرحمن السديس)، وشيخ الأزهر صاحب الطنطاويات، وأمثالهم في كل بلد إسلامي.!

حالة العقيدة الجهادية في التيار الجهادي:

لقد حمل التيار الجهادي عبر تنظيماته وأدبيات مفكريه وكتابه وإعلامه تلك العقيدة بمقتضى الشعار الأول للصحوة، قولاً وعملاً، وقامت الجماعات والتنظيمات الجهادية المختلفة على تلك الأسس

إنَّ معظم التنظيمات الجهادية تبنت العقيدة الجهادية وكان لها فكراً ومنهجاً جهادياً مكتوباً وتبعاً لذلك كان لها برنامجها التربوي الذي رسخ تلك العقيدة في عقول عناصرها، وقد مرت كافة تلك التنظيمات بمرحلتين من الناحية المنهجية والتربوية وتربية الأعضاء على ذلك.

مرحلة ما قبل الصدام مع السلطات في بلادها، ومرحلة ما بعد الصدام، وتمكنت تلك التنظيمات والجماعات أن تربي في مرحلة الإعداد قبل الصدام كادراً طيباً كماً ونوعاً على تلك العقيدة والمناهج وخرجت نماذج ناضجة نموذجية كمجاهدين عقائديين يحملون عقيدة جهادية راسخة واضحة، وهم الرعيل الأول والثاني في كل حركة وتنظيم جهادي تقريباً، ولكن معظم تلك الجماعات بعد فتح الصدام المسلح عجزت للأسباب التي مر ذكرها عن تربية الطبقات التالية من الأتباع، ورغم أن المناهج معروفة ومدونه إلا أن نوعية ومستوى التربية انخفض فيما بعد..

ولما هاجرت تلك التنظيمات، حاولت استئناف المسيرة واستطاعت أن تبني شيئاً من ذلك ولاسيما من خلال مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطين الأول والثاني.

لقد كان تجمع الأفغان العرب تجمعاً غير متجانس، وكانت الشريحة الأكبر منه لا تنضوي تحت تنظيم ولا جماعة ولا أمير، وكانت معسكرات التدريب العامة المفتوحة تقتصر تقريباً على التدريب العسكري، ولم تر من الدروس المنهجية ما يمكن وصفه بأنه منهج تربوي يرسخ عقيدة قتالية، باستثناء بعض الدروس القيمة والقليلة التي ألقاها الشيخ عبد الله عزام رحمة الله في الطبقة الأولى من تجمع المجاهدين العرب قبل أن تشغله المشاغل وقبل اغتياله رحمه الله.

ورغم تجمع أكثر من ٤٠ ألف مجاهد عربي ومسلم في الشوط الأول للأفغان العرب، مما شكل فرصة نادرة الحصول لتربية تلك المجموع أو طلائعها على عقيدة قتالية جهادية، لمواكبة ما يتربص بالأمة من أحداث وحملات صليبية وشيكة، إلا أن تلك الفرصة ضاعت.

وكان السبب عدم إدراك القيادة العليا للتجمع الجهادي العربي آنذاك لأهمية تلك العقيدة الجهادية، وأعتقد أن كثيرا منهم في تلك المرحلة، لم يكونوا يملكون تلك العقيدة الجهادية أصلاً ولا يقيمون لها وزناً، بل كانوا يعملون بدافع عاطفة دينية وقناعات جهادية محدودة ومحددة، بل كان بعضهم يحمل أفكاراً متناقضة مع مقتضيات العقيدة الجهادية أصلاً تحمل بصمات ما تربوا عليه من مناهج غير جهادية، ولو لا فضل الله ووجود دعاة جهاديين وبعض العلماء والمفكرين ووجود التنظيمات الجهادية من الذين يحملون تلك العقيدة الجهادية، لاجتمع الجمع وانصرم ولم يخلف وراءه إلا صدى طلقات المعارك ودورات التدريب التي سرعان ما تلاشت، بعد أن قضى لأمريكا حاجتها من ذلك الجمع دون أن يدري.

ولكن تلك الكوكبة الواعية الفاهمة بذرت بذور الفكر الجهادي عبر معسكرات ومضافات التنظيمات الجهادية، وعبر بعض الدروس والمحاضرات التي عقدها بعض المفكرين وطلاب العلم الواعين لعقيدتهم الجهادية وأهميتها بالإضافة لنشر الأدبيات التي تحمل الفكر الجهادي.

ولكن النجاح في هذا الميدان واجه مقاومة شرسة من قبل الأوساط السعودية التي كانت مسيطرة على معظم ذلك الجمع عبر مؤسسات كثيرة، وقد أثبت المردود الواهي لتلك الجموع وعدم مساهمتها فيما تلا من أحداث، ذلك الفشل الذريع لمشروع تربية أولئك المجاهدين.

فلقد تكون الجمع العربي من زهاء ٤٠ ألف مجاهد، ارتادوا بيشاور ومعسكرات التدريب وجبهات القتال ما بين (١٩٨٥-١٩٩٢)، ولا شك أن أكثر من ثلثيهم قد تلقى تدريباً عسكرياً معقولا، وأن أكثر من نصفهم دخل جبهات القتال، وأن ربعهم على الأقل شارك في معارك حقيقية بشكل فاعل جعل منه مقاتلاً محترفاً على نحو طيب.

فباستثناء عدة مئات من المطاردين أصلاً في بلادهم، عادت معظم تلك الآلاف المؤلفة إلى بلادها، وقد انطلق النظام العالمي الجديد واحتل جزيرة العرب، ودمر العراق وحاصرها، واشتعلت الانتفاضة، وزحفت روسيا

إلى الشيشان، ووقعت مذابح الصرب في البوسنة، واستمرت مآسي المسلمين بشكل فظيع مع اقتراب القرن العشرين من نهايته وحملت وسائل الإعلام إلى كل بيت، ما يفجر القهر والغيظ في ضمير أي مسلم..

فما ذا كان دور تلك الآلاف من المجاهدين الذين أعدوا وتدربوا وأتقنوا استخدام أغلب صنوف الأسلحة؟! ماذا كان أثرهم على تلك المعركة المشتعلة في كل مكان عامة، وفي الشرق الأوسط الجزيرة والعراق والشام خاصة! تقريباً لاشيء.

فباستثناء بعض العمليات الجهادية الفردية التي قام بعضها من لا علاقة لهم أصلاً بذلك الجمع، وباستثناء بعض الذين التحقوا بجبهة البوسنة والشيشان على نفس الطريقة الأفغانية، لم تساهم تلك الحشود في المعركة.

لقد تراوحت في مسلكها بين بعض حالات الانقلاب على الجهاد والصحوة أصلاً كما حصل في اليمن من التحاق كوادر جهادية بأجهزة الاستخبارات والجيش اليمني!! وبين حالات العودة التامة للدنيا التي خرجوا منها للجهاد ثم عادوا للانغماس فيها تماماً وكأنه لا كان جهاد ولا إعداد!!!

هذا فضلاً عن بعض حالات الشذوذ والانحراف الفكري والسقوط في متاهات الغلو والتكفير والإحباط نتيجة الحماس وعدم وجود عقيدة جهادية صحيحة!

فلم كان ذلك؟!

السبب واضح جداً..كان ذلك لأن تلك الجموع لم تتلق أي توجيه وتدريب في مجال العقيدة القتالية الجهادية، ولم تتلق شيئا من المحاضرات الشرعية العقدية، لا في مجال السياسة وفقه الواقع، ولا في نطاق الفكر الحركي والوعي السياسي الشرعي.

تدريب عسكري.. تدريب عسكري.. رياضة.. سلاح.. جلسات نشيد.. قتال..معارك، فقط. لقد قاومت بعض قيادات الجمع العربي المجاهد أي طرح للفكر الجهادي والتوعية السياسية.

وأضرب مثالاً صارخ الوضوح..

فقد كان التجمع الأكبر للمجاهدين العرب، هم مجاهدوا جزيرة العرب الذين قدموا من دول مجلس التعاون الخليجي واليمن وعلى رأسها السعودية، وكانوا زهاء ٢٥ ألف مجاهد وربما أكثر، وزاد عليهم عدة آلاف ممن أموا البوسنة والشيشان وغيرها من الجبهات المفتوحة.

لقد عادوا لبلادهم خلال النصف الثاني من التسعينات ليعيشوا حالة الاحتلال شبه العلني من قبل أمريكا وانطلاقها وحلفائها من دول الناتو من أراضيهم لقتل المسلمين في العراق، ودعم وقتل اليهود في فلسطين، فضلاً عما لاقوه من الاضطهاد والسجن والتحقيقات على يد أجهزة الاستخبارات في بلادهم ولاسيما السعودية فماذا كان رد فعل على كل ذلك؟ ببساطة لاشيء!!

أين العلماء؟ أين الخطباء؟ أين الدعاة الذين ملئوا الدنيا حماساً للجهاد والاستشهاد؟ لم يكن لذلك أي أثر!!

فمنذ عام ١٩٩١ وإلى ٢٠٠١م وعلى مر عقد من الزمن، لم تتعرض القوات الأمريكية على أرض جزيرة العرب إلا إلى عمليتين يتيمتين في الرياض والخبر، وإذا قبلنا معظم الإشارات بأن عملية الخبر كانت من فعل أتباع الاستخبارات الإيرانية ومن حزب الله الشيعي، لا يبقى إلا عملية واحدة، وهي تفجير مقر سكن للأمريكان في الرياض في العليا قتل فيه أربعة أمريكان! هذا في عشر سنين!! وهذا يخجل أي أمة تحتل أرضها بمئات آلاف الجنود ثم يكون هذا حجم مقاومتها!! إنه أمر مخزٍ!

هذا في بلد يحتل فيه العدو عقر دار الإسلام الذي يحتوي كعبتهم ومسجد نبيهم ﷺ، بل وبيت ما لهم الذي يضخ في خزانة أمريكا كل يوم أكثر من مليار دولار كلما أشرقت الشمس وغربت!

وأثناء التحقيق ثبت أن المجاهدين الأربعة الذين أُعدموا رحمهم الله في ذلك الحادث، هم من الذين شذوا عن قاعدة التجمع، وتلقوا فكراً وعقيدة جهادية، على بعض الجهاديين من التنظيمات الجهادية، وقضوا وقتا معهم في أفغانستان، وبدا أثر الفكر والعقيدة الجهادية واضحا عليهم من خلال اعترافاتهم وما نقل التلفزيون السعودي من مقابلات معهم..

وفي آخر أيام الشوط الثاني للأفغان العرب، بدأت الصورة العامة تتضح أكثر فأكثر للجميع، وبدأت صفاقة أمريكا وهجمتها، والوقوف الصريح لحكام العرب والمسلمين معها، ومع المشروع الصهيوني تلعب دورا أساسيا في انتشار العقيدة الجهادية، وبدأت فضائح ونفاق علماء السلاطين تدخل مرحلة مزرية لم يعد بإمكان محبيهم ترقيعها، وبدأت معالم الصورة تتضح، وبدأت أسس العقيدة الجهادية تطرح نفسها بتلقائية في أوساط الأمة عموما، وتهيأت الأجواء لفكر جهادي ثوري مبشر.

وجاءت أحداث سبتمبر وما تلاها، ثم احتلال العراق وما تبعه، وأحداث الانتفاضة وما يجري فيها، لتجعل خيار الجهاد، وطرح الجهاديين هو الطرح الأكثر جماهيرية ومنطقية في أوساط الصحوة الإسلامية بل أوسط مختلف شرائح الأمة بكافة تكويناتها، وهنا تبدو الحاجة ماسة جدا لإعادة طرح أسس العقيدة الجهادية وتفاصيلها بأسلوب جماهيري يناسب المرحلة.

فالحال يبشر بالخير الكثير، ولكن هناك إشكاليات تحتاج للكثير من الجهد والعمل.

أما بشائر الخير؛ فإن العدوان الأمريكي جعل كفة الأطروحات الجهادية ترجح، وجعل الجماهير المؤيدة للمقاومة أوسع، وهذا يسهل على دعوة الجهاد قيامها بالحشد.

وأما الإشكالات فعدة أمور:

أولها وأخطرها أن حرب أمريكا على أفغانستان ثمَّ على التيار الجهادي برمته قد كبدت التيار الجهادي خسائر بشرية فادحة قتلاً أو أسراً، فإن معظم الكادر الأساسي منه قد قضى في سبيل الله، وقد سبقت الإشارة لذلك، ولم يبق من حملة رايته ودعوته، ومن كتابه ومنظريه خاصة إلا النذر الأقل من القليل، حيث تقع على كاهلها مهمة إحياء دعوة الجهاد، ونشر مبادئ العقيدة الجهادية، وإعادة نشر مناهجها.

كما أن التراث الجهادي المكتوب على قلته بالإضافة للتراث الفكري للصحوة الإسلامية الذي يشكل مرجعاً فكرياً وفقهياً للفكر الجهاد من أمثال مؤلفات سيد قطب ﷺ، وغيره كمؤلفات أخيه الأستاذ محمد قطب وبعض مؤلفات آخرين مما كتب في الستينات والسبعينات، يتعرض اليوم للهجوم وللمصادرة من المكتبات ووسائل النشر، كما يتعرض للطعن والتشويه.

وكذلك فكر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء المدرسة النجدية، وما بني عليها من تراث المخلصين من دعاة بلاد الحرمين، كل ذلك يتعرض اليوم للمصادرة والتغييب، والطعن والتشويه.

بل إن الأمر يذهب بعيداً، فد طال الهجوم اليوم تراث أمثال الإمام ابن تيميه وابن القيم ومدرستهم، وغير ذلك على مستوى كل ما من شأنه إن يوفر مادة للعقيدة الجهادية.

إنهم يطاردون حتى بعض النصوص القرآنية في كتب المدارس الابتدائية، إنهم صرحوا في بعض دراساتهم بأنهم لن يسمحوا بتدريس سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ②﴾ لأنها تقول في نهايتها ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥﴾، وهذا يشجع الإرهاب، كيف؟! الجواب بسيط: فاليوم ليس هناك إلا دين واحد، دين بوش الذي يريد أن يفرض نفسه على العالم رباً واحداً أحداً لا يقبل معه شريكا، وخسئ الكلب.

وعلى الناس القرار: إما معه أو عليه، هكذا قرر المجرم.

فالعقيدة الجهادية مهددة في التيار الجهادي بغياب روادها من جهة وبتغييب أدبياتها وما يدعمها من المكتبة الإسلامية من جهة أخرى.

وهناك مشكلة ثالثة، وهي أن الفكر الجهادي، بني على الحاكمية ومبادئ المفاصلة مع كل أركان الجاهلية، من أجل إطلاق تنظيمات جهادية نخبوية تحارب أنظمة، وكان له فقهه وأدبياته، وهو تراث يجب الحفاظ عليه، ولكن مع الانتباه لأمر هام:

إن معركتنا اليوم مختلفة، فهي معركة دفع صائل الأعداء الكفار مع أوليائهم بطريقة أمنية ومقاومة شعبية إسلامية عالمية، وهذا مجال لم يكتب له إلا القليل ويحتاج اليوم فكره ونظرياته وفقهه وأحكامه وأدبياته.

فمن يقوم بهذا وقد عضت السيوف رجال التيار الجهادي ومضوا إلى ربهم شهداء، وسحبت السلاسل إلى غوانتانامو الأمريكية والكثير من (الغوانتاناموبات) في البلاد الأوروبية، بل والعربية والإسلامية المجاهدين بالآلاف وبعشرات الآلاف!.

إن الثغرة شاغرة، ونسأل الله أن يقبض لها فرسانها، فمن هنا البداية، يجب طرح عقيدة جهادية تناسب مرحلة المقاومة،

وأشير إلى ملاحظة طالما كررتها في بعض دروسي ومحاضراتي ومحاوراتي في أوساط المجاهدين..وهي أني لاحظت من طول احتكاكي بالمجاهدين وصحبتي وعضويتي في التيار الجهادي، أنه غلب على المتأخرين منهم،

ولاسيما في تجارب الجبهات المفتوحة كأفغانستان وغيرها، حيث لم تعر قياداتها وللأسف أهمية للتربية العقدية الشاملة ولا الجهادية كما أشرت.

لقد سيطر على أكثر المجاهدين الشباب شعور بأن القتال هو الجهاد، وأن الجهاد هو الإسلام!! وأورثهم الإحساس بأنهم يمارسون شعيرة ذروة سنام الإسلام، بأنهم في غنى عن باقي ذلك الجسد الكامل المتكامل، لقد ضعفت لدى الكثيرين من المجاهدين أسس العقيدة بتمامها وشمولها.

وكثيراً ما ضربت المثال لإخواني وأعيده هنا:

لقد أسيء فهم قول رسول الله ﷺ بأنَّ «**الجهَاد ذُروةُ سَنَام الإسْلام**» من قبل كثير من المجاهدين، ويجب أن نعود لتمام الحديث الذي وردت فيه هذه الجملة الشريفة منه ﷺ.

[عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][(١)].

والحديث أوضح من أن يفسر.

فأصل الأمر الإسلام، كل الإسلام، بأركان الإسلام وأركان الإيمان، وعموده (الصلاة) بتمام إقامتها وآفاقها، و(لا صلاة لمن لم تنه صلاته عن فحشائه ومنكره)، كما قال ﷺ، ثم الصدقة، ثم النوافل وقيام الليل، ثم ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، قمة الجمل فوق جسده وعموده وما يحمله، ثم جماع ذلك: (حفظ اللسان)، وهذا رمز لحسن الخلق، لأن (اللسان) باب إلى الخير أو إلى الشر.

قلت وأعيد الذكرى هنا: **ذروة سنام**، فشبه الجسد بالجمل. فهل يستطيع الراحل على الراحلة السفر على مجرد سنام حتى ولو ارتقى ذروته؟!؟! وكيف يرتحل على قطعة شحم، إذا لم يكن السنام مستوياً على جسد متكامل، قائمٌ على أعمدة راسخة؟!.

الأمر بين.. وهنا أصل إلى الخلاصة:

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

لا جهاد كما أمر الله تعالى بلا عقيدة جهادية قتالية، ولا عقيدة جهادية قتالية صحيحة سليمة، ما لم تبنَ على أسس العقيدة الإسلامية الشاملة الكاملة، بطريقة تربوية شاملة كاملة صحيحة.

وهذا ما غاب عن كثير من المكونات التنظيمية للتيار الجهادي، ولاسيما في أشواطه الأخيرة.

والآن وقد مضى معظم الرعيل الأول من الجهاديين فإننا بأمس الحاجة إلى إعادة البناء الجهادي في المرحلة المقبلة على أسس سليمة، وهو بناء العقيدة الإسلامية بشمولها وكمالها في النفوس وجعلها راسخة قوية، وبناء العقيدة الجهادية القتالية كفرع منها عليها، وإلا فإنها والله الكوارث ما لم تتداركنا رحمة الله.

إن غياب العقيدة الجهادية القتالية عن الأمة سيجعلها قاعدة، خائرة، غثاءً، قصعةً تتناهبها الذئاب الضواري والكلاب العوادي من هنا وهناك، بعد أن تداعت الأمم إلى قصعتها، لأن سوادها الأعظم، حكاماً ومحكومين، علماء وجهلاء، صاروا غثاء كغثاء السيل، قد ضربهم الوهن: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، ولن تحيا هذه الأمة وتقاوم، إلا بعقيدة جهادية قتالية يحملها العلماء والدعاة والمشايخ، والكتاب والأدباء، والمفكرون والمثقفون المسلمون، ويزرعونها في هذه الأمة التواقة للنهوض، ليقود هؤلاء النخبة مسيرة الشباب على علم وبصيرة، وبقدوة حسنة.

وإن وجود مقاومة وممارسات جهادية، أو بالأحرى ثقافة قتالية عسكرية، وعواطف وردود أفعال نتيجة الكرامة والشرف والنخوة والحماس لدي شباب الأمة...

إن وجود ثقافة ومبادئ قتالية جهادية، لم تبن على أسس صحيحة من شمول العقيدة والدين وتمامه، في ظل ظروف القهر والاحتلال؛ لينذر بكارثة أشد من كوارث القعود عن الجهاد أحيانا..

إن وجود السلاح في أيدي مقاتلين يضربون العدو، ويرتكبون في مسارهم أفظع المصائب، نتيجة الجهل بالعقيدة وغياب التربية المتكاملة، من الممكن أن يعود بالضرر على الأمة والجهاد والمقاومة وكل ما نصبو إليه.

وقد تسير الأمور إلى الهرج والفتن، واختلاط الحابل والنابل، وقد يسبب حصول الخيانات والتراجعات، والضرب غير الواعي على غير بيان، وقد أمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].

إن الظروف صعبة، والعدو يقظ والصف الإسلامي منخور، وعملاء العدو في كل قطاع، من حكام وعلماء ومثقفين وأصحاب الأغراض كثر، أكثر من أن يشار إليهم.

وإذا دبت الفوضى فستقوم الثارات، وتقع ردود الأفعال، ويتعصب الناس ويجرون وراء كل ناعق، ولن تستقيم مع ذلك مقاومة ولا جهاد.

فلا قتال بلا عقيدة جهادية صحيحة، بنيت على أسس متينة من عقيدة إسلامية شاملة، تثبت اليقين وتضبط الأحكام، وتحفظ الأخلاق، أخلاق القتال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدو والصديق، إنه دين كامل، فإما جهاد على أسس دين، وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها.

وهنا تأتي مسؤولية العلماء، وقادة الصحوة الإسلامية، بالنزول لساحة قيادة الجهاد والمقاومة، وكل امرئ حسيب نفسه.

اللهم قد بلغنا فاشهد، اللهم أعنا على البلاغ والدعوة على بصيرة، والعمل على بصيرة، والجهاد على بصيرة، والشهادة في سبيلك على بصيرة.

حالة العقيدة الجهادية في الأمة العربية الإسلامية اليوم:

لم يبق لدى معظم شرائح الأمة، بسبب تتالي العقود على سياسات القمع والخوف والتجهيل، ومحاربة الإسلام وتغييب شرائعه، والتي مارستها الحكومات عبر وسائل الإعلام، ومناهج التربية التي تعتمد الإفساد والعلمنة، والقضاء على ما تبقى من مكونات الدين والعقيدة لدى شعوبها في الغالبية الساحقة لبلاد المسلمين.

وبسبب ما ران على قلوب الأكثرية من الوهن «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، لم يبق من العقيدة الجهادية لدى مختلف طبقات الأمة، إلا العواطف وبعض آثار ما تبقى من عقيدة الجهاد لدى النذر اليسير من الأمة.

ولكن حملات أمريكا علينا منذ عقد من الزمن وتتالي استفزازاتها وما فعلته في العراق ثم أفغانستان ثم العراق ثانية، وما تطرحه اليوم من برامج الاحتلال والعدوان على كافة الصعد، مستهدفة الجميع حكاماً ومحكومين، دولاً وجماعات، أحزاباً حاكمة أو معارضات، ودعمها اللامتناهي لإسرائيل وما تثيره القضية الفلسطينية ومجرياتها منذ لانتفاضه خاصة.

جعل أساسيات العقيدة الجهادية تعود للأمة، حيث يشهد رجل الشارع العادي صحوة فطرية طبيعية لا يمنعها من توليد الأعمال والأفعال، إلا سياسات القمع والخوف والأنظمة البوليسية في كل مكان.

ولكن المبشرات تبدو أكبر بفضل الله، ثم بفضل حمق أمريكا وحلفائها الصليبيين، ومن ورائها قوى بني صهيون، إن تلك المبشرات تلمس اليوم في كل مكان.

وعلى العكس مما تظنه أمريكا، فإن حملاتها لتغير المناهج وأصول التربية والتعليم ومحاربة التدين، قد جلبت ردة الفعل هائلة حتى في صفوف وأوساط العلمانيين، الذين لا يجدون لهم اليوم مادة وهوية للمواجهة بدوافع النخوة والشرف، إلا الإسلام ورايته وهويته، إنه مكر الله.

إن روح العقيدة الجهادية تتسرب إلى الأمة بشكل يبعث على الأمل، بل على الاعتقاد بقرب التحرك نحو الإنتصار، فإن الجماهير تتململ.

لقد سلبت أمريكا دنيا الناس وحببت إليهم الموت كحالة أفضل من ظروف الحياة التي تعدهم إياها، وهكذا تحل لنا أمريكا عقدة «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»!

وعندما سيصل هذا الإحساس ليكون جماهيرياً. ستلقى الجماهير عن كاهلها الوهن، وستسير الأمور بشكل عكسي، وعندها تعود المهابة منا إلى صدور أعدائنا، ولا نعود غثاء كغثاء السيل لا قيمة لنا، وإنما جماهير مؤمنة تتحرك بالقوة الدافعة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهذا ميدان هو مسؤولية العلماء والمفكرين والكتاب والأدباء والمثقفين ورجال السياسة والإعلام في هذه الأمة، ولاسيما وعلى وجه الخصوص رجال الصحوة الإسلامية، وبشكل أخص أولئك الذين سيحملون أمانة الجهاد وتوجيه المقاومة والتيار الجهادي في مرحلتين: المرحلة المقبلة الخطيرة الراهنة، والمرحلة القادمة.

مفارقة خطيرة وحقيقة هامة:

لقد أدرك العدو أن خط الحرب هذا هو أهم وأخطر خطوط المواجهة، وأدرك أنهم يتفوقون علينا في كل خطوط الحرب الأخرى، عسكرياً وتكنولوجياً وعلمياً وحضارياً، وإعلامياً وسياسياً وأمنياً واقتصادياً، إن العدو الصليبي اليهودي بقيادة أمريكا وحلفائها اليوم من الكفار والمرتدين والمنافقين، يتفوقون علينا بشكل ساحق غير قابل للمقارنة في كل تلك الميادين والمناحي، مما يوفر لهم أسباب النصر المادية في كل خطوط هذه المواجهات ولذلك غزونا في هذا الوقت، ولكنهم أدركوا أيضاً أننا نتفوق عليهم في خط المواجهة على جبهة العقيدة الجهادية والقيم المعنوية، بشكل ساحق غير قابل للمقارنة أيضاً، ولذلك أعلن رامسفيلد الصليبي المتصهين، وزير دفاع أمريكا، أن المواجهة مع (الإرهاب) كما يدعونها، دخلت في مرحلة حرب الأفكار، وأنها من أهم مراحل (استراتيجية الحرب الإستباقية).

من تكتيكات (حرب الأفكار) الأمريكية:

لقد اشتملت هذه الحرب على زخم إعلامي وفكري هائل، فكان من ذلك افتتاح عدة محطات إذاعية باللغة العربية ولغات المسلمين، موجهة وممولة من قبل الحكومة الأمريكية مباشرة.

ثم دخلت أمريكا مجال القنوات الفضائية باللغة العربية وبطاقم إعلامي عربي محترف من المنافقين والمرتدين والعملاء، فافتتحت قناة (**الحرة**).

كما ألزمت أمريكا الحكومات العربية والإسلامية بتغير مناهج التربية والتعليم، وفرض رقابة صارمة لحذف كل ما من شأنه أن يزكي روح المقاومة في الأمة، كما صدرت أوامر أمريكية لحكوماتنا، بالتزام لائحة توجيهات تشمل حصار المساجد والدروس والخطب والتعليم الديني، وتتضمن تفاصيل من الإلغاء والتضييق والتشويه والتحريف.

ومصيبة المصائب أن أمريكا تستعمل كثيراً من قطاعات العلماء ورموز الصحوة الإسلامية بفعل ضغوط الحكومات، وتستعمل هذا القطاع الإسلامي المحترف في معركة الأفكار لتشويه الدين وإتلاف مقومات المقاومة والجهاد فيه عن طريق الفتاوى العميلة المشوهة تحت مسمى مكافحة الإرهاب والتطرف، وعن طريقة بث أفكار الخنوع والذوبان في الفكر والحضارة الأمريكية، تحت مسميات كثيرة، منها: الاعتدال،

والوسطية، والتعاون والحوار مع الآخر، وغير ذلك من دعاوي الدعاة على أبواب جهنم الذين يلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا من أنباء جلدتنا.

مقومات العقيدة الجهادية والفكر والمنهج في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

(العقيدة الجهادية القتالية)، هي فرع من كل هو (العقيدة الإسلامية)، والتي تشتمل بإيجاز على كل أركان الإسلام والإيمان، والتسليم بقواعد الشريعة والدين، والطاعة والانقياد لحكم الله ورسوله، وكل ما نشأ عن هذا الانقياد والتسليم، من الإيمان بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وما يتبع ذلك من التصرفات والأفكار والأحاسيس، فكل ذلك من العقيدة.

فالعقيدة هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك فهي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط....]

ثم قال: [وعلى هذا فإن كل الانحرافات التي نعانيها في سلوكنا، أفراداً وجماعات، راجعة بكليتها إلى الإنحراف في التصور العقدي، فالناس في هذه الأيام بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد، وإلى تصحيح التصور الإعتقادي.

لقد أصبح اليوم لدينا شيئا مألوفا، أن نرى شخصاً يداوم على العبادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالاً تخرجه من إطار هذا الدين، فالناس لا يعرفون حقيقة هذا الدين ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم، قسم ضئيل من منهاج حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج الذي يوجه حياتهم، فهو من صنع هواهم أو هوى غيرهم من البشر، ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان].

فالتركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للناس أمر غير منطقي، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء، لا بدَّ من سلوك المنهاج الرباني الذي رسمه الله لهذا الخلق، فلابدَّ من زرع البذرة في التربة، ثم تعهدها حتى تستوي قائمة على أصولها، ثم تمتد بفروعها.

والعقيدة هي الأساس المكين الذي ترتكز عليه فروع هذا الدين كله، ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس، ومن هنا: فإن محاولة تتبع فروع الشريعة بالتفصيل والتعليل، هو اشتغال بالمهم عن الأهم ولا يمكن أن تؤتي المحاولة أكلها والثمار التي نأمل، ومن الأولى أن نتبع المنهاج الرباني في بناء هذا الدين، وذلك بترسيخ العقيدة أولاً في الأعماق، ثم مطالبة النفس بعدها بأوامر الشريعة كلها.

ولا ننسى أن الداعية إلى رب العالمين، لابد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولابدَّ من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدين أو نريد تربيتها على أساس الإسلام من الإيمان أولا، وقبل كل شيء، خاصة في هذا العصر الذي بهت فيه مفهوم العقيدة في نفوس أبناء هذا الجيل المنتسب إلى الإسلام، لابد من انتهاج نفس الطريق الذي انتهجه رسول الله ﷺ من تثبيت العقيدة في النفس ثم مطالبتها بالفروع.

ومن ثم وفي هذا الوقت، فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدين في سلوك الناس، كالشرب باليمين، وترك التدخين، والشرب جالساً، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل التي لا تحتملها ولا تطيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت على العقيدة، وجبلت بعظمة الإيمان، لا بد أن نبدأ مع النفس البشرية من حيث هي، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الذي هبطت إليه، ثم نسير معها صعدا نعطيها الإيمان جرعة جرعة، نواكبها في

نموها ونقيل عثراتها، ونردها من هنا ونهذبها من هناك، حتى تشب قائمة على عمودها، صلبة لا تهزها الزلازل والأعاصير، وهنا فقط نطلب منها كل ما يريده الله منها، فتنفذ وهي راضيه مستسلمة مطمئنة أن الخير كله فيما نفذت، لأن الخير كله منحصر في منهج الله والشر كله في الخروج عن منهاج الله.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

وأعود فأذكر أن النفوس التي تقدم الإسلام للناس، لا مناص لها من أن تكون شريعة تدب على الأرض، وتأخذ بالعزائم، ولا بد لها من أن تكون المرآة الصافية التي تعكس حقيقة هذا الدين أصوله وفروعه، إذ لابد لها من أن يكون لحمها ودمها هو هذا الدين الذي إليه تدعوا، والمنهاج الذي تهتف بالناس أن ينهجوا.

والآن..

أقول أن هذا الربط بين الأصل والفروع، أدركه العدو في هذا الزمان أكثر من إدراك أكثر أهل الملة الإسلامية له، فقد علم وهو يشرع بالغزو والاحتلال أنه ستكون (مقاومة)، وهذا بديهي، وعلم أن أهم جهات المقاومة وأشدها وأعصاها على المواجهة، هي المقاومة النابعة من **(العقيدة الجهادية القتالية)** لدى المسلمين عامة، والإسلاميين خاصة، والجهاديين على وجه الخصوص.

ولأن هذا العدو المعاصر ذكي محترف للعدوان على مر العقود والقرون، ولأنه يقيم أعماله على الدراسات الإستراتيجية وآراء الأخصائيين؛ فقد علم هذه المعادلة وفهمها بعمق على بساطتها، فهما أعجم وللأسف على أكثر المسلمين، بل حتى على أكثر قواد الصحوة وعلماء هذا الزمان من المسلمين.

والمعادلة ببساطة:

(المقاومة هي وليدة عقيدة جهادية، والعقيدة الجهادية القتالية هي فرع من شجرة العقيدة الإسلامية الشاملة).

ولذلك يعمل العدو اليوم من أجل أن لا تنضح ثمرة المقاومة، على أن يجفف غصن العقيدة الجهادية وذلك بقطع جذور العقيدة الشاملة، كمنهج اعتقاد وعمل وإحساس، كمنهج فكر وحركة لدى أهل ملة الإسلام المعاصرين.

فأعلن بوش ووزير دفاعه ما أسموه **(حرب الأفكار)** و**(الحرب الاستباقية الفكرية)** وجاءنا بمشاريع **(تغير المناهج)**، وتعديل أساليب التربية والتعليم، العام والديني، وضبط خطاب المساجد وطرق التربية فيها، ثم أتبع ذلك بمشروع لخصه الإستراتيجيون الأمريكان في أكثر من ١٠٠٠ ورقة، وعنونوه باسم (مشروع الشرق الأوسط الكبير، والذي يضع قواعد التغيير الشامل في العالمين العربي والإسلامي على كل الصعد، السياسية والاقتصادية، والثقافية والدينية، والتاريخية واللغوية، والاجتماعية والفنية، ومكوناتنا الحضارية كأمة، شعوبا وحكاما ومحكومين.

أولا: موجز في الأساسيات والمناحي العامة لعقيدة أهل السنة والجماعة [(١)]:

- فنحن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

- نوحد الله بربوبيته ونؤمن أنه الخالق الرازق المبدئ المعيد مالك الملك لا رب للكون سواه.

- ونوحد الله بألوهيته ونؤمن أنه الإله المعبود حقاً لا معبود سواه جل جلاله.

- ونوحد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا. ونؤمن بما وصف به سبحانه ذاته في كتابه الكريم، وما جاء على لسان رسوله الأمين ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهو سبحانه كما وصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]

- ونعتقد مذهب الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الصالح بالإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

- ونؤمن بأنه تعالى مستوى على عرشه، فوق السماء السابعة، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يحده زمان أو مكان، ونؤمن أنه مع خلقه بسمعه وبصره وعلمه.

- ونؤمن بالملائكة، وأنهم خلق من خلق الله، موكلون بأعمالهم التي كلفهم الله سبحانه بها.

- ونؤمن بكتب الله التي جاء ذكرها في القرآن والسنة الثابتة، فنؤمن بصحف إبراهيم، وبالتوراة المنزلة على موسى، وبالزبور الذي نزل على داوود، وبالإنجيل الذي نزل على عيسى، وبالقرآن الذي نزل على خاتم الأنبياء نبينا محمد عليه وعلى أنبياء الله أجمعين الصلاة والسلام، مع الإيمان بأمرين هامين:

أ- أن الكتب السابقة للقرآن نزلت من عند الله ثم نالها التحريف والتعديل على أيدي البشر، من الأحبار والرهبان، إلا القرآن الذي حفظه الله تعالى خاتمة الكتب والشرائع، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

ب- أن القرآن جاء ناسخاً لما قبله ومهيمنا عليه، وأن شريعة الإسلام جاءت بعقيدة التوحيد، وهي عقيدة جميع الأنبياء،
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران]

---

(١) [اعتمدنا في صياغة هذا الموجز على كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل للشيخ الشهيد عبد الله عزام، وكتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكتاب شرح العقيدة الواسطية للإمام ابن تيمية بشرح ابن عثيمين]

- ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين، وأنه لا يصح إيمان من جحد رسالة أحدهم.

- ونؤمن باليوم الآخر يوم القيامة، يوم يبعث الله الأولين والآخرين من بعد موتهم للحساب.

- ونؤمن بقدر الله خير وشره، ونؤمن بأن الله قد قدر كل شيء، وكتب كل شئ، وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها المحتوم المقسوم.

- ونعتقد عقيدة سلفنا الصالح، بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

- ونعتقد في ذنوب المؤمنين ومعاصيهم عقيدة وسطا، فلا نكفر أصحاب المعاصي والكبائر كما فعلت الخوارج، ولا نقول بأنه لايضر مع الإيمان معصية كما قالت المرجئة، ولا نجعل ذلك كما قالت المعتزلة في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر.

- ونعتقد بفضل الصحابة كلهم، ولا نغلو في أحد منهم، ونتولاهم، ونستغفر لهم ونحبهم ونذكر محاسنهم ونكف عن مساوئهم وما شجر بينهم.

- ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، أو عمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر، كمن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو استحل حراماً مجمعاً على حرمته، أو حرم حلالاً مجمعاً على حله.

- ونؤمن بكرامات الأولياء، وأن كل المؤمنين أولياء الله، وأقربهم إليه وأكرمهم عنده أتقاهم له، وأتبعهم للكتاب والسنة.

- ونؤمن أنه لا يعلم الغيب إلا الله، الذي أطلع أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بوحيه على بعض غيبه، ومن أدعى علم الغيب من الإنس والجن فقد افترى على الله الكذب، ولا نأتي كاهناً ولا عرافاً ولا ساحراً، ولا نصدقهم.

- ونؤمن أن أهل الكبائر والذنوب من الموحدين لا يخلدون في النار ما لم يشركوا بالله، وهم في مشيئة الله وحكمة إن شاء غفر لهم برحمته وإن شاء عذبهم بعدله.

- ونعتقد صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر من أمراء المسلمين وعامتهم، ونصلي على من مات منهم ونأكل ذبيحتهم.

- ونؤمن بفتنة القبر ونعيمه وعذابه، ونؤمن بما جاء في القرآن والسنة الثابتة، من نصب الموازين ونشر الدواوين يوم القيامة، ونؤمن بالصراط الذي ينصب على شفير جهنم، حيث يمر الناس فوقه بسرعات على قدر إيمانهم وأعمالهم، ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ وبشفاعته، ونؤمن بأن الجنة والنار حق، موجودتان ولا تفنيان، ونؤمن برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

- ونؤمن بأن القرآن منزل من عند الله كلام الله غير مخلوق أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، بواسطة أمين الوحي جبريل.

- ونؤمن بأنَّ الاستغاثة بالعبيد والمخلوقات والأموات والقبور، واعتقاد النفع والضر منهم شرك، وأن التوسل بشيء من مخلوقات الله لا يجوز.

- ونؤمن أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يمنعه جور جائر ولا عدل عادل، وهو مع عامة المسلمين وأمرائهم برهم وفاجرهم.

- ونؤمن أن نصرة المؤمنين واجبة في الدين على ما كان منهم من المعاصي والنقصان في الدين لحق العقيدة وإخوة الإسلام.

- ونؤمن بأن توحيد الحاكمية جزء أساسي، وركن ركين من توحيد الألوهية وواجبات العبودية، وأن من شّرع من دون الله بغير ما أنزل الله كفر وارتد وخرج عن ملة الإسلام، وأن الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله جميعهم، كما وصفهم تعالى: (فأولئك هم الكافرون) و(الظالمون) و(الفاسقون)، قد اجتمعت لهم كل هذه الصفات ومترتباتها، وهم مرتدون وإن زعموا أنهم مسلمين بسبب تلبسهم بالتشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

- ونؤمن بأن دفع صائل الكفار الذين يغزون بلاد الإسلام ويعتدون على المسلمين، وكذلك المرتدين الذين يشرعون من دون الله ويحكمون المسلمين بغير ما أنزل الله، فرض عين على كل مسلم.

- ونؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله جملة وتفصيلاً.

العقيدة والنماذج:

إن هذه العقيدة لم تكن في تاريخ الإسلام مجرد نصوص جميلة، ومثاليات مسطورة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب العلماء وحسب، لقد تحققت نماذجها على الأرض منذ اللحظة الأولى وتحركت حية على الأرض، فكان سيد ولد آدم ﷺ، قدوة في كل شيء، ونموذجاً في كل شيء، وكفى به أسوة وقدوة، ومنذ ذلك اليوم، ومع الرعيل الأول، بدأت تتوالي النماذج.

فكانت خديجة رضي الله عنها، ثم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وكان الصحابة تلاميذ المدرسة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، فكان نموذج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكانت نماذج أهل بدر والرضوان، وكان المهاجرون والأنصار، ومن مدرسته ﷺ مدرسة هذه العقيدة، تخرج الأبطال الفاتحون خالد وأبو عبيدة وعمرو شرحبيل وأسامة بن زيد، ومن تلك المدرسة تخرج علماء الصحابة معاذ وابن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، رضي الله عنهم وعن صحابة رسول الله أجمعين..

لقد كانت عقيدة ومدرسة، خرجت نماذج ونجباء رضي الله عنهم من طليعة خير القرون، ثم كان التابعون، فكان فيهم القادة الفاتحون والعلماء الأفذاذ والدعاة القدوة الذين نشروا هذا الدين وساروا على درب أسلافهم، ثم جاء تابعوهم بإحسان، ووصل معهم الإسلام إلى تخوم الصين والسند والهند وخراسان وما وراء النهر شرقاً، وإلى القفقاس وأسوار القسطنطينية شمالاً وإلى شمال أفريقيا والأندلس وسواحل المحيط الأطلسي غرباً، فكان القادة والعلماء والنماذج الفذة، وكانت نساء المؤمنين الصابرات المحتسبات اللواتي سرن على خطى أمهات المؤمنين والصحابيات الكريمات الرائدات، وتتابعت النماذج عبر التاريخ في كل زمان ومكان.

فحيثما التزمت النفوس هذه العقيدة، ونشأت على أنوارها وسارت على هدي سلفها؛ رأيت النماذج بازغة ساطعة، وحفل بها التاريخ الإسلامي، فكان الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء الصالحون من عرب وعجم، فكان عمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد، ونور الدين زنكي التركماني، وصلاح الدين الأيوبي الكردي، ومحمود سبكتكين الغزنوي الخراساني، وألب أرسلان السلجوقي، ومحمد الفاتح التركي، وطارق بن زياد البربري، ويوسف بن تاشفين المغربي، وسواهم كثير.

وكان من العلماء أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري والأوزاعي والشعبي، وسعيد بن جبير وابن المسيب وأبو حازم، وطاووس، ومحمد بن أسلم الطوسي، وابن المبارك، والجويني، وأبو حامد الغزالي، وسواهم وغيرهم كثير رحمهم الله.

وكان الزهاد العباد الفقهاء الأعلام فكان الحسن البصري، وابن أدهم والجنيد وبشر الحافي، وحاتم، والبسطامي والهروي، وغيرهم وسواهم كثير.

وقدمت هذه المدرسة نماذج للتجار الأمناء الذين كانوا دعاة لهذا الدين، فأوصلوه إلى قلب أفريقيا ومجاهلها وجزر البحار البعيدة، فوصل الإسلام معهم إلى الفيليبين وإندونيسيا، وجنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا الشرقية كلها، وهكذا لو رحنا نستقصي قصصهم ونماذجهم وعبرهم لما كفتنا المجلدات.

والحمد لله فقد حفظت المكتبة الإسلامية تراثاً ذاخراً، من نماذج العلم والعمل والجهاد والخلق والسلوك والصلاح والاستقامة ما لم تأتي به أمة من الأمم قبلهم ولا بعدهم، وما كان ذلك إلا أثراً لتلك العقيدة الشاملة الكاملة الربانية عندما صبغت في حياة الناس.

ثانياً: المناحي العامة للعقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

إن كثيرا من المناحي المنهجية ممّا يحوي هذا الكتاب بكل فصوله ورسائله، هو من العقيدة الجهادية القتالية، سواءً كان عقائد دينية، أو أحكاماً شرعية، أو قواعد سياسية شرعية، أو أفكار منهجية، أو معلومات تاريخية أو أفكار حركية، أو مواقف سياسية، فكل ذلك منهج تفكير متكامل، ودعوة مترابطة الأركان، وكل ذلك من العقيدة الجهادية القتالية، التي تكون ثقافة متكاملة، ومعلومات متعاضدة، تورث إيماناً وفكراً ومعتقداً، وخلقاً وسلوكاً، توجد المجاهد المقاتل العقائدي، الذي نرجو وجوده للقيام بأداء مهمة المقاومة وجهاد أعداء الله

فمن العقيدة الجهادية القتالية، التي إن وسع المجاهد العادي أن يعلمها بعمومها فقط، فإن على كوادر المقاومة وقيادات الجهاد أن تعرفها على وجه التفصيل والفهم، منها ما يلي:

يجب أن يدرك المجاهد العقائدي الذي سيتصدى لفعل المقاومة جهاداً في سبيل الله، واقع المسلمين وما وصلوا إليه، في كل واقعهم الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكل مناحي واقع المسلمين الحاضر، وما يعيشونه تحت ظروف هذا العدوان والغزو الصليبي اليهودي الداهم.

يجب أن يعلم المجاهد أحكام شريعة الله في هذا الواقع، وعلى رأس ذلك:

أ- أن الجهاد المسلح والمقاومة المسلحة هي الحل الأوحد لهذه الإشكالات.

ب - أن هذا الحل هو فرض عين عليه تجب عليه ممارسته ما لم يكن من ذوي الأعذار الشرعية

يجب أن يدرك المجاهد جذور هذا الصراع الذي نحن فيه، ومسار تاريخه منذ فجر التاريخ وإلى اليوم، وذلك من أجل فهم تاريخ هذا الصراع، وحقيقته، وأطرافه إلى أن آل صراعاً بينا نحن المسلمين مع أمريكا وحلفاءها من الروم المعاصرين، كما كان صراعاً بين أجدادنا العظماء، وأجدادهم من بني الأصفر قدماء الروم وقرونهم المتتالية، ومراحل ذلك، وكذلك شكل النظام الدولي الحالي وأطرافه، وجذوره والمراحل التاريخية التي أدت إلى وصوله لهذه الصورة، وهذا ما تولاه الفصل الثالث من هذا الكتاب.

يجب أن يعرف المجاهد العقائدي كيف كان أداء المسلمين في مراحل النصر والهزيمة في الصراع مع الروم من حيث الأسباب، ما أسباب انتصارنا وما أسباب هزيمتنا، ليصل عبر الفهم الدقيق لسنن الله في ذلك المسار إلى فهم المعادلة النهائية اليوم وأطرافها، معرفة من نحن ومن أعداؤنا، ومن معنا ومن علينا في هذه المواجهة وإلا اختلطت الموازين على المجاهد فلم يميز عدوا من صديق، ولم يعرف وسيلة جهاد كل عدو، ومن نجاهد بالسنان من الكفار والمرتدين أعوانهم ومن نجاهد بالبيان من المنافقين والمنحرفين والضلال وأشياعهم، وكيف يكون ذلك، فعليه أن يستنتج كيفية مواجهة كل طرف منهم ووسائل ذلك.

يجب أن يطلع المجاهد العقائدي على تاريخ التجارب الجهادية المعاصرة ولو موجزاً، بعد الإطلاع العام على تاريخ الصحوة ومدارسها، فيعرف أسباب نجاح تلك التجارب الجهادية وفشلها، كي يقتنع بأسلوب المقاومة الذي توصلنا إليه، ويكون لديه القدرة على التطوير واختيار الأسلوب الذي يناسب مرحلته، ولكي لا يكرر دروس الفشل وأسباب الفشل، ولكي يعرف أنه سائر على طريق سقط فيه عشرات آلاف الشهداء، وعاني فيه عشرات آلاف الأسرى والمعذبين والمشردين، وليعرف قدر من أوصل إليه الراية، وفكرهم وتراثهم ومناهج عملهم وليسير على بصيرة وخبرة.

يجب أن يتسلح المجاهد العقائدي بعقيدة الجهادية القتالية الخاصة ومنهج عمله الحركي، بعد أن أدرك ما سبق على سبيل المعارف الحركية والتاريخية السياسية الشرعية العامة، ويجب أن يبنى ذلك على أساس متين من العقيدة الإسلامية بشمولها، القائمة على أساس أركان الإسلام والإيمان، ويجب أن يتولى غرس ذلك المنهج التربوي المتكامل.

يجب أن يفهم المجاهد العقائدي أن صراعه هذا: (ديني الحقيقة، سياسي الطابع، عسكري الوسيلة، أمني الأسلوب) وعليه أن يفهم ويدرك الرابط بين ثوابت أصولية المبادئ، وواقعية الحركة السياسية ومعطياتها.

وهذه مهمة القيادات الجهادية، التي يجب أن تدرك نظريتها السياسية، وتفهمها ما أمكن لمقاتليها، وعلى المقاتلين أن يسلموا لقياداتهم في إدارة هذه اللعبة السياسية المتشابكة لهذه المواجهة، وهي أصعب ميادينها وأكثرها تعتقداً، فإن الغالبية العظمى للانتصارات في هذا العصر تحسم سياسياً، وما الوسائل العسكرية اليوم إلا لتدعيم برامج السياسيات وتدعيم المواقف، فعلى قيادات المقاومة أن تدرك واقع الأمة الضعيف اليوم، وتضع له سياسات من خلال فقه الواقع والضرورات وموازين المصالح والمفاسد.

ثم يجب أن يعرف المجاهد دور التربية، وآفاقها المتكاملة، وأساليبها المناسبة. فدعوة المقاومة دعوة للأداء الفردي والجهد الفردي، وسيلعب المجاهد العقائدي الدور الأساسي في بذل الجهد في تربية نفسه ومن معه، على هذه المناهج والمعارف والعلوم الشرعية والسياسية والعسكرية والأمنية الحركية.

تفاصيل وأدلة شرعية في بعض النقاط الأساسية للعقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

- أولا: بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء، وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع.
- ثانيا: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين.
- ثالثا: الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع.
- رابعا: أحكام الشريعة الإسلامية تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.
- خامسا: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، حتى ولو كان مسلما.
- سادسا:أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.
- سابعا: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها:

أولا: بلاد الإسلام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعداء، وجهاد الغزاة اليوم فرض عين على المسلمين بالإجماع:

لقد صار من المسلم به اليوم لدى كل عاقل مبصر، أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأعداء، وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدين.

فما حكم الشريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدين على كل مسلم تجاهها؟

جاء في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ المجاهد الشهيد عبد الله عزام ﵀ شيخ المجاهدين العرب في أفغانستان أيام جهاد الروس ما نقتطف منه ما يلي:

وجهاد الكفار نوعان:

١- جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار، لا يحتشدون لقتال المسلمين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله...الخ.) ثم قال ﷺ وهو مكان الشاهد:

٢- جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإمام أفرادا أو قوما وجب عليهم النفير.

رابعاً: إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين).

ثم تحدث الشيخ عبد الله ﷺ عن الحالة الأولى وهي نزول الكفار في أرض من أراضي المسلمين فقال

(ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا، أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا، يتوسع فرض العين على شكل دوائر، الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثم من يليهم، حتى يعم فرض العين الأرض كلها).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْط(كالزاد والراحلة)، بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ)[1].

(١) الفتاوى الكبرى (٥/٥٣٨).

ويقول ابن تيمية في الجزء الرابع من الفتاوى الصفحة ٦٠٨: (وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَامِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلْدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إلَيْهِ بِلَا إذْنِ وَالِدٍ وَلَا غَرِيمٍ، وَنُصُوصُ أَحْمَدَ صَرِيحَةٌ بِهَذَا).

ولعل بعض المنافقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المسلمين، ويحرم مقاتلة الغزاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حكام بلاد المسلمين، فينبغي أن نثبت لهؤلاء أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كان مسلما، وأن نبين لهم أن هؤلاء الحكام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

ثانيا: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين:

فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله، ثم ينكر تشريعاته ويتنقصها! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المسلمين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم الناس بها ويقهرهم على قوانينها بالقوة!

إن كون الحاكمية لله وحده، وأن التشريع منه وحده، وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك، هي أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده، وقد أثبت القرآن والسنة هذا.

- ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف]
- ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ [الأنعام]
- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾[النساء]
- ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١﴾ [الرعد]
- ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية]
- ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]

عندما اجتاح جنكيز خان، (الملك التتري المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده **(الياسا) أو الياسق** وهو دستور ومجموعة قوانين، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإسلام والنصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الذي يقوم به اليوم حكام المسلمين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا على القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الروماني، وخلطوا فيها شيئا من الشريعة الإسلامية، وما أملته عليهم أهواؤهم! ثم كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإسلامية: (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!)، ويكفي لكل من أراد أن يطلع على حجم الكفر والفسق والظلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع على نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التشريعية التي تصدر عن حكومة بلاده كل يوم، وهذه هي الحالة في باكستان وكافة بلاد المسلمين، تماما كما أخبر ﷺ فيما روى عنه الإمام أحمد: **«لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»**(١) فلا شك أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المسلمين.

والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.

فكيف لا يحكم بكفرهم؟! وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا...

ويجب لفت النظر الى أمر هام، وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة، ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعُه، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: (٥٠٧٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.

الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة، كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين).

فالخلاصة: أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة، وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام؛ مسلمين صالحين، وأولياء أمور شرعيين، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون!!!

فبصراحة ووضوح، وبحق الشهادة لله الذي أمرنا بقوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] **فإنه يجب علينا أن نقول: إن من الخطأ، إنزال بعض العلماء مقولة بعض السلف عن سلاطين المسلمين الأوائل الذين كانوا يحكمون بما أنزل الله، ويجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكروكان فيهم جور وظلم، كبعض ملوك بني أمية وبني العباس، فقالوا عن بعض حالات حكمهم بغير ما أنزل الله، أنها (كفر دون كفر) أو (كفر أصغر)، إن من أعظم الغلط إنزال هذا القول على حكام المسلمين اليوم، الذين وصفنا فيما سبق حالهم وحال قوانينهم، وسلطاتهم التشريعية!!**

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرِّع) هكذا باللفظ الصريح.. ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!.

فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه!

ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

وهناك مسألة هامة أفرط حتى كفروا المسلمين، وفرَّط آخرون حتى أسلموا الكافرين وشهدوا على المرتدين بالإسلام، هذه المسألة هي:

من هم المرتدون الكفار في حكومة الحاكم الكافر أو المرتد؟

إذا كان النظام قائما على حكم فرد مطلق، بدون مؤسسات حاكمة معه، كما كان حكم الفرعون، وكما هو حكم الحكام المستبدين، فالكافر هو الحاكم وحده، وأما أعوانه المنفذون فهم (**طائفة كفر أو ردة**) بشكل عام، يأثمون بقدر مشاركتهم التي قد تصل للكفر وقد تكون إثما.

وأما إذا كان الحكم عبر مؤسسات، تباشر الحكم بشكل جماعي، كما هو حال معظم حكومات العالم اليوم، فالمؤسسات المباشرة للحكم وكبار القائمين عليها كفار مرتدون وهم

١. السلطة التنفيذية: الرئيس (أو الملك) ونوابه، والوزراء ونوابهم.
٢. السلطة التشريعية: نواب البرلمان، وأعضاء مجلس الشورى، (من الذين يشرعون مواد الدساتير، أو نصوص القوانين، على غير ما أنزل الله، أو يقرونها، أو يصادقون عليها، أو يقبلونها.)
٣. السلطة القضائية: القضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله.

هؤلاء المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه، بل أضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا، وهو ولاؤهم لأعداء المسلمين ومعاونتهم للكفار ومظاهرتهم على شعوبهم وأهل ملتهم، فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشرعي في جريمتهم الأخرى هذه.

عقيدة الولاء والبراء، وحكم موالاة الكافرين وأنواعها، وحكم قتال المسلمين إلى جانب الكفرة والمرتدين:

فبصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقرهم، أو أي اعتبار آخر، فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و(كافر)، (أهل الإيمان) و(أهل الكفر).

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٢] وقررت بينهم رابطة الولاء وواجباتها، وقررت أن التفاضل بينهم على أساس التقوى.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ [التوبة: ٧١]

وأمرهم بالبراءة من الكافرين قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] و قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء: ١٤٤]

ومن أخطر مظاهر موالاة الكافرين:

١- التشبه بهم في الملبس والسلوك والعادات والأسماء على سبيل الإعجاب والاستحسان والتبعية، وقد روي عنه ﷺ «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

٢-السكن مع المشركين في ديارهم ومساكنهم من غير ضرورة، قال ﷺ: «**لَا تُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُجَامِعُوهُمْ، فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُمْ فَهُوَ مِثْلُهُمْ**»(٢).

٣- الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، وتهنئتهم بها، وتبادل الهدايا معهم: وقد شدد علماء الإسلام في قضايا الولاء والمحبة للكافرين.

٤- الجلوس مع الكفرة والمرتدين والمنافقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

٥-اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين ومعاونين، ووضع المسلمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم التي نهى الله عنها.

٦-النصيحة للكفار ودلالتهم على ما يقويهم ونصرتهم بالرأي على المسلمين.

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه الترمذي: (١٠٦٤) والحاكم (٦٩٠٥) وصححه الذهبي، وأورده الألباني في (الصحيحة-٦٣٦).

٧-التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله[1]: [**وَمِنْ جِنْسِ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ الَّتِي ذَمَّ الله بِهَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ: الْإِيمَانُ بِبَعْضِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ أَوْ التَّحَاكُمُ إلَيْهِمْ دُونَ كِتَابِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١﴾** [النساء]].

إلا أن أخطر مظاهر الموالاة وأوضحه ردة هو:

١١- القتال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفار، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] **وقد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: من نواقض الإسلام العشرة.**

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظلم والافتراء على الله الكذب، ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا، ومن بيع الدين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الولاء الكامل الحاصل من حكام المسلمين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليهود والنصارى، من أمريكان وأوروبيين وسواهم من الكفار على أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة، أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النفاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار، بل بلغت أعلاها، من القتال معهم والدفاع عنهم، وبنصرتهم على المسلمين مهما كلف ذلك من خراب ديار المسلمين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم، مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المؤمنين.

ثالثا: الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا واجب على المسلمين بالإجماع:

ماذا يترتب شرعا على كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإسلام..؟:

الأصل في الشريعة أن (الإمام جُنَّة) يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأمة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا، وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعلماء هم ضابط الحكام، وبقدر فسادهم يفسد الحكام، فكما جاء في الأثر: (**صنفان من الناس إذا صلحا**

---

(١) مجموع الفتاوى (ج٢٨/١٩٩).

صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء)، والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليوم، هي مسألة في غاية العظمة والخطورة، لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المسلمين اليوم، فهي مسألة ديننا ودنيانا، وبالاختصار، فإن الحكم الشرعي بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماما.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة. هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشريعة التي يحكم بها، بمعنى:

حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله.

وعكسها بعكسها:

حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وجوب جهاد الحاكم الكافر أو المرتد:

- نقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع على الخروج على الحاكم إن كفر، فقال: [قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: **أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَنْعَقِدُ لِكَافِرٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ انْعَزَلَ قَالَ وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا... قَالَ الْقَاضِي فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَتَغْيِيرٌ لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَةٌ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْوِلَايَةِ وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ عَلَيْهِ وَخَلْعُهُ وَنَصْبُ إِمَامٍ عَادِلٍ إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِخَلْعِ الْكَافِرِ وَلَا يَجِبُ فِي الْمُبْتَدِعِ إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْزَ لَمْ يَجِبِ الْقِيَامُ وَلْيُهَاجِرِ الْمُسْلِمُ عَنْ أَرْضِهِ إِلَى غَيْرِهَا وَيَفِرَّ بِدِينِهِ]**(١)

- قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: [**أَنَّهُ- أي الإمام- يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ من تِلْكَ الْأَرْض]**(٢).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: (ج١٢- ص٢٢٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣ص١٢٣).

مسألة الخروج على أئمة الجور:

لا يجوز الخروج على السلطان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح، **وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها**).

وليس الأمر على هذا الإطلاق، ولاسيما على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النصوص الشرعية وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا الباب – والله أعلم – أن فسق الإمام على قسمين: الأول ما كان مقتصرا على نفسه، فهذا لا يبيح الخروج عليه، وعليه يحمل قول من قال: إن الإمام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه، والثاني: ما كان متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر، وإقامة شعائره، وتحكيم قوانينه، واستخفاف أحكام الدين، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة على ذلك لاستقباحه، وتفضيل شرع غير الله عليه، فهذا ما يلحق بالكفر البواح، ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مشايخنا حكيم الأمة **أشرف علي التهانوي** رحمه الله رسالته " جزل الكلام في عزل الإمام " وإنما مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص١١٩ إلى ١٣١).

وإن خلاصة ما ذكره رحمه الله في تلك الرسالة أن الأمور المخلة بالإمامة على سبعة أقسام:

القسم الأول: أن يعزل الإمام نفسه بلا سبب، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (٢/٢٨٢).

والقسم الثاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة، كالجنون، أو العمى، أو الصمم أو البكم، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة، فينعزل الإمام في هذه الصور جميعا.

والقسم الثالث: أن يطرأ عليه الكفر، سواء كان كفر تكذيب وجحود، أو كفر عناد ومخالفة، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدين، وفي هذه الصورة ينعزل الإمام، وينحل عقد الإمامة، فإن أصر على بقائه إماما، وجب على المسلمين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه،

بدليل قوله عليه السلام (في حديث الباب): «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[١] وكما يشترط قطعية الكفر، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيا كرؤية العين، ولا يكتفى في ذلك بالروايات الظنية، بدليل قوله عليه السلام: " إلا أن تروا " المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد.

على أن وجوب الخروج في هذه الصورة مشروط بشرط القدرة، وبأن لا تحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمام، يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (٣٥٣/٨):

(إِنَّ لِلْأُمَّةِ خَلْعَ الْإِمَامِ وَعَزْلَهُ بِسَبَبٍ يُوجِبُهُ، مِثْلُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ مَا يُوجِبُ اخْتِلَالَ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَانْتِكَاسَ أُمُورِ الدِّينِ كَمَا كَانَ لَهُمْ نَصْبُهُ وَإِقَامَتُهُ لِانْتِظَامِهَا وَإِعْلَائِهَا، وَإِنْ أَدَّى خَلْعُهُ إِلَى فِتْنَةٍ احْتُمِلَ أَدْنَى الْمَضَرَّتَيْنِ)[٢].

القسم رابع: أن يرتكب السلطان فسقا مقتصرا على نفسه، كالزنا، وشرب الخمر وما إلى ذلك، وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه، ولكنه يستحق العزل، فعلى الأمة أن تعزله إلا أن تترتب على العزل فتنة، قال في الدر المختار، باب الإمامة (يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة) وقال ابن عابدين تحته: (قوله: ويعزل به، أي بالفسق لو طرأ على، المراد أنه يستحق العزل كما علمت آنفا، ولذا لم يقل ينعزل)، وقال ابن الهمام في المسايرة: (وإذا قلد عدلا ثم جار وفسق لا ينعزل، وإن لم يستلزم، ولكن يستحق العزل، وإن لم يستلزم فتنة).

و حاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصورة بما فيه سفك الدماء وإثارة الفتنة (...)

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره، بأن يظلم الناس في أموالهم، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز**، مثل أن يحمل الناس الجبايات متأولا فيها بمصالح العامة، وحكمه أنه لا ينعزل به، وتجب إطاعته، ولا يجوز به الخروج عليه، كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السادس: أن يظلم الناس أموالهم، وليس له في ذلك تأويل، ولا شبهة جواز، وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظلم، ولو بقتال ويجوز الصبر أيضا بل يؤجر عليه، وأن هذا القتال ليس للخروج عليه، بل للدفاع عن المال، فلو أمسك الإمام عن الظلم وجب الإمساك عن القتال.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عابدين: (٢٦٤/٤).

وأما القتال لدفع الظلم فجوازه مبني على الأحاديث التي تبيح عن القتال عن النفس وعن المال، وبما أن هذا القتال يشابه الخروج صورة، فتركه أولى استبراءا للدين.

والقسم السابع: أن يرتكب فسقا متعديا إلى دين الناس، فيكرههم على المعاصي، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله.

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الردة وهما:

١- التشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

٢- ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وقتال المسلمين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المسلمين. مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدلة.

رابعا: أحكام الشريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المسلمين مع الكفار وأعانهم على المسلمين، وتوجب قتاله:

إن الجندي أو رجل الأمن أو الشرطة، المدافع عن الطاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإسلام وموالاة الكافرين والعدوان على شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أن يكون هذا التابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإسلام والمسلمين، وهذا له إحدى ثلاث حالات:

١- أن يكون **جاهلا** بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو (**جاهل**).

٢- أن يكون **مكرها** على تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه، فهو (**مكره**).

٣- **التأويل:** أن يقدم على عمل كفري، متأولا جواز ذلك شرعا لدليل شرعي عنده، يظن أن الشريعة تحتمله، فالتأويل هو ظن غير الدليل دليلا.

ثالثا: أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (**مرتزق أو متعصب**).

وأما حكم هؤلاء الجنود الذين يقاتلون اليوم: الجاهل/المكره/المقاتل للدنيا عن علم/، فهو مايلي والله تعالى أعلم:

١- **الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه** وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هجرة من مكان إجباره، فهؤلاء قد نص علماء أهل السنة والجماعة، على أن جهلهم وإكراههم (إن كان حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا وفيبقى لهم حكم الإسلام على ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأنهم معهم، ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

٢- **وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أو أي رابطة عصبية.** وهو يعرف أنه يقاتل المسلمين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفار ويعاونهم، فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد، وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدنيا بالآخرة، وقاتل المسلمين من أجل الدنيا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين، لا عذر له من جهل أو إكراه.

وأما قصد الدنيا والمكاسب فليس من الأعذار الشرعية في فعل الكفر، فهذه الأعذار معروفة عند أهل السنة والجماعة وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله.

وأما المسألة الثانية: وهي حكم قتال هؤلاء المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تعالى أعلم:

كل من قاتل المسلمين مع الكافرين فقتاله واجب على المسلمين، ولا يجب على المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

فالخلاصة:

نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر. فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز، وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة.

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كان مع الكفار، وأنه من (طائفة الردة) إن كان مع المرتدين، وأنه من (طائفة البغاة).

خامسا: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ولو كان مسلما.

كل دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ على الضرورات الخمسة (الدين – النفس – العرض- العقل- المال) ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة مشروعة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل.

وفي الحديث الصحيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(١).

سادسا: أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.

خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فكان مما قاله: « أَيُّ شَهْرٍ هَذَا »، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا»، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ » ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» مَرَّتَيْنِ(٢)، متفق عليه، وقد لخص هذا الحديث الشريف المتفق على صحته لدى عموم المسلمين قاعدة حرمة المسلم، دمه، وماله، وعرضه، حرمة كلية لا يحلها إلا ما

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١..) ومسلم (١٦٧٩).

جاء في الحديث الصحيح، المجمع على صحته لدى عموم المسلمين أيضا، وهو قوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١) متفق عليه.

سابعا: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم:

- **ففي القرآن الكريم:** شواهد عديدة على وجوب نصرة المسلم نذكر منها قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢﴾ [الأنفال]

- **وفي السنة:**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.(٢)

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

ثامنًا: (العلمانية)[١]:

ذكرنا أن الثورة الفرنسية أصلت للفكرة العلمانية المتضمنة فصل الدين عن الحياة والسياسة، بل ربما على ما هو أبعد من ذلك، وهو إلغاء الفكرة الدينية برمتها، فقد تبنى بعض قادة الثورة هذا الاتجاه المتطرف.

وخلاصة ذلك كانت:

الصراع بين الملوك والكنيسة على السلطة ← ولد نظرية السيادة للملوك والحق الإلهي المقدس لهم بها ← أدى الصراع بين الملوك والشعوب الأوربية نتيجة الاضطهاد إلى رفض السلطتين معا الإلهية (البابا) والزمنية (الملك) ← وأدى هذا إلى إعطاء السيادة للأمة.

وهنا ولد الفعل الشنيع للملوك والباباوات فعل أشنع منه وهو ولادة العلمانية.

حاولت صياغة تعريف بسيط للعلمانية بعيدا عن التعريفات الأكاديمية الصعبة: (**إقصاء الدين بحيث لا يكون ميزانا توزن به الأمور**) أي: لا يصح في العلمانية أن يكون الدين هو المقياس لأي شيء.

فمقاومة المحتل إذا كانت من منطلق وطني أو قومي أو عرقي فيمكن وصفها بأنها "مقاومة علمانية"، أما لو كانت المقاومة من منطلق ديني لأنها جهاد أمر الله تعالى به فهي "مقاومة دينية" رغم أن السلوك في الحالتين واحد: «المقاومة»

والعلمانية بالأساس لا تختص بإقصاء دين دون دين، فهي تقصي الأديان كلها.

وعلى أساس هذا التعريف يحكمون على الأحزاب السياسية والجماعات، فإذا كنا أمام حزب له برنامج سياسي وآراء وقرارات نابعة من منطلق الدين فهو حزب قام على أساس ديني، والأنظمة تحظر أي حزب قام على أساس ديني، وهنا تعرف أن كلمة "حزب إسلامي" التي تسمعها كثيرا هي نوع من الهراء، فالقانون لا يسمح أصلا بتأسيس أحزاب "غير علمانية"، بل بمجرد كونك قد أسست حزبا رسميا فهذا معناه أنك تقول أنك ملتزم بالدستور والقانون، وأنك حتى لو كنت تنوي أن تغير شيئا في الدستور والقانون فلن يكون إلا بما حدده الدستور والقانون، وأن برنامجك السياسي في إطار الدستور والقانون.

(١) معركة الأحرار لـ م.أحمد سمير ص٤١.

فالحكم على **الكيانات السياسية** يكون بحسب الممارسات السياسية والمنطلقات المعلنة وليس بحسب نوايا الأفراد الشخصية، ومادام منطلقك المعلن هو الدستور والقانون وما تقره الأغلبية في البرلمان فأنت موافق للعلمانية مسموح بتواجدك السياسي حتى ولو لبست العمامة، فالعمامة لا تضر العلمانية في شيء!

بل أعلن أحد العلمانيين في بلادنا مرة أنه غير معارض لتنفيذ أحكام الشريعة نفسها بشرط أن تخرج من البرلمان وبإقرار الشعب وليس من منطلق ديني، فهو يريد أن يتم اعتبارها مثل كل القوانين البشرية التي تكتسب شرعيتها من إرادة الأغلبية في البرلمان والتي من الممكن أن تتغير غدا وفق إرادة الأغلبية أيضا، فأحكام الشريعة في حد ذاتها لا تضر العلمانية في شيء، المهم عندها هو المنطلق الذي سيتم إقرارها به.

العلمانية الأصلية والعلمانية الشائعة والعلمانية المصطنعة:

- **العلمانية الأصلية** هي: (اللا دينية) فهي تقصي الدين حتى عن المعتقدات الشخصية، أي لا تعتبر الدين سببا كافيا لبناء المعتقدات والأفكار والتصورات، فكل ما يثبت بالدين فقط ولا يمكن إثباته بالعقل المادي المجرد (بحسب زعمها) فهي - عندها - معتقدات دينية غير علمانية لا قيمة لها، مثل كل الغيبيات التي نؤمن بها كالملائكة والجن والوحي والأنبياء والمعجزات ويوم القيامة الخ، وهي بذلك تنظر لحامل هذه المعقدات الدينية نظرة انتقاص وتجهيل، ولذلك في هذه العلمانية لا يقول الشخص عن نفسه أنه مسلم علماني، أو مسيحي علماني، أو يهودي علماني بل يعرّف نفسه بأنه علماني "لا ديني"

هذه العلمانية الأصلية واضحة الفساد مرفوضة من الشعوب على اختلاف أديانهم معروفة الحكم عندهم بأنها كفر صريح، ولذلك ظهر صنف آخر من العلمانية، وهي **العلمانية الشائعة** اليوم والتي لا يختلف في الحقيقة حكمها عن سابقتها - تماما - إلا أنها لخفائها وبسبب شعاراتها البراقة وادعائها بأنها تحترم الأديان تسلل كثير من عناصرها السياسية والاجتماعية داخل الشعوب وانخدع بها الكثيرون، وأما تعريفها:

- **العلمانية الشائعة** أعني بالشائعة أي: المنتشرة، حيث أنها العلمانية التي تتوافق مع ما تعلنه الأنظمة الحالية في بلادنا من شعارات، وما تعلنه كذلك معظم المعارضة التي تطلق على نفسها لقب (المعارضة المدنية)، وهي العلمانية التي ترفع شعار: (لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين)!

وهي العلمانية التي تحصر الدين في حيّز التعبّد الشخصي الذي لا يكون إلا بين الشخص وربه، وترفض أن يكون للدين أي تأثير في الحياة العامة، فالإسلام عند هؤلاء العلمانيين لا يتجاوز مساحة المساجد

والعبادات الشخصية، وكذلك باقي الأديان لا تتجاوز دور العبادة، فهي تنظر إلى الدين باعتباره معتقدات وطقوسا شخصية، فالدين عندها هو قضية كل فرد مع نفسه، ولذلك يرددون كثيرا هذه المقولة: (الدين لله والوطن للجميع).

والإسلام دين متكامل، والتشريع فيه متشابك مع الشأن العام بصورة يستحيل فصله عن الحياة إلا بالخروج منه كله، هذا التشابك هو الذي يعيق العلمانيين في بلادنا من المطالبة بإقصاء أحكام الدين حتى عن الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، ويخافون من التصريح بذلك حتى لا تتهمهم الشعوب بالكفر، وقد حدث هذا بالفعل في قوانين الأحوال الشخصية في تونس حيث تم حظر تعدد الزوجات، ومازال العلمانيون هناك يطالبون بمزيد من التغيير، وطالب بعض العلمانيين في مصر علنا بالسماح للمسلمة بالزواج من غير المسلم، والحديث المتكرر عن "ظلم المرأة في الميراث" والدعوات المستمرة للتسوية بينها وبين الرجل في ذلك، ولقد نجحت العلمانية الشائعة في ترسيخ كثير من أفكارها داخل الشعوب المسلمة، حتى النظم السياسية اليوم قامت كلها على أسسها ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومازالت هذه العلمانية تسعى للمزيد تحت شعارات مختلفة ومغلوطة كشعار "الدولة المدنية" الشهير والذي صار يفسر ويوظف في معان لا تتسق مع دلالاته السياسية ولا المجتمعية.

- وأما **العلمانية المصطنعة**: ظهرت في بلادنا فقط لتواجه الإسلام من دون الأديان كلها!! وسميتها "علمانية مصطنعة" لأن أصحاب هذه العلمانية في الغالب ليسوا علمانيين، وغير مقتنعين بالعلمانية ولا متفقين مع مبادئها وإنما يستخدمون شعاراتها للحصول على مكاسب سياسية لطوائفهم الدينية، فهم يستخدمون العلمانية كستار لهم!

يستخدم هذه العلمانية "الأقليات الدينية" في بلادنا، فترى مثلا "الكنيسة الأرثوذكسية" في مصر تدافع عن "الدولة المدنية" وبينها وبين كثير من العلمانيين "المنتسبين للإسلام" تحالف سياسي واضح، في الوقت الذي تعادي فيه هذه الكنيسة "العلمانيين المسيحيين" معاداة رهيبة، وعندما طالب "العلمانيون المسيحيون" بالسماح لهم في الزواج والطلاق المدني وفقا لقوانين الدولة شنت عليهم الكنيسة حربا ضروسا، وأصدرت بحقهم حرمانا كنسيا، واعتبرتهم أعداء للدين، فالكنيسة ترى أن الطلاق "محرم" وترفض أي حديث عن "الزواج والطلاق المدني" في المحاكم خارج الكنائس، فأين ذهبت العلمانية والدولة المدنية إذن؟!.. إنها مجرد شعارات وسلم تم اتخاذه لتحقيق أهداف سياسية دينية، فيمكن وصف شعارات الكنيسة هنا بأنها "علمانية مصطنعة" غير حقيقية.

والغريب المضحك أن العلمانيين المنتسبين للإسلام والذين هم في تزاوج سياسي مع الكنيسة المصرية يغضون الطرف عن مواجهة الكنيسة لإخوانهم "العلمانيين المسيحيين" في حين أنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدوها لو حصل نفس الموقف من الشيوخ تجاه العلمانيين المنتسبين للإسلام، وكأن العلمانية عندهم لا تكون إلا أمام دين الإسلام فقط، وبالطبع تلعب المصلحة ورؤوس الأموال في ذلك دورا هاما!

وبهذا تفهم أيضا التزاوج السياسي بين الأقلية العلوية والأحزاب العلمانية في تركيا، وكذلك بين الشيعة والعلمانيين في "السعودية"، إن هذه الطوائف الدينية تطالب بمزيد من "العلمنة" ليس لأنهم علمانيون ولكن لأهداف دينية وسياسية ومذهبية.

العلمانية ذات الشعار الإسلامي:

وهي "العلمانية" التي يتبعها معظم من يُطلق عليهم سياسيا تيارات "الإسلام السياسي" وتصفهم بعض الأبحاث الغربية بالتيار الإسلامي المعتدل، وتفرق بينهم وبين التيار الإسلامي الراديكالي أو المتشدد، أصحاب هذه العلمانية يعتبرون أن الشعارات والنوايا الحسنة كافية جدا للحكم على أي شيء بأنه إسلامي!

فهم سياسيا يتكلمون بما يتكلم به غيرهم من العلمانيين، ويفعلون ما يفعلونه، وينتهجون نفس وسائلهم في السياسة، ويرسخون لنفس القيم، ويقرون باحترام كل مصادر الشرعية غير الدينية حتى التي تعارض الدين بل هم أكثر احتراما لها والتزاما بها من العلمانيين أنفسهم، وإذا صدر عن الكيان فعل أو قول سياسي يبدو عليه توافق مع الإسلام ولو من بعيد أخذوا يبررون له بتبريرات غير دينية كالحديث عن وجوب احترام ثقافة المجتمع الشرقي وضرورة الرجوع لإرادة الجماهير دون الحديث نهائيا عن وجوب تحكيم الإسلام والالتزام بمنهاجه إلا في حالات نادرة لا تذكر.

فالإسلام على المستوى السياسي عند هذه الكيانات والأحزاب لن تجده إلا في الشعارات، كالشعار الشهير (الإسلام هو الحل) بينما **ممارسات الكيان** وتصريحاته السياسية متوافقة مع العلمانية في عمومها، بالرغم من أن معظم أفراد هذه الكيانات من داخلهم وفي قناعاتهم الخاصة الشخصية ليسوا علمانيين تماما، ويعتقدون وجوب تحكيم الإسلام، ويبررون في السر لأفعال كيانهم بتبريرات مختلفة، كالتدرج وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد والضرورات وصلح الحديبية الخ الخ وكأنهم يقولون: " إننا سنظل نقول ونفعل ونمارس ما يقوله ويفعله ويمارسه العلمانيون على المستوى السياسي ولكن بشعارات وتبريرات إسلامية"!

والتفرقة بين حكمنا على الكيان وحكمنا على أفراده مهم جدا، فإن هذه الكيانات هي كيانات سياسية، وتقييمها يكون بحسب ممارساتها ومنطلقاتها السياسية المعلنة، وأما الحكم على نية وحال كل شخص فيها فهو خارج عن موضوعنا هنا وغير مؤثر في الحكم على الكيان، وإننا بما عايشناه في الواقع وبما رأيناه في التاريخ القريب وجدنا أن بعض هؤلاء الأفراد ينحدرون مع الوقت - للأسف - ويظلون في تنازلات وتراجعات شخصية حتى تضمحل نواياهم الخفية وتبريراتهم الشرعية القديمة التي ذكرنا بعضها، فيصبح اعتقادهم هو نفس كلام كيانهم المعلن، بل قد يتحول بعض أفراد هذه الكيانات عبر المراحل الزمنية المتعاقبة إلى علمانيين أكثر من العلمانيين الأصليين!

وأما الكيانات أنفسها فهي كذلك لا تقف عند حد معين من التنازل والتراجع السياسي، فحتى شعاراتها الإسلامية تقل تدريجيا كما حدث في مصر مع حزب الحرية والعدالة عندما غير شعاره بعد الثورة من (الإسلام هو الحل) إلى (نحمل الخير لمصر)، وكذلك إذا تتبعنا حزبا مثل حزب النور بسهولة جدا تستطيع أن تشاهد كيف انحدر سريعا حتى وصل لهذا الشكل والخطاب الموجود الآن، وكذلك يمكن أن نتتبع حال هذا التيار في العالم كله ونقارن بين خطابه الآن وخطابه منذ ٢٠ سنة فقط!

وحتى التقييم الغربي للكيانات «الإسلامية» وللأفراد فإنه يهتم بالممارسات السياسية والمنطلقات المعلنة، فإن كانت علمانية سموها أحزابا معتدلة وتعاملوا معها على هذا الأساس، فهم متجاوزون تماما لمسألة النوايا الشخصية، يظهر ذلك بشدة عند حديثهم عن (أردوغان) وحزب (العدالة والتنمية) في تركيا، فإن التقييم كله ينْصبّ على الممارسات السياسية للحكومة هناك وهذا ما يعنيهم. وكون أردوغان يعلن أن تركيا دولة علمانية وأنه سيظل محافظا على علمانية الدولة، وكون الممارسات السياسية كلها لم تخرج عن هذا الخط فهذا كافٍ جدا للغرب في الحكم على الحكومة هناك بأنها معتدلة، بعيدا عن كون أردوغان نفسه مؤمنا بالعلمانية أم لا على المستوى الشخصي!

وأما العلمانية الشائعة في بلادنا فهي تعادي أصحاب الشعارات الإسلامية بقوة، وتهتم بالنوايا الداخلية للأشخاص أكثر من الممارسات السياسية المعلنة! إلا أن صورة المعاداة اختلفت، فقديما كانوا يتهمونهم بأنهم يخفون غير ما يعلنون وأن لهم أجندات إسلامية خفية لإقامة الشريعة وأنهم يتخذون من الشعارات العلمانية ستارا لهم، وهكذا كان حديث العلمانيين دائما «للإسلاميين»، إلا أن المضحك هو أن العلمانيين اكتشفوا مع الوقت أن كثيرا من أصحاب الشعارات الإسلامية لا يفترقون عنهم بشيء ولا ينوون إقامة الشريعة أصلا، وهنا أصبحت العلمانية الشائعة تتهمهم بالعكس وهي (أنهم «تجار الدين» لأنهم متفقون مع

العلمانية في كل شيء ولا يحملون حتى نوايا داخلية لإقامة الدين وبالرغم من ذلك يستعملون الشعارات الإسلامية كنوع من المتاجرة واللعب على عواطف الناس الدينية)، والمضحك مرة أخرى هو أن أصحاب الشعارات الإسلامية يرون أن التنازل الكامل عن هذه الشعارات كبيرة من الكبائر ووقوع في «العلمانية» ولا يدرون - أو يدرون ويتغافلون - أنهم واقعون فيها منذ أمد بعيد!

وعلى ضوء هذا التعريفات السابقة للعلمانية تفهم أنها ليست مجرد سلوك، فبعض الناس يحسب أن العلمانية هي عدم الحجاب والسفور، والزنى وشرب الخمور! وفي الحقيقة هذه الأفعال في حد ذاتها ليست دلالة للعلمانية ولا تصلح لتعريف العلمانية بها، بل كما شرحنا من الممكن أن تترك الخمر والزنى والسفور وتقاوم المحتل وتكون علمانيا لأن منطلقاتك لكل هذا ليست دينية، ومن الممكن أن ترى أيضا كثيرا من الملتزمين سلوكيا بالدين والمستمسكين بالمظهر الإسلامي والرافعين لشعاراته يرسخون للعلمانية شكلا وموضوعا عبر جماعاتهم وأحزابهم وأحاديثهم وبياناتهم وتصريحاتهم، وعلى العكس تماما من الممكن أن تجد كثيرا من المقصرين في أفعالهم والواقعين في كثير من الذنوب والمعاصي وعدم الالتزام بالمظهر الإسلامي كالحجاب الشرعي هم في الحقيقة مجرد عصاة يستغفرون الله ويعرفون أنهم مخطئون ويعادون العلمانية والعلمانيين ويدافعون عن الدين ويجعلونه مقياسا للحكم على كل شيء كحال كثير من الشعوب المسلمة اليوم!

العلمانية وطبيعة الإسلام:

وبالرغم من أن الأنظمة في بلادنا هي أصلا علمانية إلا أن هناك من التيارات السياسية من لا يتكلم إلا عن ضرورة تطبيق العلمانية، ويجعلها الحل لكل المشاكل التي نعانيها، وكأننا نعيش في ظل الإسلام أصلا!! ويبدو أنهم بحاجة لمن يذكرهم بأننا نعيش في ظل العلمانية منذ قرن أو أكثر.

فكل الممارسات السياسية التي ترفع لواء العلمانية وتجعل من شعاراتها رمزا للتغيير كشعارات (فصل الدين عن السياسة) و(الدولة المدنية) كلها محاولات بائسة غرضها استنساخ التجربة الأوربية للتغيير والتي قامت على فكرة (اشنقوا آخر قيصر بأمعاء آخر قسيس) في إشارة للتزاوج السياسي الفاشي الذي كان معقودا بين «رجال الدين» وملوك أوربا في القرون الوسطى أي فترة حكم الكنيسة، وهو استنساخ فاشل يدل على الجهل المركب بالإسلام كدين، وبحقيقة المسلمين كأمة.

فإذا تحدثنا عن الإسلام فالإسلام ليس دينا كهنوتيا كـ"المسيحية" وغيرها، ولا يعرف وصاية رجال الدين، بل لا يعرف فكرة رجال الدين أصلا!! (الكهنوت ببساطة هو سلطة الإله الممنوحة لبشر، هذه السلطة تكون لمن يسمون «رجال دين» ليصبحوا وسطاء بين باقي البشر وبين الإله)

وحتى علماء المسلمين الذين تخصصوا في دراسة علومه لا يوجد في الإسلام ما يعتبرهم رجال دين على هذه الطريقة الكهنوتية الكنسية، فهم لا يختصون بتواصل إلهي وليس لهم حق سماوي خاص يمكّنهم من الوصاية على دنيا الناس ودينهم، إن الإسلام لا يعرف الرتب الدينية الموجودة في معظم الأديان، كما في المسيحية مثلا هناك درجات للكهنوت تختلف من مذهب لمذهب، في الأرثوذكسية والكاثوليكية على سبيل المثال هناك ثلاث درجات من الكهنوت (الشماس – القسيس – الأسقف) وبين كل درجة ودرجة هناك رُتب.

وأما في الإسلام فالله وحده من يعلم منازل الناس ورتبهم ودرجاتهم، ورب أشعث أغبر لا يأبه أحد له يكون أفضل عند الله من ألف عالم متخصص يقطع الناس إليهم آلاف الأميال، وهذا لا يعني التقليل من فضل العلم ولا التحقير من شأن العلماء، فإن قيمة الأمم تُعرف من قيمة العلماء فيها، ولكن هذا أيضا لا يعني عصمتهم ولا قداستهم، فإنه لا يؤمَن على حيهم الفتنة كما لا يؤمن على ميتهم النار، وليس بعد النبي ﷺ عصمة، وقد انقطع الوحي بموته ﷺ واكتمل الدين ولا يملك أحد مهما بلغ من العلم أن يأتي بوحي جديد، فكلٌ منهم ينقل عن هذا الوحي الذي انقطع ويستنبط منه.

وأما ما تفعله الأنظمة اليوم من محاولات تحويل الإسلام إلى دين كهنوتي حيث يقومون بإضفاء القدسية على مؤسسة دينية محددة كي يستغلوها استغلالا سياسيا فهو إجرام كبير يضُاف إلى قائمة جرائمهم التي لا تعد ولا تحصى، وهذا ما يفعله النظام المصري مثلا مع الأزهر فهو يعطي أفراده قداسة متعمدة كي يستخدمهم بعد ذلك في تخدير الشعوب وإضفاء الشرعية على حكمه.

ومثل الأزهر في مصر تجد هيئة كبار العلماء في "السعودية" وهكذا في كل دولة تجد محاولات من الأنظمة لاحتكار الدين وتحويله إلى منتج رسمي لا يحق لأحد الحديث عنه إلا بتصريح من الدولة لنجد في النهاية أننا أمام مؤسسات دورها هو تسويغ أفعال النظام وإخراج التبريرات الشرعية له، وليتمكن النظام من خلالهم أن يصف كل من يعاديه - من منطلق ديني - بأنه خارج عن الدين الصحيح متطرف، وهكذا يظل النظام يزيد من قدسية تلك المؤسسات الرسمية ويظل الشعب منخدعا بأفراد تلك المؤسسات وهم في الحقيقة - إلا من رحم الله - منافقون يفسدون دين الناس كما قال ابن المبارك:

وهــل أفســـد الــديــن إلا المــلــوك   وأحـــبـــار ســــوء ورهـــبــانـــهـــا

وليست المؤسسات الدينية الرسمية من تقوم وحدها بهذا الدور، فقد صارت كثير من الجماعات الدعوية غير الرسمية تسير على نفس النهج وأصبح دورهم في بعض البلدان أهم من المؤسسات الرسمية عند الأنظمة كالتيارات السلفية المختلفة، وما أكثر علماء السوء اليوم الذين أساؤوا لعلمهم ولذلك هان كثير منهم مع الوقت على الناس وتجرأ عليهم الجميع وسقطت هيبتهم بعدما ألبسوها للحكام، بل قد يساعد الحكام على إهانتهم وامتهانهم بعدما يأخذون منهم ما يريدون، وأحسن القائل -:

ولـو أن أهـل العلمِ صـــــانوه صـــانَهُم   ولـو عَـظَّـمُـوه في الـنـفـــــــوسِ لَـعُـظِّـمـا
ولكن أهـانوه فهـــــــــانوا، ودَنَّسُـــوا   مُـحَـيَّـاه بـالأطـمـاعِ حـــــــتى تَـجـهَّـمـا

وما الكهان إلا ركن من أركان حكم كل طاغية، وهل استغنى فرعون بسجونه وجنده عن السحرة؟ إن الطغاة لا يكتفون باستعباد أبدان الناس بل يسعون لاستعباد قلوبهم أيضا، وإن السجّانين لا سبيل لهم على القلوب، ولكن الكهّان لهم سبيل، وكم من حر لم يستعبده السيف والأسوار ولكن عبّد قلبَه للطغاةِ كهّانٌ فجار! علماء السلطان وكهانهم ظاهرة قديمة في كل الأمم التي حكمها طغاة، والإسلام من علماء السلطان بريء!

إنَّ الإسلام يؤسس لدولة منهاجية وليست دولة دينية كهنوتية، والدولة المنهاجية هي دولة تقوم على الأسس العلمية والمنهجية والكلمة فيها يجب أن تكون لأهل التخصص والمعرفة والإدراك، كل واحد في مجاله لا يتخطى مساحته ولا يتعدى دوره.

العلمانية وطبيعة الأمة المسلمة:

إن أمتنا المسلمة هي أمة من البشر صنعها الإسلام ولم يكن لها وجود قبله، ومكوّنات الأمة اليوم هي صنيعة الإسلام في معظمها، كالأمة العربية على سبيل المثال - إن الحديث عن إقصاء الإسلام مع الإبقاء على مكونات الأمة بنفس الشكل هو فرضية مستحيلة غير قابلة للتطبيق وقفز على الواقع بصورة فجة، وهي محاولة فشل فيها كل من حاول القيام بها، وهذا ما أدركه أعداء الأمة والساعون للسيطرة عليها فاعتبروا الإسلام هو العقبة الأولى في حربهم معنا - كما شرحنا - رغم معرفتهم ببعد الشعوب عن كثير من حقائقه، إلا أنهم يعلمون أنه مازال المكون الحضاري لهم والقادر على إعادتهم إلى ما كانوا عليه.

وبعد معرفة طبيعة الإسلام غير الكهنوتية وطبيعة الأمة الحاملة للإسلام تدرك أن العلمانية في بلادنا بعيدا عن تقييمها الشرعي هي (**افتراض لمشكلة وهمية، وطرح لحل مستحيل**).

تاسعًا: نشأة الديمقراطية المعاصرة ومفهومها وكيف تمارسها الحضارة الغربية:

الجذور القديمة للنظام الديمقراطي تعود إلى مئات السنيين قبل الميلاد عندما نشأت في حضارة اليونان ثم ورثها الرومان عنهم، أما مبادئ الديمقراطية المعاصرة المعمول بها الآن في الغرب فتعود بلورة أفكارها عمليا إلى الثورة الفرنسية وما تلاها من تحولات سياسية واجتماعية، حيث استعر الصراع بين البابا(السلطة الدينية) والملك (السلطة الزمنية)أي بين البابا في الفاتيكان ومختلف ملوك أوربا الذين ضاقوا ذرعا بعدوان الكنيسة على سلطاتهم المطلقة حيث بدأ فقهاء التشريع والقانون في الغرب يطرحون مبادئ ومفاهيم مثل (سيادة الأمة) و(سيادة الشعب) و(الشعب مصدر السلطات) و(الاقتراع الشعبي العام) و(النظام النيابي) و(الحريات العامة) و(المساواة) و(حقوق الإنسان).

كيف يمارس الغرب فعليا عملية سيادة الأمة وحكم الشعب أو ما يسمونه (الديمقراطية)، من الناحية العملية:

يقوم النظام الديمقراطي في العالم الغربي اليوم عموما على نظام الأحزاب السياسية، حيث توجد في كل بلد تيارات سياسية تنتمي في مجموعها إلى الفلسفات التي سادت أوروبا خلال القرن الماضي من الليبرالية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغير ذلك، ومع أن الدستور يسمح بتشكيل الأحزاب ويجعل من حق الترشيح حقا شخصيا لكل أحد إلا أن الواقع جعل في كل دولة من تلك الدول عددا محدودا من الأحزاب لا يتجاوز عددها أصابع الكف تتولى عملية المنافسة على السلطة وتتداولها فيما بينها، ففي بريطانيا يتسابق (المحافظون والعمال) وفي أمريكا (الجمهوريون والديمقراطيون) وهكذا في باقي الدول كألمانيا وكندا واستراليا، وغالبا ما يؤول الصراع إلى الحزبين الرئيسيين بحيث لو حاز أحدهما الأغلبية المطلقة تمكن نوابه في البرلمان من تشكيل الحكومة (السلطة التنفيذية) منفردين وتحول الحزب الذي خسر السباق الانتخابي إلى المعارضة التي تتشكل منه أو من باقي الأحزاب الصغيرة أو الأعضاء المستقلين في البرلمان، وهكذا تعاد هذه اللعبة التي تقوم بها النخب السياسية في المجتمعات الغربية بصورة دورية كل أربعة أو خمس سنوات.

إنَّ عملية الديمقراطية في الغرب عملية نسبية أيضا ومسرحية إلى حد كبير، فالسياسات الحقيقية ترسمها اللوبيات الضاغطة في البرلمان والأحزاب وغالبا ما يسيطر اليهود أو أعضاء المنظمات اليهودية مثل (الماسون)

أو أعضاء المنظمات المسيحية المتطرفة كمنظمة (ثلاثي الأضلاع) وغيرها من أجهزة الضغط من كبار رجال السياسة والإعلام ورجال المال وكبار الرأسماليين ومافيات الجريمة في بعض الأحيان.

وتلعب الرشاوى والأموال التي تمول الحملات الانتخابية دورا عظيما في شراء الذمم والضمائر والتحكم في سير الانتخابات وإبراز المرشحين فالنظام في عمومه رأسمالي يعتمد اقتصاد السوق أو الاقتصاد الحر والمجتمع في عمومه يتبنى الهوية النصرانية على قاعدة شعبية عريضة من الإلحاد.

- أمر هام أيضا طغى في الفترة الأخيرة على السطح وهو تحكم الدول الأكبر بسياسات الدول الأصغر ودعمها للوبيات الداخلية والأحزاب المؤيدة لسياساتها لتنجح في الإنتخابات والإمساك بزمام السلطة فأمريكا.. زعيمة (الناتو) تتحكم إلى حد كبير في سياسات الدول الغربية وأوربا واستراليا وكندا وقد ازداد هذا الضغط والتأثير جدا في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق.. وتلعب بريطانيا قدرا كبيرا من التأثير داخل العائلة الأوربية لصالح السياسة الأمريكية.كما تمارس الدول الأوربية الكبرى وعلى رأسها فرنسا وألمانيا ضغوطا وتأثيرا على سياسات دول الاتحاد الأوربي وعلى تلك الراغبة باللحاق به.

أما ما يجري في ديمقراطيات العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حديثة العهد بالاستقلال وبالدكتاتوريات فمهازل شبيهة إلى حد كبير بالنماذج الديمقراطية الحاصل بعضها في العالم العربي والإسلامي، مع فارق يجعلها تأتي قبلها في سلم المهزلة.

أما أسفل نماذج الديمقراطية هي تلك التي تم استنساخ أجنة مشوهة منها في مراكز دراسات الاستخبارات الغربية وصنائعها الاستعمارية في بلادنا لتطبق على شعوبنا المغلوبة على أمرها كخيار يضحك على عقولها المرهقة بقمع الأنظمة الديكتاتورية والملكيات المستبدة والجمهوريات الوراثية.

الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي:

إنَّ تطبيق الديمقراطية عندنا، كما في الغرب يخالف واقع الحال لِما دونه في الدساتير والقوانين، ولكن بما يتناسب مع حجم التخلف وسيطرة الدكتاتوريات البشرية، ففي سائر البلاد العربية والإسلامية نصت الدساتير على خلاف الأصل من فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، حيث أعطت تلك التشريعات الملوك والرؤساء والأمراء الحاكمين وهم رأس السلطة التنفيذية نصيبا من السلطة التشريعية إما بشكل صريح كما في الأنظمة الملكية والأميرية من مثل ما جاء في دستور المغرب (للملك حق إصدار القوانين) أو الأردن (تناط السلطة التشريعية بمجلس الأمة والملك)، أو البحرين: (لا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلس الوطني ووافق عليه الأمير)، أو بشكل مبطن كما في الجمهوريات الديكتاتورية كمصر وسوريا وتونس

والجزائر وليبيا وما شابه حيث نصت الدساتير على أن الرئيس هو رأس السلطة التنفيذية ويشارك أو يشرف على السلطة التشريعية كما جاء في المادة ٧٤ من الدستور المصري على سبيل المثال (لرئيس الجمهورية اذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري أن يتخذ الاجراآت السريعة لمواجهة هذا الخطر ويوجه بيانا للشعب ويجري استفتاء على ما اتخذه من إجراآت خلال ٦٠ يومًا من اتخاذه...)

كما أن الدساتير نصت في معظم البلاد العربية والإسلامية على حق الرئيس أو الملك في حل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية والنيابية، وإعادة فتحها بالشكل والوقت الذي يحلو له، هذا ناهيك عن الانقلابات العسكرية التي تعلق الدساتير وتخضع كثيرا من بلاد العرب والمسلمين لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية كما في سوريا حيث لا زال يعمل بقانون الطوارئ والأحكام العرفية منذ أكثر من أربعين عاما وكذلك في مصر ما زال إلى الآن ومنذ ٢٥ سنة!!

أما حق الرؤساء والملوك في التشريع فيما بين دورات البرلمان أو حق الاقتراح أو التعديل أو رد التشريعات التي شرعتها السلطة التشريعية وإحالتها إلى البرلمان ليصوت عليها من جديد...

ومهازل حكام العرب والمسلمين أكثر من أن يأتي عليها حصر ولو أفردت لها المجلدات فمما يحضرني من الأمثلة السريعة، تعديل الدستور السوري لتخفيض العمر الأدنى للرئيس من (٤٠) سنة كما هو في الدستور - منذ أنشأوه - إلى عمر بشار الأسد عندما أراد أبوه أن يستخلفه وهو (٣٦) سنة حيث استغرق تصويت البرلمان السوري على هذا التعديل نصف ساعة حيث أقروه بالإجماع وكانت (أولبرايت) في دمشق تنتظر النتيجة وترتب الأمور حيث صرحت بعد هلاك حافظ الأسد وتثبيت السلطة لبشار وقمع معارضيه حتى من الطامعين بالعرش من النصيرية فقالت للصحفيين وهي تغادر: (إن أمريكا راضية عن انتقال السلطة في سوريا)، وكذلك تعديل الدستور الأردني حول مواصفات ولي العهد لتناسب الملك عبد الله الحالي عندما استخلفه أبوه وهو على فراش الموت وأقصى أخاه الأمير الحسن ولي العهد التاريخي للأردن بأمر من أمريكا أيضا.

أما إذا جئنا لنستقصي المؤسسات الأمنية وهي الحاكم الفعلي في البلاد العربية والإسلامية وهياكلها وسلطاتها الثلاثة: (السلطة التعذيبية، والسلطة **الإعدامية**، وسلطة المقابر الجماعية) والمؤسسات التابعة لها كأجهزة **مكافحة الشعب** وقمع المظاهرات، ومؤسسات الاعتقال، ناهيك عن سيطرتها على الوزارات المستقلة عنها كوزارة تحريف شرع الله والشؤون الدينية ووزارة الإعلام والطبل والزمر للرؤساء والملوك، فلذلك قصص مشوقة أخرى في التطبيق العملي للتصور الدستوري والعلماني لمفهوم سيادة الشعب المقهور

وسيادة الأمة المقموعة وديمقراطية (الكرباج)! وأظن أن أخبار الأحوال انتشارها، حتى عبر وسائل الإعلام اليوم يغني عن الأمثلة المضحكة المبكية التي تفطر الأكباد في تلك البلاد.

بقي أن نشير إلى أن أغلب المعارضات السياسية في الأنظمة الحاكمة في العالم العربي والإسلامي هي ديمقراطية في منهجها وعلمانية في معتقداتها ونزيهة في تصوراتها وفق مفاهيم الغرب، ولكن إلى أن يحصل لها استلام السلطة لتعود إلى الأصل وهو تكرار النموذج لتتولى السلطات البائدة أو المعارضات الجديدة دور المطالبة بالنزاهة المقبلة، وأما التطبيق العملي للديمقراطية ونظام الانتخابات في البلاد العربية والإسلامية أصحاب ٩٩,٩٩% في كافة الاستفتاءات على الدساتير والتشريعات ومشاريع الوحدة ومشاريع الولاية الثانية والثالثة ومشاريع استخلاف الأبناء وولايات العهد في الجمهوريات الملكية كما في سوريا وبوادر ذلك في مصر واليمن وليبيا، فمظاهر لا تحتاج لنقاش، وقد شهدت بنفسي بعض الانتخابات البلدية والبرلمانية في سوريا والأردن وباكستان ورأيت بعيني كيف يشحن الرجال في السيارات من القرى والأحياء الفقيرة في المدن يحمل كل واحد منهم بطاقته الشخصية وبطاقة بعض نسائه اللواتي يحق لهن الانتخاب، ويشحنون إلى المراكز الانتخابية عبر وسطاء وسماسرة يدفعون نيابة عن المرشحين والأحزاب التي نظمت هذه المظاهر الديمقراطية! ثمن الصوت ما يعادل (١٠ سنت) أي (٠,١) دولار أمريكي، وكأسا من الشاي! وقد يتكرم بعض المراكز فينحر الخراف وتقدم مناسف الرز واللحم في مواسم انتخابية لو رآها فقهاء القانون في الثورة الفرنسية لطالبوا بعودة الحق الإلهي المقدس للملوك، ولعاودوا البحث عن شراء صكوك الغفران الكنسية لتكفير خطاياهم في التنظير للديمقراطية.

مسألة الديمقراطية وتجارب حركات الصحوة الإسلامية فيها:

لقد آلت الصحوة منذ العقد الأخير في القرن العشرين لأن تكون في معظمها من حيث العاملين بها وجمهور مؤيديها سياسية، وذلك للتنفيس عن مظاهر الصحوة الجامحة كرد فعل من قبل الشعوب المسلمة على ما يجري من وقائع، وذلك عبر ما يتاح من بوابات الديمقراطية رغم أن الحكومات والغرب قد رسموا لها شكلا خاصا عندما رفعوا شعار (ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد العرب والمسلمين).

عندما نقول (ديمقراطية)، فإنَّنا نستخدم مصطلحاً أجنبياً يدل على مفهوم محدد عند أصحابه ومن وصفوه، ولا يحق لنا من حيث المنطق أن نزعم معنى آخر كما يفعل بعض الإسلاميين كقولهم نحن نقصد الشورى، أو نوعا من الديمقراطية وفق الضوابط الشرعية الإسلامية! لأننا لو نظرنا لحقيقة (الشورى) وفق مفاهيم السياسية الشرعية وحدودها وأهلها وطريقة ممارساتها لوجدناها نظاما آخر لا علاقة له بالديمقراطية بل

يتناقض معه في كل المجالات وأما تخصيص معنى إسلامي لها فيخرج عن حدود المنطق لأنه يخرج المصطلح عن مدلوله المعروف علميا كمصطلح قانوني دستوري سياسي له فحواه، فمن البديهي أنَّ المصطلحات لها مداليل محددة ولا يجوز أن تضاف إلى معنى لا يتحمله المصطلح الأصلي.

لكل نظام من النُظُم السياسية: (**قيمة عليا**) أو (**هدفا أسمى**) تكون هذه القيمة هي محل اعتباره الأول والأخير، مثل قيمة (**سيادة الشعب أو حكم الشعب لنفسه**) في النظام الديمقراطي.

ولكي يخرج النظام من حيز التنظير إلى حيز الواقع فعليه أن يضع لنا (**معيارا**) ملموسا على أرض الواقع حتى نتمكن من خلاله أن نعرف هل نحن نحقق هذه القيمة المثالية أم لم نحققها، فالمعيار بالنسبة للقيمة (كالثرموميتر) بالنسبة للحرارة، يعني في النظام الديمقراطي كيف نعرف أن سيادة الشعب قد تحققت على أرض الواقع؟ الإجابة: عندما يتم تنفيذ (إرادة الأغلبية)، وبالتالي يصبح (نفاذ إرادة الأغلبية) هو المعيار والمقياس الملموس الذي يدل على (سيادة الشعب)

فإذا تم تحديد (**القيمة العليا**) وتم وضع (**معيار**) ملموس لها فقد أصبحنا أمام نظام سياسي له فلسفته الخاصة، ويمكن بعدها أن يحدث خلاف في النظريات والآليات والتطبيقات العملية رغم اتفاق الجميع على فلسفة النظام، ففلسفة النظام هي: (القيمة العليا + المعيار)، أما النظريات العملية فهي آخر ما يتم طرحه في النظم السياسية بعدما يتم الاتفاق أولا على فلسفة النظام، ففي (الديمقراطية) مثلا يوجد أكثر من نظرية لكيفية إدارة الدولة، هل بالطريقة الرئاسية، أم بالطريقة البرلمانية، لكن مهما اختلفت النظريات فلا خلاف على القيمة العليا والمعيار.

وفي النظام السياسي في الإسلام القيمة العليا هي: (**حكم الحق**) أو سيادة الحق

وأما **المعيار** الملموس فهو:

١- إقامة الشرع فيما حسمه

٢- تفعيل الاجتهاد للمختصين في المجالات المختلفة (البحث العلمي)

٣- إعمال الشورى التخصصية بناء على الاجتهاد

فإذا أقام النظام السياسي الشرع في المسائل التي حسمها، وتم تفعيل الاجتهاد الحقيقي المستوفي للشروط في كل ما يحتاج المجتمع الاجتهاد فيه من أمور الدين والدنيا، ثم تم اتخاذ القرارات بناء على مشورة المجتهدين المتخصصين فهو إذن مجتمع يسوده الحق.

فإقامة الشرع تعني (**الحكم بما أنزل الله**)، وأما بناء القرارات اعتمادا على اجتهاد المتخصصين وبحثهم العملي فهو (**إسناد الأمر لأهله**)، أي بعبارة مختصرة يمكن أن نقول أن معيار سيادة الحق وفقا لديننا هو: (**الحكم بما أنزل الله وإسناد الأمر لأهله**)

هذا الكلام يبين لك خطأ من يظن أن النظام السياسي هو عبارة عن مجرد (آلية) لاختيار الحاكم للسلطة، وبهذا الظن يعتقدون أن (آلية) تولي السلطة وتداولها هي فقط ما يفرق بين نظام سياسي وآخر، بينما في الحقيقة يمكن داخل النظام الواحد أن تجد نظريات مختلفة لا حصر لها حول آلية مجيء الحاكم، فليست هذه هي النقطة الفاصلة بين الأنظمة، النقطة الفاصلة التي تفرق بين نظام وآخر هي (فلسفة) هذا النظام، فتلك هي عقيدته وقيمته التي يرعاها ويصونها ويقدسها، ومنها تنبثق آلياته على أرض الواقع، وإذا لم تكن تعرف فلسفة النظام فأنت إذن لا تعرفه!!

مفهوم الديمقراطية عند (الإسلاميين الديمقراطيين) وتجارب الصحوة في ممارسة الديمقراطية ومسارها خلال الربع قرن الأخير:

من المفيد بحث هذه الظاهرة من زاويتين:

١. **من حيث الفكر والمنهج والمعتقد في الديمقراطية.**

٢. **من حيث التطبيق والتجارب.**

أولا: الفكر والمنهج والمعتقد الديمقراطي عند الإسلاميين الديمقراطيين:

أنواع الديمقراطيين الإسلاميين على الشكل التالي:

إسلاميون ديمقراطيون يعتقدون – بحسب تصريحاتهم وكتاباتهم- أن الديمقراطية لا تناقض الإسلام، وذهب أحد أقطاب هذه المدرسة للقول (الديمقراطية بضاعتنا ردت إلينا)، وذهب آخر للقول (الديمقراطية هي الشورى الملزمة)، وقد عبر (الغنوشي)أحد منظري هذه المدرسة بقوله (نحن ارتضينا بالديمقراطية والصناديق حكما بيننا كإسلاميين وبين خصومنا من الأحزاب العلمانية في تونس، فإذا الشعب اختارنا حكمنا

بالإسلام، وسمحنا للكفر بأن تكون له أحزابه وصحفه لأن الإسلام لا يخشى عليه من الحرية، وإذا الشعب اختار الأحزاب العلمانية، رضينا بحكم الكفر لأن الله تعالى قال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]! وسهرتنا تلك مسجلة على كاسيت! وكتابه (الحريات السياسية في الإسلام) أشد صراحة من هذا، وله مقالات كثيرة في هذا المضمار.

١. **إسلاميون ديمقراطيون يطرحون تصورا إسلاميا للديمقراطية ويقولون نأخذ منها ونمارس ما لا يتعارض مع أصول السياسة الشرعية وينهجون منهجا توفيقيا ترقيعيا لإنتاج نظريات (ديمقراطية - إسلامية) في آن واحد**، وأنه يمكن الخروج بما أسموه (فقه برلماني) يشكل نظرية لديمقراطية إسلامية بضوابط معينة، تجعلهم بحسب تصورهم في حل مما تحمله النظرية السياسية والدستورية للديمقراطية الغربية من إلحاد وشرك وكفر أكبر، ولا يرون بأسا من الانتماء للسلطة التشريعية عبر الديمقراطية كمعارضة بحيث لا يوافقون إلا على ما تجيزه الشريعة (كما هو رأي بعض البرلمانيين الإسلاميين في الأردن)، وهناك من هؤلاء من لا يرى بأسا من تسلم الوزارات في السلطة التنفيذية على ما يزعمون من دليل في مذهب يوسف عليه السلام ووزارته لدى الفرعون!!(كما في الأردن والكويت والباكستان وتركيا وكثير من البلاد غيرها)!

٢. **النوع الثالث يصرحون بأن الديمقراطية بمفهومها الأساسي تناقض الإسلام وأنه ليس هناك إشكالية شرعية في ممارسة المعارضة في (البرلمان)**، ولا يجيزون لأنفسهم أن ينتقلوا بالشوط لآخره بدخول السلطة التنفيذية، لأن ذلك سيدخلهم في دائرة الحكم بغير ما انزل الله بحسب القوانين المعول بها في عموم بلاد المسلمين! ويعتقدون أن الشريعة الإسلامية تسمح بمزاولة الديمقراطية في حدود المعارضة ونيابة البرلمان! بحيث يوافقون على ما وافق الشريعة ولا يجيزون ما لا يوافقها وأنهم لا ينتقلون إلى ممارسة السلطة إلا إذا كانوا أغلبية وتمكنوا من الحكم بالشريعة، وأنهم في البرلمان لإقامة الحجة وإيصال صوت الحق، وتحقيق بعض المصالح الشرعية للمسلمين، وهذا النوع قلة اليوم في الصحوة.

٣. **الفريق الرابع يصرح صراحة بأن الديمقراطية كفر بالله وأن مبادئها تقوم على الشرك به والإلحاد في ألوهيته سبحانه، وأنهم يمارسونها في حدود حالات الاستضعاف التي تمر بها الصحوة**، وأنهم لا يدخلون البرلمان إلا كأكثرية حيث سيتولون أول أعمالهم تشكيل حكومة تحكم بالشريعة، وإلغاء العمل بالديمقراطية بمفهومها الغربي، ولعل أوضح وأصرح هذا النموذج جبهة الإنقاذ في الجزائر

لاسيما من خلال تصريحات شيخها علي بلحاج فرج الله عنه وأحسن خلاصة، وهذا النوع من الديمقراطية اقل الأنواع انحرافا وأندرها وجودا.

والجدير بالذكر أن مواقف (الإسلاميين الديمقراطيين) تتنوع تجاه مفهوم السيادة والحاكمية والمبادئ والمصطلحات الدستورية والمواقف من كفر الحاكم وإسلامه وكذلك الحكم على النظام ومؤسساته وهناك الكثير من الضبابية والتلون والباطنية والمواقف الإعلامية والكلام في الجلسات الخاصة، والتذبذب في المواقف من المسألة بين حوار وآخر وتصريح وآخر بحسب الأجواء والظروف أو الشجاعة الشخصية... الخ ولكن هناك واقعا يجدر ذكره وهو أن جميع الإسلاميين الديمقراطيين بلا استثناء وهم يدخلون في هذا المجال يقرون إما اعتقادا أو موافقة للحال بجملة من الأشياء ويلزمهم بذلك النظام الدستوري النيابي وقوانين الانتخابات ومن ذلك

١. الاعتراف بشرعية النظام وشرعية الحاكم سواء كان رئيسا أو ملكا أو أميرا.

٢. الاعتراف بالدستور المعمول به في البلاد والقسم بالشرف والمعتقد على صيانته واحترامه والعمل به.

٣. الاعتراف بالمبادئ الأساسية للدولة والنظام القائم وأسس تكوينه بحسب حالته.

٤. الاعتراف بمبدأ المساواة في الحقوق السياسية من حيث حق الترشيح والانتخاب والتصويت داخل المجلس بصرف النظر عن الدين أو الجنس أو المعتقد أو أي اعتبار آخر.

٥. الاعتراف بمبدأ تداول السلطة وحق الجميع في المنافسة والتمثيل النيابي.

٦. الاعتراف بمبدأ الالتزام بقرارات الأغلبية ونفاذها دستوريا وقانونيا بصرف النظر عن الموقف الخاص أثناء التصويت منها واعتبارها نافذة في الأمة بمجرد صدورها بالأغلبية.

٧. الاعتراف والتوقيع على قانون الإنتخابات المعمول به بحسب كل حالة والتي تفصل فيها السلطات دائما القوانين بحيث تكون النتائج كما تشتهي.

٨. الاحتكام للدستور والمحاكم الرسمية والقوانين المعمول بها حال المنازعات في أي إشكال بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية أو داخل مكونات أي من تلك السلطات، مع العلم المسبق بحق الرئيس أو الملك بحل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية.

الحصاد العملي لتجارب الإسلاميين الديمقراطيين عبر مسار الصحوة: في مصر، والأردن، واليمن، وتونس، والكويت، وباكستان، وتركيا، والجزائر.

تنقل الإخوان في أغلب أو كل هذه التجارب بين البرلمان والمعتقلات وما زالوا كذلك إلى يومنا هذا، وما يزال مسلكهم كما عبر عنه أحد قياداتهم في كتابه الذي جعل عنوانه (من السجن إلى الدعوة) ولو عاش لأضاف إليه ومن الدعوة إلى السجن وهكذا دواليك لتكتمل الحلقة المفرغة.

خلاصة ما يستفاد من التجارب العملية للإسلاميين في الديمقراطية:

١. أن الشعوب الإسلامية تعيش صحوة إسلامية حقيقية رغم مظاهر الفساد والانحلال وألوان الفسوق التي تفرضها أو تسهلها السلطات لمحو معالم الدين من حياة المسلمين، وقد أثبتت التجارب أن أي بلد عربي أو إسلامي يخوض فيه الإسلاميون انتخابات ديمقراطية حقيقية فإنهم سيفوزون بالأغلبية.

٢. أثبت الغرب ونوابه من الحكام في بلاد العرب والمسلمين أنهم مصممون على وضع العراقيل والخطوط الحمراء على طريق مشاركة الإسلاميين ومنع وصولهم لتحقيق كتل فاعلة في السلطات الثلاثة، كما ثبت أنهم مستعدون فيما لو لم تؤد هذه الموانع إلى تحجم دور الإسلاميين وتهميش وجودهم إلى اللجوء إلى الانقلابات السياسية أو العسكرية أو المؤامرات للحيلولة دون ذلك.

٣. أثبت معظم (الإسلاميون الديمقراطيون) أنهم مستعدون لتقديم التنازلات تلو الأخرى بلا حدود ولا ضوابط، لا من الشرع ولا من المنطق، ولا من الكرامة السياسية المعقولة.

٤. أثبت كثير من الديمقراطيين الإسلاميين استعدادهم لأن يكونوا جزءا من السلطة عبر انتمائهم لأجهزتها التشريعية وجزءا من جهاز الحكم عبر تسلمهم الوزارات بصرف النظر عن مناقضته ذلك لصريح الدين ولوازم ذلك مما لا يسوغه دليل ولا يقوم عليه برهان.

٥. أثبت كثير من (الإسلاميين الديمقراطيين) اشتراكهم إلى جانب حكوماتهم التي صاروا جزءا منها ومن سلطاتها الثلاثة أو بعضها أنهم مستعدون تحت شعار (مصلحة الدعوة) إلى محاربة التيار المجاهد والنخبة المقاومة للحكام وأعوانهم المستعمرين.

٦. حقيقة الأمر أنه وكما كنت قد توصلت إلى ذلك وأعلنته في محاضرة لي بعنوان (المعادلة السياسية للنظام العالمي الجديد) ألقيتها في بيشاور في مركز النور في جمع من المجاهدين العرب صيف ١٩٩٠،

فقد أثبت الإسلاميون الديمقراطيون أنهم مستعدون لأن يكونوا جزءا من قوى النظام العالمي الجديد وأن يسيروا في ركاب مخططاته من حيث شعروا وأرادوا أو جهلوا ولم يدركوا ما يفعلون بسبب انخراطهم في هذا الفخ الديمقراطي الخطير.

وهناك شبه متعددة وردود يثيرها هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (إسلاميون معتدلون) أو(ديمقراطيون)، ولا أريد الاستفاضة باستقصائها والرد عليها هنا..

ولكن أهمها اثنتان واحدة يتخذون منها حجة للانتماء للبرلمان أي (السلطة التشريعية) التي تنازع رب العزة جل جلاله في حق التشريع، والأخرى يجعلون فيها دليلا للانتماء إلى (السلطة التنفيذية) وتسلم الوزارات والمناصب الرسمية، فينتمون بها إلى الكيان الحاكم بغير ما أنزل الله.

أما الأولى:

فهي أنهم يجعلون من قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وسنة رسول الله ﷺ بفعل **الشورى**، دليلا على جواز أن يضم البرلمان من هب ودب من المسلمين والعلمانيين والملحدين والمؤمنين والرجال والنساء والجهال والعلماء والعدول والساقطين، ليكونوا محل شورى لولي الأمر، بل محل تشريع بالأغلبية!! ورد هذه الشبة السخيفة أوضح من أن يتجشم بيانه.

ولله در العلامة المحدث أحمد شاكر عندما شرح في كتابه عمدة التفاسير بعض ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]

(**وأمرهم**)، (**بينهم**)، والضمير: (**هم**) عائد على المسلمين المؤمنين، الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وهي مبينة بقوله ﷺ: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهى**»[1]، أي أصحاب الدين والخلق والعقل والرأي السديد الراجح من وجوه القوم، وهي لا تشمل بحال؛ العصاة والفساق من المسلمين ناهيك عن الكفار والملحدين والزنادقة من علمانيين وشيوعيين

فأما الذميون من الكفار فهم رعية منصرفون إلى شؤونهم تحت رقابة الدولة محل العدل معهم لذمتهم، ومحل الذلة والصغار لكفرهم.

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

وأما ملاحدة المسلمين فمكانهم – كما قال الشيخ رحمه الله – محلهم تحت السوط أو السيف، أي لتأديبهم بالسوط كي تشفى أدمغتهم من نزغات شياطين الإنس والجن، أو لقتلهم وإراحة البشرية من شرورهم ودنسهم، وليس محلهم المشاورة في مصالح المسلمين.

وأما الثانية:

فهو زعمهم حل تسلم الوزارات والمناصب في حكومات الفراعنة والطواغيت بدليل أن سيدنا ونبينا (يوسف) عليه السلام طلب هذه الوزارة وتسلمها من الفرعون عندما قال له ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف].

أولا: نسأل هؤلاء (الإسلاميين الوزراء) في حكومات البلاد العربية والإسلامية اليوم، **هل تسلمون بأن حكامكم هؤلاء فراعنة، كفار؟ مرتدون؟** لأن دليلكم وزعمكم هو(على جواز استلام الوزارة في حكومة الحاكم الكافر الفرعون؟)، فإن قالوا لا، وحكامنا مسلمون فلا داعي للاستشهاد بهذه الحجة، لأن تسلم الوزارة عند ولي الأمر المسلم جائز من حيث المبدأ، وإن كان البعد عن الفجار والظلمة منهم هو المأمور به شرعا.

وإن قالوا: «نعم» فنطالبهم بإعلان ذلك، وإعلان وجوه كفر حكامهم وردتهم ثم براءتهم منها، ثم بيان وجهة نظرهم في المصلحة في عملهم عندهم وأدلة جواز ذلك بعد ذلك.

وليعلنوا كما أعلن نبينا يوسف عليه السلام أن حكامنا فراعنة كفار، فقد قال يوسف: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف]..

فأين قول يوسف عليه السلام وإعلانه أس التوحيد وأساسه، من نعيق الديمقراطيين الإسلاميين بمديح الفراعنة والطبطبة عليهم، ووصفهم بالملك صاحب الجلالة والعظمة!وأمير البلاد المعظم، وسيادة الرئيس، والسادة الوزراء أصحاب المعالي! وتدليس أحوالهم وأحوال دساتيرهم الكافرة والاحتكام إليها!

ثانيا: فإن قالوا، نعم وأقروا بكفر حكامهم وأنهم فراعنة مرتدون، ننتقل لإسقاط حجتهم هذه من وجوه عديدة:

١- إنه لو جاز لسيدنا يوسف أن يفعل هذا فهو من أحكام شريعة من قبلنا، التي لا تعتبر شريعة لنا إذا نسختها شريعتنا، وشريعتنا ناسخة لهذا، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، بصفة العموم (من) أي كلّ من، ولقوله تَعَالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

٢- على فرض جواز ذلك بشروطه ووجوه قياسه الصحيحة، فليُنظر إلى تفاصيل استلام سيدنا يوسف عليه السلام لتلك الوزارة المزعومة عند الفرعون في كتب الآثار وأقوال السلف من المفسرين في ذلك:

** نقل بعض السلف أن فرعون مصر الذي كان في زمن يوسف عليه السلام قد أمن بدعوة نبي الله يوسف للتوحيد لما كلمه، نقل ذلك عن مجاهد في تفسير الطبري ج٨/١١ **(قال مجاهد: أسلم الملك الذي كان معه يوسف)**، كما نقله ابن كثير عن مجاهد أيضا (أنظر ابن كثير تفسير الآية ٥٦ من سورة يوسف)

** أن الله سبحانه وتعالى ذكر صراحة أن الملك قال ليوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف].

ووصف الله حاله بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف]،وأشار القرآن إلى أن يوسف استطاع تطبيق شرع الله في مصر عندما حكم بأخذ أخيه، فقال تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]

أي بحسب شريعة الملك ونظامه، ولكن يوسف طبق شريعة دينه ودين آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام وهي دين التوحيد.

فأين إذا وجه القياس بين فراعنة حكام بلاد المسلمين الذين يستوزر عندهم هؤلاء الدعاة الأدعياء وعلماء السلاطين، وبين ملك مصر الذي:

- إما أنه أسلم كما دلالة ظاهر النصوص وروايات بعض السلف.
- وإما أنه مكن ليوسف وأسلمه مقاليد الحكم، حتى صار مكينا أمينا يتبوأ من الأرض حيث يشاء.

فهل هذا حال الدعاة الذين يتنقلون بين البرلمان والسجون! فيتركهم الطاغوت تارة، وينزعهم أخرى! ويسجنهم تارة ويتيح لهم الترشيح أخرى! يتبوؤون من السجون حيث يشاء الطاغوت وقت ما شاء، وليس كحال يوسف عليه السلام يتبوأ من الأرض حيث يشاء.

فهل تولى أحد من الدعاة وزارة أو حكما ممكنا تمكين يوسف في الأرض حتى يجعل فعله عليه السلام شاهدا لهم؟!

وأما غير ذلك من الاحتجاجات والمزاعم فمن ذلك: احتجاجهم بولاية النجاشي للحبشة من غير قدرة على أن يحكم بشرع الله.

و منها ادعائهم أنهم عندما يقسمون بالله على احترام الدساتير والقوانين الكفرية إنما يبيتون (سرا)! نية استثناء الباطل والقسم على الحق فقط!

ومنها أنهم لم يدخلوا بنية التشريع وإنما بنية الإصلاح!

وغير ذلك فكلها متكآت متهافتة لا تثبت أمام دليل شرعي ولا تفسير منطقي ولا تحتملها مداليل اللغة العربية ولا لغة الهنولولو!..

ويضيق المجال عن سرد الردود على تلك الخزعبلات، وليس محله هنا

وجوه تناقض الديمقراطية مع دين الإسلام:

أولا: تعطي الديمقراطية لكل مواطن حرية الاعتقاد والتفكير، فله أن يعتقد بما شاء ويكفر بما شاء، وأن يبدل معتقده وقناعاته بحسب هواه وآرائه الشخصية.

فالإنسان في دين الإسلام، ليس حرا في أن يكفر بالله ويشرك به، فالمسلم حكمه إن ارتد عن الإسلام في شريعة الله القتل كما روي عنه ﷺ في الحديث الصحيح **«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»**[1].

ثانيا: تعطي الديمقراطية للإنسان حق التعبير عما شاء بما شاء كيفما شاء ومتى شاء!.. عبر كافة وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإشارة وصحافة وغير ذلك.

---

(١) رواه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

ففي دولة الإسلام حرية التعبير مصانة في حدود الشريعة وما أحل الله وما حرم فمن استهزأ بشعائر الإسلام من المسلمين ارتد فيستتاب أو يقتل، ومن شتم رسول الله ﷺ قتل بلا استتابة ومن فعل ذلك وكان ذميا نقضت ذمته وقتل، وليس للإباحيين أن يكون لهم صحف عري ودعارة، وليس لمحطات التلفاز والصحف أن تستعلين بالغناء والطرب والمجون والاختلاط وعروض الأزياء و..و..و..

ثالثا: تستند الديمقراطية في أساس مبادئها إلى مبدأ (المساواة المطلقة) بين البشر بصرف النظر عن العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو العلم أو غيرها من الفوارق.

ولكن المساواة في مفهوم الإسلام هي على أساس التفاضل في الدين، ثم في التقوى والعلم وما خص الله به الرجال على النساء من حقوق وواجبات، وغير ذلك.

فالديمقراطية تسوي في حقوق الترشيح للمناصب أو التصويت عليها أو على أي تشريع بين الناس، بين الكافر والمسلم، والمؤمن والملحد والبر والفاجر والخلوق والفاسق والعالم والجاهل والرجل والمرأة والعدل وساقط العدالة.. إلخ ولكن للإسلام منظورا آخر، قال تعالى:﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم] وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقال عزَّ من قائل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وروي عنه ﷺ قوله: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١)، «مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُم امْرَأَة»(٢).

كما تكفل الشريعة للذمي الكافر حقوقه الدينية والشخصية، وألا يُعتدى على دمه وماله وعرضه وذمته، ما لم ينقضها بعدوان.

ولكن الشريعة لا تجيز استعمال الكافر في أي من أمور الدولة، ولا تبيح أن يكون في مكان يكون له فيه يد على مسلم، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ [النساء]. بل إن الشريعة تجرد المسلم الفاسق المجاهر بالمعصية من عدالته، وتنزع منه حتى حق الشهادة.

---

(١) رواه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.
(٢) رواه البخاري: (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).

وإدارة الدولة في الإسلام لأهل الحل والعقد من أولي الأمر من العلماء والأمراء المسلمين المؤمنين ولا حق فيها لكافر ولا مجاهر بفجور من المسلمين، وقد روي عنه ﷺ قوله: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهى»[1] فالمسؤوليات ليست حق لعوام المسلمين فضلا عن الفاسقين غير العدول منهم.

ولما رأى عمر رضي الله عنه اجتماع الناس من القبائل والأعراب على باب سقيفة بني ساعدة، فيما كان سادات المهاجرين والأنصار من الصحابة مجتمعين لبحث خلافته ﷺ، خرج إليهم رضي الله عنه وسألهم فيم اجتماعهم وعما جاء بهم، فأجابوه بأنهم جاؤوا ليشاركوا في الأمر، أمر الولاية بعده ﷺ، فقال لهم: **(ليعد صاحب المصنع إلى صناعته وصاحب العمل إلى عمله، إنما الأمر للمهاجرين والأنصار من أهل المدينة والناس بعد ذلك لهم تبع)**.

هذا بعض وجوه تناقض الإسلام والديمقراطية في المساواة.

رابعا: تعطي الديمقراطية لنواب الأمة في البرلمان حقا زائدا من الحصانة في التعبير والإدلاء بآرائهم وتعفيهم من المتابعة والمقاضاة تبعا لما يصرحون به من آراء.

ومن هنا يحق لكل ملحد وعلماني وصليبي ومارق، ما دام عضوا في البرلمان أن يتفوه بما يريد، ويدعوا للتشريع لما يريد، ويجحد ما يريد، ويدعو لقداسة ما يريد، وللتحليل والتحريم برأيه.

فكيف بالمسلم عضو البرلمان أن يجلس في هذه المجالس والله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

خامسا: تنص مبادئ الديمقراطية والفقه الدستوري المنبثق منها على أن التشريع يأخذ مشروعيته من وجود أغلبية مؤيدة وأقلية معارضة، وينصون على أن لا دستورية لقانون بغير حق معارضة.

ومن هنا يأخذ التشريع قيمته الديمقراطية، إذ لو امتنع حق المعارضة لصار تشريعا ديكتاتوريا ومفروضا لا يستحق أن يأخذ صفته الدستورية لأن الأمة (صاحبة السيادة والجلالة) وفق هذه الفلسفة لم يستوف أفرادها حقهم في المعارضة، وعلى هذا فالتشريع انبثق عن تأييد ومعارضة، أي بمعنى أنه قد شارك

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

في التشريع من أيد بتأييده، وشارك فيه من عارض بمعارضته، فلما غلبت أكثرية المؤيدين أقلية المعارضين أخذ التشريع طريقه للإقرار ومشروعيته من خلال وجود أقلية معارضة.

فالمعارض شريك المؤيد في صناعة التشريع، وهذا ما قاله رئيس البرلمان المصري الهالك (رفعت المحجوب) لمندوب عن الاخوان المسلمين في البرلمان المصري عندما صاح الأخير معارضا أحد التشريعات بأنه وحزبه لا علاقة لهم بذاك التشريع المخالف لشريعة الله، فصفعه رئيس المجلس بهذه القاعدة، وأفهمه أنه شريك بمعارضته في التشريع – ورحم الله من عرف اللغة التي يجب محاورة المحجوب بها فأطاح برأسه وحجب عنه الحياة، إذ تجرأ أن يحجب حكم الله تعالى، فقتله المجاهدون في مصر- فلينظر الإسلاميون إلى دورهم في إقرار ما خالف شرع الله رغم معارضتهم له.

سادسا: وهذه النقطة من أعظم مظاهر حرمة المشاركة في المؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها البرلمان.

إذ تنص الديمقراطية على التزام جميع الأعضاء في المؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها البرلمان على مبدأ حرية تأييد أو معارضة أي تشريع أو قانون أو قرار مطروح للتصويت، ولكن...

وضع ما شئت من الخطوط الحمراء تحت هذه الـ (لكن):

يقر الجميع سلفا بمبدأ دستورية أو مشروعية أي قرار وأخذه قداسة التشريع حال التصويت عليه بالأغلبية، وإلزام الأمة به بصفته حلالا صوابا واجب الإنقاذ على جميع أفراد الأمة، بدءا من رأس الدولة (نظريا)، وانتهاء بأصغر فرد في الأمة (فعليا) مرورا بأعضاء البرلمان أنفسهم بمن فيهم من أيده أو عارضه.

فلو طرح مشروع لتقنين الربا أو أي محرم من المحرمات الصريحة، أو السياسات المحرمة أو الخيانية مثلا، وهذا مثال قد تكرر كثيرا في جميع برلمانات البلاد العربية والإسلامية، فقد وقف (الإسلاميون الديمقراطيون) بالطبع موقف المعارضة، وفازت كل تلك التشريعات المحرمة شرعا بالأغلبية نظرا بسبب لأغلبية العلمانية كما هو واقع الحال دائما حتى الآن، وهنا يأخذ التشريع صفته الدستورية من الأغلبية المؤيدة والأقلية المعارضة كما أسلفنا.

سابعا: وهذه خاتمتها.. وختامها (زفت)!

تنص الديمقراطية البرلمانية، ومبادئ سيادة الأمة وحكم الشعب والمؤسسة الدستورية ذات (السَلَطَات) الثلاث، التشريعية والتنفيذية والقضائية.

تنص على الاحتكام للدستور، وللسلطة القضائية ومؤسساتها، من المحاكم المتنوعة وعلى رأسها المحكمة الدستورية العليا، حال الاختلاف بين أعضاء السلطة الواحدة أو السلطات المتعددة.

من أجل فض المنازعات والخصومات والطعون المقدمة من النواب بين بعضهم أو بين البرلمان والوزارات أو بين أي مستوى وآخر على مستوى المواطنين والمؤسسات.

ومن الواضح والمعروف أن الدساتير كلها وضعية والقوانين علمانية لا دينية، وسيكون التحاكم بين الإسلاميين والسلطات حال الإختلاف إلى الدستور إلى تلك القوانين التي فصلت على أيدي الأعداء والخصوم عبر محاكم السلطات ذاتها ووفق قوانينها!!.. ولا أصلح لو صف هذا الحال من قول المتنبي المشهور جدا:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

ومن هنا يتبدى للباحث المنصف عدم مشروعية ولا منطقية مصطلح: **(ديمقراطية إسلامية)** أو **(إسلاميين ديمقراطيين).**

فالديمقراطية عقيدة متكاملة مستقلة، قد صار لها عبر العصور القديمة والحديثة تفاصيلها الدستورية والقانونية في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وغير ذلك وهي بلا شك (دين معاصر ونظام حياة) ويعد معتقد وها في العالم اليوم أكثر من تعداد أي دين آخر.

وهناك ملاحظة هامة جدا وهي:

إنَّ بعض أقوال وأعمال الإسلاميين الديمقراطيين هي من أقوال وأعمال الكفر يقينا، وأما إسقاط حكم الكفر العيني على آحاد مرتكبي ذلك، فله ضوابط معتبرة لدى أهل السنة والجماعة، من قبيل إقامة الحجة وانتفاء الجهل، وتحقق الشروط وانتفاء الموانع...

وهذا يكون من قبل من له أهلية القضاء، وليس من قبل عوام الناس ولو كانوا من المجاهدين أو الدعاة الإسلاميين، فضلا عن الجاهلين والمتخوضين بغير علم.

وأقول:

بأن من يمارس الديمقراطية من الإسلاميين ليس مجتهدا مأجورا، وإنما هو مخطئ بين الكفر والوزر أو العذر، والله أعلم.

أما غير الإسلاميين، من الديمقراطيين العلمانيين، فما علمناه ممن أدركناهم من جميع مشايخنا وأساتذتنا في الصحوة الإسلامية ثم الجهادية، الإخوانية ثم السلفية، أنهم كفار ملاحدة مرتدون

إنَّ هذا الكلام الصريح المباشر يأتي ممن يقوله كأمثالي اليوم مستغربا ومنكرا من قبل عموم الناس، بل حتى في أوساط ما يسمى صحوة إسلامية معتدلة اليوم، نظرا للمكانة التي حققتها الديمقراطية عند جماهير المسلمين نتيجة جهود وسائل الإعلام والساسة من أعدائنا الخارجيين وأعوانهم المنافقين فينا، ولاسيما بعد ما صار زعم الاعتدال في أوساط الصحوة أسهل السبل للفرار من تهمة الأصولية والتشدد وبالتالي الإرهاب أو ربما حمل وشم الانتماء للقاعدة أو غيرها من الجهاديين (الإرهابيين) بحسب وصفهم وبحسب التصنيف الأمريكي.

وإنَّ عموم علماء الصحوة وقادتها وزعماءها وعموم دعاة الإسلام يوم على هذا المعتقد

وشيئا فشيئا ومنذ أواسط الثمانينيات، بدأت هذه المصطلحات الديمقراطية ومفاهيمها تتسلل على استحياء، لتبرر بعض ممارسات الإسلاميين الذين خطوا خطواتهم الأولى في هذا السبيل الضال، كحل إجباري فرضته حالة الاستضعاف والقمع من قبل السلطات، ولم ينصرم القرن العشرون سنة ٢٠٠٠ إلا وقد كسر القوم حاجز الاستحياء، وبدؤوا يروجون (لديمقراطية إسلامية)، ووجد مصطلح (ديمقراطيين إسلاميين) طريقه للعلن، وكان السلفيون وأصحاب مدرسة أهل الحديث قد أنكروا هذا الإنحراف على الإخوان المسلمين وفروعهم في حينها، ثم ما لبثوا أن حسدوهم على ما نالوا من مجالات الممارسات السياسية والدعوية فلحقوا بهم وأسلموا طريقتهم، ثم ما لبث الإسلاميون الغير سياسيين من الصوفية والتبليغ وسواهم أن دخلوا هذا (المولد) لتتسيس الصحوة الإسلامية بكاملها تقريبا، وليرقص أكثر علمائنا ودعاتنا ومشايخنا رغم اختلافاتهم التي أنهكت الأمة، ليرقصوا معا في (حفلة زار) جماعية، فسبحان من ألف القلوب على البرلمان حيث لم تكد تتآلف على شيء!!

ولم يبق خارج هذا المهرجان الديمقراطي إلا (الجهاديون) وبعض المستقلين من العلماء الذين وقاهم الله ذلك الشر.

ثم جاءت أحداث سبتمبر، وسقطت إمارة الإسلام في أفغانستان وابتدأت المعركة العالمية على الإرهاب كما أسموها بقيادة أمريكا وإسرائيل وأوربا الناتو وحلفاءهم المرتدين كما مر معنا، لتشتعل معارك الإعلام عبر الفضائيات ووسائل الإتصال والإنترنت والصحف والكتب وسواها، مع الإسلام والمسلمين ليطال الهجوم

اليوم جذور المعتقد، وجذور دعوة الإسلام، وسقط الدعاة والإسلاميون في فخ الإرهاب الفكري المعادي يصيح بهم (أنتم إرهابيون)، فكان رد الفعل المعاكس تحت طائلة القهر والتصفية، قوله: لا، (نحن معتدلون)!! ثم لم يجدوا ستارا للحركة والغطاء ودعوى الاعتدال، إلا زعم الديمقراطية، راغبين ساعين أو كارهين مرغمين.

ولكن ما كان لكل هذا أن يغير من حقيقة الأمر شيئا.

فباختصار وصراحة..

إن على علماء الإسلام ودعاة الصحوة أن يحددوا لنا.

هل كنا على ضلالة في معتقدنا بالحاكمية طيلة سبعين عاما؟! والذي أقتضى اعتقاد كفر الديمقراطية وحرمة الانتماء لمؤسساتها، وهل قضى من مات من سلفنا أو استشهد من أبطالنا جهادا وكانوا على ذلك على ضلالة وانحراف؟!

أم أن من انبت عن أصوليته وانسلخ عن جذوره وانقلب على مبادئه كي يرضي اليهود والنصارى ومن والاهم، هو على ضلالة اليوم؟

فإذا كانت الأولى فليبرروا لنا لم ضللونا؟! لم كذبوا علينا أربعين سنة أو أكثر؟! وإذا كانت الثانية، فليقولوا لنا، لماذا يضللون الناس اليوم؟ وليجيبونا.

ما الذي حصل حتى نرتد على أعقابنا؟ ما هي الأدلة الشرعية على ضلال ما اعتقدناه بأدلته الشرعية آنذاك، ودرسناه ودرَّسناه؟!..

إن هناك كلاما خطيرا يدور اليوم عبر شاشات الفضائيات وشبكات الاتصال الدولية وكافة وسائل الإعلام، علماء كبار، دعاة إسلام، قادة صحوة، بل قيادات جهادية منكفئة مستسلمة، تدعوا لمراجعة المناهج والمعتقد.

هناك اليوم حرب على مناهجنا ومعتقداتنا لا تقل ضرواة عن الحرب الأمنية العسكرية على الإسلام والمسلمين تحت دعوى مكافحة الإرهاب، وحرب الأفكار، ومراجعة المناهج وأدوات التربية.

عاشرا: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة

- **مسألة عقيدة السلف وعقيدة الخلف:**

عندما فتحت جيوش المسلمين بلاد الحضارات السابقة مثل بلاد اليونان والرومان والفرس والترك والصين والهند والسند، احتك المسلمون بحضارات وديانات وفلسفات أولئك الأقوام، خاصة في العصر الأموي وصدر العصر العباسي، وأدى ذلك إلى نشاط حركة ترجمة تراث تلك الحضارات والإطلاع عليها، وكان لهذا أثر ايجابي وأثر سلبي، أما الأثر الايجابي فقد كان في هضم فنون تلك الأمم وعلومها الطبيعية والعلمية مفيداً، حيث مزجت أمة الإسلام تلك العلوم والآداب، وصاغتها بأسلوب إسلامي، ونقلتها للبشرية حضارة وعلوماً بعد أن طورتها وأضافت عليها، فكان ذلك مجداً زاخراً، كان لجانب آخر من التعامل مع تلك الفلسفات والمعتقدات، أثر سلبي بالغ الخطورة على الحضارة الإسلامية ودين المسلمين ومعتقداتهم، أما الأثر السبي فقد أدى الاختلاط بتلك الفلسفات والمعتقدات لدى بعض العلماء، ولاسيما ممن كان من أصول تلك الحضارات، إلى حصول شيء من الخلط والمزج بين العقيدة الإسلامية الصافية، وبين فلسفات العقول وترهات الأفهام، التي خاضت بوسيلة العقل القاصرة المحدودة، في عالم الغيب الفسيح اللامحدود، فنشأ عن ذلك عند المسلمين، مذاهب عقدية منحرفة امتزج فيها الدين بالفلسفة، والحق بالباطل، مزقت الأمة، وكدرت صفاء عقيدتها، وشوشت على أجيالها اللاحقة معتقداتهم الصافية، إلا عند من رحم الله وحفظ، كالقدرية الذين نفوا القدر، والجبرية الذين نفوا الاختيار عن البشر، والمعتزلة الذين ألهوا العقل وجعلوه حجة على صحيح النقل ونصوص الشرع، إلى آخر ذلك مما زخرت به الحياة العلمية والدينية والأدبية خلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجري، وما تلا ذلك بعدها من عصور الانحطاط وتمزق الكيان السياسي للأمة، ونشأ من ذلك علم سمي بـ (علم الكلام)، وهو علم ولد نتيجة إعادة كتابة وصياغة علوم المنطق والفلسفة اليونانية من قبل بعض علماء المسلمين، وخاض الناس في أصوليات العقيدة وجوهر التوحيد بأسلوب الفلاسفة وأساليب العقول القاصرة، فنشأت بسبب ذلك مسائل عقدية كلامية عويصة، لا كانت من منهج السلف ولا الصحابة، ولا من طريقة رسول الله ﷺ، فضلّ بذلك أقوام

وكرد فعل على تلك الفلسفات، عمد بعض علماء المسلمين المخلصين من أجل الرد على الفرق والمذاهب الضالة إلى اقتحام ميدان الفلسفة للرد على شبهات أولئك بأسلوبهم، في تلك المواضيع الحساسة التي أثارها المنحرفون، بأساليب الفلاسفة، وتناول ذلك أخص خصوصيات العقيدة والتوحيد في دين الإسلام، وهو توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فأخطأوا من حيث أرادوا الصواب، وأساؤوا من حيث أرادوا الإحسان، غفر الله لهم وتقبل سوي سعيهم وتجاوز عن زلاتهم، فقد أدى ذلك إلى أن فقدت كثير كتب العقيدة الإسلامية الصافية الربانية، المنبثقة عن الوحي الخالص الصفاء ونشأت مدارس عقدية في أوساط أهل السنة والجماعة اعتمدت التأويل والفلسفة في تناول التوحيد وخصائص الربوبية، وكما لا بد لكل انحراف

أن يسير بانفراج واتساع مع الوقت، تطورت تلك المذاهب العقدية الغريبة الدخيلة الوليدة، لتسيطر في معظم مراحل التاريخ الإسلامي، على كثير من أساليب العلماء في مجالات التوحيد والعقيدة.

وفي الوقت الذي أفادت فيه علوم المنطق والمحاكمات العقلية في تطوير أبواب الفقه وتراث الاستنباط الفقهي لدي مذاهب أهل السنة، كان ضررها في علوم التوحيد كبيرا، وكان أوضح ذلك وأهمه في مجال ما عرف بالتأويل – تأويل أسماء الله وصفاته - وتفسيرها والتعبير عنها بالمعاني والكنايات، إما لتبسيط فهمها للعامة وإما بنية دفع شبه الفلاسفة عن أسماء الله وصفاته من التجسيم والتكييف والتشبيه والتحريف، ورغم النية السليمة لدي أولئك العلماء، إلا أنه ما من شك من أن ضرر ذلك كان أكثر من نفعه، وكان خطؤه وخطره أكثر من صوابه.

وقد سمي هذا المذهب العقدي وتلك الطريقة الفلسفية في التوحيد بمذهب (الأشاعرة) نسبة إلى أحد أعلام ذلك المذهب (الإمام أبي الحسن الأشعري) رحمه الله، الذي أوغل في المذهب ثم تراجع عنه وتاب منه كما ثبت عنه يرحمه الله، كما كان دأب أكثر أعلام ذلك المذهب من أمثال الأئمة: الجويني والرازي والشهرستاني وأبو حامد الغزالي رحمهم الله تعالى وغيرهم، ولكن أعمالهم وكتاباتهم بقيت نسأل الله أن يتقبل عدولهم عن خطئها ويغفر لهم ما زلوا فيه.

ومنذ القرن الثالث والرابع الهجري صار مذهب (الأشاعرة) هو مذهب علماء أهل السنة الأفذاذ ومذهب ملوك المسلمين الصالحين، وكان ضده فرق الخوارج والشيعة، وبقي هذا المنهج هو السائد في بلاد المسلمين على اختلاف مذاهبهم الفقهية التي سادتها المذاهب الأربعة، مع بقاء قلة من علماء الإسلام الذين حفظوا نقاء مذهب أهل السنة والجماعة، فحفظت العقيدة بذلك بصفائها ورونقها بلا خلط ولا مزج، وعرف مذهبهم على مر التاريخ بمذهب (السلف)، وأحيانا بمذهب (أهل الحديث)، فيما عرف مذهب الفريق الآخر من أهل السنة والجماعة، كما عرف في مذهب السلف أيضا أعلام كبار على مر التاريخ كابن تيميه والشاطبي وابن القيم وابن بطة وأحمد وسفيان وغيرهم رحمهم الله تعالى، ولكنهم كانوا أقلية في جمهور علماء أهل السنة على مر التاريخ.

وقد حفل التاريخ الإسلامي بمعارك عقدية طاحنة، ومناظرات كثيرة ساخنة، وأخذ ورد بين هذين الفريقين ضمن أهل السنة والجماعة، فكتبت الردود والردود عليها، وكثر القيل والقال وكثرة السؤال.

ودخلت الأوساط السياسية وأروقة الحكام إلى المساجلات، فمنتصر لهذا، ومستقوٍ بذاك، وكانت باب فتن وإحن في تاريخ المسلمين يطول ذكرها.

ومثل كل أجواء الفتن التي تولد التعصب والتحزب، جرّت هذه المشاكل أحياناً بالإضافة إلى مشاكل التعصب المذهبي، إلى الشرور والقتال والفتن، التي كثيراً ما تدخل الملوك لوقفها بمنع الحديث بتلك الأمور ليزيدوا الطين بلة.

وقد أورث هذا الإشكال هاتين المدرستين (الأشعرية) وما تفرع عنها، و(السلفية) أو (أهل الحديث) وما تفرع عنها، إلى أن شطبت كل منهما الأخرى من طائفة (أهل السنة والجماعة)، واعتبر كل فريق نفسه (أهل

السنة والجماعة) وأن عقيدته هي عقيدة (الفرقة الناجية)، وأن الفئة الأخرى هي من (الفرق الاثنين وسبعين) التي في النار، للحديث الصحيح الذي يخبر به رسول الله ﷺ بأن الأمة تفترق على (٧٣ فرقة واحدة ناجية والباقي في النار).

وقد هدأت هذه الإشكالات كغيرها في العصور المتأخرة لانشغال الأمة بالاستعمار وبلائه، ثم بحكومات (الاستقلال الاستعماري)، وما سببته من هجمة المذاهب العلمانية الفكرية والسياسية المعاصرة، من ضعف التدين في الأمة بشكل عام خلال عقود أواسط القرن العشرين، وهكذا نامت هذه المشكلة فترة وجيزة، لتستيقظ مرة أخرى مع نشوء مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة، وعادت مع نشوء مدارس (التيار السلفي) المعاصر وحملته على المذهبية والأشعرية، وبقاء معظم أوساط مدارس الصحوة الأخرى بعقائد الأشعرية، ولاسيما المدارس الإصلاحية، وجماعات التبليغ والدعوة، والمتصوفة وسواهم، وكذلك أكثر العلماء الرسميين وأئمة المساجد وكذلك أكثر علماء المذاهب الأربعة.

ومع اختيار معظم الجهاديين للعقيدة السلفية وفقه الدليل واختيارات المنهج السلفي، وصلت المشكلة إلينا أخيراً، لأنها بصورتها النهائية تشكل باب فرقة وتحزب وتعصب فقهي ثم فكري ثم حركي، وأسباب احتراب داخلي، داخل صفوف المسلمين وأوساط المقاومة في وقت تجتاحنا فيه خيول مغول العصر الأمريكان والصهاينة بسلاسل دباباتهم وهدير طائراتهم، وترصد أقمارهم الصناعية همساتنا العقدية وحركاتنا اليومية، وتنصب قذائفهم وحممهم على رؤوسنا من السماء والأرض والبحر، ولولا ذلك لما تعرضت لهذه القصة.

وقد كان أول اهتمامي بهذه المشكلة، أيام الجهاد العربي في أفغانستان، حيث حضر في الساحة العديد من العلماء الجهاديين السلفيين، ومن أندادهم من المدرسة الأخرى (الأشعرية)، وكان علماء الأفغان والباكستان وشبه القارة الهندية ووسط آسيا وعموم المسلمين المقلدين لهم في هذه المنطقة من الأشاعرة أيضا، وقد سبب هذا هوة كبيرة ومشكلة حقيقية بين المجاهدين العرب وكل هؤلاء، وقد التقطت الإستخبارات تلك الفرصة وصارت الـ (بي بي سي) تروج لمشكلة الوهابية في أفغانستان، وعبثا حاول الشيخ عبد الله وأمثاله إقناع الإخوة بتأجيل مثل هذا الأمر، وليس هنا محل تفصيل ذلك.

ثم بعد ذلك، وعند انخراطي في تأييد الجهاد في الجزائر (١٩٩٤-١٩٩٧) الذي قادته الجماعة الإسلامية المسلحة قبل انحراف قيادتها، انهمك بعض طلاب العلم السلفيين في تأييد الجماعة المسلحة (السلفية المنهج)، واتخذوا من منابر إعلامنا المؤيد لقضية الجهاد في الجزائر خطوط حرب ومعارك للسلفيين مع الأشاعرة والمذهبيين! وكان ذلك مأساة أخرى رأيت آثارها بنفسي.

ثم تكررت المشكلة خلال الشوط الثاني للأفغان العرب أيام طالبان، وشكلت حجرة عثرة كبرى بين الجهاديين السلفيين من العرب والإمارة الشرعية في أفغانستان وأميرها وقيادتها من الطالبان وعلمائهم وكلهم أشاعرة أحناف مذهبيون، لا يقلون تعصبا من إخواننا المتعصبين بدورهم لمذهب السلفية، وكانت تجربة ثالثة عشتها بنفسي لأرى أهمية هذه المعضلة التي تأتي في غير وقتها، لشدة ما نعيشه من هجمة الأعداء.

وقد أردت دراسة هذه المشكلة هنا في هذا الباب الخاص بمسألة العقيدة عامة، والعقيدة الجهادية للمقاومة خاصة، من أجل المساهمة في محاولة وقف ضررها على صفنا الجهادي، ولأنها مشكلة عقيدة ودين.

فدرستها بإنصاف وحياد لأبحث لنفسي عن الاعتقاد الصحيح الذي أبتغي به معتقدا يرضي ربي أولاً، ثم لأقدم ما أخلص إليه نصيحة إلى إخواني المجاهدين ومن بلغ من المسلمين.

وقد خلصت إلى رأيي سأختصره هنا في بضع نقاط بعد أن استخرت الله عليه سائلاً إياه الهداية، ولكني أعترف بأني تخوفت كثيراً من إعلان رأي هذا السببين:

أولهما: أن الأمر حساس ويمس أخص خصوصيات الدين، وكان تاريخيا ميدان صدامات وإشكالات.

والثاني :أن الوسط الجهادي الذي أنتمي إليه سلفي المذهب في معظمه، وفيه من هو شرس متعصب في تناوله لكل من يخالف رأيه في هذه المسألة كما في معظم ما سواها.

ولكن شجعني على ذلك أمران أيضاً:

أولهما: ضرورة توحيد صف أهل السنة والجماعة في الجهاد والمقاومة، وضرورة أن تضع هذه المشكلة أوزارها بين المجاهدين والمقاومين على الأقل.

وثانيهما: أني وجدت وتعجبت من أن أحد أكابر العلماء المجاهدين قد توصل من قبل إلى ما توصلت إليه بجهدي الضعيف منفردا، وكتب ذلك بصراحة ووضوح، ولا شك أن له أقراناً من علماء هذا الزمان ممن لم أطلع على آرائهم، ذلك الرجل هو الشيخ عبد الله عزام ﷺ وتقبله في الشهداء.

وأختصر خلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العقيدة ومسألة المذهبية في النقاط التالية:

ففي موضوع العقيدة:

(١) - أن مذهب السلف في الاعتقاد الذي أوضحناه آنفاً هو المذهب الصحيح وبه أدين لله سبحانه وتعالى، وهم أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية إن شاء الله.

(٢) - أن مذهب (الأشاعرة) أو (مذهب الخلف)، قد جانب الصواب باتخاذه من التأويل والتفسير منهجا للأسماء والصفات، وبعدم إمرارها كما أمرها سلف الأمة.

ولكنهم لا يخرجون بذلك عن كونهم من أهل السنة والجماعة، وإنما يخطؤون فيما أخطؤوا به وحسب، تماما كما أخطأ كثير من علماء من ينتسبون إلى (مذهب السلف) من علماء اليوم، ومالوا إلى مذهب المرجئة، ولاسيما في مسائل الحاكمية، ولم يدّع أحد خروجهم من أهل السنة، كما يفعل بعضهم اليوم، ويدخلون الناس ويخرجونهم من أهل السنة.

(٣) - أن من خرج عن معتقدات (أهل السنة والجماعة) من الفرق الكثيرة، كفرق الشيعة والمرجئة والخوارج، وغيرهم من أهل لا إله إلا الله، هم (أمة الإسلام)، و(أهل القبلة)، لا يكفرون بالعموم، ولا تنفي عنهم صفة الإسلام، ولا صفة أهل القبلة إلا وفق موازين وضوابط محددة عند أهل السنة التي بينها علماؤهم من تحقق شروط الكفر وانتفاء موانعه، وهو عمل جهابذة العلماء الذين بلغوا مرتبة القضاء في العقائد

والأديان، وليس عمل آحاد المسلمين وجهالهم وعوامهم، كما أنه ليس عمل من تفرغ للجهاد ودفع الصائل، اللهم إلا أن يكون من أهل العلم الذين توفرت فيهم شروط الفتوى والقضاء.

(٤) - أن الطائفة المنصورة هم أهل الاعتقاد والصحيح، والعلم المنضبط، والجهاد والقتال لأعداء الإسلام والمسلمين، وهم صفوة الفرقة الناجية أهل الاعتقاد الصحيح، التي هي صفوة أهل السنة والجماعة، التي هي صفوة أهل الإسلام الذين هم عامة أهل القبلة.

وعلى هذا فهي الدائرة المركزية الخاصة، من تلك الدوائر المتسعة الشاملة، وصولاً لجمع أهل القبلة، وهم كل من أعتقد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا.

هذا في مسألة العقائد.

أما في مسألة المذهبية ضمن أهل السنة والجماعة:

فخلاصة ما خلصت إليه كما يلي:

انقسم معظم الناس اليوم حتى في أوساط الصحوة الإسلامية إلى ثلاثة فرقاء:

الفريق الأول:

وهم المتعصبون لفكرة المذهبية: ويرى هؤلاء، أن عدم التزام المذهب مثلبة في الدين! ويتدرج التعصب لدى بعض هؤلاء إلى حدود الغلو، حيث لا يحلون لرجل أن يعدل عن رأي من فروع آراء مذهبه إلى رأي آخر في أي مسألة من المسائل! بل وصل الغلو حدوداً عجيبة أحياناً، تظن معها أن القوم يتعاملون كما لو كانت المذاهب الأربعة (ضمن أهل السنة والجماعة) أدياناً أربعة بحد ذاتها، فوصل الحد لعدم الصلاة في جماعة واحدة، ومنع التزاوج بين رجل وامرأة من مذهبين، ناهيك عن حالات الخصومة والشجار والتقاتل! وقد سجلت كتب التاريخ أن هذا البلاء ما زال منذ قديم الزمان، وقد بدأت حدة هذا التعصب تخف، مع بقاءها في بعض بقاع بلاد المسلمين، نسأل الله العافية وقد سمعت عن شيء من هذا في بلادنا، ولكني رأيت من ذلك في أفغانستان وباكستان عجباً عجابا.

الفريق الثاني:

وهم المتعصبون ضد المذهبية: من بعض الذين ينتسبون للتيار السلفي المعاصر، أو من يسمون أنفسهم أحياناً (أهل الحديث)، وهؤلاء يرون عدم المذهبية مطلقاً ويتدرج عندهم التعصب أيضاً ليصل إلى حدود عجيبة من نقد المذاهب، بل وحتى كبار أئمة المذاهب ونكران فضلهم، والتعدي على حرمات بعضهم، وغيبتهم وانتقاصهم، في حين ينظرون إلى مشايخهم المعاصرين بعين التعظيم، ويرون فضل بعض المتأخرين من أئمتهم من بعض علماء (السلفية) المعاصرين، أو أهل الحديث، أعظم من فضل أئمة المذاهب والعلماء عبر تاريخ الإسلام! في حين قد لا يصل في حقيقة الأمر علم أفضل هؤلاء وتقواهم وسلوكهم، إلى عشر معشار فضل أقل أولئك الأئمة الأعلام من الأقدمين رحمهم الله تعالى.

وعلى سبيل المثال فقد سمعت عن أحدهم يقول: (إن الإمام الشافعي ليبكي في قبره على ما فاته من دروس ابن باز وابن عثيمين)!! فلك أن تتأمل!!

الفريق الثالث:

وهم المعتدلون من الفريقين الأولين، أعني المعتدلين من المذهبيين والسلفيين، وهم يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وأقرانهم من الأئمة المجتهدين، وأكثر هؤلاء من العلماء وطلاب العلم وغالبتهم يأخذون بمذهب من المذاهب، مع أخذهم برأي مذهب آخر إن تبين لهم فيه رجحان الدليل، فهم لا يتعصبون لمذهب من جهة، ولا يفتحون الباب لكل من هب ودب ليعتدي على الشريعة بدعوى العمل بدليل الكتاب والسنة، ويعتقدون أن الأصل في العوام التقليد، وفي طلاب العلم الإتباع، وفي الراسخين في العلم الاجتهاد والترجيح.

وأعتقد أن هذا هو المنهج الوسط، وأضيف إلى ذلك عدداً من النقاط للإيضاح، ولبيان وجهة نظري في المسألة والله المستعان وهو يهدى السبيل:

أولا: إن تراث المذاهب الأربعة التي تلقتها الأمة القرون تلو القرون بالرضا والقبول، تراث هائل وإرث حضاري علمي شرعي متكامل يحق لأمة الإسلام أن تتيه به على غيرها من الأمم فخراً وعزاً، وهذا لا ينكره وينكر فضل الأئمة الأربعة وكبار تلاميذهم وأئمة مذاهبهم ومقامهم وسعة علومهم، إلا مغرض يريد قطع الأمة عن جذورها، أو جاهل يهرف بما لا يعرف يردد أقاويل المغرضين.

ثانيا: هناك من الأئمة الكبار المجتهدين الأعلام، مثل سفيان الثوري، والأوزاعي، وابن مبارك، والشعبي، وسعيد بن جبير، وسواهم رحمهم الله، ممن عاشوا في ذلك الزمان خلال القرن الثاني والثالث، من كان لهم تلك المنزلة كمجتهدين أصحاب مذاهب فقهية ومدارس في الاجتهاد، ولكن مذاهبهم لم تحفظ كتابة، ولم تتطور لمرحلة المدرسة، كما حصل للمذاهب الأربعة، فما وصل إلينا من أقوالهم واجتهاداتهم وأدلتهم على ما ذهبوا إليه، فإن له نفس المنزلة العلمية لدى من لديه الأهلية من أهل العلم للبحث والاستنباط.

ثالثا: جاء من بعد أولئك الأئمة الأعلام خلال العصور العلمية الذهبية، وإلى القرن الثامن الهجري، جاء علماء أفذاذ بلغوا مراتب الاجتهاد، ولكن غالبيتهم الساحقة اجتهدت على أصول مذهب (من المذاهب الأربعة)، رغم أنه كان لهم بعض اختياراتهم الفقهية التي خالفوا بها المذاهب الأخرى أو حتى مذهبهم الخاص، وكل تلك الآراء والفتاوى أيضا تراث علمي، لا يقل منزلة عن غيره، ويعلم أهل العلم في كل زمان ومكان مكانة هذا التراث، وهم أدرى بالإفادة منه والرجوع إليه والصدور عنه.

رابعا: إن التزام عامة المسلمين بالمذاهب الأربعة عبر العصور، كان له - إلى جانب ما يسوق البعض من سلبيات حصر الاجتهاد وإغلاق بابه - كان له إيجابية عظيمة يعرف قيمتها من يطلع على حالة (الفلتان الفقهي)، التي حصلت خلال القرن الأخير نتيجة المطالبة غير المنضبطة، (بفتح باب الاجتهاد) و(نبذ الالتزام بالمذاهب الأربعة) والعودة بالفقه والفتوى (بزعم مدرسة الدليل) إلى (اعتماد الكتاب والسنة مباشرة) والتشدق بشعار (هم رجال ونحن رجال) والقول بأن (المستجدات تقتضي فتح باب الاجتهاد على مصراعيه).

فقد مثل التزام الأمة بالمذاهب الأربعة عموماً، وبسيادة أحد هذه المذاهب في كل مملكة من الممالك، أو بقعه من البقاع على مستوى الأقاليم، أحد عوامل تماسك الأمة وتوحدها في آرائها الدينية، وانعكاس ذلك على التجانس والوحدة في باقي أمورها، على صعيد الحكم والقضاء وفتاوى الدين والدنيا، حيث تقاسمت المذاهب الأربعة السيطرة على رقعة العالم الإسلامي.

فمشرق المسلمين من وسط الصين إلى تركستان ووسط آسيا إلى شبه القارة الهندية وباكستان وأفغانستان، بالإضافة إلى أكثرية المسلمين في الإتحاد السوفيتي، وكذلك تركيا والعراق والشام وأغلبية أهل السنة في إيران يسودهم مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ﵀، وفي القفقاس غرب البحر الأسود وفي جنوب الشام والأردن وفلسطين ولبنان وإلى مصر وأطراف اليمن وجزيرة العرب، يسود مذهب الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي ﵀، كما ينتشر المذهب الشافعي في جنوب وشرق آسيا وجزر إندونيسيا.

ويسود مذهب الإمام مالك ﵀، والذي عرف بمذهب (أهل المدينة)، وينتشر في شمال أفريقيا من ليبيا إلى تونس والجزائر فالمغرب فموريتانيا، ومنها نزل إلى أواسط أفريقيا وكذلك ينتشر في عموم بلاد السودان.

في حين انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﵀ في بلاد نجد والحجاز وعموم بلاد الحرمين، وتبعه أكثر أصحاب مذهب أهل الحديث حيث وجدوا.

خامسا: إن الدعاوى المعاصرة (لنبذ المذهبية) ولاسيما في القرن الأخير، بعد سقوط الخلافة وزوال مرجعية الأمة السياسية بهذه الطريقة التي تبناها كثير من أوساط أهل الحديث وما يسمي بـ (التيار السلفي) بهذه الطريقة التي حصلت وتحصل اليوم، قد جلب من الأضرار أضعاف ما جلب من المنافع، ومن ذلك:

- إن فرار هؤلاء المزعوم من تفريق الأمة على مذاهب أربعة، والسعي إلى توحيدها على مذهب (الحق والدليل)، ومصدرين هما (الكتاب والسنة)، جاء رغم الحق النظري الذي يستند إليه، بنتيجة عكسية مرعبة، والواقع أكبر شاهد...
- فقد تصدر للفتوى بحسب هذه المدرسة علماء كثيرون، وحتى لو تجاوزنا عن المقارنة غير الممكنة بين مستواهم العلمي ومستوى الأئمة الأوائل، بل حتى مع المتأخرين من فطاحل أئمة المذاهب، وقبلنا أهلية هؤلاء، لوجدنا أن الخرق قد أتسع على الراقع، فهم اقتحموا مجال الاستنباط والاجتهاد من نفس الأدلة التي عالجها أئمة المذاهب، وخرجوا إما بترجيحات بين تلك الآراء أو بآراء جديدة وفتاوى مختلفة، ولأن تعدد الفتاوى ناتج عن تعدد الأفهام والعقول واختلافها، برز اليوم كثيرون هنا وهناك، كأئمة لمدرسة فقه الدليل، فلان أوعلان، وابن فلان، وأبو علان، من هؤلاء المشاهير اليوم في كل قطر ومملكة، وهكذا تعدد الأئمة أكثر، وصار لكل إمام جديد تلاميذ وأتباع ومتعصبون، ووجدنا أنفسنا أمام متعصبين جدد لعشرات الأئمة، بدل أن كنا أمام الانقسام على مذاهب أربعة.
- هذا ناهيك عن أن عملية الترجيح بين المذاهب ذاتها افتقرت إلى العلمية.

- إن فتح باب العودة لدليل الكتاب والسنة لم تقف مصيبته عند ولادة عشرات الأئمة المعاصرين ومدارسهم وأتباعهم المتعصبين لهم فالمصيبة هنا هينة، إذ أنهم في الغالب علماء أو على قدر كبير من العلم والمعرفة وضوابط الفتوى، ولكن منهج التيار السلفي المعاصر فتح للجميع أن يمارس هذه المهمة، والمعروف السائد في معظم أوساط التيار السلفي، أقول (معظم) وليس (كل)، هو تجرأ الكبير والصغير من طلاب العلم على ذلك وعلى التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، مما ولد ظاهرة (الجرءاء على النار)، وعلى الفتوى بلا عقل ولا دين، ولا خلق أحياناً.

ولكني أؤكد على نقطة بالغة الخطورة والأهمية وهي أن هذا البلاء المبين بإطلاق يد الحابل والنابل في دنيا الدين والفتوى بزعم عدم التمذهب وفقه الدليل، والعودة للكتاب والسنة، وشعار (هم رجال ونحن رجال)، وغير ذلك مما يردده أغرار هذا التيار ومن غرر بهم، قد كان له أثراً سيئاً على مختلف وجوه التدين ومرافق حياة الأمة، ولكنه لما وصل إلى أوساط الصحوة الإسلامية، والتيار الجهادي الذي أخذ (بالسلفية الجهادية)، وأكمل مناهجه على يد قادة أفذاذ وعلماء مرموقين فيها في البداية، وصل اليوم بالظاهرة لدى بعضهم إلى حد ينذر بالكارثة.

فلئن اجترأ المفتون الأغرار من الصغار هؤلاء على أمور الدين العادية من عبادات ومعاملات ومواريث وسواها، فقصارى الضرر العائد على الناس هو بعض الأخطاء في العبادة أو ضياع لبعض الحقوق في المعاملات، ولكن ميدان الفتوى في الجهاد هو أخطر الأمور الخطيرة، إنه الحكم في خمسة أمور:

(١) - أديان الناس وعقائدهم، وانتماءهم للإسلام أو الكفر، أو الردة أو النفاق، أو البدعة والفسوق..الخ.

(٢) - الحكم في الدماء، واستباحة قتل من تجوز أو توجب الشريعة قتله.

(٣) - الحكم في الأموال، وما يحل أخذه وما لا يحل.

(٤) - الحكم في الأعراض، وما يحل منها وما يحرم.

(٥) - الحكم في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطرق إزالته، قولا وفعلا.

ولك أن تتخيل الكارثة إذن، لما وسد الأمر لغير أهله، وتنتظر الساعة التي ظهرت معظم أشراطها الصغرى والوسطى، ومنها ما نحن بصدده، وما نشهده ونعانيه.

ولا أشك قيد أنملة في أن الجرم الأكبر في هذا، هو بسبب إعراض العلماء عن الجهاد، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك ساحته للمخلصين من الشباب، الذين يبرز فيهم من هو أهل ومن ليس أهلاً، للخوض فيما كان يجب أن يكون عمل ومسؤولية عقلاء الأمة وعلمائها ووقادة صحوتها..

هذا ناهيك عن الدور القبيح الذي يقوم به علماء السلطان والفاسدون من قيادات الصحوة الإسلامية الذين احترفوا الإرتزاق نفاقا للحكام، بل وللاستعمار الأمريكي الجديد اليوم، مما له أكبر الأثر في الصد عن سبيل الله، وتجرئة الأحداث على سد ثغرة عمل العلماء بلا أهلية، والله المستعان على هذه النوازل.

فبماذا تجيب شاباً تمنعه من الفتوى والجهد في طلب العلم والدليل لأنه غير أهل، إذا قال لك من يفتيني إذن؟!.. سؤال صحيح مخز لأولئك ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ۝٢٨﴾ [إبراهيم]، **فالصالحون من العلماء اليوم هم الساكتون المعتزلون، وأما شرارهم فابحث عنهم في أبواب السلاطين، وموائد حوارات مكافحة الإرهاب والجهاد على فضائيات ومقاهي ندوات الإنترنيت! وإلى الله المشتكى..**

إننا نسير إلى عالم الهرج والفتن التي تضاهي بسوادها، سواد الليل ظلمة، ويتبع بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم، وهذه إحدى مظاهرها،

والشهادة لله، فلقد شهدت بصحبة للتيار الجهادي في هذا المجال أعاجيب، بلغت في بعض التجارب كتجربة الجهاد في الجزائر أن تكون أهوالاً، مما شهدت بعضه بنفسي في لندن، أو سمعت به ممن شهده مما حصل في الجزائر، فإلى الله المشتكى.

وها هو عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق يفتتح بما يشيب له الولدان ويحتار معه الحكيم العاقل.

سادسا: نعم لقد استجدت آلاف المسائل المعاصرة في هذه العصور، مما لم يكن في زمان من قبلنا، وهي تحتاج إلى اجتهاد المجتهدين، ولكن من قال أنه يلزم من ذلك نسف تراث المذاهب، وكيف سيجتهدون إذا لم يبنوا على أصول مدارسها الشامخة، ثم العجب العجاب من هذا التيار السلفي المعاصر المزعوم، أنه لم يتصد لهذه الثغرة الشاغرة من الاجتهاد في فقه المستجدات والنوازل، وإنما يعود للاجتهاد في مسائل العبادات وبعض المعاملات التي رصفت فيها رفوف المكتبة الإسلامية بآلاف المجلدات والبحوث، وانظر في تراث وفتاوى أئمة السلفية المعاصرين، وأين هي من أهم النوازل مسائل السياسة والحكم والأنظمة القائمة، وفتاوى دفع الصائل، ومسائل الإقتصاد السياسي المعاصر، والمسائل العلمية الجديدة...الخ، هنالك لا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

وأذكر ذات مرة أن أحد طلاب العلم المجاهدين رحمه الله وهو من بلاد الحرمين وأظنه استشهد في (مذبحة قلعة جانغي) في مزار شريف في معارك سقوط إمارة أفغانستان، انفجر مرة أمامي، وقال لي: لقد جربت طلب العلم في المدينة وسواها مرات، وحصلت في ذلك علماً، ولكني رأيت أن أكثر علمائنا قد دخل في دروسه الحمَّام وما خرج منها..) يقصد الإعادة والتكرار في فقه الطهارة وأحكامها والإعادة والزيادة فيها وحولها)، ولِمن يستنكر، أن يحصي الدروس العلمية هناك، ويتابع برامج الفتاوى والدروس الشرعية على الفضائيات، في بلاد الحرمين، وفي سواها من البلدان وينظر فيها كتباً وأشرطة وفي مواضيعها.

نعم إننا بحاجة للاجتهاد المعاصر، وبحاجة لفتح باب الاجتهاد، ولكن ممن قِبل منْ؟ وفي ماذا؟ وكيف؟.. فليجيبنا أرباب العلم والسماحة والشعائر الدينية في هذا الزمان عن ذلك!

والخلاصة التي خرجت فيها من هذه المسألة ألخصها في نقاط صغيرة موجزة.

فالناس كما ذكر ذلك أهل العلم، في مسألة أتباع المذاهب أو الاجتهاد ثلاثة أصناف:

مجتهد: استكمل شروط الاجتهاد وأهلية العلم والفهم، فلهذا أنه يجتهد ويستنبط ويفتي بالدليل، وما أراهم في زماننا هذا رغم من يزعم غير ذلك إلا أندر من النادر.

متبع: لمجتهد قادر على تميز الأدلة، ولهذا أن يسعى بفهمه أنه يتبع ما تبين له فيه دليل منسوب لإمام ذي قدر معروف.

عامي جاهل بقواعد الدين: هو على رأي مفتية مجتهداً إن كان مجتهداً أو متبعاً ينقل له فتوى واجتهاد مجتهد.

فالخير للأمة - بحسب ما أعتقد - في أن تعود لمنهج السلف في المعتقد، وأن تلتزم فقه المذاهب الأربعة، وفقه علماء هذه الأمة السابقين الذين شهدت لهم الأمة بالرسوخ في العلم والتقى والصلاح، وعملياً، أنصح الشباب وطلاب العلم بعد نصيحتهم باعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، وهو اعتقاد الفرق الناجية ومذهب الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسواهم من أعلام هذه الأمة.

كما أنصحهم بأن يتفقهوا على مذهب من المذاهب يختارونه، وأنصحهم ولا سيما شباب الصحوة والجهاد بأن يتفقهوا على أحد المذاهب السائدة في مكان إقامتهم ودعوتهم وعملهم وجهادهم، حتى لا يحول شذوذهم عما ألف الناس من الفقه والأحكام بينهم وبين الناس، فإن اختاروا مذهباً غير المذهب السائد في مكان عيشهم، فلا أقل من الدراسة والتفقه للمذهب السائد أيضاً ليعاملوا الناس بما ألفوه، ويأخذوا بأيديهم بالحسنى والرحمة والموعظة الحسنة.

الحادي عشر: مسالة (التكفير)، أحكام التكفير العامة، وقضية تكفير المعين:

الحقيقة أني تفكرت مليا قبل أن أضمن هذه المسألة ضمن مسائل المنهج، وذلك لأنها مسألة شائكة ولا يمكن تغطيتها بإحكام إلا بالتفصيل والإفاضة، وهو مالا يحتمله الكتاب، ولكن لخطورة ما تفشى في أوساط بعض الجهاديين من إشكالات وشطط في بعض الأحيان في هذه المسألة، حيث توسع البعض في التكفير، ولخطورة الظاهرة المعاكسة التي تفشت في أوساط الصحوة الإسلامية وأوساط علماء المسلمين وهو الإرجاء المفرط ولاسيما الإرجاء السياسي، فرارا من التكفير، لهاتين المصيبتين رأيت أن أعرض للمسألة، لأنها مسألة من صميم مسائل العقيدة القالية، ومن مسائل دائرة الصراع عندما يتعلق الأمر بقطعان كبيرة من البشر تدعي الإسلام ثم تحمل علينا السلاح وتقاتلنا مع الجيوش الكافرة، وتدعي الإسلام ثم تحارب بكل وسيلة من يريد أن تحيا الأمة وفق مقتضاه.

ولقد وجدت فيما فصله شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله إيجازا كافيا واضحا يشتمل على القواعد الأساسية في هذه المسألة الخطيرة، وكتابه رحمه الله منتشر مشهور وهو من الكتب التي كتب الله لها القبول في جمهور الأمة عبر القرون ولاسيما في أيامنا هذه وفي مختلف أوساط الصحوة.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: [**قوله ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين**].

(شرح) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ له ما لنا وعليه ما علينا**»[1] ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله، والمراد بقوله أهل قبلتنا من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي **ما** لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ.

وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، وعند قوله والإسلام والإيمان واحد وأهله في أصله سواء.

قوله: [ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله].

(ش) يشير الشيخ رحمه الله الى الكف عن كلام المتكلمين الباطل وذم علمهم فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى، وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه. (...).

قوله: [ولا نجادل في القرآن ونشهد انه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين محمد وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين].

(ش) فقوله ولا نجادل في القرآن: يحتمل أنه أراد أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق بل نقول إنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين الى آخر كلامه (...).

قوله:[ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله]

(شرح:) أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

(١) أصله عند البخاري (٣٩١) بلفظ: «.. فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ».

واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق وتشتتت فيه الأهواء والآراء وتعارضت فيه دلائلهم. فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية. فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة احدا فتنفي التكفير نفيا عاما، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين، وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا، والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور كما ذكره الخلاّل في كتاب السنة بسنده الى محمد بن سيرين أنه قال: (إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء) وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، ولهذا والله أعلم قيده الشيخ رحمه الله بقوله: (ما لم يستحله) وفي قوله ما لم يستحله إشارة الى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية، وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك.

وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه... رد على المرجئة؛ فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف، فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان، لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين، وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار، وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولا، فيقولون يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون يكفر كل مبتدع وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه

يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك.

ولا نقول لا يكفر، بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر، ويقال من قالها فهو كافر، ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها، وعن أبي يوسف رحمه الله أنه قال ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة حتى اتفق رأيي ورأيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون انه من أهل الوعيد وانه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا.

فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا، وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين، وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا، وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا، وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت انه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطرفين، فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله، وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر: أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ

فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللهمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»(١).

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير، **فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.**

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله وهو أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفرا، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، وقال رسول الله ﷺ: «سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٢)متفقٌ عليه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: «لا تَرجِعُوا بَعدِي كُفارًا يَضربُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ»(٣)، و«إذا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُما»(٤)متفق عليهما من حديث ابن عمرو رضي الله عنه، وقال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٥)متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه، وقال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»(٦)، وقال: «بينَ المسْلِمِ وَبَينَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»(٧) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه، وقال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ... أَو أَتَى امْرَأَته من دُبُرِهَا فَقَدْ

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٤، ٧٠٧٦) ومسلم (٦٤).

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠) ومسلم (٦٥).

(٤) رواه البخاري (٦١٠٣) ومسلم (٦٠).

(٥) رواه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩، ٣١٧٨) ومسلم (٥٨).

(٦) رواه البخاري (٦٨١٠) ومسلم (٥٧).

(٧) رواه مسلم (٨٢) وأصحاب السنن.

بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» [١]، وقال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَد كَفَرَ» [٢] رواه الحاكم بهذا اللفظ، وقال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ» [٣]، ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال ولا يقبل عفو ولي القصاص ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضا، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ.....فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا... ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ....﴾ [الحجرات]، ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «مَن كَانت عِندَهُ لِأخيهِ اليَومَ مَظلمَة مِنْ عِرضٍ أو شيءٍ فليتحللهُ مِنهُ اليومَ قبلَ أنْ لَا يكونَ دِرهمٌ وَلا دِينَار إن كانَ لَه عَملٌ صالحٌ أُخِذَ مِنهُ بِقَدرِ مَظلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكنْ لَهُ حَسَنَات أُخِذَ مِن سَيّئاتِ صَاحِبِهِ فَطُرِحَت عَلَيْهِ ثُمَّ أُلقيَ فِي النَّارِ» أخرجاه في الصحيحين [٤] فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه، وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [٥]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، فدل ذلك على أنه في حال الإساءة يعمل حسنات تمحو

---

(١) رواه أبوداود (٢١٦٢، ٣٩٠٤) وابن ماجه (٦٣٩، ١٩٢٣) وأحمد (٧٦٨٤، ٨٥٣٢، ٩٢٩٠، ٩٧٣٣....) وصححه الألباني: (مشكاة المصابيح ٤٥٩٩)

(٢) رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٤٩٠٤، ٥٣٤٦....) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٦٧).

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٥) رواه مسلم (٢٥٨١).

سيئاته وهذا مبسوط في موضعه، والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج نسميه كافرا وقالت المعتزلة نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط، وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من انه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة، وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين، ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد، وهو أنه هل يكون الكفر على مراتب كفرا دون كفر كما اختلفوا هل يكون الإيمان على مراتب إيمانا دون إيمان، وهذا الاختلاف نشا من اختلافهم في مسمى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافرا نسميه كافرا إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قال إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب كفر دون كفر، كالإيمان عنده، ومن قال إن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان، قال هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾[البقرة: ١٤٣]، أي صلاتكم الى بيت المقدس أنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها عن الإيمان أو لدلالتها على الإيمان إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنا، ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا، فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة، ولكن أردأ ما في ذلك التعصب على من يضادهم وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه والتشنيع عليه.

وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين وأن يجادلوا بالتي هي أحسن فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ويكون كفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب

حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا او كفرا أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطىء له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور.

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣]، فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة أخطأت إستك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال بعض الصحابة فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر، فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين كما كان من أمر استقبال بيت المقدس ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك يذمون على أنهم أخطوا وآيسوا من التوبة فكتب عمر الى قدامة يقول له: ﴿حم ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[غافر]، ما أدري أي ذنبيك أعظم استحلالك المحرم أولا أم يأسك من رحمة الله ثانيا، وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام] أهـ **انتهى كلامه رحمه الله، وفيه من البيان ما يغني عن الشرح والتوضيح.**

وأختم الفقرة بما قاله حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه (التفرقة بين الإيمان والزندقة) قال: **(الذي ينبغي: الاحتراز عن التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلا، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد)،** والله تعالى أعلم.

أنقل هذا ليستزيد المجاهدون وطلاب العلم منهم في هذا الأمر حيطة لدينهم وألسنتهم، في الحكم على أديان الناس ولاسيما عوام المسلمين، لا لتكون حجة للمرجئة وغلاة أذنابهم في زماننا، قاتلهم الله، ففي رسائل

كتابي هذا ما يكفي للدلالة على حضي على جهاد الكفار الغزاة وأذنابهم من المرتدين وجنودهم وأعوانهم **بالسيف والسنان** وعلى تكفير من شرع وحكم بغير ما أنزل الله، وكذلك تكفير من أعان الكافرين وظاهرهم على المسلمين من الحكام المرتدين أو من فعل ذلك من جنودهم وعساكرهم، ومثلهم أيضا أئمة الكفر من العلمانيين الطاعنين في دين الله، وكذلك حضي على عدم الغفلة عن جهاد علمائهم ووسائل إعلامهم وبرامج حرب الأفكار التي اخترعوها **بالحجة والبيان**.

وأنصح المجاهدين ختاما بأن يتركوا الخوض في هذه المسائل للعلماء وطلاب العلم القادرين على الخوض في خضمها الصعب، وينصرفوا إلى قتال أعداء الله تطبيقا لما استيقنوه من هذه الفريضة المتعينة على كل مسلم اليوم.

الثاني عشر: وقفه مع انتشار عقيدة الإرجاء السياسي في الصحوة الإسلامية:

يعود ظهور مذهب المرجئة إلى ظهور علماء السلطان عند ظهور الملك وذهاب الخلافة الراشدة حيث بدأ افتراق السلطان والقرآن.

وخلاصة ذلك المعتقد المنحرف أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإعلان باللسان بعد أن اخرج أصحاب هذا المذهب العمل من مسمى الإيمان، وقالوا (الإيمان هو التصديق) (ولا يضر مع الإيمان معصية)، ومن (قال لا إله إلا الله حكمنا بإسلامه بصرف النظر عما بلي به بعدها من أقوال أو أفعال)، وأبطلوا كل قواعد نواقض الأيمان المفصلة بأدلة القرآن والسنة وأقوال الفقهاء المعتبرين.

روى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ قلت بخير يا أمير المؤمنين، فقال: ما الإرجاء؟ فقلت: دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون من دينهم، قال: صدقت.

وقد أخذ فقهاء السلاطين بهذا المذهب حتى أطلق العلماء المحققون على مذهب المرجئة فهو دين يعجب الملوك، فهم مسلمون بحسب هذا المذهب، وأولياء أمور ولهم الطاعة وإن أخذوا مالك وجلدوا ظهرك، قالت الأمة رضينا، هم مسلمون وقد اخذوا المال وجلدوا الظهر، ولكن فقهاء السلاطين وسعوها عليهم قليلا؛ لتصبح وإن نهك عرضك! وإن سفك دمك! وإن صاح بلسان الحال والمقال كما نادى سلفه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١﴾ [الزخرف]! وإن صرح بعدم صلاحية

الشريعة لهذا الزمان! وإن والى أعداء الله! وإن قاتل وسير الجيوش للقتال بين أيدي اليهود والنصارى لتسفك دماء المسلمين!..وإن..وإن..

أليس ولي الأمر يصلي العيدين؟ ويحتفل بالمولد النبوي؟ أليس يزني بدعوى نكاح المتعة التي قال بها بعضهم؟ أليس إذا جرد الأحرار والحرائر المسلمات من ثيابهم في المعتقلات وعذبهم له دليل من قول علي رضي الله عنه لرسولة حاطب رضي الله عنه: «**لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ**»![1] أليس لولي الأمر أن يقتل ثلث الرعية لتسلم له الثلثين!..وقد ورد بكل ذلك أدلة بحسب المدلسين من العلماء الدجالين اليوم، فهذا الدين لفرط يسره قد احتوى مسيلمة!

وهكذا خرج الإمام الجليل الراحل إمام العلماء ابن عثيمين بتطوير لمذهب المرجئة ليقول: (واعجب ما شئت لما قال عن قول تكاد الأرض تنشق منه وتخر الجبال هدا: قال:

(وإذا فرضنا على التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور الناس عليه حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال، لا شك أنه من الخطأ)، ثم استدرك كي لا يظن ظان أنه قصد أولياء الأمور في بلده فهم ولله الحمد حاكموهن بالشريعة، فبين أن قصده؛ أنه لو كفر ولي أمر في بلاد أخرى فلا يجوز الخروج......).

فرد بقوله هذا صريح القرآن، وصحيح السنة، ومعتقد إجماع الأمة! لسواد عيون آل سعود وأشباههم! ثم تولى الألباني مدرسة أخرى معاصرة في مذهب الإرجاء فقال (الخروج على الحكام في هذا الزمان هو خروج على الإسلام ذاته)! وشهد عليهم بالإسلام، ثم قام الدجال الذي يسمونه المفتي الأعظم في باكستان (رفيع عثماني)، ليقول أن الذين يقتلون وهم يدافعون عن أنفسهم ضد غارات الجيش الباكستاني عليهم، ليسوا شهداء!فرد حكم حديث رسول الله ﷺ بأن من قتل دون ماله أو عرضه أو نفسه أو مظلمته أو دينه فهو شهيد، وأن الأمريكان وأشكالهم مستأمنون ذميون لا يجوز العدوان عليهم، ولا في بلادهم، وسحب من دار الفتوى إباحة سابقة بالعمليات الاستشهادية، وقال نحن لا نكلف بالجهاد إلا إذا دعى إليه ولي الأمر (مشرف، كما كان الأمر أيام ضياء الحق عندما دعى لجهاد الروس!!! وقال أن من قاتل مع الأمريكان ضد المسلمين يأثم ولا يكفر، وأن التشريع من دون الله ذنب ولا يخرج من الملة وهو كفر أصغر على اشد الاحتمالات!!)...إلخ.

---

(١) رواه البخاري: (٤٢٧٤) ومسلم: (٢٤٩٤)

وقل مثل ذلك عن أئمة الدعوة وعلوم الدين من المرجئة المعاصرين في هذا الزمان من رحل منهم وأمره إلى الله ومن ما زال حية تسعى، ويلفت النظر في مدرسة الإرجاء السياسي المعاصر، أنها تحملت أن ترجئ وتعذر في تناول الملوك والسلاطين وأعمالهم ولكنها ما تحملت أن ترجئ في أعمال المجاهدين فحكمت عليهم أنهم كلاب أهل النار! ولا يروحون رائحة الجنة! وأنهم يقتلون ويصلبون وتقطع أطرافهم من خلاف وينفوا من الأرض في الدنيا!

كيف يقتلون نصرانيا محتلا جاء بإذن ولي الأمر فصار ذميا مستأمنا ومعاهدا؟ فجاء المجرمون من الذين يدعون الجهاد فأراقوا دم هذا الصليبي (الطاهر)! وخفروا ذمة (المرتد) الذي أمّنه؟!

والأعجب من أمر مدرسة الإرجاء السياسي في الصحوة الإسلامية ملاحظة غريبة! وهي أن أقطابها من غلاة التصوف إلى غلاة من يدعون السلفية، كفروا بعضهم على فهم الأسماء والصفات ومذهب الاشعرية والماتوريدية والسلفية وأصحاب الحديث، واختلفوا على ذات الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته! ولكنهم اتفقوا- وسبحان مؤلف القلوب - على إسلام الحاكم وأسمائه وصفاته! كما حصل منهم في المغرب والباكستان وحيثما تواجدت المدرستان، فوسعهم في ملوك الأرض ما لم يسعهم في ملك السموات والأرض ومن فيهن!.

ويبدوا أن الباحث لا يجد مبررا لهذا المذهب إلا أن يبرر لأصحاب الدخول في مكونات الملأ لما اختاروا السياسية والعمل بالديمقراطية، فهم سيدخلون البرلمان (مؤسسة تشرع من دون الله) وسيدخلون الحكومة (مؤسسة تحكم بغير ما أنزل الله)، فكيف يجوز ذلك إن حكموا بكفر الحاكم وهم من طائفته وشركائه وملئه؟! فما المخرج؟! إما لا يدخلون! وإما يحكمون بإسلامه! فاختاروا الأسهل والأمتع! وحكموا بإسلام مرتد يبارز الله الحرب والعداء، وينازعه أخص خصوصيات الألوهية.

وإليك قصة عشتها بنفسي وهي ذات دلالة! وأوردها على سبيل المثال فقط، وإلا فالشواهد هذه الأيام أكثر من أن تحصر.

لما هاجرت من سوريا إبان انهيار الحركة الجهادية وكنت قد انتسبت للتنظيم الجهادي (الطليعة المقاتلة)، آل أمري لأن أكون عضوا في تنظيم الإخوان المسلمين ثم عضوا في قيادة الجهاز العسكري للإخوان سنة ١٩٨٠، وكنا في بغداد ولم نكن بصفتنا كوادر عسكرية نعلم عما تخطط قياداتنا السياسية، ولكننا فوجئنا بهم يوقفون العمل العسكري ويحلون عمليا أجهزته ويعلنون بدء مرحلة الجهاد السياسي ويعلنون في مارس ١٩٨٢ (بعد أن تسببوا في دمار حماة وتصفية المجاهدين في عموم سوريا) يعلنون قيام تحالف وطني

يضم (الإخوان المسلمين- الجبهة الإسلامية- مجموعة من علماء الصوفية المستقلين – حزب البعث اليميني التابع للعراق برعاية صدام آنذاك – الأحزاب العلمانية الفرعية) من أجل مواجهة حزب البعث اليساري النصيري في سوريا، وكتبوا لذلك ميثاقا (إسلاميا علمانيا) على قدر هوية من شكل التحالف، ثم وُسع (التحالف الوطني لتحرير سوريا) ليدخل فيه (رفعت الأسد) النصيري أخو حافظ أسد! رفعت! الذي كان يتولى المجازر والمقابر الجماعية للإخوان المسلمين وغيرهم من المسلمين! لأنه صار معارضا للنظام الذي يقوده أخوه! في صراعه على السلطة معه، وتبع هذا التوجه منهاج فكري جديد وفقه جديد كان على جهاز التربية في الإخوان أن يلقنه للمجاهدين، وكتب الشيخ(منير الغضبان) من الإخوان المسلمين في سوريا، (وقد رجع عما كتب في كتابات تالية - سامحه الله-) كتب كتاب (التحالف السياسي في الإسلام) وتولى مع الشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غده، وعلماء الإخوان السوريين مهمة طرح فقه جديد يناسب المرحلة حيث تشوه فيه الاستنباطات من معاهدات الرسول ﷺ، حتى صارحني أحد كبار المربين في الإخوان حينها بقوله (عندي أزمة! كيف أدرس الشباب هذه الكتب التي توفق بيننا وبين العلمانيين وأشرح لهم ميثاق التحالف الوطني ثم أدرسم كتاب معالم في الطريق لسيد قطب؟!)

ولمن أراد الاستزادة والتفاصيل عن هذه القضية أن يعود إلى كتابي (الثورة الجهادية في سوريا - آلام وآمال) المنشور سنة ١٩٩٠م.

وفي نفس الفترة روى لي أحد الموجهين في الإخوان المسلمين الأردنيين في عمان سنة ١٩٨٩م، أنه لما قرر الإخوان الأردنيون دخول البرلمان الأردني والوزارات أي السلطتين التشريعية والتنفيذية عند (جلالة) الملك حسين(المعظم) كما يردد راديو عمان!قال لي أخونا: (إسمع هذه الأعجوبة:

لحقت بتنظيم الإخوان مطلع السبعينيات، فطُلب إلي أن اعتقد كفر الملك حسين لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، وكان كتابنا الأساسي (معالم في الطريق)، وكنت قد قرأت شيئا من كتب التفسير فقرأت قول بعض التابعين عن ذلك (كفر دون كفر) وظننت أن حسين مسلم وليس كافرا، وإن كان ظالما فاسقا، فتعرضت بعد ما بحت بعلومي عن إسلام الحاكم الظالم تعرضت لمحكمة إخوانية أمهلني فيها التنظيم مدة لأعتقد كفر الملك حسين أو أفصل من التنظيم! وجُمدت عضويتي خلالها، فنظرت في الأمر وهداني الله لما هداهم إليه وأعلنت كفر الملك حسين وعدت عضوا في التنظيم، وصرت موجها فيه بعد سنين أدرس الشباب أدلة كفر الملك حسين من معالم في الطريق وغيره، وفي هذه السنة (١٩٨٩-١٩٩٠) أي بعد ما يقرب من عشرين عاما على تلك الحادثة، دخل الإخوان الأردنيون البرلمان ودخل بعضهم الوزارة، وكتب الإخوان رسائل فقهية تشهد

بإسلام حسين وجواز دخول البرلمان، وأجاز بعضهم تولي الوزارة ولم يجز البرلمان، على مذهب سيدنا يوسف في العمل عند الفرعون وزير خزانة! وذهب بعضهم للعكس وأجاز فريق ثالث الأمرين، ولكنهم اتفقوا مجددا على إسلام حسين حتى يحلوا مشكلة دخول السلطة).

يتابع صاحبي: (ولكنني كنت قد امتلأت قناعة على مدى عشرين سنة في الإخوان المسلمين بمسألة كفر الملك حسين ودرستُها ودرّستها، فكيف أُأسلمه الآن بمجرد بيان من التنظيم؟! فثبتُ على موقفي، وتعرضت لمحاكمة تنظيمية جديدة أُعطيت خلالها مهلة للاقتناع بإسلام الملك حسين وإلا فصلت من التنظيم!! وجُمدت خلال هذه المدة عن العضوية!) فقلت فماذا فعلت؟ فقال: (قررت فصل التنظيم من عضويتي!! وقررت تجميدهم عن كونهم إخوان مسلمين، هؤلاء لا يمكن أن يكونوا لي إخواننا، وما أدري ماذا بقي لهم كمسلمين؟!.)

وهكذا دخلت قواعد الإرجاء على الصحوة الإسلامية ليتبعوا سنة أصحاب النسيئة يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله!!.

هذا هو التفسير الوحيد لظاهرة الإرجاء السياسي، أهواء السياسة وفن الممكن، وضريبة التسكع على أبواب السلاطين وتصديق حديث رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»[1]، هي الحقيقة بكل بساطة لقد افتتن المرجئة السياسيون في أبواب السلاطين وبعدوا كثيرا عن أصول شريعة الله، ولغة العرب واضحة: (**افتتن**) من (فتن) (يفتن) فهو (فتّان) و(مفتون)...

وأما السبب الثاني، أو التفسير الثاني لظاهرة الإرجاء السياسي فهو سياط الجلاد في السجون وسياسة جلسات (الموزة) وكهرباء(السندريلا) آنفة الذكر، وتفضيل الإنتماء لتيار الإرجاء عن الدخول في تيار شدته ٢٢٠ فولت!!

وأما ثالث التفسيرات، فهو الشيطان وتلبيساته، وهكذا، وبين تلبيس إبليس، وسياط جلاد خسيس، ومكاسب كرسي في البرلمان التعيس، ولد هذا الفقه الخبيث، وجلس فقهاء السلاطين والدعاة المنحرفون داخل مؤسسات السلطة. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

وغني عن القول أن هناك إرجاء من نوع آخر هو إرجاء العلماء المنافقين الذين كتموا ما أنزل الله عن علم، وباعوا شريعة الله وبدلوها عن فهم، بسبب بريق ذهب السلطان والطمع في قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء].

وهذا إرجاء بين في طبيعته وأسبابه لا يحتاج إلى نقاش، فقد عرفنا على أصحابه كتاب ربنا عندما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] عندما زاد في بيان أحوالهم بقوله:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]

وفي ختام هذا الباب أؤكد على أن العقيدة الإسلامية، وما يتفرع عنها من العقيدة الجهادية، أساس كل حركة وسلوك لدى المؤمن المجاهد، وبقدر وضوحها في قلب المؤمن وعقله يكون مستوى سلوكه في هذه الحياة ومواقفه مما يعترضه فيها.

إن آثار وضوح هذه العقيدة ووجودها ورسوخها لا تخفى، ولها بالغ الأثر في إيجاد المؤمن الصالح الخلوق، والمجاهد العقائدي الثابت بفضل الله، كما أن آثار زوالها وتشوهها لا تخفى، ولها بالغ الأثر في تدرج الناس في دركات الفسوق والضلال والضعف والهوان كما نعيشه ونلمسه اليوم بكل وضوح، ومن هنا البداية، ورحم الله من قال: لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها.

« دُستُور دَعوة المقَاومة الإسلاميّة العالميّة »

يرتكز دستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، وينطلق من أساسيات العقيدة الإسلامية، وأحكام السياسة الشرعية، المنطلقة من خلال فهم الواقع السياسي الحاضر للأمة، ومن خلال قاعدة درء المفاسد واستجلاب المصالح، وفقه الضرورات، واعتبار الأولويات، وأخذ المترتبات بعين الاعتبار، بناء على فهم دقيق لواقع المسلمين وواقع العالم من حولهم.

وسنورد هنا مختصراً عن أسس العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة حيث ستشتمل الفقرة التالية على التفصيل والأدلة الشرعية لأهم هذه لأسس إن شاء الله.

- **المادة ١:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ليست حزباً، ولا تنظيماً، ولا جماعة محدودة محددة، فهي دعوة مفتوحة، هدفها هو دفع صائل القوى الاستعمارية الصليبية الصهيونية الهاجمة على الإسلام والمسلمين، ويمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها وطريقتها، الدخول فيها، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.

- **المادة ٢:**

عقيدة دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، هي عقيدة أهل السنة والجماعة بكافة مدارسهم ومذاهبهم الفقهية، وهي دعوة للتعاون مع كل المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويعتبرون أن القرآن كتابهم والكعبة قبلتهم، وأمة الإسلام أمتهم.

فهي تجاهد مع أهل السنة، وتتعاون مع أهل القبلة، وتستعين بكل مخلص في نصرته للمسلمين في دفع هذا العدو الصائل عليهم، من خلال ضوابط السياسة الشرعية.

- **المادة ٣:**

تعتقد دعوة المقاومة الإسلامية العالمية بمشروعية الجهاد مع كل بر وفاجر من أمراء المسلمين وعامتهم، من أجل دفع صائل الكفار على المسلمين وهذا من أسس العقيدة عند أهل السنة الجماعة.

- **المادة ٤:**

تعتقد دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن الحملات الصليبية الصهيونية الهاجمة على المسلمين تتكون من تحالف يضم المكونات التالية:

(١) - اليهود وقوى الصهيونية العالمية وزعمتها إسرائيل.

(٢) - قوى الصليبية الدولية، وزعيمتها أمريكا، ثم روسيا ودول حلف الناتو ومن تحالف معهم من الدول الصليبية.

(٣) - قوى الردة، وعلى رأسها الحكام والأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي.

(٤) - المنافقين: وعلى رأسهم المؤسسات الدينية الرسمية وعلماء السلطان، ومن تبعهم من فقهاء النفاق، وأجهزة الإعلام والأوساط الثقافية الداعمة للأعداء في حملتهم على المسلمين.

وأن مختصر ومعادلة الصراع اليوم هو:

اليهود والصهيونية وزعيمتها إسرائيل + الصليبية العالمية بقيادة أمريكا وبريطانيا ودول الناتو وروسيا + الأنظمة المرتدة وقوى العلمانية المحاربة للإسلام + المنافقون من علماء السلطان وأصحاب الفكر المحارب للإسلام × قوى المقاومة المسلحة المجاهدة.

- **المادة ٥:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهاد هذا الحلف الدولي من اليهود والصليبين والمرتدين والمنافقين **فرض عين على كل مسلم** يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، يثاب بأدائه ويأثم بتركه.

- **المادة ٦:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الجهاد المسلح والقتال **(جهاد السنان)** الوسيلة الأساسية لمواجهة الأطراف الثلاثة الأولى من الحلف (اليهود والصليبيون والمرتدون) ومن قاتل معهم، وتعتبر أن **(جهاد البيان)** والحجة والكلمة هو وسيلة مواجهة قوى النفاق من علماء الاستعمار وفقهاء السلاطين ووسائل إعلامهم.

- **المادة ٧:**

تتخذ دعوة المقاومة الإسلامية العالمية من قول الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤] شعارًا لها، وتعتبر أن مقاتلة الغزاة وحلفائهم والدعوة إلى ذلك فريضة في عنق كل مسلم، وتعتبر مبدأ ثابتا في حركتها وهو أن:

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية هي معركة الأمة المسلمة وليست صراع النخبة المجاهدة فقط.

- **المادة ٨:**

تعتبر دعوة المقاومة كافة أشكال تواجد أمريكا وحلفائها المحاربين لنا، في كافة بلاد المسلمين اليوم أهداف مشروعة للجهاد، سواءً كانت تواجدا عسكرياً أو دبلوماسيا أو اقتصادياً أو أمنياً أو ثقافياً أو مدنياً أو بأي شكل كان، وتطالبهم بالمغادرة وتنذر من بقي القتل والتصفية.

- **المادة ٩:**

تعتبر دعوتنا كافّة حُكّام بلاد المُسلِمِين، الّذين يوالون أعداء المُسلِمِين من الأمريكان وحلفائهم من اليَهُوْد والصّليبيّن، ويحكمون بلاد المُسلِمِين بغير ما أنزل الله، ويشرعون لهم أحكاماً من دون الله، تعتبرهم كفارا مرتدين قد سقطت ولايتهم الشَّرعيَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ و﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ ولم يعد لهم حظ من قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فقد أمرنا الله تَعَالَى بطاعة أولي الأمر ﴿مِنكُمۡ﴾ وهَؤُلَاءِ ما عادوا (منا) بل صاروا **(من أعدائنا)** وقد بين تَعَالَى ذلك فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ قَالَ كافّة أهل التفسير وأثبات العُلَماء، قالوا: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: **[كفار مثلهم]**.

- **المادة ١٠:**

تسقط دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مشروعية أي عهد أو أمان أو معاهدة أو ذمة قدمها حكام بلاد المسلمين للكفار، وذلك بسبب ردتهم عن ملة الإسلام وسقوط ولايتهم، ولأنهم أولياء لهم ومناصرون لهم على المسلمين، فلا شرعية لهم ولا لعهودهم وأمانهم ومعاهداتهم، إلى أن يقوم أئمة شرعيون، يؤمنونهم وفق مواثيق ومعاهدات شرعية وعلاقات متبادلة في إطار شريعتنا الإسلامية.

- **المادة ١١:**

كل من ظاهر أعداء المسلمين الغزاة من الأمريكان وحلفائهم على المسلمين، فقاتل معهم وأعانهم على المسلمين بقتال أو دلالة أو مساعدة أو مشورة أو رأي ينصرهم به على المسلمين فهو مرتد كافر خارج من ملة الإسلام، يجب قتاله أو يعود عن ذلك ويتوب إلى الله منه.

- **المادة ١٢:**

كل من ظاهر الحكام المرتدين وقاتل المسلمين والمجاهدين معهم، من جنودهم وشرطتهم ورجال أمنهم وأعوانهم الذين يدافعون عنهم ويأتمرون بأمرهم في قتل المجاهدين ومطاردتهم، لا نحكم بكفر كل أحد منهم عيناً، ويقاتلون على أنهم طائفة ردة عامة بصرف النظر عن جاهلهم ومكرههم ومتأولهم، لاسيما وقد أدرك القاصي والداني والعالم والجاهل، وقوف أولئك الحكام في خندق أمريكا وحلفائها ومحاربتهم لشباب المسلمين المجاهد تحت رايتها وأمرها.

- **المادة ١٣:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، **دعوة جهاد للغزاة المستعمرين وأعوانهم، وليست دعوة تكفير للمسلمين**، فكل من شهد (أن لا إله إلا الله محمد رسول الله) فقد عصم دمه وماله إلا بحقها وحسابه على الله، وليس من مهام دعوة المقاومة التصدي لأعيان المسلمين من الضُلال والمنحرفين وتكفيرهم وتبديعهم وتفسيقهم، فهذه مهمة من تأهل لذلك وانصرف لها من الدعاة والعلماء، وليست من أعمال المقاومة المتجهة لحرب الصائل.

- **المادة ١٤:**

تتبنى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية استراتيجية قتال جنود الإحتلال وكافة أشكال تواجد الدول المحاربة للمسلمين ومصالحهم في بلاد المسلمين هجوماً ودفاعاً وبكل أشكال المقاومة المسلحة.

في حين تتبنى استراتيجية قتال رجال أمن حكومات بلاد المسلمين وجنودها وأعوانها دفاعاً عن النفس فقط، رغم حلّة قتالهم هجوما، وبكل وسيلة مشروعة دفعاً وطلباً، وذلك من أجل مصالح لا تخفى وتهدف إلى توحيد صف الأمة في وجه الغزاة الكفار، والرفق مع جميع أبنائها، حتى يتبين لهم الحق، ولكي يفيؤوا إلى صف أمتهم ويقاوموا عدوها، ومن أجل سد باب الفتن والاحتراب الداخلي دون طائل، ولقطع الطريق على من يقيم الحواجز بين المجاهدين وعامة الأمة من دعاة الضلالة وأجهزة إعلام الطواغيت.

ولذلك تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية قوى الجهاد والمقاومة إلى تحاشي قصد رجال الجيش والشرطة وقوى الأمن في بلادنا بالقتل، والاقتصار في ذلك على عملية الدفاع عن النفس، وتدعوهم لعدم قتل أسراهم وجرحاهم، والإحسان إليهم ودعوتهم بالحسنى للانضمام إلى صفوف الأمة في قتال أعدائها، كما

تدعوا رجال الأمن والجيش والشرطة إلى عدم طاعة قياداتهم في العدوان على المسلمين ومناصرة أعداء المسلمين من الكفار وتدعوهم إلى قتال أعدائهم الكفار ورؤسائهم من كبار المرتدين وليس إلى المسلمين الأبرياء..

وهذا اجتهاد خاص بدعوتنا بناءً على قواعد استجلاب المصالح ودفع المفاسد، واستفادة من تجاربنا الماضية، وهذا من المبادئ الحركية الأساسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية بعد مبدأ جهاد المحتلين الغزاة بالسلاح ومقاومتهم بكل وسيلة مشروعة ممكنة بكافة أشكالهم.

(أما أولئك الجنود العاملون مع قوات الإحتلال الكافرة، مثل الجيش والشرطة في العراق وما شابهها، كالمحاربين للمسلمين في جيش الهند في كشمير، فهؤلاء مرتدون يقاتلون قتال المحتلين.)

- **المادة ١٥:**

تتبنى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية مبدأ دفع الصائل على الدين والنفس والعرض والمال، ولو كان مسلماً لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[1]، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2]، وبهذا فهي تدعو المجاهدين والمقاومين إلى عدم تسليم أنفسهم إلى من قصدهم من عساكر الطواغيت وعملاء الإستعمار بالقتال والأذى، بل تدعوهم إلى قتالهم وقتلهم دفاعاً عن النفس، والتزام سياسة الدفاع هذه دو ن التحول إلى جهادهم هجوماً كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

- **المادة ١٦:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل حكومة يقيمها الاستعمار وقوى الاحتلال [من قبيل ما حصل في العراق (مثل مجلس الحكم) أو (الحكومة المعينة)]، تعتبرها حكومة احتلال باطلة يجب جهادها وإسقاطها، وأقل ما يجب نحوها، اعتقاد عدم مشروعيتها، وعدم التعاون معها، ولا تقبل أي اعتذارات في ذلك من قبيل ما يزعم من مصلحة البلاد والعباد وتسيير أمور الناس، وتعتبرها أعذارا باطلة شرعاً، ومرفوضة عقلاً، فلا يأتي الإستعمار إلا بالشر ولا يرضى إلا عمن تبعوا ملته كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

- **المادة ١٧:**

لما كانت دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تعتقد كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله، الموالين لأعداء المسلمين وردتهم، مثل جميع الحكام القائمين في بلاد المسلمين اليوم، فإنها تعتبر الانتساب إلى مؤسسات حكومتهم وسلطاتها الثلاثة:

- التنفيذية : الحكومة والوزارات.
- التشريعية: البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى.
- القضائية : المحاكم الحاكمة بغير ما أنزل الله.

عملا محرما، وفعلا من أفعال الكفر، يأثم صاحبه على الأقل أو يكفر، وذلك بحسب مسؤوليته وجرمه، ونصيبه من العذر والتأويل.

- **المادة ١٨:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية مبادئ الديمقراطية كفراً بالله تعالى، ومعتقداً مناقضاً لمقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله، وتعتبر الدعوة إليها وممارستها عملاً من أعمال الكفر، يأثم صاحبه، إثما قد يصل إلى خروجه من ملة الإسلام، وذلك بحسب طبيعة اعتقاده بها، ونوع ممارسته لها، ونصيبه من أعذار الجهل أو التأول.

- **المادة ١٩:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهود كل المخلصين في الصحوة الإسلامية؛ الدعوية والإصلاحية والعلمية والدينية، وغيرها، من الممارسات المشروعة شرعا، والتي تقوم بها كافة مدارس الصحوة من الدعوة والتبليغ، والسلفية، والإخوان المسلمين، وحزب التحرير، وغير ذلك من مدارس الصحوة الإسلامية، وكذلك جهود العلماء والدعاة والمصلحين المستقلين، على امتداد ومساحة طيف الصحوة، جهوداً مشكورة لحفظ دين المسلمين، وإصلاح أحوالهم، وتدعوهم جميعاً إلى التعاون على البر والتقوى ودعم المقاومة، وتعتبر جهودهم في الدعوة لدين الله دعماً وتقوية لجذور المقاومة في الأمة، وحفظاً لمكوناتها، وتدعوا الجميع إلى تجاوز نقاط الخلاف في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجود المسلمين كله إلى الخطر على كافة الصعد الحضارية.

وتعيد التذكير بقناعتها، بأن مجاهدة القوى الصليبية واليهودية ومن والاها وأعانها وقاتل معها بالجهاد المسلح، فريضة شرعية متعينة على كل مسلم قادر من غير ذوي الأعذار الشرعية، لا يسقط عنه فرض العين هذا ما يقوم به من أعمال البر والخير، مثلما لا تغني الزكاة عن الصلاة.

- **المادة ٢٠:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ضمن دائرة الإسلام العامة التي دعاها الفقهاء (أهل القبلة)، وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها، وأن مجالات ذلك هي الحوار بالحق، والبيان بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المسلمين، وتدعوا كل المسلمين من أهل القبلة؛ مذاهب وجماعات وأفراد، إلى التعاون على دفع الصائل وجهاد العدو الكافر الذي يدهم بلاد المسلمين، وتدعوا الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي، الذي لا يستفيد منه في مثل هذه الأحوال إلا العدو الكافر الغازي لبلاد المسلمين.

- **المادة ٢١:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كافة مبادئ المذاهب العلمانية من شيوعية واشتراكية وديمقراطية وقومية، وغير ذلك من أوجه الإنتماء الفكري والعقدي لغير ملة الإسلام وهوية الإسلام؛ تعتبرها دعوات كفر وضلالة، كلاً بحسبها وفق موازين الشريعة، ولكنها تعتبر أن أكثر أتباع هذه المذاهب من أبناء هذه الأمة هم من المسلمين الجهلة بدينهم المغرر بهم فكريا، تبعاً لظروف التغريب الفكري والغزو الحضاري، الذي تعرضت له الأمة، وكثير منهم يكن العاطفة لهذا الدين، ويشعر بالاحترام لمكوناته، كما يكن عداءً لقوى الاستعمار، وإرادة عالية لمقاومة الغزو الخارجي، وتدعو دعوتنا كافة مدارس الصحوة الإسلامية، وشرائح المقاومة الإسلامية المختلفة، إلى حسن الحوار والدعوة في أوساط هذه الشرائح، كما تدعو كافة القوى القومية والوطنية وكل الشرفاء في هذه الأمة إلى دراسة دينهم وفهمه على حقيقته، التعاون على جهاد القوى الغازية الكافرة ومن يتعاون معها، والالتفاف جميعاً تحت شعار الإسلام للدفاع عن المسلمين ودينهم وحضارتهم.

- **المادة ٢٢:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم قال: **(لا إله إلا الله محمد رسول)**، معصوم الدم والمال إلا بحقها وحسابه على الله، وتعتبر دم المسلم من أقدس المقدسات، وحفظه من أعظم الفرائض والأوامر التي شددت فيها الشريعة الإسلامية.

وتعتبر أن ما جاء في خطبة الوداع من قوله ﷺ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ**

بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[١]، دستوراً إلهياً ونصاً نبوياً قطعياً، يدعوا كل مسلم عامة، وكل مجاهد خاصة إلى حفظ دم وعرض ومال كل مسلم.

وتدعوا كل مجاهد في سبيل الله يبذل جهده ونفسه وماله في سبيل الله ويجاهد الكفار الغزاة من قوى الصليبية والصهيونية بحلفائها، إلى قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء: ٩٤]، وتدعوهم أن يتحاشوا أذى كل مسلم.وليتقوا الله ويتأملوا قوله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[٢].

- **المادة ٢٣:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الطوائف الدينية من غير المسلمين من المواطنين في بلادنا كالمسيحيين وغيرهم، مواطنين كفلت الشريعة الإسلامية احترام حقوق مواطنتهم وسكنهم بين المسلمين في إطار قواعد شرعية معروفة مفصلة، يُتعامل بها معهم عندما يحكم شرع الله، وينصب الإمام المسلم.

أما الآن فلا تعتبرهم دعوة المقاومة الإسلامية العالمية هدفاً للجهاد، ما لم يتعاونوا مع الغزاة، وإنما الجهاد للقوى الغازية من القوى الصليبية الصهيونية ومن يتحالف معها.

- **المادة ٢٤:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ساحة الجهاد الأساسية ضد أمريكا وحلفائها من الصليبيين والصهاينة هي بلاد المسلمين، التي يحتلها هؤلاء المستعمرون الغزاة بشكل مباشر أو غير مباشر، وفيها تتمركز قواتهم وقواعدهم العسكرية، أو منها تعبر برا وبحرا وجوا، وفيها تتم عمليات النهب والاستعمار الاقتصادي، وفيها تنتشر مختلف المؤسسات الاستعمارية المختلفة من أمنية وسياسية وثقافية، وغير ذلك، وهي الأهداف الاستعمارية التي يجب أن يستهدفها المجاهدون في طول العالم الإسلامي وعرضه.

- **المادة ٢٥:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن حربها أساسا هي مع حكومات البلاد التي دخلت في حلف العدوان الصليبي اليهودي الذي تقوده أمريكا، وتعتبر كل دولة تشاركهم في المجهود الحربي وتعينهم على المسلمين هدفاً للمقاومة، وفي مقدمتها حلف الناتو الذين يرتبطون بالتزامات دفاعية معها، وكذلك ضد كل

---

(١) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١..) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) رواه مسلم: (١٨٤٨).

دولة تعتدي على المسلمين في أي بلد أو مكان، وأما البلاد الكافرة التي لم تتورط في العدوان على الإسلام والمسلمين، فهي ليست مجال حرب وقصد من قوى المقاومة الإسلامية العالمية.

- **المادة ٢٦:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية حربها مع حكومات الدول المحاربة أساسا وليس مع شعوبها، وهي إذ تعتبر بلاد المسلمين ساحة الجهاد والدفاع الأساسية، تدعوا المجاهدين إلى ممارسة الجهاد ضد الحكومات والدول الاستعمارية الغازية وحلفاءها في بلادها بضوابط سياسية شرعية تقتضيها أصول الشريعة، وأحكام الجهاد، وبناءً على نتائج مترتبات الأعمال من المصالح والمفاسد على الإسلام المسلمين، ومن تلك الضوابط:

(١)- عدم ممارسة القتال والاستهداف العام في بلاد الدول المحاربة إلا في حدود الردع والمعاملة بالمثل، وليس (هدفاً أساسياً وساحة قتال رئيسية) فساحة الجهاد الأساسية هي الدفع في بلاد المسلمين.

(٢)- تحاشى قتل نساء وأطفال الكفار، وكذلك من جاءت نصوص الشريعة بتحاشي قصدهم بالقتل، مثل الرهبان، ودور العبادة، وتحاشى قتل غير المحاربين من المدنيين إذا انفردوا ما أمكن.

والتركيز في حال عمليات الردع والمعاملة بالمثل في بلادهم على الأهداف العسكرية والسياسية والاقتصادية، مع مراعاة تحاشى من تقدم الإشارة إلى تحاشيهم ما أمكن.

- **المادة ٢٧:**

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية إلى تركيز جهد المجاهدين والتنظيمات الجهادية وقوى المقاومة لمواجهة الصائل العدوان الخارجي، وعدم فتح مواجهات مع أنظمة الردة والعمالة القائمة في بلاد المسلمين في ثورات شاملة وفق التصورات القديمة للتيار الجهادي.

- **المادة ٢٨:**

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المجاهدين والمقاومين إلى عدم الانشغال في التصدي بالقتال لمظاهر الفساد والفسوق والعصيان والبدع ومظاهر الإنحراف الدينية... إلخ، في أوساط المسلمين بأعمال جهادية، فهذه مظاهر لداء حكم الطاغوت الذي تفرضه وتثبته قوى الكفر الغازية الخارجية الصائلة، والانتباه لأمور ثلاثة هامة:

(١)- حرمة دم المسلم ولو كان فاسقاً عاصياً مهما تلبس به من ذلك ما لم يكفر.

(٢) - أن تنفيذ الحدود والأحكام الشرعية على مرتكبيها من أفراد المسلمين هو للإمام الشرعي الممكن، وهو ليس موجود الآن. وإنما هدف المقاومة بعد دفع الصائل هو إقامته.

(٣) - أن الهدف الآن ووالفريضة الشرعية الأولى، هو دفع الصائل الكافر عن ديار المسلمين.

- **المادة ٢٩:**

تعتمد الحملات الصليبية الغازية في بلادنا بالإضافة إلى القوى العسكرية الداعمة لها المقاتلة معها على دعامتين هامتين:

(١)- دعاة للاحتلال يرحبون بها ويدعون لأفكارها وحضارتها، ويندِّدون بالإسلام ودعاته.

(٢)- دعاة للانحلال والرذيلة والفسق والمجون، ونشر الاختلاط والزنا والفواحش بدعوى الحرية الشخصية، والعيش على النموذج الأمريكي.

وأكثر هؤلاء هم من قطاع المثقفين والكتاب والمفكرين والفنانين والصحفيين والشعراء والأدباء، ورجال الإعلام...

وتدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المجاهدين، إلى تصفية كبار رؤوس هؤلاء الدعاة الاستعماريين ورؤوسهم، وكذلك كبار دعاة الرذيلة والإنحلال الذين يعملون على أن تشيع الفاحشة في اللذين آمنوا.

قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢]

وقَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩]

وقال عزَّ من قائل:﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ۝٦١﴾ [الأحزاب]

فهذا الطابور الخبيث المنافق المجاهر بالكفر هم من أهم ركائز الإستعمار في بلادنا، ومن أهم العاملين على قطع جذور المقاومة والانتماء لهذه الأمة، **ونعيد التوضيح: المطلوب اغتيال (كبار أئمة الكفروالفساد)، وتصفية مؤسساتهم، وليس خدمهم والعاملون المرتزقة بالفجور معهم ولا أعيان فساق المسلمين.**

- **المادة ٣٠:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الوجود الإسرائيلي الصهيوني، في كل شبر وذرة تراب من أرض فلسطين، وما جاورها من أراضي المسلمين باطلاً وغير شرعي، ومثل ذلك كل احتلال لأراضي المسلمين أينما كان، وتعتبر دولة إسرائيل دولة غير شرعية، وكيان مستعمر دخيل يجب إزالته وتطهير وجه الأرض من وجوده.

وتعتبر أن الجهاد المسلح هو الحل الوحيد لتحرير فلسطين، وتشد على أيدي المجاهدين المسلمين من المنظمات المجاهدة

- **المادة ٣١:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية دعوة التطبيع مع اليهود والكيان السرطاني (إسرائيل)، دعوات باطلة، وتعتبر من يدعوا إليها خائناً كافراً مرتداً عميلاً للاستعمار، وخاصة إذا كان من علماء المسلمين المزعومين، أو حكامهم العملاء.

وتدعو المجاهدين في كل مكان إلى جهاد كافة أشكال التطبيع، ومؤسساته، ورجاله ودعاته واستهداف كل منشآته السياسية والثقافية والاقتصادية، وغيرها، وتدميرها واغتيال القائمين عليها، والانتباه لعدم أذى المسلمين خطأً أثناء ذلك.

- **المادة ٣٢:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كافة مؤسسات التنصير والتبشير الصليبي في بلاد المسلمين من أخطر مرتكزات الاستعمار وأخطر مكامن الفتنة للمسلمين، وتعتبرها أهدافاً مشروعة وتدعو المجاهدين إلى استهدافها وتدمير منشآتها، وتعتبر كل أمان وترخيص لهذه المؤسسات في بلاد المسلمين ترخيصا باطلا، وأمانا غير شرعي.

وتدعو المجاهدين والمقاومين إلى عدم الخلط بين هذه المؤسسات، وبين الكنائس ودور عبادة النصارى والمسيحيين من المواطنين المقيمين بين المسلمين، وكذلك التميز بين مؤسسات التنصير والتبشير الأجانب، وبين رجال الدين والرهبان المحليين المشرفين على إدارة شؤون طوائفهم الدينية، ولا يعملون في فتنة المسلمين عن دينهم، ومعاونة الغزاة المستعمرين.

- **المادة ٣٣:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية دعوة أممية لا تعتبر هوية ولا انتساباً إلا إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، بصرف النظر عن الجنس والقوم، أو اللون والوطن، أو اللغة، أو أي فارق.

وتعتبر ساحة عمل كل مجاهد ومقاوم حيث هو، وحيث يقيم ويتحرك، وحيث يكون أداؤه أجدى وأنفع وأنكى لأعداء الله.

- **المادة ٣٤:**

يجري الآن إطلاق عملية تطبيع مع الصليبيين والمستعمرين الأمريكان في بلاد المسلمين، وهو تطبيع أشد خطراً بكثير من مسألة التطبيع مع إسرائيل والصهيونية.

ويجب أن يرافق المجهود الحربي في مواجهة مراكز التطبيع الصهيوني والصليبي، مجهود في التوعية يقوم به العلماء والدعاة بشكل مرادف لعمل خلايا المقاومة في تدمير هذه الأهداف.

- **المادة ٣٥:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن الأحكام الشرعية للديار، هي كما بينها الفقهاء، على ثلاثة أقسام:

أ- ديار الإسلام: وهي البلاد التي تحكمها الشريعة الإسلامية.

ب- ديار الكفر: وهي البلاد التي تحكمها شرائع الكفر ولا تحكم بما أنزل الله.

ج- الحالة الخاصة: وهي ديار الإسلام التي غلب عليها حكم الكفار، بعد أن كانت دار إسلام، ومازال أهلها مسلمون.

وعليه فإن الديار تنقسم في واقع العالم اليوم إلى أربعة أقسام بناءً ذلك:

١- **ديار إسلام أهلها مسلمين:** وهي البلاد التي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها مسلمون، وهذا الصنف غير موجود اليوم وسيقوم قريباً بإذن الله.

٢- **ديار إسلام أهلها كافرون:** وهي البلاد التي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها غير مسلمين، وهي كالبلاد التي فتحها المسلمون الأوائل ولم يدخل أهلها في الإسلام.

٣- **ديار كفر أهلها مسلمون:** مثل حال جميع بلاد المسلمين التي تحكمها الأنظمة المرتدة اليوم بقوانين الكفر، والمسلمون أكثرية شعوبها.

٤- **ديار كفر أهلها كافرون:** مثل عموم بلاد الدنيا غير بلاد العالم الإسلامي اليوم.

ويترتب على هذا اليوم أحكام شرعية كثيرة تجب معرفتها، نظراً لغياب الكيان السياسي للمسلمين وعدم وجود الإمام المسلم، ومن أهم تلك الأحكام:

أ- **للمسلم في أي من تلك الديار، في كل مكان؛ حصانة الدم والمال والعرض** بشهادته أن (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**)، لا تحفز ذمته ولا يعتدي عليه.

ب - **يجب العمل على نصب الإمام المسلم في ديار المسلمين** وطاعته في المعروف حيث وجد.

ج - **ليس للحكام بغير ما أنزل الله في ديار المسلمين اليوم أي شرعية وأي طاعة** وأي ذمة أوأمان، ويحرم التعاون معهم وجباية الأموال إليهم طوعاً، ويجب التقرب إلى الله بعصيانهم، والعمل على خلعهم، واستبدالهم بالإمام المسلم حيث أمكن ذلك، وتوفرت القدرة علية.

- **المادة ٣٦:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية إقامة المسلم في بلاد الكفار، وبين ظهراني المشركين محرمة إلا لضرورة، وقد جاءت نصوص السنة الصحيحة الصريحة المفصلة بالنهي عن ذلك.

ففي الحديث الحسن الذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[١]، وفي الحديث الحسن الّذي رواه النسائي: «لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»[٢].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ»[٣].

وقد ترتب على إقامة المسلمين هناك مفاسد عظيمة عليهم في دينهم ودين ذراريهم، واليوم تشتعل الحرب الصليبية، وتجاهد سرايا المقاومين المجاهدين في سبيل الله جيوش الصليبيين في بلادنا، وتصل عملياتها إلى بلادهم، وقد ترتب على هذا ردود فعل من تلك المجمعات أدت إلى ظلم المسلمين وتعرضهم للفتنة في دينهم ومظاهره وحجاب نسائهم، وقد صار بعض المسلمين يميلون إلى ترك أساسيات من دينهم خوفاً من الكفار، ويظهرون موالاتهم لهم، والبراءة من المجاهدين في سبيل الله، وبناء على ذلك:

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المسلمين المقيمين في بلاد الغرب وديار الكفر والكافرين إلى أمرين اثنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد المسلمين، ولو أدى ذلك إلى خسارة في الأمور الدنيوية، والتعرض لظلم حكومات الردة، فإن مصلحة حفظ الدين ودين الأبناء، مقدمة على حفظ الدنيا ورفاه العيش، لمن لم يكن مضطرا أمنيا لذلك.

ثانياً: تذكر دعوة المقاومة كل مسلم مقيم في ديار الغرب وحتى من أهلها الأصليين، بأن فريضة جهاد حكومات تلك الدول الكافرة الغازية الداخلة في حلف الأمريكان واليهود، هو فرض عين عليه، مثله مثل كل مسلم في كل مكان، وأداؤه أسهل عليه من المجاهدين غير المقيمين الذين يقصدون تلك البلاد لردع حكوماتها عن العدوان عن المسلمين، فعليهم مقاومة تلك الحكومات وجهادها وضرب مصالحها واستهداف حكامها وقواها السياسية والاقتصادية، بضوابط أحكام الشريعة والتميز بين من يستحق الاستهداف ومن لايستحقه.

انتهى.

(١) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعف إسناده الأرنؤوط، وصحح الحديثَ الألباني.

(٢) رواه النسائي (٢٤٣٦) وابن ماجة (٢٥٣٦) وأحمد (٢٠٠١١، ٢٠٠٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٦٢) والبيهقي في الكبرى (١٧٧٥٠) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢٨١٨).

أسس النظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

معظم التجارب الجهادية لم يكن لديها نظريات سياسية مفصلة، ولا موجزة في بعض التجارب وللأسف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفارق بين الهدف السياسي الرئيسي للتنظيمات الجهادية (وهو إسقاط الأنظمة القائمة وإقامة نظام إسلامي) وبين الهدف من دعوة المقاومة وهو (دفع صائل المحتل الغازي ومن يعاونه).

أولاً: مدخل ومبادئ عامة:

(١) - مكانة السياسية الشرعية:

السياسة علم وفن وجد منذ وجد البشر، وقد تطورت منذ قديم الزمان، إلى أن وصلنا إلى هذه العصور الحديثة التي أصبح مدار حركة البشر ومصالحهم عليها وعلى تعلقاتها، ومفهوم السياسة عند المسلمين يختلف عن مفهومها عند غيرهم، ومن أوجز التعبير على حقيقتها عندهم، ما قاله (مونتغمري) القائد العسكري الإنكليزي الشهير في الحرب العالمية الثانية، عندما قال:

(**الحرب عمل قذر.. وأما السياسة فيا الله!**).. ويكفي أنهم أقاموها على قولهم..

(ليس في السياسة علاقات دائمة.. ليس في السياسة مبادئ دائمة.. في السياسة مصالح دائمة..).

وقد أصبح مدار السياسة اليوم، مع سيطرة قوى الكفر والظلم والطغيان في العالم الكافر، وكذلك في عالمنا قائمٌ على الأسس (**الميكافيلية**)، التي تهدم أمام المصالح والأغراض والأهواء كل دين وخلق ومبدأ، حيث لا يعتبر نكث العهود، وتغير المواقف ونقض المبادئ، وهتك أساسيات الأخلاق عيباً، لأنه صار عرفاً متعارفاً عليه.

ولكن السياسة لدينا نحن المسلمين شيء آخر، مثلها مثل كافة أوجه نشاط الإنسان، فهي محكومة بأحكام شرعية، وداخلة في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ومن هنا اصطلح على أصولها وعلومها وما يتعلق بها عند المسلمين؛ مصطلح (**السياسة الشرعية**).

أحكام السياسة الشرعية هي: أحكام شريعة + فقه واقع ومعطيات سياسة

(٢) - العلاقة بين الشريعة والسياسة هي علاقة الثابت بالمتحول:

والفتوى والحكم في مسائل السياسة الشرعية، مثلها مثل كل منطلقات كل فتوى، مركبة من معرفة أحكام الشريعة الثابتة وأصولها وقواعدها، ثم معرفة تفاصيل الواقعة المطلوب الحكم فيها، ثم تطبيق تلك الأحكام بعد العلم على تلك الواقعة بعد الفهم، فيصل المفتي إلى الاجتهاد الصحيح أو الذي يكون على الأقل فيه بين أجر المخطئ وأجري المصيب.

و الأحكام الشرعية نوعان؛ نوع ثابت لا تبديل فيه لثبات الأسباب ومناطات الأحكام، مثل مسائل أحكام العبادات والمواريث..إلخ، فلا تتبدل فيها الأحكام قديماً ولا حديثاً، ونوع يتعلق بتطور أوجه نشاط البشر وحدوث المسائل، مثل كثير من أحكام المعاملات والتجارات والمسائل المالية المستحدثة على سبيل المثال.

وتأتي السياسة في طليعة الأمور التي ضبطت فيها الشريعة الأحكام، ضمن خطوط عريضة، وعلقت فيها كثير من الأمور على مترتبات نتائج المصالح والمفاسد، وتقديرات أهل الرأي والتجربة والخبرة، بحيث يكون العمل حلالاً مشروعاً بشروط أسباب معينة يقدرها أهل المعرفة فيها، وقد يكون حراماً إذا أنتفت تلك الشروط، بناءً على نفس القواعد الشرعية، وهي من الأبواب التي يتسع فيها القياس، واستصحاب الظروف والأحوال، والاستحسان والعرف، كما يتسع فيها باب المصالح المرسلة، وأحكام الضرورات، ولذلك فإنها تحتاج من المتصدرين لها إلى أن يجمعوا ثلاثة أمور مجتمعة:

أولها علم بالشريعة، وثانيها فقه في الواقع، وثالثها تقوى عالية تنزههم عن الهوى، ولنضرب أمثلة مما يألف الناس أحدهما من الأحكام الثابتة وثانيهما من المتحولة.

فأحكام الطهارة والعبادات كلها ثابتة فكل حدث ينقض الطهارة يحصل مع الإنسان اليوم كما يحصل مع كل إنسان منذ خلق الله، فثبتت الأحكام، وأحكام العبادات كلها توقيفية وتفصيلية.

ولنضرب مثلاً عن المتحول، بقاعدة الخروج على الحاكم الكافر الذي بدا منه الكفر البواح والنص صريح صحيح في الكتاب والسنة، ولكن الفقهاء قالوا في الفتوى الشهرة المنقولة عن القاضي عياض، إذا كفر الحاكم وارتد بخروج المسلمين عليه وخلعه إن ظنوا القدرة على ذلك!

فمن الذي يقدر ظن القدرة! وهل تستوي فيها أفهام الناس؟ وكم من العوامل تتشابك في ذلك وتبدل تقديراتهم؟ وكم يحتاج هذا للفهم والضبط والتقوى والسلامة من الهوى، وقل مثل ذلك عن مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فريضة، وقد شرطها العلماء لذلك بأن ينتج عنها معروف ولا ينتج عن الأمر منكر أكبر، فتصير حراماً، فمن الذي يقدر النتائج حتى يحل شكلا من أشكال الأمر والنهي أو يحرمه؟!. وهكذا الاستعانة بغير المسلم في دفع الصائل على المسلمين، حيث اتفق العلماء كلهم حتى من حرم الإستعانة

بغير المسلم في الجهاد مثل الظاهرية وغيرهم، اتفقوا على أنه إذا أشف أهل الإسلام على الهلكة؛ جاز بالاتفاق، وفي غير هذه الحالة، جاز عند البعض واختلف آخرون، فما مناطات الحكم في تلك الأحكام؟، إنها تقديرات العدول الأتقياء، أصحاب الخبرة والتجربة من أولي الأحلام والنهى ورؤوس الناس وعلماؤهم الأتقياء!..

فالشريعة وأحكامها ثابتة، تطبق على واقع حركة البشر ونواياهم وقلوبهم وسلوكهم، وكلها متحولة، فتكون النتيجة أن أحكام السياسة الشرعية مرنة متحولة، ضمن إطار ثبات عموم أساسيات أصول الشريعة، ولذلك كان القول فيها من أدق وأصعب الأمور، وربما كان هذا أصعب أبواب الفقه والفتوى وأخطرها على الإطلاق.

(٣) - أعمال المقاومة ومجالاتها: فريضة شرعية وأحكام شرعية وحقيقة سياسية:

عرف المعاصرون من علماء الاجتماع والسياسة (الحرب)؛ بأنها: هي السياسة بأساليب عنيفة، وهذا صحيح، فكل الحروب والصراعات، هي الوجه العنيف للعلاقات السياسية، عندما تنقطع سبل التفاهم بالوسائل الدبلوماسية والسياسية.

وقالوا بأن الحروب هي وسائل السياسة، وهذا صحيح أيضاً، فالجهاد فريضة شرعية، وأحكام دينية ولكن قواعده وأصوله وما ينجم عنه، سواءً كان جهاد طلب أم جهاد دفع، هو مجال للعلاقات السياسية بالعدو والصديق، وتنجم عنه أوجه نشاط وعلاقات كلها ذات طبيعة سياسية.

ولا يمكن لأعمال المقاومة بمفهومها الشامل أن تحقق هدفاً، وأن يكون لها نتيجة بدون برنامج استثمار سياسي، للتضحيات الجهادية والأعمال العسكرية، التي يجب أن تبرمج كلها بحيث تكون وسيلة لهدف.

فالوسيلة العسكرية هي من أجل دحر الغزاة، وإخراجهم من بلادنا، وصرف كيدهم عنا، وإسقاط أنظمة حلفائهم، وإقامة أنظمتنا الشرعية المستقلة، فهي وسيلة لأهداف كلها سياسية!

ولأنها محكومة بثوابت شريعتنا، فإنا نعرف المقاومة بأنها:

(أعمال الجهاد المسلح لتحقق أهداف سياسية شرعية، لدفع صائل العدو ولإعلاء كلمة الله ورفع رايته وتحكيم شرعه)

(٤) - أعمال المقاومة نوع من حروب العصابات، وهي عمل سياسي:

أسلوب حروب العصابات، فن استراتيجي مكون من تكتيكات عسكرية أصبحت معروفة ومدروسة، وصارت علماً له أصوله، حيث يوظف الضعيف أعماله ضمن إمكانياته القليلة، من أجل إجهاد الخصم عبر الحرب الطويلة المدى لإدخال في أوضاع سياسية تضعه أمام خيار الانسحاب أو الانهيار من داخله.

ولم تكن حروب العصابات أبداً في تاريخها كله، حروب تدمير شامل لقوى الخصم وجيوشه من أجل كسب الحرب، بل لم تعد معظم الحروب في العصور الحديثة، تنهي الصراع بالدمار المادي للخصم إلا في حالات نادرة جداً، وإنما صارت الحروب وسيلة لإدخال العدو في أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية تضعه في حال الهزيمة والاندحار.

والخلاصة أن النصر العسكري في أعمال المقاومة ذو طابع سياسي، ولا يمكن أن يحقق بدون وسيلة عسكرية فاعلة، ومقاومة تحقق ضربات وخسائر حقيقية على الأرض.

(٥) - المقاومة ونظرية التجنيد، والتحييد وو التفكيك:

تتكون ساحة الصراع بين كل طرفين متخاصمين وكذلك بين المقاومة وأعدائها من الطيف المتدرج التالي:

١- أعضاء المقاومة.

٢- أنصار المقاومة ومؤيديها.

٣- الحياديون بين المقاومة ومعسكر الخصم.

٤- أنصار أعداء المقاومة ومؤيديهم.

٥- الأعداء المحاربون للمقاومة.

وتنصب جهود الدعوة والعمل السياسي لكل مقاومة، ولكل طرف في أي صراع كان، عبر الوسائل الإعلامية والسياسية، وحتى العسكرية على تحويل ما أمكن من المكونات والعناصر والكتل من الصف الخامس وهو معسكر العدو المباشِر للمواجهة، إلى الصف الرابع ليكون مناصراً للعدو فقط، دون مباشرة القتال والعون، وتحويل هذه الطبقة من الصف الرابع إلى الثالث ليكون محايداً في هذا الصراع الدائر، وتحويل هذا إلى الصف الثاني في ليكون مناصراً للمقاومة، دون مشاركة لها في الدفع والعمل، وتحويل هؤلاء ما أمكن ليكونوا أعضاءً في المقاومة بالآلية التالية:

٥- معسكر العدو ← ٤- مناصر للعدو ← ٣- محايد في الصراع ← ٢- مناصر للمقاومة

↘ ١- مشارك في مقاومة.

وعندما تؤدي مجموعة الأعمال العسكرية أو السياسية أو الإعلامية أو سوى ذلك من الممارسات، إلى عكس هذا المسار، ويقل المناصرون ويصبحوا محايدين، وينتقل المحايدون إلى نصرة العدو وتأييده، وينضم بعض المناصرين للعدو عن بعد إلى معسكر العدو..!!

فليعلم هذا الفريق أن الله قد ابتلاهم بقيادة تسوقهم إلى قدر الفشل والهزيمة، وأن برنامج عملهم وأسلوب حركتهم مبني على أسس خاطئة.

(٦) - نظرية الحشد، ومفتاح الصراع، والمناخ الجهادي:

في الكتب التي عنت بالحديث عن مقومات الثورات وأصول المقاومة وحروب العصابات تجد هذه المصطلحات..

- **نظرية الحشد:**

ويقصد بها مجموعة الأعمال السياسية والدعائية التي توفر للمقاومين اتساع دائرة الأنصار والمؤيدين التي توفر لهم تجنيد العناصر الجدد، كما توفر لهم الخدمات اللوجيستية، وإمكانية الاختفاء والتزود باللوازم المادية والمعلومات.

- **مفتاح الصراع:**

وهو مجموعة الشعارات والأهداف والقضايا التي تطرحها المقاومة لإقناع الناس بقضيتها وعدالتها وتأهلهم ليكونوا ضمن حشد الأنصار أو الأعضاء، ونحن نطلق عليه مصطلح:

(**مفتاح الجهاد والمقاومة**) ليتناسب مع منهجنا وطرحنا الشرعي الإسلامي.

- **المناخ الثوري:**

ويقصد به الجو العام ووصول الرأي العام إلى القناعة، بالعمل المسلح، حيث تهون على الناس عند ذلك التضحيات، نظراً لما هم فيه من سوء الحال وما يعانونه عملياً، سواءً كان ذلك بسبب انتهاك المقدسات الدينية، أو الأعراف والتقاليد الاجتماعية، أو قتل الأنفس، أو تهديد الأعراض، أو نهب الأموال، أو هدر الكرامة الوطنية، أو الاحتلال الأجنبي، أو الظلم أو الفقر والفاقة إلى آخر ذلك.

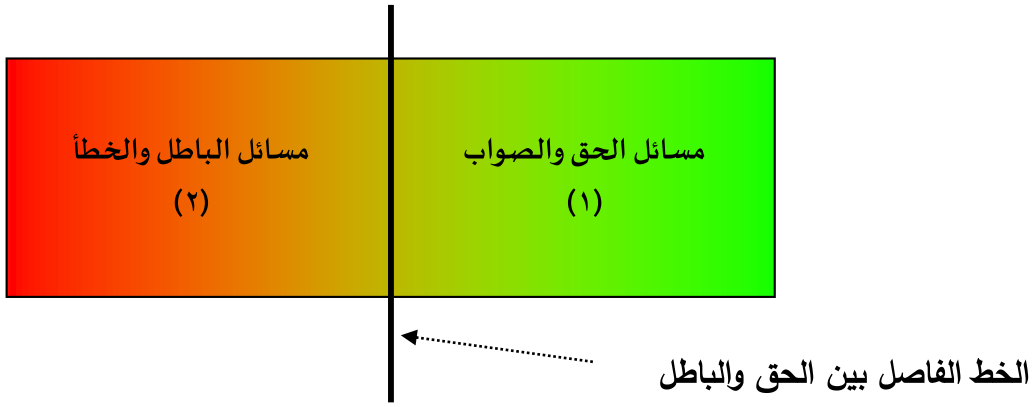
ونحن نسمي هذا (**المناخ الجهادي**) ليناسب فكرنا وطرحنا.

وهو الجو العام الذي يصل فيه المسلمون إلى القناعة بالتضحية والسير في طريق الجهاد المسلح في سبيل الله.

(٧) - حدود دائرة الصراع ونظرية الخط الفاصل بين مسائل الحق والباطل:

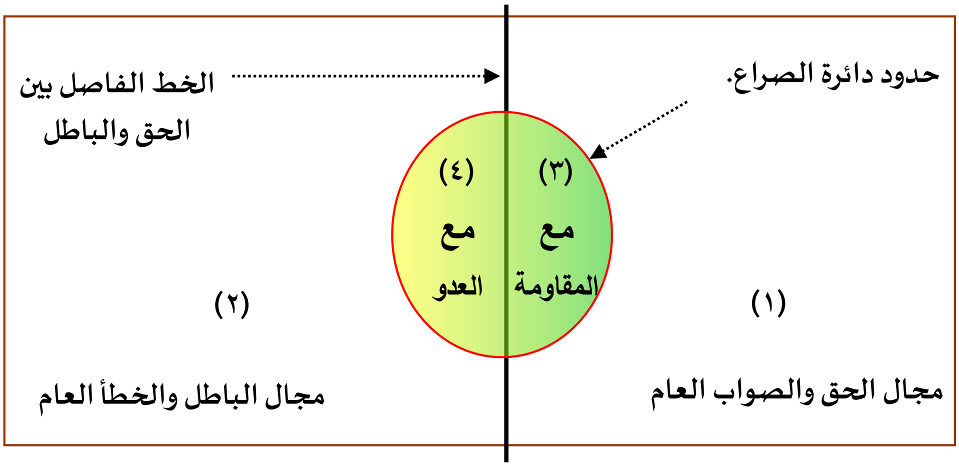
في مقابل كل حق وصواب تشتمل عليه أصول هذا الدين، هناك باطل أو خطأ مناقض مضاد له وهذا من طبائع الأشياء، ومن سنن الخليقة؛ فما مادام أن هناك حق، فهناك باطل، وهناك صراع بين حملة هذا وذاك، وما دام أن هناك صوابٌ فهناك خطأ، وهناك تناقض بينهما وتباين بين أصحابهما.

نمثل هذا برسم هندسي على الشكل التالي:



فلا يمكن لأي مسألة أو رأي أو قول أن يكون حقاً وباطلاً في آن واحد، ولا أن يكون خطأ وصواباً في نفس الوقت، فهذا لا يحتمله العقل ولا المنطق وهذا بدهي.

ولكي لا تتشعب بنا مسائل الصراع والخلاف في كل مسائل الحق والباطل والخطأ والصواب، نمثل لحدود مسائل صراعنا كمقاومة، ضد أعدائنا، نمثلها بدائرة لها حدود تحد مسائلها كلها العقدية والفكرية والسياسية والإعلامية... الخ، ونسميها حدود دائرة الصراع.



- مسائل الحق والصواب فيما لا يدخل ضمن دائرة الصراع وحدودها ومجالها: (١)
- مسائل الباطل والخطأ فيما لا يدخل ضمن دائرة الصراع وحدودها ومجالها : (٢)
- مسائل الحق والصواب فيما يتعلق بقضايا صراع المقاومة مع أعدائها ومجالها: (٣)
- مسائل الباطل والخطأ فيما يتعلق بقضايا صراع المقاومة مع أعدائها ومجالها: (٤)

ونحن نوضح هذا الشكل لنقول:

أنه ولكي تحقق المقاومة أهدافها ومن باب ترتيب الأولويات وتقديم المهم على الأهم، واستجلاب المصالح ودفع المفاسد، واختيار أعظم المصلحتين بأدناهما، ودفع أعظم المفسدتين بأدناهما إن كان الخيار اضطرارياً،

فعلينا ومن باب الاختصاص التفرغ اليوم للانشغال في مواجهاتنا، بما يتعلق بقضايا (دعوة المقاومة)، سواءً كانت مواجهات عسكرية جهادية أو سياسية أو إعلامية أو فكرية أو أدبية أو كل ما يشغلنا ويأخذ منا أي شكل من أشكال الجهد، أو يعرضنا لأي شكل من أشكال التكاليف، علينا أن ننشغل بالمسائل المحدودة ضمن إطار حدود دائرة الصراع، وكل ميسر لما خلق له.

ولباقي أبواب الخير والحق والسعي فيه أهلها، ومن أهتم بها وانصرف إليها من المسلمين، أعانهم الله على ما صرفوا أنفسهم إليه وتقبل منهم.

فكل فكرة أو رأي أو سلوك أو قول أو فعل يساعد على إطلاق المقاومة، أو تنميه جذورها بشكل مباشر فهو مقصد من مقاصد المقاومة لها في رأي وقول وعون، وكل نقيض لذلك مما يعطل المقاومة ويجفف جذورها ويعين أعداءها، فلدعوة المقاومة فيه موقف تتصدى له بما يناسبه بالأسلوب العسكري أو السياسي أو الإعلامي أو أي وسيلة مشروعة، وكما يجب أن لا نتشعب ونضيع جهودنا فيما لا طائل من ورائه من الأقوال

والأعمال، والدخول في صراعات الحق والباطل والخطأ والصواب التي لا تنهي، يجب أن نهتم بكل مسألة داخلة ضمن حدود دائرة الصراع.

فأشكال البدع الكثيرة المتفشية اليوم في المسلمين، والانحرافات، والقبوريات، والضلالات، ومظاهر الفسوق، والمعاصي...إلخ. لا تنهي وكلها من مظاهر غياب الإمام الشرعي، وعدم الحكم بالشريعة، ظهرت بزوالها، وتزول بظهورها.

فهذه المسائل تقع في المجال (٢)، ولها من يتصدى لها من الدعاة والعلماء في المجال (١) وكل أشكال والانحراف السلوكي والخلقي والرشاوى والفساد...الخ، هي كذلك مظاهر من ضنك العيش لإعراض أكثر الناس حاكمهم ومحكومهم عن ذكر الله، وهي مظاهر لغياب شرع الله، وتزول بتحقيقه، وهي مسائل من المجال (٢)، أيضا، ولها من تصدى لها من المجال (١).

وأما لو قام مفتي يفتي بأن جيوش الأمريكان ومؤسساتهم هم مستأمنون معاهدون، لا يجوز العدوان عليهم..!! فهي مسألة لها موقع في المجال (٤)، ويجب أن نتصدى لها بما يناسبها من جهاد الحجة والبيان بجهد من المجال (٣). ولو قامت مؤسسته للتطبيع مع الحملات الفكرية الأمريكية تضل الناس وتنسف أصول دينهم، كهذه التي أقاموها في وادي عربة، على الحدود الأردنية الإسرائيلية، وغيرها كثير، فهو فعل واقع ضمن دائرة الصراع في المجال (٤)، ويجب أن نتعامل معه بجهاده ونسفه وإزالته، **واغتيال** القائمين عليه من الكفار أو من المنافقين من مواطنينا، وذلك بفعل من أفعال القتال والمقاومة من مجالنا (٣)، وهكذا..

وبذلك نلخص هذا الشرح الذي أوضحنا بالشكل ليسهل فهمه:

بأن دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تتصدى للمسائل المتعلقة بحدود دائرة الصراع مع العدو الصائل وحلفائه سواءً كانت من مسائل جهاد البيان أو جهاد السنان، وتعرض عن الانشغال بما وراء ذلك، لا زهداً في الحق والصواب، فكل حق مقدس بذاته، وإنما من باب الاختصاص وتقديم الأولويات وجمع جهود الأمة التي لا تكاد تكفي مجمعته على دفع هذا البلاء العظيم النازل بنا عقاباً من الله لأقوام، وامتحاناً لآخرين، ونسأل الله الفوز والسلامة.

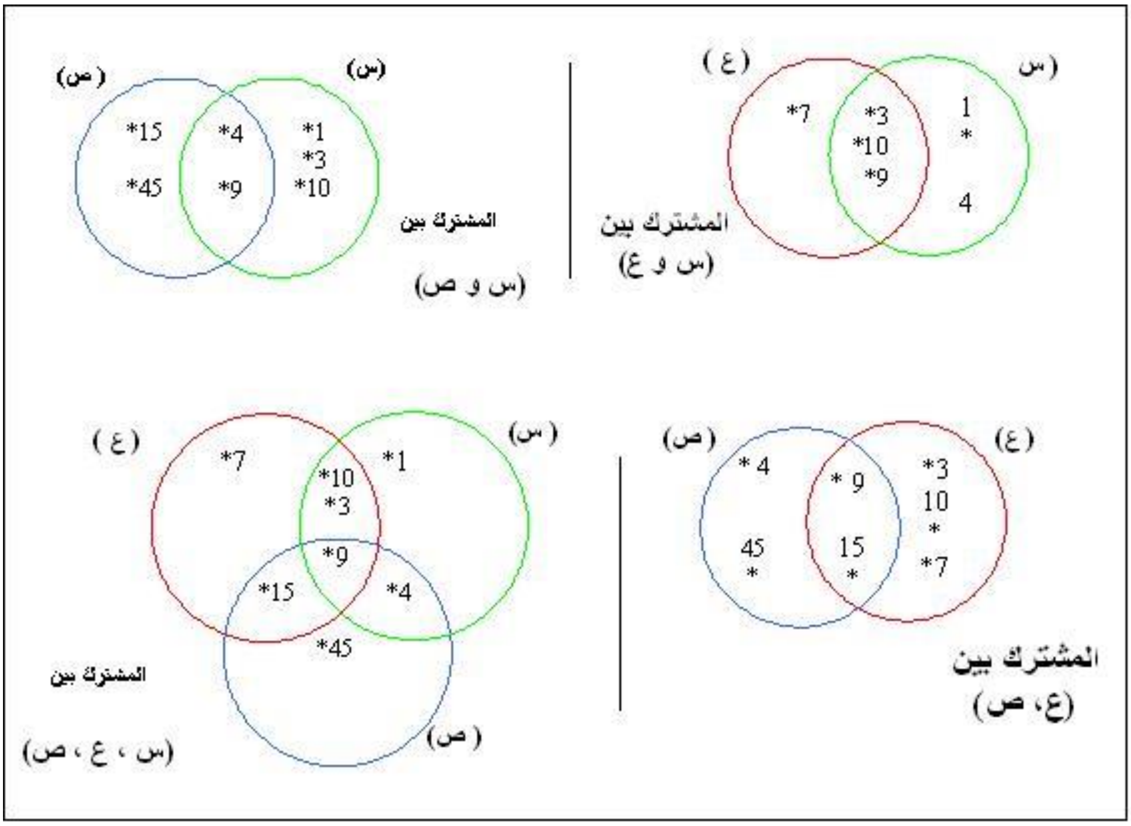
(٨) - مفهوم القواسم المشتركة في مسائل الصراعات السياسية بين الأطراف المختلفة:

من مبادئ الرياضيات الحديثة البسيطة التي تدرس اليوم لطلاب المرحلة الابتدائية ما يصطلحون عليه باسم (أشكال ven)، وهي تعبر عن المجموعات وعناصرها، والمعادلات الرياضية والقواسم المشتركة بين مختلف المجموعات بالرسوم، وهي فكرة بسيطة تساعد جداً في فهم مسألة القواسم المشتركة في عالم

السياسة بين المجموعة المنفصلة، والمختلفة والمتناقضة وحتى المتخاصمة، والمثال البسيط التالي يوضح مبدأ ذلك:

لو كان لدينا مجموعة أعداد:{س = (١٠، ٩، ٤، ٣، ١) }. ومجموعة أخرى:

{ع = (١٠، ٩، ١٥، ٧، ٣) }، وثالثة: { ص = (٤٥، ١٥، ٩، ٤) }، سنجد بالملاحظة أن الأرقام المشتركة بين (س) و(ع)، هي (١٠، ٩، ٣)، والمشتركة بين (س) و(ص) هي (٩، ٤)، والمشتركة بين (ع) و(ص) هي (١٥، ٩) والمشتركة بين الثلاثة (س) و(ع) و(ص) هي: (٩) فقط، وهذا يعبر عنه بالرسم المبسط:



وهذا التصوير الرياضي البسيط يعطي فكرة عن مفهوم القواسم المشتركة بين المجموعات المستقلة في عالم السياسة أيضا،

حيث نطلق على القسم الحاوي للعناصر المشتركة بين مجموعتين أو أكثر مصطلح: **(القاسم المشترك)**، فإذا انتقلنا إلى عالم المجموعات في مفهوم السياسة والأفكار والمبادئ والمصالح والمعتقدات... الخ نجد أن مفهوم (القاسم المشترك) هو ذاته، فمثلاً: (القاسم المشترك) بين كل مسلم من أهل القبلة هو مبادئ الإسلام العامة ومعتقداته الأساسية المتفق عليه مثل (الإيمان بالله رباً الإيمان بمحمد نبياً، وبالقرآن كتاباً، الصلاة للقبلة...) وتوابع ذلك من المتفق عليه لدى ما يسمى (أهل القبلة)، وهي مجال كبير من المعتقدات والمبادئ.

وكذلك قضايا الإسلام ومقدساته وتاريخه وما إلى ذلك، وكلها قواسم مشتركة بين المسلمين وهو مجال متسع رحب لا يحصر.

ومواجهة أمريكا ودفع صائلها على المسلمين هو (قاسم مشترك)، بين كل أهل القبلة.

وخسارة أمريكا وهزيمتها، والعمل على ذلك، هو (قاسم مشترك) بينهم وبين كل أعداء أمريكا ومن يهمهم هزيمتها حتى من الكافرين.

فكل الصراعات في عالم السياسة على نظام التحالفات، والمصالح المشتركة بين أصحاب (القواسم المشتركة)، ضد الخصم المشترك.

ويؤدي حسن فهم مصطلح (القواسم المشتركة)، إلى تفهم القواعد المجاهِدة وأنصار المقاومة للقرارات السياسية التي تتخذها قيادات الجهاد بالدخول في تحالفات مباشرة أو غير مباشرة، مع قوى أخرى قد تكون مباينة في المنهج أو المعتقد لجماعات المقاومة، تلك القوى التي جمعها مع المقاومة قاسم مشترك في عداء ومواجهة أعداء المقاومة المشروعة، حيث تتحرك تلك القيادات للتعاون مع أصحاب تلك القواسم المشتركة في ضوء ضوابط قواعد السياسة الشرعية، وما تتيحه أحكام الضرورة على بصيرة من الحسابات الأمنية والسياسية والعسكرية.

(٩) - مفهوم العلاقة، ومفهوم التأثروالتأثير في العلاقات، وشبكة العلاقات السياسية:

- **مفهوم العلاقة:**

نطلق كلمة (علاقة) على كل طريقة ارتباط بين عنصرين أو مجموعتين أو كيانين.

الرابطة بين الأخوة تسمي:	(علاقة أخوة)
و الرابطة بين الزوج وزوجته:	(علاقة زوجية)
وبين المتحابين:	(علاقة حب)
وبين المتحاربين:	(علاقة حرب)
وبين أصحاب المصالح:	(علاقة مصالح مشتركة)
وبين من لا علاقة بينهم البتة:	(علاقة معدومة)

وهكذا.. (علاقة جوار) (علاقة دبلوماسية) (علاقة تحالف)

(علاقة تعاون).. إلى آخر المصطلحات الكثيرة التي تتداول اليوم.

- **مفهوم التأثيروالتأثر المباشروغير المباشر بين العناصروالجماعات:**

- كل علاقة تقوم بين طرفين، ينتج عنها تأثر وتأثير مباشر من كل واحد منهما بالآخر بنسبة تزيد أوتنقص بحسب مقومات وخصائص كل منهما، كما وتتؤثر هذه العلاقة أيضا بشكل غير مباشر بعناصر أخرى جانبية تربطها بهذين العنصرين علاقات مباشرة، وهذا يتضح بالمثال.

في عالم التجارة مثلاً، إذا كان في السوق أربع شركات (١)، (٢)، (٣)، (٤) وكانت هناك علاقة مباشرة بين الشركتين (١) و(٢)، وبين الشركتين (٣) و(٤)..

فبطبيعة الحال هناك علاقة غير مباشرة بين الجميع وهي علاقة الوجود في السوق، فلو قامت علاقة مباشرة بين الشركة (٢) والشركة (٤)، ستؤثر الشركتان على بعضهما بعلاقة تأثير وتأثر مباشر بحكم هذه العلاقة، ولكن هذا سيؤدي إلى نشوء علاقة تأثر وتأثير غير مباشر بين (١) و(٤) من الدرجة الأولى وعلاقة بين (١) و(٣) كذلك من الدرجة الثانية بسبب علاقة (٣) و(٤).

ومن هنا نستطيع القول أن جميع العناصر المشتركة بالتواجد في مجال واحد تقوم فيما بينها علاقات تأثير وتأثر من مراتب متدرجة، وفق شبكة علاقات متشابكة.

فإذا ما دخلنا في عالم العلاقات السياسية فإننا سنجد هذا أمراً بالغ الوضوح وبالغ التعقيد، **ولا بد أن يفهم المنخرط في معركة العمل السياسي، وخاصة المعارك السياسية ذات الطابع العنيف، من قبيل ما نحن بصدده (مقاومة × محتلين وحلفائهم)، أن يفهم طبيعة شبكة العلاقات المحلية، والإقليمية، والدولية، وطبيعة علاقات التأثروالتأثير المباشروغير المباشر، من كل المراتب بين كل تلك العناصر.**

فينشأ عندنا ما يسمى شبكة علاقات، فإذا ضربنا مثالا من صميم مسألة صراع المقاومة اليوم في العالم العربي والإسلامي ضد أمريكا وحلفائها، فإننا نجد المعطيات لو بسطناها إلى حد كبير على الشكل التالي.

١- محور أمريكا:

- أمريكا: تربطها علاقة عضوية ومصيرية بإسرائيل.

- أمريكا: تربطها علاقة قوية جداً ببريطانيا.

- أمريكا: تربطها علاقة أقل درجة ببعض الدول الغربية يأتي في طليعتها أستراليا، وإيطاليا، كندا، اليابان

- كما تربطها علاقة حلف (تابع ومتبوع) بمكونات أخرى من دول أوروبا الشرقية وبعض دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

-وتربطها علاقة حلف صليبي بروسيا، وبكافة مكونات دول العالم الصليبي.

وهذه العلاقات ليست عشوائية فهي قائمة على معتقدات وأفكار، وعلى معاهدات واتفاقيات، وعلى أحلاف ومصالح، وعلى ضغوطات.

في المقابل: نجد أن هناك كتلة أخرى في الجانب المحارب لنا أيضاً ولكن ذو طبيعة مختلفة وهو المحور الأوروبي المستقل.

٢- محور أوربا:

فرنسا، ألمانيا، روسيا، أسبانيا، بلجيكا... ومعها مجموعة من الدول الأوروبية ومن يدور في فلكها، من بعض ما تبقى لها في مجالات التأثير في بعض دول أفريقيا وآسيا..

٣- علاقات ضمن المحورين:

ترتبط كافة مكونات هذين المحورين بأحلاف من المهم معرفتها وأهمها:

١- حلف الناتو: الذي يربط معظم المكونات الرئيسية لهذين المحورين، ويتكون من (٢٦) دولة.

٢-الاتحاد الأوروبي: ويربط أهم مكونات المحور الثاني، ويتكون من (٢٥) دولة حتى الآن يزيد مجموع سكانها على ٤٥٠ مليون نسمة، حيث تنتظر دول أخرى الدخول فيه، ويتوقع أن يصل إلى نحو ٤٠ دولة.

ومما يزيد الأمر تعقيداً..

أن في عالم السياسة غالباً ما ترتبط العناصر بعلاقات متناقضة متشابكة بالغة التعقيد فمثلا؛ اليابان وأمريكا وأوروبا يبدون حلفاء على ما أشد ما يكون الحلف قوةً في المجالات الدولية، والعسكرية ولاسيما إذا ما تعلق الأمر بالصراع مع المسلمين، ولكنها في مجالات كثيرة ولاسيما في السباق على المصالح الاقتصادية تمثل ثلاث محاور شبه متحاربة اقتصادياً هي محور أمريكا، ومحور أوروبا، ومحور اليابان ودول شرق آسيا، ولو تخيلنا شبكة تصور تلك العلاقات المباشر وغير المباشرة من كل الدرجات، فإن اهتزاز الوضع في أي عقدة من عقد الشبكة (دولة ما) لأسباب داخلية أو خارجية، وكذلك أي اهتزاز أو تصدع لرباط علاقة بين عقدتين (دولتين). سيؤدى إلى اهتزاز العناصر جميعها بحسب قربها وبعدها عن موقع الاهتزاز، وأحياناً يؤدي الاهتزاز إلى تغير مكونات بعض العقد، أو تقطع أواصر بعض العلاقات والروابط، وإذا ما كان الإهتزاز شديداً أو انفجارياً فإنه قد يؤدي إلى خرق الشبكة في بعض أجزائها أو تقطع أوصالها ليعاد نسجها ورسمها من جديد.

وهذا ما يحصل إبان الأحداث الكبرى من قبيل ما حصل بانهيار الإتحاد السوفيتي، الذي تبعه انهيار جدار برلين وإعادة رسم خريطة أوروبا وقيام النظام العالمي الجديد.

ومثل ما يحصل اليوم بانطلاق أمريكا نحو الحلم الإمبراطوري، وتوجهها للحملات الصليبية، وما يؤدي إليه هذا من الانقلابات في العلاقات بين الشرق والغرب، وبين مكونات الشرق فيما بينها، وكذلك بين مكونات الغرب وبين الجميع، وهكذا....

وإذا ما أردنا التأثير على توازنات مثل هذه الشبكات أو إعادة ترتيبها لصالحنا، أو الخروج من اهتزازاتها بأقل الخسائر، فإن هذا يتوقف على عاملين اثنين هامين ومتلازمين:

- **أولا:** فهمنا الدقيق التفصيلي لطبيعة اللعبة وأطرافها وروابطها وعلاقاتها وجميع مكوناتها، بمعنى فهم تركيبة الطرفين المتصارعين، طرفنا وطرف العدو وما بينهما من أطراف الحياد، والقدرة على توظيف تلك المعرفة لصالحنا.

- **ثانيا:** القدرة الذاتية مادياً ومعنويا على إحداث التأثير، وهذا بحسب المعطيات والإمكانيات في عالم الأسباب، وسبحان مسبب الأسباب ومالك الملك، فكثيرا ما يتوفر الفهم ولكن لا تتوفر الأسباب المادية لتحويله إلى حركة وعمل مؤثر، وهذا من القهر تحت حكم الظرف.

(١٠) - الاستراتيجية والتكتيك وهوامش المناورة السياسية:

هذه المصطلحات الثلاثة من المصطلحات كثيرة التردد في مجالات العمل السياسي والعسكري وحتى في مجالات النشاط الأخرى، وما يعنينا منها هنا البعد السياسي للمقاومة، وقد عرفت هذه المصطلحات تعريفات كثيرة، ولكني أبين ما يهمنا من فحواها باختصار:

- **فالاستراتيجية:**

هي الخطوط الرئيسية لبرنامج مخطط ما، والتي توضع لتحقيق الأهداف من ذلك البرنامج، وتتميز الإستراتيجية بأنها تقوم على جملة من المعطيات والقدرات الحقيقية على تنفيذه.

ومن صفاتها الأساسية الثبات النسبي، فهي على عكس التكتيكات، ولكونها كما هو مفروض قامت على ثبات المعطيات العامة، يجب أن تتميز بالثبات، إلا إذا عصفت مفاجآت ما بظروفها المحيطة ومعطياتها، وعند ذلك يجب تغير الإستراتيجية كلياً وغالباً ما يكون ثمن هذا التغيير فادحاً، مادياً ومعنوياً وحركياً وعلى كل صعيد، ويحتاج إلى قيادات أزمة تسيطر على تحديد تبعات انهيار الإستراتيجية ووضع بديل لها، ومن البديهي أن نعرف أن من أبسط أثمان تغير الإستراتيجية، أن كل الجهود والنفقات والإستعدادات والأدوات التي رصدت لها، وحتى الأشخاص أحياناً غالباً ما لا يصلح لتنفيذ الإستراتيجية التالية اللهم إلا بقدر ما

يستفاد من حطام بناء تهدم في إعادة بناء جديد، وبحسب طبيعة التهدم تصلح الأجزاء واللبنات ثانية لاستخدامها أولا تصلح.

- **الهدف الاستراتيجي:**

هو الهدف الرئيسي الأساسي الذي وضعت الاستراتيجية من أجل تحقيقه، وفي حالتنا فإن:

هدفنا الاستراتيجي هو:
إجبار القوات الغازية لبلادنا بقيادة أمريكا وحلفائها على الانسحاب من بلادنا، وإنهاء قدرتها على التأثير فيها، كي تتهيأ الأسباب للإطاحة بالأنظمة العميلة القائمة في بلادنا. من أجل إقامة النظام الإسلامي الشرعي الذي يحكم بما أنزل الله في بلادنا العربية والإسلامية على أنقاض تلك الأنظمة المرتدة.

- **التكتيكات:**

هي مجموعة البرامج والخطط المرحلية والعمليات والمناورات والممارسات الجزئية، التي تهدف إلى تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجية) وصولا لتحقيق الهدف الإستراتيجي، وعادة ما تضع الإدارة العليا التي وضعت الإستراتيجية المخططات العامة لمجموعة التكتيكات التي من المفترض أن تؤدي إلى تحقيقها.
وغالباً ما تترك المخططات الجزئية لتلك التكتيكات للقيادات الفرعية، إلا في حالات القيادات المركزية التي تميل إلى التدخل في الجزئيات وغالباً ما يكون لهذا نتائج سيئة.
ومن الطبيعي أن تلغى برامج التكتيكات أو تعدل أو تبدل من قبل القائمين عليها وذلك بحسب نغير الظروف المحيط بتنفيذها وهذا ليس له تأثير إن كان عرضياً على تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجية)، أما إذا كانت السمة العامة هي تغير التكتيكات فهذا يدل على قصور في موضوعية واضعيها وعدم إحاطتهم بإمكاناتهم أو بالظروف المحيطة بتنفيذ المخطط.

- **المناورات:**

هي مجموعة التكتيكات المرنة التي تعتمد المراوغة وخداع العدو، من أجل كسب الوقت أو المواقع أو المواقف، وتعتمد هذه المناورات على ذكاء القيادات والعناصر التي تقوم بها، كما تعتمد إلى حد كبير على الظروف العامة المحيطة.

- **هوامش المناورة:**

هي الظروف المحيطة التي تمكن من تكتيكات المناورة والمراوغة وكسب المواقع والمواقف والوقت آنفة الذكر، وغالباً ما تولد بشكل مفاجئ، ولفترات محدودة، ولذلك فإنه يجب اقتناصها وإعطاء دفعة للمخطط الإستراتيجي من خلال ذكاء تكتيكات المناورة وسرعة المبادرة إليها.

- **المبادرة:**

المبادرة هي القدرة على إحداث الفعل تجاه المحيط العام أو تجاه العدو، سواء كانت المبادرة فكرية أو سياسية أو عسكرية أو إعلامية، وبقدر ما تتميز المبادرة بخصائص الواقعية والحيوية والتجديد والشمول، بقدر ما تكون ذات أثر في تغير الأوضاع من حولها وإعطاء دفعة قوية للبرنامج.

- **أما امتلاك زمام المبادرة:**

فهو القدرة على امتلاك إطلاق الأفعال وإدارة الإستراتيجية، وإرباك استراتيجية العدو وإجباره على الدخول في ردود الأفعال.

(١١)- نظرية البناء والهدم في التحرك الاستراتيجي:

هذا المبدأ هو أساس في كل صراع، فبدأً من العقيدة، لا يمكن الإيمان بالله مع الاعتراف بالطاغوت، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وعلى صعيد البناء الفكري لا يمكن الدعوة لإثبات فكرة ما، إلا بإثبات بطلان نقيضها، وعلى الصعيد العسكري، فإن خير وسائل الدفاع الهجوم.

وإذا ماجئنا للمقاومة وخصومها، وجدنا أن هناك صداما حضاريا على كافة الأصعدة، وفي كل المجالات؛ العقدية والسياسية والفكرية والثقافية والاقتصادية.

وفي الشكل العنيف للصدام، (المجال العسكري)، نجد أن مبدأ هدم قوى ومرتكزات ودعاوى عملاء الخصوم هو أولوية في استراتيجية هجوم المقاومة، وعملية يجب أن تجري سواءً بسواء ومنذ البداية مع انطلاق المقاومة، إلى جانب عملية بناء المكونات الذاتية للمقاومة، على كل تلك الصعد.

إن الميزان الإستراتيجي بيننا وبين الخصوم غير متوازن نهائياً من الناحية المادية، وهو راجح لصالحهم، في حين أنه راجح من الناحية المعنوية لصالحنا، سواءً على صعيد جماهير العرب والمسلمين أو الرأي العام العالمي كله.

فيجب أن تعتمد النظرية العقدية المقاومة على البناء والهدم، بناء القناعة بمعتقداتنا العامة وعقيدتنا الجهادية لدى أنصارنا، وإثبات بطلان ما يناقضها لدى الخصوم، وذلك بالحوار والحجة والبينة، فإسقاط حجج ودعاوى فقهاء السلطان، وعلماء الإستعمار هو محور استراتيجي.

وعلى الصعيد الفكري والثقافي والاجتماعي، يجب أيضاً بث فكر المقاومة وثقافة المقاومة، ومحاربة فكر القعود والرضوخ والاستسلام بالحوار والحجة والبينة أيضاً.

وعلى الصعيد السياسي والإعلامي، يجب أن نعتمد إثبات نظريات المقاومة والدعوة لها ولرموزها بالحجة والبينة، ودحض دعاوى ركائز الاستعمار وعملائه وهدم صورتهم، وسمعة رموزهم المتعاونين معه، وإبطال دعاويهم السياسية وبراهينهم بالحجة والبينة أيضاً.

وفي المجال العسكري، يجب أن تسير عمليات التجنيد والإعداد والتنظيم والتمويل والمؤسسات الأهلية والمدنية الداعمة لجذور المقاومة، وفي نفس الوقت يجب أن تقوم الأذرع العسكرية ومجاهدو المقاومة بتدمير كل مرتكزات العدو في أرضنا بالتصفية الجسدية لعناصر هو، وبالتدمير الكامل لمؤسساتهم بالوسائل العسكرية كما تحتفظ لنفسها بحق الردع وضرب العدو في عقر داره كفرع لأعمال المقاومة وذراع تثبت القدرة على المعاملة بالمثل.

(١٢) - المحاكمات الثلاثة للقرار السياسي الشرعي الحركي:

هناك ثلاث محاكمات أساسية يجب على المسلم أن يخضع لها كل قراراته وحركاته وأوجه نشاط حياته وما يعزم عليه من أفعال، وهي:

أ- المحاكمة الشرعية (حرام أم حلال).

ب- المحاكمة السياسية للمصلحة والمفسدة (مفيد أم مضر).

ج - المحاكمة الواقعية والإمكانية (ممكن أم غير ممكن).

فمثلا لو أراد تاجر مسلم الإقدام على صفقة، فإنه يجب أن يدرس الصفقة من ثلاث أوجه ويخضعها لثلاث محاكمات ودراسات:

- هل هذه الصفقة من المباح الحلال أم من البيوع والصفقات المحرمة كالربا وبيع العينة وبيوع الغرر والغش وسواها من المحرم.
- هل هذه الصفقة، مفيدة له تجارياً ومادياً أم أنها مضرة.
- هل هذه الصفقة ممكنة أم لا من الناحية المادية والواقعية.

وهذه المحاكمات تأخذ أهميتها القصوى في عالم السياسة، وخاصة عندما يتعلق القرار بأمور مصيرية كقرارات المقاومة وما يتفرع عنها من قرارات سياسية شرعية أو عسكرية أو إعلامية..الخ.

وهذا المجال هو من أدق المجالات التي يجب أن تدركها القيادات المجاهدة المحركة لموضوع المقاومة، فإن القرارات الخاطئة ولاسيما في المجال العسكري، مثل سوء اختيار الأهداف وإدخال المقاومة في معارك فرعية، أو مواجهات تفقدها هوية خطها، أو تجعلها تخسر جماهيرها، وقل مثل ذلك في القرارات السياسية، أو النشاطات الإعلامية، فيجب أن يخضع كل قرار من هذا القبيل، لكل من ينشط في مجال المقاومة إلى هذه المحاكمات.

ويجب أن يسأل نفسه:

أولا: هل ما يريد فعله حرام أم حلال، فإن جهل ذلك فعليه بقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء] فيرجع إلى ثقة في علمه بالشرع وبالواقع ممن هو ثقة في دينه فيسأله، فالمسألة مسؤولية دماء وأعراض وأموال.

ثانيا: عليه أن ينظر ويتفكر في أبعاد عمله وما سيترتب عليه، هل هو مفيد لقضية المقاومة أم مضر لها، وهذا الأمر أصعب من سابقة لتعلقه بتشابكات المصالح والمفاسد، إذا لا يكفي أن يكون ظاهر الحكم حلالاً مباحاً حتى يكون بالفعل كذلك، لأنه لو ثبت عن طريق الحسابات السياسية والواقعية وآراء أهل التجربة وأهل الرأي والحرب والمكيدة، بأن مآل هذا العمل ومترتباته ينتج عنه مفسدة وضرر، فسيصبح الإقدام حراماً تبعاً للقاعدة العامة (**لا ضَرر ولا ضِرار، كل مُضرٍّ حَرامٌ**)، فإن علم ذلك وإلا عاد إلى من يثق به من أهل الذكر في مسائل السياسة والواقع من الموثوقين في دينهم، من أهل الرأي والحرب والمكيدة، فإن ثبت له حله ونفعه، نظر في الثالثة.

ثالثا:ينظر في إمكانياته تنفيذ هذا العمل، وهذا أمر أفضل من يُقدره هم العازمون على القيام به، ولاسيما إن استشاروا أهل الخبرة في ذلك، ضمن شروط المستشار؛ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦﴾ وكما هو واضح شرعاً وعقلاً بأنه لا يمكن الإقدام على عمل أوقرار إلا بأخذ ثلاث إجازات من المحاكمات الثلاثة، الشرعية والسياسية المصلحية والواقعية الحركية، فيكون: **حلالا – مفيدا – ممكنا**.

(١٣) - أحكام الجهاد والسياسة الشرعية واستنادها للواقع، ومرحلية التكتيكات وصولاً للهدف الاستراتيجي:

قَالَ ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد» (فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ سِيَاقِ هَدْيِهِ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ حِينِ بُعِثَ إِلَى حِينِ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) (١):

[أَوَّلُ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْ يَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ نُبُوَّتِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ إِذْ ذَاكَ بِتَبْلِيغٍ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر] فَنَبَّأَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ٱقْرَأْ﴾ وَأَرْسَلَهُ بِـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ، ثُمَّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، ثُمَّ أَنْذَرَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ أَنْذَرَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً، ثُمَّ أَنْذَرَ الْعَالَمِينَ فَأَقَامَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ نُبُوَّتِهِ يُنْذِرُ بِالدَّعْوَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا جِزْيَةٍ، وَيُؤْمَرُ بِالْكَفِّ وَالصَّبْرِ وَالصَّفْحِ.

ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ قَاتَلَهُ، وَيَكُفَّ عَمَّنِ اعْتَزَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، ثُمَّ كَانَ الْكُفَّارُ مَعَهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: أَهْلَ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ، وَأَهْلَ حَرْبٍ، وَأَهْلَ ذِمَّةٍ، فَأُمِرَ بِأَنْ يُتِمَّ لِأَهْلِ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ يُوَفِّيَ لَهُمْ بِهِ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ، فَإِنْ خَافَ مِنْهُمْ خِيَانَةً نَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَأُمِرَ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ، وَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ (بَرَاءَةٌ) نَزَلَتْ بِبَيَانِ حُكْمِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ كُلِّهَا، فَأَمَرَهُ فِيهَا أَنْ يُقَاتِلَ عَدُوَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أَوْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ.

فَجَاهَدَ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ.

وَأَمَرَهُ فِيهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عُهُودِ الْكُفَّارِ، وَنَبْذِ عُهُودِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْعَهْدِ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْمًا أَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُ وَلَمْ يَسْتَقِيمُوا لَهُ، فَحَارَبَهُمْ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ، وَقِسْمًا لَهُمْ عَهْدٌ مُؤَقَّتٌ لَمْ يَنْقُضُوهُ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَقِسْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ، أَوْ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ مُطْلَقٌ، فَأُمِرَ أَنْ يُؤَجِّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَإِذَا انْسَلَخَتْ قَاتَلَهُمْ وَهِيَ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢] وَهِيَ الْحُرُمُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، فَالْحُرُمُ هَاهُنَا: هِيَ أَشْهُرُ التَّسْيِيرِ، أَوَّلُهَا يَوْمُ الْأَذَانِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ التَّأْذِينُ بِذَلِكَ، وَآخِرُهَا الْعَاشِرُ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] فَإِنَّ تِلْكَ وَاحِدٌ فَرْدٌ، وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ: رَجَبٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَلَمْ يُسَيِّرِ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُتَوَالِيَةٍ، وَهُوَ إِنَّمَا أَجَّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ أَمَرَهُ بَعْدَ انْسِلَاخِهَا أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَقَتَلَ النَّاقِضَ لِعَهْدِهِ،

(١) زاد المعاد لابن القيم: (٣/١٤٤).

وَأَجَّلَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، أَوْ لَهُ عَهْدٌ مُطْلَقٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمَّ لِلْمُوفِي بِعَهْدِهِ عَهْدَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ، وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ الْجِزْيَةَ.

فَاسْتَقَرَّ أَمْرُ الْكُفَّارِ مَعَهُ بَعْدَ نُزُولِ (بَرَاءَةٌ) عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُحَارِبِينَ لَهُ، وَأَهْلِ عَهْدٍ، وَأَهْلِ ذِمَّةٍ، ثُمَّ آلَتْ حَالُ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَصَارُوا مَعَهُ قِسْمَيْنِ: مُحَارِبِينَ، وَأَهْلَ ذِمَّةٍ، وَالْمُحَارِبُونَ لَهُ خَائِفُونَ مِنْهُ، فَصَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ بِهِ، وَمُسَالِمٌ لَهُ آمِنٌ، وَخَائِفٌ مُحَارِبٌ.

وَأَمَّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَبْلُغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنَهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ، فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.]. أهـ

وجمهور العلماء أن هذه الأحكام كلها ليست منسوخة بآخر ما وصلت إليه، وهو الحال الذي يجب على المسلمين السعي إليه. فأما إذا اعترضهم في ظرف من الظروف حال من تلك الأحوال التي مر بها ﷺ في سيرته، فلهم أن بقيسوا عليها ويهتدوا بهديه ﷺ. فكما أسلفنا فإن مدار أحكام السياسة الشرعية هو على معرفة الحكم الشرعي وفهم الواقع وتطبيق هذا على هذا من قبل أهل العلم والإختصاص الموثوقين في دينهم وسلوكهم.

والآن بعد هذه المقدمات والتعاريف والمفاهيم السياسية الأساسية اللازمة. ندخل إلى صلب الموضوع، لبحث واقع الحملات الأمريكية والواقع العربي والإسلامي والدولي إزاءها، لننتقل بعد بيان ذلك إلي وضع الملامح العامة للنظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية المنشودة.

ثانياً: خلاصة واقع الحملات الأمريكية والواقع العربي والإسلامي والدولي إزاءها:

إن الأساس في وضع أركان الإستراتيجية العامة للمقاومة ونظريتها السياسية، هو معرفة ملامح الإستراتيجية المعادية، وتركيبة أطرافها ومعرفة معطياتها، ثم معرفة تركيبة أنصارنا ومن معنا في الصف المقاوم، وفي هذه الفقرة نعرض لثلاث نقاط مهمة يشكل فهمها أساس منطلقات وضع أركان النظرية السياسية لدعوة المقاومة.

(١) - طبيعة الحملات الأمريكية ومحاورها وأهدافها ووسائلها:

المستخلص من سيل الكتب والدراسات والتصريحات والوثائق التي تملأ وسائل الإعلام المختلفة اليوم؛ أن الحملات الصليبية اليهودية الجديدة تأخذ بعداً حضارياً متكاملاً يهدف إلى إزالة مكونات الأمة الحضارية الإسلامية على كافة الأصعدة.

- **ففي الجانب العقدي:**

تهدف (**الحملات الصهيونية- الأمريكية**)، إلى تبديل ملامح الدين الإسلامي ومعتقداته الأساسية، وتحريفها وإبعاد المسلمين عنها، بحيث تقدم لهم نموذجاً عن إسلام أمريكي عصري علماني، لا يعدو كونه أقرب إلى الشكليات والعادات وبعض الشعائر، وإلغاء القضايا الرئيسية المتعلق بالهوية الدينية، والولاء والبراء، والكيان السياسي، والشخصية المسلمة، والحياة الإسلامية على كل صعيد...الخ.

وأهم وسائلها في ذلك الإعتماد علي طليعة من علماء السلطان، وبعض الفاسدين من رموز الصحوة الإسلامية، لتجنيد فصائل من (علماء الإستعمار) و(دعاة البنتاغون)، ووضع برنامج بالتعاون مع الحكومات في العالم الإسلامي لتخريج دفعات من العلماء والدعاة (المهجنين فكريا) و(المستنسخين أمريكيا)، عن طريق ما يسمي دورات إعادة التأهيل الشرعي لخطباء المساجد والأئمة والوعاظ والمشايخ.

وكذلك عن طريق إنشاء مؤسسات أسلامية تحت مسميات شتى تدعو لذوبان الشخصية الإسلامية وتحريف الدين تحت شعارات (الحوار) و(الوسطية) و(خطاب الآخر) و(إعادة صياغة الخطاب الديني)، على أساس أنها من مؤسسات المجتمع المدني غير الحكومية. وقد بلغت الوقاحة والسفه بالأمريكيين أواسط سنة (٢٠٠٤) أن يصلوا في طموحاتهم المريضة في تغيير الدين الإسلامي، إلى جمع عدد من العلماء والمختصين أو بعض المرتدين من أجل اختصار القرآن!! فأخرجوا قرآنا جديدا مختصرا بعد أن حذفوا من القرآن كل آيات الجهاد والولاء والبراء، وما يدعو إلى كراهية الكفار ومفارقتهم وجهادهم!! بدعوى أن ذلك أساس الإرهاب في الدين الإسلامي، وأسموا القرآن الجديد المختصر (فرقان الحق)..!!!! وكأنما قرآننا الكامل المحفوظ بحفظ الله رغم أنوفهم هو فرقان باطل! حاشاه، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، ولك أن تتصور إذن إلى أي مدى يذهب البعد العقائدي لهذه المعركة.

- **وفي الجانب الفكري والثقافي:**

تهدف الحملات إلى علمنة العقل العربي والإسلامي وتفكيكه، وإعادة صياغته على الطريقة الأمريكية، بحيث يخلق أجيالاً من الممسوخين الذين لا هوية دينة ولا فكرية لهم، ولا يربطهم بجذورهم التاريخية

والثقافية أي رابط، ويقودهم مجموعة من العملاء، الذين لا ينتمون إلى أمة الإسلام إلا بالأسماء والأشكال، ولكنهم صهاينة متأمركون في الفكر والثقافة والمعتقدات، تحت شعار حرب الأفكار والمناهج التي تشنها أمريكا على المسلمين وحضارتهم وشعوبهم لفصلهم عن تلك المكونات الحضارية.

- **وفي البعد السياسي:**

تهدف الحملات إلى تفكيك الكيانات السياسية القائمة في العالم العربي والإسلامي، وإعادة صياغتها عن طريق اللعب بالخرائط السياسية، والنظم الحاكمة القائمة، والتركيبة السكانية طائفياً وعرقياً، كما تهدف إلى فرض نموج من (الديمقراطية الاستعمارية) المبتكرة، التي تمزج بين مبادئ ذات (أصول ديمقراطية) و(أوضاع استعمارية) (وأساليب قمعية تعسفية لحكومات ديكتاتورية)!!. وذلك بفرض جملة من السياسات، لإبعاد كل أشكال المعارضات الدينية والقومية والوطنية والسياسية من طريقها، وجعلها غير فاعلة، بحيث تزيل أمريكا بعض الأنظمة التي أقامتها أو دعمت وجودها سابقا، وتطيح ببعضها وتبقى بعضها، وتعيد تشكيل وإنشاء أنظمة أخرى مكانها، بما يمكنها من تنفيذ برنامجها في منطقتنا عبر مشروعها الذي أسمته:

(**الشرق الأوسط الكبير**) الممتد من تخوم الصين إلى سواحل الأطلسي، ومن ضفاف البحر الأسود وقزوين وإلى بحر العرب وصحراء أفريقيا الكبرى، أي بالمختصر: العالم العربي ومعظم الإسلامي.

- **وفي البعد الاقتصادي:**

تهدف أمريكا إلى السيطرة التامة على اقتصاديات وموارد تلك المنطقة ولاسيما الطاقة، وخاصة البترول والغاز، مما يسمح لها بالتحكم باقتصاديات حلفائها وإجبارهم على العمل ضمن برنامجها، كما تهدف إلى ربط اقتصاد المنطقة بعجلة اقتصادها واقتصاد إسرائيل، من خلال ما تسميه اتفاقيات الشراكة، وإقامة المناطق الحرة، والمشاريع الإقتصادية المشتركة، والحيل الاقتصادية الاستعمارية الاحتكارية الأخرى.

- **وفي البعد الاجتماعي:**

تهدف الحملات إلى تفكيك المكونات الاجتماعية للعرب والمسلمين، وإعادة صياغتها على صعيد الأعراف والتقاليد والسلوكيات، من خلال برامج الإعلام، وهجوم الفضائيات وشبكات الانترنيت، وما تبثه من خلالها وتلعب بفعله بعقول الناس لتمسخهم وتعيد استنساخهم بحسب النموذج الغربي الأمريكي، عبر نشر ثقافة الدعارة والسفور والاختلاط والغناء وفنون الرذيلة، تحت مسميات الحرية والترفيه ومساواة الجنسين وتحرير المرأة...إلخ، وقد أطلق الأمريكيون على مخططهم هذا اسم برامج **إعادة صياغة المجتمعات!!**

- **وفي البعد التربوي والتعليمي:**

تشن أمريكا على العالم العربي والإسلامي اليوم، حملة ضارية في المجال التربوي والتعليمي والفكري والثقافي، حملة أشد شراسة من حملتها العسكرية وأكبر ميزانية وأعقد في مخططاتها وشبكاتها وخفاء أساليبها.

فقد أدرك الصليبيون أن جذور المقاومة تأتي من دين الأمة وموروثها العقدي والفكري والثقافي والأخلاقي، وأن وسيلة تغذية هذا الموروث والحفاظ عليه تأتي من خلال مادة التربية والتعليم وأساليبها، فركزت أمريكا وحلفاؤها الهجوم في هذا المنحى، مستخدمة استراتيجية (البناء والهدم)، فهي تعمل على هدم موروثنا الفكري التربوي، ببناء فكرها ونظرياتها وأساليب حضارتها وحياتها في أمتنا.

وفي البعد العسكري للحملات:

تعمل الحملات الأمريكية على فرض سيطرتها العسكرية على المنطقة التي أسمتها الشرق الأوسط الكبير عبر الاستراتيجية التالي:

١- حضورها العسكري المباشر عن طريق الاحتلال لبعض المناطق كما أفغانستان والعراق، ومناطق أخرى تخطط لغزوها مثل سوريا وإيران والسودان ومصر وأجزاء من جزيرة العرب

٢- التواجد في جزيرة العرب حاليا، وكذلك في تركيا ومصر وشمال أفريقيا ودول وسط آسيا، حيث يوجد في ما تسميه منطقة العمليات الوسطى، والتي تضم العالم العربي ومعظم الإسلامي، أكثر من مليون وتضف المليون جندي أمريكي عدا قوات الحلفاء من الناتو وغيره.

٣ - حضورها العسكري المباشر عن طريق القواعد البرية والبحرية والأساطيل التي تحيط بمجموعها بكافة هذه المنطقة وتشكل مع قواعدها الثابتة في قلب العالم العربي والإسلامي.

٤- رفع إمكانيات الجيش الإسرائيلي ليكون قوة استراتيجية ضاربة متفوقة شبه وحيدة في المنطقة.

٥- تفكيك الجيوش العربية والإسلامية المحيطة بإسرائيل، عن طريق تدميرها كما في العراق أو تفكيكها كما جري لجيوش مصر والأردن وسوريا وغيرها التي تحولت لمهام الأمن لقمع شعوبها.

٦- إدخال الجيوش القائمة القوية المتبقية في المنطقة في خدماتها اللوجستية كما يفعل الجيش الباكستاني في مجازره التي يضرب بها المجاهدين العرب والأوزبك والتركستان والشيشان ومن آواهم في منطلق قبائل وزيرستان، وكما تقدم باقي الجيوش التركية وغيرها في المنطقة خدماتها طوعاً أو كرهاً.

- **وفي البعد الأمني:**

يمكن تلخيص الإستراتيجية الأمنية لأمريكا في آخر ما وصلت إليه بالنقاط التالية:

١ - نشر الوحدات الأمنية من مختلف أجهزة الإستخبارات والأمن الأمريكية مثل (CIA) و(FBI) وغيرها مما أستحدثته اليوم، بشكل مباشر عبر المكاتب المعلنة الرسمية في العواصم العربية والإسلامية، وعن طريق المكاتب السرية، تحت أغطية مختلفة، وعن طريق الأقسام الأمنية في سفاراتها في المنطقة.

٢ - وضع كامل أجهزة استخبارات الأنظمة العربية والإسلامية في المنطقة في خدمتها المباشرة، وتوكيلها بالأعمال القذرة من الاعتقال والتعذيب والقمع والتصفية، وإجبار تلك الدول على تنفيذ برنامجها ولوائحها الأمنية، واعتقال من تشاء وتسليم من تشاء، حتى رغم أنف الحكومات وأجهزتها القضائية حتى بعد تبرئة ساحتهم، كما حصل في اعتقال الجزائريين الستة من المجاهدين العرب في البوسنة بعد تبرئة المحكمة البوسنية لهم! وخطفهم وأخذهم إلى غوانتانامو رغم أنف حكومة البوسنة، ورغم الرأي العام العالمي الأبله المأسور لوسائل الإعلام الصهيونية الدولية!.

٤ - عقد الاتفاقيات والأحلاف والمؤتمرات الأمنية الدورية والطارئة في كل أنحاء الأرض.

٥ - إلغاء الملاذات الآمنة للإسلاميين المطاردين من فبل بلادهم أو من قبلها، وإجبار الدول على تسليمهم، أو طردهم لتطاردهم بدورها وتختطفهم.

٦ - تجفيف المنابع المالية للجماعات الجهادية وكل مؤسسة إسلامية تعتبرها إرهابية أو داعمة للإرهاب، وذلك في محاولة لإدخال المجاهدين وأسرهم في حلة الجوع والخوف والفاقة، وشل قدرتهم على العمل والحركة

٧ - تدمير القواعد العسكرية المتمركزة، والخطوط الظاهرة لبؤر المقاومة، عن طريق القصف الجوي والصاروخي، أو تكليف قوات عميلة للجيوش أو الميليشيات المحلية بالزحف عليها وتصفيتها.

٨ - تصفية رؤوس المقاومة ورموز الجهاديين اغتيالاً وخطفاً.

٩ - ممارسة سياسة(الضربات الاستباقية) وإجهاض الخلايا المفترضة للإرهاب كما يدعون، بحيث تدمر أمريكا وتصفي أي مؤسسة أو شخصية تظنها أو تتهمها بأنها معادية.

١٠ - إعتماد الردع والإرهاب المعاكس، باستخدام التكنولوجيا المهيمنة وإمكانيات الدولة العظمى.

١١ - إطلاق (حرب الأفكار) كما أسماها رامسفيلد، والهدف منها تدمير الخلفيات الفكرية والدينية والثقافية التي تغذي الاستعداد للمقاومة، وزرع مفاهيم الاستسلام للعدو في الأمة بدلا عنها.

(هذا في الإتجاه الهجومي وأما في الاتجاه الدفاعي فيمكن إضافة البنود التالية:)

١٢ - التوسع في إصدار التشريعات القانونية لمكافحة الإرهاب داخل أمريكا وفي بلاد الحلفاء، بصرف النظر عن الحقوق المدنية وحقوق الإنسان.

١٣ - استحداث أجهزة أمنية داخلية جديدة وإعطائها وزارة جديدة في أمريكا.

١٤ - الإحتياطات الدفاعية الداخلية، والإجراآت الأمنية التي تبلغ حد الهوس عندهم، وإجراء المناورات الأمنية على هجومات مفترضة، حتى بأسلحة الدمار الشامل.

١٥ - الضغط على الجاليات العربية والإسلامية، وحصارها أمنيا واختراقها وتوظيفها.

١٦ - توظيف المنظمات الدولية والمتفرعة عن الأمم المتحدة في برنامجها لمكافحة الإرهاب، مثل إلزام الدول الأعضاء كافة برفع التقارير عن إنجازاتها في مكافحة الإرهاب، وتقديم كشوف عن مجريات النظام البنكي وحوالات الأمول في بلادها، مع التهديد بالعقوبات للدول المتهاونة.

١٧ – وأخيرا ما اقترحته الزنجية الشمطاء والحية الرقطاء (كونديليسا رايس) من فكرة تشكيل ميليشيات محلية من القوى الصديقة في كل مناطق العالم لتكون ذراع أمريكا المحلية في مكافحة الإرهاب، وذلك لسد العجز الظاهر في القوة البشرية الأمريكية وعجزها عن سد احتياجات الحلم الإمبراطوري.

هذه باختصار ما يمكن تسميته: [**استراتيجية إرهاب الدولة العظمى، القطب العالمي الأوحد: أمريكا**] حتى الآن، أخزاهم الجبار المنتقم.

وبها نختم المحاور العامة لهذه الحملات التي تتحرك بنظرية صراع الحضارات، حيث أعلنوا أنهم وضعوا هدف إزالة الحضارة الإسلامية طريقا للبقاء وتوحيد الصفوف.

(٢) - واقع الأمة العربية والإسلامية في مواجهة الحملات:

و سنتناول ذلك من خلال تناول واقع الشرائح المختلفة:

أ - واقع الأنظمة الحاكمة في بلاد العالم العربي والإسلامي إبان هذه الحملات:

١ - تدرك هذه الأنظمة ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط وما حولها أنها مهددة بالإزالة من قبل أمريكا، إن هي لم تستجب للمطالب الأمريكية بمزيد من العمالة والانبطاح، ولاسيما في مجال مكافحة الحركات الإسلامية وجذور المقاومة، وفق المطالب الأمريكية، التي تريد من الجميع أن يتصرف على طريقة النموذج الليبي الذي قدمه القذافي: (**تسليم كل شيء وفتح الأبواب لكل المطالب والتنازلات**).

٢- تدرك هذه الأنظمة أنها مهددة بالإزالة والثورة عليها من قبل شعوبها إن هي استمرت في مزيد من العمالة والانبطاح والتجاوب مع المطالب الأمريكية اللامتناهية.

٣- تقف الأنظمة مذعورة أمام هذين الخيارين بالإزالة من الخارج أو من الداخل، وتقف عاجزة عن ممارسة الانفتاح على شعوبها والتعاون معها، نتيجة إرث هائل من القمع والفساد والنهب والجرائم تعودت عليه وعلى ما اعتادته من السطوة والمنافع.

٤- **يبدو حتى الآن أن خيار الأنظمة هو الاستجابة للضغوط الأمريكية، ومواجهة شعوبها لتسير إلى مصير المواجهة المحتومة معها، من أجل إرضاء أمريكا حتى لا تستبدلها.**

ب - واقع علماء المسلمين وقيادات الصحوة الإسلامية:

ينقسم علماء المسلمين اليوم إلى فريقين:

فريق علماء السلطان المنافقين.

فريق الصالحين العاجزين.

وينقسم كل فريق إلى قسمين:

فأما علماء السلطان المنافقين فهم:

أ- **فريق مع الاستعمار ومع حكامهم في ولائهم للاستعمار.**

ب - **وفريق منافق لحكامهم مناهض للاستعمار.**

وأما الصالحون العاجزون ففريقان أيضا:

ج - **فريق يحاول مسك العصا من وسطها بين الحكام وبين بذور النهضة الجهادية وملامح المقاومة القادمة**، ولكنهم كلما مارسوا شيئاً من الحيادية وطالبوا بشيء من الإصلاح لاحت لهم عصا السلطان، وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغضب السلطان، فانقمعوا، ومالوا للمجاملة والمداهنة والتمتمة والإعجام، فخسروا ما كسبوه من ود الشارع المسلم ومحبته وثقته. **وهكذا ما زالوا يراوحون مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كالشاة العائرة بين الغنمين.**

د - **والقسم الثاني من الصالحين معتزل خائف، لا تطاوعه نفسه وتقواه على مجاراة السلطان، ولا يسعفه إيمانه وثباته وشجاعته في قول الحق ونصرة أهل الحق.**

وهذا الفريق من (الساكتين على الحق) هم خيرة علماء الإسلام اليوم!! عجزة، مترخصون حيث تاه الناس وهاجوا وماجوا في الحيرة والتيه وسط في هذه المتلاطمات التي تجعل الحليم حيراناً، فكيف بعوام المسلمين.؟!

ج- واقع قيادات الصحوة الإسلامية:

يخيم العجز والخنوع على أوساط معظم قيادات الصحوة الإسلامية، ولا يجدون متنفساً إلا في صب جام غضبهم وانتقاداتهم على أمريكا وممارساتها، خاصة أن سخط الأنظمة من ضغوط أمريكا فتح لبعض

هؤلاء النافذة ليسبوا الاستعمار، متجاوزين من يمثله ويقوم بمهامه في بلادنا من الحكام، أما على صعيد البرنامج، فكلهم يدعون اليوم للديمقراطية، والإصلاحات السياسية، وخيار الشعب..! لعلهم يجدون في ذلك مجالاً ومتنفساً، ولا يبدو في كبار قيادات الصحوة ورجال الصف الأول فيها اليوم بوادر من يترشح لقيادة المقاومة والدعوة إليها.

ولكن كثيراً منهم يلعب دوراً مهماً بالإضافة لبعض الصالحين من المستترين من علماء المسلمين، في دعوة الأمة إلى التمسك بثوابتها، ومواجهات حملات التغريب والاستعمار الفكري والحضاري، وهو جهد مهم جداً في توليد أرضية المقاومة.

د – واقع الأحزاب والمعارضات السياسية والقومية والوطنية والعلمانية:

نتيجة أن الهجمة العالمية على الإسلام اليوم، وتهمة العاملين تحت شعاره بالإرهاب، وجدت الأحزاب والشخصيات السياسية والفكرية من التيار العلماني في العالم العربي والإسلامي، هامش حرية بعيداً عن إمكانية وضعها تحت طائلة (تهمة الإرهاب)، وبالتالي الدخول في دائرة التصفية قتلاً وخطفاً وسجناً، وساعد هذا التيار على الإنطلاق بحرية للدعاية لأفكارهم عوامل أخرى، من أهمها أن دعوتهم للديمقراطية، والتداول على السلطة وحقوق المعارضة، تجد تأييداً من أمريكا وتواؤماً مع مشاريعها للإصلاح السياسي، فصاروا يجاهرون بذلك ولا يخافون، ويأخذون راحتهم بالتنديد بالفساد المستشري في الأنظمة وممارساتها وهنا انقسموا إلى قسمين:

١- **قسم يمثل المعارضة الشريفة:** وهؤلاء يندددون بفساد الأنظمة، وأهداف الحملة الأمريكية، ويقفون في صف الأمة، ويدعون للمقاومة بأسلوب قوي متماسك، من خلال طرح وطني وقومي يلتقي في طروحاته مع أهداف المقاومة والجهاد وإن اختلف المنطلق العقائدي.

٢- **وقسم يمثل المعارضة العميلة الخائنة:** وقد وجد هؤلاء في الهجمة على الإسلام ودعوة أمريكا للإصلاح السياسي، وفرضه على الأنظمة طوعاً أو كرهاً، فرصة كي ينقضّوا على تلك الأنظمة ويشبعوها فضحاً وكشفاً لبوارها، ويطرحون أنفسهم كخيار ثالث، إلى جانب الأنظمة، والقوى المتحاربة معها من الأصولية الإسلامية بكل أطرافها.

وهذا الخيار الخبيث هو المرشح للتحرك على الأرض اليوم، أمام جحافل الغزاة الأمريكان، ليسقطوا تلك الأنظمة، ويحلوا محلها كخيار أشد كفراً وضلالاً وتبعية وخيانة، ومحاربة للإسلام والمسلمين.

وتعج وسائل الإعلام والفضائيات ومنتديات الانترنيت اليوم بهؤلاء الذين يتخذون من نموذج (كرازي) و(المعارضة العراقية)، الذين وصلوا مع الدبابات الأمريكية لسدة الحكم، نموذج الأمل بالوصول لأحلامهم البغيضة.

هـ- واقع رجل الشارع من عوام المسلمين:

يمكن تلخيص حالة رجل الشارع العربي تحت عناوين الإحباط والغضب والقهر والرفض للأنظمة، والرفض لما تفرضه برامج الحملات الغازية.

وينقسم عوام الشعوب العربية والإسلامية إلى معسكرين.

١- أقلية ترحب بالتغير القادم ولو على الدبابات الأمريكية، فقد ملوا القهر والفقر والظلم والتهميش وضنك العيش.

٢- وأكثرية رافضة للأنظمة، رافضة لبرنامج الحملات الأمريكية، تنادي بالمقاومة وتستعد لها.

والمطلع على حالة الغليان في الشارع العربي والإسلامي، يستبشر بالخير كل الخير، بميلاد حركات مقاومة تمتد من تخوم الصين شرقاً، إلى ضفاف الأطلسي غرباً، ويصل أوارها إلى كل أقطار المعمورة.

و- واقع التيار الجهادي وبذور قوى المقاومة:

تعرض التيار الجهادي بكامل أطيافه ورجاله وتنظيماته، بل وكثير من أنصاره إلى الدخول في أخدود عالم ما بعد سبتمبر، ولذلك لم ينج من رجاله وكوادره من القتل والخطف والسجن إلا من سلم الله، وقد اقتنع معظم من بقي من هذا القليل، بوضع كل الأهداف والخيارات السابقة جانباً، والأخذ بخيار المقاومة والمواجهة مع أمريكا وحلفائها.

ولعل الله يأخذ بأيدينا وأيدي من بقي لإرساء قواعد مقاومة عالمية، تكون القاعدة الصلبة التي تنشأ عليها قوى المقاومة وفصائلها وسراياها وخلاياها في الأمة.

وأما بذور المقاومة الفطرية في الشارع العربي والإسلامي، فتشير الدلائل إلى أنها قيد التشكيل، فالمناخ الثوري الجهادي ترتفع حرارته بوتيرة متسارعة، وتُضيف الأحداث اليومية إليه وقود من أسباب الغضب والحقد وتلعب وسائل الإعلام وثورة الفضائيات، وشبكات المعلومات، دوراً هاماً ورائعاً في التواصل بالمعلومات والأخبار وتبادل الأفكار، والساحة مبشرة بكل ماتعنيه كلمة (مبشرة) من معاني.

ولكن الخوف من انفجار الأمور بلا تحكم، ونسأل الله أن لا يدخل الناس في حال من الهرج والفتن والملاحم والفوضى الشاملة.

ومن هنا تأتي أهمية أن تتصدى الصحوة الإسلامية والجهادية، لترشيد المقاومة ودفعها بالاتجاه الصحيح.

وأخيراً في وصف واقع المسلمين لابد من الإشارة إلى ظاهرة هامة وخطيرة جداً وتحتاج علاجاً سريعاً من العقول القادرة على توجيه المقاومة وترشيدها، من العلماء والمفكرين والكتاب ورجال الدعوة الإعلام.

هذه الظاهرة هي: (مقاومة نخبة الأمة لطلائع المقاومة فيها!!!)

فإنه على العكس من منطق ظروف حالات الإستعمار وقوى المقاومة، في كل الأمم كافرها ومؤمنها عبر التاريخ.

وعلى العكس مما جرى في كل تاريخنا العربي والإسلامي، خلال الحملات الصليبية الاستعمارية الأولى والثانية من وقفت الأمة ونخبتها ضد الأعداء الغزاة وحلفائهم.

ففي أسوأ الحالات في تلك الظروف السابقة؛ أفرزت المجتمعات العربية والإسلامية قوىً للمقاومة، وانقسمت الأمة بين أقلية مجاهدة مقاومة عاملة، وأكثرية قاعدة عن الجهاد والمقاومة، ولكنها كانت مؤيدة لها، داعمة لها بما استطاعت من خدمات مادية أو معنوية، أو حتى عاطفية، ولم يشذ من شرائح الأمة إلا النادر ممن ضم صوته لمساعدة قوى الإستعمار، وكان في طليعة القوى الداعمة للمقاومة في تلك الأزمان علماؤها ومفكروها ورجال الرأي والأدب والقلم فيها.

لقد حصل هذا في تاريخ المسلمين، وفي تاريخ كل الشعوب التي احتُلت وقاومت.

أما الان تشير الأحوال إلى ظاهرة غريبة تحف المقاومة والمقاومين بالخطر، وهي **أن كثيرا من الشرائح النخبوية في المجتمعات العربية والإسلامية، طبقة الحكام، طبقة العلماء، طبقة الصحوة، طبقة المعارضات السياسية، طبقة المثقفين والمفكرين، يبدون وكأنهم:**

(مضادات حيوية معاكسة للمقاومة، مؤيدة لجرثومة الاستعمار الجديد)!!

والحمد لله أن الغالبية الساحقة لرجل الشارع العادي من عوام المسلمين نتيجة البوصلة الفطرية السليمة عندهم تذهب إلى تأييد الجهاد والمجاهدين وقوى المقاومة، وكذلك بعض الأقليات من تلك النخب.

وفي رأيي تعود هذه الظاهرة الشاذة التي يجب علاجها إلى ثلاثة أسباب.

(١) - نجاح الاستعمار في حملته الإعلامية الفكرية في مكافحة (الإرهاب الإسلامي) كما أسماه، وهو اللقب الذي نجحوا بأن يلصقوه بالجهاديين.

(٢) - ارتباط مصالح الشرائح النخبوية في المجتمعات العربية والاسلامية التصدي للمقاومة الجهادية، لأغراض سياسية أو شخصية أو فكرية أو مادية.

(٣) - وهو الأهم في رأيي: فشل الجهاديين منذ سبتمبر، لأسباب يطول شرحها، في إنجاح حملة إعلامية وفكرية تستطيع إثبات ذاتها كمقاومة مشروعة وفق معايير تلك الأوساط.

ففي الوقت الذي ينظر فيه اليوم في عموم مكونات الشعوب العربية والإسلامية حكاماً، محكومين على اختلاف أجناسهم إلى الجهاد في فلسطين على أنه مقاومة مشروعة، وكذلك جزئياً إلى بعض شرائح المقاومة في العراق، تسود الصفة السلبية كل أعمال الجهاديين التي تتصدى للأمريكان وحلفائهم في أفغانستان وفي مختلف دول العالم، كالعمليات التي تحصل في السعودية والأردن وأوربا، حيث طُبع الجهاديون بكل الصفات السلبية، من الجهل والدموية والإرهاب وغير ذلك، وحشروا في زاوية ضيقة سيئة، تحتاج حلاً سريعاً يعيد وضع الحق في نصابه.

وهذه من أهم تحديات المقاومة الجهادية للحملات الصليبية الصهيونية بقيادة أمريكا وحلفائها وعملائها.

(٣)- خلاصة تركيبة القوى في معسكر المقاومة ومعسكر الاحتلال ومعسكر الحياد بينهما:

بعد أن عرفنا برنامج العدو وأهدافه واستراتيجيته في تحقيق تلك الأهداف، وهو أمر أساسي في وضع برنامج المقاومة واستراتيجيتها، بقي أن نعرف حتى نستكمل معطيات وضع استراتيجيتنا، تركيبة القوى لكل من معسكر المقاومة وقواها الذاتية كي نوسعها، وكذلك معرفة ذلك عن العدو وحلفائه كي نعمل على تفكيكهم، ثم معرفة تركيبة القوى المحايدة بيننا وبينهم للعمل على كسبها أو إبقائها على الأقل في دائرة الحياد.

- **خارطة تركيبة الحملات المعادية لأمريكا وحلفائها وعملائها:**

تتكون الحملات من قوات طاغية، تعمل متعاونة في كافة المجالات العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية والإعلامية... الخ.. وتتكون هذه الحملات بقيادة أمريكا من القوات التالية بحسب أهميتها:

١ - الولايات المتحدة الأمريكية:

التي تقودها قوى سياسية ولو بيات إعلامية ومالية استطاع اليهود عبر قرنين من الزمن من غزوها والسيطرة على توجهها، وتستحوذ الولايات المتحدة على جملة من المعطيات ومظاهر القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية ليس هنا مكان استقصائها وأصبحت أشهر من أن يشار عليها ويكفي أن نعلم أن

مراكز الدراسات الإستراتيجية اليوم تصنف القوة العسكرية لأمريكا بأنها أكبر من القوة العسكرية لأكبر تسع قوى عسكرية تليها في التصنيف مجتمعة!

٢ – إسرائيل:

وتأتي في الدرجة الثانية في الأهمية في هذه الحملات ليس فقط لأهمية قدراتها العسكرية، التي رعت أمريكا وأوربا تطورها إلى مستويات عالية، وإنما لأن حاخاماتها من حكماء صهيون هم الذين يوجهون تفكير هؤلاء الحلفاء جميعا، ولأن كبار رجال المال الذين يملكون كبريات مؤسسات المال والبنوك العالمية هم من اليهود الصهاينة، الذين يتحكمون في مؤسسات الإعلام العالمية من صحافة وسينما وفضائيات ودور نشر، ويديرون بذلك ألاعيب السياسة في الدول الكبرى فضلا عن غيرها، ولأن إسرائيل تنزرع في قلب عالمنا العربي والإسلامي.

٣ - بريطانيا:

وهي الحليف الطبيعي لأمريكا دينياً (لأن غالبتهم مثلهم على المذهب البروتستانتي ذي التأثيرات الصهيونية)، وكذلك تربطهم مع أمريكا روابط أخرى مثل اللغة والتاريخ، كما يستحوذ على إدارة كلا الحزبين اللذين يتبادلان الحكم في بريطانيا (المحافظون والعمال) لو بيات سياسية وإعلامية واقتصادية غالبها يهودي أو تابع للنفوذ اليهودي، شأنهم شان الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) في أمريكا، وتأتي أهمية هذا الحليف من خلال الخبرة التاريخية الاستعمارية الهائلة، ولاسيما في بلادنا العربية والإسلامية.

٤ – دول حلف شمال الأطلسي (NATO):

وهو الحلف العسكري الذي يربط أمريكا ودول أوروبا الغربية منذ انتصارها في الحرب العالمية الثانية، وقد جرى توسيعه على مراحل أهمها مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي حيث دخلت معظم دول أوروبا الشرقية التي كانت تكون حلف (وارسو) المنحل في (حلف الناتو) ليصل عدد هذه الدول اليوم إلى نحو ٢٦ دولة، ولكن أبرز تلك الدول الحليفة وأهمها من الناحية العسكرية والإستراتيجية عامة، دول أوروبا الغربية مثل: فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، أسبانيا، بلجيكا، البرتغال، بالإضافة إلى استراليا وكندا.

٥ - حلفاء أمريكا من الدول خارج حلف الناتو:

بسبب أن أمريكا قد أصبحت القطب الأوحد في العالم عبر طفرة شاذة لا سابق لها في التاريخ، وبسبب أنها أصبحت تمسك بمفاتيح القوة العسكرية والسياسية للتأثير على الأنظمة الحاكمة والدول، كما تمسك بمفاتيح الإقتصاد العالمي ومنابع الطاقة في العالم، كما تمسك بوسائل الإعلام والتوجيه الرئيسية في العالم عن طريق سيطرة اللوبيات الصهيونية اليهودية العالمية.

فإن أكثر دول العالم أصبحت داخلة في قائمة حلفاء أمريكا الدائمين أو المرحليين، طوعا أو كرها.

ومن أهم الدول الداخلين في هذه القائمة من حلفاء أمريكا من خارج الناتو:

أ - اليابان:

ورغم أنها حليف منافس في مجال الإقتصاد، حيث تدور بينهما حرب اقتصادية طاحنة وإن كانت باردة، إلا أن أمريكا بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥، استطاعت تفكيك الأرضية الدينية والثقافية لليابان وتبديل هويتها الحضارية وإلحاقها بالعالم الغربي.

ومنذ حرب الخليج الأولى (عاصفة الصحراء) ١٩٩٩، وانطلاق النظام العالمي الجديد، استطاعت أمريكا جرَّ اليابان لتكون حليفاً عسكرياً يتورط شيئاً فشيئاً في ميادين الصراع الأمريكية، وبعد سبتمبر وغزوا العراق جرت أمريكا اليابان لتكون شريكاً عسكرياً ميدانياً حقيقياً لها في غزواتها وحملات الصليبية، حيث تستدرجها هذه الأيام إلى أفغانستان.

ب - روسيا:

ما تزال روسيا منافساً تاريخياً لأمريكا ولكن أحوالها الإقتصادية والسياسية جعلتها ألعوبة بيد حلف الناتو وزعيمته أمريكا، ورغم محاولتها إثبات وجودها ولاسيما في إطارها المحيط في وسط آسيا، ودول البلطيق وشرق أوربا، إلا أن أمريكا استطاعت جر معظم تلك الدول أيضاً لحلفها.

فلم يبق لروسيا إلا اللعب على هامش التنافس بين محور الدول الأوروبية الرئيسية (ألمانيا، فرنسا، وأسبانيا مؤخراً)، ومحور (أمريكا وبريطانيا وإيطاليا) وأذيالها من دول أوروبا الضعيفة. بالإضافة لليابان، ولكن ولأن جميع هذه الدول بما فيها روسيا، تقف في مواجهة الإسلام وحضارته، فقد جمعها حلف صليبي يغلب عليه التماسك في محاربتنا رغم تناقضاته وصراعاته الداخلية ز ومن هنا تقف روسيا في حلف أمريكا رغم تلك التناقضات والصراعات الداخلية داخل حلفهم كغيرها.

ج - الهند:

تسير الهند لتكون دولة عظمى، فطاقتها البشرية تبلغ المليار نسمة! وهم يكونون نحو ٦/١ سكان الأرض! واقتصادها ينمو بشكل منافس، وأسواقها الهائلة تشكل ميداناً مهماً جداً للاقتصاد الرأسمالي العالمي، وتطورها العسكري؛ التكنولوجي التقليدي والنووي صار في مصاف القوى الإستراتيجية، وصراعها التاريخي بهويتها الهندوسية المتعصبة مع المسلمين يرشحها لتكون ركناً أساسياً في محور الشر (الصليبي - اليهودي) الغازي للمسلمين، وتشير الدراسات الإستراتيجية إلى أن الهند ستبلغ أن تكون في حلول عام (٢٠٥٠ ميلادية)،

لتكون الدولة الثالثة في القوة عسكرياً واقتصادياً بعد الصين التي ستحتل المركز الأول، حيث ستتحرك الولايات المتحدة إلى لمركز الثاني!!!

وقد أصبح الحديث عن دخولها عضواً دائماً يمتلك حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي يقترب من الوضوح والصراحة، وقد طالبت به دول أوربية منها فرنسا!

ولذلك لم تهمل أمريكا وإسرائيل محاولات جر هذا الحليف الجبار النائم إلى معسكرها، وقد كشفت مسارات الصراع (الهندي – الباكستاني) عن انحياز أمريكي علني في صراع الهند ضد باكستان، وعن الحلف السياسي العسكري الذي يتقدم باضطراد بينهما وأصبحت أخبار المناورات العسكرية المشتركة بين أمريكا والهند متكررة ومتواترة، كما صرح المسؤولون الأمريكان باعتبار الهند سندهم الأساسي في استقرار جنوب وشرق آسيا في مكافحة الإرهاب.

د - حلفاء أمريكا في دول العالم الثالث:

تعتمد أمريكا على حلفاء هامين في العالم الثالث، كبعض دول آسيا مثل كوريا الجنوبية وتايوان، ومعظم دول جنوب شرق آسيا، وأكثر دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ودول شرق أوروبا التي لم تلتحق بعد بالناتو، وقد جرت أمريكا أكثر هؤلاء الحلفاء إلى المعسكر الأمريكي بسبب أنظمتهم الفاسدة التي لاتختلف أحوالها عن حال الأنظمة في العالم العربي والإسلامي.

هـ- حلفاء أمريكا وعملائها داخل الصف العربي والإسلامي:

وهؤلاء أخطر الحلفاء لأنهم في صفنا الداخلي، ويتكون هذا المعسكر من المرتدين والمنافقين، ويحتوي على الطيف الخبيث التالي؛ نذكرهم بحسب تدرج أهمية دورهم لصالح العدو:

١ - الأنظمة المرتدة الحاكمة في الدول العربية والإسلامية:

فنتيجة للفساد التاريخي لهذه الأنظمة، وواقعها المرير، وكونها حصرت همها في البقاء في السلطة بأي ثمن، فقد أصبحت ألعوبة بأيدي الإدارة الأمريكية، وليس هنا مجال الاستفاضة في شرح مناحي فساد هذه الأنظمة وعمالتها للأعداء، فذلك يطول وهو مشتهر على كل حال.

٢- المنافقون من علماء السلطان وفقهاء الاستعماروالفاسدون من قيادات الصحوة الإسلامية:

يمثل هذا الفريق باختصار السياج الشرعي الذي يسبغ الشرعية على كل ما يلاقيه المسلمون من ظلم وعنت، بدءا من أم البلايا، وهي حكمهم بشرائع أعدائهم بغير ما أنزل الله، وانتهاء بإسباغ الشرعية على احتلال بلاد المسلمين واعتبار عساكر الأعداء مأمنين لا يجوز شرعا الاعتداء عليهم، ومرورا بدعم مشاريع التطبيع مع اليهود، وأخيرا وليس آخرا التحرك بكل جد وحماس في برامج أمريكا لحرب الأفكار، لمكافحة المسلمين

والمجاهدين والمقاومين شرعيا باسم الدين، وفكريا باسم الإسلام، لسحب الشرعية عن الجهاد والمقاومة، بعد أن أسبغوها على الإحتلال وأحلافه من الحكام المرتدين.

٣- الأقليات العرقية والدينية في العالم العربي والإسلامي:

استطاعت أمريكا، مستفيدة من تراكمات المشاكل والظلم الذي وقع على كثير من الأقليات، مثلها مثل باقي شرائح الأمة من جهة، ومن تراكمات الأحقاد التاريخية بغير حق لدى بعض الأقليات في الكثير من الحالات الأخرى، استطاعت أن تشكل رأس الحربة العسكرية والسياسية التي تتحرك على الأرض بشكل متناسق مع قوات أمريكا وحلفائها، كما حصل من الأقليات الفرسوانية والتركستانية والشيعة الهزارة أثناء غزوها لأفغانستان، وكما يحصل من القوى المسيحية الصليبية السياسية والعسكرية في لبنان،

٤ - المهاجرون المستغربون من أصحاب الجنسيات المزدوجة والولاء الأمريكي:

وهذه الشريحة من التكنوقراط وحملة الشهادات العلمية والدراسات العالية، من أهم وأخطر الشرائح، فقد نشأت هذه الطبقة من المهاجرين وأبناء المهاجرين من الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا بسبب الظروف السياسية والاقتصادية في العالم العربي والإسلامي، وقد تلقفت أجهزة الاستخبارات الغربية عشرات الآلاف من هؤلاء وأبنائهم واختارت فهم من سيكونون رجال السياسة والقيادة في شتى المناحي في بلادهم، ومن أوضح النماذج على هؤلاء أمثال رجل الأعمال والنفط الأفغاني البشتوني الأمريكي الجنسية (حامد كرزاي) رئيس أفغانستان المهاجر إلى أمريكا و(وزاده) سفير أمريكا الأفغاني - الفرسواني الأصل، الأمريكي الجنسية أيضا، وهو مهندس (مؤتمر بون) الذي رسم مخطط احتلال أفغانستان سياسياً، ومثل كبار المعارضين العراقيين من أمثال اللص الدولي المحترف (أحمد الجلبي)، ورفاقه الآخرين مثل (العلاوي) و(بحر العلوم) وغيرهم من الذين قضوا شطر عمرهم في أمريكا والغرب

٥- العملاء المتأمركون من التيار العلماني داخل العالم العربي والإسلامي:

أفرز الهجوم السياسي الأمريكي على العالم العربي والإسلامي تحت زعم الإصلاح والديمقراطية نوعا من المعارضات السياسية التي تبنت مشاريع الديمقراطية والإصلاح السياسي الأمريكي، من العلمانيين المستغربين، أو المتأمركين بالأحرى الذين يرحبون صراحة ودون أي مواربة باستنساخ النموذج الأمريكي لنظم الحياة بأي طريقة ولو كانت على الدبابة الأمريكية بحسب النموذج العراقي

٦ - طبقة المنتفعين من الإستعمار ماديا من كبار رجال المال والأعمال في بلادنا:

تنشأ مع هذا الهجوم الأمريكي الشامل اليوم، والذي يتضمن مشاريع مؤامرة اقتصادية كبرى، طبقة من التجار وأصحاب رؤوس الأموال في العالم العربي والإسلامي، من الذين يدخلون شركاء في المشروع الاستعماري

الأمريكي عبر مخططات الشراكة، والمناطق الحرة، والمشاريع الإقتصادية الأمريكية والغربية الكبرى، وغالب هؤلاء من رجال السلطة والسياسة، ورؤساء المجتمعات العربية والإسلامية، من رؤساء القبائل أو الإقطاعيين، أو الرأسماليين الذين تتناسب وتتداخل مصالحهم مع أهداف ومصالح المشروع الأمريكي في أسموه الشرق الأوسط الكبير.

٧- الطبقة المنحلة الفاسدة من فساق عوام المسلمين:

وأكثر هؤلاء من الشرائح الشعبية في عامة الأمة العربية والإسلامية، من الممسوخين فكرياً والمهزومين حضارياً، الذين ربطوا عقولهم بمنابع البث الفكري والثقافي لأجهزة الإعلام الأمريكية والغربية، وتربوا على برامج (الفيديو كلوب) و(ستار أكادمي) وفضائية (روتانا) وأمثالها، حيث تهتم القوى الاستعمارية برسم مخططات تغريب كبرى لتوسيع هذه الشريحة عن طريق افتتاح الجامعات والمراكز العلمية والثقافية والبعثات إلى أمريكا لمدد طويلة لتأهيل كادر عميل كاهل علمياً وفكرياً وثقافياً، ليكون منهم جمهور المصفقين في حفلة الزار الأمريكية التي تدق طبولها في طول بلادنا وعرضها اليوم.

تركيبة قوى المقاومة وأنصارها وحلفاؤها في المجال العربي والإسلامي والدولي:

تتكون طلائع المقاومة الناشئة والمواجهة لهذه الحملات الصليبية من القوى والشرائح التالية التي أرتبها بحسب أهميتها كما يلي:

(١)- بقايا تنظيمات التيار الجهادي من الأفغان العرب، والقاعدة، والجهاديين عموماً من بقايا الجماعات والأفراد المنتشرين المشردين اليوم في مختلف أنحاء العالم.

(٢) - التنظيمات المجاهدة (من غير التيار الجهادي) في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كالمجاهدين في فلسطين وكشمير والفليبين وبورما وجنوب شرق آسيا ووالقرن الأفريقي والشيشان والبوسنة والبلقان ووسط آسيا... وغيرها.

(٣)- أنصار الظاهرة الجهادية من الشباب المتحمس، الحامل للفكر الجهادي في العالم العربي والإسلامي.

(٤) - قواعد جماعات الصحوة الإسلامية عامةً من مختلف الشرائح حيث تتصاعد عندها مشاعر الغيرة والحماس والثورية والتوجه الجهادي والعاطفة.

(٥) - العلماء المستقلون الصالحون وهم كثر ولكنهم ما زالوا في دائرة العجز والترخص والعقود، ولكنهم متعاطفون مع المقاومة، وأعتقد أنهم سيبرزون عندما تقوى شوكتها.

(٦) - القيادات الصالحة الشريفة في الصحوة الإسلامية، ولاسيما في قيادات الصف الثاني وقيادات الوسط فيها، فأكثرهم بدأ يدرك أن الجهاد هو الحل بعد عقم المسارات السياسية وازدياد وقاحة الهجمة الاستعمارية، وخاصة في التيار السلفي والجماعات الحاملة لفكر الإخوان المسلمين.

(٧) - رجل الشارع المسلم العادي في العالم العربي والإسلامي، وهذه شريحة ضخمة، فالمتحمسون للجهاد والمقاومة، والمستعدون لتقدم شيء من المجهود المقاوم في المجال المباشر (العسكري) أو (المقاومة المدنية) أو الدعم بالمال أو بالكلمة أو أي مساهمة، ولو حتى بالدعاء في ظهر الغيب وهو **من أمضى السلاح في هذه المعركة**

(٨) - الشرفاء وأصحاب الضمائر من التيار القومي والوطني واليساري وبعض المعارضات العلمانية في العالم العربي والإسلامي.

أما عن الأنصار والحلفاء المفترضين للمقاومة الإسلامية العالمية في المجال الخارجي فهم كافة أعداء المشروع الإمبريالي الأمريكي وبرنامجها الإمبراطوري التوسعي وحملاتها الصليبية الإمبريالية.

وأعداء الإمبريالية الأمريكية اليوم في العالم كثر، حتى في العالم الغربي، بل وحتى داخل الشعب الأمريكي، وهم في العالم شريحة واسعة جداً، وقد استعلن بعضهم بموقفة واستخفى آخرون نتيجة الخوف والضغوط، ولكن اشتداد ساعد المقاومة الإسلامية وإثخانها في قوات أمريكا، وإزالة شيء من هيبتها سيجعل هذه الشريحة الخائفة من قمع أمريكا تعلن موقفها، وسيجعل الحلف الأمريكي عرضة للتحلل والتفكك.

وأما أنصار المقاومة وحلفاءها المفترضين في الخارج في هذه الأوساط فهم بحسب أهميتهم:

- الأحزاب اليسارية في الدول الغربية والتي عرفت بتاريخها في مناوئة السياسات الأمريكية.

- الأحزاب الوطنية وقوى التحرر العالمية في العالم الثالث والتي عرفت بتاريخها في مناهضة الإستعمار وخاصة التسلط والإمبريالية الأمريكية.

- منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات غير الحكومية المناهضة للسياسات الأمريكية في العالم الغربي.

- التنظيمات العسكرية السرية اليسارية وغيرها، المعروفة بمعاداتها لأمريكا أو لحلفائها، مثل الألوية الحمراء والجيش الأحمر الياباني ومنظمة ايتا في باسك أسبانيا والمنظمات الرافضة لإلقاء السلاح من الجيش الجمهوري الإرلندي...و أشباه ذلك.

- المؤسسات والمنظمات الأهلية داخل الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها من الكتل والهيئات والشخصيات المعارضين للسياسة التوسعية الأمريكية.

وهذه أوساط يجب التحرك نحوها سياسيا وإعلاميا وغير ذلك، للاستفادة من القاسم المشترك بيننا وبينها ضد السياسات الإمبريالية الأمريكية كلا بحسبها.

وأعتقد أن مثل هذه النقلة ممن تتوفر لهم إمكانيات ذلك يمكن أن تفتح أمامنا مجالات تربك العدو وتقلب حساباته الأمنية والاستراتيجية رأسا على عقب.

واقع معسكر الحياد في الصراع بين الحملات الأمريكية وقوى المقاومة الإسلامية العالمية:

حتى الآن ما يزال معسكر الحياد في الصراع بين أمريكا وحلفائها من جهة وبين قوى المقاومة الإسلامية لها من جهة أخرى، ما يزال محدوداً وصغيرا وذلك لثلاثة أسباب:

أولها: الإرهاب الأمريكي السياسي والإعلامي والاقتصادي والعسكري والأمني، لكافة الأطراف التي تعلن مناوأتها للمشروع الأمريكي تحت طائلة وصمهم يدعم الإرهاب.

ثانيهما: حشر المقاومة الإسلامية العالمية بكافة أطيافها وألوانها في دائرة السمة (بالإرهاب) بل وبوضعهم تحت مصطلح (القاعدة) وأنصار القاعدة، وبالتالي إحراج من سيؤيدها وإشعاره بأنه يسير إلى حتفه.

ثالثاً: فشل أطياف المقاومة المختلفة حتى الآن في برنامجها الإعلامي والسياسي، وفشلها في إبراز نفسها أمام الرأي العام المحلي والعالمي كقوى مقاومة مشروعة، وتركيزها على البعد التحريضي على العمل، دون أبعاد سياسية إعلامية تراعي مسارات تشكل الرأي العام.

ولكن مع ذلك فهناك طيف من الدول والقوى الإقليمية والعالمية ما تزال في دائرة الحياد، يجب أن تكون محل جهد من قوى المقاومة وكوادرها ولاسيما في المجال السياسي والإعلامي لتحويلها ما أمكن إلى المعسكر المناصر لقوى المقاومة، ومن هذه القوى.

١- في المجال الخارجي:

هناك الصين التي تسعى أمريكا لتفتيتها، وقد وضع الكونغرس برنامجا علنيا لذلك منذ ١٩٩٥، وهي مرشحة للتحول إلى المعسكر المعاون للمقاومة للأمريكان، في حال أثبتت قوى المقاومة نفسها وقدمت أنفسها كمقاومة (مشروعة) في المفهوم الدولي ونجحت في الخروج من تهمة (الإرهاب)، وهناك العديد من الدول الآسيوية والأفريقية كذلك، وهناك شرائح هامة جداً من شعوب الدول الغربية التي تكره أمريكا وبرامجها، ولم تتفهم برامج المقاومة في بلادنا وأهدافها، وقد ثبت ضخامة هذا المعسكر من خلال المسيرات الضخمة التي جالت شوارع البلدان والعواصم الغربية، وهذه شرائح ليست مؤيدة بطبيعة الحال للمقاومة.

٢- وأما داخل المجتمعات العربية والإسلامية ذاتها:

فما تزال **شرائح القوى المحايدة كبيرة فهي تبغض الأمريكان ولا تؤيد المقاومة**، ولا تفهم رسالتها ولديها عنها تصورات مشوهة، كالأقليات الدينية والعرقية، وكثير من عوام الناس.

وبعد هذا الشرح الموجز لخارطة القوى والحلفاء لكل من المعسكرين المتصارعين؛ معسكر الأعداء الغزاة ومعسكر قوى المقاومة الإسلامية العالمية لهم، يمكن أن ننتقل للفقرة التالية الهامة وهي:

ثالثاً: أركان الإستراتيجية السياسية العامة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

في بداية الحديث عن الخطوط العريضة لاستراتيجية المقاومة الإسلامية العالمية في مواجهة أمريكا وحلفائها يجدر بنا لفت النظر إلى نقاط هامة جداً:

- أن الاستراتيجية كما أسلفنا من صفاتها اللازمة الثبات النسبي، وثباتها متعلق بالثبات العام للمعطيات المحيطة والظروف العامة، ولكن نظراً للاختلال الصارخ في موازين القوى المادية بين قوى المقاومة وقوى الحملات الأمريكية وحلفائها، فإن استراتيجية المقاومة لا يمكن أن تكون تفصيلية.

- **إن المقاومة عمل صدامي، ومشروع مواجهة، ويجب القول بوضوح وفهم حقيقة هامة جداً، بأنه بغير مواجهة مسلحة قوية وحاضرة على الأرض، وبغير مقاومة تأخذ صفة الظاهرة العامة، وليس مجموعة من أعمال الإنتفاضات، فلن تكون هناك قيمة لأي نظرية سياسية وإعلامية للمقاومة، فإن المقاومة تستمد وجودها وحياتها من قوتها لمسلحة الفاعلة على الأرض، وتستمد مشاريعها السياسية والإعلامية قيمتها وحضورها، من طلقات بنادق المجاهدين، ودوي انفجارات عملياتهم.**

- الإستراتيجية السياسية هي جزء من الإستراتيجية العامة، ويجب أن تكون متناغمة مع الإستراتيجية العسكرية والإعلامية والأبعاد الأخرى للاستراتيجية العامة، وتوضع كلها في خدمة الأهداف الإستراتيجية العامة.

الأهداف الاستراتيجية الأربعة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية وهي:

(١) - دحر الحملات الصليبية اليهودية بقيادة أمريكا وحلفائها من اليهود والصليبيين ومطاردة فلو لها في العالم الإسلامي.

(٢) - تصفية قوى العمالة والنفاق التي تعمل على تحقيق أهداف الحملات الغازية.

(٣) - إسقاط أنظمة الردة والخيانة القائمة في بلادنا بسبب دعم تلك الحملات الغازية.

(٤)- إقامة حكم الشريعة على أنقاض تلك القوى المرتدة.

المحاور العامة للإستراتيجية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

أولاً: توسيع مفهوم المقاومة ومحاورها لتشتمل المواجهة مع كافة مناحي ومحاور هجمة الحملات الأمريكية الصهيونية، وهي محاور شاملة كما بينا، وعدم قصرها على مجال المقاومة العسكرية رغم أنها جوهر دعوة المقاومة وأساسها، وهذه المحاور هي:

١- المقاومة العسكرية:

باستهداف كافة أشكال تواجد الأعداء ومن يظاهرهم، ومشاريعهم ومؤسساتهم العسكرية والأمنية والسياسية والإقتصادية والثقافية وغير ذلك بحسب ما بيناه من الضوابط المنهجية الشرعية.

٢- المقاومة السياسية:

وذلك بمقاومة المشاريع والأهداف السياسية للعدو، ومرتكزاته في بلادنا، بالوسائل السياسية السلمية، حيث يمكن أن يستفاد من هوامش ما تعتبره القوانين المحلية والعالمية مشروعا، ولاسيما في مجالات المؤسسات الأهلية، ومنظمات المجتمع المدني، والإنتباه إلى عدم الإنتماء والعضوية للمؤسسات الحاكمة التي يقيمها الأعداء، أو المؤسسات الحاكمة بغير ما أنزل الله الموالية للأعداء.

٣- المقاومة الإعلامية:

وهي فرع من المقاومة السياسية، وذلك باستخدام الوسائل العصرية بكافة أشكالها ولاسيما الفضائيات وشبكات الإنترنيت، للتحريض على المقاومة بأشكالها، ولمكاتبة المؤسسات والمنظمات والشخصيات، في بلادنا، وفي كل مكان، حتى بلاد العدو ذاتها، خاصة الأوساط المتوقع تأثيرها بأي شكل لصالح قضيتنا تسعيرا للمقاومة وتوحيدا لصفوفها، ومن أجل تفتيت صف العدو وإضعافه ودحض حججه ومسوغاته.

٤- المقاومة المدنية:

وذلك بمواجهة الأعداء ومن يظاهرهم من قبيل التظاهرات والاعتصام والإضرابات، ومختلف أشكال الإحتجاج الشعبي، كإطلاق الشعارات والكتابة على الجدران، ونشر المواد المحرضة على الثورة على المحتلين وأعوانهم، عبر المنشورات والبيانات الصوتية والمصورة وبكل وسيلة، وما يمكن للناس أن يفعلوه.

٥- المقاومة السلمية:

وهذه وما يليها أضعف الإيمان في جهاد هؤلاء الأعداء والمنافقين لهم في بلادنا، ومن ذلك المقاطعة في كافة المعاملات، فلا يبيعهم ولا يشتري بضائعهم ولا يستقبلهم، ولا يبدي لهم الحفاوة، ولا ينتمي إلى مؤسساتهم، ولا يدفع لهم المكوس والضرائب إلا مكرها، وأن يظهر لهم كل أشكال البراء بحسب استطاعته،

أن يقاطع وسائل إعلامهم ولا يستمع إليهم، وأن يدعو الله عليهم ويلعنهم بقلبه، وبلسانه إن استطاع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

٦- المقاومة بتعميق جذور المقاومة:

وذلك بالحفاظ على الهوية الدينية والقومية والفكرية والحضارية للعرب والمسلمين، ومواجهة الحملات في مناحيها العامة كافة الثقافية والتربوية، وهذا النوع من المقاومة على سهولته، وعدم تجشم صاحبه أي تكليف عملي، مهم جدا لاستمرار جذوة الحياة في الأمة، فقد لا يكون هذا الجيل قادرا على الدفع كما ينبغي لضعفه وظروفه، ولكن الحفاظ على هوية الأمة الدينية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، وكافة المواصفات الحضارية، كفيل بحفظ روح المقاومة وجذورها إلى أجيال تكون أقدر على العطاء، ويكون هذا بالحفاظ على روح التدين، ونشر علوم الإسلام بصفائها بعيدا عن التزوير الذي تقوم به وسائل أمريكا في بلادنا.

ثانياً: الضبط العقدي والمنهجي والفكري لمنطلقات المقاومة ومستنداتها الشرعية بحيث تنسجم وأساسيات الدين الإسلامي، ومفاهيم الجهاد السامية وقواعده وأحكامه السياسية الشرعية الراسخةً، وآدابه الشرعية المعروفة.

وحفظها من أن تتحول إلى الفوضى والهرج وأجواء الفتن، والتركيز على حفظ دماء وأموال المسلمين برهم وفاجرهم والسعي في إصلاحهم، والتركيز على ضرب العدو وأنصاره المظاهرين له.

ثالثاً: إخراج المقاومة الإسلامية العالمية من دائرة تهمة (الإرهاب الأعمى) غير الهادف التي رسمتها أجهزة الإعلام، وإبراز هوية المقاومة الحقة كحركة جهادية تمارس حق الدفاع عن النفس وحق تكفله الأديان والشرائع السماوية كما تكفله الأعراف والقوانين الإنسانية.

ومحاولة كسب الرأي العام في مختلف شرائح المجتمعات والشعوب على الصعيد العربي والإسلامي والعالمي.

رابعاً: تطوير أساليب المواجهة العسكرية والأمنية بحيث تتلائم مع حالة اختلال التوازن الصارخ مع الهجمة الأمريكية الطاغية وحلفائها، وعدم إدخال قوى المقاومة في مواجهات مكشوفة غير متكافئة.

خامساً: مد الجسور مع مختلف شرائح ومكونات المجتمعات العربية والإسلامية الرافضة للطغيان، وإزالة حالة العزلة الاجتماعية والسياسية والفكرية بين المقاومين والجهاديين وبين تلك الشرائح ماأمكن، وعلى رأسها مكونات الصحوة الإسلامية وقياداتها وعلمائها وقواعدها، ثم كافة التجمعات والأحزاب والشخصيات والقوى الشريفة المعبرة عن ضمير الأمة الحي في مواجهة الغزو والعدوان من كل الأطياف.

سادساً: اعتماد سياسة تفكيك الحلف الأمريكي الصليبي اليهودي المعادي ليقتصر على أقل ما يمكن من الحلفاء مع أمريكا وإسرائيل وقوى الصهيونية اليهودية والصليبية المتصهينين.

سابعاً: إبراز البعد الحضاري لدعوة المقاومة الإسلامية كحركة حضارية متكاملة تهدف لإقامة الدولة الإسلامية وحمل مشعل الحضارة والخلاص لبني البشر، وإقامة العلاقات مع الشعوب الأخرى على أساس العدل والإحسان.

ثامناً: اعتماد استراتيجية حصر الصراع في دائرة القوى المعادية وحلفائها، واعتماد مبدأ التحييد الممكن للقوى المختلفة والتجنيد الممكن من القوى المناصرة لوضعها في دائرة الأداء والعمل المقاوم.

تاسعاً: تكوين حلف للمقاومة يعتمد ثلاثة دوائر، على مبادئ أساسية وهي:

(١)- الجهاد مع أهل السنة والجماعة.

(٢)- التعاون مع أهل القبلة من المسلمين.

(٣)- الاستعانة بكافة القوى المخلصة في نصرتنا من أعداء أمريكا وحلفائها من غير المسلمين.

ضمن ضوابط قواعد السياسة الشرعية ومعطيات المصلحة والحركة في ضوء الواقع السياسي.

عاشراً: اعتماد سياسة حرب الإنهاك الطويلة المدى في المواجهة الشاملة مع أمريكا وحلفائها، باستخدام أسلوب حروب العصابات السرية، ولاسيما أسلوب الإرهاب والردع بحروب عصابات المدن، واستهداف التواجد الإستراتيجي للعدو في بلادنا.

أحد عشر: اعتماد استراتيجية البناء والهدم في المواجهة مع الحملات، البناء لقوى المقاومة وكافة مرتكزاتها وجذورها وكوادرها وأحلافها، والهدم في المقابل لقوى الحملات الأمريكية وحلفائها والإهتمام بتصفية وإجهاض مرتكزات هذه الحملات وخياراتها في كافة المناحي السياسية والإقتصادية والثقافية وسوى ذلك في بلاد المسلمين

اثنا عشر: الاستفادة من معسكر المناصرين لقضيتنا داخل المجتمعات الغربية وغيرها من الدول المكونة للحلف الصليبي الصهيوني بقيادة أمريكا.

ثلاثة عشر: العمل على تناسق التكتيكات بين الأعمال الجهادية العسكرية والسياسية والإعلامية والدعوية التربوية في الأمة لتحقيق استراتيجية المقاومة العامة.

وإجبار العدو على القناعة بأن ما يجنيه من الحملات والاحتلال والعدوان أقل بكثير من تكاليف حملاته على الصعيد البشري والاقتصادي.

أربعة عشر: إعتماد استراتيجية السعي والعمل وترك متاهات الجمود والجدل فقد أوضحت الأحداث كل شيء، وتبين صف العدو وأهدافه، وصف المقاومة ومشروعيتها، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾

رابعا: مواقف سياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية من قضايا رئيسية:

إن من تمام بيان المعالم الأساسية للإستراتيجية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أن نبين بالإيجاز الكافي موقفنا هنا من وجهة النظر السياسية، من قضايا رئيسية هامة سواء لأتباع الدعوة أو لكل لمن يهمه الأمر:

(١)- قضية الصراع مع الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي:

إن سياسة دعوة المقاومة هي الانصراف لمواجهة العدو الغازي المتمثل في أمريكا ومن أعانها وحالفها من القوى الداخلية والخارجية، وعليه:

فليس من أهداف المقاومة مواجهة الأنظمة القائمة – رغم استحقاقها لذلك – وذلك جمعا لجهود الأمة على الهدف الإستراتيجي للمقاومة، وهو إسقاط المشروع الأمريكي الصهيوني، ويبقى استهداف بعض قطاعات تلك الأنظمة بقدر دخولها في الحلف الأمريكي دون تحويل ذلك لثورات محلية وفق الشكل الذي كان الجهاديون يعملون به.

وأما المواجهة الدفاعية مع أجهزة تلك الأنظمة فهو حق مشروع وعمل واجب وبقدر الضرورة.

(٢)- الموقف من علماء المسلمين من قيادات وحركات الصحوة الإسلامية:

ونختصر ذلك في:

أ - دعم العلماء والقادة المجاهدين الصادعين بالحق المدافعين عن قضايا الأمة.

ب- تألف المترددين والخائفين وشد أزرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والتجاوز عن زلاتهم ما لم تصبح نهجا لممالأة عدوان الحكام والمحتلين.

ج- مجابهة علماء السلطان المنافقين، وفقهاء الإستعمار الخائنين، بشدة ولكن بالحجة والبينة، **وعدم نقل ذلك للمواجهة بالقوة والسلاح تحت أي ظرف وأي استفزاز.**

(٣)- الشرفاء في التيار العلماني من المقاومين للحملات الأمريكية:

وخلاصة الموقف في ظل أحوال دفع الصائل، هي البحث عن نقاط اللقاء معهم على مواجهة العدو، وإعادة تعريف تلك الأوساط عبر الحوار والمكاتبات واللقاءات بالإسلام ومعطياته وآفاقه كخيار سياسي وحضاري لمستقبل هذه الأمة، مع الانتباه للثوابت العقدية والهوامش السياسية.

(٤)- الجنود وعناصر الأمن في حكومات العالم العربي والإسلامي:

فالمواجهة معهم دفاعية فقط، وفي حدود الضرورة، وعدم الإنجرار للاستفزاز، وسياسة كسبهم لصف أمتهم في معركة المصير القائمة.

(٥)- الموقف من المسألة الفلسطينية: وخلاصة ذلك:

١- فلسطين قضية المسلمين، وليست قضية العرب ولا قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا يملك أحد رخصة التصرف بها على موائد النخاسة الدولية.

٢- فلسطين أرض عربية إسلامية من النهر إلى البحر، لا نعترف فيها لليهود باي سلطة ولا شرعية ولا حق في السكن إلا لليهود الأصليين منها الذين لم يكن عددهم إبان الإحتلال والغزو الصهيوني إلا زهاء ١٥٠٠٠ نسمة وما خلفوا من ذريتهم من القردة والخنازير، فهؤلاء الملعونين مواطنون أصليون فيها، كفل الإسلام ما شرع من حقوقهم، وعلى المحتلين المهاجرين أن يعودوا من حيث أتوا على البواخر والطائرات التي قدمت بهم من وراء البحار، أو ينتظروا مذبحة الشجر والحجر القريبة القادمة إن شاء الله.

٣- نحن لا نعترف بالسلطة الفلسطينية إلا كواحدة من كيانات الردة العربية الجاثمة على صدور المسلمين، ولا نعترف بكل اتفاقياتهم ومهازل سلامهم الزائف من أوسلو إلى خارطة الطريق بالخزي والعار بأصحابها وصولا إلى جهنم إن شاء الله.

٤- نشد على أيدي المجاهدين المخلصين في فلسطين ونعاهدهم على النصرة ووحدة المعركة والمصير.

(٦)- مسألة استهداف المدنيين في بلاد الدول المشاركة في العدوان على المسلمين:

هذا ليس إلا مجالا للمعاملة بالمثل، ولردع العدوان، وفي أضيق المجالات الاضطرارية، مع مراعاة المصالح السياسية واختلاف مواقف الدول، فالأصل في الجهاد هو قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٧)- الحكومات والشعوب الأوربية:

كما أوضحنا، فإننا نعتقد أن معركة أمريكا مع المسلمين هي في نتائجها ومترتباتها ضد المصالح الإستراتيجية الأوربية جملة وتفصيلا.

وقد بدأت كثير من الأوساط في أوربا تتململ من المعركة التي تزج بها أمريكا فيها، ونعتقد أن الوقت الذي تبقى حتى تنفصل أوربا عن أمريكا وتتحلل من تبعات حلف الناتو وغيره من الاتفاقيات التي تربطها بأوربا لم يعد طويلا.

وأن من مصلحة قوى المقاومة إعطاء فرصة للدول الرئيسية في أوربا كي تنسحب من حلف أمريكا بصورة دبلوماسية.

مع عدم إهمال الحسابات الدقيقة بين المجهود السياسي والإعلامي الذي يمكن أن تبذله قوى المقاومة الإسلامية، وبين حزم سياسة الردع العسكري الذي يجب أن تمارسه لحمل الأوربيين - ولاسيما المصرين منهم على العدوان- على سياسة تبعدهم عن المحور الأمريكي، وتكون في صالحهم وصالحنا، وهذه تحتاج أن يكون القرار فيها لقيادات المقاومة الواعية.

وبصورة عامة نحن مع العمل على توحيد اتجاه الجهد ضد المحور الأمريكي - الصهيوني ومن أصر على ركوبه معهم، وكانت مشاركته فاعلة.

مع التنبيه على توضيح أن المعركة مع الحكومات المعتدية وليس مع الشعوب الأوربية التي وقف كثير منها مواقف مبدئية جيدة من رفض العدوان.

(٨)- الإدارة الأمريكية والشعب الأمريكي:

للأسف فإن الإحصائيات الرسمية، واستطلاعات الرأي مازالت تثبت، أن العلاقة في استراتيجية العدوان ونزعة التسلط والسيطرة على مقدرات الشعوب الضعيفة، بين الشعب الأمريكي، والحكومة الأمريكية، هي على عكس الحالة القائمة بين الشعوب الأوربية وموقفها من التوجهات العدوانية لبعض حكوماتها، وهذا حتى في بريطانيا حيث لا يمالئ أكثر الشعب فيها حكومته على العدوان.

وأكبر دليل على ذلك هو إعادة الشعب الأمريكي اختيارهم للخنزير جورج بوش، وبنسبة كبيرة، وقبول المعارضين لذلك بكل بلادة، وتداعي الجميع للوقوف صفا واحدا لأنهم في حالة حرب مع المسلمين.

ولذلك فإننا نعتقد أن الحرب مع الإدارة الأمريكية، هي وبكل المبررات الشرعية والسياسية، وحتى وفق المنطق الغربي والأمريكي ذاته، هي:

حرب ومواجهة مع أمريكا حكومة وشعبا.

ويبدو أنه يجب أن يذوق هذا الشعب الشرذمة المجرم بأكثريته الساحقة، وبال ما تذيقه حكوماتهم الصهيونية المتتابعة للناس والبشرية في كل مكان، بدءا من إباداتهم الجماعية لسكان أمريكا الأصليين، ومرورا بمجازرهم النووية في الحرب العالمية الثانية، وتعريجا على جرائمهم المخزية في كل حروبهم في فيتنام وكوريا والعراق والصومال وأفغانستان، وسواها.

ويوم يقتنع الشعب الأمريكي - وما أظنه مقتنعا إلا عنوة - بفداحة خسائره البشرية والإقتصادية من جراء عدوان حكوماته المتتابعة على اختلافها على المسلمين وعلى البشرية كلها، عند ذلك سيكفون شرهم، وبالتالي لا يدفعون ضريبة ممالأة حكامهم على قتل الناس ونهب الشعوب.

وعلى القوى المحبة للسلام في الشعب الأمريكي – كما تدعي – أن تتولى ولو بوسائل المواجهة المسلحة، مسؤولية ردع حكوماتهم الصهيونية عن العدوان على البشرية جمعاء، وإلا فإن من حق الشعوب المعتدى عليها من قبل أمريكا، أن ترد العدوان الأمريكي عليها بمثله وبكل الوسائل بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل، وسياسة كسر ظهر العدو بالإبادة الجماعية وقتل المدنيين، وهو أسلوبهم المتكرر وعين العدل أن يعاملوا به.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٩)- الموقف من الأقليات الدينية في بلاد المسلمين:

أشرنا لهذه المسألة سابقا، ولاسيما بخصوص النصارى، فإن حقوقهم الشرعية معروفة في إطار الإسلام، لما يكون أمر الحكم للمسلمين بحسب ما أنزل الله، وأما الآن حيث مازلنا في مرحلة دفع العدوان، فموقفنا منهم عدم التعرض لهم، إلا لمن وقف في صف العدوان والاحتلال فيواجه لهذا السبب مثله مثل غيره حتى من المسلمين، ومن مصلحة المقاومة وأهدافها كسب تلك الأقليات أو تحييدها على الأقل.

(١٠)- الموقف من منظمات حقوق الإنسان:

في مثل المعركة الشرسة الدائرة الآن لا يبدو أن ثمة كبير أهمية لمواقف تلك المنظمات في رد حق أو ردع عدوان، ولكن الأحداث أثبتت أثر تلك المؤسسات ومواقفها الإعلامية غالبا في تشكيل الرأي العام العالمي، وأثر ذلك الرأي العام في دعم قضايا الحق والعدل وإن كان على المدى الطويل، ولذلك ننصح العاملين في مجال المقاومة السياسية والإعلامية بعدم إغفال أثر الجهود مع تلك المنظمات، في الضغط على قوات الإحتلال وتشكيل الرأي العام لصالح قضايانا.

(١١) - الأمم المتحدة والقوانين الدولية والمنظمات الدولية:

الأمم المتحدة باختصار منظمة شكلها حلفاء منتصرون في الحرب العالمية الثانية، لضمان تقاسم السيطرة على العالم، وتقنين توزيع تلك السيطرة فيما بينهم بحسب قوتهم وأوزانهم العسكرية والسياسية.

وقد تركت بعض الهوامش الدعائية لبعض مؤسسات تلك المنظمة، لتتحرك فيها الشعوب الضعيفة والحكومات التابعة بما تتوهم أنه هامش من التأثير السياسي وانفردت أمريكا بإدارة العالم ورثت أمريكا

السيطرة شبه الكاملة على هذه المنظمة التي ستنهار قريبا وتذهب كمؤسسة من مخلفات النظام العالمي القديم.

وقد شهدت هذه المنظمة على نفسها بأنها كانت وراء تقنين ضياع حقوق العرب والمسلمين في كل مسائلهم التي عرضت عليها وهذا يحتاج لمجلد كامل لسرد تفاصيله، فقد اعترفت المنظمة بإسرائيل، وبكل مؤامراتها بعد قيامها، ولم تفلح قراراتها لصالح العرب والمسلمين إلا لذر رماد قرارات الشجب في العيون، وأما وقد ورثت أمريكا المنظمة.

فقد تحول هذا(الكوفيُّ العنانُ) لموظف حقير تابع للبيت الأبيض، حيث شرَّع مجلس الأمن غزو العراق وقنن احتلاله، ومهد لتدويل ذلك الإحتلال، كما فعل في أفغانستان والبوسنة سابقا.

والخلاصة فإن على قوى المقاومة أن تتعامل مع هذه المؤسسات الدولية، وكلا بحسب ضررها وعدوانها على أساس أنها الستار المزيف للعدوان الصهيوني الأمريكي وسيطرة حكومته الخفية على العالم، وعدم الانخداع بمهزلة مواجهة الأمم المتحدة للمطامع الأمريكية.

نظرية التربية المتكاملة في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

مناحي التربية عند مدارس الصحوة:

باستعراض مناحي التربية المتكاملة للمسلم المجاهد، نجد أنها نشتمل على خمسة مناحي وهي:

(١)- التربية السلوكية والخُلقية والعبادات والرقائق.

(٢)- العلم الشرعي في مجالات العقائد ومختلف علوم الدين وخاصة فقه الجهاد.

(٣)- الفهم السياسي أو فقه الواقع وما يدور من أحداث.

(٤)- الإعداد العسكري الجهادي لتجهيز المجاهد بما يلزمه من علوم القتال.

(٥)- وأخيراً التطبيق العملي لممارسة الجهاد في دفع صائل الإعداد عن المسلمين.

فلو جئنا لنستعرض حظ مختلف مدارس العمل الإسلامي في الصحوة، ومنها المدرسة الجهادية، فماذا نجد من أحوالها في مجال التربية؟

ونشير بأننا نحكم هنا على حالة العموم، ولا حكم للشواذ، إذ قد تجد أحد أفراد مدرسة ما من مدارس الصحوة قد تحلي بصفات إيجابية موجودة في مدرسة أخرى.

أولاً: المدارس الإصلاحية والسلوكية التربوية:

من قبيل جماعات التبليغ والدعوة والجماعات الصوفية وما شابهها، سنجد أنها قد أخذت في الميدان الأول بحظ وفير في مجال العبادات والأخلاق والسلوك والرقائق ومختلف وجوه الآداب، ونجد أن حظهم (في الغالب طبعاً) من العلم الشرعي في أبواب العقائد والفقه ومختلف علوم الدين محدوداً في كبارهم، وشبه معدوم في قواعدهم، وسنجد أنه حظهم من الفهم السياسي، وفقه الواقع كذلك شبه معدوم، إلا في الحالات النادرة، أما في مجال الإعداد للجهاد وفي ممارسته، سنجد أنهم لا حظ لهم في الغالب من ذلك.

ثانياً: المدارس السلفية والتربوية العلمية الشرعية:

من قبيل مختلف المدارس المكونة للتيار السلفي وطلاب العلم الشرعي، ونجد أنه حظهم في الميدان الأول وهو ميدان (الأخلاق والعبادات والرقائق) قليل، وكثيراً ما تغلب على أوساطهم الجفوة والقسوة وآثار ندرة التربية الروحية، وأما في المجال الثاني فقد أخذوا بحظ وافر من علوم العقيدة وتنقيح الآثار ودراسة السنن ومختلف علوم الدين والفقه، فتجد كبارهم على قدر كبير، وكذلك تتوفر قواعدهم على حظ لا بأس به إجمالاً، وكسابقيهم نجد أن حظهم في مجالات الفهم السياسي وفقه الواقع قليل، وأما في مجال الإعداد والجهاد، فما هم في العير ولا في النفير كمن سبقت الإشارة إليهم، وليس لهم في الغالب من ذلك حظ إلا في الحالات الفردية.

ثالثاً: مدارس العمل السياسي والتنظيمات الدعوية والسياسية والحزبية:

مثل جماعات الإخوان وحزب التحرير وما شابههم من الجماعات السياسية، وسنجد أن حظهم في مجال العبادات والرقائق والتربية الروحية والأخلاقية، قليل في العموم، وهو كذلك في مجال العلم الشرعي،

وأما في مجالات فقه الواقع وعلوم السياسة والإدارة والثقافة العامة، نجد أن حظهم وفير، فكبارهم على مستوى رفيع في ذلك، وقواعدهم على مستوى مقبول وجيد، وأما في مجالات الإعداد وممارسة الجهاد، فكذلك لا حظ لهم في ذلك كحالة عامة، اللهم إلا في حالات خاصة فردية.

رابعاً: مدارس تيار الجهاد والجهاديين:

نجد أنهم كسابقيهم، فقد ركزوا على منحىً وأهملوا باقي المناحي، فقد شغلوا أنفسهم وجل وقتهم في الإعداد العسكري والتدريب، ومارس كثير منهم الجهاد والقتال عملياً.

أما في مجالات الإعداد والتربية السلوكية والعبادية ومجالات الأخلاق والرقائق، ستجد أن حظ غالبهم من ذلك متوسط أو قليل، ولاسيما المتأخرون منهم، وإذا ما جئت إلى مجالات العلم الشرعي وطلبه ستجد أنه متوسط، وأما إذا جئت إلى مجالات فهم الواقع والسياسة، ستجد أن حظ الغالبية العظمى من ذلك ضحل قليل، اللهم إلا الجيل الأول من الجهاديين الذين تربوا في جماعات إسلامية وفي حلق العلم بشكل جيدا.

وهكذا نلاحظ، أن كافة مدارس الصحوة والعمل الإسلامي، قد مارست في مناهجها حالة من الإعداد والتربية المجتزأة بالتركيز على بعدٍ واحد أو بعدين وإهمال باقي المناحي، وإذا أردنا أن بنين هذه الأحوال في جدول بياني نجده على الشكل التالي:

مدارس الصحوة / مجالات التربية	المدارس السلوكية التربوية: (صوفية، تبليغ)	السلفية وطلاب العلم الشرعي	المدارس السياسية الحزبية	المدارس الجهادية
الأخلاق والآداب والعبادات	جيد	متوسط أو ضعيف	متوسط أو ضعيف	ضعيف أو متوسط
العلوم الشرعية	ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط	ضعيف أو متوسط
الفهم السياسي وفقه الواقع	ضعيف جداً	متوسط أو ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط
الإعداد لعسكري	معدوم	معدوم	معدوم	جيد
ممارسة الجهاد	معدوم	معدوم	معدوم	متوسط

وهكذا نلاحظ أننا في المدرسة الجهادية وإن كنا أحسن حالاً في الإجمال، ولكن مدرستنا تميزت بالعموم بنفس صفة التجزئة والشطب في التربية والإعداد، وذلك بالتركيز على ربع المناحي وإهمال ثلاثة أرباعها التربوية.

ومن خلال انغماسي في التيار الجهادي، ومعايشتي له ميدانياً عبر زمن طويل، لاحظت أن المتأخرين من الجهاديين، وعلى عكس الرعيل الأول الذين أخذوا بخط متميز من التربوية، ولاسيما الذين انحدروا من جماعات ومدارس الصحوة الأخرى، وأخذوا بخط من طريقتها التربوية، وجدت المتأخرين قد رضوا بحظهم من الإعداد العسكري وممارسة الجهاد، معتبرين ذلك يجعلهم في ذروة سنام الإسلام، اعتماداً على الفهم

المجتزأ والخاطئ للحديث المروي عنه ﷺ بأن «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»[(١)]، مجتزئين ذلك من الحديث العام الشامل لكافة أساسيات الإسلام وجماع مناحي الخير، والحديث بتمامه هو:

[عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ » قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][(٢)].

وإذا ما عدنا إلى طريقته ﷺ في تربية الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم طريقتهم في تربية التابعين، ثم تربية هؤلاء لمن تبعهم بإحسان، وهكذا إلى ما كان من أمر السلف والعلماء والصالحين، نجد أنها كلها قامت على الطريقة التي أسسها رسول الله ﷺ بشموليتها لذلك كله، فهو ﷺ كان بذاته مثالا، فكان خلقه القرآن كما روت عائشة، ومن كان خلقه القرآن، جمع وجوه الفضائل والعلوم والأدب ومكارم الأخلاق، وأما سيرته ﷺ، فمسار من العقيدة الراسخة الموصولة بالله سبحانه وتعالى، وهو منبع علوم الشريعة وبحرها الزاخر، وأما عن أخلاقه ﷺ، فيكفي بها وصف الله سبحانه وتعالى له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وأما إعداده وجهاده، فأشهر من أن يشار إليه.

وأما طريقته ﷺ في الإعداد والتربية فقد كانت مدرسة متكاملة يومية يعيش معها الصحابة ذلك التكامل، أخلاق وعبادة، علم وعمل، فهم وإعداد، جهاد وسبيل شهادة.

فقد كان رسول الله ﷺ برسوخ عقيدته وفقهه وخلقه وجهاده هو الأسوة الحسنة الماثلة أمامهم، وكانت طريقته المتكاملة تعتمد ترسيخ العقائد التي أخذ الرعيل الأول في مكة حظهم الأوفر منها، فزرع العقيدة ورعى شجرتها حتى رسخت جذورها في نفوسهم، ثم نمت في أرواحهم، وأينعت في سلوكهم.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط، وهو طرفٌ من لاحقه أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال حديث حسن صحيح، ورواه النسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

وأما تعاهده لهم ﷺ في حضهم على العبادة والنسك والتبتل وضرب المثل الأعلى لهم في ذلك فقد طفحت به نصوص السنة وأخبار السيرة.

وكذلك كان الأمر في رعايتهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق، من الصدق والأمانة، والكرم والشجاعة، وإكرام الضيف والتحابب، والرحمة والذلة على المؤمنين، والتعاضد والإيثار إلى منتهى قمة الأخلاق الحميدة

وأما عيشهم لواقعهم وفهمهم له، والتعامل معه، فشواهده كثيرة في سيرتهم سواء في داخل مجتمعهم، ومع محيط القوى المحلية والمحيطة بهم.

وأما عن إعدادهم العسكري، فقد حضهم ﷺ على التدريب والرماية وإعداد القوة، وركوب الخيل، وشهد ميادينهم وسباقهم وتنافسهم في ذلك،

وأما ممارسة الجهاد فكان نهجه ﷺ القدوة الحسنة، فقد خرج بنفسه ﷺ في غزوات كثيرة، وبعث السرايا والجيوش بقيادة أحبهم إليه ليكونوا في مواطن القدوة والخطر، وكان بذاته الشريفة ﷺ قدوة حتى قال علي رضي الله عنه، بأن أشجعهم كان أقربهم إلى العدو. ولم يكن يؤجل الرجل إذا أسلم، ويؤخره عن الجهاد حتى يعد ويتربى على الإسلام، كما يزعم القعدة من الدعاة اليوم! بل كان شعاره عليه الصلاة والسلام:كما قال لمن أراد اللحاق به في القتال ولم يكن مسلما: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»[1].

فكان خلاصة طريقته ﷺ في التربية أنها متكاملة المناحي قامت على:

(١) العقيدة والعلم. **(٢) الخلق والنسك** **(٣) فهم الواقع وعيشه**

(٤) الإعداد والقوة **(٥) ممارسة الجهاد كفريضة حال وقوعها.**

ومن هنا نجد أن السلف رضي الله عنهم ركزوا على هذه المناحي المتكاملة في سلوكهم وإعداد تلاميذهم وإرشادهم للأمة وما قدموه من قدوة حسنة.

ولا أريد أن أطيل في النقول والشواهد على ما أسلفت من كتب السيرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والسلام، وسير الصحابة رضي الله عنهم، والقصص الرائعة لهم ولمن تبعهم بإحسان، وقد ألفت فيها روائع الكتب.

ومن خلال ما تقدم نستكشف المناحي الأساسية لنظريتنا التي يجب أن تقوم عليها **أصول التربية في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، وهي:**

١- العقيدة والعلم الشرعي.

٢- الأدب والعبادة والأخلاق والرقائق.

٣- الفهم السياسي وفقه الواقع.

٤- الإعداد العسكري.

---

(١) رواه البخاري: (٢٨٠٨) من حديث البراء رضي الله عنه.

٥- مباشرة الجهاد والمقاومة دفع الصائل.

وهي الأركان الخمسة التي تقوم عليها طريقتنا التربوية، وعليه، فيجب على العلماء والدعاء وحملة الأقلام في هذه الفنون ومجالاتها في هذه الأمة، أن يجهدوا في إثراء المكتبة الإسلامية المعاصرة بمنهج ومختصرات عملية تساعد على تربية الجيل القادم من المقاومين والمجاهدين على هذه الأسس.

وعلى قيادات المقاومة وكوادرها البناءة أن تعتمد مثل هذه المناهج، في إعداد نفسها ومن معها، وسنبين فيما يلي مختصرات وبرامج عامة مما يساعد المجاهدين والمقاومين وخاصة المنتسبين إلى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية على إعداد أنفسهم وكوادرهم، وإعداد الأمة وفق هذه الآفاق المتكاملة التي يجب أن تسير متوازنة وفي آن واحد.

برنامج تربوي مقترح ووصايا للمجاهد في ميدان العبادة والنسك والسلوك والأخلاق

(١) - العمل على تجديد الإيمان وتصحيح النية والإخلاص لله تعالى في كل حين.

(٢) – الحرص على حسن إقامة الصلاة بالتزام الصلوات في أول أوقاتها، والحرص على أدائها في جماعة – إن أمكن – وإتمام ركوعها وسجودها والتزام سننها القبلية والبعدية، واستحضار الخشوع فيها وإتمامها على أكمل وجه وبذل الجهد في تحسين أدائها باستمرار.

(٣) – التزام الأذكار والتسبيحات المعروفة دبر كل صلاة وعدم الإنصراف من مجلس الصلاة إلا بعد أدائها، ودعاء الله وسؤاله من خير الدنيا والآخرة بعد أداء التسبيحات.

(٤) – الحرص على إيتاء الزكاة – لمن كلن له مال تجب الزكاة فيه – وتحري إحصاء الحق فيها وأدائها عن طيب نفس، وتحري الصالحين المحتاجين المستحقين لها، وخاصة من ذوي الأرحام والقرابة، ومن الأسر التي أصيبت في سبيل الله من المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله، ولا سيما أسر الشهداء والمعتقلين الأسرى لدى الأعداء.

(٥) – تحري صوم رمضان إيمانا واحتسابا على خير وجه، والتشوق إليه، والإكثار من الطاعات فيه ولا سيما، قيامه (صلاة التراويح)، وقراءة القرآن وكثرة الصدقات لمن وجد.

(٦) – أداء فريضة الحج فور الاستطاعة الشرعية، ومحاولة أدائها في سن الشباب.

(٧) – إلتزام أداء أذكار الصباح (مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس) وأذكار المساء، (مابين صلاة العصر إلى المغرب)، وتضمينها وردا من الإستغفار ١٠٠ مر ة يوميا، والتزام أذكار النوم، وتحري أن يكون آخر الكلام قبل النوم ترديد الشهادتين.

(٨) – إلتزام سنة صلاة الضحى (من ارتفاع الشمس إلى قبيل الزوال)، ركعتان أو أربعا أو ثمانية ركعات.

(٩) – إلتزام ورد يومي من القرآن بقراءة جزء يوميا، وختمه في كل شهر قمري مرة على الأقل، والتزام قراءة سورة الكهف كل يوم جمعة، مابين الفجر إلى قبيل المغرب.

(١٠) – إلتزام قيام الليل يوميا، بورد يقدره الأخ بحسب قدرته، يصليها في الثلث الأخير من الليل إن قدر، وإلا فليصل ما قدر عليه قبل النوم ثم يوتر، والسنة النبوية فيه أحد عشر ركعة، والإكثار من الإستغفار وقت السحر.

(١١) - إلتزام ورد من صيام النافلة، وأقله ثلاثة أيام من كل شهر، وهي الأيام البيض (١٣-١٤-١٥) من كل شهر قمري، وأوسطه صيام الاثنين والخميس، وأفضل الصيام صيام داوود عليه السلام، صيام يوم وإفطار يوم.

(١٢) – إلتزام قدر من الصدقة المالية أسبوعيا أو شهريا بحسب القدرة.

(١٣) – إلتزام جلسة للتفكر والمحاسبة في آخر النهار قبل النوم، ومراجعة حصاد الإحسان والإساءة اليومية، وتعاهدها بالإستغفار، وتشديد محاسبة النفس في مصادر الكسب وتحري أن يكون حلالا خالصا، ورد الحقوق لأهلها، وتصدق بما رقى إليه الشك من الكسب المحرم، واستحلال من أصابه الأخ بأي شكل من أشكال الأذية، وتعود مراقبة الله في السر والعلن.

(١٤) – تحري رضا الوالدين وبرهما أحياءا بحسن الصلة والمعاملة، وأمواتا بالحج عنهما إن لم يحجا، وبالصدقة لهما، وبصلة أصدقائهما بعد رحيلهما، وبكثرة الإستغفار وطلب الرحمة لهما.

(١٥) - تحري صلة الأرحام وزيارتهم وبرهم والإحسان إليهم، وتعاهدهم بالصلة والهدية، وبالصدقات إن كانوا في حاجة.

(١٦) – تحري حسن الخلق في معاشرة الناس، والإحسان إليهم والصبر على إساءتهم والأستغفار لهم والدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(١٧) – تحري سنة رسول الله ﷺ في كل الحركات والسكنات، وتحري أقواله وأفعاله، وما سنه وشرعه، في المأكل والمشرب والملبس والنوم واليقظة ومعاشرة الأهل و، وحسن صحبة الجيران وصلة الأرحام، وتحري أخلاقه الشريفة ﷺ في كل شأن، والإستعانة بالكتب التي تتبعت ذلك مثل (كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم).

النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

هذا الباب هو قلب الكتاب ولأجله وضع كل الكتاب ورتبت له كل المقدمات والفصول، فهو جوهر فكرتنا وخلاصتها،

وألفت النظر إلى أمر مهم وهو:

أن أكثر ما سأذكره هنا هو اجتهاد حركي وعسكري خاص، مبني على التجارب الذاتية والدراسة والمقارنة، والمحاورة مع أصحاب التجارب من قادة المجاهدين وكوادرهم، وأكثرهذه المواضيع ليس من مسائل العقائد وأحكام الحلال والحرام، وإنما آراء بنيت على دروس التجارب من قضايا الرأي والحرب والمكيدة لتتناسب مع الواقع الجديد.

استعراض أساليب الجهاد وطرقه في مسار التيار الجهادي (١٩٦٣-٢٠٠١م):

مدرسة التنظيمات الحركية (القطرية –السرية-الهرمية):

آلت هذه المدرسة إلى الفشل التام في كافة المناحي، منذ انطلق النظام العالمي الجديد عام ١٩٩٠م.

لقد استطاع النظام الأمني المحلي في بلادنا أن يقضي على تلك المحاولات، بفعل نظام التنسيق العربي والإقليمي، وتمت لهم النتائج عندما وصل ذلك التنسيق للمستوى الدولي.

كان موجز نتيجة طريقتنا تلك:

(١) – فشل عسكري في كل المواجهات، نعم لقد سجلنا انتصارات في كثير من المعارك ولكننا خسرنا الحرب.

(٢) – هزمت تنظيماتنا **أمنيا**، وكشفت خلاياها وتفككت وأجهضت محاولات بنائها، وتحول النظام الأمني إلى مستوى الضربات الإجهاضية للمحاولات قبل إنشائها، أو في مهدها.

(٣) –فشل **دعوي**، فلم تستطع التنظيمات الجهادية أن تتمدد في الجماهير، ولا أن تكون شعبية، رغم الحق الذي حملته، ولم تتجاوز أعداد عناصرها المئات وربما العشرات في بلاد مليونية.

(٤) – فشلت التنظيمات الجهادية على صعيد **تربية** عناصرها وإعدادهم وتأهيلهم للمواجهة فكريا وعقديا ومنهجيا وأمنيا وسياسيا وعسكريا، إلا في حالات محدودة حيث حالت السرية والظروف الأمنية دون

ذلك، وهكذا استُهلِكت الكوادر والعناصر المكوَّنة عبر التربية الطويلة، ليغلب على القواعد التالية انخفاض المستوى التربوي، وقد حصل هذا في عموم التجارب.

(٥) – فشل سياسي عن تحقيق أهداف المشروع العام.

والآن لنلفت النظر من خلال هذا الإيجاز إلى مآل هذه الأساليب في ظل واقعنا الحالي بعد انطلاق النظام العالمي الجديد، وخاصة بعد سبتمبر وحملات مكافحة الإرهاب:

- إذا كان فشلنا في أسلوب (التنظيمات السرية القطرية الهرمية) في مواجهة الأنظمة الأمنية المحلية عبر العقود الماضية تاما، فكيف بنا في مواجهة الآلية الأمنية للنظام العالمي الجديد، وانطلاق الحرب العالمية لمكافحة الإرهاب بكل وسائلها الأمنية والعسكرية والفكرية والسياسية والاقتصادية...؟! لم يعد الأمر ممكنا، بل إن الإصرار على هذا الأسلوب، مع هذه المعطيات المعاصرة، هو – في رأيي - ضرب من الانتحار والإصرار على الفشل، يصل لحد جريمة التغرير بالبسطاء من شباب المسلمين المتحمس للجهاد، وتحمل لمسؤولية إيرادهم المهالك في دروب ثبت فشلها، ودفعنا زكي الدم ثمنا لهذا الاكتشاف.

- لم تكن العلة في أسلوب التنظيمات ولا في التنظيمات بشكل عام وإنما هي تحولات الزمن ومعطيات الواقع الجديد بعد (١٩٩٠)، الذي جعل تلك الأساليب بائدة، وقد ضربت لهذا مثلا يوضح المقصود في بعض المحاضرات في أفغانستان، وأعيده هنا.

فلو كان لديك ماكينة كهرباء جيدة وقوية وممتازة، ولكنها تعمل بنظام الكهرباء القديم /١١٠ فولت/ فقط، ثم كما حصل في بلادنا تم تحويل مصادر الطاقة الكهربائية كلها إلى /٢٢٠ فولت/، فماذا يحصل لو أصررت على العمل بها؟! سوف تحترق الماكينة، وتضرب نظام الكهرباء عندك، وربما كهربتك معها!!. وبدهي أن العلة ليست في الماكينة، فهي سليمة وصالحة للعمل في وقتها، ولكن الظروف المحيطة الجديدة جعلتها خارج الزمن، وصار مكانها الطبيعي في المتحف! في زاوية الخزانة كأثر من الماضي، ولن يغير من الواقع شيئا حبك لها وذكرياتك الجميلة معها، وأنها من إرث والديك.

لم تعد الماكينة صالحة للعمل، لقد تغير الوقت وخرجت من الخدمة، وهذا ما فعله النظام العالمي الجديد بماكيناتنا التنظيمية (القطرية – السرية – الهرمية)، رغم روعتها،

ولذلك حصلت ظواهر هامة نذكر ملاحظاتها هنا:

- لقد استغرقت المعركة بين الحكومات والتنظيمات الجهادية خلال الستينات والسبعينات والثمانينات، سنينا طويلة حتى تمكنت الحكومات من القضاء على التنظيمات الجهادية، وكان ذلك

بعد معارك طاحنة وخسائر كبيرة للحكومات، فقد استغرق الجهاد في سوريا زهاء عشرة سنين من المواجهة (١٩٧٣-١٩٨٣)، وفي مصر مثل ذلك أو أكثر، ولكن أنظر في الجزائر رغم توافر المعطيات الهائلة والظروف الرائعة للحركة الجهادية، لقد دمرت المحاولة خلال أربع سنين (١٩٩٢- ١٩٩٥)! ولكن المواجهات والمحاولات التي حصلت أواخر التسعينات ومطلع القرن الحادي والعشرين، لم يستغرق القضاء عليها إلا أياما معدودة فقط! ففي لبنان، دمر تنظيم أبو عائشة ﵀ الذي أستغرق بناؤه عدة سنوات في خمسة أيام! وقضي علي حركة أبو الحسن المحضار ﵀ في اليمن في ثلاثة أيام وهكذا..! وهذا يثبت أن هذه الماكينة القديمة لم تعد صالحة إلا للاحتراق وإحراق أصحابها إن أصروا على العمل والاستمرار بها كما هي، وهناك ملاحظات أخرى.

- لقد أُغلقت الهوامش الإقليمية والدولية أمام عمل التنظيمات السرية الإقليمية والدولية حتى غير الإسلامية نتيجة قيام النظام العالمي الجديد بعد ١٩٩٠، ولاسيما بعد سبتمبر ٢٠٠١، فقد كان هناك عدة أقطاب في النظام السياسي العالمي ما قبل الجديد، فهناك المعسكرين الشرقي والغربي، وداخل المعسكر الغربي كان هناك محاور ومصالح دول وتنازعات، وقد مكن هذا الثائرين على بعض الأنظمة من أذيال محور دولي معين، اللجوء إلى أراضي إحدى الدول من محور آخر، واستئناف العمل، حيث تلقت التنظيمات الدعم، وأحست بالأمن، وكونت الملاذات الآمنة ونمت وتمولت، وهكذا فر الثائرون على عبد الناصر في مصر وهي من محور الشرق إلى السعودية لدى الملك فيصل، وهو من محور الغرب، وعمل الخارجون على صدام من سوريا، كما عمل الإخوان المسلمون والطليعة المقاتلة ضد النظام السوري في العراق والأردن، وساح الجهاديون والإسلاميون والمعارضون السياسيون من كل قطر، في كثير من دول العالم وحصلوا اللجوء السياسي وعملوا سرا عبر الحدود.. إلخ.

ولكن ما إن سقطت روسيا، وقام نظام القطب الأوحد (أمريكا)، أصبحت معظم الدول وخاصة الصغيرة منها أذيالا لقطب واحد فرض سياسة واحدة، فألغيت الهوامش بين الأذيال والمحاور، وهكذا خسرت الدول والأحزاب والقوى الصغيرة، تلك الهوامش، وصارت مضطرة للسير في سياق أوامر سياسة النظام الطاغي على الأرض، وكلما كانت الدولة أو التنظيم أو الجهة ضعيفة، زادت خسارته مع هذا النظام العالمي الجديد، وكان من أكبر الخاسرين في هذا الانقلاب، التنظيمات السرية المقاومة، والأحزاب المعارضة، حيث اضطرت إلى التوقف أو الانحلال أو الاستسلام أو التوبة والتسوية مع حكوماتها.

لقد تحول الزمن، وعلينا أن نصمم طريقة للمواجهة بحسب مقاييس الوقت الحاضر.

وأعود فأكرر، ليست العلة الرئيسية في تركيبة التنظيمات، وعللها الداخلية وإن كانت سبباً أساسياً ولكن العلة الرئيسية سببها تحول الزمان ومعطيات الواقع تحولاً جذرياً انقلابياً غيروجه التاريخ والحاضر وبالتالي المستقبل.

مدرسة الجبهات المفتوحة والمواجهات المكشوفة:

القصد من الجبهات المفتوحة هي التي تكون فيها قوات المجاهدين متواجدة بشكل مكشوف وثابت وتقاتل قوات الأعداء في خطوط قتال مفتوحة، أو تشن حرب عصابات انطلاقاً من تلك المناطق الثابتة، وأوضح مثال عليها في تجاربنا: (الجهاد الأفغاني الأول) – (البوسنة) – (الشيشان) – ثم (الجهاد الأفغاني الثاني في مرحلة طالبان)، وكما قلت فقد أثبتت هذه الطريقة على عكس سابقتها جملة من الأمور هي:

(١)- نجاح عسكري ساحق:

وذلك رغم الفارق الهائل في العدو والعدة والسلاح والتكنولوجيا وكل الموازين المادية، ففي التجربة الأولى تمكن المجاهدون الأفغان على عوزهم، ومن معهم من المجاهدين العرب والمسلمين على هزيمة دولة عظمى وطي أعلامها إلى الأبد إن شاء الله.

وفي البوسنة تمكن حفنة من المجاهدين العرب والأتراك والمسلمين، من قلب ميزان القوى في حرب الإبادة الصربية، وقاموا بأعاجيب، ويكفي أن نذكر أن ٦٠ ألف جندي من القوات الأمريكية رابطوا في البحر على شواطئ البوسنة وصربيا، واشترطوا لدخولهم البوسنة بعد اتفاق (دايتون)، أن يخرج ٦٠٠ مجاهد مسلم منها..! فكان كل رجل منهم يبث الرعب في مئة من جنود الإمبراطورية العظمى ومن في حلفها..!

وأما في الشيشان فحدث ولا حرج عن المعجزات العسكرية التي أذهلت العالم، من صمود حفنة من الرجال في وجه الآلة العسكرية السوفيتية..! من شعب لا يبلغ مليون نسمة، في بلد لا يبلغ ٥٠ ألف كيلومتر مربع!

وهكذا أثبت المجاهدون المؤمنون، أنهم في ميادين المواجهات المكشوفة مقاتلون لا مثيل لهم، ولم تقف الموازين المختلة بينهم وبين أعدائهم حائلاً دونهم ودون الانتصارات.

(٢) - النجاح الأمني:

على اعتبار أن المواجهات قامت بشكل مكشوف فكانت المشاركة الميدانية القتالية حاجزاً يكتشف عنده كثير من المندسين والإستخبارات فيتوبون أو يهربون، واقتصر عملهم على رصد حركة التنظيمات التي لجأت لتلك الجبهات، وليس في إجهاض الجبهات ذاتها.

(٣)- النجاح الدعوي:

نجحت تلك القضايا في حشد الأمة بمئات ملايينها وراء ها، ويلتحق خلاصة أبنائها بالجبهات، ويتضرع شيوخها وعجائزها إلى الله يسألونه النصر للمجاهدين، وتبرع أغنياء المسلمين وفقراؤهم بأموالهم ودعموا الجهاد.

(٤)- النجاح التربوي:

تقوم النظرية الإسلامية في التربية على التلقي المباشر للعلم، وعلى القدوة والأسوة الحسنة بالمعاملة وعلى عكس التربية السرية فإن جهاد الجبهات وفر ذلك، ولكن وللأسف كان هناك قصور كبير من القيادات التي أشرفت على تلك المرحلة، وذلك على صعيد الاهتمام بمسألة التربية بمناحيها المختلفة، حيث اهتمت الجموع بالتربية العسكرية والقتال، ولكن هذا القصور لا ينفي أن التربية كانت ممكنة، وأنها حصلت بشكل جزئي من البعض وكان أثرها رائعاً كما في تجربة أفغانستان والبوسنة، وأكبر بكثير من ذلك الذي حصل مع التجربة السرية الجهادية.

(٥)- النجاح السياسي:

النجاح السياسي هو تحقق الأهداف والشعارات، وقد كان الهدف من كل الجهاد هو دحر العدو وإقامة الحكم الإسلامي، وفي التجربة الأفغانية حصل النجاح تاماً، وأسفر الجهاد بعد مروره بالفتن والمحن عن قيام الإمارة الإسلامية، وتحقق الحلم، وإن كان قد أطفئ بعد حين، وسيعود قريبا إن شاء الله، وأما في البوسنة فقد كان الهدف إنقاذ المسلمين من الإبادة، وقد تحقق هذا، ولكن قيام دولة إسلامية في قلب أوروبا، وفي ظل النظام العالمي الجديد لم يكن أمراً ممكناً، وأعتقد أن ما تحقق نظراً للظروف يشكل نجاحاً إلى حد كبير، وأما في الشيشان فلم يتحقق المشروع السياسي رغم النجاحات العسكرية، لأن المعطيات الاستراتيجية للشيشان كبلد مساحةً ومعطيات وتعداد سكان يجعل ذلك أمراً شبه مستحيل.

ولكن نظرية صمود الجبهات تعرضت للسقوط في عالم ما بعد سبتمبر ٢٠٠١، واستعمال أمريكا لتفوقها التكنولوجي الخرافي، واستخدامها لإستراتيجية الحسم الجوي الصاروخي، والسيطرة الفضائية والإلكترونية المطلقة، والقدرات الجبارة على التصوير وتوجيه القصف الجوي والصاروخي، والقدرات الهائلة غير القابلة للمقارنة للقوات المعادية في الإنزالات المحمولة جواً، والتي تصل لحد القدرة على إنزال فرق من الآليات والمدفعية وقوات الكوماندوس بحجوم إستراتيجية في أي مكان يريدونه وبسرعات قياسية.

ومن خلال متابعتي المستمرة ودراستي لسير طريقة المواجهة العسكرية والأداء الأمريكي إبان غزو العراق في مارس وأبريل ٢٠٠٣، ثم كذلك لبعض المعارك التي قامت بها بعض الجيوش العميلة بإدارة القيادة الأمريكية العسكرية والأمنية في المنطقة كما حصل في مداهمات الجيش اليمني لمواقع ومعسكرات جبلية للمجاهدين في (جبال حطاط) وغيرها هناك.

وكما حصل أثناء محاصرة الجيش الباكستاني واقتحاماته مراراً على مناطق بعض المجاهدين العرب ومن دافع معهم في مناطق القبائل في ولاية سرحد شمال غرب باكستان.

ومثل ذلك ما حصل من تدمير الأمريكان لمواقع بعض المجاهدين في كردستان العراق في (خورمال)، باستخدام استراتيجية القصف الجوي والصاروخي الأمريكي المركز، ثم زحف قوات العملاء مدعومة بالقواة الخاصة الأمريكية على مواقع المجاهدين.

وما جرى في معارك الفلوجة

كل هذا أثبت أن عملية المواجهة مع الحملات قوات الأمريكية وقوات حلفاءها بشكل مكشوف وفق أسلوب الجبهات المفتوحة، وانطلاقا من مراكز الدفاع الثابت، ما يزال في غير وقته الآن.

وإذا استصحبنا مع هذه الدروس الحالية الهامة، دروس تجارب جهادية مأسوية متعددة لنا بطريقة حرب عصابات (الدفاع الثابت)، كما حصل معنا في الجهاد في سوريا في (معارك حماة - فبراير١٩٨٢)، وفي معارك طرابلس ضد قوات الحكومة السورية، وفي الدفاع عن (تل الزعتر) في بيروت - لبنان ضد القوات السورية واللبنانية العميلة برا والإسرائيلية بحرا وجوا!!! وفي اليمن في تجربة المحضار في اليمن ١٩٩٨، وفي النبطية في لبنان ثانية سنة ٢٠٠٠...إلخ، نجد أن كلها تؤكد ما درسناه ودرَّسناه في (أصول قواعد حرب العصابات)، وما تنص عليه من أن (الدفاع الثابت) في غير وقته، هو من أكبر مقاتل العصابات، كما أسهبت في ذلك كتابات كبار منظري هذا الفن العسكري

من أمثال (ماوتسي تونغ) و(جيفارا) و(جياب) وكاسترو... وغيرهم.

مدرسة الجهاد الفردي وإرهاب الخلايا الصغيرة.

هذه المدرسة الجهادية قديمة جداً، ولعل أول تجاربها سرية الصحابي الجليل أبي بصير وقصته المشهورة، عندما شكل أول مجموعة حرب عصابات في الإسلام، ثم لحق به الصحابي الجليل أبو جندل، ومن الشواهد على هذه الطريقة ما حصل في آخر حياة رسول الله ﷺ، عندما إرتد الأسود العنسي في اليمن، واستولى على الحكم فيها وقهر المسلمين، وتصدى للأمر رجل مبارك كما وصفه رسول الله ﷺ من آل بيت

مباركين، وقام بعمل فردي من تلقاء نفسه، فاغتال الأسود العنسي وقلب الموازين، ورسخ الإسلام في اليمن، وبشر جبريل رسول الله ﷺ بهذا النصر الحاسم الذي قام به حفنة من الرجال المبادرين.

وعلى مر التاريخ الإسلامي تكررت المبادرات الفردية، وفي زمن الحروب الصليبية، وفساد الأمراء وانحلال الأمة، تصدت جموع المجاهدين المقاومين للأزمة قبل أن تنهض الدولة الزنكية ومن ثم الأيوبية، وقامت كثير من السرايا والمجموعات المنعزلة بفريضة الجهاد، وفي تاريخ العرب المعاصر قصة مشهورة عندما تمكن مجاهد بمفرده من قلب موازين القوى، والتأثير على مسار حملة استعمارية كبرى، وذلك عندما نفر المجاهد سليمان الحلبي رحمه الله، إلى بيت المقدس حيث استفتى أحد علمائها بقتل (كليبر) قائد الحملة الفرنسية الذي استخلفه (نابليون بونابرت على مصر)، ووصل إليه وقتله، وكان هذا أحد أسباب رحيل الحملة الفرنسية عن مصر، ولم يكن ثمن ذلك إلا فوز سليمان الحلبي وشيخه الذي أفتاه بالشهادة في سبيل الله، حيث أعدما رحمها الله تعالى..

ومنذ حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) ١٩٩٠، وقيام النظام العالمي الجديد إنتعشت هذه المدرسة، وحصلت منذ ذلك الوقت عشرات العمليات الفردية هنا وهناك في مختلف بقاع العالم العربي والإسلامي، ومازالت إلى اليوم، فقد قتل سيد نصير في الولايات المتحدة المتعصب الصهيوني الحاخام (مائير كاهانا) الذي كان من أشد اليهود على المسلمين في فلسطين، وكان لديه برنامجا لطرد الفلسطينيين بالكامل من فلسطين، وأدى قتله لحل جماعته وانطفائها، وفي ١٩٩٣ حاول (رمزي يوسف) أحد الأفغان العرب، (وهو باكستاني بلوشي) مع مجموعة من المجاهدين نسف برج مبني التجارة العالمي في نيويورك، وفي الأردن أقدم مجند أردني من حرس الحدود على إطلاق النار على عدد من الطالبات اليهوديات كن يقمن بحركات استهزاء بصلاة المسلمين وقتل عدداً منهن، وفي مصر قام الجندي البطل (سلمان خاطر) بإطلاق النار بقرار فردي منه، على عدد من اليهود على الحدود المصرية الإسرائيلية، وعلى حدود الأردن مع إسرائيل حصلت عشرات عمليات العبور من قبل شباب مجاهدين، كان بعضهم لا يحمل إلا سكين مطبخ! للهجوم على دوريات اليهود على ضفاف نهر الأردن الغربية، وفي بيروت اعتلى مجاهد سطح عمارة وأطلق عدداً من الصواريخ الR.P.G. على السفارة الروسية أثناء احدي حملات الروس على الشيشان، وفي أيام حرب الخليج طعن عجوز مغربي عشرة من السياح الفرنسيين في المغرب، وعُثر على جثة إيطالي في الإمارات، وطعن شاب عدداً من الأجانب في عمان الأردن وأطلق عليهم النار، وفي فلسطين تتم كثير من العمليات الفردية من قبل المواطنين الثائرين ضد المستوطنين أو جنود الاحتلال، وفي باكستان قتل مجاهدون عددا من الأمريكان واليهود، وفي مصر تقدم مواطن برسالة إلى حسني مبارك ثم طعنه بسكين فقتله الحراس، وفي الأردن قامت مجموعة رائعة مكونة من

أربعة أفراد بتشكيل خلية لاغتيال الماسونيين في عمان، وتمكنت من إعدام العديد منهم، ثم قبض عليهم بعد اشتباك واستشهد بعضهم، وهكذا...

والملاحظ على هذه الطريقة العفوية التي بدأت تنتشر مع اشتداد هجوم الحملات الأمريكية على بلاد المسلمين، واستعار المشروع الصهيوني في فلسطين، وانتشار الأخبار عبر الفضائيات وشبكات الاتصال، الملاحظ عليها ما يلي:

١- النجاح العسكري:

وهذا تستخلصه من حجم الرهبة والرعب الذي بثته في العدو، وأثرها على مصالحه، حتى أن بضع عمليات سنة ١٩٩٤ دعت أكثر من ٣٤ رئيس دولة على رأسهم (بيل كلينتون) إلى مؤتمر (شرم الشيخ) لمكافحة الإرهاب.

٢- النجاح الأمني:

وذلك أن هذه العمليات العفوية من قبل أفراد وخلايا هنا وهناك، على مدى اتساع العالم، من غير رابطة بينهم، أدخلت أجهزة الاستخبارات المحلية والعالمية في حالة إرباك، إذ أن اعتقال ما سقط من تلك الخلايا لا يؤثر في مجال أعمال آخرين لا رابطة بينهم، وقد استفدت من هذه الملاحظة إلى حد كبير في تصميم فكرة عمل خلايا دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المنشودة.

٣- النجاح الدعوي:

لقد حققت هذه المسألة نجاحاً دعوياً كبيرا، إذ كان لها بالغ الأثر في إذكاء روح الجهاد والمقاومة في الأمة، وحولت أفراداً مغمورين مثل (الدقامسة، وسلمان خاطر، وسيد نصير، ورمزي يوسف...) ليكونوا رموز أمة، تهتف باسمهم الجماهير، وتشفي صدورها، ويتأسى بهم جيل الشباب من المتحمسين للمقاومة.

٤- أما من الناحية السياسية:

فالملاحظ على هذه الأحداث أنها بقيت في حجم ردود الأفعال والانفعالات العاطفية هنا وهناك، ولم تبلغ عددياً أن تكون ظاهرة، رغم عتو الهجمة وتطاول الأزمان، ولهذا أسباب سنعرض لها عند صياغة نظريات العمل والحركة إن شاء الله.

٥- أما تربويا:

فإن غياب المنهج المشترك لهؤلاء المقاومين، لم يجعل لهذه الظاهرة بعداً تربوياً، وهذا خلل يمكن تلا فيه كما سنرى إن شاء الله.

وهكذا تلاحظ أيضاً أن هذه الطريقة قد سجلت نجاحاً نسبياً أيضاً، ولاسيما في أثرها في العدو واستعصائها على الإجهاض الأمني.

نستخلص من الدراسة الفاحصة لهذه المدارس الجهادية الثلاثة، في المرحلة الماضية أسس في غاية الأهمية:

(١)- انتهاء إمكانية العمل بأسلوب الطريقة السالفة، عبر التنظيمات (القطرية- السرية- الهرمية)، ولاسيما أنه بعد أحداث سبتمبر وانطلاق الحملات الأمريكية، دمرت الغالبية الساحقة من التنظيمات التي كانت موجودة، وجعلت الظروف إمكانية قيام تنظيمات أخرى بهذه الطريقة مستحيلة وعقيمة.

(٢)- علينا أن نركز البحث في أسلوب الجبهات المفتوحة، وأسلوب العمل الجهادي الفردي بأسلوب المقاومة الشاملة لتطويرها، من أجل استخلاص النظرية العسكرية والحركية المناسبة للمرحلة المقبلة، وذلك من خلال الأساليب التي ثبت جدواها.

ولكن قبل أن نناقش هذين الأسلوبين؛ يجدر بنا أن نلفت النظر إلى أمر مهم، وهو ضرورة غرس فكرة عولمة الجهاد على كل الأصعدة، فقد فرض العدو ذلك، لكي تساعدنا الظروف على التحرك فعلياً وفق معتقداتنا الأممية أصلاً، وهذا من بديهيات العقيدة.

ولكن طريقتنا الجديدة للعمل الجهادي في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، هي طريقة ودعوة عالمية، وكذلك نظريتنا العسكرية التي نحن بصددها، فإنها تعتمد على التحرك في الأفق العالمي، وهو أساس في الحركة العسكرية، فضلاً عن كونه إستراتيجية سياسية وعقيدة دينية.

فكرة الانتماء لمجموع الأمة وضرورتها للجهاد:

وذلك على مستوى الاعتقاد الديني، والإحساس النفسي، والانتماء الجغرافي وعلى كل صعيد.

فإننا لو جئنا لأي مسلم الآن، وسألناه من أين أنت؟ فإنه سيذكر بلده؛ من مصر، من سوريا، من تونس، من السعودية..الخ.

فلن يذكر ابتداءً مدينته ليقول لك أنه من دمشق أو بيروت أو القاهرة أو طشقند، لأنه منصرف في الإنتماء إلى حدود (سيكس بيكو) التي رسمها الإستعمار في عقله.

والذي يجب أن نرسخه الآن في عقول المجاهدين العازمين على المقاومة؛ هو حقيقة الإحساس والإنتماء وفق قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء]

والحمد لله فإن هجوم العدو العسكري الآن قد وضعنا في حدود خريطة واحدة اسماها (منطقة العمليات الوسطى) وتشمل عملياً أكثر دول وبلاد العالم العربي والإسلامي، وكذلك في المجال السياسي

والهجوم الفكري والاقتصادي والحضاري، فقد وضعنا (بوش) في خريطة واحدة تشمل نفس المنطقة وأسماها سياسياً (الشرق الأوسط الكبير).

وهكذا عَوْلَمَ العدو قضيتنا، بهجمته علينا ولله الحمد، وهذا يساعد من لم يسعفه المعتقد والفهم على هذا الاتجاه في التفكير الأممي الذي هو من أساسيات ديننا.

ويجب الانتباه إلى أن لهذا الانتماء الأممي بعدا عسكريا مهما يساعد في فهم النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

فهي تقوم استراتيجياً في البعد الأممي لكافة الوطن الإسلامي الكبير، ولا يمكن نجاحها لو حذفنا منها هذا البعد الأممي العالمي،

فلو جئنا لجهاد الجبهات وقررنا مواجهة أمريكا في جبهات مفتوحة، سنجد أنه حتى ينجح الجهاد في جبهة ما، فإن ذلك يستلزم شروطاً إستراتيجية، وليست هذه الشروط متوفرة إلا في مناطق محدودة في العالم الإسلامي، في حين تحتاج تلك الجبهات نفير المجاهدين من أي قطر إسلامي، ويسد المدد من مختلف الاختصاصات.

وكذلك في الجهاد السري الفردي، فإن العمل في الأفق الأممي والعالمي، يفتح آفاق ذلك العمل بصرف النظر عن الحدود والقطر، فالعدو يحتل العراق ويواجهنا هناك، وكذا في فلسطين الآن، فهل لزاماً على مجاهد في تونس، أو المغرب، أو إندونيسيا، أن يحضر إلى العراق ليهب لنصرة إخوانه، قد يستطيع ذلك قلة، وسيصعب جدا مع الوقت لتعاون أنظمة الردة في محيط ساحات المواجهة مع أمريكا ضد المجاهدين، ولكن أي مسلم يريد الجهاد والمقاومة، يستطيع أن يشارك في هذه المعركة ضد أمريكا في بلاده أو أي مكان، وبفعالية أكثر أثرا بمئات المرات ربما مما يستطيعه لو وصل ساحة المواجهة المفتوحة.

فلا بد من الإحساس بالانتماء للأمة وعالمها، في البعد الجغرافي والسياسي والعسكري وكل مجال.

ولكن الغريب، أن الناظر في هذه الخطوط المستقيمة والمنحنية والمعوجة بصورة عجيبة وهي ترسم خرائط بلادنا، يرى وكأنها لما خطتها أقلام ومساطر الكفار من وزارات المستعمرات، حفرت في العقول والقلوب لدى الغالبية من أبناء هذه الأمة، والعجيب أنها مأساة لم يمض عليها إلا عشرات السنين فقط، وذلك منذ سقط الكيان السياسي الجامع للأمة سنة ١٩٢٤، بسقوط آخر الخلفاء الرمزيين لهذه الأمة.

فعلينا أن نفتح أدمغة شباب الأمة وقلوبهم ليحسوا بالانتماء للأمة كلها، وهذا أساس في الدين والعقيدة، وهو كذلك في السياسة والتصور العسكري الاستراتيجي.

والآن لننقل إلى نظريتنا العسكرية.

النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

تقوم النظرية العسكرية لدعوة المقاومة على اعتماد الجهاد في منحيين:

١- جهاد الإرهاب الفردي والعمل السري للسرايا الصغيرة المفككة عن بعضها كليا.

٢- المشاركة في جهاد الجبهات المفتوحة حيث توفرت شروطها .

ونلفت النظر إلى أن:

جهاد الإرهاب الفردي أو الخلوي على طريقة حروب العصابات المدنية أوالريفية، هو الأساس في إنهاك العدو وإيصاله إلى حالة الانهياروالانسحاب، بإذن الله.

وأما جهاد الجبهات المفتوحة فهو الأساس في السيطرة على الأرض لتحريرها وإقامة شرع الله عليها، بعون الله.

فجهاد الإرهاب الفردي وحروب العصابات التي تقوم بها الخلايا الصغيرة، يمهد للنوع الآخر (جهاد الجبهات المفتوحة)، ويساعده ويرفده، ولكن بدون المواجهة الميدانية والسيطرة على الأرض لا تقوم لنا دولة، وهو الهدف الاستراتيجي لمشروع المقاومة.

هذا خلاصة ما كنت قد بلورته من النظرية العسكرية في آخر أشكالها وسجلته في المحاضرات التي سجلتها صيف سنة ٢٠٠٠.

والخلاصة التي خلصت إليها الآن هي:

أن المحور الأساسي للأعمال العسكرية للمقاومة ضد أمريكا وحلفائها الآن، يجب أن تبقى في إطار (حروب العصابات الخفيفة)، و(الإرهاب المدني)، والأسلوب السري، وخاصة على صعيد العمليات الفردية وسرايا المقاومة الصغيرة المتفككة عن بعضها بشكل تام وكلي.

ولكن مع ذلك أقول: إن أي اختلال في الموازين لصالح قوى المقاومة والجهاد، يلغي تأثيرات السيطرة الأمريكية في أماكن تستكمل شروط الجبهات المفتوحة كما سأوردها، يعيد مسألة المواجهة المكشوفة لتحرير الأرض والتمركز عليها وإقامة نويات الكيان السياسي والشرعي للقوى الإسلامية هدفاً يجب اقتناص فرصه حيث سنحت.

والآن لنستعرض تفاصيل النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية في مجال الجبهات، وفي مجال حرب عصابات الإرهاب الفردي، وأبتدئ بالجبهات، لقصر تفاصيلها وعدم احتياجنا كثيرا لها الآن، وأترك الإسهاب للأسلوب الأساسي في الأوضاع الراهنة، والذي أظنه يمتد لوقت غير قصير ما لم تتداركنا رحمة الله بما يقلب موازين القوى.

أولاً: جهاد الجبهات المفتوحة والمعطيات اللازمة:

في الوقت الذي يمكن فيه أداء الجهاد الفردي في أي مكان من العالم العربي والإسلامي بل وفي العالم كله، لأن ذلك ليس متعلقاً بشروط موضوعية له حيث يجري، فإنَّ جهاد الجبهات المفتوحة يحتاج لمعطيات إستراتيجية لازمة لتوفير ظروف النجاح بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

المعطيات اللازمة لنجاح جهاد الجبهات المفتوحة:

***- المعطيات الجغرافية:**

وهو معطيات الأرض حيث يشترط أن تكون:

١- واسعة المساحة.

٢- متنوعة وطويلة الحدود.

٣- أن يصعب حصارها.

٤- أن تحتوي على وعورة نسبية من الجبال أو الغابات أو سواها مما يساعد على التمركز ومواجهة القوات الزاحفة على الأرض، وأفضل ذلك الجبال المشجرة.

٥- كما أن من شروط الأرض أن تكون مواردها الغذائية والمائية كافية في حال الحصار.

المعطيات السكانية:

وهو وجود عدد كبير من السكان لا يمكن ضبط حركته، وقد عرف بشكيمته العسكرية، وقدرته على المواجهة والصبر عليها، وأن تتوفر له مصادر السلاح في تلك المنطقة.

المعطيات السياسية:

وهو وجود قضية قابلة لحشد الأمة الإسلامية وراءها، لنصرة ذلك الشعب في الدين والجهاد معه بالنفس والمال، وأفضل تلك القضايا التي تبعث على المقاومة، هي الغزو الخارجي وتوافر الأسباب الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة والجهاد، وهو ما يدعى في كتب حروب العصابات بالمناخ الثوري ونصطلح عليه في أدبياتنا بـ (المناخ الجهادي).

ووفق هذه الشروط يمكن أن نستفيد من دراسة هذه المعطيات في النماذج الرئيسية الثلاثة التي حصلت في الفترة الماضية من جهاد الجبهات:

في أفغانستان، والشيشان، والبوسنة، وهذا يتضح بالجدول البسيط التالي:

البلد / المعطيات	الجغرافية	السكانية	السياسية	النتيجة
أفغانستان	- ٦٥٠ ألف كم٢ - وعورة - وموارد عالية الحدود واسعة غير قابلة للإقفال ومعطيات أخرى.	- ٢٤ مليون نسمة، معظمهم من الشباب. - شعب مقاتل صبور. - توفر عالي للسلاح	- قضية احتلال وغزو خارجي. - باعث ديني. - باعث قبلي.	**نجحت كلياً**
الشيشان	- صغر في المساحة: ٤٧٠٠٠ كم٢ - وعورة متوفرة حدود مفتوحة نسبيا - موارد متوفرة	- عدد محدود من السكان زهاء ٨٥٠ ألف نسمة - شعب محارب ذو شكيمة - ووفرة في السلاح.	- قضية احتلال وغزو خارجي. - باعث ديني. - باعث قومي.	**-نجاح عسكري** **- نجاح دعوي** **-فشل سياسي إلى الآن.**
البوسنة	صغر في المساحة- حدود مقفلة جداً ومحصورة - وعورة وموارد متوفرة.	عدد السكان محدود: المسلمين نحو ٤ مليون. شعب غير محارب ليس ذو شكيمة وسلاح محدود المصادر.	- قضية عدوان وإبادة صليبية غربية. - باعث ديني. - صراع من أجل البقاء.	**فشلت عموماً إلا في تأييد الأمة لها.**

فإذا ما استعرضنا بلدان العالم الإسلامي وأقاليمه، بحسب التقسيمات السياسية، من منظور هذه المعطيات الإستراتيجية، سنجد أن الأقاليم والبلدان التي تتوفر فيها هذه المعطيات، ولاسيما الجغرافية، والسكانية ضعيفة في غالب تلك الكيانات المصطنعة بطرقة في غاية الخبث.

وأما القضية فإنها ما لم يتوفر الشعور بالانتماء للأمة كلها، ستكون ضعيفة. وأما المناخ الثوري بسبب الباعث الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي للثورة ضد ظلم الحكام وعمالتهم، فقد أطفأه علماء السلاطين والدعاة القاعدون في كل الأنحاء.

ولذلك يجب البحث عن مفاتيح الثورة والمقاومة والجهاد، تحت شعار مواجهة الغزو الأمريكي الصهيوني اليوم لكامل الأمة، حيث لا يمكن لعلماء السلاطين وأجهزة الإعلام أن تنجح إلا في السقوط مع حكامها وسيدتهم أمريكا عندما تتصدى لهذه الدعوة، وهو ما يحصل اليوم.

وأمَّا عن صلاحية مناطق العالم الإسلامي للمواجهات في جهات مفتوحة فأفضلها بحسب توفر المعطيات إذا تناولناها كأقاليم وليس كيانات سياسية:

وهذه المناطق هي:

١ - أفغانستان:

٢ - بلاد وسط آسيا وما وراء النهر:

ولاسيما مع بقاء الإحتلال السوفيتي في بعضها وتسرب الإحتلال الأمريكي شبه العلني لما تبقى منها بطريقة الإستعمار الحديث على الطريقة الأمريكية.

٣- الجزيرة العربية وخاصة اليمن:

٤- المغرب الأقصى وشمال إفريقيا:

٥- بلاد الشام والعراق:

تتوفر له بمجموعه كامل معطيات الجبهات المفتوحة، ولاسيما في المناطق الجبلية في شمال وغرب العراق، وشمال وغرب سوريا، وفي معظم لبنان، وكذلك في هضاب شرق نهر الأردن وشماله.

ويشكل الاحتلال الأمريكي الماثل الآن، والذي أعلن عن عزمه على الاستقرار ولأمد بعيد، كما يمهد لمد عدوانه إلي سوريا ليسيطر على كامل الشام بعد أن احتل النصيرية سوريا وسيطر النصارى على لبنان واستحوذت أمريكا على كبير الأمور وصغيرها في الأردن.

وتشكل إسرائيل باعث قضية إسلامية عالمية، كما يضيف الاحتلال الأمريكي بعدا ثوريا ممتازا كمفتاح للجهاد.

٦- وهناك مناطق أخرى:

تتوفر فيها الكثير من المعطيات التي تصلح للمواجهات المفتوحة أيضاً مثل تركيا وهي من أصلح البلاد لقيام حرب عصابات جهادية، حيث تتوفر كل العوامل، وكذلك وأكثر منه في باكستان [١]، وبعض مناطق القرن الإفريقي وسواها.

---

(١) راجع كتاب (**باكستان مشرف - المشكلة والحل والفريضة المتعينة**) – للمؤلف.

ولكن الغالبية العظمى للدول والكيانات الإسلامية التي يربو عددها على ٥٥ دولة لا يصلح بحال للمواجهات المفتوحة، لتخلف كل الشروط المناسبة أو بعضها.

وهنا يجب التنبه إلى موضوع القضية السياسية التي ستكون مسألة الصراع والحشد من أجل المواجهة، فيجب أن تكون كما وضحت الآن **مسألة دفع الاحتلال الأمريكي في المنطقة، ومسألة الصراع مع اليهود، ومسألة إخراج المشركين من جزيرة العرب، ومسألة النفط والثروات، ومسألة الهيمنة الأمريكية، والمظالم والبلايا المترتبة على الاحتلال وحلفائه في المنطقة.**

كيفية المشاركة في المقاومة في جهاد الجبهات المفتوحة:

معظم البلاد العربية والإسلامية بتقسيماتها وكياناتها السياسية الحالية، لا تتوفر لها معطيات الجبهات المفتوحة، وهي في معظمها ساحات مناسبة لجهاد الإرهاب الفردي والسرايا الصغيرة وحروب العصابات السرية نتيجة كثافة تواجد أشكال تواجد مصالح أمريكا وحلفائها ومشاريع الهيمنة الغربية والصهيونية.

وأما من أراد من المجاهدين المساهمة في المواجهة المفتوحة، فعليه بالتوجه إلى حيث تفتح الجبهات لما تفتح، والعمل تحت قيادة قياداتها الميدانية، طالما توفر الحد الأدنى للراية الشرعية والجهاد الشرعي تحت شعار الإسلام العام، بما يتوافق مع أصول المقاومة وأيديولوجيتها وعقيدتها الجهادية.

فإذا ما أسفر الجهاد في جبهة من تلك الجبهات عن انتصار المسلمين، فإن ذلك سيكون نواة لإمارة إسلامية من المفترض أن تحكم بشرع الله، وتكون نواةً ومهجراً لمن حولها من المهاجرين للجهاد في سبيل الله، وستبقى القيادة والإمارة فيها لأهل ذلك البلد بالإجمال، فهناك موروثات اجتماعية وواقعية لا ينفع تجاوزها، وتناسي آثارها إلى أن يقوم المجتمع المسلم القائم على أممية الإسلام وجنسية الإسلام وهذا يحتاج لوقت طويل والله أعلم.

هذا عن جهاد الجبهات المفتوحة بصورة عامة واختصار ولكني أعود للقول والتنبيه.

إن من المهم جداً لمن يتصدون لحمل راية الجهاد أن يفهموا واقعهم وواقع المسلمين ومعطيات العصر الأمريكي الحالي حتى يزيل الله دولتهم ويشتت شملهم.

هناك طغيان وجبروت أمريكي في كل مجال؛ اقتصادي وعسكري وبشري وسياسي لا يجوز تجاهله ولا ينفع تجاهله، ولدينا منذ أحداث سبتمبر نماذج بالغة الدلالة، كلها تشير إلى أنه يجب التريث كثيراً قبل التفكير في المواجهة عبر جبهات مفتوحة مع هذه القوة الطاغية وأن الوقت الآن وطالما بقيت المعطيات على حالها هو في العمل بالمقاومة السرية وفق أصول حرب عصابات مدنية أو ريفية تناسب هذه الأحوال من خلال

اعتماد جهاد الإرهاب الفردي وعمل السرايا الصغيرة وهو ما سنشرحه فيما تبقى من المساحة في هذا الباب إن شاء الله، وهو الفقرات التالية.

ثانياً: جهاد الإرهاب الفردي وسرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

مفهوم الإرهاب:

أعتقد أنَّ من أهم مجالات نجاحات الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة، نجاحهم في مجالات الإعلام، ومما نجحوا فيه، فرضهم للمصطلحات وتعريفاتها على الناس، وإلزام البشرية بفحوى تلك المصطلحات ما يوافق رؤيتهم ومن المصطلحات التي فرضوها اليوم بصورة شوهاء لتعبر عن أبشع الأعمال والصفات والممارسات.

مصطلح (الإرهاب) و(الإرهابيين)، و(مكافحة الإرهاب).

حتى أصبح من الطبيعي في الإعلام العربي والإسلامي وحتى إعلام الصحوة نفي هذه الصفة وكأنها تهمة ورذيلة وكارثة، تؤدي بمن يتهم بها إلى الاتصاف بكل خصائص الرذائل ومترتباتها في الدنيا والآخرة.

وبكل بساطة وشجاعة نقول:

بأننا نرفض أن نفهم هذا المصطلح وفق التوصيف الأمريكي، (فالإرهاب) كلمة مجردة ومثل كثير من الكلمات المجردة، فقد تحمل معنى صالحاً أو طالحاً بحسب نسبتها، وما يضاف إليها وما تنضوي عليه، فالكلمة مجردة لا صفة لها من سلب ولا إيجاب.

أرهب: أي أرعب والمصدر: **الرَهَبْ** أي الخوف الزائد، والقائم بالفعل **(إرهابي)**، والذي يقع عليه الفعل **مُرهب أو مرهوب**،

وبهذا يكون لدينا هناك نوعان من الإرهاب.

١- إرهاب مذموم:

وهو إرهاب الباطل وقوى الباطل، ويمكن تعريفه بأنَّه كل فعل أو قول أو تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى والخوف بالأبرياء بغير وجه حق.

ومن هذا القبيل إرهاب اللصوص، وقطاع الطرق، وإرهاب الغزاة والمعتدين، وإرهاب الظلمة والمتسلطين على الناس بغير حق، من الفراعنة وأعوانهم، فهو إرهاب مذموم وفاعله (إرهابي مجرم) يستأهل العقاب على إرهاب وجرمه بقدر أذاه وفعله الذميم.

٢ - إرهاب محمود:

وهو الإرهاب المعاكس لذلك الإرهاب المذموم، هو إرهاب المحق المظلوم الذي يدفع الظلم عن المظلومين، وذلك بإرهاب ظالمه ودفعه.

ومن هذا القبيل إرهاب رجال الأمن العدول للصوص وقطاع الطرق، وإرهاب المقاومين للمحتلين، وإرهاب المدافعين عن أنفسهم لأعوان الطاغوت، فهذا إرهاب محمود.

وبذلك لا نجد في كلمة **إرهابي** أي مدلول سيئ في حالة نعت بها المقاومون والمجاهدون، فهم في الحقيقة إرهابيون لأعدائهم وأعداء الله وعباده الضعفاء، فأين الإشكال وأين المذمة؟!

فالإرهاب مأمور به في كتاب الله، كدفع المجاهد لعدوه وإرهابه في جهاد الدفع؛ فريضة من أهم الفرائض بل ليس أوجب بعد توحيد الله منها كما نص على ذلك الفقهاء والعلماء.

إرهاب الأعداء فريضة دينية، واغتيال رؤوسهم سنة نبوية:

لقد أمر الله بإرهاب أعدائه في صريح كتابه، وجاءت به سنة رسوله المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال]، والآية صريحة النّص قطعية الدلالة: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ أي تدربوا عَلَى القِتَال، ﴿لَهُم﴾ أي لأعدائكم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ وهو الرمي والركوب والسّلاح، قَالَ ﷺ «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» يُكرّرُها ثلاثَ مَرَّات(١).

فلماذا الإعداد والتدرب عَلَى القِتَال وحشد السّلاح وربط الخيل؟ لقد بينت الآية ذاتها ذلك: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي لكي ترهبون ﴿بِهِ﴾ أي بما أعددتم للقتال ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهم المقصودين بالفعل الإرهَابي، ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي ممن يعينهم ويساعدهم أو يتربص بكم للعدوان، فلما يرى هَؤُلَاءِ إرهابكم للمعتدي ومقاومتكم ودفاعكم عن أنفسكم (يُرهَب) ويخاف ويُردَع عن الإقدام، من دون أن تكونوا قد علمتم بعزمه عَلَى العدوان، ولكن الله علم ذلك وردعه بإعدادكم وإرهابكم لأعداء الله المعتدين، والله تَعَالَى أعلم.

وقد فهم الكفار الآية أكثر من كثير من علماء المسلمين في هذا الزمان، فطالبت أمريكا كل الدول الإسلامية بحذفها وحذف كل (سورة الأنفال) و(التوبة) و(آل عمران)، من مناهج التعليم!!.

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧).

ومن أوائل أعمال الإرهاب لأعداء الله ولرؤوسهم وأئمة الكفر منهم قتال أئمة الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة].

فمن أوائل الأعمال الجهادية هو تصفية رؤوسهم قتلاً واغتيالاً، وقد ثبت عنه ﷺ في عدة أحداث منفصلة إرساله لسرايا من المجاهدين كفرق وسرايا خاصة (كوما ندوس) من خيار الصحابة، لينفذوا اغتيال رأس من رؤوس الكفر في زمانه ﷺ وهذه الأحداث ثابتة، بل منها إرساله لاغتيال امرأة شاعرة تؤذي الله ورسوله والمسلمين بشعرها، فأرسل من اغتالها وأخرس لسانها.

وما فعله رسول الله ﷺ، سنة نبوية نعتزبها ونستن بها ونقتدي بها ونكفر من استنكرها.

وفي آخر حياته ﷺ اغتال (فيروز الديلمي) في اليمن، رأس الردة فيها (الأسود العنسي) الذي استولي على الملك في اليمن وأراد حمل الناس على الردة فقتله فيروز اغتيالا، وأخبر جبريل رسول الله بالواقعة وهو في مرض الموت وبشره بها، وأخبر بها رسول الله ﷺ صحابته وروي أنه قال لهم: «**قُتِلَ الأسوَد العَنسِيّ، قَتَلَه رَجُلٌ مبارك مِن آلِ بيتٍ مُبَارَكِين**»[1]

فاغتيال رؤوس الكفر من مدنيين وعسكريين ورجال سياسة ودعاية وإعلام، من الطاعنين في دين الله، ومن المناصرين لأعداء الله الغزاة للمسلمين، هو سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ وهي من أهم فنون الإرهاب وأعماله وأساليبه الناجعة الرادعة.

بل هي أساليب يطبقها أعداء الله، وقد حصلت الـ (CIA) على ترخيص من الحكومة الأمريكية باغتيال رؤساء دول إن اقتضت ذلك مصلحة أمريكا القومية، ونفذوه مرات ومرات، وفي (CIA) شعبة خاصة بذلك!

فما أدري لماذا يحرمون هذا علينا؟ ثم يتابعهم على الباطل أوباشنا والمنافقون من علمائنا قاتلهم الله؟!

وبعد هذه المقدمة اللازمة لإزالة اللبس عن لفظة: (إرهاب) ومشتقاتها لأننا سنستعملها كشكل وهدف من أهداف الجهاد، ننتقل للفقرة التالية.

(١) كنز العمال: (٣٧٤٧٣).

- **ملاحظات حول أعمال الإرهاب والجهاد الفردي السالفة:**

نلاحظ أن تلك العمليات بقيت محدودة، وحصلت من البعض كتعبير عن رد فعل عاطفي هنا وهناك، إثر بعض أعمال العدوان على المسلمين، وهي تزداد في أماكن العدوان ذاتها وذلك لأنَّ العقول والنفوس مازالت مجبولة على الشعور القطري، فلو غزا الاستعمار بلداً وجدت الكثير من ردود الأفعال فيه، ولكن ذات قوى الاستعمار العسكرية والمدنية ومن مختلف الأشكال موجودة في أقطار مجاورة لا يتهدد مصالحها أحد.

كما نلاحظ أنها غير مبرمجة من قبل أصحابها لكي تكون ظاهرة من أجل تقديم القدوة وجر شباب الأمة للتأسي بها والبناء عليها، وإنما مجرد ردود أفعال انفعالية.

فلم تتحول لظاهرة لأنها عفوية، ولم يتصد أحد لبرمجتها وطرحها كأسلوب عمل إستراتيجي، وهو ما سنتبناه كإستراتيجية أساسية في أساس نظريتنا العسكرية في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

الظروف والضرورات التي تحتم استخدام المقاومة لأسلوب عمل الجهاد الفردي كخيار إستراتيجي:

ظروف عدم التوازن في القوى بين المقاومة وتحالف العدوان الكبير من الكفار والمرتدين والمنافقين، ومن ذلك:

١. فشل أسلوب عمل التنظيمات السرية الهرمية القطرية في ظل الهجمة الأمنية الدولية والتنسيق الإقليمي والدولي وضرورة قيام أسلوب عمل لا يُمكن تلك الأجهزة الأمنية من التوصل إلى إجهاض خلايا المقاومة باعتقال أفرادها عن طريق التعذيب والاعترافات.

٢. عجز التنظيمات السرية عن استيعاب كل شباب الأمة الذين يريدون أداء فريضة الجهاد والمقاومة بالمساهمة بفعل ما من دون الاضطرار للالتزام بتبعات الانتساب لتنظيم مركزي.

٣. اتساع تواجد العدو وتنوع أهدافه وتواجده في بقاع كثيرة يصعب أن تقوم فيها جبهات قتال كما يصعب أن تنشأ فيها تنظيمات مركزية.

٤. سقوط فكرة الجبهات والمواجهة الثابتة مع العدو نتيجة استخدام العدو لإستراتيجية الحسم الجوي بالقصف الصاروخي المدمر والرمايات الجوية الموجهة بالأقمار الصناعية التي تسيطر على الأرض بل وترى ما تحت الأرض بفضل التكنولوجيا العالية، وهو أمر يجب الاعتراف به والتخطيط للمواجهة على أساسه.

ساحات العمل الأساسية المستهدفة بجهاد الإرهاب الفردي:

أولوية الساحات التي يجب أن نضرب بها العدو:

١- حيث تؤلم العدو أكثر وتكبده أفدح الخسائر.

٢- حيث توقظ المسلمين أكثر وتحيي فيهم روح الجهاد والمقاومة.

بلدان الجزيرة العربية والشام ومصر والعراق:

فهذه الرقعة تحتوي المقدسات، والنفط، وإسرائيل، والوجود الأمريكي عسكرياً واقتصادياً، وهي المقر الأساسي والنهائي للطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

بلدان شمال إفريقيا من ليبيا إلى موريتانيا:

وفيها مصالح الغرب ولاسيما الدول الأوروبية الحليفة الأساسية لأمريكا في الناتو.

تركيا والباكستان وبلدان وسط آسيا:

وفيها ثاني أكبر مخزون للنفط في العالم، وفيها مصالح أمريكا الإستراتيجية وقواعدها العسكرية وفيها حركات إسلامية ضخمة وتاريخية.

باقي بلدان العالم الإسلامي:

وتحتوي على مصالح وتواجد الأمريكان ودولهم الحليفة.

المصالح الأمريكية والحليفة في بلدان العالم الثالث:

ولاسيما الداخلة في الهجمة الصليبية، والجهاد في هذه البلدان يقع أساساً على عاتق المجاهدين المقيمين أساسا فيتلك البلاد ويعيشون فيها حياة طبيعية تساعدهم على الحركة والتخفي ومعرفة الأهداف وسهولة التعامل معها.

في دول أوروبا الحليفة لأمريكا الداخلة معها في الحرب:

وذلك لتواجد جاليات إسلامية ضخمة وقديمة فيها، وهي جاليات بالملايين في أستراليا وكندا وأمريكا الجنوبية. ولمن أراد العمل في أوربا وتلك الدول يجب أن يخضع لضوابط المصالح والمفاسد السياسية بحسب مواقف تلك الحكومات، مع اتخاذ إستراتيجية كسب الشعوب وعدم إيذائها.

في قلب أمريكا ذاتها، وذلك باستهدافها بالعمليات الإستراتيجية المؤثرة، فهي راس الأفعى كما أسماها الشيخ أسامة بحق، وهي أصل البلاء ورأس الحلف الذي سينفرط بهزيمتها، وننتقل لمرحلة تاريخية جديدة إن شاء الله.

أهم الأهداف المعادية التي يستهدفها جهاد الإرهاب الفردي:

الهدف من عمليات المقاومة وجهاد الإرهاب الفردي هو إنزال أكبر كمية ممكنة من الخسائر البشرية والمادية في مصالح أمريكا والدول الحليفة لها.

والأصل في العمل هو ممارسة المجاهد عضو المقاومة بالجهاد الفردي في أرضه حيث يعيش ويقيم، ومن دون أن يكلفه الجهاد مشقة السفر والهجرة والتحرك إلى حيث يمكنه الجهاد المباشر، فالعدو اليوم واحد وهو منتشر في كل مكان والحمد لله.

أهم الأهداف بحسب أهميتها فنقول بأنها:

١. في بلادنا (العالم العربي والإسلامي).

٢. وفي بلادهم (أمريكا والدول الحليفة).

٣. وفي (بلاد العالم الأخرى).

في الساحة الأساسية (بلاد العالم العربي والإسلامي):

١. **مراكز التبشير والتنصير** والبعثات الثقافية والمؤسسات المشرفة على الغزو الحضاري والفكري الأمريكي الغربي لبلاد المسلمين، من دون المساس بدور العبادة ومرافق النصارى الأصليين المقيمين في بلادنا.

٢. كافة أشكال **التواجد الاقتصادي** الأمريكي والغربي الحليف له: (شركات، مناجم، خبراء، مهندسين، تجار، مندوبين شركات أجانب (من غير المسلمين)، مساكن أسر هؤلاء اللصوص المستعمرين...إلخ.

إنّ البعد الاقتصادي للاحتلال الأمريكي من أهم الأبعاد، بعد البعد الديني والحضاري الذي تحركه دوافعهم الصهيونية والصليبية، وإيمانهم بأساطيرهم وخرافات كتبهم الدينية المنحولة.

فالأهداف الاقتصادية للاستعمار والغزو الأمريكي والغربي هي:

١ - نهب الثروات — **٢- تصريف المنتجات.**

وهذين الهدفين يجب أن يكونا هدفاً للمقاومة وللإرهاب المشروع، بجب أن نقطع عليهم طريق أخذ الثروات، ونمنعهم من بيع المنتجات، ليس فقط عبر جهاد العجزة والمقعدين من الدعاة للمقاطعة السلمية، ومن الحملات الكلامية لدفع العدوان! وهي مقاومات هامة إذا اقترنت بالدفع الجهادي- بالمقاومة العسكرية وجهاد الإرهاب الفردي وعمل السرايا المقاومة الصغيرة.

إن فقهاء الإسلام مجمعون على حرمة بيع العدو ما يقويه على المسلمين، فكيف بوقود الدبابات والطائرات وقت الحملات الصليبية؟!

من أهم الأهداف الاقتصادية المعادية:

أولا: النفط ومصادر الطاقة من المنبع إلى المصب:

وهي من أهم أهداف المقاومة (حقول النفط – أنابيب النفط – موانئ التصدير– خطوط الملاحة البحرية والناقلات– موانئ الاستيراد في بلادهم– مستودعات التخزين في بلادهم)

قد يقول قائل بأن هذا النفط هو مورد عيش المسلمين في البلدان المصدرة للنفط، وهذا غير صحيح، إنها مصدر نهب العدو لهذا الشريان المتدفق عليهم بالطاقة والصناعة والمال، إنه شريان الحياة لأعدائنا القتلة الغزاة الصليبيين، ودم آلتهم العسكرية التي تصب علينا الموت والذل صباح مساء منذ مطلع القرن العشرين، وإلى اليوم، ولا يعود في الواقع منه على بلادنا إلا نسبة يسيرة يصب معظمها في جيوب حفنة من الأمراء المرتدين الحاكمين، وذريتهم وأزلامهم من الفساق والزناة والمعربدين الذين يتحكمون بها، ولا يفيض منها على باقي شعوبهم إلا الفتات.

لقد تحول النفط لعنة بعد أن كان نعمة.

إن تعطل تصدير النفط سيفقد تلك الحكومات الخائفة ميزانياتها، وبالتالي سينعكس هذا على قطاعات التنمية الاقتصادية المحدودة التي تتم في تلك البلاد، ولكن ما هو وزن هذه المضرة الجزئية قياساً بمضرة وصول هذا النفط إلى العدو الصهيوني والصليبي؟! الأمر واضح..!!

باختصار إنه شريان حياة أعدائنا وينبع من بلادنا ويجب علينا قطعه.

وعندما تؤول ثرواتنا إلينا ونملكها نتعامل معهم تعاملاً تجارياً صحيحاً على أساس قواعد العدل وحسن الجوار.

ثانيا: مناجم الثروات المعدنية:

ذهب، نحاس، حديد، فوسفات..الخ وقائمة تطول، وهذه أيضاً يجب قطع الطريق عن وصولها إليهم ومنعهم من استثمارها، وذلك بمنع تصديرها، وإغلاق المناجم وقطع طرق التصدير ووسائلها.

ثالثا: المضائق البحرية والمعابر المائية الرئيسية:

في الكرة الأرضية خمسة (٥) مضائق بحرية هامة أربعة منها في بلاد العرب والمسلمين والخامس في أمريكا وهو مضيق باناما، وهذه المضائق هي:

١- مضيق هرمز بوابة النفط في الخليج العربي - الفارسي

٢- قناة السويس في مصر.

٣- باب المندب بين اليمن والقرن الأفريقي.

٤- مضيق جبل طارق في المغرب الأقصى.

وهذه المعابر المائية يمر فيها معظم اقتصاد العالم الغربي تجارةً ونفطاً كما تمر فيها الأساطيل العسكرية وحاملات الطائرات وصواريخ الموت الذاهبة إلى أطفالنا ونسائنا، ويجب إغلاق هذه المعابر حتى ترحل الحملات

الغازية، وذلك باستهداف سفن الأمريكان وسفن الدول الحليفة معها، وذلك بإغلاقها بالألغام، وإغراق السفن فيها، أو بتهديد الحركة فيها بالعمليات الاستشهادية وأعمال القرصنة وبقوة السلاح ما أمكن.

يجب أن يعرف العدو وشعوب بلاده أنهم أشعلوا حرباً عالمية شريرة بسبب نزوات حكامهم وأن عليهم أن يرحلوا عن بلادنا وينهوا تدخلهم بها ودعمهم لحكامهم الخونة، وأن يتركوننا وشأننا، لنسقط حكامنا المجرمين، ومن ثم نقيم حكوماتنا الشرعية ونتعامل معهم وفق قواعد حسن الحوار والمعاملة الشرعية المنصفة.

ويجب أن نفهم شعوبنا عبر البيان والإعلام والتحريض، أن عليهم أن يتحملوا ضريبة الحرب إلى جانب المجاهدين، وأننا في حالة حرب فرضها العدو، ويجب أن نتحمل خسائرها الاقتصادية المؤقتة، حتى لا نخسر كياننا وثرواتنا وديننا وكل مكونات وجودنا

٣. كافة أشكال **التواجد الدبلوماسي** لأمريكا وحلفائها من سفارات وقنصليات وبعثات دبلوماسية...إلخ.

٤. كافة أشكال التواجد العسكري لأمريكا وحلفائها، (قواعد عسكرية- أساطيل بحرية- موانئ - مطارات – محطات تحرك – قطعات عسكرية...إلخ).

٥. كافة أشكال **التواجد الأمني** لأجهزة الاستخبارات الأمريكية والغربية الحليفة مثل مكاتب (CIA) و(FBI) وسواها المعلنة أو المستترة بأغطية وهمية.

٦. كافة أشكال وفود **التطبيع الصهيوني أو الأمريكي** الغازية لبلادنا اليوم عبر المؤسسات المدنية والأهلية والحكومية من ثقافية ورياضية وفنية، وسوى ذلك.

٧. كافة أشكال **التواجد السياحي** من شركات السياحة ووفود السياح الأجانب ومكاتبهم وشركات طيرانهم وغير ذلك، فهؤلاء هم سفراء الرذيلة والفساد والدعارة والانحلال.

٨. الأركان الأساسية لأنظمة الردة وقوى العمالة المتعاونة مع الحملات الغازية.

إنَّ الحملات الأمريكية تعتمد بصورة رئيسية في زحفها على بلادنا على ظهير ضخم من قوى الردة والنفاق، وعلى طابور خامس طويل عريض من المتأمركين الذين يرحبون بهذا الغزو ويربطون مصالحهم ووجودهم به.

أهم الأهداف العسكرية للمقاومة من قوى الردة والنفاق في بلادنا بحسب أولوياتها بما يتناسب مع الإستراتيجية العامة للمقاومة:

(١) - تصفية كبار رؤوس المرتدين المتحالفين مع الحملات الأمريكية الغازية وقصدهم هجوماً.

وذلك باستهداف ملوك ورؤساء وأمراء وكبار الوزراء، ولاسيما الذين يرتكز عليهم مشروع الغزو الأمريكي.

دون تحويل ذلك إلى ثورة محلية وحركة جهاد هدفها جهاد الحكومة واستهداف منشأتها ورموزها كباراً وصغاراً على غرار ما حصل في الثورات الجهادية السالفة في مصر وسوريا والجزائر وغيرها وآلت للفشل كما بينا سابقا.

(٢) - قوات الأمن والقوى العسكرية والسياسية المتعاونة مع الاحتلال مباشرة:

كحالة الشرطة العراقية، والشرطة الكشميرية، والجيش الذي يعمل بإمرتهم، حال وجود هذه الصورة، واستهدافهم هجوماً، وذلك قبل أن تتمدد هذه الأجهزة ويستغني الاحتلال بوجودها عن استخدام قواته، **[وهذا في حال الاحتلال المباشر الصريح فقط].**

(٣) - قوات الأمن وجيش وعساكر الأنظمة والتي تستهدف المجاهدين والإسلاميين:

وهذه نشتبك معها دفاعاً فقط ولا نستهدفها هجوماً بل يجب أن تستهدف بخطاب إسلامي ووطني وعاطفي لين لجرها إلى خندق المقاومة، ولإرشاد أفرادها وضباطها إلى الدور الذي يمكن أن يؤدونه دفاعاً عن دينهم وبلادهم وأمتهم.

ولكن في حال تصديهم للمجاهدين وقصدهم بالقتل والاعتقال والأذى فيجب الاستبسال في دفعتهم وعدم الاستسلام لهم، وقتالهم قتال طائفة الردة والكفر، من دون اعتقاد كفر أعيانهم.

ويجب نشر ثقافة عدم الاستسلام في شباب المقاومة ورفض الأسر والدفاع حتى الشهادة ما أمكن.

(٤) - دعاة الاستعمار ورموزه:

ظهرت طبقة جديدة في المجتمعات العربية والإسلامية من العلمانيين والمعارضين الديمقراطيين الذين يدعون صراحة إلى الترحيب بالمشروع الأمريكي على كافة الصعد العسكرية والسياسية والفكرية والثقافية، مستغلة الغطاء الأمريكي تحت ذرائع مؤسسات المجتمع المدني والدعوى الديمقراطية، كما أنَّ لها حصانه ضد أجهزة قمع الطواغيت، وتمددت وصار لها مؤسسات وبرامج عمل وموارد هائلة من الأمريكان علناً، فهذه النماذج هي من أهم الأهداف العسكرية لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية، فيجب أن يقصد رؤوسها بالاغتيال والتصفية، ومؤسساتها بالنسف والحرق والتدمير، لتلحق بمساجد الضرار التي أمر الله تعالى ورسوله بتحريقها وإزالتها.

(٥) - مشاريع التطبيع الصهيوني والأمريكي:

يعتمد الهجوم الإستراتيجي الأمريكي اليوم على بث مشاريع ذات طابع فكري أو ثقافي أو منهجي أو أكاديمي جامعي في البلاد العربية والإسلامية، والهدف منها نشر الثقافة الاستعمارية من جهة وتخريج أجيال من المتأمركين محلياً، أو إرسالهم إلى أمريكا وبعض الدول الحليفة ليحوزوا الشهادات ويأخذوا الخبرات ويتأهلوا ليكونوا حكام ورجال المرحلة الأمريكية القادمة في (الشرق الأوسط الكبير).

وتقوم وسائل الإعلام الأمريكية بالدعاية لهذه الشراذم المصنوعة أمريكياً، والترويج للحاق بها في أوساط الأقليات العرقية أو الدينية، أو أوساط النخبة المالية والسياسية والاجتماعية، في المجتمعات العربية والإسلامية، وهذه المشاريع والمؤسسات والمنشآت هي من أولى أهداف المقاومة بالنسف والتدمير والتحريف، وأولئك المتخرجين منها والمتعاملين معها وكبار الداعمين لها، من أهم الأهداف المقصودة بالتصفية والاغتيال، فهم مرتدون منافقون من كبار أئمة الكفر الطاعنين في دين الله، الخائنين للمسلمين.

(٦) - كبار الطاعنين في دين الله وعقائد الإسلام والمحاربين للمجاهدين من رجال الإعلام والفكر الاستعماري:

من أدباء أو شعراء أو مفكرين أو كتاب أو صحفيين، تحت ستار وغطاء (الحملة الدولية على الإرهاب) وقد انجرت الصحوة الإسلامية ورجالها ومؤسساتها، إلى دوامة الاشتباك معهم عبر الحوارات والقنوات الفضائية وهذا جيد.

ولكن السباق يسير تحت عنوان احترام الآخر والاعتراف بالرأي الآخر وهذا باطل، فهؤلاء ليسوا مجرد جهال أو مخالفين حتى يحاوروا بالحسنى، فأكثر هؤلاء مسلمين أصلاً مرتدين واقعاً، أو أنهم من غير المسلمين أصلاً كالنصارى والأقليات الكافرة في مجتمعات المسلمين، فهم ليسوا على ذمة، ولو كانوا عليها لانتقضت بشنهم الحملات الدعائية على الإسلام وأهله.

فهؤلاء أسماهم القرآن صراحة (أئمة الكفر)، وأمر بقتالهم واغتيالهم، فيجب قتلهم استجابة لأمره تعالى في صريح كتابه العزيز: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة].

(٧) - دعاة الانحلال والفسوق والرذيلة ومؤسسات إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا:

تعتمد الغزوات الأمريكية الصليبية اليهودية اليوم، على تحطيم الأسس الدينية والأخلاقية والثقافية والفكرية للمسلمين، ومن أساليب ذلك نشر ثقافة الانحلال والرذيلة والزنا والفجور، والسفور والعرى والاختلاط، ومختلف أشكال الفساد الاجتماعي، عن طريق وسائل الإعلام والدعاية من المحطات التلفزيونية الفضائية التي تمول من قبل مليونيرات الدعارة والفساد من بعض رجال المال الخليجيين والسعوديين وسواهم من شاكلة الأمير (الوليد بن طلال) وأشباهه ومن أمثال (فضائية روتانا)، وبرامج (فيديو كلوب)، و(ستار أكاديمي)، وغيرها من مظاهر الطاعون الزاحف عبر الفضائيات اللبنانية وغيرها من دعاة الرذيلة والفساد،

تحاول بعض وسائل الإعلام الشريفة، وبعض رجال الصحوة الإسلامية التصدي لهذا السيل العفن والوباء الجارف من ثقافة الإفساد والانحلال والرذيلة عبر الحوارات والتوجهات المعاكسة، ويحاولون نشر ثقافة الفضيلة والحفاظ على الهوية الدينية والأخلاقية للأمة، وهذا طيب ولكنه غير كاف...

فعندما تنتشر الجراثيم والأوبئة والجراد.. لا تكافح بالحوار!

وإنما بالمبيدات الحشرية، وأدوية إبادة الجراثيم، وهذا بدهي لكل عاقل.

فالواجب شرعاً وعقلاً ومنطقاً أن تكون هذه المؤسسات وكبار رجالها ودعاتها والقائمين عليها هدفاً للنسف والتدمير والاغتيال لرؤوسها، من دون فتح حرب مع كل صغير وكبير من هؤلاء ولكن مع الرؤوس الفنية والأدبية وقبل ذلك المالية التي تمول بوابات الشيطان على دين الأمة وأخلاقها.

تنبيه هام جداً جدا... جدا:

هناك بعض المنتسبين لقطاع علماء المسلمين أودعاة وقيادات الصحوة الإسلامية من الذين شذوا إما طمعاً في المكاسب الدنيوية والمناصب لدى حكوماتهم، أو خوفاً من بطشهم والتلبس بتهمة الإرهاب والعنف، فراحوا يدندنون تحت دوى (الإسلام المعتدل) و(احترام الآخر) و(الوسطية)، بتقديم إسلام مشوه معدل على المقاس الأمريكي، وقد تجاوز بعضهم إلى حد التهجم على فريضة الجهاد ومبدأ المقاومة، وصاروا يحاربون المجاهدين في سبيل الله، ويشنون هجمة لا هوادة فيها على المقاومين ورؤوسهم ومجاهديهم من جند الله، ويصدرون الفتاوى بالحكم عليهم بأنهم مفسدون في الأرض، ويفتون الحكام والسلطات الاستعمارية بأنهم خوارج ومفسدون، ويحلون لهم قتلهم وسجنهم وتعذيبهم، بل بلغ الأمر أنهم يتأولون على الله بأن هذه النخبة من المجاهدين ليسوا شهداء ولا يدخلون الجنة!!.. بل صاروا يدعون عوام المسلمين إلى التعاون مع أمن الحكام المرتدين والسلطات الاستعمارية في كشف أسرار المجاهدين والتبليغ عنهم تحت دعاوى التعاون ضد الإرهاب أو الحفاظ على مصالح المسلمين.

وهنا أنبه إلى أمر هام جداً..

فعلى الرغم من أن كثيراً من هؤلاء قد صاروا بذلك في حكم المرتدين والمنافقين المجاهدين للمؤمنين بولائهم للطاغوت وللكفار الغزاة، وحلت دماء الكثيرين منهم شرعاً للردة والخيانة وحرب الله ورسوله والمؤمنين.

إلا أن:

إلا أن من الأسس الاستراتيجية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن يكون سلاح المواجهة مع هذه الفئة المارقة من دعاة الشيطان وعلماء السلطان، الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها؛

هو بالحجة والبيان والأدلة الشرعية والسياسية والواقعية العقلية من قبل أهل العلم والقلم والأدب، وليس بالسلاح والسيف، وإن كان كثير منهم يستأهلونه، وذلك درءاً لمفاسد عظيمة.

السلاح يوجه لصدور الغزاة وكبار المتعاونين معهم من كبار المرتدين والخونة كما بينا هجوماً، وضد من قصد المجاهدين من جنود الطواغيت بالقتال دفاعاً، وهذا أساس استراتيجي في غاية الأهمية من أسس النظرية السياسية والعسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

و باختصار.. استهداف كافة أشكال التواجد البشري والمادي للأمريكان وحلفائهم في بلادنا وهي الساحة الأساسية للمقاومة.

ضرب الغزاة في بلادهم في قلب أمريكا وفي أراضي الدول الحليفة لها عسكريا:

بالنسبة لضرب أمريكا أو أي من حلفائها في أراضيها واستهداف دولة أو ترك أخرى، أو استهدافها ثم التوقف عن استهدافها، أو الإعراض عنها ثم استهدافها ثانية، فهذا يخضع للبعد الشرعي والعقدي وكذلك للبعد

السياسي لأساسيات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ولكننا هنا نبحث الأمر من زاويته العسكرية في حال كان من المصلحة السياسية استهداف دولة ما.

فإذا ما كان استهداف دولة ما مشروعاً شرعاً وللمقاومة فيه مصلحة سياسية فإن أهم الأهداف التي يجب استهدافها هي التالية:

(١) - **الشخصيات السياسية الرئيسية** التي تقود الحملة على المسلمين من رؤساء الدول ووزرائها وقادتها العسكريين والأمنيين،

(٢) - **الأهداف الإقتصادية الإستراتيجية الكبرى** مثل: مقرات البورصة – مجمعات الطاقة والنفط – المطارات – الموانئ – شبكات السلك الحديدة والجسور وعقد الطرق السريعة – الأنفاق على الطرق – شبكات مترو الأنفاق – الأهداف السياحية....إلخ من مصادر الاقتصاد والموارد.

(٣) - **القواعد العسكرية** وثكنات تجمعات الجيوش. ولاسيما القواعد العسكرية الأمريكية في أوروبا.

(٤) - **الشخصيات والمراكز الإعلامية** التي تشن الحرب على المسلمين وتزكي الهجوم عليهم من المؤسسات الإعلامية الصهيونية الصليبية المتصهينة.

(٥) - **مراكز المعلومات والحواسيب المركزية** التي يتحكم في ربط مؤسسات الدولة المختلفة لأن هذا يشل الحركة كلياً في تلك الدول.

(٦) - **تجمعات اليهود** وشخصياتهم ومؤسساتهم في أوروبا، مع تجنب دور العبادة والكنس.

(٧) - **المكاتب الرسمية للمؤسسات الحكومية للدول المحاربة** على مستوى الدولة، وعلى مستوى الاتحادات والأحلاف السياسية والعسكرية حال مشاركتها في العدوان، كمكاتب حلف الناتو، والاتحاد الأوروبي، وهذه تحتاج لقرارات تدرس سياسيا بشكل دقيق.

(٨) - **مباني الأمن والإستخبارات المركزية** في العواصم الأمريكية والدول الغربية الحليفة.

(٩) - **ضرب المدنيين عامة في حالات الردع والمعاملة بالمثل** (مع تجنب النساء والأطفال إذا انفردوا عن الرجال في أماكن مخصصة لهم كالمدارس وسواها..).

وذلك مثلا، رداً على عمل وحشي قامت به أمريكا وقواتها الحليفة. فالهدف الذي يردع الدول ويسقط الحكومات هو المجازر البشرية الجماعية، وذلك باستهداف التجمعات البشرية لإحداث أكبر كمية ممكنة من الخسائر البشرية، وهذا سهل جداً لكثرة الأهداف كالملاعب الرياضية الحاشدة والحفلات السنوية الجماعية والمعارض الدولية الكبرى، والأسواق المزدحمة وناطحات السحاب والعمارات المزدحمة...الخ.

وهناك أهداف كثيرة جداً وسهلة يمكن أن يستهدفها المقاومون العاديون من المسلمين المقيمين في أمريكا والدول الغربية الحليفة لها للمشاركة في الجهاد والمقاومة وتقديم يد العون للمجاهدين، وذلك عن طريق أعمال المقاومة الشعبية، مثل تخريب الأهداف الاقتصادية وحرق الغابات في أوقات الحر في الصيف، وهنا يجب أن نلفت النظر إلى الفارق في المواجهة مع أمريكا ومع أوربا فالمواجهة مع أمريكا أساسية، ومع أوربا فرعية لإخراجها من الحلف بالضغط عليها.

وهناك ملاحظ أخيرة في موضوع استهداف الأهداف في قلب البلاد المعادية أمريكا والدول الغربية الحليفة، وهي الابتعاد عن استهداف أماكن العيادة لكل دين وملة سواءً كانت نصرانية أو يهودية أو سوى ذلك، وتجنب إصابة المدنيين من رعايا تلك الدول ممن لا علاقة لهم بالصراع ولو كانوا غير مسلمين، للحفاظ على سمعة المقاومة أمام مختلف أوساط الرأي العام.

الأهداف الأمريكية والحليفة في دول العالم الإسلامي وباقي دول العالم الثالث وغيره:

١. **الأهداف الإقتصادية** الأمريكية والغربية في مختلف دول العالم لسهولتها وكثرتها.

٢. **الأهداف الدبلوماسية** كالسفارات والقنصليات والبعثات، **والوفود** الأمريكية والغربية (الرياضية والتجارية والسياحية)

٤. **القواعد العسكرية** والبعثات العسكرية – برية – بحرية – جوية..

وهذا مجال رحب من المساهمات، ويخضع للضوابط الشرعية والمصالح السياسية والإشكالات الأمنية.

استراتيجية الردع بالإرهاب:

تقوم نظرية الإرهاب على أساس ردع العدو بالخوف، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال] وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأنفال]

فالمقاومة في حالة حرب مع الحملات الغازية أساساً، ويجب أن تتعامل معها بأسلوب الإرهاب والمواجهة كما بينا، ولكن هناك أطرافاً أساسية أو فرعية تدخل على خط هذه المواجهة بين حين وحين إما خوفاً من أمريكا وحلفائها أو طمعاً بما تعدها به، ويجب أن لا تغفل المقاومة أهمية ردع هؤلاء، وأن تثبت أن ذراعها طويلة وتستطيع الوصول لكل من تسول له نفسه العدوان على المسلمين والمجاهدين المقاومين أو نصرة أعدائهم الغزاة.

فالأصل أن كل دولة **ولو لم تكن في حلف أمريكا**، قبضت على مجاهد أو مقاوم أو داعية أو عالم وتسلمه لأمريكا أو لحكومته لتعرضه للقتل أو السجن أو العذاب، أن تتلقى عملية الردع فوراً من أي مسلم أو سرية مقاومة يستطيع أداء هذه الفريضة، فهذا واجب نصرة المسلمين وردع من امتد إليهم بأذى ولاسيما من أَسَرَهم وسلمهم لأعدائهم.

والأصل أن أي عملية قتل للمدنيين أو أي أذى للآمنين المسلمين، أو أي فعل تقوم به **قوات دولة محاربة**، أن يقابله عمل رادع بالمثل كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٤]

والأصل أن **كل دولة تدخل حلف الأمريكان بأي تأييد** عسكري أو سياسي أو أمني، أن تتلقى الضربة الرادعة فوراً، لفك مفاصل هذا الحلف المجرم، وهكذا.

ولكن الذي يجري حتى الآن هو العكس..

فالمسلمون والمجاهدون والمقاومون المتهمون بالإرهاب، هم من أكثر المرهوبين في الحقيقة، ومنذ عشرات السنين، فهم مرهوبين من حكامهم، ومن أجهزة أمنهم، ومن أمريكا ومطارداتها، ومن الجواسيس، ومن كل أعوان هذه السلسلة النكدة.

وكل هؤلاء الإرهابيين الحقيقيين بدءا من أمريكا وسلسلة حلفائها ومنافقيها استطاعوا أن يقلبوا الصورة إعلامياً وسياسياً ويظهروننا بمظهر الإرهاب المرفوض أمام الرأي العام، وهذا هو مجال نجاحهم الحقيقي.

وليس لهذا حل إلا ما يجب من تكثيف جهود الدعوة والإعلام والدعاية، والعمل السياسي القائم على المعرفة والفهم وإدراك ما يجري في عالم اليوم، بالإضافة إلى الردع العسكري الحقيقي.

لقد أثبت (الإرهاب المسلح) عبر التاريخ نجاعته كأفضل الوسائل السياسية في إقناع الخصم بالخضوع لإرادة فاعلة.

وإني أخط هذه السطور بعيد أيام قلائل من عملية رادعة قامت بها سرية مجاهدة من المجاهدين في أسبانيا بتاريخ ١١ /٢٠٠٤/٣، حيث قامت بسلسلة تفجيرات أسقطت زهاء ٢٠٠ قتيل و١٧٠٠ جريح بحسب إحصائيات الإسبان، وكان من نتائجها الرئيسية ما يلي:

١- تغير الرأي العام في أسبانيا الذي دلت الإحصائيات قبيل ثلاثة أيام من الانتخابات البرلمانية والرئاسية على أنه يسير لصالح الحزب اليمني ورئيسه (خوسيه ماريا أثنار) المتحالف مع (بوش) والذي أرسل نحو /٢٠٠٠/ جندي أسباني إلى العراق، تغييره على الفور لصالح الحزب الاشتراكي المعارض لهذا الحلف الذي كان رئيسه (خوسيه لويس ثباتيرو) تعهد بسحب قوات أسبانيا إن وصل حزبه للحكم، مما أدى لفوز الأخير في الإنتخابات وهكذا أسقطت العملية الحكومة وأخرجت حليفا رئيسيا من جانب أمريكا بعملية واحدة كلفت مجموعة صغيرة من الشهداء والأسرى، جزاهم الله خيرا وتقبل منهم.

٢ - إعلان رئيس الحكومة الجديد عن سحب القوات الأسبانية من العراق التي سحبت على عجل بعيد ذلك بقليل ثم انسحاب جنود (هندوراس) تبعا لهم، وهكذا أدت عملية رادعة واحدة لانسحاب جيش ودولة بكاملها من الحرب.

٣- اهتزاز الحلف الأوروبي الأمريكي بكامله وبدء التصريحات من قبل العديد من الدول بتفكيرها في الانسحاب، وهذه أول عملية ردع حقيقية منذ بدأت هذه الحملات الظالمة على المسلمين منذ أكثر من ١٤ سنة.

وأنا أتناول هذه العملية كمثال للبحث على الأثر السياسي للردع العسكري، وإلا فإن هناك بعض الملاحظات والحسابات السياسية الهامة حول مثل هذه العمليات، والتي يجب أن تخضع قبل اتخاذ القرار فيها لحسابات سياسية شرعية دقيقة، تأخذ بعين الإعتبار المصالح والمفاسد والتوازنات السياسية ومصلحة المسلمين فيها.

وللأسف؛ فمنذ انطلقت هذه الحملات الظالمة في ١٩٩٠ وإلى اليوم:

- قتل في حربا لعراق الأولى أكثر من ٣٠٠ ألف شخص ومات في الحصار أكثر من مليون ونصف طفل على مدى ١٣ سنة.

- وفي الحرب الأخيرة للإسقاط صدام قتل زهاء ١٠ آلاف مدني، وفي السجن اليوم عشرات الآلاف، وقد فضح الله أعمال أمريكا في تلكم السجون.

- وقتل في فلسطين الآلاف، وما يزال السيف الإسرائيلي يعمل.

- وقتل في البوسنة أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم، وسجلت أكثر من ٦٠، ٠٠٠ حالة اغتصاب لنساء المسلمين هناك، مما أسفر عن آلاف مواليد الزنا من الاغتصاب ألقت بهم أمهاتهم ليتحلوا لأقبية الكنائس وينصروا!!

- وقتل في الشيشان أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم وانتهكت الأعراض، وهدمت البيوت وسجن آلاف الناس وشرد مئات الآلاف.

- وقتل في أفغانستان عشرات الآلاف عن الحرب الأهلية التي أشعلتها أمريكا وأدارتها باكستان، ثم قتل أكثر من عشرة آلاف في الهجمة الأخيرة ٢٠٠١ في ديسمبر، وملأت أمريكا غوانتانامو بمئات الأسرى من الأبرياء!

- وقتل الآلاف في إندونيسيا، ودفن النصارى بعضهم أحياء وأحرقوهم وصوروهم وهم يأكلون لحومهم.

- وغير ذلك كثير في القرن الأفريقي ووسط أفريقيا والفلبين وتايلند وكشمير.

- ووصل عدد سجناء المسلمين من الجهاديين والإسلاميين في كل الدول العربية والإسلامية لعشرات الآلاف بلا حسيب ولا رقيب، وسجن علماء واختطف دعاة، وقتل رموز، وأحرقت مساجد ومراكز إسلامية في أوربا وأمريكا، واغتيل مسلمون مهاجرون من الجاليات الإسلامية ظلماً وعدواناً... الخ.

فأين ردع هؤلاء الإرهابيين المسلمين المزعومين؟!.. حقيقة إن الإرهاب الحقيقي بمفهومه الصحيح ليستحي من نسبتنا إليه..! فنحن في قعر قائمة المرهوبين من كل أشكال الكفرة والمرتدين والظالمين.

ثم جاءت أحداث سبتمبر، ليدفع الغرب المتصهين والأمريكان، فاتورة صغيرة مما عليهم من حساب عسير، فقامت الدنيا وما قعدت إلى الآن!!

سيتفلسف علينا المتفلسفون بالحديث عن دماء المعصومين والمستأمنين والمدنيين والمسلمين الخائنين من المنافقين العملاء، إلى آخر دعاوى فقهاء السوء.

ولكن المقاومة الجهادية في الحقيقة، لا تستهدف إلا المستحقين للردع بالإرهاب والمقصودين بالتصفية، المستحقون للعقاب وفق قوانين السماء وحتى تشريعات الأرض، بل إنها تعرض عن كثير من المستأهلين لذلك الردع درءاً للمفاسد واستجلاباً للمصالح،

وقد مر في فقرة الأحكام الشرعية في الباب الثالث الكثير من التفاصيل في أحكام الدماء المستهدفة، فليعاد إليها في مكانها.

وأضيف:

إن هذه الهجمة الدولية العاتية لا يمكن أن يقوم بردعها بعض التنظيمات الجهادية ولا عشرات أو مئات المجاهدين هنا وهناك، لا بد من أن تتحول المقاومة إلى ظاهرة استراتيجية، إلى نموذج من الانتفاضة الفلسطينية ضد قوى الاحتلال والمستوطنين والمتعاونين معهم، ولكن على شكل موسع يعم كل أرجاء العالم الإسلامي أساساً، وتصل ذراعه الرادعة إلى عقر ديار الغزاة الأمريكان وحلفائهم من الكفار من كل جنس وفي كل مكان.

يجب أن تتحرك الأمة، بكامل شرائحها للمقاومة والردع وسنين في الفقرة التالية، آلية عمل المقاومة من الناحية العسكرية والحركية، لتحقيق مثل هذا الردع بإذن الله.

آلية استنباط عمل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية ونظرياتها العسكرية ونظام عملها:

تمت عملية استنباطنا لآلية العمل العسكري في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية من خلال دراسة الطرق الثلاثة السابقة. والبحث الدقيق والطويل في الأساليب القديمة التي مارسناها، وما آلت إليه، ومن خلال دراسة واقع موازين القوى الأمنية والعسكرية بيننا كجهاديين ومقاومين بشكل عام، وبين حجم القوات الأمريكية والحليفة من الخارج والداخل، وخاصة منذ الهجمة الأخيرة على أفغانستان والعراق والمطاردات الأخرى في غيرهما.

وكان التفكير منصبا لدي ومنذ عدة سنوات على إيجاد طريقة يتوفر فيها الحد الأدنى من الشروط التالية:

(١) - فتح إمكانية المشاركة أمام آلاف وقل مئات آلاف أو ملايين المسلمين من المتعاطفين مع الجهاد وقضايا أمتهم حيث لا يمكن أن تستوعبهم إمكانيات التنظيمات الجهادية المحدودة من جهة ولا يريد أكثرهم الارتباط بهذا الالتزام وتداعياته الأمنية والشخصية، وكذلك لا يستطيعون أو لا يرغبون إحراق أنفسهم أمنياً باللحاق بالجبهات المفتوحة والمحدودة القدرة على الاستيعاب أيضاً.

(٢) - إيجاد طريقة للعمل السري نستطيع فيها تجاوز مشكلة العلة الأمنية في القضاء على كافة التنظيم جراء اعتقال بعض أفراده بفعل التعذيب للأسرى والمطاردات الأمنية التي انتقلت من المستوى القطري للإقليمي للدولي، وأجهضت بذلك نهائيا فكرة حرب العصابات المدنية السرية من أساسها.

(٣) - إيجاد طريقة تحول المبادرات الفردية الرائعة التي تمت عبر العقد المنصرم، من نبضات عاطفية وردود أفعال مبعثرة، إلى ظاهرة يتم توجيهها واستثمارها، ودفع مشروع الجهاد بذلك ليكون معركة أمة وليس صراع نخبة.

(٤) - إضفاء صفة حالة الوحدة العامة على الأعمال الفردية لتيار جهادي مقاوم يناسب المرحلة بحيث تلتف حوله جماهير الأمة، ويجمع ما بين شكل من أشكال المركزية على صعيد الانتماء والشعارات والرموز والأفكار، وبين عدم الارتباط المركزي بحيث لا يمكن إجهاضه أمنياً.

كنت أبحث باختصار عن طريقة ليس للعدو سبيل إلى إجهاضها حتى لو فهمها وفهم أساليبها، وقبض على ثلثي العاملين فيها، طريقة قابلة لتجديد نفسها والاستمرار كظاهرة بعد أن تواجدت كل ظروفها وأسبابها من قبل العدو ذاته من اتساع تواجده وتنوع أهدافه وتواجده في بقاع كثيرة، وهكذا ولدت الفكرة لدي عمليا من خلال التأمل في فحوى الآية الكريمة: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء] حيث نشرتها سرا في بيان كان بعنوان: (**بيان من أجل قيام المقاومة الإسلامية العالمية**) أواخر سنة ١٩٩٠ أوائل ١٩٩١وثم تطوير الفكرة على مراحل إلى أن وصلت شكلها النهائي أواخر سنة ٢٠٠٠ في كابل ونضجت الآن مع دراسة تداعيات أساليب المواجهات بيننا وبين أمريكا وحلفائها في عالم ما بعد سبتمبر وغزو العراق، لتكون على الشكل الذي أعرضه هنا.

خصائص طريقة عمل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

١- نظام لا تنظيم:

فهو نظام عمل لا تنظيم مركزي للعمل، حيث تقوم الفكرة على أن يتم ربط كافة أطياف المقاومين أفراد وخلايا وسرايا وجماعات محدودة بثلاثة روابط مركزية فقط وهي:

الروابط المركزية لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

١- الاسم المشترك والعهد الشخصي مع الله تعالى على الانتماء إليه.

٢- المنهج السياسي الشرعي والعقيدة المشتركة والعهد مع الله على الالتزام به.

٣- الهدف المشترك وهو مقاومة الغزاة وحلفائهم والعهد مع الله على الجهاد في سبيله لدحرهم، ثم العمل على تحكيم شرعه.

وذلك بالطريقة التالية:

(١) - نشر فكر دعوة المقاومة ومنهاجها وبرامج عملها وطريقة أدائها ونظريات عملها في (العقيدة القتالية – النظرية السياسية – طريقة التربية المتكاملة للمقاومين – النظرية العسكرية – نظرية الإعلام والتحريض ثم نظرية الحركة التي تشتمل على أساليب التدريب والتمويل والتنظيم وأمن الحركة) بحيث يتم تعبئة شباب الأمة ورجالها العازمين على المقاومة في أي محور من محاورها العامة ولاسيما المحور العسكري.

(٢) - توجيه الشباب إلى ضرب الأهداف المعادية في بلادنا خاصة - وهي ساحة المقاومة الأساسية - وفي بلادهم كساحة ردع ومعاملة بالمثل، بما يتناسب مع الضوابط الشرعية للمنهج، وحسابات المصالح السياسية، وذلك لتحقيق المردود السياسي والهدف من المقاومة.

(٣) - إرشاد الشباب إلى أن تعد كل مجموعة نفسها بنفسها، على ما يلزم من العمل العسكري وتقوم بالعمليات المتناسبة مع ما حققته من إمكانيات التدريب والإعداد المختلفة، بدءاً من أساليب المقاومة الشعبة وانتهاءً بالعمليات الإستراتيجية المعقدة، ومروراً بكل أشكال ومستويات عمليات العصابات سواءً كانت في المدن أو الأرياف أو سوى ذلك من أنواع حروب العصابات السرية.

(٤) - ليس هناك أي رابط تنظيمي من أي شكل لكافة المنتمين لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية إلا الارتباط بـ(**منهج الاعتقاد، ونظام العمل، والاسم المشترك، والهدف المشترك**).

(٥) - تعتبر كل سرية مكونة من فرد أو أكثر وحدة مستقلة يرأسها أميرها ويدبر شؤونها، وتتجه للعمل العسكري مباشرة ولا تتجه لأي شكل من أشكال التنظيم والدعوة والتحريض وسوى ذلك من أعمال

الجماعات السرية، بل تكون نفسها وتختار هدفها وتهاجمه، وتبلغ أي وسيلة إعلام (بطريقة أمنية سنشير إليها في نظرية الإعلام)، بأنها سرية (كذا) باسمها الخاص الذي اختارته، وتؤكد على أنها (من سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) مما يشير لمنهج أصحاب العمل ويربط عمليتهم بإنتاج المجموع المكون لسرايا المقاومة، وسنأتي على مزيد من التفاصيل التنظيمية والعملية في نظرية العمل والحركة إن شاء الله.

(٦) - فالفكرة هي عملية جمع لجهد المقاومين من أصحاب الجهاد الفردي وبقايا التيار الجهادي وأنصاره والمتعاطفون الجدد والناقمون على الغزو الأمريكي والراغبون بالتحرك العملي من مختلف شرائح هذه الأمة بكل مستوياتها، وضبطها بالأسلوب المشترك والمنهج المشترك لتحقيق النتيجة، وتحويل الجهاد الفردي إلى ظاهرة يضم جهد المجموع تحت مسمى واحد ولهدف واحد وعلى شعار واحد منضبط بمنهج سياسي شرعي تربوي واحد.

فوائد هذه الطريقة وميزاتها:

(١) - تفتح الطريقة المجال للفرد المجرد إن كان يرغب في العمل بمفرده مطلقاً ولا يطمئن لمشاركة أحد، أو للسرية الصغيرة جداً من آحاد الرجال والأصدقاء الذين يثقون ببعضهم، لتكوين سرية من شخصين أو أكثر يتعاهدون فيما بينهم ويعاهدون الله على الانضمام، (لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية) من أقرانهم في كل مكان ومن كل لون وجنس من المسلمين، وهكذا توفر لهم هذه الطريقة تجانسهم واحتياطهم الأمني وإمكانياتهم وتفتح لهم مجال العمل المشترك الواسع دون ارتباط، وترشدهم للعمل حيث هم وحيث يستطيعون دون تكلف أعباء الرحيل إلى ساحات المواجهة أو الانضواء في تنظيم جامع يلزمهم بما لا يطيقون بحسب قناعاتهم، وهؤلاء شريحة ضخمة جداً في الشباب المسلم.

(٢) - تسمح الطريقة بالانقطاع التام بين تلك الخلايا بحيث لو كشف كل من عمل ونفذ، فلا يؤثر هذا على من يعمل أو ينوي العمل لأنه لا رابطة بينهم من أي شكل، فهو شكل من أشكال (تنظيم الفكرة) وليس (فكرة التنظيم) و(نظام عمل) وليس (عمل تنظيم).

وهذه هي الطريقة الوحيدة للاستمرار في ظل الهجمة الأمنية العاتية التي نشهدها اليوم ويواجهها كل من يريد الجهاد.

(٣) - يوحي تجمع الجهود تحت مسمى واحد للأمة بوجود التنظيم والجهة الموجهة والمركز الذي يربط المجموع بحكم المسمى الواحد، والعقيدة القتالية المشتركة، وطريقة التربية التفصيلية.

فيرفع هذا الهمم، ويُحفز المترددين على الانضمام لقافلة تسير في نظام عمل سري محكم، كما يوحي المسمى المشترك والهدف والفكر للعدو بوجود تنظيم واحد وراء تلك الأعمال، تنظيم:

يوجه بالفكرة، ويدرب بالإرشاد، ويوحد بالهدف والاسم المشترك العام، ويدير من الخفاء وعن بعد.

ولكنه لما يأتي العدو ليقبض عليه، أو على بعض أجزائه يكتشف أنه لم يقبض على شيء يذكر قياساً لباقي الجسد، وهو أمة تجاهد، وليس مجموعة مجاهدين من أمة قاعدة.

(٤) - تراكم المتوالية الحسابية لعمليات المجاهدين: وهذه هامة جداً..

سنطلق الفكرة وننشرها كاملة بكل مستلزماتها بإذن الله تعالى وتيسيره بكل وسيلة، مباشرة أو بالمراسلة، أو عبر شبكات الاتصال والإنترنيت، ووسائل النشر المختلفة مقرورة ومسموعة ومصورة، وسنحاول وصولها مترجمة للغات الحية من أمم المسلمين وللغات العالمية الرئيسية مع الوقت.

فلو فرضنا وهو ما نرجوه من الله أن يؤمن بهذه الفكرة بعض الآحاد ممن يساهم في عمل واحد في كل سنة مرة واحدة على الأقل، وهذا سهل إذا فتحنا أمامه مختلف أشكال الأهداف والأفكار الإرهابية العسكرية وأساليب المقاومة الشعبية وصولا إلى العمليات المعقدة للخلايا التي لاقت خطاً من التدريب.

فلنفرض أن في طول الأمة وعرضها بمئات ملايينها المقهورة الثائرة، اقتنع في السنة الأولى من نشر الدعوة اثني عشر مجموعة مكونة من فرد أو رهط من الأصدقاء، وعملت كل مجموعة من هؤلاء وبصورة لا مركزية مرة في السنة فستكون الحصيلة /١٢/ عملية في السنة أي عملية شهرياً ابتدأ، ولو وصل العدد لاثنين وخمسين مجاهد أو خلية تعمل كل واحد منهم مرة في السنة، لكانت الحصيلة عملية أسبوعيا، وهذا ليس بطاقة أي تنظيم سري أو عصابة مسلحة.

فلو نسبت العمليات لمسمى واحد جامع (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) وتحت فكر وشعار وهدف واحد، لكانت النتيجة المفترضة بإذن الله تحريض المئات والآلاف، وعندها تتدرج العمليات والمساهمات الفردية لتصبح ظاهرة فعلاً كما هو شعار دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

الجهاد والمقاومة: معركة أمة، وليس صراع نخبة.

وبالتضافر مع ما سنوجه له من محاور المقاومة الأخرى من المقاومة المدنية والإعلامية والفكرية والسياسية، نصل إلى المنشود بإذن الله تعالى، وهو انتفاضة أمة شاملة على امتداد العالم الإسلامي وحيث توجد الجاليات الإسلامية من مختلف الجنسيات، على شاكلة (الانتفاضة الفلسطينية) ولكن ضد أمريكا بصورة رئيسية ثم حلفائها الخارجين والمحليين في كل مكان، ضمن الضوابط الآنفة الذكر شرعياً وسياسياً، وعندها ستولد بإذن الله خلايا تعمل ليس مجرد مرة في السنة وإنما أكثر من ذلك.

وباكتشاف المتوالية الحسابية نجد أن بالإمكان الوصول لعشرات العمليات أو أكثر يومياً إن شاء الله، وهكذا نضع مهمة الجهاد في طريقها الصحيح كفريضة الصلاة والزكاة، وهذا يحتاج ضم جهود العلماء

والدعاة والأدباء والخطباء والمفكرين والكتاب لتصب جميعها بالتحريض كل بحسب حجمه وما يسمح له وضعه وأسلوبه، لتهييج المشاعر لتظهر في النهاية آثار ذلك على شكل سرية من سرايا المقاومة المنشودة بإذن الله.

(٥) - تسمح فكرة (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية)، بل تتضمن فكرة تسمية كل سرية باسمها الخاص الذي تختاره لنفسها سواءً كانت من مجاهد واحد أو اثنين أو خمسة أو أكثر، وهذا يشعر السرية بإنتاجها وارتباط اسمها بإنتاجها وهذا إحساس ورغبة فطرية لدى الإنسان، كما تفتح باب التسابق بين السرايا وفرق الكوماندوس المقاوم كل بحسب حجمها، فيولد تسابق ومسارعة في درب الشهادة وطاعة الله ونكاية أعدائه، وهكذا يمكن التشبيه بين فكرة انتشار المقاومة ورابطتها بين أعضائها وسراياها التي لا رابط بينها حركياً بفكرة (الطرق الصوفية) في انتشارها دون اتصال بقيادة ولا حتى معرفة بالمرشد وشيخ الطريقة، **مع الفارق الأساسي وهو أن:**

طريقة المقاومة الإسلامية العالمية:

طريقة متكاملة تعتمد عقيدة أهل السنة والجماعة وفقه مذاهبهم المعتمدة وأئمتهم الأعلام، وتقوم على فهم متكامل، فهي: طريقة عقدية جهادية سياسية سلوكية تربوية شاملة.

وكما تنتشر بعض الطرق ليعد أتباعها بالملايين من كل أقطار الدنيا دونما رابط إلا اسم الطريقة ومنهاجها وبرنامجها التربوي ورموزها التاريخية، نأمل أن تنتشر طريقة المقاومة العالمية هذه حيث ستوفر قائمة الشهداء في المقاومة، أقطاب ورموز هذه الطريقة الجهادية الشاملة.

(٦) - تقوم فكرة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية على تجانس السرية ضمن خيار أعضائها في المذاهب ضمن مدارس أهل السنة والتصور والفهم العام سياسياً وأمنياً وعسكرياً وتربوياً، بما يناسب حالهم ومكان عملهم دون أن يتضارب هذا مع حالة التنوع على مستوى السرايا ككل ودعوة المقاومة بكل محاورها العسكرية والمدنية والدعوية والسياسية والإعلامية، إلى آخر مجالات ومحاور المقاومة.

(٧) - سهولة الانتماء ومباشرة العمل دونما تعقيدات في مراحل التنظيم والتكوين والتربية كما هو معهود في الجماعات والتنظيمات التقليدية، فكما شرحنا في نظرية التربية، فإن شعار أداء الفريضة وتوقيتها هو قوله ﷺ «أَسْلِمْ ثمَّ قَاتِل».

تعتبر طريقة المقاومة الإسلامية العالمية .. قتال أعداء الله الغزاة ومن والاهم وقاتل المسلمين معهم فرض عين كالصلاة والزكاة، وتعتبر توقيت أداء الفريضة في أحوالنا هذه فوريا، يقع التكليف فيه بمجرد الإسلام، كما قال ﷺ:

«أَسْلِمْ ثمَّ قَاتِل»(١)

وهكذا: فكل من كان مسلماً حتى ولو دخل الإسلام منذ ساعة بعد أن دخل الاحتلال وحل الجهاد وصار فريضة عينية، تعينت عليه الفريضة، أما مراحل التربية في مراحل العقيدة الجهادية والفهم السياسي واستيعاب الأحكام الشرعية، فتتم مع الوقت ولكن على أن يجدَّ أمير كل سرية أو مجموعة بتأهيل نفسه ومن معه من خلال برنامج دعوة المقاومة المفصل والميسر بطريقة سهله ميسره.

وهكذا فما على من يريد الجهاد والإنتماء لهذه الدعوة إلا أن يعقد العزم على ذلك، ويعاهد الله على التزام منهجها واسمها وشعاراتها ويسلك سبيل العمل المباشر ضمن استطاعته، ولاسيما أولئك الذين سبق لهم تلقي تدريب عسكري إما في جماعة جهادية أو مؤسسة عسكرية رسمية أو غير رسمية.

فالقضية في أساسها كما سنشرح في نظرية التدريب على أساس الحقيقة التي تقول أن أساس عمل المجاهد ولاسيما في حروب العصابات على مبدأ (إرادة القتال) وتوفيره ورفع مستواه.

أنواع سرايا المقاومة الإسلامية العالمية ومستوى عملياتها العسكرية:

تختلف المستويات بين سرية وأخرى من حيث الإعداد، مما يجعل أهليتهم في تنفيذ العمليات مختلفة، في الداخل والخارج.

وهنا نميز بين عدة أنواع من السرايا بحسب قدراتها الفنية والعسكرية والتكنولوجية والأمنية والمالية، وذلك بحسب التسلسل التالي:

أولا: سرايا المقاومة الشعبية:

وتتكون هذه السرايا من الأفراد والمجموعات الصغيرة المحدودة الإمكانيات من حيث التمويل أو من حيث مستوى التدريب وهم غالبية المسلمين الساحقة.

وهؤلاء يستطيعون القيام بأعمال بسيطة محدودة المستوى من الناحية العسكرية **ولكن أهمية مشاركتهم تأتي في الدرجة الأولى من كثرتها حال تحول المقاومة إلى ظاهرة، لأنها لن تدع للمستعمر قراراً**

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٨).

يقر في بلادنا، وستسبب إزعاجاً هائلاً إذا تفشت ظاهرة المقاومة في الجاليات المسلحة المقيمة في الدول المشاركة في الحرب على المسلمين ولاسيما الدول الغربية.

ثانيا: السرايا العسكرية العامة:

وتتكون هذه السرايا المسلحة محدودة الإمكانيات، من الأفراد الذين سبق لهم التدريب على استخدام الأسلحة الخفيفة الفردية والمتفجرات بمستوى متوسط، وجل هؤلاء من بقايا خلايا التيار الجهادي وتنظيماته أو المجاهدين الذي سبق لهم مشاركة ما في ساحات الجهاد كأفغانستان أو الشيشان أو البوسنة وكشمير أو الفلبين أو غيرها، أو سبق لهم التدريب في أن سبيل آخر، أو عبر خدماتهم في الأجهزة الأمنية أو العسكرية لبلادهم، وقد تكون العوائق المادية والأمنية حائلاً دون تمكن هذه السرايا من عمليات نوعية كبيرة مدوية. **ولكن مساهماتها العسكرية هي الأساس في حرب العصابات التي تشنها سرايا المقاومة الإسلامية العالمية لكثرة هذا النوع من الكوادر الجهادية في العالم العربي والإسلامي**، وحتى بين الجاليات المسلمة في البلاد المحاربة، فهو عدد من فئة عشرات الآلاف من الجهاديين وأنصار المقاومة، ناهيك عن مئات آلاف وقل الملايين من الرجال الذين انتسبوا لجهاز حكومي أمني أو عسكري في حياتهم كدورات عامة أو كمحترفين وتركوا ذلك أو ما زالوا في الخدمة، وتحركهم مشاعر دينية ووطنية وقومية أو مشاعر الضمير الحي بشكل قوي.

ثالثا: سرايا المقاومة النوعية:

وهي السرايا عالية الإمكانيات الأمنية والحركية والعسكرية والمادية وتتشكل من العناصر أو المجموعات التي كانت قد تلقت تدريباً عالياً في المجال الأمني على العمل السري والإرهاب المدني وإدارة الخلايا في حروب العصابات وتقنيات الاتصالات وأمنياتها وكذلك تدريباً عسكرياً عالياً في مجال استخدام الأسلحة والمتفجرات ولاسيما تكتيكات قتال حروب العصابات في مختلف الظروف وخاصة تصنيع المتفجرات واستخدامها وإتقان استعمال طرق التفجير المختلفة ولاسيما الإلكترونية.

وكذلك توفر لها عامل مهم للعمل وهو الإمكانيات المالية العالية التي تمكن هذه الخلايا من العمل على مستوى عالي في داخل ساحة المقاومة الرئيسية الأولى أو في الساحة الخارجية داخل الدول المعادية أمريكا في أمريكا في الدرجة الأولى ثم الدول الحليفة لها.

رابعاً: سرايا العمليات الاستراتيجية:

وهذه السرايا سرايا خاصة يمكن أن يقوم بتشكيلها من تتوفر لهم الشروط التالية:

١ - فهم استراتيجي لطبيعة الصراع وما وصل إليه من الناحية السياسية والعسكرية والإستراتيجية عامةً وقدرة على الدراسة الشرعية للعمليات الكبرى وآثارها السياسية، من أجل قيادة وإدارة هذا النوع من السرايا.

٢- إمكانيات مالية عالية جداً لتأهيل مثل هذه السرايا وتمويل عملياتها.

٣- إمكانيات أمنية وحركية عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

٤- إمكانيات عسكرية عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

٥- معرفة وإمكانيات عملياتية في امتلاك واستخدام أسلحة الدمار الشامل وقت الحاجة للمعاملة بالمثل أو للحسم الاستراتيجي للصراع مع أمريكا.

ويمكن أن يقوم بتشكيل هذه السرايا نخبة من المولين المسلمين المؤمنين بنهج المقاومة، بالتعاون مع كبار قدماء الجهاديين وبالتعاون مع بعض الشرفاء الذين سبق لهم العمل في أجهزة الأمن السابقين في حكومات بلاد المسلمين وكذلك قدماء العسكريين والعلماء الإستراتيجيين في المجالات العسكرية، وبعض السياسيين المخلصين من المتقاعدين أو حتى من الذين مازالوا عاملين في بعض أجهزة الحكومات العربية أو الإسلامية، ممن يمكن الوثوق بولائهم لدينهم وأمتهم وبلادهم وبسريتهم وإيمانهم ببرنامج المقاومة الإسلامية العالمية.

وهؤلاء يكفي أن ينجز من أعمالهم واحدة كل سنة أو سنتين على أن تكون من الحجم الحاسم. والله الموفق ولله جنود السموات والأرض، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

الثقافة الإرهابية والملكة الإرهابية والصفات المكتسبة لمقاتل حرب العصابات:

الثقافة الإرهابية:

هي مجموعة المعارف والمعلومات والثقافة العامة التي يتملكها المقاتل بأسلوب (الإرهاب) ولاسيما في حرب عصابات المدن، ومن ذلك بعناوين مختصره.

- الانخراط في الحياة العامة بشكل عملي ومعرفة بأوجه نشاط الناس.
- معرفة ومطالعات في كتب الاستخبارات والجاسوسية والحروب الخفية.
- معرفة ومطالعات في أساليب الاستخبارات في التحقيق والاستجواب والتحري، وجمع المعلومات والمطاردات الأمنية والتجسس والتصنت وأدواتها وأجهزتها الحديثة.
- معرفة ومطالعات في علم الأدلة الجنائية وأساليب الأمن في متابعة الوقائع الأمنية والحوادث الجنائية وما شابهها.

- معرفة ومطالعات في تاريخ العمليات الخاصة وتفاصيل أحداثها، سواءً العسكرية التي قامت بها النخب العسكرية من كوما ندوس العصابات والجماعات المسلحة العالميةً وكذلك في أسباب نجاح وفشل تلك العمليات ولاسيما الكبرى منها.

- معرفة بأساليب عمل ما يسمى (بفرق مكافحة الإرهاب) وأسلحتها وتدريباتها وطرق عملها، ودراسة في بعض عملياتها الناجحة والفاشلة في مختلف دول العالم ولاسيما خلال السنوات العشر الأخيرة.

- معرفة ومطالعات في كتب (حرب العصابات) بمختلف أشكالها، حروب العصابات في المدن والجبال والغابات أو الأرياف، وحرب العصابات في الصحراء وحروب الأنفاق وغير ذلك، وغير ذلك من أنواع تلك الحروب وفنون وأسلحة كل نوع من تلك الحروب وأساليها وتاريخ تجاربها ومدارسها الشهيرة في التاريخ الحديث ولاسيما في الثورات الكبرى في الحقبة الاستعمارية في فترة ما بين الحربين، ثم فترة الصراع ضد الإمبريالية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ولاسيما في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وبعض الدول الأخرى في آسيا.

- علوم ومعارف عامة تساعد في عمل حرب العصابات عموماً ولاسيما حرب عصابات المدن أو أعمال الإرهاب المدني ومن ذلك:

* علم الكومبيوتر؛ فهو اليوم من أهم العلوم التي تساعد في كافة مجالات العلوم والثقافات الأخرى اليوم وكذلك.

* معرفة عامة بعلم الكهرباء والإلكترونيات والأجهزة الإلكترونية، ومن المفيد معرفة عامة بعلم الميكانيكا والآلات ولاسيما المركبات والأسلحة والتعامل معها وإصلاحها وتعديلها بحسب ما يلزم.

* شيء من المعلومات والمطالعات العامة حول التاريخ والسياسة والاقتصاد، وبجغرافيا ومناخ واقتصاد وطرق وبنية البلد الذي يعمل فيه والعادات والتقاليد وعموم أوجه النشاط الحياتي البشري في منطقة عمل مقاتل عمل العصابات أو المجاهد بأسلوب حرب العصابات، إلى آخر ذلك.

إن مجموعة هذه العلوم والمعارف تكوِّن عند المجاهد في مجال حرب عصابات المدن أو ما يسمى (الإرهاب)، هذه المعارف تكون ثقافة لدى الإرهابي وتنمي لديه الملكة، ملكة الإرهاب في اختيار الأهداف وطبيعة العمليات وإمكانية تنفيذها ولوازمها وآثار ذلك وتبعاته من النواحي الأخرى السياسية والأمنية.. الخ ذلك، وأقترح فعلاً على المشرفين على إعداد الخلايا والسرايا الإرهابية أن يضيفوا إلى برامج الإعداد لديهم مادة باسم (ثقافة إرهابية) تشمل ذلك وتضم مكتبة ينصح بها المتدرب للمطالعة والتثقف.

الملكة الإرهابية:

أذكر أن ألقيت محاضرة في دورة لتأهيل الكوادر في تنظيم القاعدة من بعض الشباب المختارين من المجاهدين العرب أيام الجهاد الأفغاني سنة ١٩٨٩، وكانت بعنوان:

(الإرهاب ملكة).

وفعلاً وبعد طول تماس مع التيار الجهادي ومجالات التدريب والعمل والاحتكاك بمئات المجاهدين من مختلف الجنسيات والأنواع والمستويات، فضلاً عن مطالعات كثيرة يسرها الله تعالى في هذه المجالات، رأيت أن الاستعداد للعمل في مجال الإرهاب يقوم على ثلاث أسس:

(١) ملكة. - (٢) ثقافة عامة واسعة. - (٣) صفات مكتسبة وإعداد.

وفي حين يمكن أن يرفع مستوى الثقافة لدي المجاهد، وكذلك يمكن رفع مستوى الإعداد ومستوى الصفات المكتسبة، وهذا يؤثر في صقل الملكة، ولكن تبقى الملكة أساس في إيجاد الإرهابي المتقن لعمله وأدائه.

ومن هذا الوجه فإن ملكة الإرهاب مثلها مثل ملكة الشعر والموسيقي والرسم ومختلف أوجه الفنون والأدب الهوايات، والملكات والعقلية والعملية الأخرى عموماً، هي موهبة، فهناك أشخاص مؤهلين بالفطرة والإمكانيات الذاتية ليكونوا إرهابيين ناجحين يتقنون اختيار العمليات والتخطيط لها وتنفيذها ويدركون حساباتها السياسية وضوابطها الشرعية والأخلاقية.. الخ.

وعلى المدربين والمشرفين على إنشاء السرايا في المقاومة أن يكتشفوا تلك المواهب ويصقلوها بالثقافة والتدريب لتأخذ مكانها في قيادة أعمال الإرهابيين في هذا النوع من الجهاد المبارك.

الصفات المكتسبة لمقاتل العصابات:

وهي مجموعة العلوم والإمكانيات والمدارك والمعارف والقدرات البدنية والفنية التي يتم تدريب مقاتل العصابات عليها، في مختلف المجالات العسكرية المباشرة كاستعمال الأسلحة المختلفة، وما يتبع ذلك أو العلوم التابعة الأخرى.

وأخيراً في ختام النظرية العسكرية بعد استعراض مجالي عمل المقاومة في الجبهات المفتوحة والإرهاب الفردي، يجدر أن أعرج على العلاقة بين هذين النوعين من الجهاد، قبل أن أختم هذا الباب.

العلاقة بين جهاد الجبهات المفتوحة وجهاد الإرهاب الفردي:

سيأتي شيء من التفصيل لهذه الفقرة في باب نظرية التنظيم ولكن يمكن إيجاز بعض الأفكار في هذه الفقرة بما يلي:

(١) - بضوابط أمنية صارمة يجب الأخذ بها يمكن أن تستفيد السرايا العاملة في مجال جهاد الإرهاب الفردي في رفع إمكانيات عناصرها العسكرية والتدريبية عامة في الجبهات المفتوحة.

(٢) - يمكن أن تستفيد بعض العناصر العاملة في مجال تجنيد وبناء السرايا من الجبهات المفتوحة في تجنيد بعض العناصر القادمة للجهاد وانتقائها وإرسالها للعمل في بلدانها أو حيث تستطيع في مجال إرهاب الجهاد الفردي أو الخلوي مع مراعاة ملاحظة هامة جداً وهي أن لا يأخذ ذلك شكل التنظيم والارتباط المركزي.

(٣) يمكن أن تشكل الجبهات المفتوحة مفراً وملاذاً آمناً للمطاردين والمطلوبين من الذين عملوا في مجال جهاد الإرهاب الفردي، حيث كشفوا ولم يعودوا يستطيعون المتابعة بشكل مكشوف ولا يستطيعون الاختفاء.

(٤) - يجب التنبيه على أن سرايا المقاومة من العاملين في مجال العمل السري يجب أن يبقوا على أسلوبهم السري حال انتقالهم للعمل في الجبهات، ولا يتحولوا للعمل والدعوة العلنية وهذا مقتل ومنزلق خطير نتيجة الأجواء الآمنة والعاطفية.

(٥) - يجب أن يعمل أفراد سرايا السرية المقاومة إن توجهوا للجبهات المفتوحة تحت قيادة أمراء تلك الجبهات وخاصة المحليين أو الإدارات العامة التي تنشأ حال تكرار مثل ذلك، فيجب أن يعملوا تحت إدارتها بإخلاص وتفان طالما تواجدوا في تلك الأجواء، وأن يسعوا إلى التواجد في خطوط القتال الأولى ومعسكرات الإعداد لأداء الفريضة بإخلاص وللتماس بالمجاهدين ونشر الدعوة ومنهجها بشكل سري ماأمكن.

(٦) - أما ما تستفيده الجبهات من سرايا الجهاد الفردي والخلوي فهو أن عمل هذه السرايا هو ذراع طويلة لجهاد تلك القضايا تستطيع من خلال عملها توفير الردع اللازم للقوى المعتدية، وفي تصفية قيادات الخصوم، والعمل خلف خطوط العدو، وتنفيذ العمليات الخاصة بالتعاون مع أمراء تلك الساحات والقضايا بشكل سري ومبرمج.

والآن وفي الختام نناشد من يبلغه النداء..

أيها الشباب المجاهد.. يا رجال هذه الأمة من الشرفاء، أيها الأوفياء العازمون على الجهاد، إن الأمة اليوم قد تماوت في معظم رجالها العزيمة، وضربها الوهن من حب الدنيا وكراهية الموت، ولاسيما منذ سقطت خلافة المسلمين وكيانهم السياسي واستعمرهم أعداؤهم.

ويجب أن نحيي الأمة ونأخذ بيدها من هذا الموات.

لقد كان بعض الشباب المجاهد إبان زحف الأمريكان الأول على العراق سنة ١٩٩١، يعبر نهر الأردن بسكين أو مسدس أو ما تيسر له، يبحث عن جندي صهيوني ليصرعه ويساهم في جهاد هذه الأمة، وكان بعض المجاهدين يذهب إلى آخر الدنيا لتنفيذ عمل خلف خطوط العدو رداً على عدوانه على هذه الأمة، أو ليلتحق بساحة جهاد لا يصلها إلا بشق الأنفس.

وها قد سهل الأمر، لقد جاءتنا أمريكا بمئات آلاف الجنود والخبراء ونشرتهم بين أظهرنا، فضلاً عن مئات آلاف المدنيين من العاملين في المجالات الاستعمارية الأخرى من سياسية واقتصادية وثقافية وسوى ذلك، ولا يكلف الأمر الذي ندعوا إليه انتسابا لتنظيم ولا يستدعي سفرا ولا هجرة، ولا تغييرا لنظام الحياة.

فكل ما يحتاجه الأمر:

- **قرارشخصي حازم على أداء الفريضة المتعينة، وعزم أكيد على المساهمة في الجهاد والمقاومة.**
- **عهد بينك وبين الله تعالى، ثم بينك وبين من ستعمل معه على الانتساب لدعوة المقاومة.**
- **شكل سريتك، وتكون بذلك عضواً في هذه الدعوة، وسرية ضمن سرايا المقاومة العالمية.**
- **إسع في فهم المنهج، وتطبيق برنامجه التربوي وسربه بتؤدة قدر استطاعتك.**
- **أعدَّ نفسك ومن معك قدر استطاعتك.**
- **بادرللعمل فالجهاد فريضة عينية واخترهدفا معاديا يناسب إمكانياتك المادية والعسكرية.**
- **تريث وفكر.. صمم واستخر الله.. ثم أقدم..**

وحيا هلا على طريق الحسنين، إما نصر وإما شهادة، إنها دعوة عمل وشهادة، ليست طريقة جدل ولا منهجا للقيل والقال وكثرة السؤال، فقد شبعت الأمة من ذلك وآلت إلى ما نحن فيه.

والله المستعان وآن أوان النفير..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة]

نظرية التنظيم ونظام العمل في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية

تقوم نظرية العمل والبناء التنظيمي في سرايا دعوة المقاومة الاسلامية العالمية على أساس القاعدة والشعار الأساسي في طريقة العمل وهو: (نظام عمل وليس تنظيم للعمل) " **نظام لا تنظيم** "

مقارنة بين الأسس والمقومات التي تقوم عليها التنظيمات التقليدية ومقومات بناء نظام عمل سرايا دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

الأسس والمقومات	التنظيمات التقليدية	سرايا المقاومة الإسلامية العالمية
الهدف	إسقاط الحكومة وإقامة الحكومة الشرعية في القطر المحدد.	المقاومة من أجل دفع صائل الغزاة وأعوانهم.
المنهج	فكر ومنهج التنظيم الجهادي.	منهج دعوة المقاومة الإسلامية العالمية
القيادة	الأمير المركزي والقيادة	الإرشاد العام للسرايا العالمية. والأمير الخاص للسرية.
المخطط	برنامج عمل التنظيم	مقاومة الإحتلال وضربه في كل مكان.
التمويل	مصادر تمويل التنظيم وبرنامج إنفاقه ومصادره التبرعات.	التمويل الخاص بالسرية ومصدره الغنائم والتبرعات.
البيعة والعهد	بيعة مركزية للأمير	عهد مع الله على الجهاد والمقاومة وعهد على طاعة أمير السرية.

فدعوة المقاومة تقوم على الخلايا اللامركزية، وسراياها المجاهدة تقوم على العمل الفردي وعمل الخلايا الصغيرة المنفصلة تماماً واللامركزية تماماً، بحيث لا يربطها كما أسلفنا إلا الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج الاعتقاد وطريقة التربية.

الصيغة النهائية للبناء التنظيمي لسرايا دعوة المقاومة العالمية الإسلامية عام ٢٠٠٠م في كابل في ظلال الإمارة الإسلامية في أفغانستان أيام الطالبان:

أولاً الدائرة الأولى: وهي (السرية المركزية):

مهمتها الأساسية الإرشاد والتوجيه والدعوة، وذلك من خلال **نشر** أدبيات الدعوة ومناهجها السياسية الشرعية والتربوية والحركية **وإيصالها** إلى مختلف شرائح الأمة، **وإصدار** البيانات الإعلامية والمنهجية باسم الدعوة وسراياها بحيث تشتمل على فكرها وطرق أدائها ووجهة نظرها، بالإضافة إلى بناء السرية المركزية العاملة عسكرياً على أرض الجبهة التي كانت مفتوحة في أفغانستان، والعمل من خلال التواصل مع من أمكن التواصل معه في بناء علاقات تعاون وتنسيق مع سرايا غير مركزية تحمل دعوة المقاومة وتعمل بشكل منفصل تماماً على الصعيد الحركي.

ثانياً: دائرة التنسيق أو (السرايا اللامركزية):

وتتكون من العناصر التي أمكن التواصل معها وإخضاعها لدورات التأهيل الفكري والمنهجي والتربوي المتكامل فكرياً وسلوكياً وعسكرياً وحركياً من خلال التماس معها، حيث يكون برنامج تلك العناصر الارتحال عن الجبهة، والانتشار في الأرض كل بحسب ظرفه وحياته، والعمل بشكل حر ومنفصل تماماً عن السرية المركزية من الناحية الحركية بحيث لا يربطها إلا الاسم والهدف والمنهج العقدي والتربوي وطريقة العمل وتنقطع الصلة بها تماماً، وميزة هذه السرايا عن التالية أن قياداتها قد أمكن تربيتها بشكل مباشر.

ثالثاً: الدائرة الثالثة السرايا العامة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية وهذه السرايا هي الأساس في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي رفعت شعار: (المقاومة معركة أمة وليس صراع نخبة)

شباب عازم على الجهاد، آمنة بالفكرة والطريقة، ربى نفسه ومن معه على منهجها، وشكل سريته المستقلة الخاصة للمشاركة في المقاومة دون أي ارتباط حركي بالمركز، حيث يقتصر الرابط على الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج العقيدة الجهادية المشترك ومنهج التربية المتكاملة، حيث تُوفِر لهم المناهج المنشورة كافة المواد اللازمة لاستكمال إعدادهم الذاتي حيث هُم لمباشرة العمل على بصيرة من خلال منهج منضبط واضح.

إلَّا أنَّ تداعيات أحداث سبتمبر وإسقاط إمارة أفغانستان، وسقوط نظريات المواجهة المتمركزة نهائياً مع الهجوم العسكري الأمريكي الطاغي مادياً وتكنولوجياً وبشرياً على كل صعيد، أكد لي تماماً الأهمية الإستراتيجية للعمل السري الفردي والتركيز على الدائرة الأساسية في دعوة المقاومة وهي دائرة الدعوة العامة.

إذ أني أعتقد أنه ربما سيطول الوقت، والله أعلم، قبل أن يمكن لنا، للعمل التمركز وجهاً لوجه من خلال الدفاع الثابت والمواجهة الجبهوية، وعلينا ضمن معطيات الوضع الحالي أن نعمل من خلال دائرتين:هما الأولى والثالثة.

الدائرة الأولى: وهي مركز الإرشاد:

التي تشرف على الإرشاد والتوجيه ونشر المنهج وبرامج التربية وتصدر البيانات والأبحاث اللازمة لمتابعة ذلك، وتعمل بشكل سري يناسب الأحوال.

الدائرة الثالثة: (سرايا دعوة المقاومة):

وهي السرايا التي نأمل من الله، ونتوقع أن تتشكل بشكل تلقائي من قبل الراغبين بالعمل وفق هذا المنهج والطريقة من خلال بلاغ الدعوة لأوساط المسلمين الذين تدفعهم كل الظروف من حولهم للانخراط في المقاومة

أنواع سرايا المقاومة الإسلامية العالمية من حيث مهام عملها:

(١) - العناصر والسرايا بانية السرايا العاملة:

وهذه تتخصص في نشر فكرة دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، وإقناع الكوادر من الجهاديين والشباب العازم على المقاومة بفكرة الدعوة والمسارعة إلى تشكيل سريتهم المستقلة وإعدادهم فكرياً وعسكرياً وأمنياً وتزويدهم بالأبحاث المختلفة الشرعية والسياسية والعسكرية الأمنية وتأهيلهم لكي يدربوا عناصرهم وأنفسهم ليكونوا سرايا فاعلة، كما أنَّ من المهام المحتملة لمثل هذه السرايا البانية أن تزود نويات السرايا بالأموال التي تساعدهم على الانطلاق من حيث أمكنها توفيرها.

ومن الصفات اللازمة للعناصر والسرايا التي ستتصدى لهذه المهمة:

١- أن تكون غير مكشوفة قادرة على الحركة في أوساطها التي تعيش فيها بأمن وحرية.

٢- أن يكونوا متفهمين لمنهج دعوة المقاومة ولديهم الأهلية الفكرية لشرحها والدعوة لها، وعلى قدر لا بأس به من الفهم الشرعي والسياسي والحركي.

٣- مستوى عالي من الفهم والأهلية الأمنية في الحركة لتأهيل الآخرين للحركة السرية.

٤- مستوى مناسب في القدرة على التدريب السري على الأسلحة الخفيفة والمتفجرات وأسلحة العصابات الخفيفة الأخرى.

٥- قدرة على الاتصال ببعض مصادر تمويل المقاومة لتزويد السرايا العاملة التي شكلوها بالدفعة الأولى للانطلاق للعمل.

(٢) - السرايا العاملة:

وتتكون من عنصر فأكثر، ويفضل أن لا يجاوز عدد السرية الخمسة إلى عشرة على أقصى تقدير، بحيث تتشكل تلقائياً لإطلاعها على الفكرة وأدبياتها وإيمانها بالانتماء للدعوة والتوجه للعمل مباشرة، أو بتشكلها بمساعدة عنصر من بناة السرايا من الخلايا آنفة الذكر، ومهمة هذه السرايا الانصراف للعمل الجهادي والانخراط في القتال فورا، وتربية أنفسهم على منهج الدعوة ذاتياً، وعدم الانجرار إلى التوسع والتحول إلى بناء سرايا أخرى، ومقاومة الشعور الفطري بما لرغبة في التوسع خشية التحول إلى هرميات تنظيمية صغيرة، وهذا خطير جدا وسيؤدي إلى القبض عليهم بسرعة - لا قدر الله.

(٣) - سرايا التحريض السرية:

وهذه السرايا تتشكل من خلايا صغيرة جداً من (١-٣) عناصر، من أصحاب الكفاءة الشرعية والسياسية والفكرية والخبرة الإعلامية، والوعي الحركي، والخبرة باستخدام الإنترنيت وشبكات الإتصال الإلكتروني، ومهمة هذه السرايا نشر دعوة المقاومة وإعادة بث أدبياتها وأبحاثها ودراساتها ومناهجها المختلفة بوسائل النشر السري ولاسيما (الانترنت) والعمل على ترجمة أبحاث المقاومة وبياناتها إلى لغات المسلمين واللغات العالمية، مع الانتباه إلى أمنيات توزيع المواد بحيث تبتكر هذه السرايا لنفسها طرقاً للعمل بحسب إمكانيات كل بلد ومكان تعمل فيه.

طريقة بناء السرايا المتعددة من قبل العناصر البانية للسرايا العاملة:

يقوم العنصر النشط من بناة السرايا، باختيار بعض معارفه من الذين يظن بهم الأهلية لقيادة سرايا، ويفاتح كلاً منهم على حدة وانفصال تام في الموضوع، بالتدرج وبعد أن يستوثق من كل واحد منهم على حدة ويقوم بإعداده بصفة منفصلة أو مع معاون أو اثنين له على الأكثر، ويعدهم خلال فترة إعداد بالاستعانة بمناهج الدعوة المطبوعة والمسموعة.

وهكذا لنفرض أن العنصر (باني السرايا) أعد أربع أو خمس سرايا منفصلة تماماً لا نعرف بعضها ولا تعرف عن بعضها شيئاً.

|| A| |B| |C| |D| |E| |F

الآن يوكل لكل واحد منهم مهمة بناء سريته من عنصرين أو ثلاثة أو لوحده إن شاء ويحدد لهم تاريخاً لا يبدؤون العمل قبله، لكي يبتعد هو من ساحتهم لأنه المقتل الوحيد لهذه المجموعات.

وقبيل حلول هذا التاريخ يجب أن يكون العنصر المؤسس من بناة السرايا قد غادر إلى جهة مجهولة لهم بحيث لا يمكن لهذه العناصر أن تدل عليه.

إما إلى جهة من الجهات المفتوحة في مناطق عدم السيطرة، وإما إلى بلد آخر بأوراق شخصية لا يعرف أحد معلوماتها، وإما إلى الاختفاء التام في ساحة جديدة، **وإما بأن يكون على برنامج العنصر المؤسس أن يقوم بعملية استشهادية بعد بنائه لعدد من السرايا، لأنه يمثل نقطة المقتل الوحيدة أمنيا للسرايا التي بناها، فإنه لو اعتقلت أي سرية لا سبيل لها للاعتراف إلا عليه لأنها لا تعرف الأخرى.**

ومن الضروري جداً أن يتنبه العنصر المؤسس إلى أن لا يكون في حديثه أو حركته ولو من باب الإشارة والتشجيع ما يشير لبعض العناصر بأنه قد جند آخرين يمكن لبعضهم أن يخمن من هم هؤلاء الآخرون فيعترفون على بعضهم بالظن.

ويمكن أن تتشكل السرية تلقائياً من غير أن يبنيها مؤسس خارج عنها، وتعمل في المقاومة مباشرة ولا تعمل على دعوة غيرها، وذلك بأن يقتنع رجل بانخراط في دعوة المقاومة، فيشكل سريته الصغيرة، أو يعمل بنفسه فقط أو مع صديق معاون يقنعه، فيعدون أنفسهم على هذه الأبحاث، ويسمون سريتهم، ويعملون مباشرة، ولا يسعون إلى تنظيم غيرهم، ولا يعملون في مجال الدعوة والتحريض وينصرفون للعمل المباشر، وهذه أعل الإحتياطات الأمنية.

ويدرك من له أقل خبرة وإطلاع على التدريب وأصول العمل السري، بأن سرية صغيرة من عنصرين أو ثلاثة، مؤهلة أمنيا وعسكريا، ولديها (ثقافة إرهابية) عالية، أن تقوم بأعمال هائلة، وتتنقل بأعمالها في دائرة بلدها في عدة مدن، مما يخيل لمن لا يعرفها أن في البلد عشرات المجموعات العاملة، ولي العديد من القصص والشواهد الحية والأمثلة الرائعة على ذلك مما يضيق المجال عن سرده.

ثانيا: الحذر من خلط العمل العسكري للسرية بالإعلامي والدعوة للطريقة:

ويجب أن يحذر المجاهدون الذين يقومون ببناء سريتهم كل الحذر من خلط الأعمال الدعوية بالعسكرية فإنهم بذلك يجنون على أنفسهم وعلى غيرهم.

فالأصل أن يشكل الذي بلغته الفكرة واقتنع بها سريته من نفسه لوحده ويعمل في حدود إمكانياته إن كان لا ثقة له بآخرين، أو مع اثنين أو ثلاثة على الأكثر ممن يثق بهم، حيث

يشكلون سرية واحدة ويعملون بصمت واحتساب في المجال العسكري ويختارون هدفاً من الأهداف المعادية التي مر ذكرها والإشارة إلى بعضها ويقومون بعمل ولو في كل عدة أشهر مرة واحدة، ويبلغون بطريقة أمنية مناسبة وموجزة عن عملهم.

وليكن في علمكم: إنَّ الدعوة لتنظيم الآخرين، وأعمال الدعاية والإعلام، وجمع التبرعات، هي أساليب مناقضة للسرية ومباشرة العمل، ولا تجتمعان أبدا، وقد أدى الجمع بين هذه المتناقضات في تاريخنا الجهادي الحركي إلى كوارث حقيقية، هذه من أهم خلاصات التجارب المؤلمة الماضية.

إن مبدأ (علنية الدعوة، وسرية التنظيم) هو من أفشل المبادئ الحركية ولقد أدت ممارسته إلى كوارث دموية، فمن يعمل بالدعوة والتحريض، فليترك العمل السري القتالي، والعكس بالعكس، واعلموا أنه في حين يلزم الأمة عشرات آلاف المقاتلين الفدائيين اليوم، فإنه يكفيها بعض المحرضين بالدعوة الكلامية.

إن ممارسة القتال ونكاية أعداء الله، وبذل النفس في سبيل الله، هي أبلغ الرسائل التحريضية التي تحتاجها أمة قاعدة عن الجهاد كي تقوم من رقادها.

إن ممارسة التحريض، لا تسقط عن المسلم فرض القتال المتعين اليوم، الذي يعتبر الناكص عنه كتارك الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل أشر منهم، لما يترتب على الأمة بذلك من ضرر تسلط أعدائها، وذهاب دينها ودنياها، فلا تغالطوا أنفسكم، واتقوا الذي يعلم السر وأخفى، ويحصل ما في الصدور إذا بعثر ما في القبور، فإن ربنا بعباده خبير بصير.

ثالثا: دعوة المقاومة دعوة عمل جاد:

يجب أن يتنبه المجاهدون إلى أنه يكفي للتحريض بعض السرايا، والحاجة ماسة للسرايا العاملة، والأصل في الفريضة الهامة هي القتال (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) أما التحريض فهو للكفاية والقادرين عليه والمؤهلين له.

فلا يترك العامل سبيلاً للشيطان يقعده عن العمل بإقناعه بأنه يحرض غيره أو يجند غيره، وهذا من تدليس إبليس، ومهمة تجنيد الغير مسؤولية كبيرة لأنَّها تقتضي منه كما ذكرنا الاختفاء تماماً الساحة التي جند بها غيره من العاملين، ولذلك فالأصل أن يجند الإنسان نفسه ويعمل مع من ارتبط به مباشرة.

رابعا: شاركوا في المتوالية الحسابية للمقاومة:

أعيد الإشارة إلى ما ذكرته في باب النظرية العسكرية، بأن أهمية فكرة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية تأتي من انتشارها وتجميع الجهود، فكما أسلفت فإنه لو أن اثني عشر سرية تشكلت في طول عالمنا الإسلامي وعرضه، وعملت كل سرية مرة في السنة لكان لدينا عملية شهرياً، ولو عملت مرتين لكان عملية كل ١٥ يوم، وهذا لا يستطيعه أقوى التنظيمات، فما بالك لو اقنع معنا خلال سنة من إطلاق الفكرة ١٠٠ شخص نجح بالعمل منهم ٥٠ شخصا، وعمل كل واحد عمليتين أو ثلاثة في السنة سيكون المردود أن يذكر جهد سرايا المقاومة يومياً عدة مرات مع من الوقت، وهذا ينكأ العدو ويحفز المسلمين على العمل، وهو المرجو من الله سبحانه وتعالى أن يبارك في هذه الفكرة ويهيئ لها رجالها ويبارك في جهودنا جميعاً ويرينا هزيمة الأعداء ويختم لنا بالشهادة في سبيله.

نظرية التدريب في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

استعراض طرق التدريب القديمة التي اعتمدها الجهاديون في تجاربه السالفة:

١ - التدريب السري في البيوت.

٢ - التدريب في المعسكرات السرية الصغيرة في مناطق العمل ذاتها.

٣ - التدريب العلني برعاية دول الملاذات الآمنة.

٤ - التدريب العلني في معسكرات الجبهات المفتوحة.

٥ - التدريب في مناطق الفوضى وعدم السيطرة.

سلبيات وإيجابيات كل طريقة من هذه الطرق وأمثلة عن كل منها لاختيار الأسلوب الأمثل للتدريب اليوم في ظروف عالم ما بعد سبتمبر وأجواء مكافحة الإرهاب العالمية.

التدريب السري في البيوت:

الايجابيات:

هذه الطريقة هي الأساس في إعداد كافة التنظيمات والعصابات السرية في العالم، رغم أنها لا تسمح إلا بالتدريب على الأسلحة الشخصية والخفيفة وبعض دروس استخدام المتفجرات وأسلحة المرحلة الأولى من حروب العصابات، إلا أنها أثبتت فعاليتها جداً، حيث أن الأساس في عمل العصابات هو الدافع المعنوي وإرادة القتال وليس زيادة المعرفة بأسلحة لن يستخدمها المجاهد عمليا.

وفي هذه الطريقة يتعلم المتدربون فك وتركيب السلاح واستعماله وكيفية الرمي عليه نظرياً، حيث يقومون بشيء من التطبيقات العملية والرمي المحدود في المناطق الخالية أو الكهوف أو حتى الأقبية المعزولة عن خروج الصوت داخل البيوت ذاتها، وكثيراً ما تكون الطلقات الأولى التي يرميها المتدربون هي في عملية اشتباك حقيقي.

السلبيات

في تجارب تدريب البيوت كان مستوى الإعداد العسكري منخفض نسبياً، ولكن المردود الأمني كان عالياً إذ يتم ذلك في ظروف من السرية والاحتياط الكبير به، وكذلك كان التدريب المعنوي والفكري عالياً وانعكس على مستوى العقيدة الجهادية ومستوى الفهم الفكري والسياسي وأصول نظرية حروب العصابات الجهادية، ولاسيما في مثل التجارب الجهادية في سوريا ومصر وليبيا والجزائر والمغرب وغيرها، وأذكر لما كنت عضواً في جهاز التدريب أثناء إقامتنا شبة السرية في الأردن إبان الثورة الجهادية على النظام السوري (١٩٨٠-١٩٨٢)،

كنا ندرّس سراً في البيوت المنتشرة للمجاهدين في عمان وغيرها من المدن الأردنية أكثر من خمسة عشر مادة عسكرية وتربوية نظرياً، ونجري فيها امتحانات للخلايا المختلفة، وبعدها تقوم بإرسال الذين تجاوزوها للمعسكرات في بغداد في العراق حيث تجري لهم دورات مكثفة ومختصرة لأنهم انتهوا من التدريب النظري، ويُستبقى من سيتخصص منهم في العمل العسكري للدورات التخصصية على مختلف صنوف الأسلحة بما فيها الدبابات، وقد رأينا أن المواد التي يمكن أن تدرس في البيوت ليست قليلة وهامة جداً، وخاصة العقائدية فيها والفكرية، وفي حال تمكن الخلايا من عمل معسكرات محدودة ومتنقلة فإن الدائرة العملية تكتمل وتحتل أفضل صور الإعداد حتى وإن لم تصل إلى مستويات عسكرية عالية، نظراً لعدم وجود سلبيات أمنية وسياسية كما في حالة الرحيل إلى معسكرات التدريب في الخارج.

التدريب في المعسكرات السرية الصغيرة:

في الجبال والغابات أو الأرياف الزراعية البعيدة - مجموعات صغيرة محدودة العدد ولا تتجاوز ٥ – ١٢ شخص، يتمكنون من إنشاء معسكر متنقل في مناطق نائية معزولة ويجرون دورات مكثفة يمكن أن يطبق فيها بعض التكتيكات العسكرية المتقدمة عن حروب عصابات المدن والأرياف من الكمائن والتمارين الأخرى، مع تطبيق شيء من الرمايات المحدودة التفجيرات في مناطق قريبة من مقالع الأحجار ومصائد الأسماك بالمتفجرات وحيث يؤلف سماع صوت التفجير، أو حتى داخل الكهوف بكميات صغيرة محدودة، وهي طريقة فعالة جداً وكافية لتخريج المجاهدين القادرين على دخول معارك المرحلة الأولى من حروب العصابات ولاسيما المدنية.

التدريب العلني برعاية دول الملاذات الآمنة:

الايجابيات:

كانت معتمدة في عالم ما قبل قيام النظام العالمي الجديد، فقد تمكنت كثير من التنظيمات الجهادية من الاستفادة من هوامش التناقضات السياسية ومحاور الصراع الإقليمية والدولية، وأقامت معسكرات معلنة في دول معارضة لأنظمة الحكم التي خرجت عليها، فقد تمكن المجاهدون من الطليعة المقاتلة ومن الإخوان المسلمين في سوريا من إقامة معسكرات متطورة في العراق على مختلف صنوف الأسلحة الأرضية حتى المتوسطة والثقيلة مادون الطائرات قدم لهم فيها النظام العراقي مساعدات عسكرية ومادية كبيرة، كما حصل مثل ذلك بشكل محدود في الأردن بمعاونة نظام الملك حسين وإشراف أجهزة استخباراته، وقد بدأ مثل ذلك مع مصر إبان خلاف السادات الشهير مع سوريا

وقد عمل بهذه الطريقة عملياً كافة التنظيمات الإسلامية وغير الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية خلال الفترة الممتدة من مطلع الستينات وإلى أواسط التسعينات حيث انتهت كما أسلفت بقيام نظام التعامل الأمني بين الدول العربية والإسلامية بإشراف أمريكا

السلبيات:

سجلت إيجابية واضحة وهي المستويات العسكرية العالية التي أمكن أن يحققها بعض الكوادر من خلال ما وفرته إمكانات الدول وجيوشها وأجهزتها الأمنية من الإعداد ومواده المتعددة والراقية ولكن كان هناك سلبيات خطيرة كشفتها التجارب مع الوقت ومن ذلك:

-- كشف الكثير من أسرار التنظيمات وخباياها الشخصية والمعلوماتية للدول المضيفة للمعسكرات، وقد شكلت هذه المعلومات أوراق للضغط والمساومة وصبغت في النهاية على طاولة التعاون الأمني الإستخباراتي بين الدول التي تبدل مواقفها بشكل ميكافيلي ومتواصل، وأثبتت التجارب أن هذا كان مقتلاً استراتيجياً.

-- مكنت هذه الطريقة الدول المضيفة من اختراق التنظيمات حتى الجهادية والإسلامية مع الوقت، وكسبت لصالح العمل تحت إدارتها واستخباراتها بعض أعضاء هذه التنظيمات ولا سيما عندما طال مكوث تلك التنظيمات في الدول المضيفة وصار لها هياكل سياسية وإعلامية وعسكرية كما في التجربة الجهاد السورية، أثناء توجد قياداتها في العراق والأردن وكذلك غيرها، ومع الوقت استطاعت تلك الدول التدخل في شؤون الجماعات وفرض إرادتها لتصبح أوراق سياسية إقليمية في يدها اضطراراً حيث اتبعت تلك الدول سياسة الإغراق والاستيعاب المالي كما سنشير لذلك في باب التمويل.

-- شكلت عملية الرحيل إلى معسكرات الملاذات الآمنة المجاورة غالباً مقتلاً أمنياً بسبب تحرك العناصر المجاهدة وسفرها إلى هناك وكانت مصائد أمنية لأجهزة الاستخبارات اليقظة في مثل تلك الحالات حيث استطاعت في كثير من الحالات زرع عملاء لها في تلك المعسكرات والأوساط المفتوحة التي غالباً ما تنساق للحركة العلنية وتترك ما هي عليه من الاستنفار الأمني وخاصة مع تطاول الوقت وتحول رحيل العناصر من هدف التدريب والعودة إلى حجم المعارضات التي تهاجر للاستقرار وتفرغ ساحة الجهاد ذاتها.

التدريب العلني في معسكرات الجبهات المفتوحة:

الايجابيات:

مثل ما حصل في أفغانستان حيث تدرب عشرات آلاف المجاهدين العرب والمسلمين، واستفاد من ذلك الهامش الرائع عشرات التنظيمات الجهادية والعديد من التنظيمات الإسلامية حتى غير الجهادية، وكذلك

حصل مثل ذلك بحجم أقل في الشيشان والبوسنة، كما حصل مثل ذلك في العديد من معسكرات الثورات والجبهات المفتوحة في الفيليبين والقرن الأفريقي وكشمير، وسوى ذلك.

وقد كان التدريب في تلك المعسكرات هو أفضل مجالات التدريب على الإطلاق إذ تتكامل فيه وسائل التدريب العسكرية والتربوية بكامل مناحيها بشكل حر تماماً بدون التعرض للضغوط والتوجهات التي تحصل في معسكرات دول الملاذات الآمنة التي غالباً ما تفرض حكوماتها بعض القيود السياسية والفكرية.

السلبيات:

والصورة النموذجية لهذه الحالة هي معسكرات أفغانستان في الشوطين العربيين الأول أيام الروس والثاني أيام طالبان، وكذلك معسكرات البوسنة إلى حد ما، في حين لم تشكل الشيشان ساحة تدريب واستقطاب للتنظيمات والعناصر الراغبين في ذلك وإنما كانت ساحة قتال وجهاد وعمل مباشر كون كوادر ميدانية راقية المستوى.

وقد كانت إيجابيات هذه التجارب (كبيرة جدا) من حيث النقطة التي نحن بصددها وهي موضوع التدريب والإعداد وخاصة في المستويات العسكرية التي وفرتها، وأما سلبياته فبالإمكان إيجاز أهمها بما يلي:

* ضياع فرصة التربية المنهجية نتيجة كثرة التنظيمات والساحات والتجاذبات والتنافس الذي لم يكن منضبطاً شرعا ولا عقلا في كثير من الأحوال وهذا قد سبقت الإشارة إليه.

* مشكلة التكاليف الباهظة لقدوم المتدربين من أقاصي العالم إلى ساحة التدريب، (تكاليف السفر والإقامة).

* مشكلة الاحتراق الأمن حيث يشكل الحصول على الفيزا من سفارات الدول المجاورة ولاسيما باكستان والعبور والحركة العلنية، والانتشار السهل للجواسيس والعملاء لكافة أشكال أجهزة الاستخبارات، مع حركة علنية بشكل كامل للمتواجدين، والإشكالات الأمنية التي ترتبت على عودتهم وانتشارهم وتعامل العالم بأسره معهم تجاوباً مع حملات مكافحة الإرهاب بصفتهم إرهابيين مفترضين، وتكبد شرائح كثيرة منهم خسائر وأضرار قادحة دون أن تقوم بأي مردود جهادي يبرر ذلك العناء.

التدريب شبه العلني في مناطق الفوضى وعدم السيطرة:

الايجابيات:

قبل قيام النظام العالمي الجديد كانت مناطق الفوضى وعدم السيطرة في العالم كثيرة ولاسيما في نطاق العالم العربي والإسلامي، وخصوصاً في مناطق القبائل شبه المستقلة والمناطق النائية البعيدة عن سيطرة الحكومات الضعيفة في بعض الدول، كمناطق القبائل في اليمن والصومال والقرن الأفريقي وقبائل المناطق

الحدودية في باكستان والحزام الطويل في دول الصحراء الكبرى في أفريقيا والممتدة من السودان وإلى سواحل المحيط الأطلسي وقد أمكن وربما لا يزال ممكناً أن تستفيد العديد من المجموعات الجهادية المحلية وغير المحلية من هذه المناطق وتنشئ المعسكرات شبه العلنية حيث توفرت الأجواء والسلاح والذخيرة بتكاليف قليلة، ولكن أمريكا بعد سبتمبر وضعت على أول أولوياتها السيطرة على هذه الفجوات غير المسيطر عليها، ولكن مع ذلك ما تزال كثير من الفجوات صالحة للإفادة، ولاسيما للمجموعات المحلية أو القريبة من تلك البلاد.

السلبيات:

فلم يرج استخدامها كثيراً في المرحلة الماضية بشكل رئيس وإيجابيات وسلبياتها قريبة من طريقة المعسكرات السرية الصغيرة مع فارق التكاليف المادية العالية للذهاب إليها.

هذه باختصار واستعراض سريع أهم سلبيات وإيجابيات أساليب التدريب في عالم ما قبل سبتمبر والحملات الأمريكية الحالية على العالم الإسلامي.

أما اليوم فيبدو تلقائياً من خلال مسار الحملات إلغاء معظم تلك الأساليب بإلغاء الهوامش التي أتاحتها. فلم يعد ممكناً ولا عملياً في الظروف الحالية إقامة الجبهات المفتوحة، ولا عاد ممكنا الدول أن تفتح الملاذات والمعسكرات للإسلاميين والجهاديين، وتوشك مناطق الفوضى أن تكون تحت السيطرة الأمريكية وتغلق كما في مناطق وقبائل اليمن ومناطق قبائل سرحد شمال غرب أفغانستان، والحزام الصحراوي وسط أفريقيا وغيرها.

وهكذا يبدو واضحاً أن الطريقة الوحيدة التي بقيت ممكنة لنا الآن، في عالم الهجمة الأمريكية والتنسيق الدولي لمكافحة الإرهاب هي أساليب التدريب السري في البيوت والمعسكرات المنتقلة.

والفرص الخاضعة لأساليب السرية بل شديدة السرية في هذه الظروف بالغة الشدة والقسوة.

مراحل حروب العصابات وأسلحة كل مرحلة:

مراحل حروب العصابات	سلاح المرحلة
المرحلة الأولى: وتدعي مرحلة الإنهاك. وهي مرحلة العصابات الصغيرة وحروب الإرهاب المحدود حيث تعتمد العصابات الصغيرة العدد والحجم أسلوب الاغتيالات والإغارات والكمائن الصغيرة وأعمال المتفجرات المنتقاة لإرباك العدو سواءً كان سلطة استعمارية أو حكومة استبدادية وذلك لإيصاله إلى حالة الإنهاك الأمني والإرباك السياسي والإجهاد الاقتصادي.	**أسلحة المرحلة الأولى:** وهي الأسلحة البدائية والأسلحة الفردية مثل المسدسات والرشاشات الخفيفة والمتوسطة كحد أبعد، والقاذفات الخفيفة المضادة للآليات مثل R.P.G. وما يعادلها، والقنابل اليدوية وسلاح المتفجرات الشعبية والعسكرية.
المرحلة الثانية: وتدعي مرحلة التوازن. وتنتقل فيها العصابات إلى مرحلة الهجمات الاستراتيجية الكبيرة وتجبر القوات النظامية على دخول معارك حاسمة قد تؤدي إلى تفكيك بعض قطعاتها والتحاق جزء من كوادرها وضباطها وعناصرها بقوات العصابات، ولكن دون الوصول إلى حال المواجهات المكشوفة إذ تبقى الإغارة والكمين هي الأساس في عمليات العصابات وإن بشكل أوسع، وقد تقوم العصابات في هذه المرحلة بعمليات سيطرة مؤقتة على بعض المناطق لتحقيق أهداف هامة عسكرية أو إعلامية وسياسية ولكنها لا تتمركز.	**أسلحة المرحلة الثانية:** و تدخل فيها الرشاشات المتوسطة والثقيلة التي تحتاج لأكثر من شخص أو التحرك على آليات وبعض المدافع المتوسطة ولاسيما الهاون وكذلك سلاح الألغام المتنوعة، وبعض الصواريخ أرض أرض قصيرة المدى سهلة الحركة بالإضافة لسلاح المتفجرات الذي يتطور استعماله في هذه المرحلة لمرحلة الفرق الهندسية المختصة في الاستخدام الهندسي للمتفجرات والألغام.
المرحلة الثالثة: وتسمى مرحلة الحسم أو التحرير. وفي هذه المرحلة تدخل العصابات عمليات شبه نظامية وأخرى نظامية وتسيطر على بعض المناطق وتنطلق فيها في عملية تحرير لباقي رقعة البلد، وذلك بعد أن تكون قطعات من الجيش النظامي قد التحقت بالثوار أو رجال العصابات وصار لديها القدرة التكتيكية والتسليحية على دخول معارك المواجهة حيث تبقى للعصابات الصغيرة أهمية في العمل خلف الخطوط العدو في إرباك قواته بتكتيكات العصابات..	**المرحلة الثلاثة:** ويدخل فيها باقي أسلحة الجيش بكافة صنوفها الأخرى بعد أن تدخل في عملية الثورة ومواجهة القطعات النظامية العسكرية المتفككة لصالح العصابات.

في ظل إستراتيجية العدو الحالية الطاغية جواً وبراً وبحراً فإن حاجتنا للتدريب تتلخص في عنوانين:

(١) - اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمعسكرات الصغيرة السرية المتنقلة.

(٢) - اقتصار التدريب على أسلحة المرحلة الأولى أساساً وأسلحة المرحلة الثانية في بعض المناطق التي نضطر فيها للمواجهة بعمليات شبه مكشوفة كأفغانستان والعراق وما شابهها.

أساليب تدريب سرايا المقاومة في ظل الحملات الأمريكية:

على عكس ما كانت عليه نظرية التدريب في الأوساط الجهادية والتي قامت على دعوة الأمة للمعسكرات، تقوم نظرية التدريب في دعوتنا للمقاومة على نقل المعسكرات إلى داخل الأمة.

يجب نقل التدريب إلى كل بيت وكل حي وكل قرية في بلاد المسلمين، وذلك بنشر المناهج وتفاصيلها ولاسيما العسكرية، ودروس استخدام الأسلحة وتكتيكات القتال في عملية عسكرة شاملة لشباب الأمة الإسلامية ورجالها، وحتى نسائها وأطفالها.

فالقضية جد منطقية؛ لا يمكن حشد الأمة في معسكرات ولكن بالإمكان زرع المعسكرات في أنحاء الأمة في كل بيوتها وأحيائها.

لقد أصح اعتماد هذا الأسلوب ملحاً جداً في عالم ما بعد سبتمبر، وقد تنبهت لهذا الأمر في الحقيقة قبل ذلك بفترة، وحاولت أن أشيع هذه الملاحظة في أوساط المجاهدين العرب في أفغانستان أيام طالبان بعد استهداف صواريخ الكروز لمعسكرات القاعدة في أفغانستان صيف ١٩٩٨، والدقة التي لاحظتها في الاستهداف، والكثافة في الرماية حيث نزل على الأهداف ٧٥ صاروخ كروز خلال دقائق محدودة استطاعت فيها أمريكا أن تضع صاروخاً في كل غرفة من غرف لمعسكرات، وقد حادثت العديد من إخواننا آنذاك بأن زمن المعسكرات الثابتة بهذه الحادثة قد ولى، وأن علينا اعتماد أسلوب تدريب البيوت و(معسكرات المجاهدين الرُحَل) كما أسميتها، بيوت من الشعر وسيارتين وعدة عناصر ومخيم في الفيافي والقفار يطبق البرنامج ويمشي، ويأتي غيره لمكان آخر وهكذا، ولكن الأوساط العربية كانت تعتمد أسلوب الدعاية والحشد ودعوة الأمة للمعسكرات ولم تتنبه في عمومها إلى عصر الأقمار الصناعية والتصويب بعيد المدى.

وأعود للقول بأني رأيت عملياً ومن خلال عملي كمدرب في أثناء تواجدنا في العراق والأردن إبان الجهاد ضد النظام الطاغي في سوريا، وكذلك في تجربة أفغانستان الأولى والثانية وفي بعض تجارب العمل المحدودة الأخرى.

أن الأساس في تخريج المقاتل هو إرادة القتال والتدريب المعنوي وأما التدريب العسكري فهو أساسي وضروري ولكن يمكن إجراؤه حتى بأبسط الوسائل والظروف

فكرة مختصرة عن برنامج التدريب من خلال البيوت والمعسكرات السرية المتنقلة:

- إخضاع العنصر نفسه ومن معه لبرنامج رياضة بدنية مركز من خلال الانتساب لنادي رياضي في إحدى الرياضيات العنيفة (مصارعة، كاراتيه، جيدو، ملاكمة.. الخ، أو لبرنامج رياضي شخصي يومي يتضمن الجري لمسافات وأوقات طويلة وحركات بدنية رياضية توفر اللياقة العالية.

- دروس في فك وتركيب المسدسات والرشاشات المتوفرة من خلال توفير مذكرات تبين ميزاتها وخصائصها وطريقة التعامل معها والرمي عليها.

- البدء بالرمي على أسلحة الصيد التي تستعمل الهواء المضغوط لصيد العصافير والطيور وهذه البنادق والمسدسات التي تستعمل المقذوفات الرصاصية الصغيرة متوفرة في كل مكان.

- الدراسة النظرية لاستعمال القنابل اليدوية من خلال دراسة المذكرات والتدرب على رمايتها برمي ما يشبهها من الأحجار حجما وزنا.

- الدراسة النظرية لاستخدام المتفجرات وخصائصها وطرق تخزينها والتعامل معها، وتدريب العناصر على مجسمات شبيهه بالمواد الأساسي مجسمات خشبية وحبال ونماذج بلاستيكية، دون استعمال المواد الأساسي واستخدام التمديدات الكهربائية لشرح طرق التوصيل و(اللمبات) والمصابيح الصغيرة بدل الصواعق، وقد جربنا هذه الطريقة عملياً وكانت ناجحة تماماً وكان كورس المتفجرات النظري يتكون من نحو ٤٠ ساعة من الدروس على نماذج خشبية وبلاستيكية حيث يتقن استعمال المتفجرات ولا يبقي إلا التطبيق في مكان مناسب على عبوات صغيرة جداً.

- إتقان استعمال أجهزة الاتصال اللاسلكية ودراسة مذكرة عن أمنيات استخدامها وعدم استعمالها في البيوت الخاصة وإنما في الخلاء ولمدد بث تدريبية لا تتجاوز نصف دقيقة حتى لا يتم رصدها والتحدث بأحاديث شبيه باتصالات الأجهزة الحكومية.

- دراسات نظرية تشمل المواد العسكرية والتكتيكية التالية من خلال المذكرات التي تتوفر اليوم على الإنترنت وسواها وأهم هذه المذكرات هي:

- مذكرات في الأسلحة الخفيفة والمتوسطة.
- مذكرة في علم هندسة المتفجرات.
- مذكرة في علم الطوبوغرافيا العسكرية.

- مذكرة في علم الاتصالات اللاسلكية والشيفرة.

- مذكرة في الأمن والحركة والعمل السري والاختفاء والهروب من المطاردات الأمنية ورصد الأهداف.

- مذكرة في علم الكهرباء والإلكترونيات والعلوم الملحقة المساعدة لعلم هندسة المتفجرات.

- مذكرة في علم تركيب وتصنيع المتفجرات (على أن يشرف على التطبيق متخصص بالكيمياء ويجري التطبيق في أماكن بعيدة عن السكان وبكميات محدودة جداً).

- مذكرات في تكتيكات القتال مثل: - تكتيكات حروب المدن – حروب الجبال – حروب الغابات – حروب العصابات – تكتيكات الجيوش النظامية وطرق مواجهتها ... الخ.

- مذكرات في السلوك التنظيمي والأمني وضبط المواعيد وتسليم واستلام الرسائل سراً.. الخ.

إن هذه الثقافة العسكرية هامة جداً ويمكن توفيرها على أقراص كومبيوتر ونقلها والإستفادة منها وتخريج العناصر على برنامج مكثف وإجراء تطبيقات فعلية كثيرة ومفيدة في البيوت أو في المعسكرات الرياضية والكشفية وسواها حيث تبقى الحاجة فقط إلى تطبق الرماية والتفجير، وهذا يبحث له عن مكان مناسب وتم في ساعات محددة سواءً في المعسكرات المتنقلة السرية أو من خلال ما تيسير، ومن المهم جداً ضبط أمن الحركة في إجراء هذه التدريبات، والله الموفق.

نظرية التمويل لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية

طرق التمويل في التجارب الجهادية للتنظيمات السرية في المراحل الماضية:

- البداية بمساهمة الأعضاء والمناصرين المقربين عند انطلاق العمل.
- الاعتماد على تبرعات المحسنين المحليين في المراحل الأولى.
- الاعتماد على تبرعات المحسنين الخارجين بعد انطلاق العمل وتحول المواجهة للعلن.
- الاعتماد على دعم بعض الأنظمة المجاورة المستفيدة من جهاد تلك التنظيمات لحكومات مناوئة لها في السياسات الإقليمية، حيث استفادت بعض التنظيمات من تلك الهوامش مادياً وفي غير ذلك.
- الاعتماد على الغنائم بشكل جزئي لم يتطور في أي تجربة جهادية للتنظيمات والجماعات الجهادية ليكون مورداً أساسياً.

هذا بشكل عام، وكان خلاصة نظرية التمويل وشعارها في تجارب التنظيمات، هو: (لله يا محسنين.. أعينونا على الجهاد..).

طرق التمويل في تجارب الجهاد في الجبهات المفتوحة:

وذلك في مثل تجارب أفغانستان بشوطيها والجهاد في البوسنة والشيشان وغيرها كالفيليبين وإريتريا وسواها، ونلاحظ بوضوح أن مصادر تمويل الجهاد في حالة الجبهات أيضاً كان:

تبرعات المحسنين من المسلمين لتلك القضايا التي حشدت الأمة أو معظمها في تأييدها.

تأييد بعض الحكومات والجهات الدولية المستفيدة من اتجاه الجهاد في تلك الجبهات.

الغنائم من سلاح وعتاد العدو بشكل ليس أساسي لمصدر تمويل.

إلا أن خلاصة قضية التمويل وشعارها كان أيضاً في تجارب التيار الجهادي لما شارك في تلك القضايا كان كذلك باختصار (لله يا محسنين.. أعينونا على الجهاد..)..

ملاحظات سريعة على قضية التمويل في التجارب الماضية:

أولا: أن مشكلة التمويل ظلت في كافة التجارب الجهادية مشكلة المشاكل ومعضلة المعضلات، وكانت في كثير من الأحيان سبباً من الأسباب الرئيسية في انهيار الجهاد أو استيعابه من جهات غير مخلصة وحرفه عن مساره نتيجة سياسة الاختراق وهو ما يسمى (سياسة الإغراق المالي) حيث تبدأ تلك الجهات بالتمويل المتدرج على الشكل التالي:

أ- تمويل دون قيد أو شرط.

ب- تمويل مع نصائح وتوجيهات غير ملزمة.

ج- تمويل مع اقتراحات ملحقة وتذمر لعدم الأخذ بها.

د- التمويل بشروط الالتزام بإرادة الجهات الممولة بعد تأكدها من أن مصاريف الجهاد والمسؤولين عليه قد وصلت لحال يستحيل فيه على قيادته أن تستمر بدون أموال الممولين الذين يبدؤون بإملاءاتهم عند تحققهم من بلوغ الجهاد تلك المرحلة.

ثانيا: ثبت أنه حتى أفضل الممولين إخلاصاً قل أن يمولوا بدون التدخل والتحكم ومحاولة الإملاءات على قيادات الجهاد تنظيمية كانت أم جبهوية إلا في حالات نادرة جداً.

ثالثا: ثبت أن توسع التنظيمات السرية ودخولها مرحلة المواجهة وتوسع قائمة المصاريف العسكرية والتنظيمية وتبعاتها من أسر الشهداء والمعتقلين، بالإضافة إلى مصاريف الحركة.. الخ تجعل المصاريف هائلة بشكل تعجز أكبر التنظيمات عن حل هذا المشكل.

رابعا:ثبت أن الجبهات المفتوحة قد مرت بحالتين من حيث موضوع تمويلها:

١- جبهات كان سياق أدائها موافقاً لاتجاه السياسات الدولية الرئيسية الكبرى وخاصة اتجاه السياسات الغربية لأمريكا وحلفائها أو لأمريكا على الأقل، وقد انعكس ذلك شلالات من الدعم المادي على تلك الجبهات كما كان حال الجهاد الأفغاني الأول كنموذج للتوافق الدولي على الدعم أو على الأقل الإجازة بوصول أموال المحسنين بكميات هائلة إليه، وكما كان حال الجهاد في البوسنة في مراحله الأولى عند ما كان في صالح أمريكا الضغط على أوروبا وعرقلة مشاريعها النازعة للاستقلال عن القرار الأمريكي، وكذلك المراحل الأولى من الجهاد في الشيشان والذي وافق السياسات الأمريكية في حصار روسيا والضغط عليها.

٢- جبهات كان سياقها معاكساً للإرادة الدولية ولاسيما الأمريكية كما صار حال الجهاد في أفغانستان أيام طالبان وفي البوسنة بعد (دايتون) وفي الشيشان بعد رضوخ روسيا للسياسات الغربية وتواطؤ الغرب والعالم النصراني بكامله بما فيه روسيا على المواجهة العالمية مع الإسلام خاصة منذ أواسط التسعينات من القرن الماضي، وقد انعكس هذا حصاراً وسداً لمنافذ المال على تلك الجبهات والعاملين فيها من قياداتها المحلية أو المتطوعين من المجاهدين المسلمين للعمل فيها.

وكذلك كانت مشكلة التمويل الخارجي بالتبرعات وبالاً على الجبهات في الحالتين ففي حال الفتح وتدفق الأموال كان هذا العامل سبباً للسيطرة على قيادات العمل وأطرافه وإملاءات الممولين من

المحسنين والدول وسيطرتها في النهاية على مجريات تلك القضايا بشكل شبه كامل في الغالب كما كانت سبباً من الأسباب الرئيسية لإجهاض العمل في حالات الإغلاق.

وإذا أردنا أن نذكر بعض الانعكاسات السلبية لمأساة التمويل على التيار الجهادي وتجاربه جماعات وأفراد خلال تلك التجارب نجد من ذلك:

(١) - على عكس ما كان في تاريخ الإسلام منذ عصر الصحابة فما بعده وإلى آخر أيام الخلافة الإسلامية، حيث كان المجاهدون من الطبقات الغنية في الأمة، بل بلغ بعضهم أن يكونوا من أغنى الأغنياء مما حصلوه من حصتهم في الغنائم وما حازوه من السلب والجوائز والحوافز كما كان سيدنا الزبير بن العوام ﷺ أحد أغنياء الصحابة ولم يكن له مورداً إلا ما حصله من الغنائم وقصته مشهورة، وكذلك الكثيرون من الصحابة فمن بعدهم حتى كان قيادات الجند وكبار المحاربين والمجاهدين من الأغنياء والإقطاعيين عندما كانت الغنائم تقسم بالسوية والخلفاء والملوك تعدل في الرعية.

ولكن ظاهرة الجهاد المعاصر جعلت المجاهدين المعاصرين من أفقر طبقات الأمة، وأشدهم إفلاسا وحاجةً وفاقة، وربطت وضع المجاهد بالتسول والحاجة والتبعية لمن يموله ويساعده على أداء هذه الفريضة، رغم أنهم كانوا طليعة الأمة وزبدتها وأرقى شرائحها ديناً وتضحية وفداءً..!!

(٢) - رهنت مصادر التمويل إرادة قيادات التنظيمات أو حتى قيادات الجهات ومسؤوليها لإرادة الممولين، وقد أدى هذا الكشف كثير من الأسرار عنوةً ودخول الممولين ومن رافقتهم من الاستخبارات في المعسكرات والجبهات وجلسات خاصة القيادات، بل بلغ الأمر في تجارب مثل الجهاد الأفغاني الأول أن تفرض المخابرات السعودية على إدارة العرب مع وجود كبار رموزهم منع الحديث في (الحاكمية) وإلقاء دروسها ونشر فكرها في المعسكرات الرئيسية العرب!! وفي البوسنة فرضت المخابرات السعودية على معسكرات العرب منع تدريس (حروب العصابات) ودروس المتفجرات، خشية أن يعود بها المجاهدون لبلادهم، هذا من قبل الممولين المحسنين القادمين بجلباب الإسلامية ولحى الإخوة.

ناهيك عما حصل من بلاء الدول الداعمة، كما حصل للجهاد في سوريا من سيطرة الحكومة العراقية وفرضها للراية العلمانية على الجهاد في النهاية وإلزام الإخوان المسلمين بالتحالف مع أحزاب المرتدين بل مع جزء من النظام النصيري المعادي!! وليس هنا محل ذكر مزيد من الشواهد ولكنه بحث مؤلم مرير كثير الشواهد.

(٣) - بلغ الأمر من المرارة أن تفرض حتى بعض التنظيمات الجهادية الكبيرة المتمولة إرادتها على التنظيمات الصغيرة وتلزمها سياساتها ورغباتها ووجهات نظرها، بل وتفرض عليها النشاط والتوقف بفعل المساعدات

(الأخوية!) التي قدمتها لها (في سبيل الله)! حيث كانت الجهات الممولة ترى مصلحة الإسلام والمسلمين في ما تراه من سياسات وأساليب عمل.

فلما أدرك العدو ما لمسألة تمويل الجهاد من أهمية وأثر، اتخذ من شعار تجفيف المنابع خطة متكاملة للحصار والتجويع وشل المجاهدين عن الحركة، حيث أجبرت أمريكا كل الدول على رفع تقارير عن جهودها في مراقبة حركة الأموال، وتجميد حسابات من تتهمهم بالإرهاب، ووصل الأمر إلى حد سلب أموال مؤسسات خيرية وإلغائها، ونال البلاء المجاهدين وكل قريب منهم باي شكل من الأشكال ولو لمجرد تهمة أمريكا وعملائها لهم بذلك.

وهكذا وباختصار أقول.

لقد حفلت تجاربنا الماضية بمآسي كثيرة مما يجعل من أهم الأمور التي يجب أن نبحث فيها عن تصور لتمويل سرايا الجهاد المقاومة للمقاومة في المرحلة المقبلة هي موضوع مصادر تمويل الجهاد.

وقبل أن ننتقل لوضع تصورنا في ذلك نذكر بعض الأفكار التي تضئ لنا تصورات البحث عن الحلول، والله المستعان.

- لو نظرنا في نظرية التمويل في الإسلام بكافة مراحله منذ أُذن بالجهاد ثم فرض وعلى مختلف مراحل الدولة الإسلامية منذ دولة المدينة في عهده ﷺ وإلى دولة الخلفاء الراشدين فمن بعدهم من دول الإسلام ومراحله ولاسيما في العهد والذهبية الزاهرة، لوجدنا أنها تقوم أساساً على موارد الجهاد من الغنيمة والفيء من الجهاد المباشر، أو على ما ينتج من الموارد عن الجهاد مثل الجزية والخراج والعشور.. الخ حيث لا تشكل الزكاة والصدقات إلا مورداً فرعياً لسد حاجات بعض فقراء المسلمين محليا، أما المصاريف الأساسية للجهاد وحتى للدولة الإسلامية فقد كانت من موارد الجهاد وأنفاله وما أدخله في أملاك المسلمين.

- لو نظرنا في غزوات رسول الله ﷺ وسراياه لوجدنا قسماً كبيراً منها قد رصد لتحصيل الموارد، ويكفي أن درة تلك الغزوات وطليعتها (بدر) بدر الكبرى الموقعة التي أسماها تبارك وتعالى (يوم الفرقان) كانت أساساً لترصد عن قريش ليستعيد المؤمنون عوضاً عما كان قد سلبه الكفار منهم، فقد كان البعد الاقتصادي بعداً هاماً جداً من أبعاد الجهاد، وهي ميزة من الميزات التي خص بها رسول الله ﷺ في خمس أعطيت له لم تعط لنبي من قبله منها أن أحلت له الغنائم وصارت حلالاً وسنة لأتباعه من بعده.

فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: « **بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١)

فرزقه ورزق أمته من بعد في ظل رمحه ﷺ وظل رماحهم من بعده، رغم أنف المهزومين من أصحاب فلسفات الضلال على دروب الوسطية المزعومة، وإذا أدهشهم ذلك فلينظروا لأمريكا التي جعلت اقتصادها وسياستها تحت ظل رمحها بعد أن صار المسلمون غثاءا كغثاء السيل!

وفي الحديث الآخر عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**كَذَبُوا الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢)

وفي الحديث الآخر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا لَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ**»(٣)

والشواهد كثيرة في الحق على الغزو والغنائم.

وقد انطلق صحابة رسول الله ﷺ بهذه المعاني، فلما فتحوا البلاد ورأوا الأراضي وخصوبتها في الشام والعراق في عهد عمر، هموا في الزراعة، وزرعوا سهول فلسطين، فلما علم عمر بخبرهم أرسل من حرق لهم المحصول وأرسل لهم يعلمهم أنهم بعثوا جنوداً ومجاهدين ولم يبعثوا زراعاً.

وهكذا فاض المال وتدفق على المجاهدين والأمة من بعدهم خيراً ومددا وكان أساس ذلك الجهاد وما دره من أموال غنائم وفيء مباشر، وأموال جزية وخراج أراضي.. الخ، وهكذا كانت دورة الموارد والمصارف عبارة عن حلقات يصب بها الخير من موارد الجهاد من مصادر شيء.

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه النسائي في سننه (٣٥٦١) وصححه الألباني (الصحيحة -١٩٣٥)، وروى نحوه أحمد (١٦٩٦٥) وحسنه الأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (صحيح الجامع ٦٧٥).

ليملأ بيت المال وليصدر عنه بعد ذلك نحو المصارف من جديد، لتكتمل الدورة المالية للاقتصاد الإسلامي، أما لو نظرنا في دورة الموارد والمصارف في قضايا الجهاد اليوم وتنظيماته وجماعه لوجدناها ببساطة على عكس نظرية التمويل التاريخية.

فخزانة تمويل التنظيمات المرهقة بالمصارف يجب أن تغطي مصاريف القتال، والتدريب، وأسر الشهداء والمعتقلين، وحركة المجاهدين، والإعلام، إلخ وهذا محال، ولذلك وقع الخلل وصرنا للحال الذي أشرت لبعض مآسيه، ولذلك فإن:

طريقة التمويل في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

(١) - مساهمات الأعضاء المجاهدين حال القدرة لتأسيس السرية.

(٢) - المساعدات غير المشروطة من قبل المجاهدين بأموالهم من الموثوقين المعروفين لإدارة السرية المجاهدة.

(٣) - الغنائم والفيء من أموال الكفار والمرتدين بحيث يأخذ المجاهدون نصيبهم ويضعون ما عليهم من نسبة بيت المال في بيت مال السرية بحسب ما يتفق عليه بالشكل الذي نفصله فيما يلي.

الأموال التي يحل غنيمتها اليوم للمجاهدين في سبيل الله:

ذكرنا بعض التفصيل في فقرة أحكام شرعية جهادية في الباب الثالث الذي تكلم عن التربية المتكاملة للمجاهد ولذلك نشير هنا إلى ذلك إشارة دون تفصيل ونقول:

ترتكز هذه الأحكام على الحقيقة الشرعية القائمة في بلاد المسلمين والتي تمت الإشارة إليها في الفصل الثاني (الحكم الشرعي في واقع المسلمين) وهي أن الحكومات القائمة في بلاد العرب والمسلمين اليوم حكومات غير شرعية وساقطة، لردة الحكام بسبب ولائهم للكافرين وبسبب حكمهم بغير ما أنزل الله وتشريعهم من الله ولأسباب فرعية أخرى مما يزيد هذه الحقيقة تأكيداً، وعليه فإنه يتقرر:

أ – حل أموال الحكومات المرتدة وأملاكها العامة، وأملاك كبار مجرميها الحاكمين.

ب - حل أموال كافة الكفار الأجانب في بلاد المسلمين لسقوط أمانهم بسقوط شرعية الحكومات القائمة التي ليس لها حق إعطاء الأمان والذمة وإبرام العهود والمعاهدات مع الكفار.

ج – حل أموال كافة غير المسلمين المقيمين في بلاد المسلمين لنفس السبب السابق.

ج - حل أموال المرتدين من المجاهرين بتعاونهم مع قوات الاحتلال ونصرتهم على المسلمين.

د - حل أموال الكفار في البلاد المحاربة للمسلمين لقيام حالة الحرب بيننا وبينهم، وعدم وجود معاهدات بينهم وبين كيانات وإمارات إسلامية شرعية تلزم رعاياها من المسلمين بعهود بينها وبين أولئك الكافرين.

هذا بشكل عام، ويعاد لمزيد من التفصيلات الشرعية في الفصل الخاص بذلك مما سبق، ولتفصيلات المصالح السياسية في تجنب ضرب بعض الأهداف لمصالح سياسية، وأذكر بالتنبيهات الهامة التالية:

١- الحرمة القطعية لأموال المسلمين ودمائهم حيث كانوا في بلاد المسلمين أو في بلاد الكافرين مهما تلبسوا به من الفسوق والمعاصي والنقائص، حتى ولو طرأ الشك على أصل إيمانهم فالشك لا يذهب اليقين، واليقين هنا هو شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فيجب الحذر من الوقوع في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فهي حرام ومقدسة.

٢- من كان بينه وبين أحد من الكفار عقد أو عهد يقتضي الأمان فلا يحل له أن ينقض عهده أو يخفر ذمته وأمانه سواءً كان في بلاد المسلمين أو بلاد الكافرين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[المائدة:١]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء].

٣- أمان أمراء الجهاد وأمراء المسلمين إذ وجدوا في دائرة سلطانهم يجب احترامه وكذلك يجب على أتباعهم الوفاء بما أعطا أمراؤهم من الذمة والأمان للكفار.

٤- أُذكر هنا بالحكم الشرعي لتلك الأموال والدماء للكافرين والمرتدين من حيث حلها بشروطها، وأما تطبيق هذه الأحكام وممارسة أعمال الغنيمة منهم، فيجب أن يخضع بعد ذلك لدراسة المصالح والمفاسد السياسية بالهجوم على هدف بعينه في مكان بعينه في وقت بعينه فإن تحقق ترتب مفسدة ظاهرة على ذلك للإسلام والمسلمين حرم ذلك ليس لأصل الحرمة وإنما للفساد المترتب على ذلك، وعلى من يجهل تقدير هذه الأمور أن لا يتخوض بغير علم بل يسأل من يثق به من أهل الذكر وهم العارفون بأمور الأحكام الشرعية والسياسة الشرعية من الثقاة في دينهم وفهمهم جهادهم.

مصادر غنائم وفيء سرايا المقاومة وطريقة قسمها بين المجاهدين:

ونعود لسياق البحث لنقول بأن مصدر التمويل الأساسي لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية يجب أن يكون بعد انطلاق العمل بمال المجاهدين الخاص، أو ما يصلهم من تبرعات غير مشروطة من محسنين أوفياء، هو من الغنيمة والفيء من أموال:

١- أموال الكفار المحاربين في بلادهم أو في بلادنا .

٢- أموال الحكومات المرتدة المتعاونة مع الإحتلال مع الانتباه لحفظ دماء المسلمين العاملين في تلك المصالح المختلفة.

٢- أعيان من ثبتت ردتهم بولائهم للكفار ومظاهرتهم على المسلمين فأموالهم حلال كدمائهم لردتهم.

توزيع أموال الغنائم والفيء في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

سألت شيخنا عبد القادر عن ذلك أيام الجهاد الأفغاني وكيف تقسم الغنيمة بين سرية من المجاهدين غنموها فقال التالي:

أ- القاعدة الأساسية: في قسمة الغنائم هو ما قرره القرآن ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]: وهو ٢٠% من المال المغنوم يوضع في بيت مال المسلمين، و(٨٠%) من المال المغنوم يقسم على المجموعة المجاهدة التي غنمته.

ب- الاتفاق بين أعضاء السرية المجاهدة هذه قبل الغنيمة على طريقة قسمها وما اتفقوا عليه أنفذوه بالعدل على أن لا يقل القسم المصروف في مصالح الجهاد والمسلمين عن الخمس وهو ٢٠% وإن رأوا زيادة ذلك بالرضا قبل العمل زادوه بالاتفاق لحاجة تنظيمهم أو سريتهم لمصاريف الجهاد.

ج - إذا كانت السرية تعمل بقوة تنظيم أو مجموعة سرايا أخرى توفر الخدمات العامة من الذخيرة والسلاح والاستطلاع والدعاية واللوازم الأخرى، يسهم لكافة أعضاء التنظيم بنصيب يتفق عليه بحسب التراضي بين قيادة ذلك التنظيم وقواعده.

وعليه فإن الطريقة المقررة لدينا في قسمة ما تحصله السرايا المقاومة من غنائم من العدو هو على الشكل التالي:

١- تقوم السرية بتخصيص بيت مال خاص بها تضع فيه مساهمات أعضائها أو ما تحصله من دعم غير مشروط لأعمالها الجهادية من معارفها المقربين الموثوقين كما تضع فيه نسبة الخمس على الأقل من أي غنيمة تغنمها أي ٢٠% من الغنيمة أو قيمتها المالية.

٢- يتفق أعضاء السرية على الأسس المالية فيما بينهم إذا أرادوا رفع حصة بيت مالهم للمساهمة في زيادة قدرتهم التسليحية مثلاً أو الإنفاق في وجوه الجهاد أو معاونة سرايا أخرى أو معاونة أسر بعض من يعرفون من الذين فقدوا عائلهم في الجهاد في سبيل الله أو ما رأوا من مصارف المسلمين.

٣- يتفق أعضاء السرية على الأسس التي يقسمون بها حصة لباقي أعضاء السرية الذين لم يشاركوا في عمليه من عمليات الغنائم مباشرة، باعتبارهم داعمين للسرية وبهذا يتكاملون فيما بينهم فمثلاً:

يمكن أن يتفقوا على ثلاثة أسهم لكل رجل من المنفذين وسهم لكل عضو من السرية لم يحضر التنفيذ بعد إخراج الخمس أو ما اتفقوا عليه فيما بينهم وما اتفقوا عليه لزمهم إنقاذه بالعدل والإحسان، والله الموفق.

نظرية الإعلام والتحريض في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾[النساء].

والتحريض مهمة الخلفاء والأمراء والعلماء والدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف من كل شرائح وطبقات الأمة، هذا إذا كان طلباً للعدو في ديارهم وإعلاءً لكلمة الله ونشراً لدينه وراياته وتحكيماً لشريعته في الأرض، وإما إذا صار الجهاد دفعاً عن الدين والنفس والعرض والأرض والمقدسات كما هو شأنه اليوم، وكما كان في أزمنة النوازل الكبرى، فهو من أهم الفرائض على كل مسلم عامة، وعلى أهل العلم والدعاة إلى الله، بل حتى الذين عذرهم الله عن القتال لعجزهم عنه لمرضهم وعللهم المانعة لهم من الجهاد، اشترط عليهم قبول عذرهم بأن يحركوا ألسنتهم بالدعوة إلى الله والتحريض على نصرة دينه فقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾ [التوبة]

مجالات ومقومات التحريض الإعلامية الأربعة:

١- جهة الخطاب: وهي الجهة التي اتجه إليها خطاب المحرض من المسلمين.

٢- فحوى الخطاب: وهي الرسالة الإعلامية التحريضية والدعوة التي وجهها الداعي للجهاد.

٣- أسلوب الخطاب: وهو لهجة وبناؤه وطريقة تقديمه لدعوته.

٤- طريقة إيصال الخطاب: وهي الوسائل التي اتبعها الداعي للجهاد لإيصال رسالته للناس لدعوتهم للجهاد.

فإذا ما جئنا لنعقد مقارنه كي نستخلص طريقتنا ونظرية عملنا في الإعلام والتحريض من خلال التجارب السالفة ومعطيات الواقع وتغيراته سلباً وإيجاباً نجد ذلك كما يلي:

أولاً: طريقة التحريض في التجارب التاريخية القديمة:

- **جهة الخطاب:** عموم الأمة بكافة شرائحها وطبقاتها، حكامها ومحكوميها، فقرائها وأغنيائها، أقويائها وضعفائها، من كل جنس ولون وعنصر من عناصر هذه الأمة المحمدية.

- **فحوى الخطاب:** تحريض الأمة على جهاد الطلب أيام العز والسؤدد، بتذكيرهم بالأجر والثواب عند الله لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وإذا كان دفعاً كما في أيام النوازل وغارات العدو، كان الخطاب ينصب على إثارة بواعث الغيرة والحميه للدين والعرض والأرض، والدفع عن أنفس المسلمين وأموالهم، والتذكير بالوعيد المترتب على ترك الجهاد من العقاب عند الله، من الذلة والصغار وتحكم الأعداء وقتل الأنفس وانتهاك الأعراض وسبي الذرية وخراب الديار.

- **أسلوب الخطاب:** كان يعتمد على إثارة مكامن الغيرة لدين الله ويستنفر مكامن الطمع في جنة الله وعفو ورضوانه ومكامن النخوة والرجولة في نفوس الأمة وكان يعتمد على كل آفاق الوعد والوعيد وكان وسيلته الشعر والنثر والخطابة.

- **طريقة إيصال الخطاب**: المساجد، حيث كانت محل دروس العلماء وخطابات الخطباء، ومنها تصدر الأخبار والمناشير والفرمانات عن السلاطين والخلفاء والأمراء، وكذلك منها تخرج الفتاوى بالجهاد بحسبها كفاية أو عنياً بحسب الأحوال.

وكان للأدباء والشعراء والخطباء دور كبير ومكانة مرموقة في مجتمعات المسلمين، وكانوا ولاسيما في النوازل الكبرى يهيجون الأمة على الدفع والبذل والعطاء حيث كانت تنتشر تلك الخطب والأشعار والفتاوى لتسير بها الركبان وتبلغ المشارق والمغارب.

ثانياً: التحريض والإعلام في تجارب التيار الجهادي وتنظيماته السرية المعاصرة:

جهة الخطاب: كان موجهاً إلى النخبة من شباب الصحوة الإسلامية بالدرجة الأولى وربما بشكل شبه حصري.

فحوى الخطاب: ركز على الحاكمية بالدرجة الأولى، وأخذت فكرة كفر الحاكم ومفاصلته وطائفته، وقضية الخروج والثورة عليه، والأدلة الفقهية على ذلك القسم الأعظم من فحوى الخطاب ورسالة الجهاديين الإعلامية.

ومنذ الجهاد الأفغاني الأول أضيف إلى موضوع الحاكمية الموضوع العقدي وفق الأسس السلفية وأطروحاتها العقدية، التي طبعتها اللهجة النخبوية والصيغة العلمية المعقدة، وهكذا يمكن القول بأن الفحوى، فحوى رسالة الإعلام والتحريض لدى الجهاديين كان أحادي الطرح (عقائد – حاكمية) وذا طابع معقد ونخبوي، ولم يكن ذا بعد شعبي يمكن القول بأنه موجه لجماهير جماهير المسلمين عامة، وقد غاب بشكل شبه كامل أبعاد مفاتيح الطرح الأخرى كالجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وأبعاد معاناة المسلمين اليومية، لقد كان خطاباً أحادياً منغلقاً على نفسه.

أسلوب الخطاب: تميز خطاب الجهاديين الإعلامي التحريضي إجمالاً بالنخبوية والفوقية، بل وبكثير من الشدة والجفاف وغلبة الوعيد وغياب آفاق العاطفة والرقائق واستمالة الجماهير من مفاتيحها النفسية.

طريقة إيصال الخطاب: أسلوب المنشور والنشرة السرية، وفي أحيان قليلة جداً الكاسيت الصوتي وقد تميز المجهود في إيصال المنشور بأنه قليل جداً قياساً إلى حجم الأداء العسكري وطول المدة التي عمل بها.

ففي مرحلة العمل السري وقبل المواجهة لم يكن هناك مجهود لإيصال أي خطاب للجماهير بما يتناسب مع حالة السرية! ومع اشتعال المواجهة أدت الأوضاع الأمنية إلى صعوبة وصول ذلك الخطاب! وبعد خروج التنظيمات إلى المهجر، صار الخطاب بعيداً، ولم يصل إلى الوطن الأم المعني بالثورة! بل صارت نشرات الجهاديين عبارة عن نشرات مهاجرة تمثل خطاباً ذاتياً يكتبها ثلة من الإعلاميين ويوزعونها في أوساط الجهاديين أنفسهم ليعيدوا قراءة ذات أفكارهم التي آمنوا بها ولم يستطيعوا إيصالها عملياً للناس!!

وبالإجمال يمكن القول أن البعد الإعلامي والتحريضي لجماعات التيار الجهادي كان أحد أبرز أوجه الفشل في الأداء، ولم يسجل أي نجاح، اللهم إلا بعد انفراط عقد الجمع العربي في الجهاد الأفغاني وانتشار الجهاديين في المهاجر والملاذات، حيث حصل نوع من انتشار الفكر والأدبيات الجهادية في أوساط الصحوة

ذاتها واتسعت آفاق المد الجهادي داخل الصحوة ولكن الخطاب بقي بعيداً عن مختلف شرائح الأمة كماً وكيفاً ونوعاً.

ثالثاً: التحريض والإعلام في التجارب الجهادية في الجبهات المفتوحة:

مثل الجهاد الأفغاني وفي البوسنة، وفي الشيشان ثم أخيراً الجهاد العربي إلى جانب طالبان.

- **جهة الخطاب:** توجه إلى عموم الأمة بكل شرائحها كما هو الأصل.

- **فحوى الخطاب:** ركز الخطاب على مسألة بسيطة مفهومة (شعبياً) وحقيقة دينية راسخة من عقائد عموم المسلمين وهي دفع الصائل الغازي الأجنبي العادي على المسلمين وأن الجهاد معهم ونصرتهم بالنفس والمال فرض عين على المسلمين.

- **أسلوب الخطاب:** كان عاطفياً سلساً، تحريضاً جمع الوعد إلى الوعيد، الوعد بالثواب والأجر على الجهاد وعلى ما أعد الله للمجاهدين والمرابطين والشهداء.

- **طريقة إيصال الخطاب:** المجلات والنشرات والكاسيت والفيديو، الانترنت

لقد كان النجاح الإعلامي في جهاد الجبهات عظيماً

ومن خلال دراسة هذه التجارب والدروس نخرج بالخلاصة والعبر التي تساعدنا بإذن الله وتوفيقه على وضع أسس نظرية الإعلام والتحريض لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية، ودعوتها الجامعة المتكاملة بإذن الله، وأهم هذه الدروس والعبر المستفادة من تجاربنا السالفة في هذا المجال الحيوي الهام:

(١) - فالدرس الأول هو الإتجاه للأمة، كل الأمة، بدعوة المقاومة، وليس فقط لخاصتها من أهل الصحوة أو أهل التدين، فالجهاد فريضة على الجميع وعلينا أن نحرض الجميع ونقاتل معهم برهم وفاجرهم، قويهم وضعيفهم، ولاسيما وأن دعوة المقاومة هي دعوة دفع صائل عامة براية الإسلام العامة.

(٢) - أن أنجح شعارات الحشد والجمع على الجهاد كانت شعارات الجهاد ضد الصائل الخارجي، وهو حالنا اليوم، وهو هدف دعوة المقاومة.

(٣) - أن أمة الإسلام اليوم تتعرض لهجوم الصائل عليها في كافة مناحي وجودها، لذلك فإن مفتاح الجهاد وبرنامج التحريض وشعاراته يجب أن يكون شاملاً لكل ذلك

أبعاد الرسالة الإعلامية لدعوة المقاومة إسلامية العالمية:

أولا: البعد الديني: الدفاع عن (العقائد – المقدسات – أركان الدين وأسسه).

ثانيا: البعد الاقتصادي: الدفاع عن (الثروات – الأرض – مقومات الوجود).

ثالثا: البعد السياسي: الدفاع عن (الكيان الحضاري مقومات الوجود).

رابعا: البعد العاطفي: الدفاع عن الكرامة والأعراض والقيم والمثل والأعراف والتقاليد العالية الموروثة، كالغيرة والرجولة، وحماية العرض والشرف.

(٤) – استعمال الأسلوب الشعبي العاطفي السهل، كان أساس دعوة عوام الأمة وليس المطولات الفقهية والمسائل العقدية وتفاصيلها.

(٥) - اعتماد الطرق المتنوعة في أسلوب إيصال الخطاب لأن يكون شعبيا، وفي هذا الزمان فإن المحوران الرئيسيان في التماس مع الجمهور هما، الإنترنت والفضائيات، هذه الأساليب الشعبية التي تطال النخبة وعامة الناس، قامت بها فعلاً حجة الله على من يريد البلاغ من خلقه، وصار الأمر لا يحتاج بعد توفيق الله أكثر من العزيمة والصدق والنية والإخلاص في الصدع بالحق والقيام بواجهة وشيء من الحركية وسعة الأفق.

(٦) - المساجد، بُعد إعلامي تحريضي غائب يجب إعادته، هذا المفتاح العظيم الذي أعطاه الله لورثة الأنبياء، فأضاعه أكثر علماء ودعاة هذه الأمة رهباً ورغباً للسلاطين.

(٧) - الابتكار والتنوع في الأساليب والمضامين والتجديد والحضور في الأمة وخطابها بمستجدات القضايا ومتابعة الرسالة الإعلامية معها، وعليه فإن:

خلاصة نظرية الإعلام والتحريض لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

أولا: جهة الخطاب: خطاب المقاومة متجه للأمة، كل الأمة بكل شرائحها، عالمها وجاهلها، عربها وعجميها، عاملها وقاعدها، ذكرها وأنثاها، فقيرها وغنيها، الكل مقصود بدعوة المقاومة كما قال تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] كل المؤمنين أي كل المسلمين.

ثانيا: فحوى الخطاب: هو دفع الصائل وأنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة وتفاصيل الفحوى بحسب كل شريحة، فهناك الخطاب العام الموجه للعموم، وهناك الخطابات الخاصة لكل فئة بما يناسبها.

ثالثا: أسلوب الخطاب: خطاب الناس على قدر عقولهم، على قدر أفهامهم وعلمهم وثقافتهم ولغتهم، فالخطاب العام الموجة لعموم الأمة، أسلوبه التأليف والرحمة وجمع المفرق ونفي أسباب الفتن والتفرق، من أجل الاجتماع على دفع الصائل، وأما الخطاب الخاص فأسلوبه ما يناسب حال أهله من الثقافة والجنس واللغة والحال الخاص بهم.

رابعا: وسائل إيصال الخطاب: الوسائل الشعبية والعصرية وعلى رأسها: الفضائيات وشبكات الاتصال والكومبيوتر، وإيصال رسالتنا بالوسائل المقروءة والمسموعة، والمصورة لإيصال رسالة المقاومة إلى كافة طبقات وشرائح الأمة.

ونأتي لشيء من الشرح والتفصيل لإيضاح ما أوجزنا في أسس نظريتنا في الإعلام والتحريض:

- **جهة الخطاب العامة** والجهات الخاصة وفحوى خطابها وأسلوبه ووسيلته:

جهة الخطاب العامة هي الأمة والشرائح العريضة منها وخطابها يكون بصفة الإسلام فقط بصرف النظر عن الجنس، أو المستوى العلمي الشرعي، أو الوعي الثقافي.

أمَّا جهات الخطاب الخاصة، فهو بسبب تميز شريحة بعامل رئيسي يجمعها، كـ:

* **الجنس والقوم**: حيث يؤخذ بعين الاعتبار فهم حالهم وتاريخهم وواقعهم وخطابهم بلغتهم وتذكيرهم بمآثرهم، والعزف على وتر تفاعلاتهم العاطفية مع الإسلام وقضية دفع الصائل من خلال خصوصيتهم.

* **مستوى العلم الشرعي**: فخطاب العلماء غير خطاب الجهلاء، وخطاب الدعاة غير خطاب قواعد الدعوة، فهنا يبرز دور الدليل الشرعي وتفاصيله، وحتى داخل هذه الشريحة، هناك مستويات وأنواع فخطاب العلماء يختلف عن خطاب الدعاة الحركيين.

* **المستوى الثقافي**: خطاب المثقف غير خطاب العامي والجاهل والأمي، ولكل مفتاحه ومداخله، فالمثقفون يخاطبون بالمنطق والإحصائيات والأرقام والدلائل السياسية والواقعية، وهم أيضاً أنواع وشرائح ومستويات يخاطب كل بحسبها، والعامة تخاطب بالعاطفة وبواعث الحمية.

* **الانتماء الفكري والسياسي**: حيث يختلف خطاب المسلم الملتزم أو ابن الصحوة، عن خطاب صاحب الهوية الفكرية السياسية الأخرى من العلمانيين أو الوطنيين أو القوميين، ولكل مداخله التي يجب البحث عن القواسم المشتركة بين المخاطب وبين دعوة المقاومة بجمع الشرفاء على راية المقاومة وفروعها، وتألف الآخرين من دون الإخلال بثوابت الدين والهوية، والحكمة أساس ذلك ومن يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً.

وهكذا.. فخطاب أهل السنة يختلف عن خطاب الفرق العقدية من أهل القبلة، وحتى داخل أهل السنة يأخذ بين الاعتبار المدرسة العقدية والمذهب الفقهي لكل فريق وقوم، وهكذا تتعدد التصنيفات، فخطاب الرجال غير خطاب النساء، وخطاب الشباب غير خطاب الكهول والمسنين، وخطاب العمال يختلف عن خطاب التجار والزراع، وهكذا إذا دخلنا مجالات الخطاب الخاص يجب أن نأخذ بعين الاعتبار فهم المخاطب وثقافته ومستواه وقناعته وخصائصه وواقعه ومشاكله كل ذلك بحثاً عن مكان الإقناع لديه لجره إلى الخط العامل، وتأليف الكل على دعوة المقاومة وفرضيتها العينية مستند به إلى الأصل الجامع في عقيدتنا عقيدة أهل السنة بأن قتال الدفع لا يشترط له شرط ولا راية وأنه مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم.

وهكذا فإن تحديد جهة الخطاب بدقة يحدد باقي معطيات الإعلام والتحريض، فتحديد جهة الخطاب يحدد فحوى الخطاب، وأسلوبه ووسيلته، وهي النقطة المفصلية في إصابة الخيارات أو خطئها في باقي مقومات عملية التحريض والإعلام.

سرايا التحريض والإعلام والدعوة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

مهمة الإعلام والتحريض في الأمة عامة وخاصة، فأما العامة فهي الدعوة العامة لمحاربة محاور الحملات الغازية بكل مناحيها لأن الحملات اليوم شاملة كاملة، لها برنامج في كل مقوم من مقومات حضارتنا وحضارتهم، فهم يستهدفون كل شيء يريدون هدمه وإحلال نقيضه من مقومات حضارتهم، وعليه فإنَّ مهمة المواجهة الحضارية تقع على عاتق كامل مكونات الأمة.

فهناك دور للعلماء وللشعراء والكتاب والأدباء، وللمثقفين وللسياسيين وللاقتصاديين وللأكاديميين، وهناك دور للطلاب والعمال والرجال والنساء في بيوتهم وتربية أطفالهم، وهكذا.. لإحياء جذور المقاومة وخلق أجواء المقاومة ومناخ الثورة على الغازي وأعوانه والتحريض على دفعهم، فهذا مجال عام يجب أن نحرض أوساطه على أن يكون لكل منها دوره، للحفاظ على هوية الأمة ومكوناتها وأسس نهضتها وحضارتها وكينونتها بكل مقوماتها الدينية والقومية والوطنية وغير ذلك.

أما مجال التحريض الخاص، فهو التحريض على المقاومة المسلحة، وهو من مهام أعضاء دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ومؤيديها، وخلاصته التحريض على الانخراط في مهمة القتال وتكون السرايا الضاربة المنفصلة، سرايا المقاومة الإسلامية العالمية، السرايا الجهادية المسلحة، وهذه مهمة يجب أن تقوم بها خلايا تنذر نفسها لهذه المهمة.

إن مهمة القتال هي مهمة كل مسلم وفرض عين على كل مسلم وعلى كل مسلم، أن يحدد وسعه ويبذل جهده بقدره لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وعليه أن يرفع من مستوى ذلك الوسع بإعداد نفسه والتعاون مع من يثق من إخوانه المسلمين.

وأما مهمة التحريض فهي مهمة كل بحسبه، وهي فرض على كل امرئ حتى من عذر الله عن الجهاد من أصحاب الأعذار الذين عذرهم الله تعالى عن القتال فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]

فقد عذرهم بشرط: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وسمى ذلك منهم إحساناً فقال تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ ولكن مهمة التحريض المتخصصة تقع على عاتق المؤهلين لذلك، ومهمتهم أن يشكلوا خلايا للدعوة للجهاد والتحريض عليه، ويسهلوا سبل ذلك للناس بإمدادهم بالمعلومات والتوجيه والبرامج، وهذه الخلايا هي ما ندعوه سرايا التحريض على أن يدرك القائمون على هذه السرايا أن القيام بمهمة التحريض لا يسقط عنهم فريضة القتال، إلا أن يكونوا حالات خاصة من أهل العلم المتفرغين للدعوة والجهاد بالعلم والفكر والنية كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة]

ومن المهام الرئيسية لسرايا التحريض في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ما يلي:

(١) - نشر كتب ورسائل دعوة المقاومة الإسلامية العالمية بكل وسيلة ونشر ممكنة، لإيصالها لأوسع دائرة ممكنة من شرائح الأمة المسلمة ومكوناتها.

(٢) - نشر كل ما من شأنه مساعدة الأمة على الجهاد من مناهج التدريب والإعداد العسكري والدورات العسكرية وطرق المقاومة الشعبية، وسنحاول أن نيسر من ذلك ملاحق لسلسلة كتب ورسائل دعوة المقاومة بإذن الله.

(٣) - ترجمة هذه الرسائل والكتب والمناهج إلى اللغات الإسلامية الحية الرئيسية كاللغة التركية والأردية والإندونيسية والماليزية، غيرها من لغات المسلمين الكثيرة، وهذه مهمة من يتقن اللغة العربية من أبناء تلك الجنسيات والقوميات ونقل هذه المؤلفات والرسائل إلى اللغات الحية الرئيسية المتداولة من قبل المسلمين مثل اللغة الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والألمانية، وهذه مهمة من يتقن هذه اللغات واللغة العربية بشكل مجيد يمكنه من الترجمة الأمنية، ولاسيما التدقيق على ترجمات النصوص الدينية والفتاوى، فهو مستوى يتطلب العلم باللغتين، بالإضافة لمستوى عال من فهم النصوص الشرعية ولغة الخطاب الديني.

(٤) - نشر كل فكر من شأنه إذكاد روح المقاومة ومن ذلك:

- فتاوى العلماء الأقدمين والمعاصرين في جهاد الأعداء ومن أعانهم بكل وسيلة.

- فتاوى العلماء وكتابات المفكرين الإسلاميين الذين ينادون بمفاصلة الكافرين ومقاطعتهم ومقاطعة من تعاون معهم في كل مجال.

- الشعر والأدبيات والأناشيد والكتابات الفكرية وكل نشاط أدبي أو فكري أو ثقافي أو فني ينشر روح المقاومة.

ويجب الانتباه لأمرين مهمين جداً جداً، وهما:

١ - عدم إصدار أي بيان أو كتاب أو فتوى أو مؤلف بالاسم المحدد (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية) حتى لا يلحق بها جهلاً أو عمداً ما يتناقض مع منهجها الذي حددناه ونشرناه تحت اسم سلسلة المقاومة الإسلامية العالمية.

وإنما نشر ما يرونه داعما للمقاومة باسم أصحابه أو باسم عام حقيقي أو حركي بحسب ما يختار أصحابه له، وهذا أمر مهم جداً.

أما السرايا التي تنفذ العمليات فلا تزيد في بيانها على تبني العملية باسم سرايا المقاومة واسم السرية الخاص، بدون أي رسالة إعلامية فكرية أو سياسية أو شرعية.

٢ - الالتزام في نشر تلك الأدبيات والنشاطات والفتاوى وإن كان باسم أصحابها بمبادئ دعوة المقاومة الإسلامية العالمية وأسسها العقدية المبنية في دستور المقاومة ونظريتها المنهجية.

والمشروحة في أسس نظريتها السياسية وإستراتيجيتها العامة المبينة في نظريتها السياسية وأسسها الأخرى المبينة في باقي أدبياتنا الخاصة، كل هذا تمشياً مع الوضع السري الذي يفرضه علينا الواقع الأمني والحركي للحملات الطاغية الآن.

وعندما تنجلي هذه الأزمة سنعمل على ذلك من خلال هيئة شرعية إعلامية سياسية معلنة بمكوناتها وأسماء كتابها وإدارتها إن شاء الله تعالى.

وأما ونحن في مرحلة الجهاد السري والمقاومة السرية قتالاً وتحريضاً فيجب الالتزام بهذه الضوابط حتى لا تنحرف الدعوة بقصد المفسدين العامدين المدسوسين، أو بجهل المندفعين الذين يقع بعضهم بجهله بأعظم من فجور الفاجر كما جاء في الأثر: (إن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر).

وأؤكد هنا على براءة من ينتسب لهذه الدعوة وبراءتي شخصيا من كل ما يتنافى مع أسس الدعوة ومبادئها والتي بيناها بوضوح، وبينا أدلتها من الكتاب والسنة ومقتضى المصالح والمفاسد بناءا على دروس تجارب الجهاد السابقة ومسار الصحوة الإسلامية وعناءاتها.

الفصل الخامس

وصايا.. وردود.. ومبشرات

وصايا.. وردود.. ومبشرات

أولا: وصايا ومحاذير:

١- حذار من ترك مراقبة النية والإخلاص والمحاسبة على الدوام.

٢- حذار من إهمال زرع العقيدة الجهادية بتفاصيلها في قلوب المجاهدين وعقولهم.

٣- حذار من إهمال التربية المتكاملة وخاصة العبادية الشرعية والأخلاقية السلوكية.

٤- حذار من تكفير المسلمين بالباطل، وحذار من الجري وراء تكفير المعيّنين.

٥- حذار من الخلط بين مجالات جهاد السلاح والسنان ومجالات جهاد الحجة والبيان.

٦- حذار من مواجهة علماء السلطان وضلاّل قيادات الصحوة بغير الحجة والبينة.

٧- حذار من عدم الاحتياط الشديد في دماء المسلمين أثناء قتال الكافرين والمرتدين.

٨- حذار من إهمال أحكام الجهاد، وآدابه وأخلاقيات الإسلام مع العدو والصديق.

٩- حذار من كل ما يجعل المقاومة والمجاهدين يخسرون الرأي العام للمسلمين.

١٠- حذار من استهداف المحايدين في هذه المواجهة ولو كانوا كفارا.

١١- حذار من تحويل سرايا دعوة المقاومة إلى تنظيمات مركزية هرمية.

١٢- حذار من إصدار بيانات منهجية أو إعلامية من قبل أي سرية من سرايا المقاومة باسم دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، فهذا لمكتب الإرشاد المركزي فقط.

١٣- حذار من الإنتماء إلى مؤسسات الإحتلال أو الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله، باسم مصلحة الدعوة ومقاومة الإحتلال أو الطواغيت.

١٤- حذار من الجهاد المكشوف المتمركز في جهات مفتوحة، أو مجالات محددة، إلا اضطرارا، ما لم تسقط قوة أمريكا العسكرية وتنتهي هيمنتها، وخاصة الجوية.

١٥- حذار من التهاون في أمن الاتصالات بكل أشكالها الهاتفية واللاسلكية والإنترنت..

١٦- حذار من حب الإشاعة وإفشاء الأسرار، وإهمال شعار المعرفة على قدر الحاجة.

١٧- حذار من ترك فريضة القتال وخداع النفس بالتحريض عليها فقط.

١٨- حذار من الانشغال بالجدليات والمعارك الفكرية مع المسلمين، وخاصة خارج دائرة المواجهة.

١٩- وعليكم بتقوى الله تعالى في السر والعلن، فإن خير الزاد التقوى، وعليكم بحسن التوكل عليه، واللجوء إليه، ولا تتركوا الذكر فهو الدرع الواقي، وسبب لمعية الله، ولا تنسوا سلاح الدعاء، فإنه أمضى أسلحتنا وهو مخ العبادة، واعلموا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانيا: استشراف المستقبل والبشائر الواقعية والنصية:

ونحن نختتم هذا الكتاب بآخر فصوله، نحاول تلمس أسباب النصر، وتتبع ما يبشرنا بالنصر المحتوم على أعدائنا كما تتابعت به البشائر في كتاب الله تعالى، وفي أحاديث الصادق المصدوق ﷺ، وكذلك فيما تدل عليه وقائع السياسة والأحوال في بلاد المسلمين وأعدائهم الكافرين على حد سواء، ونبتدئ بدلائل الواقع، ونختم باستشراف المستقبل من خلال الأحاديث النبوية والآثار الشريفة مما جاء في أخبار آخر الزمان – الذي أظلنا – وآثار الملاحم والفتن وأشرط اقتراب الساعة.

قال الشيخ عبد الله عزام تحت عنوان:

مبشرات نصر الإسلام:

- **الأدلة الواقعية لانهيار الحضارة الغربية:**

لقد تسلم الرجل الغربي قيادة البشرية بعد أن خاض معركة شرسة مع الكنيسة، وبعد أن دفع ثمنا غاليا ليحطم القيود الوثيقة التي كبلته بها، ورأى بأم عينه زهرة أبناء مجتمعات أوروبا تحرق في الشوارع

العامة على يد محاكم التفتيش الكنسية، ولذا سخط على الكنيسة وإلهها، ونفض عن كاهله غبار القرون المتراكم، وانطلق لا يلوي شيء، لا يقبل وصاية من دين ولا من حزب، ولا يريد أن يؤمن بشيء يغل يده ويحجر على عقله، وحارب التفكير الديني والطابع الغيبي.

ولكن الجوعة الروحية التي كانت تشبع – نوعا ما – من خلال تردد هذا الرجل الغربي على الكنيسة، وإيمانه بالآخرة، ولقائه برجال الدين.

هذه الجوعة لم يعد يشبعها شيء بعد أن كفر الرجل الغربي بالكنيسة ورجالها، فحصل الفراغ الروحي الهائل، وحاولت أوروبا أن تقيم من العقل إلها يسد الفراغ النفسي الرهيب، ونصبت تمثالا لإله العقل في إحدى المدن الفرنسية وهو صورة أجمل امرأة في باريس، ودفعت بأمثال (هيجل ونيتشه) لسد الفراغ من خلال المدرسة (العقلية المثالية)، ولكن هيهات هيهات...

ويقول المفكر (لاموني): (إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهلاك، إنه في النزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرها إلى الغرق)، ومن هنا فإن سبب انهيا الحضارة الغربية واضح بسيط، هو أنها قامت بلا دين، واتخذت ربها وراءها ظهريا.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾ [الرعد]

- **مأساة الفكر الغربي:**

إن المتتبع للكتاب الغربيين، وخاصة الكتاب الطليعيين أو رواد مسرح اللامعقول من الوجوديين ليرى العجب العجاب من القلق والضنك من خلال أسطرهم التي تفوح بالآلام وتعتصر بالأسى.

إن اليأس، والقلق، والاسى، والألم، والملل، والعبث، والتمزق، والمأساة والشقاء، هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكتاب، اقرأ إن شئت للكتاب الفرنسي (وكاميو) في مسرحيات: (الرجل المتمرد، سوء التفاهم، حالة الحصار...)، يقول (كامي): (ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذه العالم سوى الخمر هي الموت للعالم، حطموا كل شيء، يجب أن نلغي كل شيء، الإلغاء والإطاحة هو إنجيلي)، ويقول (آرثر ميللر) الأمريكي في مسرحيته (بعد السقوط): (إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون).

هذه الملامح الرئيسية للعالم اليوم، والتي تبرز واضحة مجسدة في معطيات كبار الكتاب والأدباء، فوضى تأخذ بخناق العالم، تبعثر كل ما تبقى فيه من نظام وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية، والإنسان اليوم يرى هذا الإعصار الفوضوي المأساوي يحيق بالإنسانية، ويدمر كيانها، ويسحق آدميتها، آلية طاغية عارمة حولت الإنسان إلى آلة، وسحقت كل تجارب الروح والوجدان، وجماعية صماء قضت على كل مطمح بالتفرد والنبوغ والتفوق والإبداع، واختلال رهيب بين كفي المادة والروح، وعزلة غربية مضنية إزاء عالم أصم لا يستجيب لتوسلاته، وسقوط وتهافت في سائر النظم والوضعية السياسية والاجتماعية والعسكرية التي تمسك بزمام العالم اليوم، بالإضافة إلى الخوف العالمي من الدمار والحروب والقنابل الذرية وميكافيلية تضحي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.

وكلمة أوسبورن الكتاب الإنجليزي في مسرحيته (المسافر) هي خير تعبير عن حالة الإنسان الغربي: (نحن موتى مكدودون مضيعون، نحن سكيرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون).] أهـ[1]

- **قانون الله في المجتمعات:**

إن ناموس الله للحياة البشرية لا يخيب ولا يخطيء، وإن قانون الله للإنسان لا يتخلف ولا يكذب ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى]، المصائب تنتج نتيجة البعد عن منهج الله.

هي ثلاثة أطوار مرت بها أوربا وتمر بها كل الحضارات العلمانية المادية:

١- **الهرب من الله.**

٢- **فتح أبواب كل شيء عليها: الإنتاج والإبداع في ناحية أو نواح كثيرة.**

٣- **طور الضمور والانحلال فالاستبدال.**

وإليك بعض الأرقام المذهلة عن أمراض الحضارة:

١- في أمريكا (في الأربعينات) عدد مدمني الخمر سنويا(٤٢) مليون.

٢- الذين يتعاطون المخدرات (سنة ١٩٧٥م) (١٩%) من الشعب الأمريكي.

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٩).

الذين يتعاطون المخدرات (سنة ١٩٧٨م) (٤٩%) من الشعب الأمريكي.

٣- عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقلية في الولايات المتحدة (٧٥٠) ألفا، ويشغلون (٥٥%) من جميع أسرة المستشفيات.

عدد من أعفتهم القوات المسلحة الأمريكية في الحرب الثانية لاضطرابات نفسية وعقلية (٤٣%) من المجموع الذي يساوي (٩٨٠) ألفا، وعدد من رفضوا الامتحانات لاختبار الخدمة العسكرية (٩٦٠) ألفا).

أما السويد:

وهي من أرقى بلدان العالم من ناحية مستوى دخل الفرد والتأمينات الاجتماعية ففيها أعلى نسبة للأمراض النفسية والعقلية، فنسبة المرضى عقليا وعصبيا ونفسيا (٢٥%) من سكان السويد! وتنفق الدولة (٣٠%) من ميزانياتها على علاجهم.

- **الانهيار في الشرق الشيوعي:**

أما الشرق الشيوعي الملحد فحدث ولا حرج من حيث:

١- كبت الحريات، وتكميم الأفواه، وإحصاء الأنفاس، وأجهزة المراقبة على البيوت، وشقاء الإنسان بين فكي الجوع والإرهاب.

٢- الإنهيار الاقتصادي وفقد الأقوات من السواق رغم أن جميع دماء الناس وعرقهم يصب في جيوب الطغمة الحاكمة.

فالإتحاد السوفيتي {البائد } كان يستورد من أمريكا سنويا (١٥٠٨) مليون طن من القمح، وفي رومانيا كان العجز في الميزانية سنة (١٩٦٧م) (٢١٥) مليون جنيه إسترليني، وإنتاج العامل في رومانيا بمقدار (٣٣ % -٥٠ %) من إنتاج العامل الإيطالي والفرنسي.

وكانت نتيجة الاستفتاء الذي أجراه (دوبتشك) سكرتير الحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا: أن (٩٠%) من الشعب يحبذون إلغاء الحزب الشيوعي من الحكم، لأن الحزب: أناني، جبان، وأصحابه ذوو ضمائر سيئة.

وبعد قرارات لينين سنة (١٩١٧م): إخضاع الملكيات الزراعية والصناعية والتجارية والمؤسسات والبنوك والعمال ولجانهم، حصل التدهور الاقتصادي الكبير، حيث انهار الإنتاج إلى (٢٠%) مما كان عليه، وأما العملة فقد وصلت إلى (١%) من قيمتها التي كانت عليها قبل الثورة.

٣- هجرة الأدمغة، وهرب العقول، رغم الستار الحديدي المضروب على الناس وحرمان الفرد حتى من جواز السفر.

٤- الشقاء الذي يعاني منه العمال وجميع الطبقات ما عدا سدنة الحزب الشيوعي وكبار دهاقينهم الذين يستأثرون بالسلطة والمال، وبقية الأمة محرومون من الحياة البسيطة العادية **ولدت الحضارة الغربية مشلولة الدماغ، وظن الغربي أنه يستطيع علاج هذا الشلل، ولكن كلما تقدم الزمان ومرت الأيام يبين الشلل في الأعضاء والعطل في جميع الأنحاء.**

إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي)، ولكنني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر، هذا مع تأكيدي – والله أعلم – أن الشجرة بفرعها ستذوي، وليس زمن سقوطها نهائيا بعيدا لأنها سنة الله، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾[يونس: ١٣]﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس]

فأوروبا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية؟ وأي حضارة هذه التي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإسلام، دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجا وإماما، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران].

يقول شبنجلز:

(إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية).

وقد **لاحظ** وتنبأ المؤرخ الإنجليزي المعروف (أرنولد توينبي) المتوفى سنة ١٩٦٣م **على أن الحضارة قد تداولت بين الشرق والغرب أربع مرات وهي سائرة للخامسة بلا شك، فقال أن الحضارة ولدت في الشرق في ممالك السند والهند والصين وفارس القديمة وحضارات العراق ومصر واليمن ثم انتقلت للغرب إلى اليونان ثم الرومان، ثم انتقلت للشرق على يد المسلمين وقامت الحضارة الإسلامية، ثم انتقلت للغرب على يد الحضارة الغربية الأوروبية فالأمريكية، وقال أنها تسير ولا شك للعودة للشرق والمسلمين بناء على**

نذر الإنهيار والتحلل في الحضارة الغربية وبذور النهضة والإشراق في الشرق الإسلامي، وهنالك نصوص في الكتاب والسنة تؤيد هذه النتيجة وتثبت هذه الحقيقة.] أهـ(١)

المبشرات النصية التي تبشر بانتصار الإسلام والمسلمين في الكتاب والسنة:

هنالك نصوص كثيرة تطمئن النفس وتؤذن أن الإسلام سيتقدم لإنقاذ البشرية كلها إن شاء الله.

أ. ففي الكتاب العزيز:

١- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾[التوبة]

قال الشافعي: (لَيُظْهِرَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ دِينَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ حَتَّى لَا يُدَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا بِهِ وَذَلِكَ مَتَى شَاءَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى)(٢)، فلا بد إن شاء الله أن يعم هذا الدين الأرض ليظهر على الدين كله، لا بد أن يبدد هذا النور ظلمات الجاهلية التي عمت الأرض، لا شيء إلا لأنه دين الله الذي يشبع الروح، وينسجم مع الفطرة، وترتاح له النفس، ويستقر به الضمير، وكما بين الله عز وجل في مبررات سيادته وانتشاره أنه الهدى ودين الحق، ولذا لا جرم أن الحق ثابت والباطل زاهق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[الأنبياء].

٢- **والحق أصيل في الأرض والنفس، والباطل دخيل لصيق في الأرض والنفس كذلك:**

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [إبراهيم]

٣- والحق نافع يبقى، والباطل زبد زائل، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝١٧﴾ [الرعد]

(١) (الذخائر العظام – ج١:٧٦٠).
(٢) الأم للشافعي: (٤/١٨٠).

ب. أما بشارات النبوة فهي كثيرة جدا وإليك بعضها:

١- روى ثوبان ﷺ قال: قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(١).

٢- قَالَ ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»(٢).

٣- عن أبي قبيل قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: "بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا» يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ.(٣).

٤- قَالَ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»(٤).

هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدين سيعود لينقذ الإنسان المعذب.

ما أشبه اليوم بالبارحة:

دين الله يحارب في بلاده، وتشن عليه معارك يعرفها العام والخاص، والدعاة إلى الله يشردون ويسجنون ويقتلون ويرسفون في الأغلال على يد أبناء جنسهم الذين يلهجون بلغتهم وهم من جلدتهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩)

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧) من حديث تميم الداري ﷺ، وصححه الأرنؤوط وقال: على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣).

(٣) رواه الحاكم (٨٣٠١) وصححه الذهبي، ورواه الدارمي (٥٠٣) وأحمد (٦٦٤٥)، وضعفه الأرنؤوط، وصححه شاكر، والألباني في الصحيحة: (٤).

(٤) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

ولكن الغرب يفرق من مستقبل هذا الدين، الغرب بشقيه الصليبي والإلحادي الشرقي، أضف إليه الخوف الرعيب الذي ترتجف منه أوصال الصهيونية العالمية من التيار الإسلامي في المنطقة، وهي تحذر وتنذر وتصرخ وتخطط لمواجهة المد الإسلامي المقبل.

يقول بن غوريون: (**نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإسلام، وهذا المارد الذي نام طويلا وبدأ يتململ في المنطقة، إني أخشى أن يظهر محمد جديد في المنطقة**).

ويقول جب في كتابه (wither Islam) (جهة الإسلام):

(**إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الإسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين**).] أهـ (١).

المبشرات الواقعية في الواقع الحياة:

يتسم النصف الأخير من القرن العشرين برجوع خاشع قانت إلى الله، رجوع النفوس الظامئة لري هذا الدين، أوبة الذين يئسوا من كل أنظمة الأرض، فالإنسان أصبح آيسا من كل التجارب البشرية.

لقد فشلت الرأسمالية بديمقراطيتها، وانهارت الليبرالية بفروعها، كفر الإنسان بكل ما قدمه الفلاسفة الغربيون، لم تستطع الطبيعة أن تملأ الفراغ الذي خلفه دين الكنيسة بعد أن نابذته العناد والعداء، ولم يفلح ماركس في حل لغز الإنسان، ولم يسد جوعته لمعرفة سره وطياته وأعماقه.

لقد سقطت الأنظمة جميعا لأنها اصطدمت بفطرة الإنسان.

حتى افتخر (زويمر) في بداية هذا المؤتمر العالمي للتبشير في القدس سنة (١٩٣٣م) حيث قال:

(إن مهمتكم إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاقية التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، إنكم أعددتم شبابا في بلاد الإسلام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم

(١) (الذخائر العظام – ج١:٧٦٧).

بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك).

يقول زويمر: (إن السياسية الاستعمارية لما قضت منذ سنة (١٨٨٢م) على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية، ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا للدين ولا للوطن حرمة).

ويقول (هاملتون جب) المستشرق الإنجليزي في كتابه (جهة الإسلام) سنة (١٩٣٢): (إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظاهر حياته)

لقد أنفقوا أموالهم، وأحكموا خططهم، ودبروا مكائدهم لإخراج جيل لا ديني – علماني –، توقع سادته أن يكون سحق الإسلام في المنطقة على يده وأقاموا الجامعات، وفرضوا الاختلاط، وأقصوا الصادقين – حملة القيم والأخلاق – عن كل المراكز الحساسة، وقربوا دعاة الإباحية والإلحاد والعلمانية والفساد إليهم، ونصبوهم قضاة وسادة، وأقاموا حولهم الهالات، ونفخوا في الأقزام حتى أضحوا عمالقة في أعين الرعاع والدهماء، ولكن هل كان لهم الذي أرادوا؟ هل أُقصي الإسلام نهائيا عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع؟ نعم لقد جنوا بعض الثمرات النكدة لجهودهم المضنية، ولكن إلى حين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال]

لقد عادت المدارس التي خططوا لها تدفع بالأفواج إلى الله، عاد الجيل آيبا خاشعا متبتلا صادقا إلى ربه.

لقد أضحت الجامعات التي سهروا على منهاجها وظنوها مراكز التدمير، أضحت تقدم نماذج من الشباب الصادق الملتزم الذي يضحي بكل شيء من أجل عقيدته ودينه.

لقد أصبحت الجامعات كبلاط فرعون يربي فيه موسى عليه الصلاة والسلام ليهدم بيده عرش فرعون، ويسحب البساط من تحت رجليه.

لقد بطل السحر وألقي السحرة سجدا، وقالوا آمنا برب هارون وموسى، وقالوا لفرعون بعد تهديدهم بالقتل: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ٧٢﴾[طه]

ومواجهة هذا الدين لأهل الكتاب كأنها قضية تاريخية مرت وانتهت، ألا ترى الآن أن الإسلام بدأ يمرغ الصليبية في الوحل؟ أجل فالمسلمون الآن يعتزون بإعلان أن الجهاد إنما شرع لحماية الدعوة ونشرها في كل

أجزاء الأرض لإنقاذ الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والجهاد ماض إلى يوم القيامة، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأنت تبصر مصداق هذا في الشرق الإسلامي كله كان المسلمون يتلمسون نقاط التشابه بين الإسلام والنظم المعاصرة، ويخلعون على الإسلام كل يوم اسما جديدا، ولونا جديد ويصبغونه صبغة تشبه الصبغة الباهتة التي سرعان ما تزول، ففترة يطلقون على الإسلام بأنه (ديموقراطي)، وأخرى يسمونه (اشتراكيا)، بل أيام الغزو الهتلري للعالم كانوا يتشبثون ببعض النقاط في النازية لتلوين الإسلام بها، أما الآن فقد أضحى الشباب المسلم يبرزون الإسلام كحل لقضايا العالم المعاصر ومشكلاته، وأيقن الشباب تهاوي الأنظمة الغربية ابتداء بالرأسمالية والديمقراطية وانتهاء الإشتراكية والشيوعية.] أهـ[١]

انتهى النقل عن كتاب شيخنا الشهيد رحمه الله.

(١) (الذخائر العظام – ج:٧٧١).

الفصل السادس

الغربة والغرباء الظاهرين على الحق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فطُوبَى لِلغُرَباء»

رواه مسلم

فصلٌ في الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ

في هذا العصر اليَهُوْدي الأمريكيّ كما يَزعمُون، أظلَّتنا أيّامٌ أصبحَ فيها المُسلِمُون في أهلِ الأرضِ الكفّار غُرَباء، وأصبحَ المُصلُّونَ في مئاتِ ملايين المُسلِمِين غُرَباء، وأصبحَ الملتزمون بما أمرَ اللهُ ونَهى من دِينهم في المصلّينَ غُرَباء، وأصبح الدَّاعون للإيمانِ والاعتقادِ الصَّحِيحِ في الملتزمين غُرَباء، وأصبَح الدّاعونَ إلى الله الآمرونَ بالمعروفِ النَّاهونَ عنِ المُنكرِ في هَؤُلَاءِ المُؤمِنُون غُرَباء، وأصبح الدَّاعون لجِهَاد أعداء الله ودفع صَائِل الكفّارِ والمرتدّين والمُنَافِقين عنها أغرب الغُرَباء.

وصدق رسول الله ﷺ وها نحن نسير إلى ما بشَّر به بقوله: **«بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء»**(١).

والحَمْدُ للهِ أن رسول الله ﷺ قد بشّر بأنّه: **«لا تَزالُ طائفةٌ من أُمّتي يُقاتِلونَ عَلى الحقّ ظاهرينَ عَلى مَن ناوأهم حتَّى يُقاتلَ آخرهُم المَسيح الدَّجَّال»**(٢)، وأخبرَ عن ثباتِهم ﷺ فقال: **«لا تَزالُ أمَّةٌ مِنْ أُمّتي ظَاهِرين عَلى الحقِّ لا يَضرُّهم مَن خَالَفَهُم حتَّى يَأتِيَ أَمرُاللهِ وهُم ظَاهرُونَ عَلى النَّاسِ»**(٣).

ولأنَّنا نكتب هذا الكتاب لأولئكَ الغُرَباء الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِ الّذين لا يَضُرُّهُم من خَذَلَهُم، يقاتِلونَ عَلى هذا الدّين حتَّى يأتي أمر الله.

ولأنَّنا نكتبه وقد أصبحت الثّلّة المؤمنة الثَّابتة في وجه أعاصيرِ أمريكا الهَوجَاء وحلفائِها صَابرةً صَامدةً لا تعبأُ باستكبارِ أمريكا، ولا كَثرَة حلفائِها ولا تخذيل عبيدها، أصبحت من أغرب الغُرَباء في النّاس، غُرَباءٌ ظاهرون عَلى الحقّ يُقاتلون عَلى الحقّ هنا وهناك، ولأنَّنا نكتبُ هذا الكتاب لهم.

ولأنَّنا نكتبه ونحن نعيشُ بفضل الله الّذي يُؤتيه من يشاء، ونَسألُه الإخلاصَ والثّباتَ والقبول برحمته، نعيش وإخواننا المُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله أشدّ حالات الغُربة والحصار والمطاردة والقتل والأسر، فإنّا نورد هنا من الزّاد ما نَشدُّ به عضُدنا ونُثبِت به أنفسنا، ونقدّمه بشائر إلى أولئك الصّابرين الثَّابِتين الّذين نحسب أنّهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهُم من قضى نَحبهُ ومنهُم مَن يَنتَظِر وما بدّلوا تبديلاً، كما نقدّمُه إلى كلِّ العازمين عَلى الانضِمام لقافلة الغُرَباء وركب الظَّاهِرين عَلى الحقِّ من الأجيال القادمة الّذين سيرفع الله بهم إن شاء الله رايةَ دينِه، ويُرِيَ كلَّ فرعونٍ وهامانٍ من فراعنةِ الكفّارِ والمرتدّين، وكلَّ جنودهم منهُم ما كانوا يَحذَرُون.

---

(١) رواه مسلم (١٤٥).

(٢) رواه أحمد (١٩٨٥١، ١٩٨٩٥، ١٩٩٢٠)، أبو داوود (٢٤٨٤)، وقال شعيب أرنؤوط: الحديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (١٠٣٧)، والبخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، وأحمد (١٦٩١٢).

فإن من خيرِ الزَّاد، ومن بشارةِ عاجلِ الخير وآجله، أن نقدِّم لفصول هذا الكتاب ببعض عبير السُّنة المطهَّرة، وما جاء من بعض الآثار المباركة من صفات وأحوال الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ الّذين يقاتلون عَلى هذا الدّين غير عابِئين بمن خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله، وما جاء ممَّا أعدَّه الله لهم من البِشَارة في الدُّنيَا والكَرَامة في الآخرة.

آملين أن يكون فيها ما يربط عَلى قلوب الشَّبَاب المؤمن العازم عَلى المُقاوَمة، مقاومة طغيان أمريكا وحلفائها، بقلبٍ عامرٍ بالإيمانِ، وبيدٍ تشدُّ عَلى الزِّنَاد.

فإلى أولئك الّذين أحبّوا الموت في سبيلِ الله كما أحبَّ عبادُ أمريكا الحياةَ، إليهم ومعهم نتنسَّم عبير هذه الآثار النّبويّة العطِرة وأنوارها:

جاء في باب الغُربة من كتاب مدارجِ السّالِكين للإمام العامل ابن القيّم ﷺ ما نقتطف منه باختصار ما يلي:

(بابُ الغُربَةِ)

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ۝١١٦﴾ [هود].

استشهاده بهذه الآية في هذا البَاب يدلُّ عَلى رُسُوخه في العلم والمعرفة وفهمِ القرآن، فإنَّ الغُرَباء في العالم هم أهلُ هذه الصِّفة المذكورة في الآية، وهمُ الّذين أشار إليهم النبيُّ ﷺ في قولِه: «**بدأَ الإِسْلَامُ غريباً وسيعودُ غريباً كَما بدأَ فَطُوبى للغُرَباءِ، قيل: ومَنِ الغُرَباء يا رسول الله؟ قَالَ: الّذين يَصلُحُون إذا فسد النّاس...**»[١]، وعن عبدالله بن مَسعُودٍ قَالَ رسول الله ﷺ «**إنَّ الإسْلَام بدأَ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ فطوبى للغُرَباءِ، قيل: ومن الغُرَباء يا رسول الله؟ قَالَ: النُّزَّاع منَ القَبَائِل**»[٢] وفي حديث عبدالله بن عمرو قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ ذاتَ يوم ونحن عنده «**طوبى للغُرَباء، قيلَ: ومَنِ الغُرَباءُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: نَاسٌ صَالِحُونَ قَليلٌ في ناسِ سُوءٍ كَثيرٍ مَنْ يَعصِيهِم أكْثَرُ ممَّنْ يُطِيعُهم**»[٣].

وقال أحمد عن عبدالله بن عمرو ﷺ، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ أحبَّ شيءٍ إلى الله الغُرَباء، قيلَ: ومن الغُرَباء؟ قَالَ: الفرَّارُون بِدينِهم يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ؏ **يوم القيامة**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠) وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

(٢) رواه التّرمِذِيّ (٢٦٢٩)، وأحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨) قال الألباني: صحيحٌ ثم توقّف فيه. النُّزَّاع: جمع نازع ونزيع وهو الغريب عن أهله وعشيرته أي الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الإسلام.

(٣) مسند أحمد (٦٦٥٠، ٦٥٧١، ٦٥٧٠، ٧٠٧٢) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني:صحيح - الصحيحة (١٦١٩).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٥/١)، وأحمد في الزهد (٨٠٩،٤٠٤) وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨٥٩).

وفي حديث القاسِم عن أبي أُمَامَة عن النَّبي ﷺ قَالَ عن الله تَعَالَى: «**إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ من صَلاتِه أحسنَ عبادَةَ رَبِّه وكانَ رِزقُه كفافاً وكان مع ذلك غامضاً في النّاس لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وصَبَرعَلى ذَلك حَتَّى لَقي الله ثُمّ حلَّت منيَّته وقلَّ تُرَاثه وقلَّت بَواكِيه**»[1]، وقال الحَسَنُ: " الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ لَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، وَلَا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لِلنَّاسِ حَالٌ، وَلَهُ حَالٌ، النّاس منه في راحةٍ وهو من نفسِه في تعبٍ"[2].

وهَؤُلَاءِ هم القابضون عَلى الجمر حقّاً، وأكثر النّاس بل كلّهم لائِمٌ لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدّونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسَّواد الأعظم، { **فانظر إلى هذا الوصف وقارِنه بحالِ المُجَاهدينَ للأمريكانِ واليَهُوْدِ وأوليائِهم اليَوْمَ، وكيف يَتناوَلُهُم الإعلامُ حتَّى أكثر خُطباءِ الجُمعةِ عَلى مَنابرِ المَسَاجدِ**}.

ومعنى قول النَّبيّ ﷺ همُ النُّزاعُ من القبائل، أنَّ الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض عَلى أديانٍ مختلفة، فهم بين عبّاد أوثان ونيران، وعبّاد صُوَر وصُلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإِسْلَام في أوَّل ظهورِه غريباً، وكان من أسلمَ منهُم واستجاب لله ولرَسُولِه غريباً في حَيّه وقبيلتِه وأهلِه وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإِسْلَام نزاعًا من القبائل، بل آحادًا منهم، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإِسْلَام، فكانوا همُ الغُرَباء حقًا، حتَّى ظهر الإِسْلَام وانتشرت دعوته ودخل النّاس فيه أفواجا، فزالت تلك الغُربة عنهم، ثمّ أخذ في الإغتراب والتّرحال حتَّى عاد غريباً كما بدأ، بل الإِسْلَام الحقّ الّذي كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه هو اليَوْم أشدّ غربةً منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظَّاهِرة مشهورة معروفة، فالإِسْلَام الحقيقي غريبٌ جداً وأهله غُرَباء أشدّ الغُربة بين النّاس، وكيف لا تكون فرقةٌ واحدةٌ قليلةٌ جداً غريبةً، وسبعين فرقةٍ ذات أتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوقٌ إلا بمخالفةِ ما جاءَ به الرَّسُول، فإنَّ نفس ما جاء به يضادّ أهواءَهم ولذَّاتهم وما هم عليه من الشُّبُهات والبِدَع، الّتي هيَ نصُّ فضيلتهم وعملهم والشَّهوات الّتي هيَ غايات مقاصدهم وإراداتهم.

{ **انظر سبحان الله! ما يقول ابنُ القَيّم في القرن الثَّامن الهجريّ أنّ الإِسْلَام في زمانه أشد غربةً من وقت ظهر، فماذا نقول نحن اليَوْم والله المُستَعان؟!!**}.

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله عَلى طريق المتابعة غريباً بين هَؤُلَاءِ الّذين قد اتَّبعوا أهواءهُم وأطاعوا شحَّهم وأُعجب كلّ منهم برأيه، كما قَالَ النبيّ ﷺ: «**مُرُوا بالمعرُوفِ وانهَوا عنِ المُنكرِ حتَّى إذا رأَيتُم شُحَّاً مُطاعاً وهوىً متَّبعًا ودُنيا مُؤثَرة وإعجاب كلُّ ذِي رأيٍ برأيِه، ورأيتَ أمراً لا يَدَ لكَ بِهِ فعليكَ بِخاصَّةِ نفسكَ،**

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٧، ٢٢١٩٧)، وابن ماجه (٤١١٧)، والتِّرمِذِيّ (٢٣٤٧) وضعفه الأرنؤوط، وأورده الألباني في الجامع الصغير (٢٨٩٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٢١٠)، وابن أبي عاصم في (الزهد): ٢٦٢ .

وإيَّاك وعوامَّهم فإنَّ وَرَاءَكُم أيّاماً صَبرُ الصَّابرِ فِيهنَّ كَالقَابضِ عَلى الجَمْرِ»[١]، ولهذا جُعل للمسلم الصَّادق في هذا الوقت إذا تمسَّك بدينه أجر خمسين من الصّحابة، ففي سُنَنِ أبي داود والتِّرْمِذِيّ من حديث أَبي ثَعْلَبَة الخُشَنِيّ رضي الله عنه قَالَ: **سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عنْ هذهِ الآيةِ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] **فقال: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنكرِ، حتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كلّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فعليكَ بخاصّةِ نفسِكَ ودَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم أيّام الصَّبرِ، الصَّبْرُ فِيهنَّ مِثلُ قبضٍ عَلى الجمرِ، للعَاملِ فيهنَّ أجرُ خمَسينَ». قلْتُ يارَسُولَ الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَالَ: «أجرُ خمسِين مِنكُم»**، وهذا الأجرُ العظيمُ إنَّما هو لغُربته بين النّاس والتَّمسُّك بالسُّنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم، فإذا أراد المؤمن الّذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه، وفقهاً في سنَّة رسوله وفهماً في كتابه، وأراهُ ما النّاس فيه من الأهواء والبِدَع والضَّلالات وتنكُّبهم عن الصِّرَاط المُستقيم الّذي كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصِّراط فليُوَطِّن نَفْسَه عَلى قدح الجُهَّال وأهلِ البِدَع فيه، وطعنِهم عليه وإزرَائهم بِهِ وتَنفير النّاس عنه وتحذيرهم منه، كما كانَ سلفهم منَ الكفّار يفعلون مع متبوعه وإمامِه ﷺ، فأمَّا إن دعاهم إلى ذلك وقدح فيما هم عليه، فهنالك تقوم قيامَتهم ويبغون له الغَوائل وينصُبُون له الحبائل، ويجلِبُون عليه بِخَيل كبيرِهم ورجله.

فهو غريبٌ في دينه لفساد أديانهم، غريبٌ في تمسُّكه بالسُّنة لتمسُّكهم بالبِدَع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريبٌ في صلاته لسُوء صَلَاتهم، غريبٌ في طريقه لضلال وفساد طُرقهم، غريبٌ في نسبته لهم لمخالفة نسبهم، غريبٌ في مُعَاشرته لهم لأنَّه يُعاشرهم عَلى ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامّة مُسَاعداً ولا مُعيناً، فهو: عالمٌ بين جهَّال، صاحب سنَّة بين أهل بدع، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبِدَع، آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المُنكر بين قوم المَعرُوفُ لديهم مُنكرٌ والمُنكرُ لديهم معروفٌ].[٢] انتهى كلامُ ابن القيّم رحمه الله.

ومن الآثار النّبويّة الّتي جاءت في الغُربَاء وكرامتهم وفضل الغُربة وأحوالها:

جاء في [مَجمَع الزَّوائِد] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟»** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: **«أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي**

---

(١) رواه أبو داوود (٤٣٤١)، التِّرمِذِيّ (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وقال الألبانيّ: ضعيف لكنّ فقرة أيّام الصّبر«فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ" ...» صحيحة ثابتة (السلسة الضعيفة ١٠٢٥).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١٨٩/٣).

شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد]»(١).

وفي مسند الإمَام أحمد عن عبدالله بن عمرو، قَالَ: كنت عند رسول الله ﷺ وطلعت الشّمسُ فقالَ: «يَأتِي اللهُ بقومٍ يومَ القيامةِ نُورُهم كنورِ الشّمسِ، فقالَ أبُوبكر: أَنَحنُ هُم يارسول الله؟ قَالَ: لا ولَكُم خيرٌ كثيرٌ، ولكنّهم الفُقَرَاءُ المُهَاجِرُون الّذين يُحشرون من أقطارِ الأرضِ»(٢).

- وفي [فيض القدير: ٤-٢٧٤]:[قَالَ الثّوريّ ﵀: (**إذا رأيت العالِمَ كثيرَ الأصدقاء فاعلم أنَّه مخلّط، لأنه لو نطق بالحقِّ لأَبغَضوه)، وقال الغزاليُّ**﵀: **(وقد صار ما ارتضاه السَّلَف من العلوم غريباً بل اندرس وما أكبَّ النّاس عليه فأكثره مُبتَدع وقد صارت علوم أولئك غريبةً بحيث يُمقت ذاكِرُها)**].

هذا بعض ما جاء من الآثار في الغُربة والغُرَباء، جعلنا الله منهم ومعهم في الدُّنيَا والآخرة.

ومما جاء من الآثار النّبويّة وأقوال أهل العلم في الطَّائِفَة المَنصُورَة الظَّاهِرين عَلى الحقّ يقاتلون عَلى هذا الدّين ما نقتطف منه ما يلي:

- عن معاوية ﵁ يرفَعُه: «لا يزالُ مِنْ أمّتي أمَّة قائمةٌ بأمرِ اللهِ لا يَضرُّهم مَنْ خَذَلَهُم ولا مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أمرُ اللهِ وهُم عَلى ذلِكَ»(٣).

- عن جابر بن سَمُرَة ﵁ يَرفَعُه: « لَن يَبرَحَ هذا الدّينُ قائمًا يُقاتِل عليه عِصَابةٌ مِنَ المُسلِمينَ حتَّى تقومَ السَّاعةُ»(٤).

- عن جابر يرفعه: «لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي يُقاتِلون عَلى الحَقّ ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ»(٥)، وفي رواية النسائيّ عن سلمة بن نُفيل الكندي قَالَ: كنت جالسا عند رسولِ الله، فقال رجل: يا رسول الله أذال النّاسُ الخيلَ ووضعوا السّلاحَ، وقالُوا: لا جِهَادَ قَد وَضَعَتِ الحَربُ أَوزَارَها فأقبل رسولُ اللهِ بوجهِهِ وقال: «كذبُوا الآنَ جاءَ القِتَالُ ولا يزالُ مِنْ أمّتي أمَّةٌ يُقَاتِلونَ عَلى الحقّ ويَزيغُ الله لهُم قُلوب أقوامٍ ويَرزُقهم مِنهُم حتَّى تقومَ السَّاعَةُ وحتَّى يَأتِيَ وعدُ الله والخيلُ معقودٌ في نواصِيها الخَير إلى يَومِ القِيامَة

(١) رواه أحمد (٦٥٧٠) وابن حبان (٧٤٢١) وصححه شاكر والألباني والأرنؤوط.

(٢) قال الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب٣١٨٨): رواه أحمد والطبراني، وزاد، ثم قال: «طوبى للغرباء» قيل: من الغرباء؟ قال: «أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» وأحد إسنادي الطبراني رواته رواة الصحيح، ورواية أحمد في المسند برقم (٦٦٥٠،٧٠٧٢) وحسنه لغيره الأرنؤوط.

(٣) رواه البخاري: (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢، ٧٤٦٠) ومسلم (١٠٣٧).

(٤) رواه مسلم (١٩٢٢)، وأحمد (٢٠٨٥٩).

(٥) رواه مسلم (١٥٦، ١٩٢٣) وأحمد (١٤٧٢٠، ١٥١٢٧).

وهو يُوحى إليَّ أنّي مَقبُوضٌ غير مُلبث وأَنتُم تتبّعُوني أفنادًا يَضربُ بَعضُكم رقابَ بعضٍ وعقرُ دار المُؤمِنِين الشّام»(١).

- عن المغيرة يَرفَعُه: «لا يزالُ ناسٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلُون عَلَى الحَقّ ظَاهِرِين حَتَّى يَأتيهم أمرُ الله»(٢).
- عن معاوية يرفَعُهُ: «مَن يُردِ اللهُ بهِ خيراً يُفقِّهه في الدّين ولا تزالُ عِصَابةٌ من المُسلِمِين يُقاتلون عَلى الحَقّ ظاهرينَ عَلى مَنْ نَاوأَهُم إلى يومِ القيامَة»(٣).
- عن معاوية يرفَعُهُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ»(٤).

جاء في كتاب العمدة في إعداد العدة، للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز وفقه الله لرضاه وفرج كربته وفك أسره، تحت عنوان هل الفرقة النَّاجِيَة هيَ الطَّائِفَة المَنصُورَة؟ قَالَ:

[ورد في معظم كتب العَقِيْدَة، أن الفرقة النَّاجِيَة (أهل السّنّة والجماعة) هيَ الطَّائِفَة المَنصُورَة (على سبيل المثال: انظر البَاب الأخير من العَقِيْدَة الواسطيّة لابن تَيمِيّة، وكذلك مقدّمة كتاب معارج القبول لحافظ حكمي، وغيرها)، والّذي يترجَّح عندي أن الفرقة والطّائفة ليستا مترادفتين، وأنَّ الطَّائِفَة جزءٌ من الفرقة، فالطّائفة المَنصُورَة هيَ الجزء أو البعض القائم بنصرة الدّين علماً وجِهَاداً، من الفرقة النَّاجِيَة الّتي هيَ عَلى المنهج والاعتقاد الصَّحِيح، وتفريعاً من ذلك نقول أيضاً إنّ المجدد هو أحد أفراد الطَّائِفَة المَنصُورَة الّذي قام بأهمّ واجبات الدّين في زمنه، عَلى قول الجُمهور بأنّ المجدد فرد واحد ودليلي في هذا ما يلي:

١- قول الله تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فهذه الآية فرقت بين الفرقة والطّائفة، وبيَّنت أنَّ الطَّائِفَة جزءٌ من الفرقة، وأنّها هيَ الجزء القائم بالعلم والجِهَاد من الفرقة، كما في تفسير هذه الآية [راجع ابن كثير](٥).
٢- العلم والجِهَاد، وهما أهمّ صفات الطَّائِفَة المَنصُورَة، أصل مشروعيّتها أنّهما من فروض الكفاية، يجب عَلى البعض دون الكلّ من أبناء الأُمّة القيام بهما، وهذا البعض القائم بالعلم والجِهَاد من الأُمّة هم الطَّائِفَة المَنصُورَة.

(١) رواه النسائي (٣٥٦١)، وأحمد (١٦٩٦٤، ١٦٩٦٥) والدارمي (٥٦). وقال الألباني صحيح (١٩٣٥ السلسلة الصحيحة)
(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١)، وأحمد (١٨١٦٦) واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧) واللفظ له.
(٤) رواه ابن ماجة (٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحَّ من طريق آخر وذكره البخاري (٣٦٤١).
(٥) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٦).

و المقصد من هذا أن يسعى كلّ مسلم لأن يكون من هذه الطَّائِفَة المَنصُورَة القائمة بنصرة الدّين بالعلم والدّعوة والجِهَاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين]، قلت: ومع ذلك فإن الطَّائِفَة قد تكون هيَ الفرقة بأكملها، وذلك في آخر الزّمان حينما ينحازُ المُؤمِنُون إلى الشَّام وعليهم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لقتال الدَّجَّال، كما في الأحاديث الصَّحِيحة، وعلى هذا تنزل الرّوايات الّتي ذكرت أن الطَّائِفَة تكون بالشّام أو بيت المَقْدِس (حديث أبي أمامة)[1] وأن هذا يكون بالنسبة لآخر هذه الطَّائِفَة بَإطلاق، أما قبل ذلك من الأزمنة، فالطّائفة قد تكون بالشّام أو بغيره، وانظر كلام صاحبُ كتاب فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد في شرح الطَّائِفَة (ط أنصار السنة ص٢٧٨، ٢٧٩)، والله تَعَالَى أعلم]. أهـ[2]

فأقول والله الموفق:

أن المستفاد مما سبق، أن العُلَماء اعتبروا الأقسام التّالية للطّائفة المَنصُورَة:

أهل العلم بالكتاب والسّنّة.

أهل الدّعوة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر.

أهل الجِهَاد والقتال في سبيل الله.

والّذي يبدو لي جمعاً بين هذه الأقوال - والله أعلم - ما يلي:

١) أن معظم السَّلَف ممَّن جعلهم أهل الحديث وأهل العلم قالوا ذلك لأَنَّهم كانوا أسبق النّاس إلى الجِهَاد والقتال إذا تعيَّنت الفريضة أو إذا لم تحقّق الكفاية في القِتَال، بل قد ورد عن بعض السَّلَف أنَّه دخل الثُّغُور أكثر من مئةِ مرّة ليس بقصد القِتَال وإنَّما لأخذ الحديث لكثرة (أهل الحديث) في مواقع الرِّبَاط، وثغور الجِهَاد، وهذا عندما كانَ أهل الحديث أهل الجِهَاد وليس عندما صار أكثرهم (أهل حديث)، وأهل قيلٍ وقال وكثرة سؤال.

أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة هم الّذين يتصدَّرون لأهمّ الأولويَّات والفُرُوض والواجبات في زمانهم من هذه الأبواب الثّلاثة - العلم- الدّعوة والأمر والنَّهي – القِتَال والجِهَاد.

ففي زمن مثل زمن البُخَاريّ والإمام أحمد رحمهما الله تَعَالَى، كانت الخِلافَة الإِسْلَاميّة قويّة مهيمنة غازية لأعدائها، واضعةً للجِزية والصَّغار عَلى من جاوَرها من الكفّار، فكان حريَّاً أن يكون رؤوس الطَّائِفَة المَنصُورَة من أمثال أولئك الأئمة متصدِّرين للأولويَّة الأولى، وهي العلم بالسُّنة وجِهَادُ البِدَع وهو جِهَاد البيان، أو متصدِّرين لجِهَاد أئمة البَاطِل وأمراءِ الجُور، من الّذين ظلمُوا أو ابتدعوا كموقف الإِمَام أحمد رحمه الله من بني

---

(١) انظر الجزء الأخير (مسك الختام) من النسخة الكاملة، يتحدث عن الفتن وعلامات الساعة ويذكر هذه الأحاديث بشيء من التفصيل.

(٢) (العمدة في إعداد العدة ص ٧٨)

العبّاس وبدعة خلق القرآن، فكانت ثغرة شاغرة في حين لم يكن هناك من صائلٍ محاربٍ عَلى الأُمّة، بينما نجد الإمَام ابن تَيمِيّة جعل جيش الشّام ومصر - عَلى ما كانَ فيهم من البِدَع والجَهل - من أخصِّ من عمَّهم الإنتماء للطَّائفة المَنصُورَة، لدفعهم العدوّ عن دين الله وبيضة المُسلِمِين وحوزتهم، رغم عدم اتِّصَافهم بالعلم، ولم يكن المماليك من أهل الحديث كما هو معلوم، بل كانوا للجهل والبِدَع أقرب منهم للعلم بعمومهم، ولكنَّهم كانوا عَلى الثَّغرة الشَّاغِرَة وهي دفع الصّائل.

٢) لاشكَّ أن القِتَال من غير علمٍ بدين الله، ودون انطلاق من أصوله، وإن كانَ أصحابه مأجورين بنيَّتهم في دفع أعداء الله عن الدّين والأنفس والأعراض والأموال، لا يجعل القائمين بهذا عَلى تمام صفة الطَّائِفَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ، لأَنّهم لا يكونون ظاهرين عَلى الحقّ ولا قائمين بأمر الله تماماً وكمالاً إلَّا بالعلم مع الجِهَاد.

٣) ليس بالضَّرورة أن يكون كلّ فرد في الطَّائِفَة المَنصُورَة من أهل العلم، ولكن يكفي أن يكون ومن لهم الأمر والقيادة فيها قد توفَّرت في مجموعهم صفات العلم والدّعوة مع الجِهَاد والقتال، ويحكم للطَّائفة بحكم الرَّاية العَامّة والقيادة والمنهج والمُعتقد.

٤) أخيراً - ولا شَّكَّ - لا بُدَّ من البيان أنَّ الكمال في الطَّائِفَة المَنصُورَة ورؤوسها أنْ تجمع العلم إلى الدّعوة والأمر والنَّهي إلى القِتَال والثّبات عَلى ذلك، كما كانَ حال أئمة الإسْلَام العظام من أمثال الإمَام ابن المبارك رحمه الله، وهو من كبار علماء الإسْلَام ومحدثيهم وفقهائهم ومن كبار المُجَاهدين المرابطين في الجِهَاد، وكذلك الإمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله وهو كذلك من كبار العُلَماء وأهل الحديث، ومن كبار المُجَاهدين كلما نزل الصّائل، ومن أولئك الإمَام الجليل العز بن عبد السَّلام، وهو كذلك سلطان العُلَماء ومن مُجَاهديهم أيّام التّتار.

٥) الخلاصة أن الطَّائِفَة المَنصُورَة هيَ الطَّائِفَة القائمة بأمر الله، الظَّاهِرة عَلى الحقّ الثَّابِتة عليه، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، يقاتلون عَلى هذا الدّين، ولا شَّكَّ أنَّ القِتَال والجِهَاد هو من أبرز خصائصهم في النّصوص (حتَّى يكاد يكون شرطاً عليهم)، لاسيَّما إذا تعين أو لم تقم به الكفاية كما هو حالنا اليَوْم، فلا يمكن للطَّائفة المَنصُورَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ – وهم نُخبة أهل الإسْلَام- أن يتركوا عندئذٍ أوجب الواجبات بعد الإيمان، وهو دفع الصّائل قتالاً!!

إذاً وحسب ما تقدَّم؛ من هُم الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان؟ وهنا يجب أن نعلم مواصفات هذا الزّمان، تلك المواصفات الّتي أصبح العلم بها من المعلوم من العقل والفهم والنَّظر بالضَّرورة.

أولاً: بلاد الإسْلَام من أقصاها إلى أقصاها محتلة بصائل اليَهُوْد أو النّصَارى أو الملحدين أو الشُّيُوعِيّين أو المُشركين الوَثنيين، مباشرة بالغزو والاحتلال الظَّاهِر كما هو حال فِلَسطِين والشّام عموماً، والبُوسنة والشّيشَان، وجمهوريّات وسط آسيا وتُركستان الشَّرقيَّة الّتي تحتلُّها الصِّين، وكشمير

الّتي تحتلُّها الهند، وبلادٌ كثيرةٌ وخلقٌ لا يعلمهم إلّا الله تحت حكمِ الكفّار الأصليّين، أو بصورة غير مباشرة عبر تولية الكفّار الأصليّين للمرتدّين، كما في عموم باقي بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: كافّة بلاد الإِسْلَامِ من أقصاها إلى أقصَاها، استبعد فيها الحكّام المرتدّون شرعَ الله، وبارَزُوه العَدَاء، وحكَمُوا بغير ما أنزلَ الله، وبدَّلوا شرائعه ووالوا أعداءه.

ثالثاً: كافّة بلاد الإِسْلَام، يُسَام فيها أهل الإِسْلَامِ عموماً، وأهل الدّين والدّعوة والالتزام خُصُوصَاً، الظُّلم والجورُ والعَسفُ والقتلُ وهتكُ الأعراض والسُّجون والعذاب، مما أصبح معلوماً للقاصي والدَّاني.

- فهل يُعقل في مثل هذه الحالات، أن نقول أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة اليَوْمَ هُم الّذين لا يَعبَؤُون بكلِّ هٰذا، ويتفرّغُون لتنقيح الأَسانيد، وتصنيفِ الكُتب، وروايةِ الحديث؟!

- هل يُعقل أنّهم الّذين لا يهمُّهم من أمرِ المُسلِمِين شيئاً، ويتفرَّغون للعبادة والنُّسك وترديد الأوراد والاعتزال في الزَّوايا؟!

- هل يُعقل أنَّهم الّذين لم يتكلموا في كلّ هذه النَّوازل ببنت شَفة، ثمّ لا يكون من شغلهم إلا تنقيح العَقِيْدَة الصَّحِيحة بزعمهم، ومحاربة الأضرحة والقبور وشرك الأموات؟! والكفر يحكُمهم ويُحيط بهم، ويُدخل الفُسوق والعصيان والعُهرَ عليهم وعلى ذراري المُسلِمِين بكل وسائل الإعلام، وحالهم معهم عَلى أحسن ما يرام؟!

- أم هل يكون مِنَ الطَّائِفَة المَنصُورَة أولئك الّذين يجلِسُون في بلاد الكفّار وبين أحضانهم، ويُنادون ويُفتون بأحكام الجِهَاد والهِجرَة؟! ويَفتَتِحُون المراكز الإِسْلَاميّة عَلى مقاييس الإِسْلَام الغربيّ.

- أم تراهم أولئك الّذين يجلسون تحت أحكام المرتدّين أو الكفّار، يعافِسُون الأموال والأزواج والأولاد، وينهشون في لُحوم المُجَاهدين في سبيلِ الله والمُهَاجِرين إلى الله، بأي دعوى من دعاوى التَّسرُّع، وهدم الدّعوة، وتعجُّل المراحل، وصحَّةِ الرّايات، وفَذْلَكَاتِ الكلام؟!

لا نشكُّ قيد لحظة بأنّ الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان وفي مثل هذه الأحوال هم أهل الجِهَاد، أهل القِتَال، أهل السِّلاح المُجَاهدين تحتَ راية لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ اللهِ، يدفعون صائل الكفّار والمرتدّين.

يقول الدّكتور عبد القادر بن عبد العزيز -حفظه الله- صاحب كتاب (العمدة في إعداد العدة في ختام حديثه عن الطَّائِفَة المَنصُورَة)، من هيَ ومن تكون، وكلام أهل العلم فيها، فيقول في صفحة (٨٠) تحت عنوان "**أهمّ واجبات الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان** ".

هذا وأن من أعظم واجبات الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان هو جِهَاد الحكَّام المرتدّين المبدلين لشرع الله الّذين يحكمون المُسلِمِين بالقوانين الوضعِيَّة الكفرية- إلى أن قَالَ- وإفساد هَؤُلَاءِ الحكَّام وتبديلهم للشرائع والمفاهيم، وإشاعتهم للفواحش في المُسلِمِين، ولو كانَ الصّحابة رضوان الله عليهم أحياءً اليَوْم لكان أعظم أعمالهم هو جِهَاد هَؤُلَاءِ الحكّام- إلى أن قَالَ- **وما أرى أحدًا من المُنتسبين إلى العلم الشَّرعيّ في زماننا هذا لم**

يتكلَّم في هذه المسألة مُنكراً ومحرّضاً المُسلِمِين عَلى الجِهَاد ما أرى مثل هذا يلقى الله إلّا والله تَعَالَى ساخط عليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة]

إذن لقد دخل الصّائل الكافر وانحاز إليه صائل المرتدّين والمُنَافِقين، فإذا كانت الطَّائِفَة المَنصُورَة هيَ صفوة أهل هذا الدّين، فلا يعقل أن تفرط بأوجب الواجبات بعد التّوحيد -وهو دفع الصّائل- بدعوى القيام بالأعمال الّتي هيَ دون ذلك بإجماع العُلَماء، لأنَّ من فعل ذلك هو من الطَّائِفَة المدحورة وليس من الطَّائِفَة المَنصُورَة، إنَّه من الفئة القَاعِدَةِ الفارَّة من الزَّحف، هذا حكمه وقد فجأنا العدوُّ في عقر دارنا.

فالطّائفة المَنصُورَة في هذا الزّمان هم حملة السّلاح ورايات الجِهَاد لدفع هذا الصّائل:

أولاً: دفع صائل الكفّار الأصليين من يهودٍ ونصارى ومُشركين وملحدين ومرتدِّين وأعوانهم، دفعهم بالسّلاح والسَّيف، وهذا جِهَاد السنان، فمن قام بذلك اليَوْم فهم من أرومة الطَّائِفَة المَنصُورَة وأعيانها وأهلها، أفراداً كانوا أم جماعات.

ثانياً: دفع صائل المُنَافِقين والمُجادلين عن هَؤُلَاءِ الأَعدَاء بالبَاطِل من علماء السّلاطين ومبتدعة الدّعاة والمرجفين والمخذّلين، دفعهم بالحجّة والبيّنة بِقَال الله وقالَ رسُول الله ﷺ، وهذا هو جِهَاد البَيان الّذي بيَّنه العُلَماء.

فمن قام بهذا اليَوْم وتحمَّل في سبيل ذلك مشاقّ المطاردة والمُحَاربة والتَّشويه فهو من أعوان الطَّائِفَة المَنصُورَة ونرجوا أن يلحق بهم، وهم دون أهل القِتَال ما لم يكن من أهل العُذر الشَّرعيّ، ولا شَّكَّ عندي بذلك.

وأما من جمع السّيف إلى القلم، والرَّشَّاش إلى اليَراع، والقتال إلى العلم والدّعوة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، فلا شَّكَّ أنَّهم من رؤوس الطَّائِفَة المَنصُورَة وقادتها وأعلامها وعلمائها ودعاتها المُجَاهدين، وهم فوق سابقيهم بالمرتبة ولا شكَّ.

نسأل العلي القدير برحمته وفضله الّذي يؤتيه من يشاء، أن يجعلنا منهم ومعهم، دنيا وآخرة، تحت لواء حبيبه المُصطفى ﷺ.

فهرس مراجع التحقيق

- **القرآن الكريم :** مصحف المدينة النبوية.
- **صحيح البخاري:** لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ط: الأولى، ١٤٢٢هـ
- **صحيح مسلم:** لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- **سنن أبي داود:** لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- **سنن الترمذي:** لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- **(السنن الصغرى للنسائي) المجتبى من السنن:** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
- **سنن ابن ماجه:** لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:** لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.
- **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:** علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)،المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

- **المعجم الكبير:** لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- **صحيح الجامع الصغيروزياداته:** لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:** للألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، (لمكتبة المعارف).
- **الفتاوى الكبرى:** لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- **مجموع الفتاوى:** لابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكِتَاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
- **رد المحتار على الدر المختار:** لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- **تاريخ الدولة العلية العثمانية:** لمحمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا)، المحامي (المتوفى: ١٣٣٨هـ)، المحقق: إحسان حقي، الناشر: دار النفائس، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠١ – ١٩٨١.
- **الثورة الفرنسية عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية** : د.عدنان حسن باحارث، مكتبة إحياء التراث الإسلامي للنشر والطباعة،ط١، ٢٠١٢م.
- **موسوعة الذخائر العظام للشيخ عبد الله عزام** : مطبوعة في أربعة مجلدات ومنشورة في الشبكة.
- **معركة الأحرار: لأحمد سمير (معاصر).**

الفهرس

عَنْ أَنَس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
"جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ".

رواه أبو داود وصححه الألباني

فالحركة الجهادية حركة شاملة متكاملة متناسقة وهكذا يجب أن تكون في العالم كله لتشكل هالة جهادية عالمية أمام الحملة الصهيوصليبية العالمية الثالثة تعيد الأمة إلى سابق مجدها وعزها وتسود الشريعة الإسلامية ويبسط العدل.

م.أبو حمزة الدرعاوي

مكتبة الجيل الثالث